شرح نظم عمود النسب

لأحمد البدوي بن محمد

«حماد على البدوي»

تأليف

حماد بن الأمين المجلسي الشنقيطي

راجعه وعلق عليه وكمله

أباه بن محمد عالي بن نعم العبد المجلسي الشنقيطي

أعده ونشره

محمد محفوظ بن أحمد

الجزء الأوّل

من شرح عمود النسب

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م



موسوعة في أنساب العـرب وأيامها والسيرة النبوية الشريفـة وأخبار آل البيـت والصحابة.. وما تعلق بذلك من القصص العظيمة والعلوم المفيدة والآداب الرفيعة

ينشر لأول مرة مصححا ومنقحا على نسخ أصلية بينها نسخة نجل المؤلـف المكتوبة في حياته

وبهامشه للمحقق :

تعليقات وفوائد وزيادات لها مناسبة وارتباط بمحلها المذكورة فيه، مع تحقيق النص الأصلي وضبط وشـرح بعض المفـردات اللغوية، وعـزوِ الآيات وتخـريج الأحاديث والأخبار الـواردة فيـه

طُبِعَ عَلَى نَفَقَةِ
أسرة المؤلف


بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله وسلم على محمد النبي الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرْ

أحمد الله ربي حمداً دائما بدوام نِعمه التي لا يحصى عددها، ولا يُستقصى مددها، وأصلي وأسلم على خير خلقه وخاتم رسله المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله، سيد ولد آدم قاطبة وخير نبي أرسل لخير أمة بالرسالة الخاتمة والشريعة الشاملة، وعلى آله الطيبين وأصحابه المكرمين بصحبته، الفائزين بنصرته.

أما بعد؛ فلا يخفى ما لِعِلم الأنساب من أهمية وخطورة، إذ هو جوهر مكونات التاريخ الحقيقية، كما أن حفظ النسب من المبادئ الأساسية والمقاصد الشرعية؛ الشيء الذي جعل معرفة الأنساب وتمييزها وتوضيحها وترتيبها.. علما قائما في كل العصور. ولأجل ذلك عُني العلماء المسلمون بالأنساب من زوايا أخرى عديدة، مثل علم الرواية وطُرق الأسانيد.. وغيرها من علوم معرفة الرجال ونقدهم، التي يرجع لهم بها الفضل في حفظ ونقل السنة المطهرة وسائر العلوم الشرعية.

ولأنسابِ العرب شرف على سائر الأنساب، لَمَّا كان لهم شرف ظاهر على كافة الأقوام، باختيار الله لنبيِّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم، ولأن نسبه هو ذروة نسبهم وسنام حسبهم. ومن هنا امتزج علم أنساب العرب بالسيرة النبوية الشريفة فكانت محوره وعليها مداره.

ومن باب السيرة الواسع ومداها الشاسع، ألّف المؤلفون في علم الأنساب، وصنّفوا الكتب في نسب وأخبار آباء النبي ﷺ وأنساب ومآثر الأصحاب.

ومن هؤلاء المصنفين العلامة أحمد البدوي بن محمدا المجلسي وابن أخيه حماد بن الأمين؛ اللذين احتوت على أعمالهما وآثارهما العلمية محبةُ رسول الله ﷺ والتلذذ بسيرته العطرة، والتعلق بأصحابه وعترته المطهَّرة. فتوسعا في ذلك ـ تأريخا ونسبا ـ حتى جاءا بهذه الموسوعة التي بين أيدينا، المرتكزة على نَسَبه صلى الله عليه وسلم ونَسَب أصحابه من المهاجرين والأنصار، والشاملة مع ذلك أنساب العرب وأصولها وفصولها، وذكرَ المستطاب من آدابها، والمستطرف من أخبارها، وبعض مشاهيرها في الجاهلية والإسلام..

وقد كنا أشرنا في تقديم كتاب **رياض السيرة والأدب في إكمال شرح عمود النسب** إلى أن مؤلفه الشيخ ابَّاه ـ حفظه الله ورعاه ـ قد تصدى لأمرين عظيمين؛ **أحدهما**: تصحيح وتنقيح ما شرحَه الشيخ حماد بن الأمين من نظم عمود النسب للعلامة البدوي. **والآخر**: إكمال هذا الشرح تكملةً تليق بهذين الأصلين النفيسين. فبدأ بأعز الأمرين وهو إكمال شرح النظم، فأحسن في ذلك وأجاد، وأبدع وأفاد، وجاء بما بَهر العقول وأثلج الصدور. فابتهج الناس بتمام هذا الشرح، واكتمال ذلك الصرح، وعاوَدهم ما كان من أشواقه، والتطلع إلى إشراقه.

ثم بعد ذلك تصدى لمراجعة هذا الشرح وتصحيحه، وانكبَّ على جمع نُسخِ أصله وتنقيحه، فأبرز مادته وصقلها مما علاها من صدأ السنين، وتراكم

أخطاء النساخين وأغلاط الناقلين. ثم زاد على ذلك بفوائد عديدة وتخريجات مفيدة، أثْرَت مادة هذا الشرح الغزيرة، وحررت مصادرَ أصوله، وأبرزت صحة مراجعه ونقولِه. مع زيادات فَصَّلت ما أُجمل، وأوضحت ما استُشكِل. وتعليقات استخرجت الكثير من كوامِنه، وكشفت المزيد من محاسِنه.

ولقد بَذل المحقق في سبيل ذلك الكثير من فكره وجهده ووقته الثمين، رغم مشاغل التدريس وغيره. فا لله نسأله أن يجزل ثوابه ويحقق مرامه، وأن يبقيه لبث علوم شريعته، ونشر أعمال طاعته.

* *

لقد انتهج حمادٌ رحمه الله في شرحه هذا نهج الأقدمين في عُلُو الهمة وافتراض حَدٍّ من المعرفة في قرائه. ومع ذلك التزم فيه بلُغة سلِسة قريبة، مع رقي في العبارة وعمق في الفصاحة. ذلك من حيث مفرداته وتراكيبه، أما من حيث مادته ونسجه، فتجلت فيه براعة المؤلف المعهودة في الاختصار مع الاستيفاء، وطي المساحات الشاسعة، وتركيز المعاني الواسعة، بما يحقق المفيد الممتع، ويجسد *السهل الممتنع*. وهي براعة ظاهرة ومَقدِرة باهرة لمن تأمل **نظم عمود النسب** وما يزخر به من النكَت والإشارات، وما يشع منه من المعاني والتلميحات.

كذلك من سمات منهج المؤلف في هذا الشرح، استطراد الحكايات واللطائف، وإيراد ما يناسب من الفوائد والطرائف؛ وربما أعاد قصةً للبسط فيها، أو لتأكيد بعض معانيها، واقتناص مزيد من فوائدها، وتقييد شواردها.

وحقيقة الأمر أن شرحَه ـ رغم عدم اكتماله ـ قد ارتفع ذكره وعمَّ صيتُه الأصقاع، ونال القبول بالإجماع. فكان ـ كالنظم نفسه ـ من أكثر المؤلفات الموريتانية انتشارا؛ ومن ثَم تعددت نُسَخه المتداولة، ولم يسلم كثير منها من تسلل الأخطاء وتسرب الأغلاط. وذلك لأسباب كثيرة، منها عوامل البداوة، ومنها أن نَسْخَ الكُتب في هذه البلاد كان يزاوله الجميعُ ولا يَتوقف على من لهم معرفة بالعلم أو دراية بصناعة الكتابة. بل كان تعطشُهم للمعرفة وتعلقُهم بالكتب يدفع مَن يتجاوز طَورَ الأمية قليلا إلى نَسْخ ما يجد في الطروس. فتعاضد ذلك مع سوء الخطوط الغالب؛ إذ لم يكن تجويد الخط ورسمه من المواد المعرفية المتداولة، كما لم تكن أدواته كثيرة ولا جيدة.. ناهيك عن كون المؤلف ـ رحمه الله ـ لم يُكمل هذا الشرح أصلا، فأحرى أن يراجعَه ويُبيضه، بل كانت نسخته الأصلية جمعا وتسويدا؛ والتسويد ـ كما هو معلوم ـ يصعب على غير العارف المختص والناسخ الفطِن أن ينقله بدقة دون خلط أو حذف أو تقديم أو تأخير..

لكن ـ مع هذا ـ ظلت نُسَخه الأولى محفوظة لدى أسرة المؤلف، تحظى بالعناية والصيانة، فكانت لذلك سليمة من معظم الأخطاء التي تسربت إلى غيرها، لكنها بطبيعة الحال لم تسلم من بعضها.

ولقد انصبَّ جهد المحقق ـ حفظه الله ـ على الاستفادة من كافة النسخ، وزاد عليها بالبحث وتقصُّصِ تراث المؤلف، ومراجعة أهل المعرفة الذين تناقلوا هذا التراث العلمي النفيس كابرا عن كابر، بطرقٍ متصلة.

***

وقبل حوالي ست عشرة سنة ظهرت أول نسخة مطبوعة من هذا الشـرح، نشرتها إدارةُ إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر، وكلّفت بتحقيقها فضيلة الشيخ أحمد المختار الجكني الشنقيطي؛ الذي نوه بمدى إعجاب الناشرين بهذا النظم وحرصهم على نشر شرح حماد له دون غيره من الشروح.

وعلى رغم أهمية هذه المبادرة ونبل مقاصدها وجهود صاحبها المشكورة المأجورة في طباعة هذا الكتاب، فقد جاءت طبعته (والطبعة المكررة منه) مليئة بالأخطاء على نحوٍ يصدم الألباب ويجافي الصواب، بل إن هذه النسخة المطبوعة لم تَرْقَ ـ مع الأسف ـ إلى أن تكون نسخة حقيقية يمكن تصحيحها وتنقيحها، أو التعويل عليها في مقابلة النسخ الأخرى. ودليل هذا بادٍ للعيان بمطالعة أي مكان من جزئي الشرح في هذه الطبعة. ونسوق هنا على ذلك أمثلة غير منتقاة، بل من نظرة خاطفة في بضع صفحات غير مقصودة بذاتها:

ـ في الصفحة 1/151 عن صهيب الرومي ﷺ: ".. أن كلبا ابتاعوه وبيع بمكة ثم أعتق". والذي في النسخ الموجودة عندنا إنما هو: (.. **وبيع بمكة ثم عَتَق**..)، كما صوبه في هامش الطبعة!.

ـ في صفحة 1/179: عن المثنى بن حارثة ﷺ: "..استشهد من جراحات أصابته يوم جسر أبي عبيدة". وهذا خطأ جلي أجدر بالملاحظة والتصويب، لشهرة هذا الجسر ويومه، ولإيهامه نسبته إلى أبي عبيدة بن الجراح ﷺ. وفي الأصول ـ كما هو الصحيح ـ: (.. **جسر أبي عبيد**).

- في الصفحة 1/193 عن عمرو بن عنبسة: ".. وكان أخا أبي بكر وأبي ذر، لأنه روى عن النبي ﷺ ثمانية وثلاثين حديثا".. والنص الأصلي هو: (.. **وكان أخا أبي ذر لأمِّه. روى عن النبي** ﷺ..الخ)، وصرح المعلق في الهامش بأنه لم يدرك هذا التعليل!.

- في صفحة 1/215: "..أبو صحيفة وهب بن عبد الله بن قارب، توفي النبي ﷺ وهو مراهق إن روى وسمع ... وهو آخر الصحابة موتا بالكوفة، وقيل أبو أبي الأسلمي". والذي في الأصول هنا: (**أبو جحيفة وهب بن عبد الله بن قارب، توفي النبي ﷺ وهو مراهق بعد أن رأى وسمع... وهو آخر الصحابة موتا بالكوفة، وقيل أبو أوفى الأسلمي**).

- في صفحة 1/300: "وقال سعيد بن زيد في يوم الحرة: فإن تقتلونا..الخ". وفي الأصل: (**وقال عبد الرحمن بن سعيد بن زيد في يوم الحرة**). مع أن سعيد بن زيد توفي سنة نيف وخمسين ووقعة الحرة كانت سنة 63 هـ.

- في صفحة 2/29: ".. وكل الصحابة تمنعه الأبوة والبنوة من قتل أبيه وابنه كافرين". والذي في الأصول: (**وكل الصحابة لا تمنعه الأبوة ولا البُنوة من قتل أبيه أو ابنه الكافرين**). ومع وضوح سياق النظم لهذا؛ وهو قوله: **والقتل للآباء والأولاد**..الخ، وسياق الشرح: (.. **منه قتل الضحاك بن سفيان الكلابي؛ لحق أباه على فرس فعرقبه**.. الخ)، فإن المعلق لم يخطر بباله أن في الكلام حذفا أو غلطا بل رد عليه في الهامش مصوبا لخطإٍ فادح واضح في نسخته وحدها!.

- في صفحة 2/187: "وكان غائبا فبعث إليها كيلة شعير.."، وفي الأصل: (..**فبعث إليها وكيله بشعير**..).. الخ.

ولعل أطرف الأخطاء وأقلها ضررا ما وقع في نفس الصفحة، قال: "وله منها أبان بن حفص ولعله بِكْرها الذي تعني بقولها:

ولا أخي وعمه وبكري إن كان قد قتل يوم بدر"

فالشطر الأخير ليس من رجز هند بنت عتبة الشهير، وإنما هو من كلام الشارح، استدراكا منه لبيان الخلاف في مقتل ابنها أبان يوم بدر. لكن لأن هذا الشرح جاء ـ صدفة ـ موزونا في بحر وقافية الرجز رُسم من قَول هند، مع بُعد ذلك بأدنى النظر!.

ـ في صفحة 2/331: "وعبد الرحمن بن عبد الرحمن أمه أسماء بنت سلامة بن مخرمة أم عياش وأبي جهل والحارث بن هشام..". والذي في الأصول هو: (.. **أمه أسماء بنت سلامة بن مخرمة التميمية ـ أخوه لأمه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ـ عمتها أسماء بنت مخرمة أم عياش وأبي جهل والحارث**..) إلخ..

هذه مجرد نماذج قليلة من كثير ينحو نحوها.. وهناك من الخَلْط والحذف الكثير أيضا.. يطال بعضه المتن، مثل قول الناظم:

عبد مناف منه الاسود الأبي خالُ النَّبيِّ من كبار الصحب

فهذا البيت محذوف مع شرحه كله من هذه الطبعة، التي لا نقلل بهذا من أهمية المبادرة إليها ولا عظم الجهد فيها، بل ربما كان من فائدتها ما أثارته من عناية بهذا الكتاب واستفزازِ الغيورين عليه من أجل طباعة ونشر أصله الصحيح. وإنما قصدنا بإيراد ذلك التنبيه والتصويب.

والحقيقة أن الأغلاط والأخطاء تصعب السلامة منها، لكن حين تتجاوز الحد وتطال الجوهر وتخل بالمبنى وتفسد المعنى في غير موضع واحد، بل يتكرر

ذلك ويستمر بحيث لا تكاد تسلم منه الصفحة أو الصفحتان.. فإن الخطب يصعب ويكون الضرر أقرب من النفع.

* * *

هذا وإن طباعة هذا الشرح والتحقيق، ونشر هذا الكتاب الأنيق، ما كان متاحاً ولا ممكنا لولا مبادرة عُصبة من أهل الفضل والكرم والنجدة من أحفاد المؤلف ـ رحمه الله ـ تقدموا لهذه المهمة الضخمة، وتصدوا لمصاعبها الجمة وبذلوا بسخائهم الفِطري وكرمهم المتوارث، جهدهم ومالهم لإنجازها، مقبلين ـ كعادتهم ـ على البذل والإيثار على النفس، والتعاون على البر والتقوى وخدمة العلم، ومعرضين عن الظهور بمظاهر ذلك؛ بل آثروا ـ حفظهم الله ـ التواضعَ وفضَّلوا عدم التصريح بأسمائهم.

فجزاهم الله وإخوانهم الآخرين من أسرة المؤلف الكريمة، على بِرهم وبُرورهم، أحسن الجزاء، وبارك سعيهم وضاعف لهم الأجر والثواب، ووفقهم للخير والصواب.

والحمد لله رب العالمين

محمد محفوظ بن أحمد

عفا الله عنهما

ذو الحجة 1422 / فبراير 2002م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث للناس كافة بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا، وعلى آله وصحبه المهتدين بهديه، والمقتفين لسنته، والذابين عن ملته، والباذلين وسعهم في تبيين شرعته.

وبعد فإنه لما كان الله سبحانه وتعالى قد خلقنا لعبادته وأمرنا بطاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم وقرن بينهما، ونهانا عن معصيته وجعل لنا الأسوة الحسنة في رسوله ﷺ فقال جل من قائل :﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وقال: ﴿مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾ ..

فقد تعين علينا أن ندرس سيرة النبي ﷺ بجميع جوانبها وأن نصرف الهمم إلى معرفة آثاره النبوية، وصفاته العلية، وشمائله الزكية، وما يتعلق بحياته

لنتمكن من امتثال أمر خالقنا ونتأسى بنبيه صلى الله عليه وسلم على الوجه المطلوب؛ لأنها قبس يستضيئ به من أراد الاهتداء، ومعلم تتجلى به سبل الأسوة، وتقوى به وسائل المحبة والمودَّة التي يتوقف عليها تمام الإيمان وبها يعرف الكثير من معاني كتاب الله العزيز والسنة النبوية الفعلية والقولية والتقريرية. وبها تعرف فضائل أهل بيته صلى الله عليه وسلم وشرف قبيلته وسيرة صحابته الذين آمنوا به وعزروه ونصروه وتآخوا في ذلك وتراحموا فيما بينهم وصاروا أشداء على أعدائهم إلى أن نزل فيهم قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ﴾. وقال فيهم رسول الله ﷺ «فوالذي نفسي بيده لو أن أحَدكم أنفق مثل أحُد ذهبا ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه».

فلذا عكف السلف والخلف على درسها وتعاطيها دراية، وحفظها وتدوينها رواية، وبذلوا الجهد والوسع في تصحيحها وتمحيصها، واعتبروها أفضل العلوم بعد علم التوحيد لفضل مدلولها الذي هو معرفة النبي ﷺ من لدن كان في أصلاب آبائه الطاهرين وأرحام أمهاته الطاهرات إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

وإذا كان عصرهم قد انقضى و لم يكتبوا شيئا من السيرة و لم يدونوا شيئا من العلم ـ غير القرآن العظيم ـ إلا ما ندر، فقد صرفوا هممهم وبذلوا غاية وسعهم وعنايتهم لتبليغ أقوال النبي ﷺ وأفعاله و لم يتركوا شيئا مما يتصل بذلك إلا وعَتْه أفئدتهم وروته ألْسنتهم.

ولقد كانت العناية بمعرفة علم الأنساب والأخبار والقصص من خصائص

العرب في العصور الجاهلية، ثم أقرها الإسلام، واعتنى بها السلف الصالح من الصحابة والتابعين؛ فكان الصحابة يسألون عنها رسول الله ﷺ فيخبرهم، وكان بعضهم يسأل بعضا ويتعلمونها ويُعلمونها.

وكانوا يقدمون بين يدي أخبار النبي ﷺ بعض قصص الجاهلية وأخبار الأمم السابقة، وكان أعيان الصحابة يسألون عن ذلك ويحدثون به. فقد كان الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه في المقام الأرفع والجانب الأعلى في معرفة أنساب العرب وكان المقدم فيه في حياة النبي ﷺ وكان الصحابة يأخذون ذلك عنه، وقد أقره صلى الله عليه وسلم على ذلك وأمرهم بالأخذ منه؛ وفي ذلك أعظم دليل وشاهد على شرف هذا العلم وجلالة قدره.

وكان حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يحدث بأيام العرب في الجاهلية والإسلام. وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يعلم بنيه سيرة النبي ﷺ ومغازيه وسراياه ويقول: يا بني هذه شرف آبائكم فلا تنسوها. وكان الحسن والحسين رضي الله عنهما يسألان خالهما هند بن أبي هالة عن صفات النبي ﷺ ويحفظانها..

وكذلك كان التابعون؛ فقد كان علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما يقول: كنا نعلّم مغازي رسول الله ﷺ كما نُعَلَّم السورة من القرآن. وكان محمد بن سعد بن أبي وقاص يُعلم بنيه المغازي والسرايا ويعدُّها عليهم..

موجز تاريخ تدوين السيرة النبوية

بدأت الكتابة في فنِّ السيرة مُبكّرةً في عهد التابعين وتابعيهم وهلم جرا..

وألّف فيها علماء السلف والخلف عبر العصور في مختلف المواضيع المتعلقة بها؛ فقد كان ممن ألف فيها في القرن الأول للهجرة: عروة بن الزبير بن العوام (توفي 93 هـ)، وأبان بن عثمان بن عفان (ت101)، وشرحبيل بن سعد، أحد موالي الأنصار.

وفي القرن الثاني ألّف فيها ابن شهاب الزهري (ت 124)، وموسى بن عقبة (ت 141)، ومحمد بن إسحاق (ت151)، وغيرهم.. وقد ضاعت مصنفات الطبقتين الأولى والثانية.

وفي القرن الثالث كان من أبرز من ألفوا فيها: ابن هشام (ت 213)، والمصعب الزبيري (ت 236)، وابن أخيه الزبير بن بكار، وابن سعد صاحب **الطبقات** (ت 230).

وفي القرن الرابع ألف فيها أبو الحسن المسعودي صاحب **مروج الذهب** (ت 346)، وأبو حاتم البستي صاحب **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء** (ت 354)، وابن هلال العسكري صاحب **الأوائل** (ت 395).

وفي القرن الخامس: أحمد بن الحسين البيهقي صاحب **دلائل النبوءة** (ت 458)، وابن عبد البر صاحب **الاستيعاب** (ت 463).

وفي القرن السادس ألّف السهيلي صاحب **الروض الأنف** (ت 581).

وفي القرن السابع: ابن قدامة المقدسي صاحب **الاستبصار** (ت 620)، وسليمان بن موسى الكَلاعي صاحب **الاكتفاء** (ت 634)، وابن الأثير صاحب **أسد الغابة** (ت 663).

وفي القرن الثامن: ابن سيد الناس اليعمري صاحب **عيون الأثر** (ت 734)،

ومحمد بن القيم صاحب **زاد المعاد** (ت 751)، وابن كثير صاحب **السيرة النبوية والبداية والنهاية** (ت 774).

وفي القرن التاسع: القلقشندي صاحب **نهاية الأرب وصبح الأعشى** (ت 821)، والعسقلاني صاحب **الإصابة** (ت 852).

وفي القرن العاشر: القسطلاني صاحب **المواهب اللدنية** (ت 923)، ومحمد بن يوسف الشامي صاحب **سبل الهدى** (ت 942).

وفي القرن الحادي عشر: نور الدين علي بن إبراهيم الحلبي صاحب **السيرة الحلبية** (ت 1044).

وفي القرن الثاني عشر: الزرقاني شارح **المواهب** (ت 1122)، ومحمد اليدالي الديماني صاحب **الحلة السيرا** (ت 1166)، وأحمد البدوي المجلسي (ت 1208) صاحب **نظم عمود النسب**.

وفي القرن الثالث عشر: الشيخ حماد بن الأمين المجلسي صاحب **شرح عمود النسب** الذي بين أيدينا..

ومن حيث المنهج فقد كان من بين من ألف في هذا الفن مَن اقتصر على بني هاشم ـ فَصِيلته صلى الله عليه وسلم ـ ومن اقتصر على قريش ـ قبيلته ـ ومن اقتصر على الأنصار ـ عَيبته ـ ومنهم من تناول جميع العرب؛ عدنانيها وقحطانيها. وألفوا في ذلك الكثير من التآليف والتصانيف المختصرة والمطولة، نظما ونثرا في شتى المواضيع.

وممن اعتنى بذلك كله وكان له فيه الباع الطويل والعطاء الجزيل العالمان المتبحران والحافظان السيريان: أحمد البدوي بن محمدا وحمادٌ بن ألمين؛ فقد ألفا

في ذلك وكانت مؤلفاتهما من أفضل ما صنف في هذا الفن فيما رأينا، وأحسنه فيما انتهى إلينا؛ فجاء البدوي بأنظام عديدة تناولت مختلف جوانب السيرة النبوية، ثم جاء حماد بشروحٍ لتلك الأنظام، وافية بالمقصود جزيلة المحتوى.

وكان من بين تلك الأنظام النظم الذي يعرف بعمود النسب[1] الذي جمع فيه ناظمه ما لا يحصى من اللآلئ المتناثرة والبدائع والنكت الْمُبْذَعِرَّة في كتب السنة والسيرة والتاريخ والأدب.. وهو من أحسن ما نُظم من المختصرات في هذا الفن وقد أجاد فيه ناظمه وأفاد.

نظم عمود النسب

بدأ الناظم ـ كعادة غيره من المؤلفين ـ بالحمد لله والصلاة على النبي ﷺ وأتى فيه ببراعة الاستهلال، ثم ذكر التنويه بالعرب وفضلهم وخصُوصيتهم بكون النبي ﷺ منهم. ونوه بأهمية وشرف العلم الذي يتحدث عن سيرة النبي ﷺ وصحابته المهاجرين والأنصار. ثم ذكر أبوي العرب: إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وبناءهما للكعبة المشرفة. وذكَر الشعوب التي تداولت البيت الحرام وسكنت بجواره منذ ذلك العهد إلى زمن النبي ﷺ. ثم استطرد بعض مختلقات العرب الجاهلية وعوائدها الغريبة. وذكر أن نسبهم ينتهي إلى سام بن نوح عليه السلام، وأن العرب تنقسم إلى بائدة؛ وهم العرب القدامى الذين لم يمكن الحصول على تفاصيل كافية عن تاريخهم، وإلى غير بائدة؛ وهذه إما

(1) أو بعمودي النسب (بالتثنية) باعتبار عمود نسب النبي صلى الله عليه وسلم وعمود نسب الأنصار.

عدنانية أو قحطانية.

ثم خلص للمقصد الأصلي من النظم وهو ذكر عمود النسب النبوي الشريف فسرده بدءا بأحمد ﷺ وانتهاء بعدنان، وبيّن صفاء نسبه وكرم أصله الجامع بين النسب الشريف والحسب المنيف. وسكت عما فوق عدنان لما كان في ذكره من الخلاف والاضطراب، مستشهدا بما روي من أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا انتهى في النسب إلى معَد بن عدنان أمسك وقال: «كذب النسابون». ثم ذكر ما تفرع من سلسلة النسب بادئاً بعدنان متدليا إلى عبد المطلب بن هاشم، مراعيا الترتيب التسلسلي.

ثم أخذ في المقصد الثاني وهو عمود نسب الأنصار؛ فابتدأ بذكر القبائل القحطانية وسبب نزوح أجداد الأنصار من اليمن إلى يثرب، وسبب إسلام الأنصار، وتلقيبهم بهذا اللقب وذكر بطونهم؛ أوسها وخزرجها.

ثم تكلم على حمير وأشار إلى ملوكها وأقيالها، وركز على قضاعة منها. ثم تكلم على مذحج وطيئ ثم على كندة. كل ذلك مع ذكر بعض مشاهير تلك البطون والفروع من أعيان الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء والشعراء والأدباء والنسابين والأبطال والشجعان والأجواد والحكماء.. في الجاهلية والإسلام، معتنيا عناية خاصة بأخبار إسلامهم والتنويه بمناقبهم، والتصريح أو الإشارة إلى ما لبعضهم من مواقف أو علاقة خاصة مع رسول الله ﷺ.

وأكثر من الاستطرادات المهمة والنكَت والطُّرف والتلميحات المفيدة.. إلى غير ذلك مما يصعب حصره. وختم النظم بلمحة وجيزة عن نسب السوادين.

وبالجملة فهو نظم بديع شاهد بمقدرة صاحبه الشعرية، معبر عن رسوخ

قدمه في هذا الميدان، معرب عن سعة علمه، ناطق بفصاحة خطابته وغزارة مادته، وقوة آلته، ورقي ذوقه، وجودة سبكه، وسلاسة لفظه..

يبلغ عدد أبيات هذا النظم ألفا ومائتين وسبعة وسبعين بيتا، تناول فيها جميع هذه المواضيع المذكورة باختصار غير مخل، واستيفاء غير ممل، مع وضوح المعنى وأناقة الأسلوب واعتماد أصح الروايات والأقوال.

ولقد أجاد أخي وصديقي الأستاذ محمد يحيى بن سيد أحمد المجلسي في وصفه حيث يقول:

إن نظمَ الأنسابِ للألباب	**مرتَع من مراتِع الآداب**
أحمد الحبر فيه أبدع سبكا	**وأتى فيه بالجنى المستطاب**
مع أنساب العرْب سيرة طه	**وأحاديث آله والصحاب**
فهو سحر الألباب وهو حلال	**إن هذا من العجيب العجاب!**
فجزاه الإله خير جزاء	**وحباه الفردوس يوم المآب**

شرح عمود النسب

وأما هذا الشرح فهو أول شرح وضع على النظم على الإطلاق، وهو المصدر الأول الذي يعتمد عليه فيه؛ لأن صاحبه كان قد حضر صياغة النظم وقرأه على ناظمه مباشرة. وقد أفاد فيه مؤلفه وأجاد، وكان نهجه فيه شرح المفردات اللغوية وحل الغامض وتقرير المعنى وترجمة أعيان الصحابة والتابعين والأئمة والرجال المشهورين الوارد ذكرهم في النظم، والتعريف بأجداد النبي ﷺ وجداته، وبعظماء وزعماء العرب في الجاهلية والإسلام المذكورين والمشار إليهم في النظم. وذكر الأنبياء الأولين والرسل المكرمين من آدم إلى إسماعيل عليهم

السلام. كما فصل في التعريف بالعرب البائدة وغير البائدة، وبالعاربة والمستعربة.

وتناول مختلف جوانب التاريخ بمدلوله العام؛ فبالإضافة إلى ما أودع في هذا الشرح من السيرة النبوية وأنساب العرب، فقد استوعب المهم من ذكر ما يرتبط بذلك من الأخبار والآثار والمآثر والقصص والحروب والغارات والوقائع التي جرت بين العرب، مع ذكر أدوار جيرانهم وعلاقتهم بذلك، ولاسيما من الفرس والروم والحبشة. كما اشتمل على ذكر ملامح حياة العرب الاجتماعية والاقتصادية وما تجدر ملاحظته من مكارم أخلاقها والحسَن والقبيح من عاداتها، ودياناتها ونِحَلها، وما كانت عليه قبل الإسلام من حال وما أصبحت عليه بعده. مع الإشارة في ثنايا ذلك وأطرافه إلى كثير من الفوائد العلمية الفقهية والأدبية واللغوية وذكر الكثير من النكت والعبر والحِكَم والأمثال والأشعار والنظائر والمُلَح.. إلى غير ذلك مما لا يمكن حصره، مع الاختصار غير المخل.

فجاء ما أنجزه من شرح هذا النظمِ غايةً في الجودة والجزالة، زاخرا بالعلم، صغير الحجم بالنسبة لما أودع فيه، فكان مناسبا ومفيدا للمبتدإ والمنتهي في آن واحد، مما يشهد لمؤلفه بسعة العلم وطول الباع في مختلف المعارف، وخصوصا في علم الأنساب والسير وعلم السيرة النبوية.

وبالجملة فقد أصبح النظم بهذا الشرح، من حيث الإفادة والإمتاع، موسوعةً عظمى ودائرة معارف كبرى، حظيت بالعناية الفائقة واحتلت المرتبة العالية ونالت محبة وإعجاب الكثيرين، وتلقتها الناس بالقبول والإقبال، فانتشرت في سائر البلاد والأقطار.

ولقد أجاد أخونا وصديقنا الأديب القارئ محمد الحسن بن عبد الرحمن

المجلسي رحمه الله في وصفه حيث يقول:

ما حاز ما حاز "حماد على البدوي" ذو هِمَّـة حضـريٌّ لا ولا بدوي

لله ما فيه من لـهـوٍ ومن مُلـح لا تستمَـلُّ وعِلْـمِ المحتدِ النبوي

والنحوُ والفقه والتوحيد فيه ولا تحصَى فوائد"حماد على البدوي"

هذا وإن حماد رحمه الله لم يضع لشرحه هذا مقدمة ولا ترجمة، بل بَعْد البسملة مباشرة أتى بأوَّل النظم: **حمدا لمن رفع صيت العرب**..إلخ، وطفق يشرحه ويعلق عليه، حسبما نقلناه عن بعض أهل العلم ممن له اطلاع على ذلك وحسبما يوجد في أكثر النسخ القديمة لدى أحفاده وعشيرته. فلعله ـ والله أعلم ـ كان ينوي وضع ترجمة له بعد فراغه منه لتكون مطابقة للمترجَم حسبما تقتضي طبيعة الكتاب، وكما يفعله الكثير من المؤلفين.

ومن البدهي أنه لو كان وضع له مقدمة لأتى بترجمة تناسب المقام وتكتسي صبغة التراجم المألوفة في عصره، ويكون فيها على الأقل تسمية لهذا الشرح الذي لم يعرف له داخل أسرة المؤلف ومحيطه من الأسماء إلا "شرح الأنساب" أو "شرح حماد للأنساب" أو "حماد على البدوي".

وأما ما يوجد في بعض نسخه من المقدمات والافتتاحيات وتسميته بـ"تحفة الألباب بشرح نظم الأنساب".. فكل ذلك من وضع النساخ وليس من وضع المؤلف كما مر.

ونظرا للبئة البدوية التي عاش فيها هذان الرجلان ولم يخرجا منها طيلة حياتهما والتي لا تعتني بكتابة التاريخ عموما، ونظرا لما كان عليه هذان الشيخان ـ على سبيل الخصوص ـ من التواضع ونكران الذات، إيثارا للنجاة، فإنهما لم يُعرِّفا بشخصيتيهما لا في النظم ولا في الشرح. وهذا ليس غريبا في

هذا القطر؛ فعلى سبيل المثال ـ لا الحصر ـ هذا مؤلف كتاب **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**، الذي أرخ فيه مؤلفه للأدب والعلم في شنقيط وخلَّد فيه شعراء وأدباء وعلماء أبناء قطره، والذي سافر إلى الخارج وتجول واطلع على عناية بعض الأقطار العربية ـ وغيرها ـ بعلم التاريخ والكتابة والتراجم، رغم ذلك كله فقد خلا كتابه (الوسيط) من ترجمة صاحبه وتاريخ حياته وذِكْر أحواله وبيان آثاره، حتى ان الكتب التي ذكرته بعد وفاته لم تزد على أنه كان نزيل القاهرة وتوفي سنة 1331هـ!.

وقد كانت فكرة تجاهل الذات راسخة في نفوسهم، وربما كانت قد انتقلت إليهم منذ القدم من القطر الأندلسي والمغربي، لِما في كتاب **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس** من أن "*شأن البلاد المغربية عدم الاعتناء بالتعريف والتصدي لذلك بالتأليف، فكم من إمام مضى، وسيد جحجاح قضى، موصوفا بالعلم أو مشهورا بالخير والصلاح، لم يكن لهم به اعتناء، بل ألقي في زوايا الاغفال والإهمال..*"، وهذه حالة أهل شنقيط إلا ما ندر.

فكان من سلبية ذلك على هذين المؤلفين أن كل من يأتي بعدهما، ممن يتناول الحديث عنهما أو التعليق أو الشرح على إنتاجهما، يُهمل ترجمتهما إطلاقا أو يعتذر عنها بعدم وقوفه على شيء من أخبارهما، أو يذكر عنهما كلمة مقتضبة ربما كان ينقصها عدم التحقيق والدقة!.

وبما أن كتابة هذه الكلمة جاءت في فترة عكف أهلها على انتشال ما قدروا عليه من تاريخ وتراث هذا القطر، وخصوصا من المصادر الشفهية التي أوشكت على الانقراض.. ونظرا لموجب هذا التقديم، فإني أذكر عنهما هذا التعريف البسيط بالنسبة لما يستحقانه؛ فأقول:

قبيلتهما: المدلش (المجلس)

يرجع نسب هذين الشيخين ـ أحمد البدوي وحماد ـ إلى قبيلة المدلش (مجلس العلم)، وهي إحدى قبائل زوايا بلاد شنقيط العريقة وينتهي نسبها إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان القرشي الأموي.

وهي قبيلة ضاربة بجذورها في تاريخ المنطقة، وكانت قد تأسست في الجنوب الغربي من القطر الشنقيطي في العقود الأخيرة من القرن الخامس الهجري على يد جدها إبراهيم الأموي، قاضي مجلس الأمير المرابطي أبي بكر بن عمر اللمتوني (المتوفى سنة 480 هـ). وقد اشتهرت هذه القبيلة في تاريخ البلاد الشنقيطية بالعلم والكرم وإباية الضيم، وكان لها الدور البارز في نشر العلم في القطر وخصوصا في منطقتي "اترارزه" و"إينشيري" وما جاورهما، وأنجبت الكثير من العلماء الأجلاء عبر العصور المختلفة.

ففي القرن الخامس الهجري كان إبراهيم الأموي[1] وبنوه، وفي القرن

(1) إبراهيم الأموي هو القاضي الكبير والمعلم الشهير في دولة المرابطين، وهو الجد الجامع لقبيلة المجلس وأول من قدم من أجدادهم على القطر الشنقيطي. وكان قد ولد ونشأ في الإقليم الأندلسي في أحضان الدولة الأموية، ودرس هناك العلوم الشرعية حتى كان على جانب عظيم من إتقانها وخصوصا القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه واللغة العربية، الشيء الذي جعله مؤهلا لما كان يتولى من منصب القضاء والفتوى والتعليم. وكان قد نزح من الأندلس إلى الجنوب المغربي حيث التحق بدولة المرابطين التي تدخلت لإنقاذ الأندلس، وقربه أمراؤها وخصوصا منهم يحيى وأبو بكر ابنا عمر. واصطحبه أبو بكر إلى الصحراء

<<=

السادس: أُكْ[1] وبنوه، وفي القرن السابع: بادلٌّ[2] وبنوه، وفي القرن الثامن: أبو بكر[3] وبنوه، وفي القرن العاشر: محنض وابنه أحمد[4]، وفي القرن الحادي

-- >>

الشنقيطية، حيث ظل معه قاضيا ومعلما. وبعد استشهاد قائد الدولة المرابطية أبي بكر بن عمر، وتـفَـرُّق أصحابه، من العلماء والقادة، أقام في الجنوب الغربي من بلاد شنقيط؛ حيث كانت له زاوية علمية يأوي إليها من أراد الانقطاع للعلم والعبادة. وتوفي في نهاية القرن الخامس عن عمر مديد، ودفن بموضع يعرف بـ"انبلطون" شمال غرب مدينة "القوارب" (روصو). ومن بنيه: عبد الله وعبد الرحمن.

(1) أُك (بضم الهمزة وسكون الكاف) اختصار "اكْتَوَشْنِي" ومعناه باللغة الصنهاجية العالم. وكان من أهل العلم والسيادة، وهو أحد أجداد المجلسية الكبار وفيه يجتمع نسب أكثر قبائلها القديمة وفصائلها الحديثة. وقد تولى أمر زاوية جده العلمية. ومن أبنائه الفضلاء العلماء: أحمد وبادِلٌ وعمر.

(2) بادِلٌ (بمدٍّ الموحدة وكسر الدال المهملة وكسر اللام مشددة) كان من أهل العلم والسيادة والعز والثروة وكانت إليه رئاسة قبيلة المجلس في زمنه. وأكبر بنيه يحيى؛ وهو من أهل الفضل والصلاح والورع، ثم عمر؛ وكانت إليه السيادة والرئاسة بعد أبيه، وكان من أهل العلم والاستقامة. وبالجملة فقد كان بيتهم بيت علم وعز وسيادة، وتسلسل ذلك في بنيهم. ودفن بادل بموضع يسمى "انوچچ" (21 كلمترا جنوب وادي الناقة).

(3) كان أبو بكر بن عبد الله هذا من أهل الفضل والعلم، ومن بنيه إبراهيم. وكانوا في القرن الثامن الهجري وصدر القرن التاسع.

(4) كان أحمد بن محنض هذا أيضا من العلماء الفضلاء. وكان ذا مكانــة في مجتمعه ومن أبرز الأعيان المجلسية سيادة وعلما، واشتهر أحفاده ومن انضم إليهم بالانتساب إليه، فكانوا يعرفون بـ: "آل أحمد بن محنض".

عشر: أبو أحمد[1] وبنوه، وفي القرن الثاني عشر: محمدا وبنوه، وفي القرن الثالث عشر: محمد بن محمد سالم[2] وبنوه. وآخرون كثيرون..

وعموما كان لهم من التدين والعلم والاستقامة ما هو شائع معروف مدى الأزمنة، ومذكور في بلادهم. لكن القاسم المشترك بينهم كان تلك النزعة المتوارثة إلى التواضع واعتبار الشهرة والذاتية من الأمور التي يحسن التسامي عليها لصلاح النفس ولزكاة العمل الصالح، وخير مثال على ذلك صنيع صاحبي هذا المصنف الجزيل، بل وصنيع أبنائهما وأبناء عمومتهما من العلماء والمقرئين والأدباء.. على مر التاريخ[3].

وهذه كلمة موجزة عن المؤلفين:

---

(1) كان أبو أحمد هذا من أهل العلم والسيادة والاستقامة والثراء وكانت له محظرة تنتابها طلبة العلم. وممن أخذ عنه أبناؤه الثلاثة أحمد ومحمدا والمصطفى، ودفن رحمه الله بموضع يعرف بـ"تندعمرابـچك" (يعرف اليوم بـ"احسي السعادة" شرقي وادي الناقة).

(2) محمد هذا وبنوه في غنى عن التعريف ـ متى احتاج النهار إلى دليل؟! ـ وكانت محظرتهم مدرسة عليا للفقه الإسلامي والعقائد الأشعرية يتوارد إليها العلماء للتخصص، فضلا عن غيرهم من طلبة العلم. وكانت قد جمعت بين التدريس والتأليف، وحمل عنها العلم إلى المشرق والمغرب. ودفن عميدها محمد بموضع يعرف بـ "دُومسْ" ودفن ابنه أحمد بـ"طير ألاَلْ" وأخوه عبد القادر بـ"اسباعية" وأخوهما حبيب الله بـ"آنتز" وأخوهم عبد الله بـ"اعظم ورگ".

(3) للمزيد من المعلومات عن هذه القبيلة وعن بطن المؤلفين منها خاصة راجع مقدمة المجلد الثالث من هذا الكتاب، وهو الجزء الأول من تكملة الشرح (*رياض السيرة والأدب في إكمال شرح عمود النسب*)، وفيه أيضا ترجمة مؤلفه صاحب هذا التحقيق.

أحمد البدوي بن محمدا

أما الناظم فهو العلامة النحرير والسيري الشهير أحمد البدوي بن محمدا ـ بألف آخره ـ بن أبي أحمد (حبيب الله) بن أحمد بن محنض (محمد) بن أبيال (أبي يعلى واسمه يحيى) بن إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن بادلٍّ بن أكّ بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم الأموي.

ولد حوالي سنة ثمان وخمسين ومائة وألف هجرية (1745م) ونشأ وتربى تحت رعاية والديه الكريمين: العلامة محمدا والسيدة ميمة (مريم) بنت حبيب بن أبانحمد الجكنية الرمظانية وقرأ القرآن الكريم ومبادئ العلوم الشرعية في طفولته، وظهر نبوغه وذكاؤه في وقت مبكر، ثم واصل دراسته في محظرة والده وتعمَّق في دراسة العلم. ولم يزل مشتغلا بالدرس والتدريس والمطالعة حتى برع وفاق، وطار صيته في الآفاق، وحاز في العلم أعلا الدرجات وبرز في شتى المعارف، وخاصة في علوم العربية والنحو وعلم المغازي وأنساب العرب وتاريخها.. فكانت له اليد الطولى فيها وطغت شهرته بها على غيرها. وقد صرف جل موهبته الواسعة وعبقريته الرائعة فيها، فكان نسيما منعشا هبَّ على قطره بإحياء سيرة النبي ﷺ وانتشالها من أيدي عوادي الزمن. وكان مع ذلك من أبرز شعراء عصره ونقادهم الأدباء. وقد أشار إلى ذلك العلامة المختار بن بونا الجكني في قصيدة له يخاطب بها بعض مناقضيه حيث قال:

تعالَ نُحكّم بيننا البدوِي الذي له الفَصْلُ بين الناس في النظْم والنثر إلخ.

ويؤكد ذلك العلامة عبد القادر بن محمد بن محمد سالم (ت 1337هـ) في شرحه لنظم الغزوات حيث يقول: "*.. وهو بالإضافة إلى شهرته بالعلم من*

أجود الناس شعرا وأقدرهم على قرضه..". ورغم أنه لم يُحفظ من شعره إلا النزر القليل ـ سوى الأنظام ـ فقد دل ما وقفنا عليه منه على رقة النسج وفصاحة اللغة وجزالة المعنى ودقة التصوير، وكانت له براعة خاصة في تخير الألفاظ وإبراز المعاني قَلَّ من يباريه فيها، فانعكس ذلك على أنظامه التعليمية؛ فلذلك تلقاها أهل قطره بالقبول وعكفوا على درسها وتدريسها.

ولتواضعه وورعه لم يكثر من قرض الشعر المجرد عن الغرض التعليمي، وقد ضاع أكثره. ومن نماذج شعره الذي ينم عن ذوق سليم وتأمل عميق ـ وكان قد خرج في رفقة من أهله ينتجعون بعض المراعي، على عادة أهل عصره وقطره ـ قوله:

انظر بعينيك في روض الربى زهرا ... يزهو لعينيك صنع الخالق الباري
ألقت عليه بعاعا كل سارية ... دَلوية من ثقال السحب مدرارِ
مدنَّر النَّوْر قانيه مدرهمه ... يعلوله بهج الأنوار معطارِ
ونمقته بمربوع الحمَى لعبت ... بنور طلعته الصبيان عرعارِ
وطرَّزته بمياس الطلوح على ... أعقاب أحقافها كالسندس الواري

ومن أول ما قاله من الشعر قوله:

أول الناس بالنبيِّ اقتِداء ... أم أبنائه الكرام الجدود
فَعليٌّ ثم ابن حارثة الكَلْـ ... ـبيّ زيد مولى النبيِّ المجيد
ثم إذ آمن العتيقُ دعا النا ... س فجاءت عصابة كالفريد
وهْي عثمان والزبير وسعد ... وابن عوف وطلحة بن عبيدِ (ا لله)

وكان أيضا قد نظم بعثي الرجيع وبئر معونة قبل عقده لنظميه الغزوات والأنساب بزمن ثم أدخلهما في نظم الغزوات بعدُ.

ومن شعره أيضا ـ وكان قد عرض عليه بعض أصدقائه ثورا ليركبه فامتنع من ذلك وقال ـ:

دعـني ـ فديتك ـ من أنفاسـه النتنِ	**لا أمتطيـه، ولـو أمشـي على ذقني!**
المشي ـ ويحك ـ أولى بالكريم ـ على	**ما فيه من ضرر ـ من مركـب خَشن**
كـل المراكب، حتى الحمْرُ، مَنَّ به	**ربُّ العـباد ولم يَعـدده في المِنَـنِ**

وله أيضا من أبيات يرد بها على فتوى من بعض معاصريه في إمكان تـزوج المطلقة ثلاثا بزوجها المطلق قبل أن تنكح زوجا غيره محتجـا بقـولٍ نسبه لابـن عاصم، فقال البدوي في الرد عليه بنص القرآن والحديث المتفق عليه:

أحتى أَي التنزيل والخبر الذي	**رواه البخاري فيه وافَـق مُسلما**
توازيهما أكذوبـة لابن عاصم	**تُحَلِّلُ ما ا الله المهيمـنُ حَـرَّما؟!**

..إلخ

ومن شعره في المدح قوله يمدح آل الحاج المختار:

بَنَى المختارُ من غرف المعـالي	**مـراتبَ دونها قُـنن الجـبال**
بعلـم نافـع وحجيج بيـتٍ	**ومجـد لا تُغـيره الليـالي**
وأخـلاق معسلـة حسـان	**كصافي الخمـر في نطف الزلال**
وفهم راجـح وذكاء ذهـن	**وكـف أذى وبسط يدي نوال**
وشادت مجـد والدهم بنـوه	**بسؤددهم وبالهمـم العـوالي**
حجيج البيت فارطكـم وأنتم	**حجيـج للمكارم والمعـالي**

وله أيضا في آل المبارك:

بنو السيد القرم الشريف المباركِ	**تزيـوا بـزي الماجدين البرامكِ**
هم الرهط لا آل المهلب فوقهم	**ومُدركهم في العلم فوق المدارك**

فَرِدْ فقههم تظفر بمذهب مالك　　　وردْ نحوهم تظفر بما لابن مالك

فَناهِيكَ ممن حَج لله دره　　　ومن عالم أدرى بمذهب مالكِ

وله أيضا من أبيات ـ وقد نقل أخاه المختار بن محمدا ليدفنه بجوار العالم الصالح ألفغ الخطاط بموضع يعرف بـ"آنتر"ـ:

إليك أيا خطاطُ جُبنا سباسبًا　　　نؤمك بالمختار قُدِّستما معا

..إلخ

وكانت تربطه ـ رحمه الله ـ بعض الصلات الودية ببعض أعيان وعلماء عصره؛ فممن ربطته به صلة وثيقة العلامة الفقيه محمد بن المختار بن ألفغ موسى الذي قال له حين أنشده قوله في نظم الغزوات:

وكيف لا ومُستمدُّ سَيبِه　　　مِن سَيبِ ربٍّ ذي عنايَة به

"أنا ضامن لك الجنة بهذا البيت ولو لم يكن لك غيره من عمل"! فأوصى رحمه الله ابن أخيه حماد بن الأمين أن يكتب هذا الضمان ويدفنه معه إذا مات، تأسيا بقصة عمر بن الخطاب ووصيته ابنه أن يدفن معه شهادة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه له.

ولكن حماد رحمه الله لم يحضر وفاة أحمد البدوي، وفي ذلك قال في شرحه للغزوات: "*.. ولم أحضر مصيبة المسلمين به*".

اشتغل أحمد البدوي طيلة عمره بالتعلم والتعليم ونشْر العلم وبثه والتأليف والمطالعة، وخلف عدة مصنفات كلها ممتع ومفيد تناول فيها كثيرا من فنون المعارف: من تاريخ وسيرة وما ينضاف إلى دائرتها من أنساب وأخبار العرب ونشأة وتطور الدولة الإسلامية. ويُعد كل من نظميه للغزوات وأنساب العرب

من أهمِّ مؤلفاته بل إن هذين الكتابين لم يتركا مكانا لغيرهما من المراجع الكثيرة في مادة السيرة وأنساب العرب وتاريخها في كل أنحاء البلاد الموريتانية وما جاورها، إذ أقبل الناس عليهما واصطفاهما طلبة العلم وأهل التدريس.

ومن آثاره التأليفية **خاتمة الأنساب** وهي نظم بمثابة الخاتمة لنظم الأنساب ذكر فيه وفاة النبي ﷺ وبعض ما وقع عندها، وبيعة أبي بكر الصديق رضي ا لله عنه وبعض فتوحه وفتوح الخليفتين بعده: عمر وعثمان رضي ا لله عنهما، وذكر فيه العشرة الأوائل من ملوك بني أمية؛ تكملةً لما ذكر عنهم أو أشار إليه في نظم عمود النسب. ومنها أيضا نظم يعرف **بنظم الدُّول** اختصر به نظم الخاتمة المذكور، ثم تعرض فيه لبقية الدولة الأموية في الشرق ثم الخلافة العباسية والدولة الأموية في الأندلس. وقد شرحهما زميلي الأستاذ محمد يحيى بن سيد أحمد المجلسي حفظه ا لله.

وكان أحمد البدوي رحمه ا لله غاية في التواضع والزهد مع الأنفة والثقة بالنفس في آن واحد، و لم يكن راغبا في الشهرة والمنزلة التي يكتسبها أمثاله من العلماء الأجلاء في مجتمعاتهم، سيرا على منهج إخوته وأسلافه رحمهم ا لله. فكان كما ذكره عنه ابن أخيه الشيخ حماد ـ وهو أدرى الناس به دون شك ـ فقد قال عنه في **روض النهاة**: "*.. لا سيما هو سجيته حياته التواضع واحتقار نفسه ولولا ذلك لشدت إليه الرحال من كل أرض وهو محطها في العلم ولاسيما علم النحو والعربية والأدب والكتاب والحديث والفقه..*".

وقد أخذ عنه العلمَ الكثيرون، منهم أبناؤه وخصوصا منهم العلامة السيري حبيب؛ الذي كان له بعض التعليقات على بعض أنظام والده (وقد ضاعت).

ومنهم ابن أخيه حماد بن الأمين الذي كان أبرز تلامذته ووارثه وخليفته في علمه. ومنهم العلامة السيري غالي بن المختار فال البساتي.

وكان أحمد البدوي يسكن حيث تسكن أسرته وعشيرته فيما يعرف حاليا بولاية "اترارزه" وخصوصا في الأماكن التالية: (بُوغَرفَة وانفـژ ولفريوة وانديجه ومنطقة تارگـه ولاسيما منها: تنيجيى وانياشوان ومجـگـف وتمجـگفانين..) وكانوا يرحلون في فصل الخريف والشتاء غالبا إلى منطقة تيرس شمالا ويعودون صيفا إلى مرابعهم في الـگبلة.

وتوفي رحمه الله سنة ثمان ومائتين وألف هجرية (1795م) عن عمر نحو الخمسين سنة ودفن بموضع يسمى "الكرمايه" شمال مدينة القوارب (روصو) الموريتانية. وكان قد قدم إلى تلك الناحية في بعض حوائجه فتوفي بها، ولم يكن ذلك الموضع من مواطن أهله الكثيرة. سقى الله قبره صوب الرحمة وأسكننا وإياه أعلا الجنة.

وخلف خمسة أبناء أكبرهم الغوث ـ وبه يكنى ـ واسمه محمدا (باسم جده)، ومنهم حبيب والمختار وعبادة، وفيهما عقبه، وأمهم فاطمة بنت أمُّون (المختار) بن محمذ بن محمود اليعقوبية (آل محمذ محمود)[1].

---

(1) طالع المزيد من سيرته في الجزء الأول من تكملة هذا الشرح (ص 3).

حمادٌ بن الأمين

أما الشارح فهو العلامة المتفنن واللغوي المتقن حمادٌ بن ألَمين (الأمين) بن محمدا بن أبي أحمد المجلسي، أمه عائشة بنت الأديب اليعقوبية (من آل ألفغ المختار). ولد حوالي سبعين ومائة وألف هجرية (1757م) نشأ وتربى في بيت علم وأسرة لها عناية كبيرة بالتعلم وتلقى دارسته داخل أسرته في محظرة والده وجده وأعمامه، وخصوصا منهم أحمد البدوي الذي لزمه ودرس عليه وحضر صياغته لأنظامه السيرية. وكان البدوي يرى فيه أهلية وراثته في العلم وأمره بشرح نظميه الغزوات والأنساب.

وقد تابع حماد رحمه الله دراسته وانقطع في الاشتغال بالتعلم حتى صار على مستوى عال من المعرفة بسائر العلوم الشرعية وآلاتها؛ لاسيما علم النحو واللغة والأدب، وكانت له معرفة فائقة بالقرآن والحديث والفقه، وله اليد الطولى في علم السيرة وأنساب العرب وتاريخها ومعرفة قراباتها المتداخلة والغريبة، وله الاطلاع الواسع على تراجم الرجال وما تتضمنه من استطرادات ولمحات أدبية وطُرف قصصية وفوائد علمية ونكت أدبية.

وقد عُني بمطالعة الكتب والاشتغال بها، فكان لا يشغله عنها شاغل ولا يصرفه عنها صارف. وعرف بشدة الاهتمام بجمع الكتب ـ كما عرف بذلك جده محمدا وعمه البدوي ـ في زمان قل فيه وجودها وغلَت فيه أثمانها وعَسُر حِفظها، ولم يكونوا من الذين يقتنون نفائسها لمجرد التفاخر والمباهاة بل لإشباع نهمهم في مطالعتها والبحث في خفايا أبوابها وفصولها.. وذلك لما كان لديهم من أهلية لفهم ما تكنه بطونها، وموهبة فذة وهمة عالية لاستيعابها.

ومع أنه لم يرد في الروايات أنه تغرب لطلب العلم، إلا أنه رحل عدة رحلات للبحث عن الكتب؛ منها ما كان نحو الشمال حيث وصل إلى مدينة "تافلالت" المغربية وأتى منها ببعض الكتب النفيسة، ومنها ما كان نحو جنوب القطر الموريتاني حيث وصل إلى شمال مدينة القوارب وضواحيها على حدود السنغال، وأقام هناك في أحياء من قبيلته المجلسية يبحث عن الكتب ويدرس ويكتب. ومكث فيهم فترة ثم عاد إلى عشيرته ووطنه في أماكن تواجدها آنذاك بضواحي "اعْوَاوَه" المعروفة حاليا بوادي الناقة، حيث واصل رحلته التعليمية والتأليفية وانقطع لذلك في العقد الأخير من عمره، فألف تآليف عديدة وقيد تقاييد نفيسة بالإضافة إلى شرحيه الكبيرين لنظمي الغزوات والأنساب.

ومن مؤلفاته كتاب يسمى **أنيس المحادث** شرح به نظم الحوادث لمحمذ فال بن عبد الله بن الطالب اعمر البساتي، ومنها أيضا كتاب يسمى **الحوادث في** حوادث السنين العشر التي أقام النبي ﷺ بالمدينة، وقد اختصره اختصارا ذيل به كتابه **روض النهاة على شرح نظم الغزوات**.

ومن انتاجه أيضا **وصية حمادٍ** المشهورة التي يوصي بها أبناء المسلمين، وهي وصية من غُـرر الوصايا المفيدة ونصيحة من النصائح الجليلة، المشتملة على خلاصة مكارم الأخلاق، مع الاختصار وحسن الأسلوب[1].

ومنها نظم لمن صحب من بني عبد المطلب. وله أنظام أخرى كثيرة في

---

(1) وقد شرحها المحقق شرحا رائقا يسمى ***بغية الراغبين بشرح نصيحة حماد بن ألمين*** (مطبوع).

مواضيع مختلفة وفوائد متفرقة. وكان رحمه الله شاعرا مجيدا، وقد ضاع شعره إلا النزر؛ ومن شعره معبرا عن أمنيته:

يا لهف نفسي على شيئين لو جُمعا	عندي لكنتُ إذا من أسعد البشر:
كَفافُ عيش يقيني ذلَّ مسئلة	وخدمةُ العلم حتى ينتهي عمري
وثالثٌ أتمنى لو ظفرت به:	كون السعادة لي في سابق القدر

ومنه في الفخر والجود:

وإني وإن قال ابن عميَ شامتا	أخو فاقَةٍ حَمَّالُ عبء رئيس
تفيد يداي المال ثم تفيته	ولستُ على ما أتلفت بعبوس

وكان رحمه الله غاية في الكرم والسخاء ومكارم الأخلاق، عابدًا ورِعا زاهدا متعففا فاضلا، محترما في محيطه ناظرا إلى مشايخ قطره وعصره نظرة اعتبار واحترام لا يشوبها حقد ولا حسد، حسَن الظن بالمسلمين جميعا، ملتمسا للكل أحسن المخارج، مبتعدا إلا عن خواص العلماء وأهل الفضل، غير راغب في الشهرة والظهور.. على نهج سلفه في ذلك.

وقد أخذ عنه الكثيرون، منهم أبناؤه؛ وخصوصا سيد أحمد ومحمد المومن، ومنهم العلامة السيري والأديب سيد أحمد بن الشيخ الملقب اجَّكاني.

ولم يزل رحمه الله يواصل بثه للعلم ونشره وكتابته وتأليفه حتى انتقل إلى رحمة الله وهو في أثناء شرح نظم عمود النسب، حيث بلغ فيه قول الناظم:

عُتَيْبَةٌ وعُتْبَةٌ مُعَتّبُ   ودُرَّةٌ إلى التَّبيبِ نُسِبوا

وكانت وفاته حوالي سنة ست وخمسين ومائتين وألف هجرية (1840م)

عن عمر يناهز ستا وثمانين سنة ودفن في مقبرة تعرف بمقبرة "تجنت" (بكسر التاء وفتح الجيم وسكون النون والتاء المثناة الفوقية) في الشمال الشرقي من قرية "وادي الناقة" مع زمرة من حيه، وقبرُه معروف يزار. تغمده الله برحماته وأسكننا وإياه فسيح جناته.

وخلف أربعة أبناء وبنتا هم: سيد أحمد وحبيب الله ومحمد المومن وعبد الله والمومنة، لأمهات شتى. وكان كل أفراد أسرته الطيبة ما بين سيد عالم وأديب شاعر وقارئ عابد.

النسخ الأصلية من هذا الشرح

هذا ولما كان عمل المحقق هو تأدية النص إلى القارئ كما كتبه المؤلف، بذلت كل الوسع في سبيل إبراز نسخة من هذا الشرح النفيس مطابقة لنسخة المؤلف.

وألفت نظر القارئ إلى أن هذا الشرح توفي عنه مؤلفه أثناء جمعه قبل أن يكمله ويجرده من المسودة فضلا عن أن ينقحه ويهذبه ويخرجه مرضيا.

وحرصا مني على تقديم أصح نسخة منه يمكن الحصول عليها فإنني اعتمدت على نسختين من هذا الشرح مصححتين:

الأولى نسخة سبط المؤلف الأستاذ الفاضل محمد عبد الله بن محمد سيديَّ بن محمد المؤمن بن حماد بن الأمين، وهو من أهل هذا الفن؛ وقد صححها وقابلها على عدة نسخ عتيقة لحفدة الناظم والشارح، من بينها نسخة لابن

المؤلف محمد المؤمن بن حماد وبخطه، وهو ثقة ومن أهل العلم ـ وقد نشأ وشب مع والده المؤلف ـ ومن المحتمل أن تكون قد كتبت على نسخة المؤلف وأن تكون قد كتبت في حياته، وعلى كل حال فلها الفضل بالتقدم والقرب من الشارح حسًّا ومعنى.. وقدما قيل: "أهل مكة أدرى بشعابها".

والثانية نسخة حفيد الناظم الأستاذ السيري محمد يحي بن سيد احمد المجلسي، وقد قابلها هو الآخر على نسخ عديدة من خط علماء بارزين وأخرى عليها خطوطهم؛ وهي متعددة المصادر مختلفة الأزمنة والأمكنة.

وقد انتقيت من هاتين النسختين، وغيرهما من نسخ الكتاب الكثيرة، بعض العبارات والزيادات التي وردت في بعض هذه النسخ، بعد فحص دقيق يبين أنها من المتن ومن أسلوب المؤلف. فبذلك أصبحت هذه النسخة التي بين أيدينا هي أصح ـ أو من أصح ـ نسخ هذا الكتاب.

وقد كان من عملي في هذا التحقيق:

1- تخريج الآيات القرآنية الواردة فيه واستكمال كتابتها. وقد كان المؤلف وأهل عصره ـ لقوة حفظهم وشدة استحضارهم لكتاب الله ـ يكتفون في الاستشهاد بالكلمة والكلمتين ـ موضع الشاهد ـ فيستطيع القارئ آنذاك أن يعرف من حفظه سياق تلك الكلمة أو الآية وموضعها من السورة دون أن يحتاج الرجوع إلى مصحفٍ أو قارئ حافظ، عكس ما عليه معظم القراء والطلاب اليوم.

2 ـ ضبط وشرح بعض الكلمات الغريبة وتكميل بعض الشواهد وإتمام أو زيادة بعض القطع الشعرية الواردة فيه.

3 ـ التعليق على بعض المواضع التي اقتضى المقام عندي التعليق عليها والتعريف ببعض الأعيان الواردة في النظم والشرح وذكر بعض الفوائد والنكت المناسبة للمقام، بما أمكن من الإيجاز.

4 ـ أما تخريج الأحاديث والأخبار فقد أحلت معظمه إلى بعض الطلاب فأنجزوه. شكَر ا الله سعينا وسعيهم وتقبل منا ومنهم.

وا لله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وسببا لِلفَوْز بجنات النعيم لي ولوالدي وإخوتي وأحبتي ولمن أعانني فيه أو سعى في شيء منه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه عبد ربه الفقير إليه

اباه بن محمد عالي بن نعم العبد المجلسي

فاتح ذي الحجة سنة 1422هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

حَمْدًا لِّمَن رَفَعَ صِيتَ الْعَرَبِ   وَخَصَّهُمْ بَيْنَ الأَنَامِ بِالنَّبِي

قَوْلُهُ حمدا: مصدر ناب عن فعله. **والصيت** (بالكسر): الذكر الحسن[1].
والعرب: ضد العجم؛ وهم العاربة والمتعربة. واشتقاقه من الإعراب وهو الإفصاح والبيان، وسموا بذلك لأن لغتهم كذلك.

أما من أُلهمها منهم وارْتجلها فهم *العاربة* وهم تسع قبائل: عاد وثمود وجرهم وجديس وطسم وأميم (كزبير) وعبيل (كأمير) وعمليق (كقنديل) ـ أو عملاق (كقرطاس) ـ ووبار، وهؤلاء يقال لهم العرب *البائرة* لأنهم باروا أي هلكوا.

وأما من تعلم العربية من هؤلاء فيقال لهم *المتعربة والمستعربة*؛ وهم: قحطان وعدنان، والمشهور أن قحطان هم العاربة والعرباء لأنهم بقية هؤلاء، ولا عبرة بالقول إن قحطان ابن إسماعيل لضعفه[2]. وأما عدنانُ

(1) وقد رفع الله صيت العرب على سائر الناس وفضل قريشا على سائر العرب وفضل بني هاشم على سائر قريش وذلك بكون النبي صلى الله عليه وسلم منهم ثم باعتبار اللسان العربي والأخلاق الكريمة والخصال الحميدة.. فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الفضل نفسا وحسبا ونسبا فضلا من الله وكرما.

(2) اللهم إلا أن يصح الحديث الوارد فيه.

فبالاتفاق أنهم متعربة لتعلم أبيهم إسماعيل وأولاده العربية من العمالقة وجُرهم، وسيأتي إن شاء الله نسب الجميع إلى سام بن نوح[1].

---

(1) العرب أمة من الناس سامية الأصل منشؤها شبه الجزيرة العربية والنسبة إليها عربي يقال لسان عربي ولغة عربية، والعرب العرباء والعاربة الصُّرحَاءُ الخُلَّصُ وهم العرب الأولى الذين فهَّمهم الله اللغة العربية ابتداء فتكلموا بها وهم عاد وثمود وجرهم.. إلخ. والمتعربة والمستعربة الذين ليسوا بخُلَّصٍ وهم الداخلون في العربية بعد التَّعَجُّم وهم بنو قحطان بن عابر وبنو إسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام، لأن لغة عابر وإسماعيل كانت عجمية؛ إما سريانية وإما عبرانية فتعلم بنو قحطان العربية من العاربة ممن كانوا في زمانهم وتعلم بنو إسماعيل العربية من جرهم حين نزلوا على إسماعيل وأمِّه هاجر بمكة.

وقيل إن بني قحطان من بقايا العاربة، واختلف في سبب تسمية العرب عربا فقيل لإعراب لسانهم أي إيضاحه وبيانه لأنه أشرف الألسن وأوضحها وأعربها عن المراد بكل الوجوه من إيجاز وغيره. وقيل سموا باسم بلدهم عربة ويقال لها العربات وهي جزيرة العرب وهي التي يعني الشاعر بقوله:

ورجَّت باحة العربات رجًّا ترقرق في مناكبها الدماءُ

وقد كانت تسكنها أصول القبائل العربية القديمة. وقيل عربة هي مكّة وساحاتها وهي دار أبي الفصاحة وهو إسماعيل عليه السلام وفيها يقول الشاعر:

وعَرْبَة أرض ما يُحل حرامها من الناس إلا اللَّوذعِيُّ الحلاحل

يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أحلت له مكة ساعة من نهار لم تحل لأحد قبله ولا لأحد بعده فهي حرام إلى يوم القيامة. (وسكَّن الشاعر راء عربة ضرورة).

وقد سكَنها إسماعيل وذريته. وقيل عربة هي تهامة وكانت تسكنها عاد وثمود وأميم وعبيل ووبار كما كانت طسم وجديس وعمليق وجرهم يسكنون الحرم، وهؤلاء القبائل التسع من ولد ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقد بادوا ودرست آثارهم وقيل انقرضوا إلا بقايا قليلة تفرقت في القبائل كما في تاريخ ابن

<<=

وقوله: **وخصَّهم**: أي فضَّلهم، ويحتمل أن تكون الواو تفسيرية. **والأنام**: الخلق أو ما على وجه الأرض أو الإنس والجن، ولعله المراد هنا؛ ويقال فيه آنام (كساباط). هذا ما لخصته من **القاموس** و**القلقشندي**.

يقول جعلت جميع الحمد لمستحقه الذي رفع صيت العرب على غيرهم من بني آدم بأن فضلهم بالنبي ﷺ.

والنبي (بغير همز[1]): هو المختار، وهو فعيل *بمعنى فاعل* على أنه بمعنى النبيء؛ وهو المخبر أي الآتي بالخبر عن الله تعالى، أو *بمعنى مفعول* على أنه من النبو أي الارتفاع؛ يقال نبا ينبو أي ارتفع، أي المرتفع عن غيره من

كثير *والمزهر*، وقد ألهموا العربية وارتجلوها وعرفوا بالعرب العاربة ومنهم أخذت العرب المستعربة اللسان العربي ـ وهم بنو إسماعيل وبنو قحطان ـ فنطقوا بلسان العاربة وسكنوا ديارهم. وقيل إن قحطان من العاربة وإنهم من بقايا البائرة، وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «خمسة أنبياء من العرب: محمد وإسماعيل وشعيب وصالح» وهود عليهم الصلاة والسلام. وهؤلاء كلهم كانوا يسكنون بلاد عربة، فكان شعيب وقومه بأرض مدين وكان صالح وقومه بأرض ثمود ينزلون بناحية الحجر، وكان هود وقومه ينزلون الأحقاف من رمال اليمن، وكان إسماعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم من سكان الحرم. وانتشر سائر العرب من معد وقحطان بجزيرة عربة فنسبوا كلهم إليها. وقد قيل إن إسماعيل عليه السلام هو أول من فتق لسانه بالعربية الخالصة الحجازية التي نزل بها القرآن الكريم ونسي لسان أبيه. وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: قريش هم أوسط العرب في العرب دارا وأحسنه جوارا وأعربه ألسنة. وقال قتادة: كانت قريش تختار أفضل لغات العرب حتى صارت لغتها هي أفضل لغات العرب فنزل القرآن بها فكان القرآن عربيا ومحمد صلى الله عليه وسلم عربيا ـ [لسان العرب وغيره].

(1) قرأه نافع بالهمز وقرأه الباقون بالياء المدغمة.

الخلق، رفعه الله تعالى بالأوصاف الحميدة كالنبوءة وغيرها من الصفات الكريمة، قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(1) مع أن النبوءة لا تتفاضل وإنما يَفضُل بعضُ النبيئين بعضاً لكونه أبهر منه آية وأعظم خلقا، لا بتفاضل النبوءة؛ وبذلك فسر قوله صلى الله عليه وسلم: «لاَ تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى(2)» - انتهى من الشفاء للقاضي عياض بمعناه.

وَعَمَّهُمْ إنْعامُـهُ بِنِسْبَتِهْ   فَدَخَلُوا بِيُمْنِها في زُمْرَتِهْ

وعمهم: أي العرب، شملهم إنعام الله تعالى بنسبة النبي ﷺ إليهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾(3)، وقُرئ بفتح الفاء، لأنه صلى الله عليه وسلم سيدنا ونبينا ورسولنا من ربنا المنعم به علينا وملجؤنا وملاذنا وشفيعنا، مُحمَّد ﷺ ابن الذبيح (عبد الله) بن شيبة الحمد (عبد المطلب) بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، أُمُّه آمنةُ بِنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب، وفيه يلتقي أبوه مع أمِّه.

لم يتزوج أبوه ولا أمه بأحد غيرهما(4). مات أبوه عنه بالمدينة وهو

---

(1) القلم: 4.

(2) ذكره ابن كثير في *البداية والنهاية*: 326/1. وفي الصحيحين وغيرهما: «ما ينبغي لنبي أن يقول أنا خير من يونس بن مَتَّى».

(3) التوبة: 129.

(4) يعني أنه لم يتزوج أي منهما بغير الآخر، وفي *المواهب*: لم يشترك معه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما إليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله تعالى للنبوءة غاية ولتمام الشرف نهاية.

حمْلٌ، ودُفن في دار من دور أخواله بني النَّجار، وكان بعثه أبوه ليأتيه بتمرٍ من المدينة.

وكَفَلَهُ جده، وأرضعته حليمة السعدية ـ من بني سعد بن بكر ـ وشُق صدره عندها. وبَشَّر به سيفُ بن ذي يزن عبدَ المطلب لما وفد عليه مع وُجوه قريش وثقيف يهنئونه بفتح الحبشة.

قالوا: ولا يكمل الإيمان إلا بمعرفة ما ذكرنا من نسبه وكونه قرشيا تهاميا[1] حجازيا مكيَّ المولد والمبعث، مدنيَّ المهاجر والروضة[2]. ويقبُحُ بالكريم ـ ولو جاهلا ـ جهلُ كونِه وُلدَ عام الفيل بعد قدومه بخمسين يوما وبُعِث على تمام أربعين سنة، وقيل على رأسها كما في حديث أنس، والصحيحُ الأولُ.

ومكث عشرَ سنين يدعو إلى مجرد التوحيد ثم أُسريَ به وفُرضت عليه الصلاة، وهي أول الشرائع، وأقام بعده ثلاث سنين ــ على المشهور ــ بمكة ثم هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لما أُنزل عليه:

---

(1) التهامي: المنسوب إلى تهامة (بالكسر) وهي مكة شرفها الله تعالى.

(2) لعله يشير بذلك إلى ما ذكره أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي في أوَّل كتابه ***نهاية الأرب*** في فضل علم الأنساب حيث قال: ومن فوائد هذا العلم العلم بنسب النبي صلى الله عليه وسلم وأنه النبي القرشي الهاشمي الذي كان بمكة وهاجر منها إلى المدينة فإنه لا بد لصحة الإيمان من معرفة ذلك ولا يعذر مسلم في الجهل به ــ (ص: 13). وفي ***الشفاء***: (26/2): "من قال إنه بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لأن هذا نفي، وتبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة، والمسرُّ له زنديق يقتل دون استتابة".

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾[1]، وأُمر بالجهاد بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾[2] وقيل بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[3]. ومكث عشر سنين بالمدينة، وغزا منها جميع غزواته وبعث جميع سراياه، وتتابعت عليه الوفودُ في سنة تسع من الهجرة ودخل الناس في الدين أفواجا. ثم في سنة عشر حج حجة الوداع؛ وفرض الحج قبل ذلك ولكن لا على الفور[4].

قوله: **بِيُمنِها**: أي ببركتها، أي نسبة النبي ﷺ. **والزُّمرة**: الجماعة.

يعني أن العرب عمهم إنعام الله تعالى ببركة نسبة النبي ﷺ، ومن ذلك أنهم دخلوا في جماعته أي الإسلام؛ ما مات صلى الله عليه وسلم حتى أسلمت العربُ جميعا إلا بقايا من غسان ولخم وجذام وعاملة، ثم أسلموا في خلافة أبي بكر.

وَدَوَّخُوا بِسَيْفِهِ غُلْبَ العَجَمْ ... إِذْ هُم بَنُو أَبٍ وَأُمٍّ بِالحَرَمْ

---

(1) الإسراء: 80.

(2) الحج: 39.

(3) التحريم: 9.

(4) اختلف في زمن مشروعية الحج فقيل فرض سنة ست وهو الأشهر وقيل سنة تسع وصُحِّح وقيل سنة خمس وقيل سبع وقيل ثمان وقيل عشر. واختلف أيضا هل كان وجوبه على التراخي؛ وبه قال الشافعي وأصحابه وروي عن مالك وقيل على الفور؛ وبه قال الإمام أحمد وجمهور أصحاب أبي حنيفة وروي عن مالك أيضا. ومحل الخلاف ما لم يخش الفوات وإلا كان على الفور اتفاقا.

دوخوا: ذللوا، بسيفه صلى الله عليه وسلم. **وغلب العجم**: قبائلها العزيزة المتمنعة، أو جمع غَلِبٍ (كفرح) لغليظ الرقبة، وحُقَّ للعجم أن يوصفوا بذَلِك لتنعمهم في الدنيا.

قوله: **إذ هم بنو أب وأم في الحرم**: أي حيث تآخَوا عند النبي ﷺ بالحرم، عبَّر بالأمِّ عن الإسلام، يعني أنهم أشقاءُ لأن أباهم جدُّ العرب وأمُّهُمُ الإسلام[1].

إِذِ الْخُيُولُ البُلْقُ فِي فُتُوحِهِمْ   وَالرُّعبُ والظَّفَرُ فِي مُسُوحِهِمْ

يعني خيول الملائكة، وإنما كانوا يرونها بذلك اللون ـ وهو ارتفاع الحجل[2] إلى الفخذين ـ وما فقدوها إلا عند مقتل عثمان رضي الله عنه. وَرُوي أن عبدَ الله بن سلام دخل على عثمان وهو محاصر فقال: يا أمير المؤمنين حَلَّ لك القتال فمُرْنا أن نقاتل الناس، فقال: أنشدكم بالله وذمتي عليكم أن لا تهرقوا فِيَّ قدرَ محْجمة من دم مسلم. فخرج على القوم فقال لهم: أيها الناس أنشدكم بالله في هذا الرجل فإن الملائكة ما زالت محيطة

---

(1) ويحتمل أيضا أن الناظم أراد أنهم لأُخُوتهم بالإسلام صاروا كالإخوة الأشقاء وأخوة الإسلام أقوى من أخوة القرابة، وقوله: **بالحرم**: ظرف لهذه الأُخُوة والمراد بالحرم الحرم المكي الذي بعث به رسولَه صلى الله عليه وسلم، وكان فتح مكة يسمى بغزوة الفتح وبفتح الفتوح.

(2) **الحجل**: بياض في قوائم الفرس كلها ويكون في الرجلين فقط وفي الرجلين وإحدى اليدين وفي الرجل فقط ولا يكون في اليدين خاصة إلا مع الرجلين ولا في يد واحدة دون الأخرى إلا مع الرجلين. والبلق (محركة): ارتفاع التحجيل إلى الفخذين.

بمدينتكم هذه منذ قدم رسول ا لله ﷺ عليها فإن قتلتم إمامكم فارقَتكم الملائكة وبقيتم في شقاق بينكم وبُؤْتم بإثم قتل إمامكم. فقالوا: اقتلوا اليهودي والنَّعْثَل ــ أي عثمان رضي ا لله عنه ــ (اهـ من **تذكرة القرطبي** بمعناه). وكانوا يقولون لعثمان رضي ا لله عنه نَعْثلا ــ فُضت أفواههم ــ والنعثل: الضبع.

والرعب: الفزع. **والظفر** (بالتحريك): الفوز بالمطلوب، والمراد هنا الظفر بالأعداء. **والمسوح**: جمع مِسْح للباس والثوب الخَلَق. يعني أن من يمن نسبة النبي ﷺ إلى العرب أنهم منذ يوم بدر ما قاتلوا الكفار إلا رئيت خيل الملائكة تقاتل معهم[1]، وكلما رأت العجمُ لباسَهم الخَلَقَ الخشِنَ ألقى ا لله الرُّعب في قلوبهم ويؤدي ذلك للظفر بهم فيفتحونهم أو يقرون لهم بالجزية.

أما خيل الملائكة فيراها الخواصُّ من المسلمين ويراها الكفار، كما في حديث أبي سفيان بن الحارث قدومَه مكة من هزيمة بدر فرآه أبو لهب فقال: إليَّ يا ابن أخي فعندك الخبرُ، قال: نعم، لقينا محمداً وأصحابَه فما زالوا يقتلون فينا ويأسِرون ووا لله ما لُمت الناسَ! رأينا رجالا عليهم ثياب بيض على خيل بُلْق لا يذَرون شيئا ولا يقوم لهم شيء[2]. فقال أبو رافع

---

(1) اختلف في قتال الملائكة مع المسلمين على ثلاثة أقوال: فقيل لم يقاتلوا إلا يوم بدر، وقيل لم يقاتلوا، لا في بدر ولا في غيرها؛ وإنما كان حضورهم لتكثير السواد في أعين الكفار وتثبيت المؤمنين وإلا فملَك واحد يكفي لإهلاك أهل الدنيا، وقيل بل قاتلوا في بدر وفي غيرها. [**إنارة الدجى وغيرها**].

(2) ذكره ابن هشام عن ابن إسحاق.

مولى العباس ـ وكان قد أسلم ـ: تلك ـ والله ـ خيل الملائكة، فقام إليه أبو لهب فصرعه وجلس على صدره يضربه، فأخذت أم الفضل عمود فسطاط[1] فضربت به أبا لهب فشجته في رأسه وقالت: استضعفته حين غاب مولاه!. وحديث طليعة مالك بن عوف يوم حنين.

هُم صَفْوَةُ الأَنامِ مَنْ أَحبَّهُمْ بِحُبِّهِ أَحبَّهُمْ ووَدَّهُمْ

كذاكَ مَنْ أبْغَضَهُم بِبُغْضِهِ أبْغَضهُمْ ، تَبًّا لَهُ مِن مُعْضِهِ

صفوة الشيء (مثلثة): ما صفا منه. **والأنام** تقدم. **والحب والود:** مترادفان. **وتبا له:** قطعا وضلالا وخسرانا، أي أخسره الله وأضله وقطعه. **والعضه والإعضاه:** الإتيان بالإفك والبهتان.

يعني أن العرب صفوة الخلق كله لِحَديث: «إن الله اصطفى العرب من الناس فمن أحبهم فبحب النبي ﷺ أحبهم ومن أبغضهم فببغضه أبغضهم[2]»، أضله الله وقطعه من باهت وآفك؛ وصفه بالإفك والبهتان لأن مبغض أحد شأنه أن يبهته ويوفكه. وأشار في هذا البيت إلى حديث أسنده القاضي في الشفاء إلى ابن عمر رضي الله عنه: «مَنْ أَحَبَّ

---

(1) الفسطاط: الخيمة.

(2) رواه الطبراني في الأوسط. وأخرج مسلم: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم». وروى الترمذي عن سلمان أنه صلى الله عليه وسلم قال: «يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك» قلت: يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله؟ قال: «تبغض العرب فتبغضني»، وقال: حسن غريب ـ [الزرقاني على المواهب].

الْعَرَبَ».. الحديث[1].

أَئِمَّــةُ الدِّيــنِ عِمادُ السُّنَّهْ   لِسانُهُــمْ لِسانُ أَهْلِ الجَــنَّهْ

يعني أن العرب هم أئمة هذا الدين، لأن الدين جاء به النبي ﷺ فتلقاه منه المهاجرون والأنصار فكانوا أئمة له وأساسا للشريعة. وقوله **لسانهم**..إلخ: قال صلى الله عليه وسلم: «أُحِبُّ العربَ لثلاث لأني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي[2]»، وفيه المدح لهم مرتين: موافقةُ أهلِ الجنة في اللغة وحبُّ النبي ﷺ لَهُم.

جُمَانُ سِـلْكِ نَسَــبِ النَّبِــيِّ   ناهِــيكَ مِــن سِلْكٍ ومِن نَّبِيِّ

ثُمَّ الصَّــلاةُ والسَّلامُ سَرْمَــدَاَ   على أَجَــلِّ العالَمِينَ مَحْتِدا

الجمان: اللؤلؤ والخرز المنظوم في السلك. **وسلك النسب**: عموده وهو أجداده صلى الله عليه وسلم. **وناهيك**: كافيك، أي حسبك سلك نسب النبي ﷺ من كل سلك غيره وحسبك النبي صلى الله عليه وسلم، أي اتباعه من اتباع غيره من الأنبياء لأن اتباعَه يستلزم اتباعهم.

يعني أن العرب لعمود النسب كالجُمان للسلك، وهو من باب

---

(1) « من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم» ـــ أخرجه الجرجاني في *الكامل في الضعفاء*، والخطيب البغدادي في *موضع أوهام الجمع والتفريق*، ورواه الطبراني في *المعجم الكبير*، ورواه أيضا فيه بلفظ: «من أحب الأنصار فبحبي..»، وهي رواية أحمد في المسند.

(2) رواه الطبراني والحاكم والبيهقي وذكره في الجامع الصغير، وفي رواية: «أَحِبُّوا».. وضعِّف هذا الحديث.

الاستعارة الظاهرة. والسرمد: الدائم. والمحتد: الأصل، ويقال فيه المحقد والمحكد. أي ثم بعد أن حمد الله يثني بالصلاة على النبي ﷺ امتثالا للحديث: «كلُّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر» وفي رواية: «بالحمد لله» وفي رواية: «بالصلاة على النبي - ﷺ - فهو أجذم» [1] أي قليل البركة.

وبَعْـدُ فالعُلومُ مِنْ أعْظَمِها فَائِـدةً، فكانَ مِنْ أهَمِّـها:

عِلمُ عَمُـودِ نَسَبِ الْمُخْتَارِ ثم عَمُـودِ نَسَـبِ الأَنصَارِ

أي وبعد البسملة نثرا والحمد لله والصلاة والسَّلام على نبيه نظما، فالعلوم المهمة من أعظمها فائدة علمُ عمود نسب النبي ﷺ ؛ وهو عدنان، ثم عمود نسب أنصاره رضي الله عنهم؛ وهو قحطان. فبِسبب كونه من أعظم العلوم فائدة كان من أهمها. وعمود النسب وسلكُه: أجدادُه صلى الله عليه وسلم.

إذْ مِنْهُما تَشَعَّـبَ الإيمَـانُ والنُّـورُ والحِكمةُ والفُرْقانُ

تشعب: تفرق. والنور: الضوء، عبر به عن الإسلام لأن الكفر ظلمة والإسلام نور، قال تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [2]. والحكمة هنا: العلم. والفرقان: القرآن.

---

(1) رواه أبو داود وابن ماجه والدارقطني، وضُعِّف.

(2) البقرة: 257.

يعني أن من هذين العمودين تشعب الإيمان لأن أصله النبي ﷺ فتلقاه منه المهاجرون ـ أوَّلَ الأمر وهم من عدنان عمودِ نسبه صلى ا لله عليه وسلم ـ والأنصارُ، وعمودُ نسبهم قحطانُ وتشعب منهم الإيمان والإسلامُ المعبر عنه بالنور والعلمُ المعبَّرُ عنه بالحكمة والقرآن؛ لأنَّ أوَّلَ من حفظهُ منهُ صلى ا لله عليه وسلم المهاجرُونَ وأرْبعة من الأنصار.

لَـوْلاهُما ما كان لِلْكَـوْنِ ثَمَرْ نَعَـمْ، ولا كانَ؛ ولا كانَ بَشَـرْ

الكون: الوجود. **والثمر:** حمل الشجر، أي لولا هذان العمودان ما كانت فائدة للكون. **نعم:** أي بلى، ولا كان الوجود من أصله، **ولا كان بشر** لأن الكائنات كلها إنما كانت من نور النبي ﷺ، لِمَا ورد أنَّ أوَّلَ ما خلق ا لله نُوره صلى ا لله عليه وسلم[1]، قال الشاعر:

لولاك ما خُلِقتْ شمسٌ ولا قَمَرٌ ولا نجومٌ ولا لَوح ولا قَلمُ

---

(1) اعتمد الناظم والشارح ـ رحمهما ا لله ـ فيما ذكراه هنا على ما في ***مصنف عبد الرزاق*** عن جابر بن عبد ا لله رضي ا لله عنهما قال: قلت يا رسول ا لله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه ا لله قبل الأشياء؟ قال: «إن ا لله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره..» الحديث.. وذكره الشيخ إسماعيل العجلوني في ***كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس***، وعلى ما في شرح إبراهيم الباجوري لقصيدة أبي عبد ا لله محمد بن سعيد البوصيري عند قوله: **وكيف تدعو إلى الدنيا**..إلخ.. وغير ذلك، وقد اعتمد هذا كثير من العلماء الأجلاء منهم العلامة المختار بن بونا الجكني في رائيته المشهورة حيث يقول:

محمد المخلوق من بركاته ومن نوره أيوب والرُسُل النذر

ولولاه لم تخرج من العدم الدنا وضرتها.. إلخ.

وقال:

وكيف تَـدعو إلى الدنيا ضرورةُ مَن ... لَـولاه لم تخـرج الدنيا من العَدَمِ

ثم قال رحمه الله:

أَحَـقُّ ما أُرعِفَتِ اليَراعَـهْ ... فِـيهِ وأُعْمِلَـتْ لَـهُ البَراعَهْ

عِلْمٌ به يُبْحَـثُ عَـن نُورِ النَّبِي ... إذْ هُـوَ في مَنصِبِهِ المهَـذَّبِ

اليراعة: قصب تبرى منه الأقلام. **والبَراعة:** الغلبة في الفهم والعلم وغيرهما، ومنه الجَمال البارع. **والبحث:** التفتيش. **والمنصب:** الأصل. **والمهذب:** المخلص، ورجل مهذب مطهر الأخلاق.

يقول: أحق ما أسيل فيه رُعاف الأقلام، وهو المداد، واستُخدمت له البراعة علم يفتش فيه عن نور النبي ﷺ وقتَ كونه في أصلاب جدوده المطَهرة الأخلاق. قال البوصيري:

لَمْ تَـزلْ في ضمائـر الكون تختا ... رُ لكَ الأمَّهـات والآبَـاءُ

يعني بهذا العلم علمَ أنساب العرب لأنه يؤدي إلى معرفة الصحابة الذين حبهم يُدخل الجنة؛ قال صلى الله عليه وسلم لرجل قال له: إني أحبك: «المرء مع من أحب[1]» وكيف يحب المرء من لا يعرف؟.

---

(1) أخرجه البخاري بلفظ: «أنت مع من أحببت» في فضائل الأصحاب، ومسلم في البرِّ والصلة.

وبَعْــدَ أَن كَانَ؛ وعَـنْ صَحابَتِهْ   وأهْـــلِ مَكَّــةَ وأهــلِ طابَتِهْ

أي ويُبحث فيه عـن نـور النبي ﷺ أيضـا بعـد مولـده صلـى ا لله عليـه وسلم، وهو أنساب العرب في زمنه وعن أنساب **أصحابـه** صلـى ا لله عليـه وسلم وعن **أهل مكة** و**أهل طابة**، وهي من أسماء المدينة وأضافها إليه تشريفا لها لأن أهل مكة وأهل المدينة صريح العمودين المذكورين.

تنبيه قال القسطلاني في المواهب اللدنية: الحكمةُ في هجرة النـبي ﷺ إلى المدينة و لم يُقِم بمكة حتى يأتيه فيها وعدُ ا لله لـه بـالنصر، لتتشـرفَ بـه المدينة كما تشرفتْ مَكَّةُ بإبراهيم عليه السلام، ولئلا يعتقد أنه تشـرف بمكة وهو صلى ا لله عليه وسلم لا يتشرف بالمخلوقات بل تتشرفُ هي به - (اهـ).

وقد تشرفت به المدينةُ حتى اختلف فيها وفي مكـة أيهمـا أفضـل، بعـد الإجماع[1] على موضع قبره بأنه أفضل بقاع ا لله وأشرفها وأطهرها.

وليسَ للباحِــثِ في عِلْمِ السِّيَرْ   بِدونِــهِ إلا حِكايَـــةُ الخَبَرْ
إذ تُسْنَدُ الأحكامُ فيه للرِّجالْ   في كُلِّ ما لَهُمْ هناكَ مِن مَّجَالْ

---

(1) هذا الإجماع ذكره القاضي عيـاض رحمـه ا لله، وقـال صـاحب قـرة الأبصـار في سـيرة المشـفع المختار صلى ا لله عليه وسلم:

وهاجــر المختــار لما أن وصــل   خمسين مع ثــلاثة حتى نـــزل
بطيبـة الغـراء حيـث أمـــرا   ثم بهـــا أقام حـــتى احتُضِـرا
بها فكانـــت أشـــرف البقـاع   أمـــا ضريحـــه فبالإجمـــاع

والْحُكْمُ إن كانَ على مَجْهُولِ   لَمْ يُفِدِ السامِعَ لِلمقُولِ

يعني وليس للمفَتش المطالع كتب السير؛ و**السير**: جمع سيرة أي سيرة النبي ﷺ وأصحابه وهي السنة والطريقة والهيئة وهي أصل علوم الدين، بدونه أي بدون معرفة علم الأنساب، إلا رواية **الخبر**؛ كأن يقول: كان كذا وسمعت كذا بصيغة التمريض التي لا يعمل فيها بالرواية، لأن علم السير **تسند فيه الأحكام** لأهلها؛ يقال: فعل فلان كذا وروى فلان الحديث الفلانيَ ونزلت آيةُ كذا في فلان.. ومن لم يعرف فلانا ولا فلانا **لم يفده** ما ذكر، بل كحالب ناقته في غدير!.

وإن جَمَعْتَ النَّسبَ الخَطِيرا   وسِيرةً تَكُن بِهِمْ خَبِيرا
حتَّى كأنَّهُمْ بِعَيْنِ النِّقْسِ   في الصَّكِّ قد لاحُوا لِعينِ الحِسِّ

الخطير: الرفيع. و**النقس** (بالكسر): المداد. و**الصك**: الكتاب، أي الكاغد. و**لاحُوا**: أي ظهروا. و**عين الحِسِّ**: الباصرة.

التفتَ عما كان فيه إلى الخطاب قائلا: وإن جمعت أيها المعتني بهذا الفنِّ **النسب** الرفيع بالنبي ﷺ وسيرته وسيرة أصحابه، اللتين هما أصلُ علومِ الدين، **تكن خبيرا** بالرجال الذين تسندُ إليهم الأحكامُ الشرعية **حتى** كأنك إذا نظَرْتَ إلى اسم أحدهم مكتوبا في الكاغد كأنك نظرت إليه

عيـانا[1]، فإذا نظرت إلى كتابة عمر بن الخطاب عرفته من غير تهج ولا هجاءٍ.

فالْخِبْـــرُ كلُّ الخِـبْرِ كالعِيَانِ   والخَبَـــرُ الْمَنسُـــوبُ بالإتْقانِ
أَعلَـــقُ بالقَلبِ وأَشهَى مَخْبَرا   مِن مُّخْبَرٍ عنهُ يكُـــونُ نُكُرَا

الخبر (بالكسر، ويضم): العلم بالشيء. قولهم: **ليس الخبر كالعيان** أي لا يبلغ حقيقتَه، وأما التشبيه فسائغ لأن المشبه بالشـيء لا يقـوى قوتـه؛ وقـد يبلغ حقيقته كما شوهد.

يعني أن الخبر إذا حقق كان كالعيان، فعلى هذا الخـبرُ المنسـوب المتقَـنُ نسبُه **أعلق**: أي ألصق، **بالقلب** و**أشهى**: أي أحلى خبرًا مـن أحـد يخبر عنـه وهو **نُكُر**: أي مجهول.

خَـــــدَمْتُه ـ صَلَّى عليْه اللهُ ـ   بنَشْـــرِ ما مِن نَّشْرِهِمْ طَـواهُ
مَـــــرُّ الزَّمان وجَهالَـــةُ بَنيه؛   لَعلَّهُ يَرْحَمُـــــني بما أَشِـيهْ

خدمته: الضمـير فيـه عـائد علـى النبـي ﷺ. والنشـر الأول ضـد الطـي، والثاني الرائحة الطيبة. و**مر الزمان**: مروره. و**الجَهَالـة**: الجهـل. و**أشيه**: مـن

---

(1) يعني أنك إذا طالعت أخبار الرجال الذين تسند إليهم الأحكـام، أي تضـاف لهـم وتعرفـت عليها غاية ـ ومن ذلك معرفة أنسابهم في الكتب التي تتحـدث عنهـم ـ تكـون كـأنك قـد حضرتهم وعاينتهم بعيني رأسك، فكأن الكتابة بالمداد صـارت لـك كـالعين البـاصرة لهـم. ولقد أحسن ابن حجر العسقلاني حيث يقول:

يا عـــــين إن بَعُد الحبيبُ ودارُه   ونأت مرابعـــه وشَـطّ مَـــزارُه
فلقد ظفـــرت من الحبيب بطائل   إن لم تَرَيْـــه فهـــــــذه آثارُه

الوشي وهو التحسين.

يقول رحمه الله: خدمت النبي ﷺ المستحق للخدمة علي بنشر، أي بمد، **ما طواه**، أي أدرسه وأطمسه، **طول** مرور الزمان **وجهل بنيه** من ذكره الطيب الرائحة[1] الشَّهي المسمع، وأخبار أصحابه وأجداده. **لعله**: أي لأجل، أن **يرحمني** بتحسيني ذكرهم وذكر أخبارهم بالنظم الذي هو أحسن الكلام غير القرآن وحديث النبي ﷺ.

ومَن رَأَى خِلَافَ مَا ذَكَرتُهُ فلْيَتَّئِدْ لَعَلَّ ما أَبْصَرْتُهُ
فِي غَيرِ مَا طالَعَهُ إذِ الطُّرُقْ - لاسِيَّما فِي الفَنِّ ذا - قَد تفْتَرِقْ

يتئد: يتأنّى ويتبصر. يقول: **من رأى خلاف ما ذكرته** في هذا النظم، فلا يعجل بمخالفتي وتكذيبي **لعل** الذي ذكرته اطلعتُ عليه في كتاب غير كتابه الذي **طالعه**، فإن **الطرق** ربما تتشعب إلى بُنياتٍ وأمهاتٍ؛ **لاسيما في** هذا **الفن**، فهو فن الأخبار؛ إذ قد يكون فيها صحيح وضعيف.

وَمَن يكُن مُسْتَوْعِبًا - مِثْلي - ذَكَرْ مُشتَهِرًا مِّنها وغَيرَ ما اشْتَهَرْ

استوعب الشيء: أخذه بجميعه. أخذ هذا من قول السيوطي في الخصائص الكبرى: *ولما كنت مستوعبا أذكر المشتهر وغير المشتهر* اهـ. يعني أنه لما كان متصفا بهذا لا يترك غير **المشتهر** لعدم شهرته بل يذكر ما أمكنه

(1) المعبر به عن أخبارهم ومناقبهم.

ذكره، **مشتهرا** كان أو **غير مشتهر**[1].

وَرُبَّمَا أنكَــرَ ضَيِّقُ العَطَـــنْ ... والبَاعِ والبحْــثِ عَليَّ فطَعَنْ

ولستُ إلاَّ مِن مَّشاهـيرِ الكُتُبْ ... آخُـــذُ فَلْيُزَكِّـهَا أوْ لِيَسُــبْ!

العَطَن (محركة): معطن الإبل ومبركها حول الحوض، ورحب العطن كثير الماء؛ يلزم منه أن يكون قليل الماء متصفا بضيق العطن، ويستعار للرجل القليل العلم. **والباع**: قدر مَد اليدين، ويستعار كذلك. ويقال طعنه بالرمح وطعن فيه بالقول.

يقول: ربما طالع كتابي هذا قصير الباع في العلم وقليل مطالعة الكتب فيطعن في بأن ينسبني إلى الكذب والقصور، ولعل ذلك منه، لأني لا آخذ إلا من الكتب المشهورة بين الناس؛ **كجمهرة قريش** لأبي عبد الله المصعب الزبيري، وليس بينه وبين عبد الله بن الزبير إلا أبوان أو ثلاثة وربما ينسب الرجلَ فيقول: وهو حي اليوم؛ و**كالقلقشندي**، و**الحلة السيراء في أنساب خير الوَرَى** للولي محمد اليدالي بن المختار بن محمد سعيد، و**الروض الأنف** للإمام السهيلي، وغيرها من الكتب المشهورة القديمة.. وحيث كنت آخذ من هذه الكتب فشأن الطاعن علي بها: **يزكيها أو يسبها**.

---

(1) قال الزرقاني في شرح المواهب: اعلم أن أهل السير لا يتقيدون بالصحيح من الأخبار بل يذكرون الصحيح والسقيم والبلاغ والمرسل والمنقطع والمتّصل دون الموضوع، ومن أجل ذلك قال العراقي في ألفيته في المغازي والسير:

وليعلم الطالـب أن السـيرا ... تجمع ما صحَّ وما قـد انكـرا

وقال الإمام أحمد بن حنبل وغيره من الأئمة: إذا روينا في الحلال والحرام شدَّدنا وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا.

مقدمة

بصيغة اسم الفاعل أي متقدمة أَمَامَ الفن بمنزلة مقدمة الجيش. وعن ثعلب فتح دالها فتكون بصيغة اسم المفعول أي نُبَذَة قدمها المؤلف قبل تأليفه ليستمتع بها طالبه وينشَط بها وتدله على قواعده وأصُولِه[1]:

طَلِيعَةٌ فِيمَن تَداوَلَ الحَرَمْ   وَمُلَحٌ مُمْتِعَةٌ قَبْلَ الأَهَمْ

الطليعة: مَن يبعثه الجيش ليطلع له على العدو ويأتيه بخبرهم، واستعاره هنا لهذه المقدمة لأنها تعين على قراءة التأليف كما تعين الطليعةُ الجيشَ بخبر العدو والاطلاع على عوراته. **والتداول:** أخذ الشيء دولا: دولة لهذا ودولة لهذا. **والحرم:** يعني به مكة. **والمُلَح:** جمع ملحة (بالضم) وهي المستطاب من الكلام والقصص. **والممتعة:** من المتعة وهي ما يتبلَّغ به من الزاد وغيره.

يقول: هذه نبذة أذكرها لك في ذكر من سكن الحرم، الأول فالأول.. إلى قريش، وفي ملح تستمتع بها وتنتفع قبل الأهمِّ وهو نظم الأنساب؛ وعبر عنه **بالأهمَّ** لأنه أهم من هذا الذي يُذكر قَبْلَهُ.

بِدِينِهِ الخَلِيلُ فَرَّ بَعْد مَا   مِن نَّارِ نَمْرُودَ نَجَا، وأَشْأَمَا

---

(1) تشتمل هذه المقدمة على مقصدين: الأول في ذكر من تداول الحرم، والثاني في ذكر ملح العرب، وعبَّر عن المقدمة بالطليعة على سبيل الاستعارة فكما أن المقدمة تعين على قراءة التاليف فإن الطليعة تعين الجيش على العدو بخبره والاطلاع على عوراته.

الخليل: سيدنا إبراهيم عليه السلام[1]. **والنمرود**: الجبار المعروف[2]؛ قيل

---

(1) كان والد إبراهيم على أصنام الملك نمرود فولد له إبراهيم عليه السلام بـ "هرمزجرد" وأم إبراهيم نونا بنت كرنب بن كوثى من بني كوثى بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام ثم انتقلا من هرمزجرد إلى كوثى من أرض بابل، وقيل كان مولده بالسوس من أرض الأهواز في زمن النمرود ثم كان يشب في كل يوم ما يشب غيره في شهر واصطفاه الله واتخذه خليلا وجعله أبا للأنبياء ومن أولي العزم وأنزل عليه عشر صحف وقيل عشرين صحيفة وأرسله إلى قومه فدعاهم إلى عبادة الله فألقاه النمرود في النار فنجاه الله منها فلما خرج منها هاجر من كوثى وكان حين خرج سرياني اللسان فلما عبر الفرات من حران أنطقه الله بالعبرانية، وبعث النمرود في طلبه وقال للطلب: إذا وجدتم فتى يتكلم بالسريانية ردوه إلي فلما أدركوه استنطقوه فتكلم لهم بالعبرانية فتركوه و لم يعرفوا لغته، فهاجر من بابل إلى الشام ومعه سارة وكانت قد وهبته نفسها فتزوجها وسكن الشام ووسع الله عليه في المال والخدم وقرى الضيف وكان هو أول من قرى الأضياف وكني أبا الأضياف وولد له إسماعيل وهو أكبر ولده أمه هاجر القبطية وولد له إسحاق وأمه سارة ثم ماتت سارة فتزوج امرأة من الكنعانيين يقال لها قنطورا فولدت له أربعة أولاد وتزوج أخرى فولدت له سبعة نفر فكان ولده ثلاثة عشر، وتوفي إبراهيم بالشام ودفن في مزرعة حمرون وفيها أيضا قبر سارة زوجه عليه السلام ودفن معه ابنه إسحاق عليه السلام وموضع قبريهما مشهور على ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس في مسجد هناك يعرف بمسجد إبراهيم ـ [سموط الذهب وغيره].

(2) ذكر الدميري أن النماردة ستة: الأول النمرود بن كنعان بن حام بن نوح، أحد ملوك الأرض الذين ملكوا الدنيا بأجمعها وكان في زمن إبراهيم عليه السلام، والثاني نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح وهو صاحب النسور وقصته مشهورة، الثالث نمرود بن ماش بن كنعان، والرابع نمرود بن سنجار بن نمرود بن كوش بن كنعان، والخامس نمرود بن ساروع بن ارغو بن مالخ، والسادس نمرود بن كنعان بن المصاص بن نقطا ـ [55/1]. وفي *البحر* لأبي حيان: قال مجاهد: ملك الأرض مومؤمنان: سليمان وذو القرنين، وكافران: نمرود وبختنصَّر.

إنه مولى للضحاك[1]. **وأشأم:** قصد الشام.

يعني أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما أنجاه الله من نار نمرود، كما ذكر في كتابه العزيز، فَرَّ بدينه من مدينة كُوثى إلى الشام، ومن ذلك أخذ وجُوب الفرار بالدين من الأرض التي خيف فيها فساده. وكوثى (بالضم): قرية بالعراق فتحها سعد بن أبي وقاص وخطب فيها المسْلِمين؛ ومن خطبته فيها: "﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[2].. هذا يومنا فيهم بعد يومهم فينا"؛ يعني حبس إبراهيم وإيقاعه في النار العظيمة التي لم يقدروا على إلقائه فيها إلى أن أتاهم إبليسُ فضرب لهم المِنجنيق؛ وهو أول مِنجنيق صنع، فلما أرادوا رمي إبراهيم بالمِنجنيق جاءَت الملائكة وجلست على المِنجنيق فأمرهم إبليسُ أن يكشفوا عن عوراتهم فطارت الملائكة فحينئذ كلَّم جبريلُ عليه السلام ربَّ العزة: أي ربّ عبدك وخليلك ونبيك في هذه الحال. فقال الله تعالى: إيته. فأتاه فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا وأما إلى الله فنعم. قال: اسأله أن ينقذك، قال: علمُه بحالي يُغنِي عن

---

(1) كان قد ملكه، والضحاك هذا مِلك يعرف بالازدهاق واسمه بيوراسب بن اندراست وكان قد ملك الأقاليم كلها وطغا وتجبَّر، ودام ملكه ألف سنة فيما ذكروا، وهو أول من صلب وأول من قطع الأيدي والأرجل، وقتله افريدون بن اثفيان؛ وإلى ذلك أشار أبو تمام - حبيب بن أوس - بقوله:

وكأنــه الضحاك من فتكاتــه ... في العالمــين وأنــت افريـدونُ

قاله القرطبي في *تفسيره*. وفي *تاريخ الطبري* أن الضحاك هو النمرود نفسه.

(2) آل عمران: 140.

سؤالي. وأراد الله تعالى تنبيهَ الملائكة في قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[1] أن في بني آدم من هو أفضل منهم. اهـ بمعناه من كتاب **التنوير في إسقاط التدبير** لابن عطاء الله[2].

ومَعَهُ خَرجَ لُوطُ ابنُ أَخِيهْ وابنةُ نَمْرودَ وصِنْوُها النَّبِيهْ
بَانِي دِمشقَ للخَليل، وَبِهِ دِمشْقُ تُعْرَفُ لَدَى المُنتَبِهِ

معه: أي إبراهيم عليه السلام. **ولوط** بن هاران النبي عليه السلام. **والصنو**: الأخ الشقيق والابن والعم. **والنبيه**: الفطن. **باني دمشق**: وهي جلق (بكسرتين وتشديد اللام): مدينة الشام العظيمةُ التي يقال لها: دمشق الشام، كما يقال بغداد العراق وصنعاء اليمن. وهي دار مملكة آل جفنة في الجاهلية ودار مملكة بني أمية في الإسلام. قوله **وبه**: يعني ابنَ النمرود، لأنَّ اسْمَه دِمشقُ أو دِمْشاق، وسُمِّيَتْ به المدينة لأنه هو الذي بناها.

يَغْدُو عَلى البُرَاقِ مِنهَا لِلحرمْ ثُمَّ يَرُوحُ رَاجِعًا كَبَدْرٍ تَمْ

البراق (كغراب): دابة فوق الحمار ودون البغْل يضع حافرَه في موضع طرْفِه، يركبها الأنبياء؛ وقيل يركبها المؤمنون إذا كانوا في الجنة. ركبها

---

(1) البقرة: 30.

(2) راجعه في ص: 24 - 25. ونحوه أيضا في *فتح الودود* شرح المقصور والممدود، وفيه: لما رفع همته الشريفة عن الخلق أقبل عليه الحقُّ فقال جل: {يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم}. وروي أن النيران بطلت في ذلك اليوم فلم ينتفع بها أحد ولو لم يقل {وسلاما} لمات إبراهيم من البرد.

النبي ﷺ ليلة المعراج مع جبريل عليه السلام وربطاها ببيت المقدس في الحَلْقَة التي كانت الأنبياءُ تربِطُها فيها، حتى دخل المسجد وصلى فيه؛ ومن هنا أُخِذَ الأمر بالسَّبب إذ لا أحد أولى من النبي ﷺ وجبريل بالتوكل من غير سبب. والضمير في **منها** عائد على دمشق. **وبدر تم**، وبدر تمام (بالفتح والكسر): يقال له إذا امتلأ وبهر.

يعني أن إبراهيم عليه السلام لما سكن دِمَشق لم يزل يزور الحرم، وكيفية زيارته أنه يركب البُراق بالغداة من دمشق ويقيل بمكة ويروح منها إلى دمشق. وقوله: **كبدر تم** الأولى تشبيه البدر بإبراهيم إذا كان على البراق في السير والجمال، لكن لا يعقل الراؤون أجملَ من البدر فشبهه به.

ومَرَّ في فِرارِهِ علَى الَّذي غَصَبَ سَارَةَ ولم تُسْتَنقَذِ
إلا بِشَلِّ يَدِهِ وصَرْعِهِ وعُصِمَتْ سارةُ من طَبَعِهِ

سارة (بالتخفيف والتشديد): زوج إبراهيم عليه السلام، أمُّ إسحاق عليه السلام؛ وهي في الأصل التي تَسُرُّ زوجَها. **والذي غصبها**: مَلِكٌ اسمه صيدوفُ وهو على الأرْدُنِّ، وقيل اسمه عمرو بن القيس بن سبأ. **ولم تستنقذ**: أي لم تستخلص منه. **والطبع**: الدنس.

يقول إن إبراهيم عليه السلام لما نجا من نار نمرود وفر بدينه قاصدا الشام مرَّ ببحْرٍ عليه نُوتِيٌّ يُجيز من أتاه على الربع، فلم يزل يجيزهم ويأخذ الربع فكان آخرَهم سارةُ في صندوق، فأراد أن يفتح الصندوق ليأخذ ربع ما فيه فقال له إبراهيم: لا تفتح وأعطيك ربعَ ما فيه. فقال: لا بد من فتحه. قال: هَبْه مملوءًا ذهبا أعطيك ربعَه. قال: كلا. ففتحه فإذا فيه امرأة

ما رأى الراءون مثلَها، فخرج يسعى إلى الملِك فأخبره بها فبعث الملك من أتاه بها فلم يتمالك إلى أن أرخى عليها الستورَ فراودها فشُلَّت يده فعزم على الإقلاع فبرئ ثم لم يملك نفسه إلى أن راودها ثانية فصرع فعزم على الإقلاع فصحا. ثم أرسل إلى إبراهيم فأتاه فقال: من هذه منك؟ فقال: أختي (خاف أن يقتله إن أخبره أنها زوجته). وَللعلماء في قوله تأويلات: قِيلَ أراد أختِي في الله. وقيل إنها بنت أخيه، ويجوز نكاح بنت الأخ في شرعه. وقيل تعمد الكذب لجواز ذلك؛ وهِيَ إحدى الكذبات التي اعتذر بِهَا إبراهيم عليه السَّلام في حديث الشفاعة؛ الثَّانيةُ قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[1]، الثَّالِثَة قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[2] قال القاضي عياض: ما وجه خوفه من هذه الكذبات وهي إما جائزة أو واجبة للضرورة؟ فأجاب بأنها في جانب الأنبياء كالخطيئة لعظم رتبتهم وشدة خوفهم يخافون أن يُؤاخِذَهُم الله بظاهرها وربما واخذهم بمثلها في الدنيا لتقريبهم ولإعلاء رتبتهم كما فعل بأيوب وداود ويعقوب عليهم الصلاة والسلام (اهـ منه بمعناه).

وعدل [الناظم] عن "طريقه" إلى فراره خوف التباسِهِ بطريقه من دمشق إلى الحرم.

ومِـن وَّرَاءِ الحُجُبِ الخَلِيـلُ عايَـنَ أنْ عَصَمَها الْجَلِيـلُ
وأتْحـفَ الملِكُ زوجَةَ الخَلِيلْ بِهَاجَرٍ وأَتْحَفَـتْ بِهَا الْخَلِيلْ

---

(1)، الصافات: 89. (2) الأنبياء: 63.

يعني أن إبراهيم عليه السلام كشف الله عنه الحُجب المعنويةَ وحُجب المِلِك الحسية إلى أن شاهد أن عصم الله سارة، أي منعها، من دنس المِلِك وقاذوراته تطييبا لخاطره. **وأتحف**: أكرم. **والملك**: صيدوف. **والخليل**: إبراهيم عيه السلام، وهو **الخليل**. **وهاجر**: أم إسماعيل عليه السلام.

يعني أن الملك صيدوف لما شاهد من آل إبراهيم ما بَهره ورَوعه ترضَّى سارة بأمَةٍ وهي **هاجر**، فأكرمت بها إبراهيمَ عليه السلام[1]. وفي هذين البيتين الجناس المحرف بالجليل والخليل والحليل.

وسُبِيَتْ من مَّلِكِ القِبْطِ ابنتُهْ هَاجَرُ ذِي؛ وأنجَبَتْ رَيْحَانَتُهْ

إِذْ وَلَدَتْ أَبَا عَمُودِ النَّسَبِ وَلاَ مَحِيدَ عَنْهُ لِلْمُسْتَعْرِبِ

القبط (بالكسر): جيل من ولد حام بن نوح، وهم أهل مصر قبل فتحها؛ ويلقب من ملكهم بفرعون. وأما فرعون موسى فالمشهور أنه من العمالق، مات مَلِكُ أهلِ مصر فتنازعوا في الملك ثم اصطلحوا على تَحْكيم أول من يرد عليهم من مكان عينوه، فورد عليهم منه الوليدُ بن مصعب العمليقيُّ مستبضعا مَزادتين على بعير فذكروا له شأنهم وأنهم حكّموا أول وارد عليهم من ذلك المكان فاستوثق منهم بتحكيمه فملك عليهم نفسه

(1) ويقال إنه لما أخذ سارة ذهب ليتناول يدها فيبست يده إلى صدره، فقال لسارة ادعي الله أن يذهب ما أصابني ولا اهيجك، فدعت فأطلقت يده وسُرِّي عنه وأفاق؛ فدعا بهاجر وكانت آمَن خدمه عنده فوهبها لسارة وكساها، فوهبتها سارة لإبراهيم فاستولدها فولدت له ابنه إسماعيل عليهما السلام. وكانت هاجر هذه من القبط من قرية امام الفرما (قريب من فسطاط مصر) ـ **الطبقات الكبرى** لابن سعد.

فساسهم أحسن السياسة حتى أنه يبعث في زمن الحراثة باردب[1] إلى كل جهة فإن زُرِع قَتل والي تلك الجهة (اهـ من حسن المحاضرة بمعناه). ثم كان من أمره ما ذكر الله تعالى في كتابه.

ومنهم مارية أم سيدنا إبراهيم عليه السلام وأختها سيرينُ أم عبد الرحمن بن حسان، وكان يفتخر بأنه ابن خالة إبراهيم بن النبي ﷺ، وذكر السهيلي في **الرَّوض الأنف** أن النبي ﷺ ترضّى بها حسان بن ثابت عن ضربة صفوان بن المعطل له، وقيل لمنافحته عنه شعراء قريش[2].

وهاجر: بفتح الجيم، ويقال فيها آجر. **والريحانة**: الولد، ولعل أصلها من الريحان: لنبتٍ طيب الرائحة. **وأبو عمود النسب**: إسماعيلُ عليه السلام. ويعني **بالمستعرب**: عدنانَ.

يقول إن هَاجَرَ التي ترضى بها الملك سارة هي بنتُ مَلِك القبط سباها منه صيدوف. **وأنجبت**: ولدت نجيبا لأجل استيلاد إبراهيم عليه السلام لها إسماعيل، وهو أبو عدنان جميعا بالاتفاق.

وَلا لِلانبيـاءِ بَعـدُ عنْ أَبيــهْ ... وكلُّهُــمْ كان خُلاصَــةَ بَنِيهْ

وَعنهُ حادَ آدَمٌ، شِئْتُ الوَصِي ... إدْريسُ، نوحُ، هودُ، يونسُ يصي

لُــوطٌ وصالِــحٌ؛ فهُــم ثَمَانُ ... حَادُوا عَنِ الخَلِيلِ واسْتَبَانُــوا

---

(1) الإردبُّ: مكيال ضخم بمصر.

(2) أي مكافحتهم ومخاصمتهم.

يقول: لا محيد **للأنبياء** عن إبراهيم عليه السلام **بعدُ**، أي بعدَ أن ولد إسماعيل لأنه أكبر ولده. **وكلهم كان خلاصةَ بنيه، وخلاصة** السمن والفضة والذهب: ما صفا منه واستخلص؛ وكذلك الأنبياء مع سائر بني آدم. ولم يحد عن إبراهيم من الأنبياء إلا هؤلاء الثمانية المذكورون فإنهم حادوا، أي مالوا عنه ولم يخرجوا من ذريته؛ وهم أبونا آدمُ عليه السلام ومَن بعده، فإنهم سابقوه إلا لوطاً فإنه ابنُ أخيه ومعاصره، ويونس يأتي الكلام عليه إن شاء الله.

آدم عليه السلام

أما آدَمُ عليه السلام فهو أوَّل الرسل[1] أهبطه الله تَعَالى مِنَ الجَنَّة إلى جبل يقال له سَرَنديبُ من أرض الهند، رُوي أن موضعَ قدميه ينزل عليه المطرُ كل يوم. وكان يحج من الهند إلى مكة راجلا؛ قيل لابن عباس هل يركب؟ قال: وأي دابة تحمله؟!.

وعَن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: خلق الله آدمَ وطولُه ستون ذراعا وقيل سبعة وستون ذِراعًا، قال فلم يَزَل الخلقُ ينقص إلى الآن[2]، وَمدةُ

---

(1) قال في *تاريخ الطبري*: وكان آدم مع ما أعطاه الله من ملك الأرض والسلطان فيها قد نبَّأه وجعله رسولا إلى ولده وأنزل عليه إحدى وعشرين صحيفة كتبها آدم بخطه علمه إياها جبريل عليه السَّلام ـ اهـ. وقيل أنزل عليه صحائف في عشرين ورقة وعلمه الأسماء كلها وكان يتكلم بألف لسان [نقله النسفي]. وكانت لغته في الجنة العربية ولما أهبط من الجنة تكلم بالسريانية.

(2) انظر **الجامع الصغير** للسيوطي.

حياته ألفُ سنة، ولما مات بكت عليه الخلائق سبعة أيام.

شئث ووصية آدم له عليهما السلام

وأمَّا **شِئث** (بالياء وبالهمزة): فهو ابن آدم أصالة[1]، وعلى القول برسالته فبمجرد التوحيد وتقرير شريعة آدم. وقوله: **الوصي**: هل هو وصي آدم على بنيه والشريعة أو وصيه على **المسائل الخمس** التي أوصاه بها وأمره أن يوصي بها بنيه[2] فَقَالَ: لا تطمئنَّ إلى الدُّنيا الفَانية فإني اطمأننت إلى

---

(1) ومعنى شئث: هبة الله، اشتق له من هابيل وذلك أنه لما قتل قابيل هابيل ولدت حواء لآدم ابنه شئث فكان خلفا منه. [الطبري].

(2) وقد روي أيضا أنه لما حضرت آدم الوفاة دعا ابنه شئث فعهد إليه عهده وعلمه أشيَاء وأخبره بأن الطوفان سيكون في الأرض وكتب له وصية ودفعها إليه وأمره أن يخفيها عن قابيل وولده لقتله لهابيل حسدا منه له حين خصه آدم بالعلم، فاستخفى شئث وولده بما عندهم من العلم و لم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به؛ فكان شئث وصي أبيه آدم عليه السلام وصارت إليه الرئاسة بعد وفاة آدم عليه السلام وأنزل الله عليه ـ فيما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ خمسين صحيفة. [تاريخ الطبري].

وفي *المدخل* لابن الحاج: (31/2): لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام وضع فيه نور محمد صلى الله عليه وسلم وقال له خذه بعهدي وميثاقي ولا تودعه إلا في الأرحام الطاهرة، فقال آدم: يا رب قد أخذته بعهدك وميثاقك ولا أودعه إلا في المطهرين من الرجال والمحصنات من النساء ـ [اهـ منه]. وقد أوصى آدم ابنه شئث عليهما السلام.

وروي أن شئث لما مرض أوصى ابنه انوش فمات ودفن مع أبويه في غار أبي قبيس، وأوصى أنوش إلى ابنه قينان وأوصى قينان إلى ابنه مهلائيل، وأوصى مهلائيل إلى ابنه يرد، وأوصى يرد إلى ابنه اخنوخ ـ وهو إدريس عليه السلام ـ وأوصى اخنوخ إلى ابنه متوشلخ، وأوصى متوشلخ إلى ابنه لمك، ولمك إلى ابنه نوح عليه السلام، ونوح إلى ابنه سام. [الطبري].

و لم تزل هذه الوصية معمولا بها في القرون إلى أن وصل ذلك النور إلى عبد المطلب وابنه عبد الله.

الجنة الباقية فلم يرض بذلك مني ربي فأخرجني منها.

الثَّانِيَةَ: لا تعملوا برأي نسائكم فإني عملت برأي حَوَّاءَ فأكلت فندمت.

الثَّالِثَةَ: كل عمل انظروا عاقبته فإني لو نظرت عاقبة أمري ما أصابني ما ترون.

الرَّابِعَةُ: عليكم بمشاورة الأخيار فإني لو استشرت الملائكة ما أصابني الذي أصابني.

الخَامِسَةُ: إذا اضطربت قلوبكم فارجئوها فإني لما هممت بالأكل من الشجرة اضطرب قلبي فلم أرجئه فأكلت فندمت.

إدريس عليه السلام

وأمَّا **إدْريس** عليه السلام فهو ابن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شئث بن آدم، وهو أول من خطَّ بالقلم، وأدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وثمان سنين؛ واختلف في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًـا عَلِيًّـا﴾[1]، قيل السماء الرابعة وقِيلَ الجَنَّةُ، وقيل شرف النبوة والزلفى. وعن مجاهد: رفع إلى السماء، ولم يمت، كما رفع عيسى عليه السلامُ، قال الشاعر:

في الأرض بليا وإليـــاس ومـــا بليا وفي السمـــاء سَمَا عيـسى وإدريس

نوح ﷺ وأمره بصنع السفينة

وأمَّا **نُوحٌ** عليه السلام فهو ابن لَمَك (بالتحريك أو كهاجر، كما في القاموس) ابن متوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس. وفي رِوايَةٍ بأطول من

---

(1) سورة مريم: 57.

هذا. وهُوَ أوَّلُ نبي بعثه الله بعد آدم بتحريم البنات والعمات والخالات، ولد بعدَ وفاة آدم بمائة سنة وعشرين عاما ومات وعمره ألفٌ وأربعُمائة سنة وَدُفِنَ بالمسجد الحرام، وقيل غير ذلك. ولَمَّا يئس من صلاح قومه دعا عليهم فغضب الله عليهم، قال تعالى: ﴿فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ﴾[1] وأمره أن يغرس شجرا ليعمل منه السَّفينَة فغرسه وانتظره مائة سنة ثم نجره في مائة وأمره أن يجعل طولَها ثمانين ذراعا وعَرضَها خمسين ذراعا وكانت ثلاثَ طبقات كلٌّ واحدة عشرة أذرُعٍ، فالسفلى للدواب والوحوش والوسطى للناس والعليا للطير. وكانت لها غطاءٌ من فوقها مطبق عليها. وفتحت السماء بماء منهمر وفجرت الأرض عيونا فأمره الله أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين وسائر ماله وَمَن آمَن به وَأهْل بيته إلا من كان كافرا، وارتفع الماءُ على أعلى جبل في الأرض خمسة عشر ذراعا وعم الأرض كلَّها ولم يبق على وجه الأرض أحد. وهذا يرد على من زعم أن عوج بن عوق (على وزن لوط فيهما[2]) كان موجودا قبل نوح عليه السلام وإلى زمن موسى.

هود عليه السلام وهلاك قومه

وأمَّا **هود** عليه السلام فهو ابن عبد الله بن رياح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، قال كعب كان أشبه الناس بآدم. وكان

---

(1) الصافات: 75.

(2) فيهما: أي عوج وعوق.

قوم هود يسكنون بالشحر من اليمن؛ وهي المراد من قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾[1]، (والحقف: الرمل) فكذبوا هودًا عليه السلام فأهلكهم الله بالريح كما قص الله في كتابه العزيز.

ولما أهلك الله عادا ارتحل هود عليه السلام ومن معه من المؤمنين من أرضهم بعد هذا إلى موضع يقال له الشحر بين عمان وعَدن ـ من بلاد اليمن ـ فنزل هنالك ثم أدركه الموت فدفن بأرض حضرمَوت. يروى عن علي كرم الله وجهه أن قبر هود بحضرموت. وقال عبد الرحمن بن سيابة: بين الركن والمقام وزمزم قبور تسعة وسبعين نبيا فإن قبر هود وصالح وشعيب وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام في تلك البقعة، وَيُرْوَى أنه ما من نبي من الأنبياء أهلك الله قومه إلا جاء هو والصالحون من قومه معه إلى مكة يعبدون الله حتى يموتوا بها.

صالح عليه السلام وناقته

وأمَّا صالح عليه السَّلاَم فهو ابن عبد الله بن آسف بن عبيد بن عاد بن ثمود بن عابر بن أرفخَشَدْ بن إرم بن سام بن نوح وهو أخُو جديس. وكان مساكن ثمود الحجر، بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله؛ سميت ثمود لقلة مائها، والثمد الماء القليل؛ سألوا نبيهم صالحا أن يريهم آية، قال له جندع بن عمرو بن خراش وهو يومئذ سيد ثمود: يا

---

(1) الأحقاف: 21.

صالح أخرج لنا من هذه الصخرة (وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكائنة) ناقة مخترجة جوفاءَ وبراءَ عشراءَ (والمخترجة الخارجة على خلقة الجمل) فإن فعلت آمنا بك وصدقناك، فصلى صالح عليه السلام ركعتين فتحركت الهضبةُ عن ناقة كما سألوا ثم نتجت سَقبا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو ورَهط من قومه. فانطلق قُدَارُ بن سالف (ويزعُمون أنه كان ابنَ زِنْيَةٍ ولم يكن ابن سالف ولكنه ولد على فراشه) ومصدع بن مهرج كانا يشربان الخمر في رهط منهم ـ وكانت ثمود يقتسمون الماء مع الناقة يوم لهم ويوم لها كما قال تعالى: ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[1] ويحلبون منها مثل الماء أو أكثر ـ فقال قدار ورهطه: نحن إلى الماء أحوج منا إلى لبن ناقة صالح، فانتدب لها هو ومصدع بن مهرج فاستعانا بغواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر فكانوا تسعة، فمرت على مصدع فرماها فانتظم عضلة ساقها وشد عليها قُدار بالسيف فكشف عرقوبَها؛ فكان من شأن ثمود ما قصَّ الله في التنزيل، وكانت الفرقةُ المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضرموت، فلما دخلوها مات صالح فسمى حضرموت. وقال قوم من أهل العلم توفي صالح بمكة وهو ابن خمس وثمانين سنة. وقال وهْب: بُعث إلى قومه حين راهق الحلم وكان أحمرَ إلى البياض سبط الشَّعر فلبث فيهم أرْبعين سنة، قَالَ ابن حجر: عشرين سنة، وقيل في نسب صالح غير ما تقدم.

---

(1) الشعراء: 155.

لوط عليه السلام

وأمَّا **لوط** عليه السلام فهو ابن هاران بن تارخ، ابن أخي إبراهيم، وقد نُبِّئَ في عهده بنص الآية الكريمة؛ وهل نبئَ ابناه إسماعيل وإسحاق في حياته أولا؟ ولْينظر بقية خبر لوط في كتاب ا لله وتفاسيره.

يونس عليه السلام وتوبة قومه

وأما **يونس** عليه السلام فهو ابن متّى (كحتى أو متتى مفكوكة) قال الثعالبي: هو من بني إسرائيل، فعلى هذا لم يحد عن إبراهيم؛ لأن إسرائيل هو الكريم يعقوب عليه السلام ابن الكريم إسحاق ابن الكريم إبراهيم عليهما السلام.

بعث ا لله يونس إلى أهل نينوى، وهي من أرض المَوْصل. وَرُوِيَ أنَّ عتبة وشيبة ابنَيْ رَبيعَة بعثا إلى النبي ﷺ يوم آذته ثقيف بطبق من عنب مع عبد لهما يقال له عُداس فلما وضعه بين يديه قال صلى ا لله عليه وسلم: «باسم ا لله»، فقال له عُداس: من أين لك هذه الكلمة التي لم تكن تقال في هذه البلاد؟ قال: «من عند ا لله» ثم قال: «ممن أنت يا عداس»؟ قال: من أهل نينوى، قال صلى ا لله عليه وسلم: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى» قال عداس: وما يدريك ما يونس بن متّى؟ قال: «أخي في ا لله هو نبي وأنا نبي» [1] ، فقام إليه يقبل رأسه فرآه شيبة وعتبةُ فقال أحدهما

---

(1) رواه البخاري ومسلم، وفي رواية: «ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي» سيرة ابن هشام.

لصاحبه: أفسد عليك عبدك. وأسلم عداس قيل حينئذ وقيل بعد ذلك. (اهـ بمعناه من **سيرة ابن إسحاق** وغيرها).

وكذَّب أهل نينوى يونس فأوعدهم بنزول العذاب عليهم في وقت معين ففارقهم إذ لم يتوبوا، فلما دنا الموعد غامت السماء غيما أسودَ ذا دُخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فتابوا وطلبوا يونس فلم يجدوه فأيقنوا بصدقه فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحنَّ بعضها إلى بعض وعلَت الأصوات وأخلصوا التوبة وأظهروا الإيمان وتضرعوا إلى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم العذاب، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[1]. وأما يونس فلم يعرف الحال فظن أنه كذبهم فغضب من ذلك وذهب فركب مع قوم في سفينة فوقفت وركدت بعد أن بعدت في البحر وغيرها من السفن يجري يمينا وشمالا فقال لهم يونس معكم عبد آبق من ربه وإنها لا تسير حتى تلقوه فأقرعوا فخرجت القرعة عليه ثلاث مرات فطرح نفسه في البحر فالتقمه الحوت، قال الثعالبي روي أن الله تعالى أَوْحَى إلى الحوت إنا لم نجعل يونُسَ لك رزقًا وإنما جعلنا بطنك له حرزًا وسجنا، وفي رِوَايَةٍ بطنك له مسجدا. فأمر الله الحوت فَقَذفه في الساحل وهو كهيئة الفرخ الممعوط ووهب الله له أُرْوية[2] تنفشخ عليه أي تعطف (والتَّفشيخ ـ بالفاء والشين

---

(1) يونس: 98.

(2) الممعوط: المنتوف الشعر. والأُروية (بضم وكسر الهمزة) ضأن الجبل.

والخاء ـ إرخاء المفاصل) فتزويه من لبنها، وأنبت شجرةً من يقطين مظلة عليه. ويسمى *ذا النون* لالتقام الحوتِ له (اهـ ما لخصت مما لخص جدُّنا محمَّدَا رحمه الله[1] مِن **البخاري والقسطلاني واللباب** وغيرها).

واليقطين القرع، وهو البطيخ وورقه أنفعُ شيء لمن تسلخ جلدُه ويجمع خصالا محمودةً منها بردُ الظل واللَّمْسِ وان الذباب لا يقربه، وَرُوي أنَّ ماءَ ورَقِهِ إذا رش في مكان لم يقربه الذباب، قال الضحاك بن قيس على منبره اذكروا الله عبادَ الله في الرخاء يذكركم في الشدة إن يونس بن متَّى كان عبداً لله ذاكرا له فلما أصابته الشدة نفعه ذلك قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2] وإن فرعون كان طاغيا باغيا فلما أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قال آمنت فلم ينفعه ذلك، فاذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة. اهـ من الثعالبي.

قوله: **يصي**: أي يصل قال الشاعر:

نصي الليـل بالأيام حـتى صلاتنا   مقاسمـة شطـرا صلاة المسافـرِ[3]

---

(1) هو العلامة الكبير محمدا ـ بألف آخره ـ بن حبيب الله (أبي أحمد)، كان من أبرز العلماء في دهره الذين حمل عنهم العلم وكان أديبا شاعرا وكان حيا في صدر القرن الثاني عشر، دفن رحمه الله بموضع يسمى "ورَارَه" في الجنوب الشرقي من عاصمة الجمهورية الإسلامية الموريتانية نواكشوط عن قرب، وهو جد الشارح حماد بن الأمين بن محمدا رحمهم الله.

(2) الصافات: 143-144..

(3) يعني أنهم وصلوا سير الليل بسير النهار حتى رجعت صلاتهم من أربع إلى اثنتين كما هو حال صلاة المسافر، وفي رواية: **مقاسمة يشتَقُّ انصافها السفر**، يقول رجعت صلاتنا من أربع إلى اثنتين في أسفارنا لحال السفر.

وثمان (كيَمان): عدد وليْس بنسب، أوْ فِي الأصْل منسوب إلى الثمن لأنه الجزءُ الذي صير السبعة ثمانيةً فهو ثمنها ثم فتحوا أولها لأنهم يغيرون في النسب وحذفوا منها إحدَى ياءيِ النسب وعوضوا منها الألفَ كما فعلوا في النَّسب إلى اليمن فتثبت ياؤه عند الإضافة كما تثبت ياء القاضي، فتقول ثماني نسوة وثماني مائة وتسقط بالتنوين عند الرفع والجر وتثبت عند النصب ـ اهـ من القاموس، وإذا أفردت فقد تعرب على النُّونِ كقوله:

لها ثنايا أربـع حِسَانُ وأربـع فثغـرها ثمانُ

قوله: **واستبانوا**: أي ظهروا فعرفوا.

ثم قال رحمه الله:

وأجْلَتِ الحُـرَّةُ هَاجَـرَ إلَى بُقْعَةِ بَيْـتِ اللهِ إذْ هِـيَ خَلا

جلا عن المكان: فارقه (لازم؛ وعدَّاه بالهمزة)، قال ابن مالك:

وعَدِّ لازماً بحـرفِ جَـرٍّ ...[1]

والحرة: سارة. **والبقعة** بالضم وتفتح. **وبيت الله تعالى**: الكعبة، ذكر البقعة دونها لأنه إذ ذاك غير مبني ولا مأهُول.

مسير إبراهيم بإسماعيل وهاجر إلى مكة

يقول لما أعطت سارة هاجرَ لإبراهيم عليه السلام أولدها إسماعيلَ عليه

---

(1) تمامه: ... **وإنْ حُذِفْ فالنَّصْبُ للمُنْجَرّ**

السلام، فأخذها ما يأخذ النساءَ من الطباع البشرية التي لا تقدح فيها؛ فخرج بها إبراهيمُ وبابنها إسماعيلَ إلى مكة.

وَدَلَّ جبريـلُ علَيْهَا الظَّاعِنِينْ   وَاسْتَرزَقَ الخَلِيلُ رَبَّ العَالَمِينْ

جبريل معناه عبد الله، وفيه لغات كثيرة منها إبدال اللام نونا وزيادةُ همزة بين الراء والياء وإبدالُها ياء وغير ذلك.. وضمير **عليها**: للبقعة. **والظاعنون**: إبراهيمُ وإسماعيل وهاجرُ عليهم السلام.

يعني أن هاجر لما ولدت إسماعيل غارت منها سارةُ غيرة هي سببُ ولادتها إسحاقَ ـ روي أن النبي ﷺ اشتكى إليه رجل عقمَ زوجته فقال له: «أغرها» ـ فمثلت سارةُ بهاجر مُثُلاً كانت بعد ذلك زينةً للنساء ومكرمة[1]، وحلفت لا تقيم معها؛ فخرج بها وبابنها إبراهيمُ قاصدا مكة، وهي إذا ذاك خلاءٌ، ودليلُهم عليها جبريلُ عليه السلام[2]. فلما أراد

---

(1) منها أنها ثقبت أذنيها وخفضتها فصارت سنة في النساء، وكانت هاجر أولَ امرأة ثقبت أذناها وأول من خفض من النساء وأول من جرت ذيلها. [قاله في **الروض الأنف**].

(2) لما أراد الله تعالى أن يُبَوِّئ لإبراهيم مكان البيت وأعلامه أوحى إليه بالمسير إلى بلده الحرام فركب البراق وحمل إسماعيل أمامه وهاجر خلفه وسار معه جبريل يدله على موضع البيت ومعالم الحرم فكان كلما مر بقرية أو مكان قال له: أبهذه أمرت يا جبريل؟ فيقول: لا، حتى قدم به مكة وهي إذا ذاك عضاه وسلم وسمر، وحول الحرم يومئذ العماليق وربما نزلوا بعرفة وكانت المياه يومئذ قليلة وكان موضع البيت قد دثر وهو ربوة حمراء تشرف على ما حولها، فقال جبريل حين دخل من كداء ـ وهو الجبل الذي يطل على الحجون ـ بهذه أمرت يا إبراهيم، فانتهى إبراهيم إلى موضع البيت فآوى فيه هاجر وإسماعيل وأمرها أن تتخذ فيه عريشا ففعلت وبَنَتْه من سَمُرٍ وثُمام وتركهما إبراهيم ثَمَّ ورجع إلى الشام بعد أن دعا لَهما وللبقعة دعاءه المشهور الواردَ في القرآن الكريم.

إبراهيمُ الانصرافَ عن هاجر وابنها قالت لَهُ: إلى من تكلنا؟ قال: إلى الله، قالت: إذن لا يضيعنا. و لم يترك عندها إلا ركوة ماء ونحوَ صاع من تمر، فجعل يختفي بالشجر ويلتفت إليهما لئلا تراه هاجر فتظنُّ أنه يبالي بهما، فلما شق عليه ذلك استرزق الله لهما بقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[1].

فَقَدَّ جبريـــلُ مِنَ الشَّامِ لَهُمْ . أَوْ مِن سِواهُ . طَائِفًا فقاتَهُمْ

قَدَّ: أي قطع. **والشام**: البلاد المعروفة؛ سميت بسام بن نوح لأنه بالسريانية بالشين المعجمَة، أو لأن قوما من بني كنعان تشاءموا إليها أي تياسروا، أو لأن أرضها شامات بيض وحمر وسود ـ اهـ من **القاموس**، وهي الموصوفة بالبركة في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾[2] هي الشام بالإجماع، وقوله: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾[3] هي الشام على قول الجُمهور، ولأنها هي التي هاجروا إليها لما نجا إبراهيم عليه السلام من نار نمرود؛ وكان لما خرج من النار أحضره وقال له في بعض قوله: أين جنود

---

(1) سورة إبراهيم: 37.

(2) سبأ: 18.

(3) الأنبياء: 71.

ربك الذي تزعُم؟ فقال له: سيريك فعلَ أضعفِ جنودِه، فأرسل الله على نمرودَ وأصحابه سحابةَ بعوضٍ فأكلتهم عن آخرهم ودوابهم، حتى كانت العظامُ تلوح بيضا؛ فدخلت بعوضة منها في رأس نمرود فلم يزل يضرب رأسه إلى أن مات. وقالت فرقة هي[1] مكةُ حرسها الله تعالى - (اهـ من **الثعالبي**).

وقوله: **أو من سواه طائفا فقاتهم**: أي سوى الشام، وهي جنة أصحاب الجنة الذين ﴿أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾[2] وفي قِراءة: ﴿طَيْفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ وهو جبريل فوضعها في مكان الطائف اليوم؛ ولم يزل يقوت أهلَ مكة إلى اليوم، قيل انه ما مرَّ يوم من الدنيا إلا وقدمت مكة عير من الطَّائِفِ تحمل الطعام.

الطائف وأصل تسميتها وخبر أصحاب الجنة التي احترقت

وفي **الثعالبي** أن أصحاب الجنَّة إخوة كانت لأبيهم جنة وكان يحصدها ويمسك منها قوته ويتصدق بالباقي على المساكين، وقِيلَ بل كان يحمل المساكين معه فيجُذ لهم منها، فمات الشيخ فَقَالَ ولده نحن جماعة وفعلُ أبينا كان خطأ فلنذهب إلى جنتنا ولا يَدخُلَنَّهَا علينا مسكين ولا نعطِي منها شيئًا، قال فبيتوا أمرهم وعزمهم، فبعث الله عليها طائفا من نار أو غير ذلك فاحترقت وأصبحت سوداء، وقيل بيضاء كالزرع اليابس

---

(1) أي الأرض الموصوفة بالبركة.

(2) القلم: 17 - 19.

المحصود. فلما أصبحوا على جنتهم لم يروها فحسبوا أنهم قد أخطأوا الطريق ثم تبينوها فعلموا أن الله أصابهم فيها، فتابوا حينئذ وكانوا مؤمنين أهلَ كتاب، قال الثعالبي: قال ابن مسعود: بلغني أن القوم لما تابوا وعَلِم الله صدقهم أبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمِّل البغلَ العُنقودُ مِنهَا. وعَن أبِي خالد أنه رأى تلك الجنة ورأى كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم ـ اهـ.

والطائف بلاد ثقيف سميت بما قدمنا، أو لأنها طافت على الماء في الطوفان أو لأن رجلا من الصدف[1] أصاب دما في حضرموت ففر إلى وج[2] فحالف مسعود بن معتب، وكان له مال عظيم فقال لهم: ألا أبني عليكم طوفا يكون لكم ردءا من العرب؟ فقالوا: نعم، فَبَنَاهُ؛ وهو حِصْنهم المحيط بهم. وهي الثَّانيةُ من القريتين في قول الله تعالى حكاية عن قريش: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[3]، فعظيم مكة يعنون به الوليد بن المغيرة، وعظيم الطائف يعنون به عروة بن مسعود بن معتب الثَّقفي.

يقول لما ترك إبراهيم عليه السَّلام هاجر وإسماعيل بمكة وجعل يدعو ويسترزق لهم الله أمر الله تبارك وتعالى جبريل فقطع لهم الطَّائف من الشام أو مِن الجنَّة المذكورة ـ وذكر السهيلي أنها قرب صنعاء اليمن ـ

---

(1) الصدف: قبيلة من كندة.

(2) وج: بفتح الواو وتشديد الجيم: واد بالطائف.

(3) الزخرف: 31.

فكان فيه قوتهم وقوت أهل مكة بعدهم إلى اليوم.

وبَعْـــدَ لأيٍ شَيَّـدَ الخَلِيـــلُ   قَــواعِـــدَ البَيْتِ وإسْماعِيلُ

اللأيُ: الإبطاء. **وشيد** البِنَاء: بناه مطولا. **وقواعد البيت**: أركانه التي يقوم عليها البناء. وسيدُنا **إسماعيل**: هو أكبر ولد إبْراهيم عليهما السلام ـ على المشهور ـ وهو الذبيح على أحد قولين[1]؛ ومعناه أن إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولدا صالحا ويقول في دعائه: اسمع يا إيل ـ وإيل بالسَّريانية هُو الله ـ فلما ولد له ولد سماه بذلك، وأمه هاجر كما تقدم.

يقول: بعد مدة طويلة في قَدْمَتِه الثالثة قَالَ إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام: إن الله أَمَرَني أن أبني له بيتا هنا، فقال: "افعل ما أمرك الله به وأنا معك"، أو كما قال.

---

(1) والثاني أنه إسحاق عليهما السلام والأرجح أنه إسماعيل وقد قال صلى الله عليه وسلم: «أنا ابن الذبيحين»، وقال له أعرابي يوما: يا ابن الذبيحين، فتبسم عليه الصلاة والسلام، وذكر ابن القيم في كتابه *زاد المعاد* أدلة ترجيح هذا القول. ولبعضهم:

إن الذبيــح هديــت إسماعــيلُ   ظهــر الكتاب بــذاك والتنزيلُ

شـــرف به خص الإلـــهُ نبينا   وأتى بـــه التفسير والتأويـــلُ

واختلف في إرسال إسماعيل وإسحاق هل كان في زمن إبراهيم عليهم السلام أم بعده، وقد بعث الله إسماعيل إلى العمالقة وجُرهم حين ساكنوه بمكة فآمن به بعضهم وكفر بعض، [قاله في الروض الأنف]. وفي *الحلبية* وغيرها أن الله تعالى أرسل إسماعيل إلى جُرهم والعمالقة وإلى قبائل اليمن في زمن أبيه إبراهيم، وبعث الله تعالى إسحاق إلى أهل الشام وبعث ابنه يعقوب إلى الكنعانيين في حياة إبراهيم، فكانوا أنبياء على عهد إبراهيم عليهم السلام. [سموط الذهب].

وَدَلَّـتِ ابْرَاهِيمَ مُزنَــةٌ عَليهْ   وَهْيَ عَلى قَدْرِ المِسَاحَةِ تُرِيهْ

إبراهيم: اسم عجمي ومعناه أب رحيم. والمِساحة (بالكسر): الذرعُ. يقول: لما أرادا أن يبنيا البيت لم يدريَا قدر مساحته فأمر اللهُ مزنةً أظلت قدرَ المِسَاحة فلم تجاوزها و لم تقصر عنها بظلها.

وقِيلَ دَلَّتهُ خَجُوجٌ كنَسَتْ   مَا حَوْلَه حتَّى بَدا ما أسَّسَتْ

قَبْـلُ المَلائِـكُ مِنَ البِـنَاءِ   قَبْـلَ ارْتِفَاعِــهِ إلَى السَّمَاءِ

خوْفًا من الْغَرَقِ والْمَعْمُورُ هَا   هُوَ عَلَى رأيِ رِجَالٍ نَبَّـهَا

الخَجُوجُ: الريح الشديدة الْمَرِّ أو التي تلتوي في هُبوبها ويقال لهبوبها الخجخجة. **والمَلائِكُ** والملائِكةُ: الجنس النوراني الممدوح بقوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1]، واحِدُه المَلَكُ والمألكة وهي في الأصل الرِّسالة، يقال أَلِكْنِي إلى فلان أيْ أبْلِغْهُ عني، قال:

أَلِكْني إليها بالسلام فإنه   يشهر إلمامي بها ويذكر

وأصله أَلْئِكْنِي فحذفت الهمزة وأُلْقِيَتْ حركتها على ما قبلها فقيل أَلِكْني؛ والمَلَكُ قيل له ملَك لأنه يُبَلِّغُ عن الله تعالى، ووزنه مَفْعَل والعين محذوفة أُلزمتِ التخفيفَ إلاّ شاذًّا[2].

---

(1) التحريم: 6.

(2) راجع **القاموس**. وقوله: "والعين محذوفة" أي وهي الهمزة، وقوله: "ألزمت التخفيف" أي بإلقاء حركتها على الساكن قبلها، وقوله: "إلا شاذا" أي كقول الشاعر:

فلست لإنسي ولكن لملأك   تَنَزَّل من جوِّ السَّماء يصوبُ

والمعمور: بيت الله في السَّماء وهو في السابعة؛ يزوره كل يوم سبعون ألفَ مَلَك لا يعودُونَ إليه أبدا، كما أن المسجد الحَرَام بيته في الأرض. قوله: ها: هي التَّنبِيهية الدَّاخلة عَلَى اسْم الإشارة، حذَفه وأبقاها دالةً عليْه كقولهم: هَا أنا وهَا أنتِ أي هذا أنا وهذه أنتِ وكقول الشنفرى:

[فإن يك من جنٍّ لأبرح طارقاً] وإن يك إنسا ما كها الإنس تفعل

ونُبَهَا: جمع نبيه للفطن، أراد علماء.

يقول لما أراد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بناء بيت الله تعالى ـ بأمر الله تعالى لهما ـ ولم يهتديا إلى مِساحته نعتته لهما ريح كَنَسَتْ ما حول مكان البيْت حتى بدا ما أسَّست الملائكة قبلُ، أي أساس البنَاء الذي بنوه لآدم قبل رفع الله له إلى السَّماء حين أمر الماء بالانهمار، لئلا يكون من المغرقين؛ فنزه عن ذمهم بالإغراق[1]. وقال بعض العلماء هو الآن البيت

(1) عن جعفر الصادق أن سبب بنائه أن الله تعالى لما قال للملائكة ﴿إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ ـ الآية [البقرة 30] ـ فخافوا غضبه وأن يكون عاتبا عليهم اعتراضهم في علمه فعاذوا بالعرش وطافوا به سبع طوافات يسترضون ربهم ويتضرعون إليه، فرضي عنهم وقال لهم: ابنوا لي في الأرض بيتا يعوذ به من سخطت عليه من بني آدم ويطوفون حوله كما فعلتم بعرشي فأرضى عنهم، فبنوا البيت الحرام بمكة. وفي حديث عطاء وقتادة أن الله تعالى قال لآدم: يا آدم قد أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف بعرشي وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي. فانطلق آدم وطاف هو ومن بعده من الأنبياء. إلى أن كان الطوفان فرفع حتى أمر الله إبراهيم ببنائه فبناه وذلك قوله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾..الآية.. وروي أن آدم حج البيت من الهند أربعين حجة راجلا.

وللعلامة محمد مولود بن محمد بن المختار (امرابط اغشممت) المجلسي من نظم له:

<<=

المعمور وقيل هما مقترَنانِ ولكن لا يدرك ذلك الثقلان، والدليل على ذلك أن السرب من الطير يأتي مجتمعا جادا في طيرانه حتى يكاد يعلوا البيت فيحيد عنه كأنما عرض له شيء أحاده؛ وربما افترق حتى يجاوزه ثم يجتمع، وأجيب بأن البيت لا تعلوه الطير لئلا تطرح عليه فضلاتها كما تفعل بغيرِهِ.

--- >>

وأصل بيت ربنا الحرامِ	أن الإله مُنزلَ الأحكامِ
حين أراد خلقه لآدما	في الأرض أخبر ملائك السما
قالوا أتجعل بها من يفسدونْ	قال لهم أعلم ما لا تعلمونْ
فاستغفروا وجعلوا البيت حرمْ	فغفر الله بذلك لهمْ
فسالهم في الأرض بيتا يغفرُ	لكل طائف به يستغفرُ
فامتثلوا وبنوا البيت الحرامْ	بمكةٍ مولد أفضل الأنام - ﷺ -

وروي أن الله تعالى أمر آدم ببناء البيت فبناه هو وحواء، أسساه بصخر أمثال الخَلِفَاتِ - أي النوق التي في بطونها أجنة ـ وقد أذن الله تعالى للصخر أن تطيعهما، ثم أنزل البيت من السماء من ذهب أحمر ووُكّل به من الملائكة سبعون ألف ملك فوضعوه على أس آدم ونزل الركن، وهو يومئذ درة بيضاء ووضعه موضعه اليوم من البيت وطاف به آدم وصلى، فلما مات وليه بعده شئث فكان كذلك حتى حجه نوح، فلما كان الغرق بعث الله تعالى سبعين ألف ملك فرفعوه إلى السماء كي لا يصيبه الماء النجس، فلما نضب الطوفان كان مكان البيت ربوة من مدرة، وحج إليه هود وصالح ومن آمن بهما، ولم يزل كذلك إلى أن بعث الله إبراهيم وشب إسماعيل عليهما السلام فبنياه. ثم بنته جرهم إبَّان ولايتهم مكة، ثم بنته قريش وحضر بناءها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وثلاثين سنة، ثم بناه عبد الله بن الزبير، ثم بناه الحجاج بن يوسف.

أصل الحجر الأسعد وأصول حجارة البيت

ولأَبِي قُبيْسٍ اُودِعَ الحجَـرْ وحِينَ أَنَّـقَ الخَلِيلُ فِي حجَرْ
يَجْعَـلُـهُ مَكانَـهُ أنبَـأَهُ أَبُــو قُبَيْـسٍ أَنَّـهُ خَبَأَهُ

أبو قبيس: جبل بمكة بالجهة الشرقية، سُمي برجل من مَذْحج حَدَّادٍ لأنّه أول من بنى فيه ـ اهـ من القاموس. وفي سيرة ابن إسحاق: سمي برجل من جُرهُم هامَ بِبِنتِ عم له فخبله الحب حتى هام على وجهه فدخل في ذلك الجبل فلم يعلم له خبرٌ بعد ذلك فسمي به الجبلُ. **والحجر**: هو الحجر الأسعد، وأصله ياقوتة أهبطت من الجنة لآدم لِيَستأنس بها وكانت تضيء وحيث بلغ ضوءها هو الحرم؛ وعليه نصبَ أعلامَ الحرم أجلّةُ قريش حين بعثهم عمر يحدونَ الحرم، وعن بعض معمَّري الصحابة أنه يعرفه أبيض[1].

---

(1) روى الترمذي من طريق عبد الله بن عمر مرفوعا أن الركن الأسود والركن اليماني ياقوتتان من الجنة، لولا ما طمس من نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب. وعن ابن عباس أن الله تعالى أنزل الحجر الأسود أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم. وفي حديث عطاء وقتادة أن آدم عليه السلام لما أهبطه الله تعالى من الجنة وفقد ما كان يسمعه ويأنس إليه من تسبيح الملائكة استوحش حتى شكى ذلك إلى الله تعالى في دعائه وصلاته فوجهه إلى مكة وأنزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت.

يقول محمد مولود بن محمد بن المختار أغشممت:

وبعدما من الجنان نزلا آدم واشتاق إليها أنزلا
ربُّ الورَى الحَجرَ الاسعدَ له يؤنسه لَمَّا اعتراه الولهُ
فكان في الكعبة كالمرايا وسوَّدت بياضَه الخطايا
ومرتين زايَل البيتَ العتيق وضبَّبُوه بعد كسر المنجنيق
وجعلوا استِلامه مبايَعهْ ورفْعُهُ جبريل قرب الواقعه
من أعظم الأشراط ذات الشان فينتهي به إلى الجنان إلخ..

وأنق: تخير. **وأنبأه**: أخبره. **وخبأه**: ستره وغيبه.

يقول: لما بنى إبراهيمُ وإسماعيلُ البيتَ و لم يَجدَا الحجر جعل إبراهيمُ عليه السلام يطوف في تلك الجبال يتخير **حجرا يجعله** في موضعه، **فناداه أبو قبيس** وأخبره أنه أُودِعَ له فأخذه إبراهيمُ فجعله مكانه في البيت.

كِلاهُما إذ يَبنِيَانِ يَصْدَعُ بِأَمْرِ الاخَرِ وَعنْهُ يَسْمَعُ

معَ تخَالُفِ اللِّسَانَيْنِ، وفِي سَبْعِ جبال أُخِذَتْ كُلُّ الصُّفِي

يصدع: يحكم. يقول كِلا إبراهيم وإسماعيلَ حين يبنيان البيت يسمع كلامَ الآخر ويحكمُ بأمره وهما مختلفا اللغتين، أمَّا إبراهيمُ فأعجمي اللسان أوَّل أمره سرياني ثم تكلم بالعبرانية[1]، وأما إسماعيل فعربي اللسان تعرب من العمالق إذ ساكنوه بمكة. **والصفي** التي بنى منها البيت أخذت من **سبعة جبال** أو ستَّةٍ، وهي طُور سيناء وطور تيناء والجودي ولبنان بالشام وأبو قبيس وقعيقعان بمكة[2]. أمَّا طور سِيناء فهو الذي كلم ا لله تعالى موسى

---

(1) كان إبراهيم سرياني اللغة وإنما نطق بالعبرانية حين عبر النهر فارا من النمرود وبذلك سميت العبرانية، وأما السريانية فسميت بذلك قيل لأن ا لله تعالى لما علم آدم الأسماء كلها علمه سرا من الملائكة وأنطقه بها حينئذ. [**سموط الذهب**].

(2) في السهيلي وغيره أن إبراهيم عليه السلام بنى البيت من خمسة أجبل كانت الملائكة تأتيه بالحجارة منها، وهي طور تيناء وطور زيناء اللّذين بالشام والجودي ـ وهو بالجزيرة ـ ولبنان وحراء ـ وهو بالحرم ـ ثم قال: وانتبه لحكمة ا لله كيف جعل بناءها من خمسة أجبل فشاكل ذلك معناها إذ هي قبلة للصلوات الخمس وعمود الإسلام وقد بني على خمس، وكيف دلت عليه السكينة إذ هو قبلة للصلاة والسكينة من شأن الصلاة، قال عليه الصلاة والسلام: «وأتوها وعليكم السكينة والوقار»، وذلك أن إبراهيم عليه السلام دلته السكينة على البيت بأن ظللت له على موضعه كالجحفة لأن السكينة من شأن الصلاة فجعلت علما عليها حكمة من ا لله.

عليه السَّلام منه كما أتى في القرآن وأنزل عليه التوراة بجانبه، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾[1] - (قاله الثعالبي). وقال أيضا في تفسير سورة *والتين*: أقسم الله تعالى بطُورِ تينَاءَ وطور زينا وهما جبلان ببيت المقدس وكذلك طور سينا (وسينا وزينا: الحجارة، والطور: الجبل). وأما الجودي فهو الذي استوت عليه سفينة نوح عليه السلام. وأما لبنان فجبل بالشام ويقال له جبلُ الأولياء[2] لأنهم يسكنونه أبدا ويلتقون به كثيرا، وهو الذي في قول أبي دهبل الجمحي يمدح ابن الأزرق:

إن تَغْـدُ من منهلَيْ نجـران مرتحلاً ... يَبِنْ من اليمـنِ المعروفُ والجُـودُ

إعلـم بأنِّي لِمن عَادَيْت مضطغن ... ضنا وإني عليك اليوم محسـودُ

وإنَّ شكـرك عندي لا انقضاءَ له ... ما دام بالهضـب من لبنان جلمودُ

وعندي أن السابع طُور زينا ولكن لم يحضرني الآن عزوه، وقيل غير هذا في عدد الجبال وتَسْمِيتهَا.

وَكُلَّمَا طَالَ البِنَـاءُ ارْتفَعَا ... بِه المَقَـامُ في الهَـوَا وَرُفِعَا

بِهِ القَوَاعِـدُ وَفيـهِ القَدَمُ ... تُشْبِهُها لِلْهاشِمِيِّ قَـدَمُ

---

(1) القصص: 46.

(2) وفي الحديث: «لا تسبُّوا أهل الشام فإنَّ فيهم الأبدال» - رواه الطبراني في *الأوسط* عن علي. وقد ساق العجلوني حديث الأبدال من عدة طرق وسبقه لذلك السيوطي في *اللآلي* فقال: له طرق أخرى عن أنس، قاله متعقبا لابن الجوزي لما ذكر حديث: «الأبدال أربعون رجلا..» في الموضوعات. قيل سموا بالأبدال لأنهم أبدال الأنبياء أو لأنه كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه آخر أو لأنهم بدلت سيئاتهم حسنات.

يقول: كلما طال بناء البيت بإبراهيم حتى يفوته أعـلاه طال به المقام ـ وهو صخرة عظيمة ـ حتى يبلغ فوقه فيبني عليه، ولم يزل كذلك إلى أن تمم البناء وبقي في المقام أثر قدم إبراهيم عليه السلام إلى أن أدركه المسنُّون من الصحابة من قريش؛ وكان أبو جَهم بن حُذَافَةَ بن غانم العدوي يقول: ما رأيت شبها كشبه قدم النبي ﷺ بقدم إبراهيم عليه السلام التي كنا نجدها في المقام، وأبو جهم حضر بناء البيت مرتين: بناءَ قريش وبناءَ ابنِ الزبير.

وحِـينَ بِالحَـجِّ الخَـلِيلُ أَذَّنَا وفِي كِـلا أذْنيْهِ اصْبُعا ثَنَى

أَيْضًا كأطْـولِ الْجِبَال ارْتَفَعَا بِهِ وكُـلَّ مَن يَحُجُّ أسْمَـعَا

يعني أن المقام ارتفع أيضا بإبراهيم حتى بلغ أطول الجبال حين قال لهُ الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾[1] فقال: يا رب وما يبلغ ندائي في الناس؟ قال عليك النداء وعليَّ الإسماع، فثنى إصبعيه في أذنيه وقال: أيُّها الناس إن لله بيتا فحجوه. فلَبَّاه كل من أراد الله به الحج في أصلاب الرجال[2].

ورَبَضًا كانَ، وحِـينَ انفَجَـرا لآجَـرَ الماءُ لها الخَلْقُ جَرَى

---

(1) الحج: 27.

(2) رواه البخاري. قيل خرج إبراهيم ثلاث مرات إلى مكة يدعو الناس إلى الحج فأجابه كل شيء سمعه، فأول من أجابه جُرهم قبل العماليق ثم أسلموا؛ ورجع إبراهيم إلى بلد الشام فمات وهو ابن مائتي سنة. [الطبقات الكبرى لابن سعد].

الربض (محركة): مأوى الغنم. وانفجر: سال. والماء: يعني زمزم. وآجر: لغة في هاجر.

هاجر وابنها إسماعيل بعدما ودَّعهما إبراهيم

يعني أن البيت كان زريبة غنم إسْماعيل قبل بنائه هذا، بعدما كانت البقعة خلاءً، حتى انفجر الماء لآجر فجرى لها الناس يرغبون في مساكنتها لدعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾[1]، وسبب انفجار الماء أنه لما ودَّعهُما إبراهيم عليه السلام واستودعهما الله وترك عندهما ركوة ماء وصاع تمر - كما قدمنا - جعلت هاجر تأكل من التمر وتشرب من الماء ويدر ثديُها على الصبي، حتى فرغ الماء وعطشت فغرز ثديها عن الصبي وعطش وجاع.. فاشتدت الحال؛ قال:

كل أمر ناب النبيين فالشدة فيه محمودة والرخاءُ

ثم ذهبت تطلع هل ترى أحدا أو تجد شيئا، فجاءت إلى الصفا والمروة. فلم تزل تصعَدُ إحداهما وتَهْبِط منها راملة ساعية إلى أن تصعد على الأخرى إلى أن فعلت ذلك سبعا (وهو أصل السعي بين الصفا والمروة)، وفي أثناء أشواطها سمعت نبأة فقالت: مَهْ - تريد نفسَها - فلم تجد شيئا؛ فسمعت ثانية.. إلى ثلاث فقالت: قد سمعت إن كان عندك غواث، فبادرت الصبي فوجدت الماء سائلا تحت قدميه فجعلت تحفر له وتجمعه.

---

(1) إبراهيم: 37.

قال صلى الله عليه وسلم: «رحم الله أمَّ إسماعيل لو تركت زمزم لصارت عينا مَّعِينًا»[1].

ثم قال رحمه الله:

أوَّلُ مَــن ساكنَــها العَمَالِــقُ   وإذ بَغَى فِي الحَـرمِ الزَّنَادِقُ
أَخْرَجَهُم مِّنْهُ مُضَاضُ الجُرْهُمِي   وإذْ إلَى مكَّــةَ سَيْــلُ العَرِمِ
أجْلَى خُــزاعَةَ وضَنَّتْ جُرْهُمُ   بِأن يُقِــيمَ سَبَــأُ مَّعَهُـــمُ
بِقَدْرِ مَا يَنتَجِعُــونَ شَــرَّدا   بِجُرْهُـمٍ خُزاعَــةٌ وكُلٌّ دَا

العمالق: القبيلة البائرة وهم المعْنِيُّونَ **بالزنادق** و**أل** فيه للعهد. **ومضـاض**: هو ابن عمرو[2] الجرهمي سيد جرهم وجَدُّ مضاض الأصغر بن عمرو بن مضاض الأكبر بن عمرو، وهو أبو رعلة بنت مضـاض؛ تزوجهـا إسمـاعيلُ وولد له منها عشرة بنين ذكورا منهـم نـابت بـن إسمـاعيل الـذي أعطـى المفاتيح لخاله مضاض الأصغر. **والعرم**: قيل هو الجُـرَذُ الذكـر، وقيـل المطـر الذي كان منه ذلك السيل وقيل اسم الوادي. **وضنت**: بخلت. **وسبأ**: يعـني خزاعةَ على القول بـأنهم بنـو حارثـة الغطريـف، إخـوة الأوس والخـزرج. **والانتجاع**: طلب الكلأ، وهو هنا طلب المنزل. **والتشريد**: الطرد.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح.

(2) ابن سعد بن الرقيب بن هيِّ بن نبت بن جرهم.

مساكنة العمالق لهاجر وإسماعيل ثم إجلاء جرهم لهم

يقول: أول من ساكن هاجر بعد الفرج عليها بتفجير الماء العمالقُ، وابتداءُ أمرِهم أن خرج منهم فتَيان ينشُدان ضالةً لهما فأدركهما المقيلُ يوما قرب مكة فقالا؛ فلما أرادا الرواح ذهب أحدهما ليأتي بالناضح، فأتى صاحبه فقال له: لعل بهذا الوادي ماء.. رأيت طائرا يحوم ما أراه يحوم إلا على الماء، فقال له صاحبه: والله ما به قط من ماء؛ فأبى إلا أن يتبعاه فتبعاه حتى هَداهُما إلى هاجرَ وإسماعيلَ فباتا معهما وأطعماهما من لحم كانا متزودَيْن به فاستشاراها على الإتيان بأهلهما فقالت: نعم ولكن لا حظ لكم في الماءِ.

فأتيا بأهلهما فساكنوها إلى أن أدرك إسماعيل وشب مع فتيانهم فتزوج امرأة منهم قيل اسمها عمارةُ بنت سعد، وتزوجت هاجرُ برجل منهم يقال له أرويا، فلم يزالوا معهما إلى أن بغوا في الحرم فسلط الله عليهم جرهما وسيدُهم مضاضُ الأكبر بن عمرو، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ - الآية[1] - فأخرجهم جرهم من مكة، فساكنوا بها إسماعيلَ.

ولم يزل إبراهيمُ يزورُ إسماعيلَ بمكة من دمشق على البُراق كما تقدم؛ فجاء يوما ولم يصادف إسماعيلَ فسأل عنه امرأته وسألها عن حالهم فأخبرته بشرِّ الخبر، فقال: إن أتَى زوجُك فقولي له ليحول عتبة بابه؛ فلما جاء إسماعيل آنس شيئا فقال لها: هل أتاكم اليوم أحد؟ قالت: أتانا شيخ

(1) الحج:25.

من أمره كذا وكذا.. ولم تمدحه له، فقال لها: ما قال لك؟ قالت: قال لي: إن أتى زوجك فقولي له ليحول عتبة بابه، فقال: ذلك أبي أمَرَنِي أن أطلِّقَك فالحقي بأهلك.

ثم تزوج الجرهميةَ فجاء إبراهيمُ أيضا ولم يصادفه فسأل عنه زوجتَه فقالت: خرج يتصيد لنا، فسألها عن حالهم فشكرت له وقالت: ألا تنزل عندنا، فلم يفعل؛ فقالت: هلم أغسل لك رأسك وأرجله، فأومأ لها برأسه عن الدابة حتى رجَّلَتْهُ وهو واطئ بقدمه على حجر، فبقي أثره فيه. فرجلت شقه ثم أومأ لها بشقه الثاني وهو على الدابة لم ينزل، ففعلت به كذلك، وقال لها إذا أتى زوجك فقولي له ثبِّت عتبة بابك؛ وراح إلى دمشق. فلما جاء إسماعيل آنس شيئا فقال لها: هل دخل عليكم أحد اليوم؟ قالت: نعم دخل علينا شيخ من صفته كذا وكذا.. وأثنت عليه، فقال: هل أوصاكم بشيء؟ قالت: أوصانا أن نقول لك: ثبت عتبة بابك، فقال: ذلك أبي أمرني أن لا أطلقك.

ثم ماتت هاجرُ ولها تسعون سنة، قيل قبل بناء البيت وقيل حضرته، وكانت تَدْعُو وتَقُولُ اللهم كذا وكذا. وحج إبراهيمُ البيت بعد بنائه مع سارة ثم رجع إلى الشام ومات بهِ. وبعد ما بنى البيت جاءه جبريلُ يريه المناسك مع إسماعيلَ فلما كانوا بعرفة قال له: عرفت كذا وعرفت كذا، فسميت عرفة؛ وقيل سميت لأن آدم وحواءَ تعارفا بها بعد

الهبوط من الجنة[1].

إجلاء خزاعة لجُرهم

ثم بعد مساكنة العمالق لها ساكنها جرهم، فلما بغوا قيض الله لهم جلاء اليمن بسيل العرم، فانخزعتْ خزاعة عن ورد غسان إلى مكة فنزلوا على جرهم، فأقاموا معهم ثلاثاً يقرونهم؛ ثم قالوا لهم: الضيافة ثلاث فارتحلوا عنا، قالوا: نعم ولكن أمهلونا اليوم حتى نَنتَجع منزلا، فقالوا: لا تقيمون معنا يوما واحدا؛ فاقتتلوا. فأعان الله خزاعةَ على جرهم بالأمراض كالرعاف والنمل وغيرهما، فكان النملُ يدخل في أعينهم ومناخرهم.. حتى هزموهم وأجلوهم؛ فخلفوا بعدهم على الحرم وأخذوا المفاتيح.

ثم بعد ذلك انفلتت إبل عمرو بن الحارث بن مضاض فتوجهت إلى أوكارها بالحرم فتبعها فلم يقدر عليها إلى أن دخلت مكة على خزاعة، فلما دنا عمرو من مكة أشرف على جبل فرأى إبله تنحر يمينا وشمالا فأنشأ يقول[2]:

---

(1) وللعلامة الحسن بن زين القناني:

عرفةٌ عَرفت آدمَ به — حَوَّاءُ من بعد هُبوطه وهِي

فَزغْرَدتْ لـفَرَحِ التّلاقي — مَعْه وحَسْم أمَدِ الفراقِ

وأرسلَتْها سُنةً مِن ثَمَّا — عندَ المَسَرَّة إلى هلمَّا

وذيله العلامة يحظيه بن عبد الودود بقوله:

وصامه وصَومُه استقرَّا — من صَومِهِ إلى هَلُمَّ جرًّا

(2) وقائلة والدمعُ منها مبادرُ — وقد شرقت بالدمع منها المحاجرُ

كأن لم يكن ..إلخ..

كأن لم يكــن بين الحَجُون إلى الصَّفا	أَنِيـسٌ ولم يَسْمُــرْ بمكَّةَ سامِــرُ[1]
بلى نــحن كنّا أهلَـــها فأبادنا	صُرُوفُ الليالي والجُـــدودُ العواثرُ
وكنا ولاةَ البيـــتِ من بعد نَابتٍ	نطوفُ بذاك البيتِ والخيرُ ظاهــرُ
ونحـــن وُلاةُ البيــت من بعـد نابت	نعز فلا يحـــظى لديْنا المُكاثـــرُ
ملكنا فعـــــززنا فأعظـمْ بملكنا	فليس لحيٍّ غــــيرَنا ثَمَّ فاخِــرُ[2]

(في قصيدة).

وروى السهيلي أن امرأة من بقايا جرهم اكترت بعيرا من رجلين من جهينة من مكة إلى خيبر، فلما كانوا قربها سلط الله عليها النملَ يدخل

---

(1) ولم يــتربـع واسطا وجنوبــه	إلى السرِّ مـن واد الأراكة حاضرُ
فقلـت لها والقلـــبُ مني كأنما	يلجلجــه بين الجناحين طائــرُ
بلى نـحن كنا أهلها ..إلخ..

(2) بعده:

فإن تنـثـــني الدنـيا علينا بحالها	فإن لها حالا وفيها التشاجــــرُ
فأخْرَجَــنا منها المليك بقـــدرة	كذلـك يا للناس تجـــري المقادرُ
أقـــول إذا نام الخلــي ولم أنم	أذا العــرش لا يبعد سهيل وعامرُ
وبُـــدِّلْــتُ منها أوْجُهًا لا أحبُّها	قبائــــل منها حمــير ويحابــرُ
وصـــرنا أحاديثا وكنا بغبطـــة	بذلك عضتنا السنـــون الغوابرُ
فسَحَّتْ دموعُ العــين مني لبلدة	بها حَــــرَمٌ أمنٌ وفيها المشاعِرُ
ونبكي لبيــت ليس يؤذى حَمامُه	يظــــل به أمنا وفيه العصافـــرُ
وفيه وحــــوش لا تُــرام أنيسةٌ	إذا خرجت منه فليســـت تغادرُ
وأبدلـــني ربـــــي به دار غربـة	بها الجـــوع باد والعدو المحاصرُ

في مناخرها فلما يئسا منها مضيا وتركاها تدعو بالويل والثبور.

ثم رجعت جرهم إلى ديارهم باليمن فأقاموا بها حتى هلكوا.

وقال عمرو بن الحارث بن مُضَاضٍ أيضا يذكر بكر بن كنانة وغبشان وسكان مكة الذين خلفوا فيها بعدهمْ:

يا أيها الناس سيروا إن قصدكمُ — أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

حثوا المطايا وأرخوا من أزمَّتها — قبل الممات وقضوا ما تُقضونا

كنا أناسًا كما كنتمْ فغيّرَنا — دهرٌ فأنتمْ كما كنا تكونونا

ثم قال رحمه الله:

وجُرهُمٌ سَلِيلُ قَحْطَان وقَدْ — قِيل سَلِيلُ مَلَكٍ عَصَى الصَّمَدْ

وبَاضَعَ المَلَكُ في العمالِقِ — وذَاكَ بالمنصِب غَيرُ لائقِ

بلْ هُوَ مِن مُّختلَقَاتِ جُرهُمِ — وعنهُ يُعْرِب مقَالُ الجُرهُمِي:

«لاهُمَّ إن جُرهُماً عِبَادُكا — والنَّاسُ طَارِفُ وهُمْ تِلادُكَا»

السليل: الولد والسليلة البنت. **وقحطان:** أصله في العَجَمِيَّة يقطن فعرب بقحطان بن عَابِر بن شالخ بن ارْفخشد بن سام بن نُوح، وهو أصل اليمنية كلها ولا يَشُذُّ عنه أحد منهم[1]، ومقتضى الأخبار أن جرهما قبل قحطان

(1) والمشهور منهم شَعبان: جرهم ويعرب، ويعرب هو أصل عرب اليمن ومنه تناسلوا، ومن ولده سبأ بن يشجب بن يعرب ومنه تفرعت جميع قبائلهم ومن أعظمها وأكثرها حمير وكهلان، وسيأتي الكلام على قحطان عند قول الناظم: **قحطان إما حضرموت**..إلخ..

ـ (اهـ من **القلقشندي**). **والجرهم** في اللغة: الضخم، يقال ناقة جراهمة إذا كانت ضخمة. **وباضع**: تزوج أو جامع (من المباضعة أو من البُضع ـ بالضم ـ وهو الجماع أو الفرج). **والمنصب**: الأصل، يعني منصب الملائكة. **والمختلقات**: المفتريات. **والطارف** والطريف: المال المستحدث. **والتلاد** والتالد والتليد ـ وغيرها من لغات كثيرة ـ: ما ولد عندك من مالك.

يعني أن جرهما: ابن قحطان، على قول[1]؛ وزعمت جرهم أنه ابن مَلَكٍ عصى الله في السماء فأهبطه إلى الأرض فألقى عليه الشهوةَ فتزوج من العمالق فولد جرهما، وهذا يدل على أن جرهما تأخروا عن العمالق في النسب (فإذا يجوز أن يكون جرهُم بن قحطان)، والقول أنهم من المَلَك لا يليق بمنصب الملائكة بل ينزهون عنه لكن هو من مفتريات جرهم، والافتراءُ: الإفك؛ وهو معنى قَوْل الجرهمي، أي بيته: **لاهم إن جرهما**..الخ..

وغَاضَ زَمْزَمُ لِبغْيِ جُرْهُمِ   وخَبَؤُوا فيه هَدَايَا الحَرَمِ
لَيْلاً إذ ازْمَعُوا الجَلاَ وطَمَسُوهْ   ولمْ يَزَلْ غُفْلاً لَدَى مَن آلفُوهْ

غاض الماء: قَلَّ ونقص، قال تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾[2]ـ اهـ من **القاموس** والجلال السيوطي. **وزمزم**: بئر بني عبد المطلب بالكعبة. **والبغي**: الظلم

(1) وقيل إنه ابن لاوذ بن سام بن نوح، كما سيأتي (ص102).
(2) هود: 44.

والعدول عن الحق. و**خَبَؤُوا**: غيبوا وستروا. و**هدايا الحرم**: ما يهدى إليه. و**أزمعوا الجلا**: عزموا عليه. و**طَمَسُوه**: محوه ودرسوه واستأصلوا الأثر إليه. و**غفلا**: مجهولا لا علامة عليه ولا سمة لَهُ لدى الذين سكنوا مكة. و**آلفوه**: صاحبوه أي بالاجتماع معه.

يعني أن جرهما لما بغوا في الحرم ظهر لهم من العقوبة بالبغي أن غاض زمزم، فلما أرادوا الجلاء ألقوا فيه هدايا الحرم وردموه عليها ومحوه حسدا لخزاعة؛ فلم يزل مجهولَ المَحَلِّ عند خزَاعَةَ ومَن بعدَهم من قريش إلى عبد المطلب[1].

رؤيا عبد المطلب التي دلته على مكان زمزم

ودُلَّ شَيْبَةُ عليهِ بِالدَّمِ والفَرْثِ والنَّمْلِ ونَقْرِ الأعْصَمِ

شيبة: عبد المطلب، ولد وفي رأسه شيبة فسمي بذلك. يعني أن عبد المطلب لما ترأس قريشا وصار إليه جُل أمرهم ـ وذلك كله ببركة رسول الله ﷺ ـ مكث ثلاث ليالٍ كل ليلة يأتيه آت في المنام يقول له: اذهب إلى قرية النمل ونَقْر الغراب الأعصم بين الفرث والدم فاحفر تجد زمزم. فخرج فوجد قرية النّمل ورأى الغراب الأعصم ينقر فيها و لم يجد فرثا ولا دما، فبقي متحيرا لوجوده بعض رؤياه وفقدانه البعض؛ فبينما هو كذلك إذ اقبل نفر من الحُمس يطردون بقرة فذبحوها ونثروا فرثها حيث كانت

---

(1) يروى أنها بقيت غفلا بعد جرهم زهاء خمسمائة سنة لا يعرف مكانها.

قرية النمل ونقر الغراب بين الفرث والدم، فشرع في الحفر وكلما مر به أحد من قريش ينهاه ويقول له أتعبت نفسك لا غير، ولا يكترث بقولهم. فلما عثر على أصل البئر طلبوا منه أن يعينوه لئلا يستبد به فامتنع، ثم كانوا يقولون له إنه بيننا و لم يكن لك خاصة، فلما استخرج المال ونبعَ الماءُ قالوا: أما المال فلا يكون لك دوننا، قَالَ أترضيكم عني واحدة؟ قالوا: وما هي: قال: القرعة، قالوا: لقد زدت على الإنصاف. فجعلوا السهام ثلاثة: سهم للبيت وسهم لعبد المطلب وسهم لقريش، وضربوها ثلاث مرات كلها يخْبَط سهم قريش فيها ويقع سهم عبد المطلب على السلاح المستخرج مع المال من البئر وسهم البيت على المال، فغرز عبدُ المطلب خشبة طويلة في جانب البيت وعلق فيها المال وحفر حياضا حول البئر يسقي منها الناس ـ (اهـ من الكلاعي وغيره).

تاريخ بناء البيت الحرام

وَمِنْ خَبَايَاهُ غَـزَالا ذَهَـبِ أَهْدَتْهُمَا الفُرْسُ لِبيْتِ العَرَبِ

يقول ومن **هدايا** البيت التي خبأت جرهم في زمزم صورة غزالين من الذهب أهدتهما الفرس قبلُ **لبيت العرب** ـ وهو الكعبة ـ أضافه للعرب لأنهم جيرانه وهم الذين بنوه مرات؛ أولها بناء جدهم إسماعيل مع إبراهيم، والثانية: بناء جرهم، قال زهير:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنَـوهُ من قريش وجُـرهمِ

والثالثة: بناء قريش له، وحضره النبي ﷺ وكان يحمل الحجارة على

عاتقه بلا فراش خوف التعري وقريش يجعلون أزرهم بينهم وبين الحجارة فيتعرون، فقال له عمه: يا ابن أخي اجعل إزارك بينك وبين الحجارة كما يفعل الناس، ففعل فزجره المَلَكُ فخرَّ مغشيا عليه فلم يعد إليها، فقال له عمه: ما لك يا ابن أخي؟ قال: نهيت[1]. فلما أتموا بناءه تنافسوا ـ أي القبائل ـ فيمن يضع الحجر في موضعه. ثم تراضوا على أنهم يحكمون أول من يخرج عليهم، فخرج عليهم النبي ﷺ فقالوا: هذا الأمين رضيناه، وكانوا يسمونه ذلك الاسم في الجاهلية لصدقه، فحكم بينهم أن يفرشوا ثوبا فيضعوهُ فيه وكل قبيلة تأخذ طرفا من أطراف الثوب ويحملونه إلى موضعه، ففعلوا ذلك؛ فلما حملوه أخذه النبي ﷺ بيده الكريمة الشريفة فوضعه، ولم ينتبهُوا لهذا ولم يقصده صلى الله عليه وسلم، ولكن خصه الله تعالى بهذهِ التكرمة ونزه الحجر عن لمس أيدي الكفرة النجسة.

الرابعة: بناءُ عبد الله بن الزبير له بعد ما صحح الحديثَ من رواية الثقات وشاور قريشاً وأحضرهم وقال: لا تتحدث قريش أني غيرت شيئا من قبلتهم، فلما أتم بناءه على قواعد إبراهيم بمشاورة قريش وإشارتهم تأنوا وتبصروا في من يضع الحجر في مكانه، فحانت الصلاة فأقاموها فقطع حمزةُ بن عبد الله بن الزبير صلاته فوضعه. والخامسةُ: بناءُ الحجاجِ ونَسْكت عنه.

---

(1) وردت قصة شهوده صلى الله عليه وسلم بناء الكعبة وأمر عمه له صلى الله عليه وسلم بجعل إزاره بينه وبين الحجارة في الصحيحين وفي مسند أحمد، وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال للعباس: نهيت أن أمشي عريانا. [رواه البيهقي في الدلائل وغيره].

وأوَّلُ من بنى البيت الملائكةُ لآدم عليه السلامُ، أمرهم ا لله تعالى بذلك؛ ثم بناءُ آدم، فكانت بناءاته ـ على الصحيح ـ سبعًا، وقيل بُني عشر مرات. (اهـ من الكلاعي والروض الأنف)؛ وذكر في البحر الزاخر بقية العشر، إحداها بناء شئث وإخوته بعد آدم وبناء العمالق وبناء قصي قبل قريش. والفرس الذين أهدوا الغزالين إلى البيت: الجيل المعروف، أهْل الأكاسرة وهم أبناء كيومرت بن أميم بن لاوذ بن سام بن نُوح.

وَلم تَزَلْ خُزاعَةُ أَهْلَ الْحرَمْ حَتَّى أزاحَهُم قُصَيُّ الخِضَمْ

أزاحهم: نحاهم وأبعدهم، أي في المعنى والحكم على البيت، لأنه لم يُبعدهم في المسافة. **وقصي** (كسمي): سمي بذلك لأن أمَّه أقصته، أي أبعدته عن أهله؛ واسمه زيد ويقال له أيضا مجمِّع، لأنه جمع قبائلَ قريش على مكة، قال حذافة بن غانم العدوي:

أبوكمْ قُصَيٌّ كان يدعى مجمِّعاً به جَمَعَ ا لله القبائل من فهر[1]

والخضم (كخِدَبٍّ): السيد الحمول المعطاء، خاص بالرجال؛ وبه أثنى

---

(1) وذلك حين انتصر على خزاعة وولي أمر مكة وملَّكه قومُه وأطاعوه فجمَّع قومه بعد تفرقهم في البلاد وقسم مكة بينهم رِبَاعًا وأنزل بعضهم بطاحها وبعضهم ظواهرها، فمن ثم قيل له مجمع، وقيل لمن سكن البطاح قريش البطاح ولمن سكن الظواهر قريش الظواهر، والأولى أشرف من الثانية. ومن قريش البطاح بنو هاشم، قال الشاعر يمدح رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم:

من بني هاشم بن عبد مناف وبنو هاشم بحار الحياء

من قريش البطاح من عرف النا س لهم فضلهم بغير امتراء

على قصي وهو أهل له. يقول: لم تزل خزاعةُ بعد جُرهم أهلَ مكة وسدنة البيت يفتحون متى شاؤوا ولمن شاؤوا حتى اشرأَبَّتْ[1] بركةُ النبي ﷺ لقريش ثم لقصي فأزاحهم عن ملك مكة والتحكم على البيت.

بِزِقِّ خَمْرٍ من أَبِي غَبْشَانِ   رَئِيسِهِمْ ذِي الغَبْنِ والخُسْرَانِ

نَالَ المَفَاتِحَ قُصَيٌّ وذَمَرْ   أخَاهُ مِن قُضَاعَةٍ حَتَّى انتَصَرْ

الزق، بالضم: الخمر، وبالكسر: السقاء؛ ولعله المراد هنا، أي بسقاء خمر. وأبو غبشان (ويُضم) خزاعيٌّ كان يلي سدانة الكعبة قبل قريش، فاجتمع مع قصي في شَرْبٍ بالطائف فأسكره قصي ثم اشترى منه المفاتح بزق خمر وأشهد عليه ودفعها لابنه عبد الدار وطيره بها إلى مكة. فأفاق أبو غبشان أندم من الكُسَعِيِّ، فضربت به الأمثال في الحُمق والندم وخسارة الصَّفقة. وفيه قيل: *أخسر صفقةً من أبي غبشان*؛ وفي خزاعة قيل:

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرتْ   بزق خمر وبيست صفقة البادي

باعت سَدانتها بالنّزر وانصرفتْ   عَنِ الحَطيم وظِل البيتِ والنّادي

ورئيس القوم: سيدهم، ويقال فيه الرَّيِّس (ككيس)، قال[2]:

---

(1) اشرأبت: أي ارتفعت وعلت، وفي الحديث: «ينادي مناد يوم القيامة يا أهل الجنة ويا أهل النار فيشرئبون لصوته..» أي يرفعون رؤوسهم لينظروا إليه. وقال ذو الرمة:

ذكرتك إذ مرَّت بنا أمُّ شادنٍ   أمام المطايا تَشرئبُّ وتسنحُ

(2) الكميت:

تَلْقَ الأمـانَ على حيَاض مُحَمَّدٍ ثـولاءُ مخرفة وذئـب أطلسُ[1]

لاَ ذِي تخافُ ولا لِذلكَ جُـرْأة تهدى الرعيـة ما استقام الرِّيِّسُ

وذمر: حض على القتال. وأخوه الذي ذمره من قضاعـة: رزاح بـن ربيعـة العذري؛ وعذرة من قضاعة كما يأتي إن شاء الله تعالى. وكـان قصـي في حجر ربيعة أبي رزاح، أقصته أمـه[2] فشـبَّ و لم يعلـم أن أهلـه قريـش ولا يرى إلا أنه من عذرة، فتكلم يوما مع شـباب منهـم فقـالوا لـه: إنما أنـت ملصق فينا ولست منا!. فدخل على أمه فذكر لها ذلك، فقالت: يا بني إنما أنت من الأكابر الكرام جيران بيت الله الحرام[3].

---

(1) الثولاء: النعجة التي بهـا ثـول؛ والثـوَل (بـالتحريك) جنـون يصيـب الشـاةَ فـلا تتبـع الغنـمَ وتستدير في مرتعها. والمخرفة: التي لها خروف يتبعها، والأطلـس: الـذي في لونـه غـبرة إلى السواد.

(2) مات عنه أبوه كلاب بن مرة فذهبت به أمه إلى قومها وهـو فطيـم فـتزوجت برجـل منهـم اسمه ربيعة بن حرام فكان قصي في حجره حتـى شـب وعلـم أنـه مـن قريـش وبلـده مكـة المكرمة.

(3) .. الذي تفد إليه العرب، فبلادك خير من بلادهم وقومك خير منهم، فعند ذلك أراد قصي الخروج إلى مكة فقالت له: لا تعجل حتى يدخل الشهر الحرام فتخرج مع حجـاج قضاعـة فإني أخاف عليك.. فخرج مع حجاجهم فقدم مكة على قومه فعرفـوا لـه فضلـه وشـرفه وأكرموه وقدموه عليهم. فسـاد فيهـم ثـم تـزوج حُبَّى بنـت حليـل رئيـس خزاعـة إذ ذاك فجاءت منه بأولاده، وكان حليل والد زوج قصي هذه هو آخر من ولي مفاتيح الكعبة من خزاعة ثم أوصى لها بالمفاتيح فقيل له إنها لا تقوم بفتح الباب وغلقه فجعل لها ولاية البيت وجعل فتح الباب وغلقه إلى أبي غبشان الخزاعي، فلما مات حليل رأى قصي أنه أولى بأمر مكة من خزاعة لأن قريشا أقرب إلى إسمـاعيل مـن خزاعـة، ثـم اتفـق أن اجتمـع هـو وأبـو غبشان في شرب بالطائف فأمهله حتى سكر فاشترى منه المفاتيح بزق خمر ـ كما مر.

يعني أن قُصيًّا لما أخذ المفاتيح دفعها لابنه عبد الدار فطار بها إلى البيت، فقالَ يَا بَني إسماعيل هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل قد ردها الله عليكم. فتقاتلت قريش وخزاعة واستنصر قصي أخاه رزاحَ بن ربيعة العذري ثم القضاعي فنصره، ثم تحاكموا إلى حاكم كنانة يعْمَر الليثي وهُوَ ابن عوف بن كعب بن عامر بن ليث فَشَدَخَ دِمَاء خُزَاعَةَ، أي هدرها، فسمي الشداخ، وقَضَى لِقُصي بالمفاتيح.

واتَّخَذَ النَّدْوَةَ لا يُخْتَرَعُ في غيْرِهَا أمْرُ ولاَ تَدَّرِعُ
جَارِيَةٌ وَيعْذرُ الغُلاَمُ إلا بأمْرِهِ بِهَا يُرَامُ

الندوة: دار لقريش بمكة يجتمعون فيها للرأي، بمنزلتها سقيفة بني ساعدة بالمدينة؛ وهي التي بويع فيها أبو بكر رضي الله عنه وعن من بايعه. ودار النَّدوة أي الجماعة وهي التي اجتمع فيها قريش يوم الزحمة، أي للمشاورة في أمر النبي ﷺ. وأوَّلُ من اتخذها قصي[1]. **ويخترع:** ينشأ ويبتدأ.

يعني أن قصيا لما غلب خزاعة على مكة اتخذ دارًا للجماعة وسماها **دارَ النَّدْوة** يجلس فيها ويأتونه يعرضون عليه الأمور ويحكم فيها، ولا ينشئون

---

(1) كان قصي هذا هو أول من أصاب ملكا من بني كنانة أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة واللواء والندوة، وحاز شرف مكة كله وكان أمره في قريش حيا وميتا كالدين المتبع لا يعمل بغيره، ومات قصي بمكة فدفن بالحجون فتدافن الناس بعده بالحجون.

أمرا حتى يُعرض عليه؛ حتى ان الجاريــة **لا تـدرع** حتـى تعـرض عليـه هـل تدرع أو تبقى في المِجْول[1]، ولا **يُعْذرُ الغـلام**: أي يختـتنُ، حتـى يشـاورَ في دار الندوة[2].

وباعَـها بَعْدُ حَكيمُ بنُ حِـزَامْ ۔ وأَنَّبُـوهُ۔ وتَصَـدَّقَ الْهُـمَامْ
سَيِّـدُ نَادِيه بِكُـلِّ الثَّمَـنِ إذِ العُلَى بِالـدِّينِ لا بِالدِّمَنِ

قوله: **بعد**: أي في زمن الإسلام، **باعها** من معاوية بن أبي سفيان بثلاثـة آلاف[3]، وكان اشتراها في الجاهلية من بني عبد الدار؛ **وحكيم بن حزام** هو السيد المشهور من سادات قريش في الجاهلية وهو ابن أخـي أمِّنـا خديجةَ، اشترى زيدَ بن حارثة في الجاهلية فوهبه لها فوهبته للنبي ﷺ، شهد بدرا مع قريش فأشار عليهم بالرجوع فامتنعوا وفَرَّ فَلَحِـقَ بعبـد ا لله وعبـد الرحمـن ابني العوام على جمل فنزل له عبد الرحمن واستنزل أخـاه عبـد ا لله، فقـال: إني أعرج لا أقدر على المشي وأخاف أن يدركـني الطَّلَب، فقـال لـه: ألا تنزل لرجل إن قُتِلتَ كفاك وإن أُسِرْتَ فَدَاك؟ فنزل عبد ا للهِ فأدرك وقتـل

(1) تدَّرع: أي تلبس درعها أي قميصها، والمجول(كمنبر): ثوب تلبسه الجاريـة الصغيرة تجـول فيه، قال امرؤ القيس بن حجر:

إلى مثلها يرنو الحليـم صبابـــة إذا ما اسبكرت بين درع ومجول

أي إذا كانت بين من يلبس الدرع من النساء ومن يلبس المجول من الصغار.

(2) هذا فضلا عن أنه لا يتزوج قرشي قرشية إلا فيها، وتيامنت قريش بفعل قصي فكانوا علـى ذلك بعد موته، وكان لا يدخل دار الندوة للمشاورة إلا من بلغ الأربعين.

(3) وجاء في سيرة ابن كثير والسيرة الحلبية وغيرهما أنه باعها من معاوية بمائة ألف.

ونجا عبد الرحمن، ثم أسلم. وكان اسْمُه عبد الكعبة فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن (اهـ من الزبيري). أسلم حكيم بن حزام يوم الفتح فقال له النبي ﷺ: «أسلمت على ما سلف لك من خير»[1]، يؤخذ منه أن الكافر يرى ما عمل من الخير في كفره إذا أسلم؛ واخْتلف العلماء في ذلك حتى قيل إنه يراه ولو لم يسلم، لكن المآل إلى الخلود في النار (نسأل الله العافية) لقول أبي لهب: ما وجدت بعدكم إلا أني سقيت يوم الاثنين في مثل هذه لعتقي ثويبة، وأشار إلى نقرة إبهامه[2]. وكان حكيم إذا اجتهد في يمينه

---

(1) متفق عليه، روي عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أرأيتَ أشياء كنت أتحنّث بها في الجاهلية من صدقة وعتق وصلة رحم فهل فيها من أجر؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أسلمت على ما سلف من خير».

(2) قال في *فتح الباري*: (205/1) قال المازري: الكافر لا يصح منه التقرب فلا يثاب على العمل الصالح الصادر منه في شركه، لأن من شرط التقرب أن يكون عارفا لمن يتقرب إليه والكافر ليس كذلك. واستضعف ذلك النووي فقال: الصواب الذي عليه المحققون أن الكافر إذا فعل أفعالا جميلة كالصدقة وصلة الرحم ثم أسلم ومات على الإسلام أن ثواب ذلك يكتب له. وقال البدر العيني في *عمدة القارئ*: (303/8): روي أن حسنات الكافر إذا ختم له بالإسلام مقبولة أو تحسب له فإن مات على كفره بطل عمله، قال تعالى: ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾. وذهب ابن بطال وغيره من المحققين إلى أن الحديث على ظاهره وأنه إذا أسلم الكافر ومات على الإسلام يثاب على ما فعله من الخير في حال الكفر واستدلوا بحديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أسلم الكافر فحسن إسلامه كتب الله له كل حسنة زلفها ومحا عنه كل سيئة كان زلفها وكان عمله بعد ذلك الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله تعالى». وفي حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا فإذا لقي الله لم يكن له حسنة»، وقال الخطابي: روي أن حسنات الكافر إذا ختم له بالإسلام محتسبة له فإن مات على كفره كانت هدرا.

يقول: والذي نجاني يوم بدر. أسلم معه يوم الفتح بنوه هشام وخالد وعبد الله وغيرُهُم، وسيَأتي إن شاء الله بعض مناقب حكيم في الكلام عليه.

وأنَّبوه: لاموه. **والهمام**: الذي يفْعل ما اهتم به من الأمر. **والنادي**: الجماعةُ. يقول إن حكيم بن حزام لما باع دار النَّدوة من معاوية لامَه أقاربهُ قالوا: بعت مكرمة قريش، فقال لهم: **العُلى بالدين** لا بالديار؛ وقد تصدق بجميع الثلاثة الآلاف التي أخذ عنها[1].

حِجَابَةً سِقَايَةً رِفَادَهْ لِواءً النَّدْوَةَ بالْقِلادَهْ

أَتْحَفَ عبْدَ الدَّارِ إِذْ رَآهُ دُونَ مَدَى إِخْوَتِهِ مَدَاهُ

حجابة البيت: سدانتُه أي خدمته. **والسقاية**: سقاية الحاج. **والرفادة**: مال تجمعه قريش بينهم يرفُدُون به الحاج أي يكسونه إذا بلي ثوبه ويحملونه إذا عطب بعيرُه ويُطعمونه. **وأتحف**: أكرم. **والمدى**: الغاية.

يعني أن قصيا لما رأى عبد الدار وهو أكبرُ بنيه، ولكن شرفُه وهمته دون شرفهم وهمتهم، أكرمَه بتقليده ـ أي إعطائه ـ هذه المكرماتِ الخمس ليبلغ بها رتبتهم. قوله: **بالقلادة**: جعلها كالقلادة لأنها كالحلي، أي حلاه بها، أو من تقليد الخليفة الوُلاةَ الأعْمالَ.

---

(1) وقيل إن الذي لامه هو عبد الله بن الزبير، وقال له: أتبيع مكرمة آبائك وشرفهم؟ فقال له حكيم: ذهبت المكارم إلا التقوى، والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة ألف وأشهدكم أن ثمنها في سبيل الله تعالى فأينا المغبون في ذلك؟.

وإِذْ بَنُــو عَبْدِ مَـنَافٍ سَادُوا   أَخْــذَ حُــلاَهُ كُلِّهَا أرَادُوا

وحَالَـــفُوا لأَخْذِهَا بالقَهْرِ   مِنهُم بُطُــونًا مِن صَمِيمِ فِهْرِ

زُهْــرةَ، تَيْمًا، حَارِثا وأَسَــدَا   خَمْسًا علَى أمْثَالِهَا كَانَت يَدَا

يعني أن بني **عبد مناف** لما **سادوا** وعرفت لهم السيادة استحقروا بني عبد الدار على أن تكون لهم هذه المكرماتُ وأجمعوا على أخذها منهم؛ هاشِمُهم ومطلبُهم وعبدُ شمسهم ونوفلُهم. ويذكر أن أول من قام منهم في ذلك فتى كان فيهم يقال له عمرُو بن أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف فساعدوه على ذلك ثم تنافست قبائل قريش الاثنتا عشرة؛ فحالفت بنو عبد مناف على أخذها منهم قهرا **بطونا**، وهي جمع بطن وهو بين القبيلة والفخْذ. قوله: **من صميم**: أي صريح قريش؛ وهم بنو زُهرة بن كلاب بن مرة، أخوالُ النبي ﷺ: بطن آمنةَ بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة وعبدِ الرحمن بن عوف وسعْدِ بن أبي وقّاص. والبطن الثاني بنو تيم بن مرة، بطن أبي بكر وطلحةَ بن عبيد الله وعبدِ الله بن جُدعان. والبطن الثالث بنو الحارث بن فِهر، بطن أبي عبيدةَ بن الجراح. والرابع بنو أسد بن عبد العزى، بطن الزبير بن العوام وحكيمِ بن حزام وأمِّنَا خديجةَ. وخامستهم بنو عبد مناف.

قوله: **خمسا**: جردها من التاء للمح القبيلة ونصبها على الحال أو صفة لألفاظ القبائل. وقوله: **على أمثالها**: أي على خمس قبائل أُخَر. **وكانت يدا**: أي جماعة، يقال: هم عليه يد واحدة.

وعَمَّـةُ النَّـبيِّ طَيَّبَتْهُـم بِطِيبِها "المُطَيَّبُـونَ" اسْمُهُـمُ
وغَمَسُوا في الطِّيـبِ أيْدِيَهُمُ ومَسَحُوا الْبَيْتَ بِهِ إذ أقْسَمُوا

عمة النبي: أمُّ حكيم البيضاء، توْأَمَةُ عبد الله، زوجُ كريز بن حبيب بن عبد شمس أمُّ أروى أمِّ عثمان.

يعني أن أم حكيم هي التي صنعت لهم هذا الطيب الذي تقاسموا به، ملأت جفنة من طيب فقربتها من البيت فقالوا من كان منا فليغْمِسْ يده في هذا الطيب ثم يمسح به البيت، فتتابعوا على ذلك فسموا **المطيبين**، قال يزيد بن معاوية:

ولها في المطيبين جدود ثم نالت ذوائب الأحلافِ

ثم قال رحمه الله:

وحَالفَتْ كَذَاكَ عبْدُ الدَّارِ قبائِلاً مِن فِهْرٍ الخيَارِ
هُصيْصُ، مَخْزُومُ، عَدِيٌّ وخَرجْ مُحارِبُ وعَامِرُ عَنِ الهَرَجْ
وغَمَسُوا فِي الدَّم ثم لعِقُوهْ "لَعَقَةُ الدَّم" هُمُ إذ لَحِسُوهْ

يعني أنَّهُ كَمَا حالفت عبد مناف أربعا من قبائل قريش، كذلك حالفت عبد الدار أربعا أخر، وهم هصيص؛ وهم قبيلتان سهم بن عمرو بن هصيص، رهطُ عمرو بن العاص وبني الحارث الستة ـ أو السبعة ـ المهاجرين إلى الحبشة؛ وقد نظمتهم في نظمي لمهاجري الحبشة فقلت:

هُمْ معْمر وحارثٌ سعيدُ وبشْرُهُم والسَّائبُ الشَّهيدُ
كذا أبو قيْسٍ كذا سعيدُ أخٌ لَّهُم من أمِّهم سَعيدُ

واختلف في أخيهم تميم فقيل هاجر الحبشة وقيل شهد بدرا كافرا وأسر ثم أسلم. و[القبيلة] الثانية جمح بن عمرو بن هصيص، رهط بني مظعون. والثالثةُ مخزوم المشهورون. والرابعة: عدي رهط عمر بن الخطاب وسعيدِ بن زيد.

وخرج عن الهرج: أي الوقوع في الفتنة، بنو محارب بن فهر؛ قبيلة ضرار بن الخطاب وعقبة بن نافع، وبنو عامر بن لؤي؛ قبيلة سهيل بن عمرو وعبدِ الله بنِ أم مكتوم.

وكيفية تحالفهم أنهم نحروا جزورًا فقالوا: من كان منا فليغمس يده في هذا الدَّمِ، فتواثبت القبائل إليه فقام الأسود بن حارثة العدوي فغمس يده فلعِقَها، ففعلوا مثل فعله فسموا **لَعَقَةَ الدَّم**[1].

ثُمَّ بِصُلْحٍ أَخَذَتْ رِفَادَهْ سِقَايَةً عَبدُ منافِ السَّادَهْ

يعني لم تزل القبيلتان الخارجتان تمشيان بينهما إلى أن رضوا بالصلح، فتصالحوا على أن لبني عبد مناف **السقاية والرفادة**[2]؛ وبَقِيت الحجابة

---

(1) ويقال للعقة الدم أيضا الأحلاف، وإلى ذلك أشار يزيد بن معاوية بقوله:

... **ثم نالت ذوائب الأحلاف**

وقد قيل إن لعقة الدم هم بنو عدي خاصة.

(2) وقد وليها منهم هاشم بن عبد مناف، وكان رجلا موسرًا؛ فكان إذا حان قدوم الحجيج في الموسم قام في قريش فقال: يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وإنكم يأتيكم في هذا الموسم زوار الله وحجاج بيته وهم ضيف الله؛ وأحق

<<=

بأيدي بني عبد الدار إلى يوم القيامة، وبقي اللواء بأيديهم إلى الإسلام، وبقيت دار النّدوة بأيديهم إلى أن اشتراها منهم حكيمُ بن حزام[1]

ولما أنْهَى الكلامَ على من تداول الحرم، وهو أول الكلام على الأنساب، لأنه ابتدأ بخبر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام جدي العرب ولأن البيت لم يتداوله إلا العربُ، شرع يتكلم على المُلحِ التي وعد بها وهي المختلقات وشبهُها، فقال رحمه الله:

--- >>

الضيف بالكرامة ضيفه، فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاما أيامهم هذه التي لا بد لهم من الإقامة بها فإنه والله لو كان مالي يسع لذلك ما كلفتكم به. فيخرجون لذلك خرجا من أموالهم كل امرئ بقدر ما عنده، فيضم إليه من ماله ما يكفي الحاج فيضيفهم حتى يصدروا. ولم يزل كذلك حتى مات بغزة في رحلة تجارية، فولي السقاية والرفادة بعده أخوه المطلب؛ وكانت قريش تسميه الفيض لسماحته وفضله. ولم يزل عليها حتى هلك بردمان من اليمن، فوليها عبد المطلب بن هاشم فقام بها أحسن قيام فشرف في قومه شرفًا لم يبلغه أحد من آبائه وأحبه قومه وعظم خطره فيهم وحفر بئر زمزم فكانت سقايته، وكان من أمرها وأمر نذره ذبح عاشر أبنائه ما كان. ولما مات عبد المطلب وَلِيَ السقاية بعده ابنه العباس. ولم تزل إليه حتى جاء الإسلام فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم له، فكانت بعده في بنيه دون غيرهم من بني عبد المطلب. ولما توفي العباس وليها بعده ابنه عبد الله ثم وليها بعده ابنه علي بن عبد الله بن عباس، ثم كانت بعده في ولده يتوارثونها.

(1) وقد قيل ان الندوة بقيت بالاشتراك بينهم.

بعض مختلقات العرب

القَوْلُ فِيمَا اخْتلقُوا واخْترقُوا ولم يَقُدْ إليْهِ إلا النَّزَقُ

الاختلاق والاختراق: مترادفان. **والنزق:** الطيش والخفة، وحاملهم عليه البطنة ورغد العيش، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾[1]، يعني بالمختلقين والمخترقين العربَ.

واختَلقُوا أن سِوى الحُمْسِ إذَا طَافَ بثَوْبِه الحَطِيمَ نَبَذَا

ومِنهمُ اسْتَعَار مَا يَطُوفُ بِهْ أو طَافَ عَارِيًا فَكانَ كالسَّبِهْ

الحُمس: أهل مكة، لأن حجرها أبيض إلى السواد. **والحطيم:** الحِجر، سُمي به لتحطم الناس فيه للدعاء، وقيل لانحطام الذنوب فيه. **ونبذ:** طرح.

يَعْني أن العرب اختلقوا أن غير أهل مكة إذا طاف بثوبه بالبيت طرحه في الحطيم ولم يزل مطروحا تطؤه الناس لا ينتفع به ويسمى اللقى، قال الشاعر:

فوا حزنا كري عليه كأنه لَقًى بين أيدي الطائفين حريمُ[2]

واستعار منهم ـ أي من الحُمس ـ ثوبا يطوف به، ويترك ثوبه حتى يتم

---

(1) الإسراء: 16.

(2) الحريم: ما كان المحرمون يلقونه من الثياب فلا يلبسونه.

طوافه فيأخذه، أو طاف غير لابس شيئا حتى إذا تم طوافه أخذ ثوبه ولبسه. قوله: **فكان كالسَّبِه**: أي كالخرف؛ **والسَّبَه**: ذهاب العقل من الهرم، وكان عياض بن حمار بن أبي حمارٍ يطوف بثياب النبي ﷺ في الجاهلية، لأنه كان صديقا له وأسلم عياض بعد.

«واليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ   وما بَدَا مِنْهُ فَلا أُحِلُّهُ»

قَالَتْهُ مَخطُوبَةُ هادي أُمَّتِهْ   قِيلَ لِذَاكَ لَمْ تَفُزْ بِعِصْمَتِهْ

الضمير في **بعضه أو كله**: لفرجها. **ولا أحله**: أي على من ينظر إليه من أهل الطواف. **ومخطوبته** صلى الله عليه وسلم: ضُباعَة بنت عامر[1] بن قرط بن قشير رضي الله عنها، أم سلمة بن هشام وله تقول:

لاهم رب الكعبة المحرمةْ   أظهرْ على كل عدوٍّ سَلَمَهْ

---

(1) كانت ضباعة بنت عامر هذه قد جاءت إلى مكة في الجاهلية لتطوف بالبيت ولم تكن من الحمس، فنزعت ثيابها وطافت عريانة وهي تنشد: اليوم يبدو بعضه أو كله..إلخ.. فلما انتهت من طوافها تزوجها عبد الله بن جدعان التيمي، ثم جاء هشام بن المغيرة المخزومي وقال لها: أنا خير لك من هذا الأبخر، فقالت: وما ذا أصنع؟ قال: اطلبيه أن يطلقك، فقال ابن جدعان: أقبل على أن تنحري مائة بدنة للبيت وأن توصلي ما بين الصفا والمروة بخيط غزل، فقال هشام: أما الإبل فعلي نحرها وأما الغزل فآمر به نساء بني مخزوم، ففعل، وتزوجها فأنجبت سلمة بن هشام رضي الله عنه؛ وأسلمت ضباعة بمكة وهاجرت. وروي أن سلمة لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها منه فقال سلمة: أستشيرها، فلما استشارها قالت: أتستشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني؟ فلما أراد الرجوع إليه قالت: لعله أخبره من حضر أني كبرت وما بقيت كما كان يعلم، فرجع سلمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: قد رضيت، فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجبه، وبذلك صارت معدودة من مخطوباته صلى الله عليه وسلم.

ولم تفز: لم تظفر. **والعِصمة** (بالكسر): المنع والقلادة؛ يقال فلانة في عصمة فلان أي مَنْعِه، لأنه يمنعها من تزويج غيره؛ ولا يقال فلان في عصمة فلانة لأنها لا تمنعه من تزويج غيرها؛ وقيل لأنه يتقلد لها بالكسوة والنفقة ونحوهما (اهـ من الروض الأنف). وقَوْلُهُ: **قيل لذاك**..إلخ: هذا مما يقوله السُّهيلي من نفسه، قالَ إن النبي ﷺ غَيُورٌ فلو تزوجها وسمع البيت اعترته الغيرة (انتهى). وهي إنما منعها من تزويج النبي ﷺ أن أبا بكر أخبره أن بها كبرةً. يقول: **واليوم يبدو**..إلخ: هذا البيت قالته ضباعة بنت عامر في الجاهلية.

واخْتَلَقُوا التعشِيرَ: أن يُّعَشِّرَا مِنَ النَّهيقِ بحِذاء خَيبرَا

وطيْبَةٍ آتيهِمَا لِيَسْلَمَا بِذلكَ التَّعْشِيرِ مِن وَبَاهُمَا

النهاق والنهيق: للحمار. **وخيبر**: مدينة اليهود المعروفة؛ فتحها النبي ﷺ في العام السابع. **وطيبة**: من أسماء المدينة الكثيرة التي من كتبها وغسلها بماء ثم شربها برئ من حمى الرِّبْع[1]. **ووباهما**: حُمَّاهُما التي انتقلت من المدينة

---

(1) قاله في *خلاصة الوفاء*، كما ذكر الشارح عند قول الناظم: **والجيش ذا جهزه خير نبي**.. الخ. وقال القسطلاني إن للمدينة عشرين اسما، وقال إنها إذا كتبت وعلقت على المحموم برئ بإذن الله [سموط الذهب]، والتحقيق أن أسماءها تزيد على العشرين، ومن أسمائها: المدينة، وطيبة، وطابة، ودار الهجرة، ودار الفتح، ودار الإيمان، ودار السلامة، ودار السنة، ودار الأبرار، ودار الأخيار، وقبة الإسلام، وبيت الرسول، وحرم الرسول، ومدخل صدق، وأكالة القرى، والمحفوظة، والمرزوقة، والحبيبة، والحسنة، والمختارة، والشافية، والمسكينة، والمؤمنة، والمباركة، والمقدسة..

إلى الجحفة بدعاء النبي ﷺ.

يقول: ومن مختلقاتهم أيضا أن آتي المدينة أو خيبر يُعشر حولها من نهيق الحمير جاثيا على ركبتيه فيسلم بذلك التعشير من حُمَّاهما، وفي ذلِكَ يقول عروة بن الورد العبسي:

وقالوا اجث وانهق لا تضرك خيبر ... وذلك من دين اليهود ولوعُ

لعمري لئن عشرت من خشية الردى ... نهاق الحمير إنني لجزُوعُ

فلا وأَلَتْ تلك النفوس ولا أتتْ ... إلى روضة الاجداد وهي جميع

ويروى أنهم لم ينج منهم غيره.

واخْتَلَقُوا للميِّتِ البَليَهْ ... تُجْعَلُ في عُنُقِها الوَلِيَهْ

وعِندَهُ تُربطُ حَتَّى تَبْرُدَا ... يَركَبُها في زَعْمِ أهْلِهِ غَدَا

البلية: الناضح، قال عمير بن وهب يوم بدر: "رأيت البلايا تحمل المنايا" أي النواضح تحمل الموت. **والولية**: البردعة، قال:

إذا قلتُ إني آئبٌ أهل بلدة ... وضعت بها عنه الولية بالهجر

وتبرُد: تهلك. يقول: ومن مختلقاتهم أنهم إذا مات أحدهم ربَطوا ناضحا أي ناقة عند قبره يجعلون في عنقها البردعة فلا تزال مربوطةً عنده حتى تموت يزعُمون أنه يركبها إلى المحشر إن بعث، قال أحدهم يوصي ابنَه:

لا أعرفن أباك يحشر مرة ... عَدْوًا يجرُّ على اليدين وينكب

ثم قال رحمه الله:

ولاِمْتِحَانِ الأَهْلِ تَعقَادُ الرَّتَمْ ... يعْقِدُهُ مَن كان أَهلَهُ اتَّهَمْ

إنْ غَاب عنْها فَإذا انْحَلَّ ادَّعى خِيَانَةً، وقال فيهِ مَن وَّعَى:
هَلْ ينفَعَنكَ اليوْمَ إنْ هَمَّتْ بِهِمْ كَثْرَةُما تُوصِي وتعْقَادُ الرَّتَمْ!

الامتحان: الاختبار. **والأهل**: يعني الزوجة. **والرتم**: شجر يشبه الارطى في النبات والزَّهْر، والارطى أقرب إلى السواد.

يقول ومن مختلقاتهم أنهم إذا غاب أحدهم وكان متهِما لزوجته يعقِد غصنا من رتَمَة يختبرها به، فإذا رجع من سفره جاء إلى الرتمة فإن وجد عقدتَه كما هي برَّأها وإن وجد عقدته انحلت ادعى عليها الخيانة، أي الريبة بإدخال غيره من الرجال عليها. وأمَّا قوله تعالى ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾[1] أي بالكفر لما يقال إنه ما زنت امرأة نبي قط - (قاله السهيلي).

قلت: وقد قال تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلُ غَيْرِ صَٰلِحٍ﴾[2] بإضافة "عَمَلُ" إلى "غَير" في قراءة[3].

قوله: **وقال فيه من وعى**: أي عقل ،كأنه يلومه: **هل ينفعنك**..إلخ: أي لا ينفعك عقدك الرتم وكثرة إيصاءِ أهلك إن اهتمت بالريبة بعدك.

والبَعْــرةُ الَّتي بِهَا تَرمِي الَّتي قَدِ انقَضَــتْ عِدَّتُها وافْتَضَّتِ
بِكَحِمَارٍ ويمُــوتُ عاجِــلاَ إذ لا تَمَسُّ المَاءَ حَوْلاً كَاملا

---

(1) التحريم: 10.

(2) هود: 26.

(3) وهي قراءة الكسائي، وتفسر قراءة الباقين.

ولاَ الحدِيدَ، في أخَــسِّ ملْبَسِ   في الحِفْشِ والحِفْشُ أضَرُّ مكْنسِ!

يقول: ومن مختلقاتهم أن المرأة تمكث في **عدتها** سنة وهي في **أخس ملبس وأضر مكنس**: أي مسكن، وهو **الحِفش**، فإذا تمت السنة أخذت **بعرة** ورمت بها[1]، ومعناها عندها أنها رمت بالعدة كما رمت بهذه البعرة وأن الرجال عندها ما دامت في عدتها بمثابة هذه البعرة، **وتفتض بكحمار** أو طير أو ديك، أي تمسح به قبُلَها ولا يكاد يعيش؛ لأنها لا تمس ماء ولا حديدا في هذه السنة الكاملة فيلحقها من النتن وخشانة الرائحة ما يُهْلك الداني إليها، وأحرى ما باشر ذلك المحلَّ.

واختَلَقُـوا نارَ القِرَى والطَّرْدِ   لمن مَّضَـى زِيادةً في البُعْـدِ

ولِلسَّلِيـمِ ولِلاِسْتِسْقَـاءِ   وللتَّحالُـفِ علَى الأَعْـدَاءِ

والغدرِ والحِبْـقِ والاصْطِيادِ   وأُهْبـةِ الحَـرْبِ ولِلآسَـادِ

والنارُ تُوقَـدُ عَلَى المُزدلِفَهْ   لِمَنْ أَفَاضَ مِنْ حَجِيجِ عَرفَهْ

ذكر من مختلقاتهم نيرانا يسمونها *نيران العرب* وهي إحدى عشرة نارا، إحداها **نارُ القِرى**، وهي نار توقَد ليلاً ليراها الأضيافُ فيهتدوا بها،

---

(1) في *زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم*: (72/1): عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنما هي أربعة أشهر وعشر، وقد كانت إحداكنَّ في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول».

قال حاتم لغلامه:

أوقدْ فإن الليل ليل قـرُّ والريح يا موقِد ريحٌ صِرُّ

عَلَّ يرى نارَك من يَمُـرُّ إن جلبتْ ضيفا فأنتَ حُرُّ

الثانية: نار **الطرد**، وهي نار يوقدونها خلـف مـن يستثقلونه إذا ذهـب ولا يحبون رجوعه.

الثالثة: نار **السليم**، وهـي نار يوقدونها للملـدوغ إذا لـدغ يسـاهرونه بها، وكذلك المجـروح والمضـروب بالسـياط ومـن عضـهُ الكلـب، كـيْ لا يناموا فيشتد بهم الأمرُ حتى يؤديهم إلى الهلكة.

الرابعة: نارُ **الاسْتِسْقَاءِ**، أي الاستمطار؛ كانوا في الجاهليـة إذا احتبـس المطر جَمعوا البقر وعقـدوا في أذنابها وعـراقيبها شهبان السَّـلَع والعُشَـرِ[1] ويصعدون بها في الجبل الوعْر ويزعُمون أن ذلك من أسباب المطر، قال[2]:

أجاعـــل أنت بيقورا مُسَلَّعَةً ذريعــةً لك بين ا لله والمطـــــر

الخامسة: نارٌ يوقدونها إذا أرادوا **التحالفَ على الأعداء**، يعقدون عندهـا

---

(1) السلع (بالتحريك): نبات وقيل شجر مُرٌّ، والعُشَر (بوزن صرد): شجر، وقد كانت العرب في جاهليتها تأخذ حطب السلع والعشر في المجاعات وقحوط القطر فتُوقر ظهورَ البقر منها، وقيل يعلقون ذلك في أذنابها ثم يضرمون فيها النار يزعمون أنهم يستمطرون بلهـب النـار المشبه بسنى البرق فيضج البقر من ذلك فيمطرون، وقيل يضرمون فيها النار ويصعدون بهـا في الجبل..إلخ.

(2) أحد شعراء طيئ:

لا درَّ دَرُّ رِجال خـــاب سَعيُهمُ يستمطرون لدى الأزمَاتِ بالعُشَرِ

أجاعل أنت بيقورا.. إلخ.

الحلف ويدعون بالحرمان والمنع من خيرها على مـن ينقـض العهـد ويَحُـلُّ العقد؛ وإنما كانوا يخصون النار بذلك لأن منفعتها يختـص بهـا الإنسـان لا يشاركه فيها غيره من الحيوان.

السادسة: نار يوقدونها إذا **غدر** الغادر ليخزى بها.

السابعةُ: نار يوقدونها **للحِبق** (بالكسـر)؛ إذا حبـق[1] أحَدُهُـمْ يوقـدون نارا ليفضَحُوه ويضحكون منه.

الثامنةُ: نار يوقدونها **للصيد**، توقد للظباء فتعشوا إذا نظرت إليهـا حتـى لا تكاد ترى الصائد.

التاسعة: نار يوقدونها إذا أرادوا **حربا** أو توقعـوا جيشـا، علـى جبلهـم ليبلغ الخبرُ أصحابَهم فيأتونهم.

العاشرة: نار **الأسد**، وهي نار يوقدونها إذا خافوا الأسـد لينفـر عنهـم؛ فإن من شأنه النفارَ عن النار لأنه إذا رأى النار حدث له فكـر يصـده عـن قصده.

الحادية عشرة: نارُ **المزدلفة**، وهي نار توقد على المزدلفةِ ليراها من دفـع من عرفة، وأول من أوْقدها قصي بْنُ كلابٍ.

واختَلَقُـوا أنْ يتقَلَّـدَ اللِّحَا مِن شجَـرِ الْحَرمِ مَنْ عَنْهُ انتحَى
لأَهْلِـه، وفِـي اللِّـحَا أَمَـانُ وعَنْـهُ قِيلَ قَدْ نَهَى القُرْآنُ

(1) حبق (كضرب) حبْقا: ضرط، والحبق (بالكسر، وكغُراب): الضراط.

اللّحَا: قِشْر الشجر. **وانتحى**: انصرف. يقول: من مختلقاتهم أن من خرج من الحرم قاصدا أهله إن أخذ شيئاً من قشر شجر الحرَم وتقلده لا يتعرض له. قوله: **وعنه قيل**..إلخ: يعني أنه فسر به ﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾[1]، أي لا تتعرضوا ولا تحلوا متقلدَ لحا شجر الحرم.

وأنَّ مَن ألْقَى عَلَى زوجِ أَبِيهْ ونحوِه . بَعْد التَّوى . ثَوْبًا يُّرِيهْ
أوْلَى بها مِن نَّفْسِهَا إن شَاءَ نَكَحَ أوْ أنكَحَ أو أسَاءَ
بِالْعَضْلِ كي يَّرِثَها أوْ تَفْتَدِي ومَهْرُهَا في النكحتيْن لِلرَّدِي

يعني ومن مختلقاتهم أن من **ألقى** على زوج أبيه، ونحوه كأخيه الكبير وعمه، بعد **التَّوى**، أي الموت - أي بعد موت أبيه ونحوه - ثوبا يريه إلقاءَه عليها أنه يكون حينئذ - أي حين إلقائه الثوب - **أولى بها من نفسها**، أي يكون مالك أمرها؛ إن شاء نكحها وإن شاء أنكحها غيره وإن شاء عضلها عن النكاح حتى تفتدي منه أو تموت فيرثها، أي يأخذ مالها كله، ويكون له مالها في النكحتين؛ أي إذا نكحها لا مهر لها عليه وإن أنكحها غيره فله صداقها. **والردي**: الهالك. وقوله: **يريه**: تتميم لا مفهوم له.

(1) المائدة: 2.

وإن تَصِل لأهْلِهَا مِن قَبْلِ أنْ يُلْحِفَهَا أوْ خِدْرَهَا لَمْ تُمْتَهَنْ

يعني أنها، أي زوجة الأب ونحوه، إن **وصلت إلى أهلها** من **قبل أن** يلقي الثوب عليها أو على **خدرها** لم يكن له عليها سبيل. وقوله: **لم تمتهن**: أي لا تُهَانُ بتوليته عليها.

وفي هذه المختلقة نزل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

(1) النساء: 19.

أنساب العرب*

العُرْبُ مِن أَبْنَاءِ سامٍ، جُرهمُ   عَادُ، ثَمُودُ وَوَبَارٍ مِنْهُمُ
كَذَا أُمَيْمُ وَعَبيلُ، طَسْمُ   جَدِيسُ، عِمْلِيقُ بِهَا أُتِمُّوا

العرب (بالضم ويحرك): تقدم. ومِن: يحتمل أنها تبيينية، أي وهم أبناء سام، وتحتمل التبعيضية؛ لأنهم بعضُ أبناء سام وغيرُهم الفُرس والروم.

"عرف" سام ثم حام "سبقا"   ويافِث "صيت" فكن محققا

ومعنى هذا البيت أن أولاد نوح عليه السلامُ ثلاثة، وكلهم له ثلاثة أولاد ولم يجد عنهم أحد من بني آدم؛ أما سام فرمز بَنيهِ ع **رف**: العين للعرب والراء للروم والفاء للفرس. وأما حام فرمز بنيه **س ب ق**: السين للسوادين والباء للبربر والقاف للقبط. وأما يافث فرمز بنيه **ص ي ت**: الصاد للصقالبة والياء ليأجوج ومأجوج والتاء للترك. وخرج عن هذه الرُّموز[1] بنُو إسرائيل واليونانيون؛ أمَّا بنو إسرائيل فبالإجماع أنهم من سام لأنهم بنو يعقوب عليه السلام، وأمَّا اليونانيون فقيل إنهم بنو أندلس بن يافث بن نوح عليه السلام.

---

* العرب على اختلاف قبائلهم وتباين شعوبهم من ولد سام بن نوح باتفاق النسَّابين، فبعضهم يرجع إلى لاوذ بن سام وبعضهم إلى إرم بن سام وبعضهم إلى ارفخشد بن سام.

(1) ما ذكره الشارح هنا ذكره الحافظ بن كثير في *البداية والنهاية* في التاريخ (115/1).

وجرهم: قيل إنه ابن قحطان، وهو في اللغة الضخم، وقيل إنه ابن لاوذ بن سام بن نوح. **وعاد:** هم بنو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وهم عاد الأولى في قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾[1]؛ واختلف في هذه الأولية، فقيل باعتبار مَن بعدهم من الأمم وأما هم فعاد واحدة، وقيل هؤلاء هم الأولى ومنازلهم بالأحقاف بين عُمان واليمن إلى البحرين إلى حضرموت، قال تعالى ﴿إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾[2]. وقيلَ إن أباهم عاداً هو أوَّل من ملك العرب وعاش ألف سنة ومائتي سنة، وبَلَغَت أولاده الذكورُ لصلبه أربعةَ آلاف وتزوَّج ألف امرأة وملك اليمن والشام والعراق والهند وبنى مدينة ارم، وقيل بناها شداد ابنه وقيل بناها إرم نفسُه.

وأمَّا عاد الأخيرة فهم بنو بكر بن مُعَاوِيَةَ بنِ عاد بنِ عُوصٍ من الوفد الذين قدموا مكة لما أقحطوا يستسقون لهم فهلكت بعدهم عاد بالريح، كما جاء في التنزيل، بتكذيبهم نَبِيَّهم هود بن عبد الله عليه السلام. ومِنه لقمان بن عاد وقَيْلٌ الوافد المعني بقول الشاعر:

ألا يا قَيْلُ ويحك قم فهيْنم ... لعل الله يسقينا غماما

فَيَسقِي أرضَ عادٍ إنَّ عاداً ... قد اضحوا لا يُبِينُون الكلاما

فملَك على هؤلاء الباقين بكر بن معاوية، ثم ملك بعده لقمان بن عاد؛ ودام ملكه ـ فيما يقال ـ ألف سنة أو أكثر. ولم يزل ملكُهم متصلا

(1) النجم: 50.
(2) الأحقاف: 21.

إلى أن غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان، على ملك اليمن، فاعتصموا بجبال حضرموت وبقوا هنالك إلى أن انقرضوا، قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾[1]،وقرئ بإضافة عاد إلى إرم؛ وفيه إشارة إلى أن ثـم عادًا غير عادٍ الأولى - (اهـ من **القلقشندي**).

وفي **الذهب الإبريز** لأحمد بن مبارك في مناقب سيدي الشريف عبد العزيز الدباغ أنه سأله عن عاد الأولى وذكر له أقوال المفسرين، فقال: هم أمة قبل نوح بعث إليهم نبيهم هويد (بالواو وسكون الياء)، وذكر أنه يحفظ كِتابَهُ اهـ.

وأما **ثمود** فهم بنو ثمود بن جاشر (بالجيم والشين، ويقال كاثر بالكاف والثاء) بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام؛ كانت مساكنهم بالحجر ووادي القرى من الحجاز والشام وكانوا ينحتون بيوتهم في الجبال مراعاة لطول أعمارهم فيريدون بقاءها ما عاشوا؛ وهِيَ باقية إلى الآن. وبعث الله تعالى إليهم أخاهم صالحا عليه السَّلام رسولا فلم يؤمنوا به فأهلكم الله بصيحة من السماء كما ورد به القرآن الكريم. وثبت أن النبي ﷺ مر بالحجر في غزوة تبوك فنهى عن دخول مساكنهم وأمر بإراقة ما استقي من آبارهم وأن يسقوا من البئر التي كانت تردها الناقة[2]. وقيل إنهم كانوا

---

(1) الفجر: 6 - 7.

(2) رواه البخاري، ومسلم في الزهد.

ينزلون الطائف، ولذلك قيل إن ثقيفا من بقاياهم؛ وكان الحجاج يرمَى بذلك. ويقال إن من بقاياهم أهل الرس الذين أرسل إليهم حنظلة بن صفوان.

وأمَّا **وبار** (كقطام ويصرف) فهم بنو وبار بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، كانت منازلهم بين الشحر واليمامة فأرسلت عليهم الريح فهلكوا.

وأما **أميم** فهم بنو أميم بن لاوذ بن سام بن نوح، ومساكنهم من أرض فارس.

وأما **عبيل** فهم بنو عبيل (كأمير) بن مهلايل بن عوص بن عمليق.

وأما **طسم** فهم بنو طسم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السَّلام.

وأما **جديس** فهم بنو جديس بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل جديس بن إرم فهم إذن بنو عم طسم لا إخوتهم، وكانت مساكنهم باليمامة وما يليها، وتُجاوِرُهم طسم فيها؛ وكان الملك على القبيلتين لطسْم فانتهى ملكهم إلى ملك غشوم بلغ أمره إلى أن البكر من جديس لا تزف إلى زوجها حتى يفترعها قبله فأجمعت جديس على غدرهم.

حيلة جديس للتخلص من ضيم طسم وما جرَّ ذلك

وسبب ذلك أن امرأة من جديس يقال لها الشموس بنت غفار زفّت إلى زوجها ومعها الجواري يغنينها وينشدن:

ابْدَيْ بعُملوق وقومي واركَبي وبادري الصبح بأمر معجب

فلما فرغ منها ملك طسم خرجت من عنده على أقبح هيئة مشققة

ثيابها تسيل دماؤها وهي تنشد:

لا أحــدٌ أذلَّ من جــديس أهكــذا يُفعــل بالعَــروس؟!

يرضى بهــذا يا لقومي حــرُ، أهــدى وقد أعطى وسِيقَ المهر؟!

لَخَوْضُــهُ بحرَ الرَّدَى بنفسِه خير من ان يُفعــل ذا بعرســه

فقام أخوها الأسود بن غفار، وهو سيد جديس، فقال لجديس: وا لله لَتُطِيعنّي أو لأضعن سيفي في بطني فأتحامل عليه حتى ينفُذَ من ظهري، قالوا، نطيعك، قال: فإني صانع وليمة فإذا وضعت فأتوا بسلاحكم فادفِنوه تحت الموائد، فإذا شرع طسم في الأكل فخذوا سلاحكم واضربوهم ضربة رجل واحد، وانتظروني حتى أبدأ بعُملوق فأكفيكموه.

فلم يبق منهم غيرُ رزاح الطسمي أخي زرقاء اليمامة، زوجة الأسود بن غفار، فهرب إلى تبع باليمن يستنجده على جديس؛ وكان استتبع كلبة وحمل معه جريد نخل رطبا قد جعل عليه طينا. فلما دنا من المِلك كسر الكلبة وقلع الطين عن الجريد، فلما دخل على المِلكِ فأخبره خبره، قال: إنَّ بلادك بعيدة ولولا ذلك لأنجدناك، فقال: وكيف ذلك وهذا الجريد الرطب أتيت به منها ويعلم الملك وغيره أن لا نخل دونَ أرضي.. وهذه الكلبة خرجتُ بها تتبعني كسيرةً؟

فأمر الملك جنوده بالرحيل، فلما كانوا بالطريق قال لهم رزاح: إن فيهم أختا لي تبصر من مسيرة ثلاثة أيام؛ فأمر تبع الجيش أن يقلع كل واحد منهم شجرة يجعلها أمامه يمشي خلفها.

فقالت الزرقاء: يا قوم إني أرى الجيش يأتيكم من وراء الشجر، فلم

يصدقوها، فقالت: إني لأرى رجلا من وراء شجرة ينهش كتفا أو يخصف نعلاً، ثم قالت:

أقسم بالله لقد دبَّ الشجرْ أو حمير قد أخذت شيئا يجر

ولم يكترثوا بقولها، فأتاهم الجيش فاستأصلهم غير الأسود؛ هرب بنفسه وإبله إلى جبليْ طيئٍ، فلم يزل وحده إلى أن خلطت عليه أعازيب طيئ، فتوحش منهم. فلم يزل يدنو منهم ويدنون منه حتى آنس بهم فأمهلوه حتى نام ذات ليلة معَهمْ فقتلوه. ثم بقي رزاح وحده من طسم فجعل يقول:

غدر الحي من جديس بطسم إن طسما كما تدان تدينا

ليت طسماً على منازلها تعْـ ـلم أني قضيت عني ديونا

وأمَّا **عمليق** (كقنديل) ، أو عملاق (كقرطاس) فهم بنو لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، تفرقوا في البلاد واشْتَهَرُوا بالطول وعظم الأجساد، ومِنْهم ملوك الجزيرة وجَبَابرة الشام وفَرَاعنة مِصرَ.

فَهَؤُلاءِ العُرْبُ بارُوا، والذَّبِيحْ مِنهُم تَعَرَّبَ عَلَى القَوْلِ الصَّحِيحْ

بَاروا: هلكوا، من البوار وهو الهلاك، قال تعالى ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾[1]. **وتَعَرَّبَ**: تعلم اللغة العربية، من العمالقة كما تقدم. يقول: إن هؤلاء من العرب هلكوا عن آخرهم ولم يبق منهم أحد، كما قدمنا،

---

(1) الفتح: 12.

وكما جاء في كِتاب الله العزيز. والذَّبِيحُ هنا: إسماعيل، على القول بأنه الذَّبيح؛ ومقابل القول الصحيح أنه أُلهم العربية من نفسه كغيره، فإذن لا يكون متعربا.

وهْوَ أَبُو قَحْطَان فِي قَوْلٍ أُبِي عَنْهُ، فَقَحْطَانُ ابنُ هُودٍ النَّبِي
أَوْ هُوَ هُودُ، وجَمِيعَ العربِ بَعْدُ لِعَدْنَانَ وَقَحْطَانَ انسُبِ

وهْوَ: أي إسماعيل، قيل انه أبو قحطان؛ وهو [قول] ضعيف لا يلتفت إليه لوجود قحطان قَبْله، لأن المِلِك الذي أعطى هاجرَ أمَّه عمرُو بنُ القيس بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان على قول؛ وعلى القول بأنه صيدوف فقد كان قبله بنو سبأ. وأما **قحطان** فهو **هود** أو ابنه، **وجَمِيعُ العرب** ـ بعد هذه البائرة ـ إمَّا مِن **قحْطَانَ** أو من **عدنان**[1] الذي صح نسبه إلى إسماعيل بالأحاديث الصحيحة وعلم أهل الأنساب.

قُضَاعَةُ مذَبْذَبُ بَيْنَهُمَا فَلِمَعَدٍّ عِندَ قَوْمٍ انتَمَى

رَجُلٌ **مذبذب** (ويفتح): متردد بين أمرين. يعني أن قضاعة متردد بين

(1) وهذه العرب غير البائرة هي الباقية الذكر، وهي مغزى هذا النظم بل هي المراد بالعرب عند الإطلاق؛ وينقسم تاريخها إلى ثلاثة أعصر: الأول عصر الجاهلية وينتهي بظهور الإسلام، والثاني عصر الإسلام يبدأ بظهور الإسلام ويشمل دولة بني أمية وينتهي بقيام دولة بني العباس، والثالث عصر العباسيين ويبدأ بقيام دولتهم وينتهي بسقوط بغداد في أيدي التتار سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة. ومن تأمل ما احتوى عليه هذا النظم من أخبار العرب تصريحا أو تلويحا علم مطابقته مطابقةً تامة لهذا التقسيم وهذه العصور ـ [سموط الذهب].

معد بن عدنان ومالك بن حمير؛ واسْم قضاعة عمرو، ولُقِّبَ بقضاعة وهُـوَ الفهد، أو لانقضاعه[1] عن قومه ـ (القاموس).

وهْوَ ـ وبَلْهَ ما يَقُولُ المُزْدَري ـ   قُضاعَـــةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ حِمْيَرِ

وهو: أي قضاعة. **وبله**: اسم فعل بمعنـى د ع، أو مصـدر بمعنـى اتـرك. **والمزدري**: المحتقر. يقول: قضاعة هو ابن مالك بن حميَر، قال أحدهم:

نحن بنـــو الشيخ الهمام الأزهر   قضاعـــة بن مالـــك بن حمير
النـسب المعـــروف غير المنكر

ودَ ع عنك قول المحتقر لهم المزدري بهم حيث يقول:

مـررنا علـى حيَّيْ قضاعة غُدوة   وقد أخذوا في الزفن والزفنان[2]
فقلنا لهم ما بال زَفْنِكمُ كـــذا   لعرس يُرَى ذا الزفـنُ أم لختان؟
فقالوا لنا: إنا وجـــدنا لنا أبا   فقلــت: ليهنئكم، بأي مكـان؟!
فقالوا: وجدناه بجرعـــاء مالك   فقلــت: إذا ما أُمُّكـم بحِصَان!

وأمُّـــهُ عُكْبُـرَةٌ عَلَى حَـــبَلْ   مِن مَّالِكٍ اتَّخَـــذَتْ مِنْهُ بَدَلْ

العُكْبرةُ (بِالضم): المرأة الجافية السيئةُ الخُلُقِ. يعني أن أم قُضاعة امــرأة[3] جافية كانت تحـت مـالك بـن حِمـير، فلمـا حملـت منـه بقضاعـةَ نشـزَت

(1) انقضع عن قومه: بعُد. [القاموس].
(2) الزفن: الرقص.
(3) اسمها عكبرة من سبأ خلف عليها معد فولدت قضاعة على فراشه ـ [قاله الزبيري].

واتخذت زوجا غيرَه وهي حامل منْهُ.

خُزَاعَــــةُ كَذَاكَ ذُو تَذَبْذُبِ   مَا بَيْنَ قَمْعَــةَ وأَزْدِ يَثْــرِبِ

خزاعة: جد الحيِّ المشهُورِ، أصْهَارِ النبي ﷺ على جويرية. في القاموس أنهم سموا بذلك لأنهم انخزعوا عن قومهم وسكنوا مكة. **والتذبذب**: التردد. **وقَمعة** (محركة، وسكن للضرورة): لقب عمير بن إلياس، ويأتي ـ إن شاء الله ـ خبرُ تلقيبه في الكلام على خِندف. **وأزد يثرب**: الأوسُ والخزرج، لأنهم من الأزد بن سبأ. **ويثرب**: المدينة المشرفة.

يعني أن خزاعة كقضاعة في التذبذب، أي كما ترددت قضاعة بين مالك بن حمير ومعدٍّ، كذلك ترددت خزاعة بين قمعة بن إلياس وبين حارثة الغطريف. والأَصْلُ في تذبذبهم أنهم بنو عمرو بن لحي اتفاقا، ورُويَ أن النبي ﷺ قال: «رَأيْتُ عمرَو بن لُحي بن قمَعَة يجر قُصْبَهُ في النار» ـ الحديث[1]. والنّسَّابون يزعُمون أن لحيا أخو الخزرج والأوس، ابن أبيهما حارثة الغطريف بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقيا ـ (قاله الزُّبيريُّ)[2].

(1) أخرجه البخاري ومسلم، والقصب (بضم فسكون): المِعَى جمعه: أقصاب؛ أي يجر أمعاءه في النار.

(2) ونصُّ كلام الزبيري: قال أما قمعة بن إلياس فيزعمون أنه أبو خزاعة، يقولون كعب بن عمرو بن لحي بن قمعة ابن خندف، ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أول من سيب السائبة وبَحَر البحيرة وحمى الحامي عمرو بن لحي بن قمعة (أبو بني كعب هؤلاء) رأيته في النار يجر قصبه» ـ الحديث ـ ثم قال: وخزاعة تقول: كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر من غسَّان ويأبون هذا النسب. والله أعلم؛ إن كان رسول الله ﷺ قال ما روي فرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم وما قال فهو أحقُّ.

فإن صح الحديث فلا عبرة بكلام النسابين، وإن لم يصح فالعبرة بكلام أهل الأنساب المتقنين.

وَهَكَذَا بَجِيلَةُ أَلْحُلَفَا وخَثْعَمُ الكِرَامُ قَد تَوَقَّفَا

مَا بَيْنَ أنْمَارِ نِزَارٍ السَّنِي وَبَيْنَ أَنْمَارِ إِرَاشِ اليَمَنِ

يقول: **وهكذا** في التذبذب بين الحيين: بجيلة ـ ووصفهم بالحلفاءِ لأنهم كانوا متفرقين في البلاد إلى أن جمعهم جريرُ بن عبد الله البجلي الصحابي ـ وهكذا أيضا في التذبذب خثعم، ووصفهم بالكرم لأن منهم أسماءَ بنتَ عميس رضي الله عنهَا، زوج أبي بكر رضي الله عنه ــ أم ابنه محمد ــ وتوفي عنها وغسلته وخلف عليها عليٌّ وولدت له يحيى بن علي، وهي أم بني جعفر بن أبي طالب: عبدِ الله ومحمد وعون، ولدتهم بالحبشة؛ هاجرت مع زوجها جعفر وأختها سلمى بنتُ عميس، زوجُ حمزة بن عبد المطلب، أم ابنه يعلى وبناته.

وكانت أسماءُ من آل البيت، وهي التي لَدَّت[1] النبيَّ ﷺ في مرضه، ولَمَسَت موضع خاتم النبوة منه تختبر هل توفي أم لا؛ فوجدته ارتفع فعلمت أنه توفي صلى الله عليه وسلم.

ومن خثعم ذو الأنف الذي قاد خثعما إلى رسول الله ﷺ وهو محاصِر للطائف. ومن قبائل خثعم بنو شهران وبنو قحافة، ودخل فيهم بنو أُكلُبٍ

---

(1) اللدود: ما يصب بالمسعط من الدواء في أحد شقي الفم.

(بصيغة الجمع) ابن ربيعة بن نزار.

وتذبذب **بجيلةَ وخثعمٍ** بين **أنمار** بن **نزار السني** - أي البهي – وبين أنمار بن إراش بن الأزد اليمني. أمَّا النِّسبةُ إلى أنمار فبالاتفاق، ثم اختُلف في أنمار المنتسب إليه هل هو ابن **نزار** العدناني أو ابن **إراش** القحطاني؟. أمَّا بجيلة فقيل إنهُ ابن أنْمار لصلبه وقيل إنها أمهم واشتهروا بها، وهي بنت صعب بن سعد العشيرة، وأبوهم عبقر بن أنمار. وقد انتسب جرير بن عبد الله إلى أنمار بن نزار؛ وذلك أنه تنافر هو ورجل إلى الأقرع بن حابس فقال:

يا أقرع بن حابس يا أقرع   إن يُصرع اليوم أخوك تصرعُ

يعني بالأخوة أنهما من بني نزار.

ومن بجيلة بنو قسر، قبيلة خالد بن عبد الله القسري، أمير الوليد بن عبد الملك على مكة؛ كان مذمومًا بالجور أو في دينه، إلا أن له مقاماتٍ في الجود، قال فيه الفرزدق:

بكت المنابر من فزارة شجوها   فاليوم من قسر تضجُّ وتجزع

ومنهم بنو أحْمس، الذين قال فيهم النبي ﷺ: «بارك الله في خيل أحمس[1]»، وهي خيل بعثها النبي ﷺ إلى ذي الخَلَصَةِ، صنمِ دوس الذي قال فيه النبي ﷺ: «ستضطرب أَليـاتُ نساءِ دوس حول ذي الخَلصة[2]»، وأمَّر على هذه الخيل جريرَ بن عبد الله، فقال: يا رسول الله إني لا أثبت

(1) أخرجه البخاري وأحمد والطبراني في المجمع.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

على الخيل، فصك في صدره وقال: «اللهم ثبته على الخيـل واجعلـه هاديـا مهديا»؛ فكان أفرسَ العرب. وقال يوم وفد عليه: «سيطلُع عليكم من هذا السفح من خير ذي يمن[1]»، وقال فيه: «إذا أتاكم كريمةُ قوم فاكرموه[2]». وكان عمر يقول له "يوسف هذه الأمـة" لحسنه؛ ووجـد عمـر يومـا مـن بعض جلسائه ريحا فقال: ليقم صاحب هذه فليتوضأ، فقال جرير: كلنا يـا أمير المؤمنين يتوضـأُ، فقـال: نعـم، ثـم قـال: مـا زلـت يـا جريـر سـيدا في الإسلام والجاهلية.

---

(1) رواه أحمد في المسند وابن حبان.

(2) رواه ابن ماجه والطبراني في الأوسط، وكريمة قوم أي كريمهم وشريفهم والهاء للمبالغة.

عمود نسب النبي

صلى الله عليه وسلم

النَّسَـــبُ الَّذي عَـلَيْهِ اتَّـفَـقَا كُـلُّ الـوَرَى، إذْ بِالنَّبِيِّ أَشْرَقَا:

أَحْمَدُ، عَبْدُ اللهِ، عَبْـدُ المُطَّلِبْ وَهَاشِمٌ، عَبْدُ مَنَافِ المُنتَخَـــبْ

ابْنُ قُصَــيِّ بْنِ كِــلاَبٍ، مُرَّهْ، كَعْـــبُ، لُؤَي، غَالِبُ الغُــرَّهْ

فِهْرُ بْنِ مَالِكٍ ونَضْرُ ذُو السِّكَهْ، كِنَانَةُ، خُـزَيْمَةُ فَمُـــدْرِكَهْ

إليَاسُـهَا، مَضَـــرُهَا، نِـــزَارُ مَعَدُّ، عَــدْنَانُ. انتَهَى الخِيَارُ

الورى: الخلق. **وأشرق:** أضاء وارتفع. يقول: النسب الـذي **اتفـق عليـه** جميع الخلق، من النسابين وغيرهم، من غـير زيـادةٍ ولا نقصـان ولا تبديـل ولا تأخير ولا تقديم.. لإشراقه وارتفاعه واشتهاره بسيدنا ومولانـا ونبينـا ورسول ربنا، هُوَ:

أحْمَدُ صلى الله عليـه وسـلم وعلـى آلـه وأصحابـه وأزواجـه وذريتـه وأصهاره وأنصاره.

قصة افتداء عبد الله والد النبي ﷺ

وعبدُ اللهِ، والِدُ النبي ﷺ، وهــو الذبيـح؛ وسُـمِّي بذلـك لأن أبـاه عبـدَ المطلب لما ظهر وساد قريشا وأهل مكة السيادةَ الحُسنى، ببركـة النبي ﷺ، وحفر بئر زمزم وقارعهم فكانوا من المدحضين، آنس منهم الحسدَ وخشي تظاهُرَهم عليـه، نـذر إن أعطـاه الله عشرة مـن الولـد الذكـور لينحـــرنَّ

عاشرَهُم تقربا إلى ا لله به، فأتم عبدُ ا لله المعلق عليه النَّذر؛ فأراد أن ينحره ليوفي بالنَّذر، فأبت بنو مخزومَ لأنهم أخوالُه، قالوا: أتنحر ابننا وتترك أبناء غيرنا! وا لله لا يكون ذلك وفينا عين تطرِفُ. فأشار إليه العظماء أن يفديه، فقال: لا بد لذلك من مشاورة كاهن. فسار إلى كاهن خيبر، فأمره: أن يقرع عليه وعلى عشرة من الإبل، فكلما وقع عليه السهم زد عشرة على الأولى ثم كذلك.. حتى يقع السهم على الإبل، فمتى وقع عليها فانحرها عنه فإن ربك قد رضي بذلك العدد؛ ففعل، فما وقع السهم على الإبل حتى بلغت مائة ناقة عُشَراءَ كَمَا قال الفَاسِيُّ[1]: "*وهي لا تعدو*

(1) هو العلامة الفقيه عبد العزيز بن عبد الواحد اللمطي المكناسي نزيل المدينة المنورة، قال في منظومته في السيرة المعروفة **بقرة الأبصار**:

وشيبة إذ بئر زمزم حفر	**همت بمنعه قريش فَنَذر:**
إن جاءه من البنين عشرهْ	**يحمونه من البُغاة الفجرهْ**
لينحرنَّ واحدا تَقرُّبا	**به، فلما رام نحره أبى**
منه قريش، فمضَى لخيبرا	**مستأمرا كاهنها فأمَرا**
أن استهِمْ عليه والآبال	**فإن عليه خرجَت في الحال**
فزد عليها عشرة واقترِعا	**حتى إذا السهم عليها وقعا**
فانحر فإن ربه قد رضيا	**بأنها له فداء، فعيا**
ففعل الذي به قد أمرا	**حتى انتهت لمائةٍ فنحرا**
من بعد ضربها ثلاثا وهي لا	**تَعْدُو العشارَ الكُومَ فيما نُقلا**
فكان والد النبي المفتدى	**بمائة فداؤه من الردى**
وكان ذاك سُنةً في أُمته	**عن نفس كل مؤمن في فديته**

وقوله: لا تعدوا: أي لا تجاوز، والعشار: جمع عُشَراء وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر أو ثمانية، والكوم: جمع كوماء: وهي عظيمة السنام.

العشار الكوم..". فنحرها عنه، فكانت سنة في أمة ابنهِ محمد ﷺ: دية أحدهم مائة ناقة.

فشبَّ عبدُ الله أعزَّ فتيان قُريْشٍ وأجملهم، فلمَّا بلغ أن يتزوج نظر له أبوه في نساء قريش، فأَدَّاهُ نظره إلى آمنةَ بنتِ وهب بن عبد مناف بن زُهرة، سيد بني زُهرة، وهي سيدة نساء قريش. فخرج به أبوه إلى وهب فسرَّ به وزوَّجه، وزوج عبدَ المطلب بنتَ أخيه هالةَ بنت أهيب بن عبد مناف فولدت له حمزة، وكان تِرْبَ[1] النبي ﷺ ورضيعَه من ثويبة وابنَ خالته معَ العمومة والصحبة والنصرة.

ومرَّ عبدُ الله، حين خرج به عبد المطلب يريدان آمنة؛ بفاطمة بنت عدي[2] بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وعليه الطين ـ وكان يعمل فيه ـ وهي تبيع أُدُمًا فقالت لهُ: قَعْ علي ولك مثلُ الإبل التي نحرت عنك، فقال لها اعتذارا: إني مع أبي ولا أقدر أن أخالف أمره. فمر بها بعد ذلك وقد وضع نورَ النبوة في آمنة ولم تكترث به، فقال لها: ما لك لا تعرضين علي اليوم ما عرضت علي بالأمس؟ فقالت: فارقك النورُ الذي كان معك بالأمس؛ وفي ذلك تقولُ:

---

(1) تِربِ الرجل (بالكسر): لدته الذي نشأ معه، جمعه: أتراب.

(2) وفي تاريخ الطبري أنه مر بأم قِتَال بنت نوفل بن أسد بن عبد العزى، أخت ورقة بن نوفل؛ وأم قتال كنية فاطمة بنت عدي بن نوفل المذكورة، وقيل مر بكاهنة من خثعم اسمها فاطمة بنت مر متهودة قد قرأت الكتب فرأت في وجهه نور النبوءة، فدعته فقال لها:

أما الحرام فالممات دونه   والحلُّ لا حِلَّ فاستبينه ..إلخ.

فأجمــــل إذا حاولت أمرا فإنه   سيكفيكـــه جِدان يصطـــرعان
سيكفيكـــه إما يــدٌ مُقْفَعِلَّــةٌ[1]   وإمَّـــا يدٌ مبسوطـــة ببنان[2]

وعَبد المطَّلِب: سمي بذلك لأن أباه هاشمًا لَمَّا حضرتْه الوفاةُ قــال لأخيـه المطلب: أدرك عبدك، أي إئتِ به، وهو إذ ذَّاك عنـد أخوالـه بـني النجـار؛ تزوج هاشم أمَّـه وهو غائب عندهم فولدتـه أمـه و لم يـزل عندهـم. وقيـلَ قدم به المطلبُ على قريش مردفَه فقالوا: المطلبُ جاء بعبدٍ، لأنه على لــون أخواله وهو السمرة، فصار ذلك اسما له، وكانَ اسمهُ شيبة[3].

---

(1) مقفعلة: متشنجة متقبضة.

(2) وكانت فاطمة هذه من أجمل النساء وأعفهن، وكانت قد قرأت الكتب، فلما رأت نور النبـوءة في وجه عبد الله دعته إلى نكاحها ترجو أن تحمل بهذا النبي فتكون أمه، فأبى عبد الله، فقالت:

إنــي رأيـــت مخيلـــة نشـــأت   فتــــلألأت بحناتم القطـــــر
فلمعتها نـــورا يضيء بــــــه   ما حولــــه كإضاءة الفجـــــر
ورأيـــــت سقياها حيا بلــــد   وقعـــــت به وعمارة القفـــر
ورأيته شـــــرفا أبــــوء بـــه   ما كـــل قادح زنــــده يوري
لله ما زهـــرية سلبـــــــت   منـك الذي استلبـت وما تدري

(3) ويقال له شيبة الحمد، قيل لأنه ولد وبرأسه شيبة، وكان يذهب مع غلمـان بـني النجـار بالمدينـة ينتضلون؛ فكان إذا خسف قال: أنا ابن هاشم أنا ابن سيد البطحاء، فذكر ذلك للمطلب فسـار إليه فلما رآه عرفه من بين الغلمان فقال:

عرفتُ شيبـة والنجَّار قد جعلت   أبناءها حولــــه بالنبـل تنتضِــلُ

ويكنى عبد المطلب أبا الحارث وكان سيد قريش غير مدافع، كمالا وفعالا؛ وكان يقال له "الفياض" لجوده، و"مطعم الطير" لأنه كان يرفع مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبـال، وكان من حكماء قريش وحلمائها وكان يأمر أولاده بـترك الظلـم ويحضهـم علـى مكـارم الأخلاق وينهاهم عن دنيات الأمور، وكـان ممـن حـرم الخمـر علـى نفسـه ورفـض عبـادة الأصنام في الجاهلية.

وهاشم: - واسمه عمرو العلا لعلوه على قريش - سمي هاشما لأنه كان يهشم لهم الثريد[1]، قال عبد الله بن الزِّبَعْرَى:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ... قَومٍ بمكةَ مُسْنِتين عِجاف

في أبيات أولها:

كانت قريش بيضةً فتفلّقت ... فالمُحُّ[2] خالصه لعبد مناف[3]

---

(1) وهو أول من سن الرحلتين لقريش: رحلة الشتاء والصيف؛ فرحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة ورحلة الصيف إلى الشام وغزة، وأصابت قريشا سنوات ذهبن بالأموال فخرج هاشم إلى الشام فأمر بخبز كثير فخبز له فحمله في الغرائر على الإبل حتى وافى مكة فهشم ذلك الخبز وثرَّده ونحر الإبل فأشبع أهل مكة فسمي لذلك هاشما.

(2) المح (بالحاء المهملة): الخالص، ومُحُّ البيض: ما في جوفه من أصفر وأبيض.

(3) وبعده: **الخالطون غنيهم بفقيرهم ... والقائلون: هلمَّ للأضياف**

إلى أن يقول:

سُنَّت إليه الرحلتانِ كلاهما ... سَفرُ الشتاء ورحلة الأصيافِ

ولمطرود الخزاعي:

يا أيها الرجل المحول رحله ... هلا نزلت بآل عبد منافِ

الآخذين العهد من آنافنا ... والراحلين برحلة الإيلافِ

وله فيه أيضا من قصيدة يرثي بها بني عبد مناف:

يا عين فابكي أبا الشُّعْثِ الشجيات ... يبكينَه حُسَّرا مثل البلياتِ

يبكين أشرف من يمشي على قدم ... يُعْوِلنه بدموع بعد عبرات

يبكين شخصا طويل الباع ذا فجرٍ ... آبي الهضيمة فرَّاج الجليلات

يبكين عمرو العلا إذ حان مصرعه ... سمح السجية بسَّام العشيات

يبكينه مستكينات على حزن ... يا طول ذلك من حزنٍ وعولات .. إلخ.

(والبليات: جمع بلية للناقة التي تعقل عند قبر صاحبها. والفجر (محركة): العطاء. والهضيمة:

<<=

عمرو العلا.. إلخ.

وسبَبُ هَذِهِ الأبيات أنه هجا آل قصي بقوله:

ألـهَى قصيا عن المجـد الأساطيرُ ومشيـة مثل ما تمشي الصقاريرُ

فربطه قومه بنو سهم بالكعبة وحلفوا أن لا يحُله إلا بنو قصي، فجعل يمدحهم ويستغيث بهم فحلوه - (اهـ من الروض الأنف).

وعبد منَافٍ[1]، واسمه المغيرة، ويسمى القمر لجماله، وساد في حياة أبيه؛ وهو أبو أَفخاذ بني عبد مناف الأربعة الذين أخذوا لِعير قريش الأمانَ من ملك كلِّ جهة؛ فَهاشِمٌ للشَّام ونوفل للعراق وعبدُ شَمْسٍ لليمن والمطَّلب للبحرين،كلهم يأخذون الأمان من ملك أرض من هذه الأراضي بأن يعطيَه حبلا تسافر به العير ولا يُتعرض لها لحرمة حبل الملك. وإلى هذا الإشارةُ بقوله تعالى ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾[2].

وقُصَيٌّ (كسمي) تصغير قصي (كغني)، سمي به لأن أمه أقصته عن عشيرته لما تزوجت لربيعة بن حرام العذري، وتقدم بعض الكلام على

--->>

الذل والنقص. والجليلات: الأمور العظام. والسجية: الطبيعة. وبسام العشيات: أي يبتسم عند لقاء الأضياف عشية). وكان يقال لهاشم وإخوته أقداح النضار، أي الذهب، ويقال لهم "المجيرون" لكرمهم وشرفهم.

(1) قال الزبير بن بكار: لما ولد لقصي ولده عبد مناف سماه عبد مناة - ومناة صنم - ثم نظر فإذا هو موافق لاسم عبد مناة بن كنانة فأحاله إلى عبد مناف، واسمه المغيرة وكنيته أبو عبد شمس. وساد عبدُ مناف في حياة أبيه فكان مطاعا في قريش.

(2) قريش: 2.

قصي. وفي هؤلاء يقول الشاعر:

قد أورث المجدَ عبدَ الله شيبــةُ عن ... عمرو بن عبـد مناف عن قصيـهم
فجاء فيهـم بمن جا للسماء ومن ... سما على النجـم في سامي بيوتهـم
فالعـرْب خير أناس ثم خيرهُـمُ ... قريشهم وهْو فيهـم خـيرُ خيرهم
قـوم إذا قيـل مَن؟ قالـوا نبيكمُ ... منا، فهـل هـذه تلفى لغيرهم؟

وقيلَ إن أم بني قصي حُبَّى بنت حليل[1] الخزاعية. وسكتنا عـن أمهـات هؤلاء لمجيئهن في الأصل.

وكلاب (ككتـاب) قِيـلَ اسْمه المهـذب وقيـلَ حكيـم وقيـلَ عـروة، وسُمِّيَ كلابا لأنه كان مولعا بالصيْد بالكلاب وكان يجمعها فَيُسألُ عنهـا فيقال هذه كلاب ابن مرة، فلقب كلابا. وأمه هند بنت سُرَيْر[2] بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة.

ومُرَّة: هو أبو القبائل الثلاث: كلاب هـذا وتيْـم ويقظـة أبـو مخزوم، وأمُّهُ - وهي أمُّ أخويه عدي وهصيص (كزبير) - وحشيةُ بنـت شيبان بـن محارب بن فِهر[3].

وكعب: كان عظيم القدر، حتى أرَّخوا بموته إعظامًا له - إلى أن كـان

---

(1) حليل (بصيغة التصغير) بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة - [الطبري].

(2) وأم هند هذه أمامة بنت عبد مناة بن كنانة، وأم أمامة هذه هنـد بنـت دودان بـن أسـد بـن خزيمة.

(3) وفي **الطبقات** لابن سعد: أم مرة وأخويه مخشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك، وأم مخشية وحشية بنت وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بـن جديلـة، وأم وحشـية هذه ماوية بنت وائل بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار.

عام الفيل فأرخوا به ـ وهو أوَّلُ من جمع النَّاس في الجاهلية بمكة وخطب وبَشَّرَ بمبعث النبي ﷺ وحَضَّ على اتباعهِ، وهُوَ أوَّل من سمى العَروبة الجمعة (ومَعْنَى العروبة: الرحمة) وأمه وأم أخويه ماويةُ بنت كعب بن القين[1] القضاعية.

ولُؤَي (بالهمز وبدونه، والهمز أكثر): تصغير اللآ (كالعصى) للثوْر الوحشي، أو تصغير لأْي (كعبد) وهو البُطْء، قال ابن الأسلت:

فدونكـــمُ بني لأيٍ أخـــاكم ودونـــكِ مالكا يا أم عمـــرو

أو هو تصغير لواء الجيش زيدت فيه الهمزة. وهو أبو كعب وعامر المشهورين بالحَرم ولَهُ خَمْسَة بنين غيرهما دخلوا في قبائل العرب، منهم بنو سامة بن لؤي القائل:

عين جـــودي لسامة بن لؤي علقـــــت سَاقَ سامةَ العلاقه

وأمُّهُ وأمُّ أخيه تيم الأدرم (سمي به لأنه كان منقوص الذقن): سلمى بنتُ عمرو الخزاعية[2].

وغالبٌ: وأمه ليلى[3] بنت سعد بن هذيل. **والغرة**: الشريف، وغرة

---

(1) القين هذا ابن جَسْر بن شَيْع الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة، وأمها عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة. وقيل إن ماوية هذه أم مرة وإن كعبا أمه وحشية بنت شيبان ـ [كتاب الاشتقاق لابن دريد].

(2) هي سلمى بنت عمرو بن لحي، ولحي هو ربيعة بن حارثة بن مزيقيا بن ماء السَّماء، وقيل أم لؤي عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة ـ [الطبري].

(3) هي ليلى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة، وأم ليلى هذه سلمى بنت طابخة بن إلياس بن مضر، وأم سلمى هذه عاتكة بنت نبت بن الأزد بن الغوث.

القوم شريفهم؛ وصف غالبا به لكونه شريفَ قومه.

وفِهر: بالكسر، وهو في الأصل الحجر الذي يدق به؛ قال عبد الرحمن بن حسان لعبد الرحمن بن الحكم:

وأنـــت أذل من وتد بقاع يشجـج رأســه بالفهر واج

وقيل إن ذلك الأصل في اسمه، وقال السُّهيلي: اسمه زيد وإنما نبزته أمه فِهرا، وأمه جندلة[1] بنت الحارث بن مضاض الجرهمية.

ومالكٌ: وأمه عِكرشة (بالكسر) بنت عدوان بن عمرو بن قيس عيلان[2].

والنَّضْر: وهو في الأصل الذهب. **وذو السكة**: أي المسكوك، وصفه بالسكة لأن النضر - أي الذهب - المسكوك أحسن من غير المسكوك؛ وهو جماع قريش[3]، وقيل ذلك فِهر، وأم النضر برة بنت مُرِّ

---

(1) جندلة هذه بنت عامر بن الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمية، وقيل إن أم فهر سلمى بنت أد بن طابخة بن إلياس، وقيل جميلة بنت عدوان الأزدية، وفي **السيرة الحلبية** أن حسان بن عبد كلال جاء من اليمن في حمير وغيرهم لأخذ أحجار الكعبة إلى اليمن ليبني بها بيتا ويجعل حج الناس إليه ونزل بنخلة، فخرج فهر إلى مقاتلته بعد أن جمع قبائل العرب؛ فقاتله فهر، فانهزمت حمير ومن انضم إليهم واستمر حسان في الأسر ثلاث سنين ثم فدى نفسه بمال كثير فمات بين مكة واليمن. فهابت العرب فهرا وعظموه وعلا أمره. ومما يؤثر عن فهر قوله لولده غالب: "قليل ما في يدك أغنى لك من كثير ما أخلق وجهك وإن صار لديك".

(2) وقيل إن أم مالك: عاتكة بنت عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس عيلان، وقيل إن عكرشة لقب عاتكة بنت عدوان واسمها عاتكة، وقيل أمه هند بنت فهم بن عمرو بن قيس عيلان.

(3) واسم النضر هذا قيس ويكنى أبا مخلد.

بن أُدّ[1] بن طابخــة خلف عليها كنانـــة خزيمة بعد أن ولدت لخزيمة أسدا وذلك كان سائغا قَبْلُ، ثُمَّ نُسِخَ بقولهِ تعَالى ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[2].

وكِنَانَة: وهي في اللغة جعبة من جلود توعي السهام، سمي بها عمود النسب؛ وكانت العرب تحج إليه وتتحاكم عليه لفضله وعلمه، وأمه عَوَانَةُ بنت سعد بن زيد بن قيس عيلان[3].

وخُزَيْمَةُ: وهو تصغير خزمة، من الخزم وهو شدّ الشيء وإصلاحه، أو من خزمته إذا أدخلت في أنفه الخزامة؛ وأمه قضاعية[4].

ومُدْرِكَة: واسمه عمرو أو عامر، وسمي مدركة لأنه أدرك الأرنب في قصة آل إلياس الآتية إن شاء الله في ذكر أمه خندف[5]، وهي بنت حُلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة وإليها ينسب بنو إلياس، يقال لهم بنو خندف، يفتخرون بها.

---

(1) أخت تميم بن مر، وإلى ذلك يشير جرير بن عطية بن الخطفى التميمي وهو يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان حيث يقول:

فما الأم الـــتي ولدت قريـــشا ... بمقرفـــة النجـــار ولا عقـــيم

وما قـــرم بأنجب من أبيكــــم ... وما خال بأكـــرم مــــن تميم ..إلخ.

(2) النساء: 22.

(3) وقيل إن أم كنانة هند بنت قيس بن عيلان - [الاشتقاق لابن دريد].

(4) اسمها سلمى بنت أسلم بن إلحاف بن قضاعة، وقيل سلمى بنت أسد بن ربيعة.

(5) اسم خندف هذه: ليلى بنت عمرو بن حلوان بن عمران.. وأمها ضرية بنت ربيعة بن نزار، وهي التي سمي بها حمى ضرية المشهور، وقيل إنه لقب بمدركة لأنه أدرك كل عز وشرف في آبائه.

وإلياس: مِن "رجل أليس"، أي شجاع، وقيل سمي إلياس لأنه أوَّل من أخذه داء اليأس (بالتحريك) وهو السل، واسمه حبيب. ولما أدرك أنكر على بني إسماعيل ما غيروه من سنن آبائهم وبان فضله عليهم فجمعهم ورضوا به وردهم إلى سنن آبائهم، وهو أول من أهدى البُدْن إلى البيت[1]، وأمه بنت قنص بن معد[2]، وأمها سوداء، كما في قصيدة ابن حازم؛ خلافا لما في الحلة السيرا (وهو ما لخصت منه هذا إلا ما قلّ).

ومُضر: معدول عن "ماضر"، سمي به لأنه كان يحب شرب اللبن الماضر، أي الحامض؛ وهو أول من حدا الإبل لأنه كان حسن الصوت. وكان يسوق إبلا على بعير فأقحمه البعير فكسرت يده، فجعل يقول: "وا يداه وا يداه.."؛ فلما سمعت الإبل صوته طربت وانعطفت عليه، فمن ذلك كانت العرب تحدوا الإبل على نحو قوله: "وا يداه". ولا أعرف أمه ولا أمهات بقية العمود[3].

---

(1) ويكنى إلياس هذا أبا عمرو، وقد عظم أمره عند العرب حتى كانت تدعوه بكبير قومه وسيد عشيرته، وكانت لا تقضي أمرا دونه، وكان في العرب كلقمان الحكيم في قومه، وأضافه الناظم هنا إلى ضمير الغائبة العائد على سلسلة عمود النسب وكذلك فعل بمضر بعده.

(2) اسمها الرباب، وقيل هي الرباب بنت حيدة بن معد بن عدنان، وقيل أمه جرهمية ــ [الطبري والسهيلي]. وقيل إن أمه عطوَى بنت إياد الحميرية وقيل الحنفاء بنت إياد بن معد ـ [الاشتقاق لابن دريد].

(3) أما مضر فأمه سودة بنت عك بن عدنان، وأما نزار فأمه معانة بنت جَوشم بن جلهمة بن عمرو بن برة بن جرهم الجرهمية، وأم معانة هذه سلمى بنت الحارث بن مالك بن غنم بن لخم، وأما معد فأمه مَهدَدُ بنت اللّهَم بن جَلْحَب بن جديس بن جابر بن إرم. وقيل امه تيمة بنت يشجب بن يعرب بن قحطان. وأما عدنان فأمه بلهاء بنت يعرب بن قحطان ــ [الاشتقاق لابن دريد].

ونِزَارُ: وهو من "النزر"، لأنه لما ولـد رأى أبـوه معـد نـور النبـوءة في جبهته فنحر كثيرا وأطعم كثيرا ثم قال: كل هذا نزر في حق هذا المولـود، أو لأنه فريد عصره[1].

ومَعَدٌ: مِيمُه أصلية، لقول عمر: "تمعـددوا"، أي تزيـوا بـزي معـد في تقشفهم أو انتسِبوا إليهم.

وعَدْنَانُ: إليه ينتهـي الاتفـاق علـى صحـة النسـب، وفيمـا بينـه وبـين إسماعيل خلاف كثير، وسيأتي في الأصل إن شاء الله.

قولـه: **انتهى الخيـار**: أي أجـداد النبي ﷺ لأنهـم خيـار، وجـاء في الأحاديث أن آباءه مختارون، وسيأتي البحث في ذلك إن شـاء الله تعـالى. وعَن ابْنِ عباس: مات عدنان وأبوه وابنه معد وربيعة ومضـر وقيـس علـى الإسلام على ملة إبراهيم عليه السلام، ورُوِيَ: «لا تسبوا مضـر ولا ربيعـة فإنهما كانا مسلمين»[2].

ثم قال رحمه الله:

تَرْتِيـــبُ أمَّهاتِ سِلْكِ النَّسَبِ   لِستَّـــةٍ: آمِنَـــةُ أمُّ النَّـــبِي
فَبِنتُ عَمْرِوٍ ابْنِ عَايِذِ الهُمَامْ   فَاطِمَةُ لآلِ مَخْـــزُومِ الكِرَامْ

---

(1) روي أن قبر مضر بالروحاء، على ليلتين من المدينة وأن قبر نزار بذات الجيش قرب المدينة - [سموط الذهب].

(2) ذكره الحلبي في سيرته، وابن سعد في *الطبقات*، وفي *الجامع الصغير*: «لا تسبُّوا مضَر فإنه كان قد أسلم».

فَبِنتُ عَمْرٍو سَيِّدِ الأنصَارِ   سَلْمَى ذُؤَابَةُ بَنِي النَّجَّارِ
عَاتِكَتَا سُلَيْمٍ اللَّتَانِ   مِنَ العَوَاتِكِ ذَوَاتِ الشَّانِ
عَوَاتِكُ النَّبِيِّ: أُمُّ وَهْبِ   وأُمُّ هَاشِمٍ وأُمُّ النَّدْبِ
عَبْدِ مَنَافٍ وَذِهِ الأَخِيرَهْ   عَمَّةُ عَمَّةِ الأُولَى الصَّغِيرَهْ
وهُنَّ بِالتَّرْتِيبِ ذَا لِذِي الرِّجَالْ:   الأَوْقَصُ بْنُ مُرَّةٍ ابْنِ هِلَالْ
فَالْخَثْعَمِيَّةُ التِي أَقْصَتْ قُصَيْ   إِلَى قُضَاعَةَ إِذَ آمَتْ فِي لُؤَيْ

سلك النسب: عموده، أي الرجال، فلا تعد وَاحِدَةٌ من جداته من سلك النسب لأنه خاص بالرجال. قوله: **لستة**: أي إلى ستة آباء، لإثبات التاء. **وعايذ**: هو بالياء (قاله السهيلي) ابن عمران بن مخزوم. **والهمام**: الذي يفعل ما اهتم به من الخير. **والذؤابة**: الناصية، أو موضعها من الرأس، وأعلى العز والشرف. **وبَنُو النجار**: يأتي ذكرهم إن شاء الله في الكلام على الأنصار. **والعَوَاتِكُ**: جمع عاتكة، من أعلام النِّسَاء؛ وأصله الشريفة الرئيسة. وإضافة العواتك للنبي ﷺ: لِقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ حُنَيْنٍ: «أنا ابن العواتك من سليم»[1]، أو لأنهن جداته كما في القاموس والروض

(1) رواه الطبراني في الكبير، وسعيد بن منصور عن سيابة بن عاصم كما في *الجامع الصغير* ورمز له بالصحة. والعواتك جمع عاتكة وهن ثلاث نسوة من سليم كن من أمهاته صلى الله عليه وسلم، الأولى: عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمية أم عبد مناف بن قصي، والثانية: عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج السلمية أم هاشم بن عبد مناف، والثالثة: عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال السلمية أم وهب بن عبد مناف بن زهرة، والد آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم، فالأولى عمة الثانية والثانية عمة الثالثة.

الأنف وغيرهما. **والندب**: الظريف. **والخَثْعَمِيَّةُ**: نسبة إلى خثعم، بطنٍ من الأزد يقال لهم الجدرة؛ لأنهم أولُ من بنى جدار الكعبة حين وهى من سيل أتاه أيام ولاية جرهم البيت، واسمها فاطمة[1] بنت سعد بن سيل ـ وسمي سيْلاً لطوله ـ واسمه جُبير بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجادر بن عمرو بن خثعَم. **وآمت المرأةُ**: صَارت أَيِّمًا لِموت زوجها أو تطليقها.

ذكر بعض جداته ﷺ

يعني أنه يذكر ست نسوة من أمهات آباء النبي ﷺ من قِبَل الأب وَينتهي ذلك إلى قصي، لأنه السادس باعتباره صلى الله عليه وسلم، أوَّلُهُنَّ آمنة، أمه صلى الله عليه وسلم، وآخِرُهُنَّ فاطمةُ بنت سعد الخثعمية؛ وأدخل فيهن عاتكة أم وهب بالاستطراد من قوله **عَوَاتِك النبي**، وليست من اللَّوَاتي وعد بذكرهن، إذْ ليستْ من جهة الآباء.

وأمَّا اللَّواتِي وعد بذكرهن فأوَّلُهُنَّ: **آمنةُ** بنت وهب ــ أمه صلى الله عليه وسلم[2].

---

(1) وأم فاطمة هذه طريفة بنت قيس بن ذي الرَّأسين ـ واسمه أمية ــ بن جشم بن كنانة بن عمرو بن القين بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان، وأم ظريفة هذه صخرة بنت عامر بن كعب بن افرك بن بديل بن قيس بن عبقر بن أنمار.

(2) كانت أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا، أمها برة بنت عبد العزَّى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، وسيأتي مزيد من ذكر أمهاتها.

والثانيةُ: **فاطمةُ** بنت عمرو[1] المخزومية أم أبيه عبدِ الله.

والثالثة: **سلمى** بنت عمرو بن الحارث بن دينار بن مالك بن النجار[2]، وتُسَمَّى المتدلية؛ لأنها كانت تحت أحيحة بن الجلاح الجحجبي، فبيت أهلها ذات ليلة - في الحروب بين الأوس والخزرج - أي بات متهيئا لتصبيحهم بالجيش، فتدلت هي من الحائط فذهبت إلى أهلها فأخبرتهم. فضربها وكسر ذراعها وطلقها، فسميت المتدلية. فما ضل سعيها ولا فال رأيها: تزوجها هاشم، لباب صفوة العرب ثم صارت جدة النبي ﷺ: أم عبد المطلب.

والرابعة: **عاتكة** بنت مرة بن هلال، أم هاشم، وهي عمة أم وهب.

---

(1) هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وأمها صخرة بنت عبد بن عمران بن مخزوم، وأم صخرة تَخمُرُ بنت عبد بن قصي، وأم أبيها عمرو فاطمة بنت ربيعة بن عبد العزى بن رزام بن هوازن، وأم جدها عائذ برة بنت قصي بن كلاب، وأم عمران بن مخزوم سعدى بنت وهب بن تيم بن غالب - [الطبقات لابن سعد]، وأم مخزوم بن يقظة: كلبة بنت عامر بن لؤي بن غالب، وأم يقظة بن مرة: بنت سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر.

(2) وفي *الطبقات* لابن سعد: وأم عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، وأم سلمى هذه عميرة بنت صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار، وأم عميرة هذه سلمى بنت عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار، وأم سلمى هذه أثيلة بنت زعور بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار. فعلى ما في المتن تكون جدات النبي صلى الله عليه وسلم من قبل عبد المطلب من بني النجار أربعا، عدد أفخاد بني النجار الأربعة، كل واحدة منهن من فخذ؛ فالأولى من بني مالك بن النجار، والثانية من بني مازن بن النجار، والثالثة من بني دينار بن النجار، والرابعة من بني عدي بن النجار. وعلى ما في *الطبقات* فله جدتان من بني عدي وواحدة من بني مازن وواحدة من بني دينار.

والخامسة: **عاتكة** بنت هلال، أم عبد مناف[1] وهِيَ عَمَّةُ أم هاشم.
والسادِسَةُ: **فاطمةُ** بنت سعد بن سيل[2]، أم قصي وهي التي أقصته ـ أي أبعدته ـ عن عشيرته حتى سمي قصيا. يعني أنها لما مات عنها كلاب بن مرة، أو طلقها، تزوجت رجلا من عذرة (وعذرة من قضاعة) ـ وهو ربيعة بن حرام ـ وحملته معها إليهم. وقَوْلُ من صوبها بالجعثمية (بالجيم وتقديم العين على المثلثة) خلاف ما في **القلقشندي**، وهو مقدم في هذا الفن، و لم يذكرْ جعثما ولا جعثمة وإنَّمَا ذكر خثعما وخثعمة، ونسب إليه أم قصي ونسب إليهم الجدِرة. وذَكَر **القاموس** جُعثمة (بالضم) وقال: حي من هذيل أوْ مِن أزد السراة.

قوله: **وذِهِ الأخيرة**..إلخ: يعني أمَّ عبد مناف، لأنها الأخيرة في ذكره لهن، وهي عمة أم هاشم وأم هاشم عمة أم وهب الأولى في الذكر.

وقوله: **وهُنَّ بالتَّرْتِيبِ**..إلخ: أي إن أردت ترتيبهن مع آبائهن، ناسبا لهن، تقول: عَاتِكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال وعاتكة بنت مرة بن

(1) هي عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمية، وأمها ماوية بنت حوزة بن عمرو بن صعصعة، من بني بكر بن هوازن. وأم ماوية: رقاش بنت الأسحم بن منبه بن أسد بن عبد مناة بن عائذ الله بن سعد العشيرة المذحجية، وقيل إن أم عبد مناف حُبَّى بنت حُلَيل بن حُبشِيةَ بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر الخزاعية، وأم حُبَّى هذه هند بنت عامر بن النضر بن عمرو بن عامر الخزاعية، وأم هند هذه ليلى بنت مازن بن كعب بن عمرو بن عامر الخزاعية ـ [الطبقات لابن سعد].

(2) بن حرب بن حمالة بن عوف بن الأزد الأزدية الخثعمية، وأم فاطمة هذه سودة بنت عمرو بن تميم ـ [الاشتقاق لابن دريد والسيرة للبستي].

هلال وعاتكة بنت هلال بن ذكوان؛ فتبينت عمومية أم عبد مناف الأخيرة في الذكر ـ الأولى في الزمن ـ لأم هاشم، وعمومية أم هاشم لأم وهب الأولى في الذكر، الأخيرة في الزمن[1].

مَا فَوْقَ عَدْنَانَ مِنَ اجْدَادِ النَّبِي   يُنسَـــبُ مَن نَّسَبَهُ لِلْـكَـذِبِ

قال صلى الله عليه وسلم: «كَذَبَ النسابون فيما فوق عدنان[2]» وقالَ: «لا تجاوزوا معد بن عدنان» وقرأ: ﴿وَقُرُونَـا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾[3].

وانْعَقَدَ الإِجْمَاعُ أَنَّ أَحْمَدَا   كَانَ لِشِئْـثَ ولِنُوحٍ وَلَــدَا

أي أجمعت الأمة على أن أحمد ﷺ من ذرية شئث بن آدم وأنه من ولد نوح عليه السلام؛ واسم نوح عبدُ الغفار، وسمي نوحا لكثرة نوحه على ذنوبه وعلى أصحابه بعد أن غيض الماء ورأى عظامهم، وهُوَ أوَّلُ أنبياء الشريعة وأوَّلُ الرسل أرسل إلى أهل الأرض.

لمحة عن نوح عليه السلام

وذلك أن آدم أرسل إلى بنيه ليعلمهم الإيمان وطاعة ربهم و لم يكونوا كفارا، ثم خلفه فيهم شئث كذلك ـ وإن كان إدريس رسولا فإلى مؤمنين كذلك ـ ونُوحٌ عليه السلام هو أول نبي بعث بتحريم البنات والعمات

---

(1) وكانت بنو سليم تفتخر بهذه الولادة والخؤولات لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) قال القسطلاني في *المواهب*: رواه ابن عباس في مسند الفردوس، والظاهر أنه من قول بن مسعود.

(3) الفرقان: 38، رواه ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس، وذكره القلقشندي في *نهاية الأرب*.

والخالات، ولَمَّا يَئِسَ من فلاح قومه أمره الله تعالى أن يغرس شجرا ليعمل منه السَّفينة فغرسه وانتظره مائة سنة ثم نجره في مائة سَنة، فعمل منه السفينة. وكانوا يسخرون منه، يقولون له: صرت نجارا بعد أن كنت نبيا! فيقول لهم: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[1]. وكان يشبه آدم عليه السلام، وكان واسعَ الوجه سهل الخدين مليحَ العيْنيْن خميص البطن حسن القامة. وأُمُّهُ فاطمة بنت فلسوس بن إكليل بن عويل بن لمك بن قابيل بن آدم، وأوْلاده ثلاثة وبناته حَسْوَرَة وسُنورة وعَشورة وأُمُّهُمْ مؤمنة، وأمُّ ابنه كنعانَ ارتدت بعد إيمانها.

وآمن بنوح سبعون، وهم الْمَحْمُولُونَ في السفينة، وهلك أهل الأرض كلهم بدعائه. وهو أطول الأنبياء عمرا، عاش في قومه يدعوهم إلى الإسلام ألف سنة إلا خمسين عاما، ولم تسقط له سن ولم تشب له شعرة ولم تنقص له قوة، ولم يصبر أحد على أذى قومه ما صبر هو، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس - (انتهى من الحلة السيرا).

شِئْـــثُ الوَصِيُّ ثَالِـثُ الأَبْنَاءِ فِي بَطْنِـهَا حَوَّاءُ مِن صَفَاءِ
تَنظُرُ وَجْهَــهُ وَعَنْهَا خَرَجَا إِلَى المَلائِكَـــةِ دَهْرًا ثُمَّ جَا

الوصي تقدم. وقوله: **ثالث الأبناء**: يعني أن بطون حواء كلها اثنان

---

(1) هود: 38.

اثنان، ذكر وأنثى[1]، إلا البطن الذي منه شئث فإنه ثلاثة[2]. **والصفاء**: الحسن. **وحوّاء**: بفتح الحاء وشد الواو ممدود - (انتهى من القسطلاني).

وعن الأشعري أن من النساء من نبئ؛ وهن ست: حواء وسارة وأم موسى - واسمها يُحَانِذُ - وهاجر وآسِيَة ومريم؛ فالضابط عنده أن من جاءه المَلَك عن الله بحُكْمٍ من أمرٍ أو نهي أو بإعلامه شيئا فهو نبي، وقد ثبت مجيء المَلَك لهؤلاء بأمور شتى من عند الله، ووقع التصريح بالإيحاء لبعضهن في القرآن، قال تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ - الآية[3]، وقال تعالى، بعد أن ذكر مريم والأنبياء بعدها، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[4]، فدخلت في عمومه. قال علي الاجهوري:

وأفضل النساء مريم، وهلْ ... فاطمة الزهرا تليها أو أجلْ

ثانيهما الأصح والخلف اتضحْ ... إن لم تقل نبية، وهْو الأصحْ

واستدل من نفى نبوءَتَهُن بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا

---

(1) قال في *تاريخ الطبري*: كانت حواء تلد من كل بطن غلاما وجارية وولدت لآدم أربعين ولدا لصلبه من ذكر وأنثى في عشرين بطنا، وقيل ولدت له مائة وعشرين بطنا، وكان الرجل منهم يتزوج أي أخواته شاء إلا توأمته التي تولد معه فإنها لا تحل له، وكل أولاده ولد بعد هبوطه إلى الأرض.

(2) وقيل ولدته فردا بغير توأم، كرامة لكون نبينا صلى الله عليه وسلم من نسله، وقيل ولدت معه أخا وقيل ولدت معه أختا وكان شئث أجمل ولد آدم - [الخميس وغيره].

(3) القصص: 7.

(4) مريم: 58.

رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيۡهِم﴾[1]، وجعل الإيحاء في قوله تعالى ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ إلهاماً كقوله تعالى ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾[2]. وقيل الإجماع على النبوءة لهن. ولبعضهم في المختلف فيهم:

في خَضِرٍ اختلفت أهلُ النقولْ — قيل نبي أو ولي أو رسولْ
لقمان، ذي القرنين، حوا، مريما — والوقف في الجميع رأي العلما

يقول إن شئث ولد مع اثنين من بطن، وإن حواء من حسنه تنظر وجهه وهو في بطنها وإنَّهُ خرج عنها دهرا إلى الملائكة ثم رجع، وهذه ثلاث خصال مستغربات انفرد بها شئث.

وَهْوَ الذي دَفَنَ آدَمَ لَدَى — أبِي قُبَيْسٍ وانتَفَى مَا وَلَدا
وَنَسْلُ مَا سِوَاهُ إلاَّ نُوحَا — آدَمَ الاصْغَرَ ابْنَهُ النَّصُوحَا

يعني أن شئث بن آدم هو الذي **دفن** أباه عند **أبي قبيس** ـ جبل بمكة ـ على المشهور، بعد أن عاش آدم ألف سنة[3] وأدرك منها إدريس ثلاثمائة

(1) يوسف: 109.
(2) النحل: 68.
(3) لما مات آدم عليه السلام اجتمعت عليه الملائكة من أجل أنه كان صفي الرحمن وغسلوه بالماء وتراً وحنطوه وكفنوه، وقال شئث لجبريل: صل على آدم، فقال جبريل: تقدم أنت فصل على أبيك وكبر عليه ثلاثين تكبيرة؛ فأما خمس فهي الصلاة وأما خمس وعشرون فتفضيلا لآدم عليه السلام، وألحدوا له ودفنوه بمكة في غار أبي قبيس، ويعرف بغار الكنز، ثم قالوا: هذه سنة آدم في ولده ـ [تاريخ الطبري]. وكان شئث قد صلى عليه في كثير من الملائكة، وقيل صلى عليه جبريل واقتدت به الملائكة وبنو آدم. وعاشت حواء بعده سنة، =>>

سنة وثماني سنين، وبينهما أربعة آباء. وانتفى **ما ولد** شئث وجميع نسل آدم. وقوله: **إلا نوحا**: مستثنى مما ولد شئث، وأما ما ولد غيره من بني آدم فلم يستثن منه شيئا[1]. قوله: **آدم الاصغر**: يعني به نوحا، سمي بذلك لأن جميع بني آدم منه. **والنصوحُ**: وزن مبالغة من "النصيحة"، فيه إشارة إلى طول لبثه في قومه يدعوهم إلى الله حتى سمي نوحا لكثرة نوحه عليهم، كما تقدم.

ثُمَّ لإِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ اضطَّرَبَا لِقِلَّةٍ وَكَثْرَةٍ مَّن نَّسَبَا

أي وانْعَقد **الإجماع** أنه صلى الله عليه وسلم ولد لإبراهيم، وترتيب **ثم** متوجه للوُلودية، لا لانعقاد الإجماع. قوله: **ثم اضطربا**: أي بعد انعقاد الإجماع على كونه ولد لهؤلاء الثلاثة، اضطرب النسابون فيما سواهم من الجدود، فمنهم من يقلل ومنهم من يكثر.

مَا فَوْقَ عَدْنَانَ وَمَا دُونَ الذَّبِيحْ مِنْ حَامِلِي نُورِ نَبِيِّنَا الصَّبِيحْ
فِي عَدِّهِ وَفِي التَّلَفُّظِ بِهِ خُلْفٌ تَرَكْنَا ذِكْرَهُ لِرَيْبِهِ

>>

وقيل ثلاثة أيام، ثم ماتت ودفنت معه، وقيل دفنت بجدة، وهو المشهور - [سموط الذهب]. ولما كان زمن الطوفان استخرجه نوح عليه السلام وحمله معه في السفينة، فلما خرج منها رده في مكانه. وقيل دفن بمنىً في مسجد الخيف، وقيل دفن بين بيت المقدس ومسجد إبراهيم. وقيل دفن بسرنديب في الموضع الذي أهبط فيه، وقيل غير ذلك..

(1) قال الطبري في *تاريخه*: وإلى شئث أنساب بني آدم كلهم اليوم، وذلك أن نسل سائر ولد آدم غير نسل شئث انقرضوا وبادوا.

الذبيح: إسماعيل، على القول به؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «أنا ابن الذبيحين[1]»، وقال له أعرابي[2]: يا ابن الذبيحين[3]، فتبسم. فهو عند العرب إسماعيلُ وعند أهل الكتاب إسحاقُ. **والصبيح:** يحتمل أنه وصف للنور فيكون معناه المضيء، ويحتمل أنه وصف لنبينا فيكون معناه الجميل. **وحاملوه:** أجداده صلى الله عليه وسلم.

يعني أن من إسماعيل إلى عدنان من أجداد النبي ﷺ اختلف النَّسَّابون في **عده**، فمنهم مَن يكثر ومنهم من يقلل؛ واختلفوا أيضا في **التلفظ** بأسماء الرجال. فلما كان ذلك يؤدي إلى **الريب**، أي الشك، في أسماء أجداده وفي عددهم **تركنا ذكره** وعمدنا إلى المتفق فيه وهو ما دون عدنان، اجتنابا لنهيه صلى الله عليه وسلم: «لا تجاوزوا معد بن عدنان[4]»، قال ابن

---

(1) رواه الحاكم في *المستدرك*، وذكره ابن هشام: (101/1)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

(2) يا رسول الله: خلفت الكلأ يابسا والماء عابسا.. هلك المال وضاع العيال، فعد عليَّ مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين.

(3) ولم ينكر عليه، أخرجه الحاكم في *المستدرك*. قال الذهبي: وإسناده واهٍ، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: هذا حديث غريب جدا.

(4) وكان صلى الله عليه وسلم إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك، ومنع بعضهم الرفع في النسب من عدنان إلى آدم تمسكا بأنه ليس فيما وراء عدنان إلى آدم طريق صحيح كما صرح به النووي، وقد قال عمر: إني لأنتسب إلى معد بن عدنان ولا أدري ما فوقه. وعن عروة بن الزبير: ما وجدنا أحدا يعرف ما بعد معد بن عدنان إلا تخرصا. وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم؟ فكره ذلك، قيل له: فإلى إسماعيل؟ فكره ذلك أيضا وقال ـ مُنكِرا ـ: من أخبره بذلك حتى يعتمد عليه؟. فالذي ينبغي هو الإعراض عما فوق عدنان لما فيه من التخليط والتغيير للألفاظ وعواصة تلك الأسماء وعدم تحرير ضبطها مع صحة الاستغناء عن ذكرها ـ [سموط الذهب].

حجر: والأقرب أن يقال: إن ثبت أن معدا كان في زمن موسى فبينه وبين إسماعيل العدد الكثير من الآباء، وإن كان في زمن عيسى فبينهما القليل. وا لله أعلم ـ (انتهى من الحلة السيرا في أنساب العرب وسيرة خير الوَرَى).

خَيْرُ الشُّعُوبِ شَعْبُهُ لآدَمِ وَقَرْنُهُ خَيْرُ قُرُونِ العَالَمِ

الشعب (كالمنع): القبيلة العظيمة، وبالكسر: الطريق في الجبل ومسيل الماء في الأرض؛ **والشَّعب** (أيضا بفتح الشين): التفرق، ولعله المراد هنا، لأن الشعوب تشعبت من عند نوح عليه السلام، وهو آدم الأصغر، أو من عند أبينا آدم قبل فناء الناس بالغرق، **والشعب**: النسب الأبعد وهو بالنسبة إلى النبي ﷺ عدنان، وتحته القبيلة وهي مضر، وتحتها العمارة وهي كنانة، وتحتها البطن وهو قريش، وتحتها الفخْذ (بسكون الخاء) وهو عبد مناف، وتحته الفصيلة وهي بنو هاشم، وترادفها العشيرة[1] ، وربما ترادف ما دون القبيلة منها.

القول في معنى القرن

والقرنُ: الأمَّة بعد الأمة، كالصحابة والتابعين وتابعي التابعين.. **والقرن**

---

(1) وقد نظمها من قال:

شعب ـ بفتح الشين ـ والقبيله   من بعدها عمارة أصيله
وهي بكسر العين تروى ثم قل   بطن وفخذ بعدها ولا تمل
وسادس فصيلة تؤويه   وهي العشيرة التي تليه

وقال آخر: الشعب ثم قبيلة وعمارة   بطن وفخذ والفصيلة تابعه

أيضًا: العدد من الزَّمَنِ؛ وأَصَحُّهُ مِائَةُ سنة، لقوله ﷺ لغلام: «عش قرنا» فعاش مائة سنة[1]. يعني أن خير شعوب بني آدم من آدم إلى يوم القيامة الشعب الذي منه النبي[2] ﷺ ، وخير القُرُون القرْنُ الذي فيه النبي ﷺ، وهم الصحابة، لقوله صلى الله عليه وسلم: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم»، وفي روايةٍ بإعادة: "ثم الذين يلونهم" مرتين، قال عمران بن الحصين - وهو راوِي الحديث -: لا أدري أقال «ثم الذين يلونهم» مرتين أو ثلاثا[3]. فالذين يلون الصحابة هم التابعون؛ ومنهم الإمام أبو حنيفة،

---

(1) أخرجه البخاري في *التاريخ الصغير*- [الإصابة، في ترجمة عبد الله بن بشر]. وعن عبد الله بن بشر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «يعيش هذا الغلام قرنا»، فعاش مائة سنة. وقيل القرن ثمانون، وقيل أربعون، وقيل القرن كل طبقة مقترنين في وقت، ومنه قيل لأهل كل مدة بعث فيها نبي - قلت السنون أو كثرت - قرن ومنه الحديث: خيركم قرني - يعني أصحابي - ثم الذين يلونهم - يعني التابعين بإحسان - واشتقاقه من الاقتران - [حاشية الحفني على ابن حجر الهيثمي].

(2) وفي الحديث: «إن الله خلق الخلق فجعلني في خير فِرقِهم ثم تخير القبائل فجعلني في خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا» - [رواه الترمذي]؛ وفيه أيضا: «إن الله حين خلق الخلق بعث جبريل فقسم الناس قسمين: فقسم العرب قسما وقسم العجم قسما، وكانت خيرة الله في العرب؛ ثم قسم العرب قسمين: فقسم اليمن قسما وقسم مضر قسما وقسم قريشا قسما وكانت خيرة الله في قريش، ثم أخرجني من خير من أنا منهم»، رواه الطبراني وحسَّن العراقي إسناده - [اهـ من شرح المواهب]. وعن واثلة بن الأسقع أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم» - [فتح المنعم على زاد المسلم].

(3) أخرجه البخاري ومسلم عن عمران، وبقية الحديث: «..ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن».

لأنه لقي ستة من الصحابة، والذين يلونهم هم تابعوا التابعين؛ ومنهم الأئمةُ الثلاثة الآخرون: مَالِكٌ والشَّافِعِيُّ وأحْمد.

واختلف في هذه **الخيرية**، قيل بالعموم، أي عامة الصحابة خير من عامة التابعين، وقيل باعتبار الأشخاص فكل من تطلق عليه الصحبة خير من كل تابعي.

قلتُ: فعلى هذا يكون مروان بن الحكم خيرًا من سعيد بن المسيب، ولا تكاد النفس تقنع بهذا. ورُوي أن زوجة سعيد بن المسيب ـ وهِيَ فَاطِمة بنت أبي هريرة ـ قالت: لصهرها شريح القاضي، وقد وُلد له ولدٌ من بنتها ـ بنت سعيد بن المسيب ـ: سمِهِ سعيدا باسم جده، فإني مكثت معه أربعين سنة ما عصى الله فِيهَا قَطُّ.

مِن مُّؤمِنِينَ مُتَنَاكِحِينَا خَرَجَ ، لاَ مِن مُّتَسَافِحِينَا
يُنقَلُ مِنْ أَصْلاَبِ طَاهِرِينَا لِطَاهِرَاتٍ مِن لَّدُنْ أَبِينَا
وَكَيْفَ لاَ وَالْمُشْرِكُونَ نَجَسُ وَمِنْ أَذًى نَبِيُّنَا مُقَدَّسُ
مِن سَاجِدٍ لِّسَاجِدٍ تَقَلَّبَا صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا هَبَّ الصَّبَا

المُتَسَافِحُونَ: فَاعِلُو السِّفَاحِ أي الزني[1]. **والأذى**: المكروه، نجس وغيره، والمراد هنا **النجس**. **والمُقدس**: المُطَهَّرُ. وفي هَذِهِ الأبياتِ الذَّب عن آبائه صلى الله عليه وسلم.

---

(1) وهو بكسر السين من سفح الماء إذا صبَّه فكأنه أراق ماءه وأضاعه سواء كان جهرا أو سرا، ومنه دم مسفوح أي مراق.

الذب عن آبائه صلى الله عليه وسلم

يعني أنه صلى الله عليه وسلم خرج من رجال ونساء **مؤمنين متناكحين،** النكاح الصحيح الشرعي. قال ابْنُ الكَلْبِي: عددت للنبي ﷺ سِتمائة أم - وفي رِوايةٍ خمسمائة أم - كُلُّهُنَّ من نكاح[1] ليس فيهن مما كانت الجاهلية تفعله شيء[2]، ينقل صلى الله عليه وسلم من أصلاب رجال طَاهِرِينَ إلى أرحام نساء طاهراتٍ من لدن آدم عليه السلام إلى أبيه عبد الله.

قوله: **من ساجد**..إلخ: فسر به قوله تعالى ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾[3]

---

(1) قاله في *المواهب اللدنية*: (66/1)، وقال الزرقاني على المواهب: مراده الجدات وجدات الجدات من قِبَل الأبوين، وقال التلمساني في **شرح الشفاء**: هذا العدد - والله أعلم - يرجع إلى أمه عليه الصلاة والسلام وأم أبيه وأم كل أصل من الطرفين من جهة الآباء والأمهات.

(2) الجاهلية هي ما قبل البعثة، وقيل ما قبل الفتح، سموا بذلك لكثرة جهالاتهم. وقد كانت الجاهلية تفعل كثيرا من الأنكحة الفاسدة، مثل السفاح والبغايا والاستبضاع والجمع.. وغير ذلك، أما السفاح فقد كانت المرأة تسافح رجلا مدة فإذا أعجبته وأعجبها تزوجها. وأما **نكاح البغايا** فهو أن يطأ البَغِيَّ جماعةٌ فإذا ولدت ولدا ألحق بمن غلب عليه شبهه منهم. وأما **الاستبضاع** فهو أن المرأة المتزوجة إذا طهرت من الحيض قال لها زوجها أرسلي لفلان واستبضعي منه ويعتزلها زوجها حتى يتبين حملها منه فإن بان أصابها زوجها إن أحبَّ. وأما **الجمع** فهو أن يجتمع رجال دون عشرة ويدخلون على بغي ذات راية كلهم يطؤها فإذا وضعت ومر لها ليال بعده أرسلت لهم فلا يتخلف رجل منهم فتقول: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت فيلحق به لا يستطيع نفيه وإن لم يشبهه. ومنها أيضا نكاح المصافحة - [اهـ الزرقاني على المواهب].

(3) الشعراء: 219.

أي المراد: ينقل نوره من ساجد إلى ساجد. **وكيف لا** يَكُونُ هَذَا وصْفُهُ **والمشركون نجس،** قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[1]، والنبي ﷺ مطهر من النجس أصلا وفرعا وظاهرا وباطنا. قال ابن حجر الهيثمي: إنَّ الأحاديث مصرحة، لفظا في أكثره ومعنى في كله، أن آباءه صلى الله عليه وسلم، غير الأنبياء، وأُمَّهاته إلى آدم وحَوَّاء ليس فيهم كافر؛ لأن الكافر لا يقال في حقه إنه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس. وقد جاء في الأحَادِيث أن آباءه مختارُونَ وأنهم كرام وأن أمهاتِه طاهراتٌ[2]؛ وأيضا فهم - إلى إسماعيلَ - من أهل الفترة، وهم في حكم المسلمين بِنَصٍّ قوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[3].

وجَعَلَ الدِّينَ عَمُودُ نَسَبِهْ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهْ
وَفِيهِ رَبُّهُ لَهُ تَقَبَّلاَ دُعَاءَهُ مِن كُلِّ بِرٍّ سَأَلاَ
كَتَرْكِ الاَصْنَامِ وَتَرْكِ المُوبِقَاتْ وَكُلِّ مَا يُزْرِي بِمَنصِبِ الثِّقَاتْ

عمود نسبه: إبراهيمُ عليه السلام. **والدينُ**: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رسُولُ اللهِ - ﷺ - قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾[4]، قال الثعالبي:

---

(1) التوبة: 28.
(2) قاله ابن حجر في شرحه للهمزية (ص: 25 - 26).
(3) الإسراء: 15، قاله ابن حجر في شرحه على الهمزية. **قلت** : وجميع ما ذكره الناظم والشارح في شأن نجاة أجداده صلى الله عليه وسلم هنا جاء في *المواهب* اللدنية وشرحه للزرقاني وفي *شرح ابن حجر* على الهمزية وغيرهما.
(4) الزخرف: 28.

الضمير في وجعلها عائد على كلمة التوحيد في قوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾[1]، وقال: والمراد بالكلمة: لا إله إلا الله، وأعاد عليها الضمير وإن لم يجر لها ذكر لأن اللفظ يتضمنها. **والعقب**: الذرية وولد الولد ما امتد فرعه. **وفيه**: أي **في عقبه**. **رَبُّه**: الضمير يعود على إبراهيم، وكذلك ضمير **له ودعاءه**. **والبر**: الخير والاتساع في الإحسان. **والموبقات**: المهلكات. **وأزرى** بالشيء: أدخل عليه العيب. **والمنصب** تقدم.

يقول وجعل عمودُ نسبه، الذي هو إبراهيمُ عليه السلام، الدينَ، الذي هو كلمة التوحيد، كلمةً باقية ـ أي لا تزال موجودة ـ في ذريته[2]؛ والأولى بها بعد النَّبيين جدوده صلى الله عليه وسلم. **ودُعَاؤُه** الذي **تُقبِّل** له قوله تعالى حكاية عنه ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ ـ إلى آخر الدُّعاء[3]. قوله: **وترك الاصنام**: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[4] وقوله تعالى ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾[5]، هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله؛ وقيل أسلمت أمه، وقرئ: "ولِوَالِدِي ـ بالإفراد ـ وولدي" ـ (اهـ من تكملة السيوطي).

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ حِينَ اسْتَعْصَمَا مِمَّن دَعَتْهُ إِذْ تَبِيعُ الأُدُمَا:

---

(1) الزخرف: 26.

(2) راجع الزرقاني على *المواهب اللدنية*.

(3) ابراهيم: 35.

(4) ابراهيم: 35.

(5) ابراهيم: 41.

"أمَّا الْحَـــرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ وَالْحِـلُّ لاَ حِـــلَّ فَأَسْتَبِينَهُ
فَكَيْفَ بِالأَمْـــرِ الذي تَبْغِينَهُ يَحْمِي الكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهُ"
والعُــذْرُ بِالْفَتْــرَةِ وَالإِحْيَاءِ فَيُؤمِنُــوا وَرَدَ فِي الأَنْــبَاءِ
وَالْقَــوْلُ فِيهِمْ بِخِلاَفِ هَـذَا يَابَــاهُ أَنَّـــهُ النَّبِـــيَّ آذَى
ولَعَـــنَ الإِلَـــهُ مَـــنْ آذَاهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي أُخْـــرَاهُ

استعصم: امتنع، ومنه عصمة الرسل، أي منع الله لهم من عصيانه ومن الرذائل؛ ومنه أيضا عصمة المرأة لأَنَّ زَوْجَهَا يَعْصِمُهَا، أي يمنعها من تزويج غيره. **والأدم**: جمع أديم للإهاب. **ومَن دعته**: هي فاطمة بنت عدي بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، بنت أخي ورقة بن نوفل وبنت أختِ تأبَّطَ شرًّا، وتقدم بعض خبرها معه في تزويج عبد الله آمنة. **والفَتْرَةُ** (بالفَتحِ): ما بيْن كل رسولَيْن من فترة الوحي أي وقوفه.

استدل بقول عبد الله هذا على إسلامهم وفيه أقوى دليل، بأمور:

أحدها: المبالاة بالحلال والحرام.

الثاني: تحريمُ الزنى وتحليل النِّكاح، وليس ذلك من شأن الكفار، لأنهم إذا ذكروا ما جاء به النَّبي ﷺ يقولون: ويحرم الزنى! وإن كان النكاح مما أبقوه من دين إبراهيم، إذ يمكن أن لا يكون ذلك تدينا عندهم بل عادة.

الثالث: إعداد الموت مجنا دون الحرام.

الرابع: حماية الدين.

قوله: **والعذر بالفترة..إلخ**: أي مما يذب به عنهم أيضًا أنَّه ورَدَ في الأنباء، أي الأخبار، أنهم يعذرون بفترة الوحي عنهم منذ إسماعيل إلى سيدنا مُحمد عليهما الصلاة والسلام، فيكونون في حكم المسلمين بنص قوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1].

ويعتذر عنهم أيضا بالقول بأَنَّهُم يُحيَون كغَيْرِهم من أهْلِ الفترة فيبعث إليهم نبي فيؤمن به أجدادُه صلى الله عليه وسلم. **والقول فيهم بخلاف** ما في النظم، وهو كونهم كفارا ومن أهْل النار، يمنعه أنه كان يؤذي النبيَّ ﷺ، وقَدْ نهَى عن ذلك لدخوله في عموم: «لا تؤذوا الأحياء بسبِّ الأموات[2]»، ولعن الله من آذاه صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة بقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[3]. قال الشيخ الولي محمد بن المختار اليدالي في كتاب **الحلة السيرا في أنساب العرب وسيرة خير الورى**: هذا هو الحق، بل في حديث صححه غيرُ واحد أنَّ الله أحيا أبويه له فآمنا به، خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم، ولِذَا نفع الإيمان به بعد الموت،

---

(1) الإسراء: 15.

(2) رواه الترمذي والنسائي وأحمد وقد قال ابن حجر: وما أحسن قول بعض المتوقفين في هذه المسألة: الحذر الحذر من ذكرهما بنقص فإن ذلك قد يؤذيه صلى الله عليه وسلم لخبر الطبراني: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات».

(3) الأحزاب: 57.

خصوصية وكرامة؛ فقد ردت عليه الشمس بعد مغيبها فعاد الوقت حتى صلى العصر أداءً، كرامة له صلى الله عليه وسلم.

وفائدة إحْيائهما له، مع أنهما من أهل الفترة وأنهم لا يعذبون، إتحافهما بكمال لم يحصل لأحد من أهل الفترة لأن غاية أمرهما السلامة من العذاب، فأُتحف أبواه بمزية الإيمان زيادة في كمال شرفهما. ولا يرد على هذا آزرُ الذي ذكر في الكتاب العزيز أنه أبو إبراهيم عليه السلام وهو كافر؛ لإجماع أهل الكتاب على أنه عمه[1]، والعرب تسمي العم أبًا، قال تعالى ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾[2]، مع أنه[3] عَمُّ يَعْقُوبَ، لِحَدِيثِ الْحُصَيْنِ بن عبيد والد عمران: «إن أبي وأباك في النار[4]»، أراد بأبيه عمه أبا طالب؛ لما تقرر أن العرب تسمي العم أباً.

قال السهيليُّ: وليس لنا أن نقول نحن هذا في أبويه لحديث «لا تؤذوا الأحياء بسبِّ الأموات». وقد ألف السيوطي كتابا سماه: "الفوائد الكامِنَة في إيمان السيدة آمنة"، ويُسمى أيضا "التعظيم والمنة في أنَّ أبوي النبي ﷺ في

---

(1) قال ابن حجر: أجمع أهل الكتابين على أن آزر لم يكن والد إبراهيم بل كان عمه، والعرب تسمي العم أبا.. فلعل الشارح اعتمد كلامه هنا ـ والله أعلم.

(2) البقرة: 133.

(3) أي اسماعيل.

(4) رواه مسلم (191/1) عن أنس أن رجلا قال: "يا رسول الله أين أبي"؟ قال: «في النار»، فلما قفّى دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار» ـ [ابن حجر الهيثمي].

الجنة" ـ اهـ. ثُمَّ قال: والحذَرَ الحَذر من غير هذا فإن ذلك يؤذيه صلى الله عليه وسلم لِحَدِيثِ: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأمْوَاتِ».

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

مِنْ عَهْدِ نوحٍ مَّا خَلَتْ الأَرْضُ مِنْ   إسْــلاَمِ سَبْعَةٍ لِكَيْمَا تَطْمَئِنْ

أي تثبت بأهلِهَا و لم تَمِد بهم ولَم تُخْسَفْ، لأنَّ الأقاليم سبعة فكان كل إقليم يطمئن بمسلم؛ فإذا لم تخل الأرض من سبعة مسلمين في فترة من الرسل كان الأولى بهم واحدٌ من أجداد النبي ﷺ أو اثنان أو ثلاثة[1]. وسمعته[2] رحمه الله يقول إنَّه أخذَ هذا من الخصائص الكبرى للسيوطي.

---

(1) قال الزرقاني في شرحه للمواهب، وقد أسنده بسند صحيح على شرط الشيخين بلفظ: "ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض". وفي *فتح المنعم* على زاد المسلم: ورد من الأحاديث والآثار ما يدل على أنه لم تخل الأرض من عهد نوح إلى بعثته عليه السلام من ناس على الفطرة في زمان الفترة يعبدون الله ويوحدونه ويصلون له وبهم تحفظ الأرض ولولاهم لهلكت الأرض ومن عليها، فمن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في الزهد والخلال في كرامات الأولياء عن ابن عباس: «ما خلت الأرض بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض» إلى أن قال: ودلت الأحاديث على أن آباءه عليه الصلاة والسلام كانوا في كل قرن هم خيره أو من خيره فهم على كل حال في السبعة المسلمين بمقتضى الأحاديث الصحيحة.

(2) يعني الناظم أحمد البدوي رحمهما الله.

القول في نسب عدنان*

لَيْسَ لِعَدْنَانَ سِوَى عَكٍّ مَّعَدّْ فَلِمَعَدٍّ عِدَّةٌ مِّنْهَا يُعَدّْ
قَنَصُهُ وَدَخَلُوا فِي يَعْرُبِ جَمِيعُهُم غَيْرَ عَمُودِ النَّسَبِ

لما أنهى الكلام على من تداول الحرم والمَلَح التي بعده وما ذكر من خبر العرب البائرة وتذبذب المتذبذبة وذكر عمود النسب وبعض الأمهات والذب عن الأجداد ـ وذلك كله مرتبط وفيه تمهيد للمهم ـ سقط على الأنساب؛ وشرع في عدنان، عمودِ نسب النبي ﷺ، لشرفه به. لأن الجل من المطلوب بهذا النظم، بل بهذا الفن، معرفتُه صلى الله عليه وسلم، ومعرفته تجلُب معرفة التوحيد الذي هو أصل الدين ثم معرفة الشرائع، إذ منبع ذلك كله النبي ﷺ وأصحابه.

فقال: **ليس لعدنان سوى عك**، وقد دخل في يعرب وتزوج امرأة من

* تقدم أن العرب غير البائرة ترجع إلى أصلين: عدنان وقحطان، وقد اختلف صنيع المؤلفين في هذا الفنِّ فمنهم من يبدأ بذكر كل أصل ثم ينحط في التفريع من الجد الأعلى ـ مثل عدنان مثلا ـ إلى الذي يليه ويذكر فروعه وفروع فروعه وهكذا.. حتى يصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين ومن بعدهم، بادئا غالبا بحاشية عمود النسب على عموده، ويؤخر عمود النسب عناية واهتمامًا به، ويبدأ بالعدنانيين ـ لشرفهم ولأنهم المقصود الأول من هذا الفن ـ ثم يثني بالقحطانيين عمود نسب الأنصار. وبهذا أخذ ابن هشام في سيرته وتبعه الناظم رحمه الله. ومنهم من يبدأ بأولية الفخر وآخريته وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم تقديما للمهم والمقصد الأعظم من الفن ثم يتدرج مع آبائه مرتقيا ومرتبا إلى عدنان، وبهذا أخذ ابن حزم في جمهرته، وغيره ـ [سموط الذهب].

الأشعريين فصار منهم[1]، والدار واللغة واحدة. وفي القاموس: وعَكٌّ بن عُدثان (بالثاء المثلثة) بن عبد الله بن الأَزد وليس ابن عدنان أخا معد ووهِم الجوهري - اهـ، خلافا للنسَّابين. وأما **معد** فله **عدة** من الولد، أي عدد ثلاثة: عمودُ النسب - وهو نِزار - وقنص، وإياد. أما **قنص** وإياد فدخلوا في يعرب بن قحطان. وقوله: **جميعهم**: أي جميع بني معد، غير عمود النسب الذي هو نزار[2].

وعِندَ مَا أطَلَّ بُخْتُ نَصَّرَا ... عَلَى صَغَارِ العُرْبِ، خَالِقُ الوَرَى

أَمَرَ أرْمِياءَ يَحْمِلُ مَعَدْ ... عَلَى البُرَاقِ لِيُجَانِبَ النَّكَدْ

وَرَاجَعَ الْحَرَمَ مِن بَعْدِ الجَلاَ ... وأَرْبَعُونَ مِن بَنِيهِ النُّبَّلاَ

شَنُّوا الإغَارَةَ عَلَى الكَلِيمِ ... ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ولِلرَّحِيمِ

يَضْرَعُ بِالدُّعَا عَلَيْهِمْ، فَنَبَا ... دُعَاؤُهُ لأَجْلِ نُورِ المُجْتَبَى

أطل على الأمر: أشرف عليه. **وبُخْتُ نصَّر**: الجبار المعروف الذي خَرَّبَ بيت المقدس، ومعناه ولدُ الصنم؛ لأنه لا أب له ووجد عند الصنم كعادة أولاد الزنى - كصبي المسجد - فآل أمره إلى أن ملك الأرض وتجبر. **والصَّغار**: الذل، قال:

---

(1) عك: بفتح العين المهملة، واسمه عامر بن عدنان، التحق بالأشعريين في اليمن فأقام فيهم.

(2) وقيل إن لعدنان أبناء آخرين منهم عدن، الذي تنسب إليه مدينة عدن، ومنهم أبين وإليه تنسب مدينة يمنية أخرى – [قاله الطبري وغيره]. وقيل أيضا إن منهم جشما وسهما وجنادة وقناصة وقنصا وعوفا وحيدان.. [راجع الروض الأنف للسهيلي].

هذا وجَـــدُّكُم الصَّغارُ بعينـه لا أُمَّ لي إن كـــان ذاك ولا أبُ

وأرمياءُ: أحد أنبياء بني إسرائيل. **والنّكد**: الشؤم. **والجَلاء**: البعد عن الوطن. **والنُّبَلاءُ**: جمع نبيل أي العُقلاء. **وشنَّ الغارة**: صبها. **والكَلِيمُ**: موسى عليه السلام. **وضرع له وإليه**: خضع وذل واستكان. **ونَبَا الدعاء** والسيف: كَلَّ. **والمجتبى**: المختار، وهو من أسماء النبي ﷺ.

يقول لما أشرف بخت نصَّر على أن يُهين العرب بسبب رؤيا رآها ـ ويأتي ذكرها إن شاء الله ـ أمر الله تبارك وتعالى أرْمياء عليه السلام أن يحمل معدا على البُراق إلى الشام، ليغيب عن شؤم بخت نصَّر وإذلاله لأهل جزيرة العربِ؛ فكان ذلك السَّبب في معرفة أهل الكتاب لأنسَابِ معد. فلما أَقْلَعَ بخت نصَّر عن تخريب العرب ـ أو مات، أو قتله ابنه ـ رجع معد إلى الحجاز فسكن الحرم. ولما بلغ بنوه أربعين، وقيل خمسة وعشرين، أغاروا على عسكر موسى عليه السلام، فدعا عليهم فلم يُستجب له فيهم، إلى ثلاث مَرَّاتٍ وهم يُغيرونَ عليهِ وهو يدعو.. فقال: يا رب دَعَوْتُكَ في قَوْمٍ فلم تُجبنِي، قال: يا موسى دعوتني على قوم فيهم خيرتي آخر الزمان.

رؤيا بختنصَّر ومحاولته إبادة العرب

ورؤيا بُخْتُ نَصَّر ـ التي وعدنا بذكرها ـ هي أنه رأى في المنام شخصا رأسُه من ذهب وصدره من فضة وفخذاه من نحاس وساقاه من حديد ورجلاه من فخار؛ ثم جاءته ريح أفزعته حتى نسي رؤياه. فجمع عليه علماءَ بني إسرائيل وقال لهم: لتخبروني برؤيايَ وبتعبيرها وإلا لم أُبق منكم

عينا تطرِفُ! فأوقعهم في كرب، وأجَّلهم أجلا قريبا. فلما راحوا من عنده اندس إليه أَحَدُهُمْ فقالَ له: رؤياك ليس على وجه الأرض من يخبرك عنها إلا أرمياء. فبعث إليه فأخبره عنها وعن تَعْبِيرِهَا: أنَّ مُلكَهُ هو الفخار وأن ملك العرب هو الذهب وينسخ ما قبله من الملك.

فانتدب لذلك بخت نصَّر للعرب يزعُمُ أنه يُبيدهم، فأمر الله أرمياءَ عليه السلام أن يحمل معدا على البراق إلى الشام، خوفا عليه من معرة الجيش.

قلت: كثر ذكر الكتب لهذا وتواترهم عليه مع أن موسى عليه السلام الذي أغار عليه بنو معد هو أول رسل بني إسرائيل وأرمياء من آخر أنبيائهم، فكيف المخلص؟! والله تعالى أعلم.

وَلِنِزَارٍ: الصَّرِيحَانِ مُضَرْ، رَبِيعَةٌ؛ إِيَادُ، أَنْمَارُ الأَغَرْ

الصريح: الخالص من كُلِّ شيء يشوبه، يقال لبن صريح وصرح (محركة) وصراح (بالكسر والضم، ونسب كذلك). **والأغر:** الكريم.

يعني أن نزارا ولد أربعة أولاد وهم **الصريحان مضر وربيعة**، لصراحتهما من نسب غيرهما؛ وتضرب الأمثال بكثرتهما، قال صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليشفع في مثل ربيعة ومضر»[1]، وقالها أيضا في أويس القرني. **وإياد** (ككتاب) ابن نزار. وأنمار.

---

(1) رواه ابن ماجه، وفي مسند أحمد: (212/4) من رواية أبي برزة: «إنَّ من أُمَّتي لمن يشفع لأكثر من ربيعة ومضر».

ويقال لمضر مضر الحمراء ولربيعة ربيعة الفَرس، وذلك أن نزاراً لما حضرته الوفاة قسم ماله على بنيه؛ أعطى لمضر القبةَ الحمراءَ وما شاكلها، فسمي مضر الحمراء؛ وأعطى لربيعة الفَرس الدهماء وما شاكلها، فسمي ربيعة الفرس؛ وأعطى إياداً الجارية الشمطاء وما أشبهها؛ وأعطى أنمارا البدرة والمجلس وما أشبههما؛ ثم قال لهم إن اشتبه عليكم الأمر فعليكم بأفعى[1] الجرهمي.

أبناء نزار وبعض ذكائهم

ثم ساروا إلى أفعى فلما أتوه قال لهم: أما أنت يا مضر فلك القبة الحمراءُ وما شاكلها من الإبل الحمر ونحوها من الذهب وغيره من كل لون أحمر، وأما أنت يا ربيعة فلك الفرس الدهماء وما شاكلها من العبيد والسلاح، وأما أنت يا إياد فلك الجارية الشمطاء وما أشبهها من الغنم البرش والماشية البلق ورعائها، وأما أنت يا أنمار فلك البدرة والمجلس وما أشبههما من الأرض والدراهم.

ومما ظهر من ذكائهم أنهم لما نزلوا بأفعى أتاهم إنسان يسألهم عن ضالة بعير، فقال له أحدهم: بعيرك شرود؟ قال: نعم، وقال آخر: بعيرك أعور؟ قال: نعم، وقال آخر: بعيرك أبتر؟ قال: نعم، وقال آخر: بعيرك أزور؟ قال: نعم؛ فقالوا: ما رأيناه ولكن رأينا أثره! فأتى أفعى فقال له:

---

(1) هو أفعى بن الأفعى الجرهمي ملك نجران.

ضَيْفُكَ هؤلاء أكلوا لِي بعيراً فأنصفني منهم. فأتاهم فقال الذي قال شرود: رأيته لا يرعى إلا الأنجاد فعلمت أنه شرود، وقال الذي قال إنه أعور: رأيته يأكل من جانب الشجرة ويدع الجانب الآخر فعلمت أنه أعور، وقال الذي قال إنه أبتر: رأيته يضع بعره مجتمعا فعلمت أنه لو كان له ذنب لفرقه بذنبه، وقال الذي قال إنه أزور: رأيته وإحدى يديه أرسخ من الأخرى فعلمت أنه أَزْوَرُ، فَصَدَّقهم أفعى.

ومنها أنهم لما نزلوا بأفعى دعا صاحب الشراب وقال له: اختر لي من الشراب ما أسقي به هؤلاء فإنهم كرام علي، ودعا صاحب الغنم فقال له: اذبح لي سخلة سمينة جدا. واستكمن لهم شخصا يحفظ له ما يقولون؛ ومما حَفظ عنهم أن قال أحدهم في الشراب: نِعمَ الشراب لولا أن كرمته من عظام آدمي ميت! وقال آخر: نِعم اللحم لولا أن شاته غذيت بلبن الكلاب! وقال آخر: نعم الطعام لولا أن عاجنتهُ حائض! وقال آخر: نعم الملك لو كان له أب!.

فدعا صاحبَ الشراب فسأله، فقال: أمرتني بخير الشراب فإذا خَيْرُهُ من كرمة نبتت على قبر ميت، وقال صاحب الغنم: أسمن شاة عندي سخلة ماتت أمها وكانت ترضع كلبة مع اجرها، ودعا الأمَة التي عجنت العجين فأخبرته أنها حائض، ثم خلا بأمه وقال لها: اصدقيني الخبر، فقالت: يا بني رأيت الملِك لا يولَد له فدعوت إنسانا فمكنته من نفسي خوف أن ينقطع الملك عني.

فأتاهم وقال: ارتحلــوا عني فإنكــم شياطين[1]!.

ثم قال رحمه الله:

أَمَّا إِيَادُ بْنُ نِــزَارٍ فَارْتَحَــلْ   عَنْ مَكَّةٍ إِذْ مُضَرُ بِهَا احْتَفَلْ

إياد: ككتاب. و**احتفل** القوم بالمكان: اجتمعوا فيه. يعني أن إياد بن نزار كانوا أهل مكة وكان يلي أمر البيت رجل منهم يقال له وَكِيعٌ بْنُ سلمة بن زهير بن إياد، وكان ينطق بكثير من الأخبار؛ وقد أكثر فيه العلماءُ، وأكثرهم يقول كان صدِّيقا من الصديقين.

وأوَّلُ إخراج مضر لهم سببه أن خرج رجل منهم وآخر من مضر يتصيدان فمرت بهما أرنب فرماها الإيادي فنزل سهمُه في قلب المضري فقتله، فبلغ الخبر مضر فطلبوا منهم قود صاحبِهم، فقالت إياد: إنما أخطأ

---

(1) وروي أنه دس إليهم من سألهم عما قالوا: فقال مضر: إنما علمت أن الكرمة غرست على قبر لأن الخمر إذا شربت أزالت الهمَّ وهذه بخلاف ذلك لأنا لما شربناها دخل علينا الغم. وقال ربيعة: إنما علمت أن اللحم لحم شاة رضعت لبن كلبة لأن لحم الضأن وسائر اللحوم شحمها فوق اللحم إلا الكلاب فإنها عكس ذلك فرأيته موافقا له فعلمت أنه لحم شاة رضعت لبن كلبة فاكتسب لحمها هذه الخاصية. وقال أنمار: إنما علمت أن الخبز عجنته حائض لأن الخبز إذا فت تفتش في الطعام، وهو بخلاف ذلك فعلمت أنه عجين حائض. وقال إياد: إنما علمت أن الملك ليس بابن أبيه الذي يدعى إليه لأنه صنع لنا طعاما و لم يأكل معنا، فعرفت ذلك من طباعه لأن أباه لم يكن كذلك. فقال الملك: ما هؤلاء إلا شياطين! ثم سألهم عن حاجتهم فقصوا عليه ما أوصاهم به أبوهم وما كان من اختلافهم فأخبرهم بكيفية تقسيم ما تركه أبوهم بينهم، فساروا من عنده على ذلك.

صاحبنا. فأبوا منهم ذلِكَ، فقالت لهم إياد: أجلونا ثلاثا فلن نساكنكم في أرضكم، فأجَّلوهم ثلاثا فظعنُوا قِبَلَ المشرق[1].

فلما ساروا يوما تبعتهم فهْم وعدوان فقالوا لهم: ردوا علينا نساءنا المتزوجاتِ فيكم، قالوا: لا تقطعوا قرابتنا، اعرضوا على النساء فأي امرأة اختارت أهلها رددناها وإن اختارت الذهاب مع زوجها أعرضتم لنا عنها، فقالوا: نعم، وأول امرأة اختارت أهلها امرأةٌ من خزاعة.

ولما أجمعت إيادُ الخروجَ من مكة حسدوا مضر أن تليَ الحجر الأسود، فحملوه على بعير فبرك ولم يقم، ولم يحملوه على شيء إلا سقط فَبَحثُوا له تحت شجرة ودفنوه تحتها. فلمَّا كان بعد يومين فَقَدَتْ مُضرُ الحجرَ فعظُم في أنفسها، فقالت الخزاعية لأهلها حين رأت مشقة ذلك على مضر: خذوا عليهم أن يولوكم حجابة البيت وأدلهم على الحجر. فأخذوا عليهم، فوليت خزاعة - (اهـ من البحر الزاخِر).

وبِالعِـــرَاقِ اسْتَـلَّ بِالإِيجَافِ أَكْتَافَهُــمْ سَابُورُ ذُو الأَكْتَافِ

العراق: بلاد معروفة من عبادان إلى المَوْصل طولا، ومن القادسية إلى حُلوان عرضا، سميت بذلك لعراق النخل والأشجار فيها، أو لأنها على عراق دجلة والفرات، أي على شاطئهما. وفتحت في خلافة عُمَر تحت

---

(1) وقال في *الحلة السيرا*: وكانوا في الحرم إلى أن كثر العدنانيون فانفردت مضر برئاسة الحرم وخرج بنو إياد إلى العراق وكانت لهم به آثار مشهورة إلى أن غلبهم سابور ذو الأكتاف فأبادهم وأفناهم، وقد كانت لمضر الكثرة والغلبة بالحجاز دون سائر بني عدنان.

إِمْرةِ سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنهما؛ وبَنَى فيها البصرة والكوفة، ويقال لهما العراقان. ثم في زمن بني العباس بنى فيها المنصور بغداد وهي مدينة السلام، ويقال لها بغدادُ العراقِ كما يقال دمشقُ الشامِ وصنعاءُ اليمنِ، قال:

أقام ببغـــدادِ العراقِ وشوقُـــه لأهل دمشقِ الشامِ شوقٌ مبرحُ

وهي دار مملكة بني العباس كما أن دمشق دار مملكة بني أمية؛ روي أن المأمون دخل مصْر مع عبد الملك بن صالح بن علي فقال: قبَّح اللهُ فرعون حيث يقول: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾[1] كيف لو رأى العراق؟ فقال له عبدُ الملك بن صالح: مهـــلا يا أمير المؤمنين.. فرعون قال ذلك حـــين قال الله تعـــالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾[2] فما ظنك بشيء كان في تدمير الله منذ ذلك إلى الآن؟!.

ملك الفرس وأصل تسميته سابور

واستل: انتزع. **والإيجاف**: الإسراع في السير. **وسابور**: ملك الفرس من الأكاسرة المتقدمين: مُعَرَّب "شاه بور"، ومعناه ابن الملك؛ لأن *شاه*: المِلك في لغتهم، وُبور: الابن. قال السهيلي في جبريل وإسرائيل: الإيل العبد وما قبله اسم الجلالةِ، ومعناه عبد الله وعبد الرحمن، لأن لفظ العبد متَّحد وأسماء الله متعددة والعجم يقدمون المضاف إليه على المضاف. قال: وسبب تسمية الملك "شاه بور" أن ملك الفرس حارب ملكا آخر فهزمـــه

---

(1) الزخرف: 51.

(2) الأعراف: 137.

وحلف أن لا يترك أحدا من أهل بيته إلا قتله، رجلا كان أو امرأة، فظفر بجَوارٍ أعجبتْه إحداهُنَّ فسألها فقالت: من جَواري الملك، مستعيذة بذلك منه، فأخذها لنفسه. ثم بعد ذلك لما علمت مكانتها عنده أخبرته أنها بنت الملك، فدعا وزيرا له ناصحا وقال له: أودع هذه بطن الأرض، فذهب بها الوزير فإذا هي حامل من المِلِك فحفر لها مكانا في الأرض وجعلها فيه وأحسن غِذاءها، ولم يذهب بها عن الملك حتى خصى نفسه وجعل خُصيتيه في حُقٍّ وجعل الحُقَّ في خرقة وأتى بها الملكَ فقال: هذه وديعة لي عندك أيها الملك.

ثم بعد ذلك لما أسن الملك دخل عليه يوما فوجده وَاجما فقال: أيها الملك ما ذا الذي أرى عليك اليوم؟ فقال: قد طعنت في السن وعسى أن يكون قرُب موتي وليس في صلبي من يلي المُلك بعدي، فقال: أيها الملك هل لي عندك من وديعة؟ قال: هي هذه، قال: علي بها، فاحضرها ففتح الحُقَّ عن خصييه وقال: أيها الملك لما أمرتني أن أودع المرأة بطن الأرض نظرت فإذا المرأة حامل من المِلِك ولم اقدر على قتل ابنه ولم أقدِر على عصيان الملك، فحفرت لها في الأرض وخصيت نفسي خوف تهمة الملك، حتى إذا وضعتْ غلاما شبيها بالملك أحسنت تربيته، فإذن هو مع الغلمان إن أذن الملك أحضرته له. فأحضره فسُر به. ثُمَّ أمروا ذات يوم الغلمانَ أن يلعبوا بالكرة عند الملك فدخلت كرتهم وراء الملك فهابت الغلمان الدخول عليها، فدخل هو وأخذها، فأخذه الملك وجعل يقبله ويقول شاه بور.. شاه بور، أي ابن الملك ـ اهـ.

يقولُ لما سكن إياد العراق ـ بعد أن فارقوا مضر بمكة ـ بعد ذلك أخبر أهل الكتاب سابور ملك الفرس أن سيخرج من العرب نبي يكون استئصال الفرس على يديه، فقال: أستأصلهم أنا قبل ذلك!. فغزاهم وبدأ بإياد، وكان جبارا: يأخذ الرجل فيقلع كتفيْه ويتركه، ولم ينج منهم إلا من هرب وهو القليل.

وَجَدَ ذُو الأَكْتَافِ عَمْرَو بْنَ تَمِيمْ   لِكِبرٍ فِي الرَّبْعِ مُلْقًى كَالرَّمِيمْ
فَاسْتَنطَقَ المَلِكُ عَمْراً فَنَهَاهْ   عَنْ قَتْلِ قَوْمِهِ وَمَا فِيهِمْ عَصَاهْ

الرميم: البالي. و**الملقى**: المتروك في الدارِ زُهداً فيه. يقول: لما فعل سَابُورُ بإيادٍ ما فعل، قصد مضر يريدهم بما فعل بإياد؛ وكان الذي يليه منهم تميمُ فهربوا منه وتركوا **عمرو بن تميم**، جعلوه في قبة وعلقوها بشجرة، فبات الجيش بديارهم. فلما أصبح عمرو أحس بأطراف الجيش فصاح بهم فأتوه وحملوه إلى سابور فاستنطقه وسأله عن أهله وعن أخبارهم، ثم قال له عمرو: مالَك وللعرب؟ فقال: أريد أن أستأصلهم، أخبرَني أهلُ العلم أن سيخرج منهم نبي يستأصل الفرس، فقال له عمرو: لعلهم كذبوك، فقال: واقع ذلك لا محالةَ، فقال عمرو: هو إما أن يكون كذبا فلا ينبغي لك الظلم، وإما أن يكون صدقا فأولى لك أن تترك فيهم اليد ولا تترك فيهم ما يغريهم بك ويحرضهم عليك، فقال: صدقت، ونَادَى بالرجوع من مكانه وأمر من يوصل عمراً إلى أهله. فعاش عمرو بعد ذلك كثيرا. وهذا معنى نهي عمرو الملك عن قومه تميم أو مضر و لم يعصه فيهم.

كَعْبُ بْنُ مَامَةَ الجَوَادُ مِنْهُمُ   كَذَا ابْنُ أَلْغَزَ وَقُسُّ المُسْلِمُ

يعني أن من إياد **كعبَ بنَ مامة الجوادَ** المشهورَ بالجود؛ من أجواد العرب الثلاثة في الجاهِليةِ؛ وهم: كعب بن مامة هذا، وهرم بن سنان المري، وحاتم بن عبد الله بن الحشرج الطائي. وهو الذي يعني جرير بقوله:

فما كعبُ بن مامة وابنُ سعدى[1] **بأجود منك يا عمر الجوادا**

ومن جوده أنه كان في سفر ومَعَه رفيق له[2] فاقتسما ماء عندهما فطلب منه الرفيق حظه من الماء فآثره به وهو في غاية العطش[3]، فلما أشرفا على الماء مات كعب عطشا، وفيه قيل:

ما كان من سوقة أسقى على ظمإ **ماء بخمر إذا ناجُودُها بردا**

من ابن مامة كعب ثم عيَّ به **زَوُّ المنية إلا حَرَّةً وقَدَا**[4]

أوْفى على الماء كعب ثم قيل له **رِدْ كعبُ إنك ورَّادٌ فما وَرَدا**

وكذلك منهم الحارث أو عروة بن ألغز، على اختلاف في اسمه، وهو

---

(1) ابن سعدى هو أوس بن حارثة بن لأْم الطائي، وسعدى أمه؛ اشتهر بالنسبة إليها وهي سعدى بنت الحصين الطائية وكانت سيدة.

(2) وهو رجل من النمر بن قاسط، وكان سَفرهم في شهر ناجر فضلوا فتصافنوا ماءهم؛ وهو أن يطرح في القعب حصاة ثم يصب فيه من الماء بقدر ما يغمر الحصاة فيشرب كل إنسان بقدر واحد.

(3) فارتحل القوم وقالوا: يا كعب ارتحل، فلم تكن به قوة للنهوض، وكانوا قد قربوا من الماء فقيل له: رِدْ كعب إنك ورَّاد، فعجز عن الجواب فلما يئسوا منه خيَّلوا عليه بثوب يمنعه من السبع أن يأكله وتركوه مكانه فمات، فقال أبوه مامة يرثيه: **ما كان من سوقة**.. إلخ - [مجمع الأمثال للميداني].

(4) عَيَّ بالأمر: عجز عنه. وزَوُّ المنية: أحداثها وما قُدِّرَ منها. والحَرَّة: الحرارة في الحَلْق. والوَقَد (بالتحريك ويسكن): التوقُّد. أي عيت به الأحداث الا أن تقتله عطشا.

المشهور بعِظم الأيْر، يقال إنه إذا أنعظ تحتكُّ الفُصلان بأيره؛ وبهذا تفتخر إياد، تقولُ: مِنّا أجوَدُ الناسِ وهو كعبُ بن مامة، وأنكح الناس وهو ابن ألغز، وأشعر الناس وهو أبو داود.

ومنهم كذلك قُسُّ (بالضم) بن ساعدة. قوله: المسلم، قال فيه النبي ﷺ: «يرحم الله قُسًّا إني لأرجو يوم القيامة أن يبعث أمة وحده»[1]، وفيه غير ذلك من الأحاديث الدالة على إسلامه. وكان يضرب به المثل في البلاغة والحكمة[2]، وهو أولُ من أظهر التوحيد بمكة مع ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل. ولما قدم وفدُ إياد على رسول الله ﷺ قال لهم: «ما فعل قس بن ساعدة» قالوا: هلك يا رسول الله، قال: «كأني أنظر إليه بسوق عكاظ يخطب الناس على جمل أحمر ويقول: أيها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت، ليل داج ونهار ساج وسماء ذات أبراج[3]، ونجوم تزهر وبِحارٌ تَزْخَرْ[4]، وجبال مرساة

---

(1) ذكره ابن الأثير، ورواه الأزدي في *الضعفاء* [كما في الجامع الصغير].

(2) وفد يوما على قيصر فقال له قيصر: ما أفضل العقل؟ قال: معرفة المرء بنفسه، قال: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند علمه، قال: فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء وجهه، قال: فما أفضل المال؟ قال: ما قضي به الحقوق. وكان قس هذا خطيب العرب الوحيد وكان يدين بالتوحيد ويؤمن بالبعث ويدعو العرب إلى نبذ العكوف على الأصنام ويرشدهم إلى عبادة الخالق ويخطبهم بذلك في المحافل العامة ومواسم الأسواق، وكان مهذب الألفاظ قوي التأثير بعيدا عن الحشو في كلامه وكان الناس يتحاكمون عليه فيقضي بينهم بسديد رأيه وصائب حكمه، وقد عمر طويلا ومات قبيل البعثة.

(3) داج: مظلم، وساج: ساكن دائم، والأبراج: جمع برج وهي اثنا عشر برجا تقابلها الشمس في طول السنة.

(4) تزهر: تضيء وتتلألأ، وتزخر: أي تطمي وترتفع.

وأرض مدحاة وأنهار مجراة[1]، إن في السماء لخبرًا[2] وإن في الأرض لعِبرًا، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون، أرَضوا بالمقام فأقاموا أم تُرِكُوا فناموا، يُقسم قُس قَسَما حقًّا لا إثم فيه إن لله دينا هو أرضى له وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه إنكم لتَأتُونَ مِن الأمر منكرا، ويُنشِدُ شِعرا لا أرويه»، قال أبو بكر: أنا أرويه، قال:

في الذاهبين الأولين	من القرون لنا بصائر[3]
لما رأيت موارِدًا لِلْمُوتِ	ليس لها مصادر[4]
ورأيت قومي نحوها	تمضي الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي ولا	يبقى من الباقين غابر[5]
أيقنتُ أني لا محالة	حيث صار القوم صائر

فقال النبي ﷺ: «يعرض هذا الكلام يوم القيامة على قُس بن ساعدة فإن كان قاله فهو من أهل الجنة[6]» - (اهـ من القلقشندي).

ومن إياد لَقيط بن معمر الإيادي، وكَانَ من فتيان العرب[7] وكان ينادم كسرى[8]؛ فعشقته زوجتُه فدعته إلى نفسها فامتنع، و لم تزل به إلى أن

---

(1) مرساة: أي ثابتة، ومُدْحاة: أي مبسوطة، ومُجرَاة: أي جارية.

(2) إن في السماء: أي في صنعها، لخبرا: أي دليلا على خالق عظيم.

(3) جمع بصيرة: العلم والخبرة.

(4) ورد الماء: أتاه ليشرب منه، وصدر عنه: شرب ورجع، أي رأيت الناس تذهب للموت ولا تعود.

(5) غابر: أي مقيم.

(6) ذكره ابن الأثير، ورواه الأزدي في الضعفاء [كما في الجامع الصغير].

(7) وكان ممن اشتهر بصناعة الكتابة في العصر الجاهلي.

(8) وكان كاتبا له.

أطاعها، وبلغت من حبه إلى أن أمرت المصورين أن يصوروا لها صورتَها ينكحها لقيط باركةً، ثم اطلع كسرى على أمرهما وقتل لقيطا والمرأة. ولما أحس لقيط بالقتل وعلم أن كسرى يغزو قومه، كتب لهم قصيدته التي أولها:

يا دار عبلة من محتلّها الجرعا ... قد هجت لي الهم والأحزان والجزعا
تامت فُؤادي بذات الخالِ خَرْعُبَةٌ ... قامَت تريد بذات العَذْبةِ[1] البيعا
لقد جررت لنا حبل الشموس فلا ... يأسا نبينه منكم ولا طمعا
إني بعينيَّ إذ أمت حمولهمُ ... بطن السلوطح لا ينظرن من تبعا

ومنها قوله ينذرهم كسرى:

ألا تخافون قوما لا أبا لكمُ ... أمْسوا عليكم بأمثال الدبا شِرعا
فقلّدوا أمرَكم لله دَرُّكمُ ... رحبَ الذراع بأمر الحرب مضطلعا[2]

وكتب إليهم أيضًا:

سلام في الصحيفة من لقيط ... إلى من في الجزيرة من إيادِ
فَإنَّ الليث يأتيكم سريعًا ... فلا يَشغلْكُمُ سوقُ النّقادِ

---

(1) ذات العذبة: موضع.

(2) بعده: لا يَطعَمُ النومَ إلا ريثَ يبعثُه ... همٌّ يكادُ حِشاه يقصِمُ الضِّلَعَا
لا مُترفًا إن رخاءُ العيش ساعده ... ولا إذا عضَّ مكروه به خَشَعَا
ما زال يحلُبُ هذا الدَّهر أشطرَه ... يكون متّبعًا طورًا ومتّبَعَا
حتى استمرت على شزر مَريرَتُه ... مُستحكِمَ الرَّأيِ لا قَحمًا ولا ضَرَعا

(قوله: لا يطعم النوم..إلخ: أي لا يطعم النوم إلا يسيرا حتى يبعثه الهم، والقحم: آخر سن الشيخ، والضرَع: الصغير الضعيف).

نسب ربيعة

ولِرَبِيعَـــةَ عَدِيـــدُ الطَّيْـــسِ   مِن نَّسْلِ قَاسِـــطٍ وعَبْدِ القَيْسِ

الطيس: دقاق الترب، أو خلق كثير النسـل كالذبـاب والنمـل والهـوام، والعدد الكثير، قال:

عددت قـــومي كعديد الطيـــسِ   إذ ذهـب القـــوم الكـرامُ ليسي

يقول ولربيعة بن نزار عددُ حصى التراب من الذراري وكلهم من نّسْل رَجُلين قاسطٍ وعبْدِ القَيْسِ[1].

كِلاَهُمَا مِن أَسَـدِ ابْنِهِ[2] وَمِنْ   نمْرِ بْنِ قَاسِـــطٍ صُهَيْبُ المُبنْ

بِصُفَّةِ المَسْجِـــدِ فِي أَضْيَافِ   نَبِيِّـــنَا وَعَنْـــهُ لاَ يُجَـافِي

المبن: المقيم، قال[3]:

---

(1) وديار ربيعة باليمامة والعراق والبحرين.

(2) الضمير في "كلاهما" عائد على قاسط وعبد القيس، والضمير في "ابنه" عـائد علـى ربيعـة. يعني أن قاسطا وعبد القيس ابنا أسد بن ربيعـة بـن نـزار، ولم يكـن لربيعـة هـذا غـير أسـد المذكور وضبيعة، وقيل كان له عمرو وأكلب. ودخل بنـوه في خثعـم إلا أسـدا، وتفرعـت من ضبيعة بطون قليلة منهم بنو أحمس الذين منهم الشاعر المسيب بـن علـس، وبنـو دوفَـن الذين منهم الشاعر المشـهور المتلمـس، ولم يتكلـم النـاظم علـى بـني ضبيعـة هـؤلاء لقلتهـم واقتصر على بني أسد الذي تفرعت منه أكثر قبائل ربيعة.

(3) ذو الرمة من قصيدة له:

ترى الثور يمشـي راجعا من ضحائه   بها مثـل مشي الهبرزي المسرول

إلى كـل بَهْـوٍ ذي أخ يستعـده   إذا هجـرت أيامـه للتحـوُّل

<<=

أَبَنَّ به عَــوْدَ المَبَاءةِ طيــــبٌ   نَسِيم البَنَان في الكناس المظلل

وصُفَّة المسجد: موضع منه مظلل - فقط - يسكنه فقراء المهاجرين الذين في ضيافة النبي ﷺ. ولا يجافي: أي لا يزول عنه، أي لا يفارقه، لَمَّا قال له الكفار: لا نجالسك ومَعَك هؤلاء الأَعبُدُ والضعفاء نخاف أن يرانا معهم أشرافُ النَّاس، فنزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾الآية[1] فكان يقوم عنهم لحاجته وحاجة غيره، فنزلت: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾الآية[2].

يقول كِلا **قَاسِط** و**عبد القيس** من أسد بن ربيعة، أما **قاسط** فابن هنب بنِ أفْصى بن دُعْمِي بن جديلة بن أسد بن ربيعة. وأما **عبد القيس** فابن أفصى بن دُعمي. وقاسط أبو النِّمر[3] بن قاسط، أبو القبيلة الذين منهم **صهيب** بن سنان الرومي رضي الله عنه، الذي لم يزل مقيما بصُفَــة مسجد

>> - -

تــرى بعــر الصــيران فيه وحوله   جـديـدا وعامِيًا كحب القرنفـــل

أَبَنَّ به عود المباءة.. إلخ.

(والهبرزي: الإسوار من أساورة الفرس. والبهــو: كنــاس الثــور الواســع. والصــيران ــ جمــع صوار- القطيع مــن الوحــش. والعــامِيُّ: الــذي أتــى عليــه العــام. وأَبَــنَّ: أقــام. وعَـوْد: أي رجوع. والمباءة: موضع العود حيث تبوأ. ونسيم البنان: أي كنسيم البنــان وهــو جمــع بِنّــة للرائحة الطيبة ورائحة بعر الظباء).

(1) الأنعام: 52.

(2) الكهف: 28.

(3) قال في ذيل **الكامل** للمبرد: كل نمر في العرب، كالنمر بن قاسط وغيره، مكسور النون ساكن الميم إلا النَّمْر بن تولب فبفتح النون وسكون الميم.

رسول الله ﷺ في أضيافه ولا يحيده عن النبي ﷺ قول الكفرة.

صهيب الرومي

ونسب إلى الروم لأنهم سَبَوه وهو صغير، فلما بلغ هرب، وقيل إن كلبا ابتاعته وبيع بمكة ثم عَتَقَ. وأسلم هو وعمار بن ياسر في يوم واحد بعد بضع وثلاثين رجلا. فلما أراد الهجرة قالت له قريش: أتيتنا وأنت عبد فأعتقناك وكثر مالك عندنا فأردت أن تفارقنا! فقال لهم: أترضون مني بواحدة؟ قالوا: ما هي؟ قال: أعطيكم مالي وتخلون سبيلي، قالوا: نعم. فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «ربح البيع أبا يحيى»[1]، وكان شديد الحمرة وهو إلى القصر أقرب، وقال فيه النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحب صهيبا[2]»، وقال صلى الله عليه وسلم: «صهيبٌ سابقُ الروم وسلمان سابقُ فارسَ وبلال سابقُ الحبشة[3]». وقال فيه عمر: "نِعم العبد صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه". وأوصى إليه عمرُ بالصلاة عليه وبالصلاة بالمسلمين في ليالي الشورى الثلاث حتى يتفقوا. وكان ذَا فَضْلٍ وورَعٍ وحسن خلُق ودُعابة، قال: جئت إلى النبي ﷺ وهو نازل بقُباء وبين

---

(1) رواه الطبراني: (36/8)، قال في *المجمع*: وفيه رجال لم أعرفهم، وذكره في *أسد الغابة والإصابة والاستيعاب*.

(2) وتمامه: «حب الوالدة لولدها»، أخرجه الحاكم في معرفة الصحابة وذكره الذهبي في *ميزان الاعتدال* وسكت عنه في *التلخيص* لضعفه - [سير أعلام النبلاء].

(3) أخرجه الحاكم والطبراني: (34/8).

أيديهم رطب وتمر وأنا أرمد فأكلت، فقال: «أتأكل التمر على عينيك»؟ فقلت: آكُلُ من شق عيني الصحيحة، فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه[1]. ومات في شوال سنة ثمان وثلاثين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ودفن بالبقيع.

ومن النمر أيضا بنُو تيم الله بن النمر؛ منهم الضحيان، واسمه عامر بن سعد[2]. وسمي الضحيانَ لأنه يجلس لقومه ضحى فيقضي بينهم.

ومن ولد أخيه عوف بن سعد: ابن القَرِيَة المشهور بالبلاغة[3]، قال له الحجاج يوما: ما تقول في خطبتي؟ قال: إنك لتكثر الرد وتشير باليد وتستعين بأما بعد!.

ومِنَ النمر أيضا ابن الكيس النسابة. ومنهم العِبَاد (بالكسر)، أو هم من عبد القيس، وهم عبد كُلال وعبد ياليل، ومنهم ـ أي العباد ـ عدي بن زيد العبادي ـ صاحب النعمان بن المنذر ـ أبو زيد بن عدي بن زيد، قاتل النعمان بن المنذر.

بِوَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ أَخْبَرَ النَّبِي وَإِذْ أَتَى أَتْحَفَهُ بِمَرْحَبِ
وَمِنْهُمُ الجَارُودُ جَرَّدَ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَمَا بِهِم مُنِي

---

(1) رواه ابن ماجه في الزوائد، إسناده صحيح.

(2) ابن الخزرج بن تيم الله بن النمر.

(3) اسمه أيوب ابن القرية، والقرية أمه وبها يعرف واسم أبيه يزيد ـ [سموط الذهب].

أتحفه: أكرمه. **والجارود** الأكثر في اسمه: بشر بن عمرو، ولقب الجارود لأنه أغار على بني بكر بن وائل في الجاهلية فجردهم من الإبل؛ وفي ذلك يقول الفضل العبدي:

ودُسْناهُمُ بالخيل من كل جانب ... كما جرد الجارودُ بكر بن وائلِ

وقيل لأنه فرَّ بإبله من الجَرَد[1] إلى أخواله بني شيبان، ففشا الداء في إبلهم فأهلكها. ومُني بكذا(كعُني): ابتلي به.

قدوم وفد عبد القيس إلى النبي ﷺ

ومن عادته[2] أنه إذا كان للقبيلة خصلة محمودة أو قصة مستطْرفة بدأ ذكرَ القبيلة بها. يقول: بينما النبي ﷺ وأصحابه يوما إذ قال لهم: «سيطلُع عليكم من هذا الوجه ركب هم خير أهل المشرق». فما بَرِحُوا حتى قدم عليهم وفد عبد القيس فقال لهم: «مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى[3]».

قوله: **ومنهم:** أي من الوفد، باعتبار أفرادِ لأنه فيهم، أو من عبد القيس لأنه منهم. وقال حين أسلم:

شهدت بأن الله حق وسامحت ... بنات فؤادي بالشهادة والنهض

---

(1) الجرد (بالتحريك وبالدال المهملة أو بالمعجمة): عيب معروف في الدواب، وقيل لقب بالجارود لأنه فر بإبله الْجُردِ إلى أخواله ـ [القاموس].

(2) أي الناظم رحمه الله.

(3) أخرجه الطبراني عن ابن عباس، وذكره في *المواهب*: (13/4).

فأبلغ رسـول الله عني رسالةً بأني حنيف حيثما كنت في الأرض[1]

قُتِلَ سنة إحدى وعشرين بنهاوند وقبره بعقَبـة الجـارودِ، وكـانت قبلـه تعرف بعقبة الطين. وهُو صَاحِبُ حديث ضالة الإبل، قال يـا رسـول الله إن بيننا وبين أهلنا ضوالَّ الإبل أفنصـل عليهـا ونـتزود منهـا إلى أهلنـا؟ أو كما قال، فقال النبي ﷺ: «ما لك ولها»؟ـ الحديث[2].

ومن هذا الوفد أشجُّ عبد القيس وهو من بني عَصْر بـن عـوف ـ قبيلـة من عبد القيس ـ واسْمهُ المنذر بن عـائذ، قـال لـه النبي ﷺ: «يـا أشـج إن

---

(1) بعده:

فإن لم تكن داري بيثـرب فيكمُ فإني لكم عند الإقامـة والخفضِ
وأجعل نفسي دون كـل ملمـة لكم جُنّة من دون عِرْضِكُمُ عِرضي

وسكن البصرة آخر زمنه، وابنه المنذر بن الجارود كان مـن رؤساء عبد القيس بـالبصرة، مدحه الأعشى ـ ميمون بن قيس ـ وغيره، وحفيده الحكم بن المنذر، وهو الذي يقول فيه الأعشى أيضا:

يا حكـم بن المنذر بن الجـارود سـرادق المجد عليك ممـدود
أنت الجـواد بن الجـواد المحمود نبَتَّ في الجود وفي بيـتِ الجود
والعود قد ينبت في أصـل العودْ

وقيل إنها لرؤبة بن العجاج ، وقيل لرجل من بني الحرمـاز. وكـان الحجـاج يحسد الحكم على هذه الأبيات.

(2) أخرجه البخاري وغيره. وروي هذا الحديث عن زيد بن خالد رضـي الله عنه قـال: جـاء رجل إلى رسول الله صلـى الله عليه وسـلم فسـأله عـن اللقطة فقـال: «أعـرف عفاصَهـا ووكاءها ثم عرفها سنة فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها» قال: فَضَالّة الغنم؟ قال: «هي لك أو لأخيك أو للذئب» قال: فضالة الإبل؟ قال: «ما لك ولها معهـا سقاؤها وحذاؤهـا ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها» ـ [البخاري].

فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأَنَاةُ»، فقال: أشيء من قِبل نفسي أم شيء جبلني الله عليه؟ فقال: «شيء جبلك الله عليه[1]».

وهذا الوفد أربعةَ عشر. وترحبُ النبي ﷺ بهم أَخَذَ منه العلماءُ استحباب الترحيب بالقادم دون غيره.

وَمَرَّ وَائِلُ بْنُ قَاسِطٍ عَلَى وَادِي السِّبَاعِ فِيهِ أُمُّهُمْ وَلَا

أَحَدُ إلاَّ هِيَ، فَاهْتَمَّ بِهَا فَهَدَّدَتْهُ بِسِبَاعِ شِعْبِهَا

فَهَتَفَتْ بِكُلِّ ذِي نَابٍ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بَنُوهَا العُظَمَا

وائل بن قاسط: أبو الحيين: بكر وتغلب المشهورين بحرب البسوس. **ووادي السباع**: هذا أول ما سمي، ثم اشتهر بعد ذلك بهذا الاسم. **وأمهم**، أي أم السباع: أسماءُ بنت دريم. **والسباع**: أولاد وبرة بن حُلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة. **واهتم بها**: راودها عن نفسها. **والشِّعب**: مصب الماء في الوادي. **وهتفت**: صاحت.

ابتدأ ذكر وائل بقصة أبيهم مع هذه المرأة، وفي **القاموس**: وادي السباع بطريق الرقة، مرَّ به وائل بن قاسط على أسماء بنت دريم فهمَّ بها حين رآها منفردة في الخباء، فقالت له: والله لئن هممت بي لدعوت أسبُعِي، فقال: ما أرى في الوادي غيرك، فصاحت ببنيها: يا كلب، يا ذئب، يا فَهد، يا دُب، يا سرحان، يا سِيدُ، يا ضبُع، يا نَمِرُ.. فجاؤوا يتعادون بالسيوف،

---

(1) أخرجاه في الصحيحين، ورواه الترمذي وابن ماجه وأحمد.

فقال: ما أرى هذا إلا وادي السباع! فهرب. فسمي وادي السباع.

وَهِنــدُ بِنـتُ مُــرٍّ امُّ حَارِثِهْ   شُخَيْصِــهِ وَأَمُّ عَنْــزٍ ثَالِثِهْ

وَبَرَّةُ اخْتُــــهَا عَلَيْهَا خَلَفَا   كِنَانَةُ خُــزَيْمَــةً وَضُعِّــفَا

أُخْتُهُــمَا عَاتِكَــةُ ونَسْلُــهَا   عُــذْرَةُ اللاَّءِ الْهَــوَى يَقْتُلُهَا

يعني أن ثلاثة من أولاد وائل أمهم **هند بنت مر** بن أد بن طابخة، أخت تميم بن مر، وهم: **الحارث وشخيص** (بالتصغير)، وهذان دخلا في تميم. وعنزُ، ودخلوا في تغلب، ولكن بقي لهم ذكر وانتساب؛ منهم سيدُنَا عامر بن ربيعة العنزي، حليف آل الخطاب بن عمرو بن نُفيلٍ، وخصوصا عمر رضي الله عنه. وكان من أول من أسلم ثم هاجر إلى الحبشة في الاثني عشر الأولين الذين هَاجَرُوا الهجرة الأولى، وأول من هاجر إلى المدينة مع زوجه ليلى ـ وتكنى أم كلثوم ـ بنت أبي حثمة العدوية، وهي أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة. وهو أيضا من سرية عبد الله بن جحش، وشهد بدرا، واستشهد ابنه عبدُ الله الأكبر ـ وبه كان يكنى ـ يوم الشدخة بالطائف. ولما نشب الناس في الطعن على عثمان أتي في المنام فقيل له: قم فاسأل الله أن ينقذك من الفتنة التي أنقذ منها عباده الصالحين، فقام فدعا. فاشتكى فتوفي بعد قتل عثمان بأيام.

يُحكى أن وائلا كان كلما ولد له ولد يسميه بأول ما وقعت عليه عينه، فحين ولد له الحارث رأى إنسانا بيده آلةُ حرث فسماه حارثا، ولما ولد شخيص رأى شخصا فسماه شخيصا، ولما ولد له عنز رأى عنزا

فسماه عنزا، ولما ولد له بكر رأى بكرا من الإبل فسماه بكرا، ولما ولد له تغلب رأى إنسانيْن يتغالبان فسماه تغلب.

قوله: **وبَرَّة اختها**..إلخ: أي أخت هند هذه خلَف (بتخفيف اللام) عليها كنانةُ خزيمة، أي تزوجها بعده؛ وإنما حرم في شرعنا بقوله تعالى ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ - الآية[1]. وأما خلَّف (بتشديد اللام) فالفاعل هو الأول وإن لم يرده، فخزيمة خلَّف كنانة على برة وكنانة خلَف (بتخفيف اللام) خزيمة عليها، لكن ضعفه السهيلي.

وقوله: **أختهما عاتكة**..إلخ: يعني أخت هند وبرة بِنتَيْ مر بن أد، تزوجها سعد بن هذيم من قضاعة، فولدت له عذرة؛ وهم **نسلها اللاء**: أي الذين، يقتلهم الهوى!. سُئِلَ أعْرَابِي منهم: لِمَ يقتلكم العشق؟ قالَ: رقة في القلوب وعفة في الأبدان. وسيأتي بعض خبرهم في الكَلامِ عَلَيْهِمْ.

وابْنَاهُ تَغْلِـــبُ وَبَكْــرُ قَامَا عَلَى الشِّقَـاقِ أَرْبَعِـينَ عَامَا[2]

---

(1) النساء: 22.

(2) وقعت هذه الحرب بين بكر وتغلب ابني وائل وقد مكثت أربعين سنة؛ وقعت فيها الأيام التالية: **يوم النهي**: (وهو ماء لبني شيبان) وكان لتغلب على بكر ورئيس تغلب مهلهل بن ربيعة ورئيس شيبان الحارث بن مرة. والثاني: **يوم الذنائب** (وهو موضع على طريق البصرة إلى مكة) وكان لتغلب على بكر أيضا، وهو أعظم وقعة كانت لهم وقتلت من بني شيبان مقتلة عظيمة قتل فيها الحارث بن مرة بن ذهل وشراحيل بن مرة بن همام بن مرة. والثالث: **يوم واردات** (وهو موضع عن يسار طريق مكة إلى البصرة) وكان لتغلب على بكر، واستحر القتل في بني بكر؛ وقتل فيه همام بن مرة، أخو جساس، فمر به مهلهل =>>

أَنْ غَالَ جَسَّاسُ كُلِيْبَ التَّغْلِبي   لِقَتْلِـــهِ نَاقَــةَ خَالَةِ الأَبِـــي

الشقاق: الخلاف والعداوة. **وغال**: أهلك. **وجساس** (ككتّان): ابن مرة بن ذُهل بن شيبان، فتى بني بكرٍ[1]. **وكليب**: هو ابن ربيعة، الـذي يضرب المثل بعز حماه[2]، يقال: *أعز من حمى كليب*؛ كان يحمـي مواقـع السَّحَابِ فلا يرعى ما حمى، ويقول: وحش كذا وكذا في جـواري فـلا يهـاج! ولا يورد أحد مع إبله ولا توقد نار مع ناره ولا يُحْتبى في مجْلسه ولا يتكلم إلا بإذنه وأمْره[3]ِ، وفي ذلك يقول أخوه مهلهل بعد قتله:

نبئت أن النار بعـــدك أُوقِدَتْ   واستَـبَّ بَعْدَكَ يا كليب المجلسُ

وتكلموا في أمر كل عَظِيمَـــةٍ   لو كنتَ حاضـرَ أمرِها لم يَنبسوا

مقتولا فقال: وا لله ما قتل بعد كليب أعز عليَّ فقدا منـك. والرابـع: **يوم عنـيزة** (وعنـيزة موضع في اليمامة) تكافأ فيه الحيَّان. والخامس: **يوم القصيبات** (وهو موضـع في ديـار بكـر وتغلب)، وكان لتغلب على بكر. وفي هذه الأيام يقول مهلهل قصيدته الطويلة:

أليلتنا بـذي حســم أنـــيري   إذا أنت انقضيـت فلا تحـوري

فإن يــك بالذنائـــب طال ليلي   فقـــد أبكي من الليل القصير..   إلخ.

والسادس: **يوم تحلاق اللمم** (سمي بذلك لأن بني بكـر حلقـوا فيهـا جميعـا رؤوسـهم) إلا جحدرا الذي فداه منهم بأول فارس كان لبكر على تغلب و لم تقـم لتغلـب بعـده قائمـة ـ [أيام العرب في الجاهلية وغيره].

(1) وكان جساس هذا فارسا شهما أبيا وكان يلقب الحامي الجار المـانع الذمـار، وكـان أصغـر ولد مرة بن ذهل بن شيبان.

(2) كليب: اسمه وائل؛ وكليب لقبه، نشأ في حجر أبيه ودرب على الحرب وتـولى رئاسـة بكـر وتغلب إلى أن قتله جساس.

(3) ولا يمر أحد بين يديه إجلالا له، ولا يغير أحد إلا بإذنه، ولا يجير بكري ولا تغلبي أحدا ولا بعيرا أو يحمي حمى إلا بإذنه، ولا يرحلون ولا ينزلون إلا بأمره..!.

وكانَ قاده إلى ذلك انقياد معدٍّ لـه واجتمـاعهم علـى تسـويده[1] حتـى دخله بذلك زهوٌ شديد فبغى على قومـه؛ وكـان إذا مـر بمرعـى ألقـى فيـه جُروًا فيعوي فحيث بلغ صوت الجرو لا يرعى. ومـر يومـا بقُـبرة ـ وهـي طائر صغير ـ قد باضت، فلما رأته صرصرت وخفقت بجناحيها، فقال لها: أمن روعك أنت في ذمتي! ثم أنشد:

يا لك مـن قبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شـئت أن تنقـري

فما جَسرَ صاحب بعير أن يدخل ذلك المرعى.

وكانتْ لجسَّاس جارة ــ **خالـة** لـه ــ مـن بـني سـعْد تسـمى البسـوس؛ وكانتْ لها ناقة، فندَّتْ يوما ودَخلت إبلَ كليب ورَعَت فيها يومها، فـأتى كليب بَيْضَ القبرة فوجد فيه بيضَة مكسورة وطئها بعير، فقـال مـا تجاسـر

(1) قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب: لم تجتمـع معـد كلهـا إلا علـى ثلاثـة رهـط مـن رؤساء العرب وهم: عامر بن الظـرب، وربيعـة بـن الحـارث بـن مرة، وكليـب بـن ربيعـة التغلبي. أما عامر فهو قائد معد **يوم البيــداء** حـين تمذحجـت مذحـج وسـارت إلى تهامـة، وهي أول وقيعة كانت بين تهامة واليمن. وأما ربيعة بن الحارث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن كعب فهو قائد معـد **يوم الميـلان** وهـو يـوم كـان بـين أهـل تهامـة واليمن. وأما كليب التغلبي فهـو قـائد معـد كلهـا يـوم **خـزازى** حتـى فـض جمـوع اليمـن وهزمهم فاجتمعت عليه معد وجعلوا له قسم الملك وتحيته وطاعته، فمكث بذلك حينا مـن دهره حتى قيل فيه أعز من كليب وائل، ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه حتى بلـغ مـن بغيـه أنه كان يجير على الدهر فلا تخفر ذمته ويحمي مواقع السحاب.. إلى آخر ما ذكره الشارح عنه.

على حماي إلا هذه الناقةُ، فرماها في ضرعها. فجاءت إلى ربتها وضرعُها يشخَبُ دما ولبنا فصاحت وصرخت: وا ذلاه! فَقَالَ لها جَسَّاسُ: اسكُتي فوا لله ليقتلن غدا جمل أعظم قتلا من ناقتك، يعني كليبا[1]؛ وزَعَمَتْ بَنُو تغلب أنه يريد جملا لِكُليب يقال له عُليان، فقالوا: *دون عليان خرط القتاد!*.

ثم انتجَعَ الحيان فرحلوا فمروا بغدير يقال له شُبَيْثُ فحماه كليب، ثم مروا بالأحَصِّ فحماه كذلك، ثم نزلوا بالذَّنَائِبِ. فخرج جَساس فوجد

---

(1) وروي أيضا في سبب هذه القصة أن كليبا دخل يوما على زوجته جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان فقال لها: هل تعلمين على الأرض أمنع مني ذمة؟ فسكتت، ثم أعاد عليها فسكتت، ثم أعاد عليها الثالثة، فقالت: نعم أخي جساس. فسكت كليب ومضت مدة، وبينما هي تغسل رأسه وتسرّحه ذات يوم إذ قال لها: من أعز وائل؟ قالت: أخواي جساس وهمام، فنزع رأسه منها وخرج. فاتفق يوما أن رأى ناقة البسوس خالة جساس يتبعها فصيل لها فرماه بقوسه فقتله، فعلمت بنو مرة بذلك فأغمضوا على ما فيه وسكتوا، ثم لقي كليب ابن البسوس فقال له: ما فعل فصيل ناقتكم؟ فقال: قتلته وأخليت لنا لبن أمه. وأغمضت بنو مرة على هذا أيضا، ثم إن كليبا أعاد القول على امرأته: فقال: من أعز وائل؟ فقالت: أخواي، فأضمرها في نفسه وأسرها وسكت، حتى مرت به إبل جساس وفيها ناقة البسوس فأنكر الناقة ثم قال: ما هذه الناقة؟ قالوا: لخالة جساس، فقال: أو بلغ من أمر ابن السعدية أن يجير عليَّ بغير إذني؛ فرمى ضرع الناقة فاختلط دمها بلبنها فولت ولها عجيج حتى بركت بفناء البسوس، فلما رأتها صاحت وا ذلاه. فقال لها جساس: اسكتي فلك بناقتك أعظم منها؛ فأبت أن ترضى حتى صار لها إلى عشر، فلما كان الليل أنشأت تقول:

أيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل ... فإني في قوم عن الجار أمواتِ

ودونك أذوادي إليك فإنني ... محاذرة أن يغدروا ببنيَّاتي .. إلخ.

فلما سمعها جساس قال لها: اسكتي.. لا تُراعي، إني سأقتل جملا أعظم من هذه الناقة.

كليبا منفردًا واقفا، فقال: ما حملك على ما حَمَلتنا عليه من العطش؟ منعتنا من الماء الفلاني والماء الفلاني؟ فقالَ: ما منعناكم من ماء إلا ونحن شاغلون له، فقال جساس: وما حملك على ناقة جارتي؟ فقال: لو وجدتها في غير إبل مُرة لاستحللت تلك الإبلَ، فحمل عليه جسَّاسٌ فطعنه فاستسقاه ماء فَقَالَ: جاوزت الأحَصَّ وشُبَيْثًا و لم تشرب! ثم أجهز عليه. ثم انتهى إلى أهله، فقالت أخته: إن لجساس خبرا.. قد جاء خارجة ركبتَاهُ، ما خرجتا إلا لأمر عظيم. فقال له أبوه: ما وراءك يا بني؟ قال: ورائي طعنة تشتغل بها شيوخ بني وائل زمانًا، قال: أقتلت كليبًا؟ قالَ: نعم، قال[1]: "وددت أنك وإخوتك متُّمْ قبل هذا وما بي إلا أن كان مني ما تكره بنو وائل". ثم نظر جساس إلى أخيه نضلة[2] فقال:

فإني قد جنيت عليك حربا ... تغص الشيخ بالماء القراح
مذكرة متى ما يَصْحُ منها ... فتى شبت لآخر غير صاح[3]

---

(1) "إذن نسلمك بجريرتك ونريق دمك في إصلاح العشيرة وا لله لبئس ما فعلت: فرقت جماعتك وأطلت حربها وقتلت سيدها في شارف من الإبل، وا لله لا تجتمع وائل بعدها ولا يقوم لها عماد في العرب وودت أنك وإخوتك متم قبل هذا..الخ.

(2) وقيل إنه يخاطب بها أباه مرة، وكان يلومه على فعلته فقال جساس:

تأهب مثل أهبة ذي كفاح ... فإن الأمر جلّ عن التلاحي
فإني قد جنيت عيك حربا ... .. إلخ.

(3) بعده:

تعدت تغلب ظلما علينا ... بلا جرم يُعدُّ ولا جُناحِ
فلما أن رأينا واستبَنَّا ... عُقاب البغْي رافعةَ الجَناحِ
صرفت إليه نحسا يوم سوء ... له كأس من الموت المتاحِ

فأجَابَـهُ:

فإن تـك قد جنيـت علي حَرْبًا   فـلا وانٍ ولا رث السِّـــلاحِ[1]

ثم جاءت أمَة لآل مرة همَّامًا وهو ينادم مُهَلهَـلاً، وكـان مصادقـا لـه؛ وكانا متعاهدين أن لا يكتم أحدهما شيئا عن صاحبه؛ فأسَـرَّتْ الأمـة إلى همام بقتل جساس كليبا، فقال له مهلهل: ما تقول لك الأمَة؟ فلم يخبره، فذكره بالعهْد، فقال: أخبرتني أن أخي قتل أخـاك، فقـال: اسْـتُ أخيـك أضيق من ذلك! فسكت همام وأقبلا على الشرب، فَجَعَـلَ هَمَّـامٌ يشـرب شـرب الخـائف ومُهَلْهَـلٌ يشـرب شـرب الآمـن، إلى أن صرعــت الخمـر مهلهلا، فانسل همام فأتى قومه وقد قوضوا الأبْنيـة وجمعـوا الخيـل والنَّعَـم فرحلوا ورحل معهم.

---

(1) بعده: ولكـني إلى العــــلاَّت أجــري   إلى المــــوت المحيط مع الصباحِ

وإنـي حـــين تشتجر العـــوالي   أعيد الرمـــــــح في اثر الجراحِ

إلى أن يقول:

فإني قـد طربـت وهاج شوقـــي   طِــــرادُ الخيل عارضـــة الرماحِ

وأجمـــل من حياة الــذلّ موت   وبعض العار لا يمحــــــوه ماحِ

ثم أرسل مُرَّةُ إلى ابنه همام فرسَه مع جارية وأمره أن يلحق به فوجدتـه مـع مهلهـل وهمـا معتزلان في جانب الحي، فوثب همام إليها فسارَّتْه أن جساسا قتل كليبا وأن أباه قد ظعـن مع قومه، فأخذ همام الفرس وربطه ورجع، فقال له المهلهل: ما شأن الجارية والفـرس ومـا بالك؟ فقال: اشرب ودع عنك الباطل! قـال: ومـا ذاك؟ فقـال: زعمـت أن جساسـا قتـل كليبا، فضحك المهلهـل وقـال: همـة أخيـك أضعـف مـن ذلـك وسـكت. ثـم أقبـلا على شرابهما، فجعل همام يشرب شرب الخائف ومهلهل يشرب شرب الآمن..إلخ.

وظهر أمر قتل كليب وأفَاقَ مهلهل وصحح الخبر، فاجتمعت إليه قومُه؛ فقال: لا تعجلوا على إخوتكم حتى تعذروا بينكم وبينهم، فانطلق رهط من أشرافهم حتى أتوا مرة بن ذهل فعظموا ما بينهم وبينه[1] وقالوا: اختر منا خصالا: إمَّا أن تدفع إلينا جَسَّاسًا نقتله وإما أن تقيدنا من نفسك وإما ان تدفع إلينا هَمَّامًا نقتله. وقد حضرته وجوه بني بكر فقالوا: تكلم غير مخذول، فقال: أما جَسَّاسٌ فإنه غلام حديث السن ركب وهرب ولا علم لنا به، وأمَّا همام فأبو عشرة وأخو عشرة، ولو دفعته إليكم لتصيحُ بنوه في وجهي وتقول: دفعت أبانا في جريرة غيْره، وأما أنا فلا أتعجل الموت، وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أوَّل قتيل! ولكن هل لكم في غير ذلك؟ دونكم بقية بني فخذوا أحدهم بنسعة في رقبته فاقتلوه وإن شئتم فلكم ألفُ ناقة سوداء الحدقة.

فغضِبوا وقالوا: إنا لم نأتك لترذل لنا بنيك أو لتسومنا الإبل[2]!. فتفرقوا وقام مُهَلهِل فشمر للحرب وبدأ القتال بين الحيين وعظم

(1) ومما قالوا له: إنكم أتيتم عظيما بقتلكم كليبا بناب من الإبل فقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمة وإنا كرهنا العجلة عليكم دون الاعذار إليكم ونحن نعرض عليكم إحدى خلال أربع لكم فيها مخرج ولنا مقنع. فقال لهم مرة بن ذهل: ما هي؟ قالوا: تحيي لنا كليبا أو تدفع لنا جساسا قاتله نقتله به أو هماما فإنه كفؤ له أو تمكننا من نفسك فإن فيك وفاء من دمه. فقال: أما إحيائي كليبا فهذا ما لا يكون، وأما جساس فإنه غلام حديث السن ركب وهرب...إلخ.

(2) وفي رواية: أو لتسومنا اللبن من دم كليب.

في بكر[1]. فاجتمعوا إلى الحارث بْن عُبَاد (كغراب)، وكان قد اعتزل الحرب وقال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل - فذهبت مثلا - فقالوا له: قد فني قومك. فأرسلَ ابنه بجيرا، وقِيلَ ابن أخته، إلى مهلهل وقال له: قل له أبو بجير يقرئك السَّلاَمَ ويَقُولُ لكَ قد علمت أني قد اعتزلت عن قومي لأنهم قد ظلموكَ وخليتهم وإياك وقد أدركت ثأرك وقَتلت. فأتى بجير مهلهلا وهو في قومه، وقال له: خالي يقرئك السلام.. فقال: من خالك يا غلام؟ ونحى نحوه الرمح. فقال له امرؤ القيس[2] - وهو ابن أخته -: يا مهلهل إن أهل بيت هذا قد اعتزلوا الحرب ولئن قتل ليقتلن به رجل لا يسأل عن خاله، فلم يلتفت مهلهل إلى قوله، فقتله وقال: بُؤْ بشسعِ نَعْلِ كليب، فقال بجير: إن رضيت بذلك بنو بكر!.

فلما بلغ الحارث قتله قال: نعم القتيلُ قتيلا أصلح ا لله به بين ابني وائل وحقن دماءهم، فقالوا له: إن مهلهلا قال له: بؤ بشسع نعل كليب.

---

(1) ولَّما أسرف مهلهل في القتل و لم يبال بأي قبائل بكر أوقع، وكانت أكثر قبائل بكر قعدت عن نصرة بني شيبان لقتلهم كليبا، وكان الحارث بن عباد اعتزل تلك الحروب بأهل بيته وطال أمدها، اجتمعت قبائل بكر إلى لحارث بن عباد وقالوا له: قد فني قومك؛ فأرسل ابنه بجيرًا..إلخ.

(2) هو امرؤ القيس بن أبان التغلبي، وكان من سادات قومه، روي أنه لما أسَّر الحارث بن عباد مهلهلا يوم تحلاق اللمم، وبعد انهزام تغلب وهو لا يعرفه قال له: دلني على المهلهل، قال: ولي دمي؟ فقال: ولك دمك: قال: ولي ذمتك وذمة أبيك؟ قال: نعم ذلك لك، قال: فأنا مهلهل خدعتك عن نفسي والحرب خدعة، فقال: كافئني بما صنعت لك بعد جرمك ودلني على كفء لبجير، فقال: لا أعلمه إلا امرؤ القيس بن أبان، فجز الحارث ناصية مهلهل وأطلقه وطلب امرأ القيس حتى قتله.

فغضب الحارث ونهض للقتال، وعظمت الحرب وقال: ردوا علي فرسي؛ وكانت قارحا فجز ناصيتها وقالَ: ردوها جذعة - فَصَارت مثلا - وقال قصِيدَتَهُ التي[1] كرر فيها: *قربا مربط النعامة* مني في ثلاثين بيتا، وأولها:

---

(1) مطلعها:

كل شيء مصيره للزوالِ   غير ربي وصالح الأعمالِ
وترى الناس ينظرون جميعا   ليس فيهم لذاك بعض احتيالِ
قل لأم الأغر تبكِ بجيرا   ما أتى الماء من رؤوس الجبالِ
لهف نفسي على بجير إذا ما   جالت الخيل يوم حرب عضال
وتساقَى الكُماة سمًّا نقِيعاً   وبدا البيض من قباب الحجال
وسعت كل حرة الوجه تدعو   يا لبكر، غراء كالتمثالِ
يا بجير الخيرات لا صلح حتى   نملأ البيد من رؤوس الرجال
وتقر العيون بعد بكاها   حين تسقي الدما صدورَ العوالي
أصبحت وائل تعج من الحر   ب عجيج الجمال بالأثقالِ
لا بجير أغنى قتيلا ولا رهـ   ـط كليب تزاجروا عن ضلالِ
لم أكن من جناتها علم اللـ   ـه وإني لحرِّها اليوم صالِ
قد تجنبت وائلا كي يفيقوا   فأبت تغلبٌ عليَّ اعتزالي
وأشابوا ذؤابتي ببجير   قتلوه ظلما بغير قتال
قتلوه بشسع نعل كليب!   إن قتل الكرام بالشسع غالِ
يا بني تغلبٍ خذوا الحذر إنا   قد شربنا بكأس موت زلالِ
يا بني تغلب قتلتم قتيلا   ما سمعنا بمثله في الخوالي
قربا مربط "النعامة" مني   لقحتْ حرب وائل عن حيال
قربا مربط النعامة مني   ليس قولي يراد لكن فعالي
قربا مربط النعامة مني   جد نَوْحُ النساء بالإعوال
قربا مربط النعامة مني   شاب رأسي وأنكرتني الفَوالي!

قَـــرِّبا مربـــــط "النعامة" مني		لقحـــت حرب وائل عن حيالِ
قَـــرِّبا مربـــــط "النعامة" مني		إن بيع الكـــــرام بالشسع غال
لم أكن من جُناتــها - علم اللـ		ـه - وإني لِحـرِّها اليـــوم صالِ

فَحَلف الحارثُ لا يسالِمُهُم حتى يكلموه تحت الأرض!. فكانت بينهم خمسة أيام من أيام العرب العظام، أعظمها يوم عنيزة، ومنها يوْمُ *التحـالق*، حلق البكريون رؤوسهم علامة لهم؛ وقالَ لهـم فتـى منهـم: أشـتري منكـم لِمتي بأن أقتل منهم حين ألقاهُم أشدَّهم عليكم فتركوهــا لـه، فلمَّـا التقـى الفريقان قتل صاحبه ثم قتله بنو بكر غلطا فيه. ومنها يَـوْمُ *البسـوس* وَيـوْمُ *واردات* ويوْم *الذنائب*، وقال مُهَلهل من قصيدة له:

أليلَـتَنا بـذي حســـم أنيري		إذا أنتِ انقضـيت فَلا تَحـوري
فإن يـــك بالذنائب طال ليلي		فقد أبكي من الليـــل القصيرِ(1)

وفيها يَقول:

فلو نبش المقابـــر عن كليبٍ		فيخبَر بالذنائبِ أيُّ زيـــــرِ
بيوم الشعثمـــين لَقــرَّ عينًا		وكيف لقاءُ مَـن تحت القبورِ؟(2)

(وكانَ كليب يقول له *زير النساء*، يعاتِبُهُ بذلك)َ. ومنها قوله:

على أن ليــس عِدلا من كليب		إذا مـا ضيـــم جـــيرانُ المجيرِ
على أن ليــس عِدلا من كليب		إذا طـــــرد اليتيم عن الجزور

---

(1) ذو حسـم: موضـع، وتحـوري: ترجعـي، والذنـائب: الموضـع الـذي دفـن فيـه كليـب وهـو بنجـد. يقـول: إن كـان طـال ليلـي بهـذا الموضـع لقتـل أخـي كليـب فقـد كنـت أستقصر الليـل وهـو حـي.

(2) الشعثمان: موضع، وقيل هما شعثم وعبد شمس ابنا معاوية بـن عـامر بـن ذهـل بـن ثعلبـة، قتلهما مهلهل يوم واردات.

على أن ليس عِدلا من كليب إذا رجَفَ العضاهُ من الدَّبورِ[1]

على أن ليس عِدلا من كليب إذا بَرَزت مخبَّأة الخُدُورِ

إلى أن يقول:

فلا وأبي جليلة ما أفأنا من النعم المؤبل من بعير

ولكنا نهكنا القوم ضربا على الأثباج منهم والنحور[2]

وهي طويلة. وفي هذه الحروب قتل همام بن مرة؛ وفيه يقول مهلهل:

وهمام بن مرة قد تركنا عليه القشعمَين من النسور[3]

ينوء بصدره والرمح فيه ويخلجُه خِدَب كالبعيرِ[4]

وأسَّر الحارثُ مهلهلا فحلف لا يشرب حتى يَرد فحلٌ للحارث، وكان الفحل يرعى في أرض فيها الحُلاَب - وهي شجرة إذا رعتها الإبل صبرت عن الماء - فلما كاد مهلهل يموت عطشا أرسلت بنو بكر من يأتي بالفحل قبل ظِمْئِه، فما شرب مهلهل حتى أتوا بالفحل.

وكانت تحت كليب جليلةُ بنت مرة، أخت جساس، وله منها بنت اسمها بديلة؛ ولها يقول مهلهل في قصيدته:

---

(1) رجف: تحرك حركة شديدة. والعضاه: كل شجر له شوك، واحدها عِضَة. والدبور: الريح الشمالية الغربية. واضطراب العضاه منها يدل على شدَّة البرد وهو موسم للإطعام.

(2) الأثباج: الأوساط. وبعده:

نكبُّ القوم للأذقان صرعى ونأخذ بالترائب والصدورِ

تركنا الخيل عاكفة عليهم كأن الخيل تدحض في غديرِ

كأنا غدوة وبني أبينا بجنب عنيزة رحيا مدير ..الخ.

(3) القشعمين: تثنية قشعم، وهو الهرم من النسور أو الذكَر العظيم منها.

(4) يخلجه: يجذبه، والخدب: الضخم.

وتســـألني بُديلـــة عن أبِيـهَا   ولم تعلـــم بديلةُ ما ضَمِـــيرِي!

والخالة: اسمها البسوس بنت منقذ بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم. **والأَبِيُّ:** جَسَّاسٌ لأنه يأبى الضيم؛ ومن إبائه قتلُه كليبًا.

وَوَضَــحٌ يَسْتُرُهُ فِي رُكْبَتِــهْ   أَبْــرَزَهُ نَجَاءَهُ مِن فَتْكَتِــهْ

وأُمُّــهُ هَائِلَــةٌ ذَاتُ المَثَــلْ   إحْسَانًا اوْ إِسَاءَةً قَدِ احْتَمَلْ

الوضح: البرص. **وأبرزه:** أظهره. **والنجاء:** التخلص[1]. **والفتكة:** مِن فَتَكَ به: إذا انتهز منه فرصَة فقتله. **وهائلة:** بنت منقذ بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وسميت بهائلة لهذه القصة حتى أغفل اسمها الأول.

وقصتها: أن ضيفا لها وجدها جاعلة فَمَ جرابه في جراب لَهَا وكلا الجرابين فيه دقيق، فقال: ما تصنعِينَ؟ فقالت: أهيل لك، قال: مُحْسِنَةً فهيلي! فسارت مثلا يُضْرَبُ لمن يؤمر بالفعل السيئ على سبيل الاستهزاء، لأن الضَّيْفَ يزعمُ أنه وجدها تسرق من زاده في جرابها فلما رأته جعَلت تهيل في جرابه. وقوله "مُحْسِنَةً فهيلي": يحتمل أنه على ظاهره، ويُحْتَمَلُ أنه هازئ بها.

وابْنُ كُلَيْــبٍ هِجْرِسُ الأَنفَاسِ   فِي صَدْرِ زَوْجِهِ عَلَى جَسَّاسِ

. وَالِـدِ زَوْجِهِ وَخَالِه . عَــدَا   وَبَعْــدَهُ ابْنَا وَائِلٍ مَا اجْتَلَدَا

وَغُلِبَت تَغْلِبُ حَــتَّى كَلَّمُوا   فِي الأَرْضِ حَارِثًا عَسَاهُ يَرْحَمُ!

---

(1) وهو منصوب على الظرفية، أي أظهره وقت نجائه..

الهجرس (كزبرج): اسم ابن كليب من جليلة بنت مرة، وهِيَ كلمة يذم بها؛ قال أسيد بن حضير لعامر بن الطفيل وأربد بن قيس لما أغلظا الكلام للنبي ﷺ: اخرجا أيها الهجرسان. وأَصْلُهُ للدب والقرد ونحوهما، وإضافتُه **للأنفاس** من إضافة الموصوف لِلصِّفَةِ نحو "عمر الفتوح" و"زيد الخيل"، أي هجرس ذو الأنفاسِ. **وعلى جساس**: متعلق بـ**عَدَا** بعدُ في البيت الثَّاني. **وابنا وائل**: تغلب وبكر. **واجتلدا**: تضَاربا، أي اقتتلا.

ومعْنَى الأبيات السَّبْعَةِ أن بكرا وتغلب ابنيْ وائل بن قاسط مكثا على الحرب أربَعِينَ سنة من أجل أن قتل جَسَّاس بن مرة كليب بن ربيعة، لأجل قتله ناقة البسوس، خالة جساس الأبيّ عن الضيم. ولما قَتَلَهُ وهرب ـ من أجل قتله له ـ بَدَا بَرصٌ في ركبته حتى رأته أخته فعرفت أنه ما برز إلاَّ لِشَرٍّ. وأم جساس هائلة التي ورد فيها المثل المحتمل للإساءة أو الإحسان. وآخر الحروب بينهم أن عدا ـ أي وثب ـ الهجرس بن كليب على جساس فطعنه بالرمح فقتله؛ وكان رباه إلى أن أدرك فزوجه بنته، فكانَ خاله وصهره على بنته. فلما علم بالخبر: أن خاله جَسَّاسًا وأَبَا زَوْجِهِ هو قاتلُ أبيه، أسرج فرسه وربطه قريبا، وبات كئيبا لم يدخل على زوجته و لم يكلم أحدا؛ إلى أن كان في بعض من الليل دخل عليْها وتنفس بين ثديَيْهَا فنَفِطَ محلُّ نفسه منها، فخرجت مسرعة إلى أبيها فأخبرته وقالَتْ: وا لله لقد وجدت حرارةَ نفسِه بين كتفي، فقالَ: ثائرٌ وربِّ الكعبة. فلما أصبح جساس جمع قومه، فبعثوا إليه فأتاهم على فرسه في سلاحه، فتكلم له جساس فقال: هذا أمر كان فيه وكان.. ومات فيه فلان وفلان..

فأمهله حتى أتم كلامه ثم قال: وفرسي وأذنيهْ، وسرجي وركابيهْ، وسيفي وغراريهْ، ورمحِي وزجيهْ، لا يسلم المرء قاتل أبيهْ، وهو ينظر إليهْ. فطعنه بِالرُّمح ولحق بأهله، وهو آخر قتيل بينهم بعد أن غُلبت تغلب وبَرُّوا قسم الحارث بن عُبَاد بأن حفرُوا سَربا في الأرض وجعلوا فيه رجلا وقالوا له: إذا مرَّ بك الحارث فَأنشده:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا   حنانيك بعض الشرِّ أهون من بعضِ

ولَمَّا اعتزل الحارث الحرب عَرَّضَ به سعدُ بن مالك بن قيس بن ثعلبة ـ جد طرفة بن العبد بن سعد ـ فقال:

يا بؤس للحرب التي وضعت   أراهط فاستراحوا
والحرب لا يبقى لجَاحِمِها   التَّخيُّل والمِراح[1]
إلا الفتى الصبار في النجدا   ت والفرس الوقاح[2]
من صد عن نيرانها   فأنا ابن قيس لا براح[3]

فلما انتهت الحرب قال له الحارث: أتراني ممن وضعته الحرب؟ فقال:

---

(1) جاحمها: مثيرها، والتخيل: التكبر، والمراح: النشاط، أي أن الحرب تكف حدة البطر النشط وهو تعريض بالحارث.

(2) الفرس الوقاح: الصلب الحافر.

(3) لا براح: لا ريب. وبعده:

الموت غايتنا فلا   قصر ولا عنه جماح
وكأنما وِرْدُ المنية   عندنا ماء وراح

لا ولكن لا عطر بعد عروس[1]، فأرسلها مَثَلاً[2].

عَمْرَو بْنَ كُلْثُومٍ وَالاَخْطَلَ انْسُبِ   إِلَى الأَرَاقِمِ وُجُوهِ تَغْلِبِ

يعني أن من **الأراقم** - وهم قبائل من **تغلب**[3] (جشم بن بكر ومالك بن

---

(1) هو مثل يضرب لمن لا يُدَّخر عنه نفيس، وأول من قاله أسماء بنت عبد الله العذرية؛ كان لها زوج من بني عمومتها اسمه "عَرُوس" ومات عنها فتزوجها رجل من قومها أعسر أبخر بخيل دميم اسمه نوفل. فلما أراد أن يظعن بها قالت: لو أذنت لي رثيت ابن عمي وبكيت عند رمسه، فقال: افعلي، فقالت: أبكيك يا عروسَ الأعراسْ، يا ثعلبا في أهله وأسدًا عند الباسْ، مع أشياء ليس يعلمها الناسْ. فقال: وما تلك الأشياء؟ فقالت: كان عن الهمَّة غير نَعَّاسْ، ويُعمِلُ السيفَ صبيحات أبناس. ثم قالت: يا عروسُ الأغرُّ الأزهرْ، الطيب الخيم الكريم المحضَرْ، مع أشياء لا تذكرْ. فقال: وما تلك الأشياء؟ قالت: كان عيُوفا للخنا والمنكر، طيب النَّكهة غير أبخر.. أيسر غير أعسر!. فعرف الزوج أنها تعرض به، فلما رحل بها قال: ضُمِّي إليكِ عطركِ - وقد نظر إلى قَشْوَة عطرها مطروحة - فقالت: *لا عطر بعد عروس*، فذهبت مثلا. والقشوة (بفتح فسكون): قفة تجعل فيها المرأة طيبها أو هنة من خوص تجعل فيها القطن والقزَّ والعطر. قال الشاعر:

لها قَشْوَة فيها مَلاَبٌ وزَنبَق   إذا عَزَبٌ أسرى إليها تطيَّبا

ويقال أيضا: "لا مخبأ لعطر بعد عروس"، وأصله أن رجلا يقال له "عروس" تزوج امرأة، فلما هُدِيت إليه وجدها تفلة فقال لها: أين عطركِ؟ فقالت: خبأتُه فقال لها: *لا مخبأ لعطر بعد عروس*. وقيل بل قالته بعد موته فذهبت مثلا.

(2) ولما ذكر بني وائل، وجره ذلك إلى ذكر الحرب التي وقعت بين ابنيه تغلب وبكر، أخذ يذكر بعض مشاهير الحيين، وبدأ بتغلب لقلة كلامه عليها، فقال رحمه الله:-

(3) الأراقم ستة أحياء من تغلب وهم: جشم وعمرو ومالك وثعلبة ومعاوية والحارث بنو بكر بن حُبيب (بصيغة التصغير) بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل، سموا بذلك لأنهم لما ترعرعوا آنس منهم أبوهم جراءة وحدة فقال لغلام له: إذا جاء الليل فاستغث حتى أنظر ما يصنع أولادي هؤلاء. فذهب إلى حيث أمره فاستغاث؛ فسمعوا صوته وقصدوه وقالوا:

<<=

بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب) **عمرَو بنَ كلثوم والأخطَلَ**، واسمه غياث بن الغوث بن الصلت. وكلثوم هو ابن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم التغلبي. وأم عمرو بن كلثوم: ليلى بنت مهلهل بن ربيعة[1]. لما وُلِدَتْ أمَر أبوها مهلهلٌ أمَّها أن تَئِدها فغيبتها، فلما نام هتف به هاتف يقول: كم من فتى مؤملْ، وسيد شمرذلْ، وعدة لا تجهلْ، في بطن بنت مهلهلْ. فاستيقظ فقال: يا هندُ أين بنتي؟ قالت: قتلتها، قال: كَلاَّ وإله ربيعة ـ فكان أول من حلف بها ـ فاصدقيني فأخبرته فقال: أحسني غذاءها. فتزوجها كلثوم فلما حملت بعمرو قالت: أتاني آت في المنام فقال:

يا لك ليلى من ولد ... يقدم إقدام الأسد

من جشم فيه العدد ... أقول قولا لا فند

فولدت عمرو بن كلثوم، فلما أتت عليه سنة قالت: أتاني ذلك الآتي في الليل فأشار إلى الصبي وقال:

إني زعيم لك أم عمرو ... بماجد الجد كريم النجر

أشجع من ذي لبدة هزبر ... يسودهم في خمسة وعشر

ويلك ما دهاك وأين القوم وأقبلوا يتحاذبونه بينهم حتى جاء أبوهم فقال له: كف عني بنيك فإن عيونهم عيون الأراقم فقد كادوا يقتلونني، فسموا بذلك. وقيل لأن امرأة دخلت على أمهم وهم نيام ورؤوسهم خارجة من قطيفة فقالت: كأن عيونهم عيون الأراقم فسموا به. [خزانة الأدب: 337/4].

(1) وكان عمرو هذا يكنى أبا الأسود، وهو سيد بني تغلب وفارسها وأحد فتّاك العرب وشعرائها المجيدين للفخر، اشتهر بمعلقته المشهورة، وهو أحد الذين اشتهروا بقصيدة واحدة، كالحارث بن حِلِّزة، وكان شجاعا هماما خطيبا جامعا لخصال الشرف.

فكان كما قال. وعاش مائة وخمسين سنة، وهو قاتل عمرو ابن هند.

وسَبَبُ قتله له أن عمرو بن هند قال يوما: هل من العرب من تأنف أمه من خدمة أمي؟ فقيل له: لا أبيت اللعن، لولا أمُّ عمرو بن كلثوم. فبعث إليه أن يأتيه بأمه: أُنادمك وتنادم أمي أمك.. وتلطف له إلى أن وفد عليه بأمه، فقال عمرو لأمه هند: احتالي في أن تخدمك أم عمرو بن كلثوم، فآوتها إليها وأكرمتها. ثم دعت هند ماشطة تمشط لها رأسها فسرحته، ثم قالت لليلى إيتني ببخور أو بكذا، فقالت: لتقم صاحبة الحاجة لحاجتها، فلطمتها هند، فصاحت ليلى: وا ذلا لأمك يا عمرو!، وكان مع عمرو ابن هند؛ فأخذ السيف وأبان به رأسَ عمرو ابن هند ولحق بأهله مع أمه؛ وفي ذلك يقول قصيدته:

ألا هُبي بصحنك فاصبحينا ... ولا تبقي خمورَ الاندرينا
مشعشعة كأن الحص فيها ... إذا ما الماء خالطها سخينا

إلى أن قال:

بأي مشيئة عمرو ابن هند ... تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
فإن قناتنا يا عمرو أعْيَت ... على الأعداء قبلك أن تلينا

وهي قصيدة طَويلَةٌ من قصائد العرب المستحسنات يذكر فيها شجاعته وكرمه ويذكر فيها أيضا حروب ابني وائل، وهي التي يعني الشاعر بقوله:

ألهى بني جُشَم عن كل مكرمة ... قصيدةٌ قالَها عمرُو بن كلثوم[1]

---

(1) بعده: **يفاخرون بها مذ كان أولهم ... يا للرِّجال لفخر غير مسؤوم**

<<=

وأمّا **الأخطل** فسمي بذلك لكبر أذنيه، يقال شاة خطلاء إذا كانت عريضة الأذنين، وقيل لأنه لقي كعب بن جعيل وهو غلام فقال كعب:

كوجه ذا الغـــلام غم الحمـهْ

فقال الأخطل:

وناك كعـــبُ بن جعيل أمّـهْ

فقال كعب: قبحك الله ما أخطلك في كلامك؛ وخطل الكلام: كثيره الفاسد.

وكان الأخطل نصرانيا وهو من طبقات الشعراء الإسلاميين المقدمين على غيرهم كجرير والفرزدق وذي الرمة؛ قال أبو عبيدة: كان أبو عمرو يشبِّه جريرا بالأعشى والفرزدقَ بزهير والأخطل بالنابغة. ودخل يوما على عبد الملك فقال له: أراك تكثر ذكر الخمر في شعرك ونثرك وأولها مرار وآخرها خمار، فقال: يا أمير المؤمنين إن بينهما ساعة لا نبيعها بملكك، وأنشد:

إذا ما نديمي علـــني ثم علني	**ثـــلاث زجاجات لهن هدير**
عقار كعين الديك صاف كأنـه	**لعابُ جراد في الفـــلاة يطير**
خرجت أجـر الذيل تيها كأنني	**عليك أمـــيرَ المؤمـــنين أميرُ**

يعني وانسب عمرو بن كلثوم والأخطل إلى الأراقم من بني تغلب وتَقدم ذكرُ الأراقم وهم وجوه **تغلب** وإياهم يعني عمرُو بن كلثوم بقوله:

--->>

إن القديم إذا ما ضـــاع آخـره كساعدٍ فلّــه الأيامُ محطـــومِ

وكان عمرو يخطب بقصيدته هذه بعكاظ وغيرها وحفظها بنو تغلب وأكثروا من روايتها لذلك قال فيهم الشاعر أبياته هذه: ألهى بني تغلب عن كل مكرمة..إلخ.

برأس من بني جشـــم بن بكر   نــــدق به السهولـة والحزونا   ..إلخ.

أي بني بكر بن حُبَيْبٍ بن عمرو بن غنم بن تغلب، لا بكر بن وائل.

ومن الأراقم أيضا عمير بن شهيمٍ[1] القطامي، ولقب به لقوله:

يَصُكُّهُـــنَّ جانِـــباً فجـانبا   صك القطامـيِّ القطا القواربا[2]

والقطـامي: الصَّقـر (مـن القطـم وهـو شـهوة الجمـاع وشـهوة اللحـم)، والقطامي بالفتح والضم. ولُقِّبَ أيضا صريعَ الغواني لقوله:

صريــع غَـــوان راقهـــن ورُقْنَـــهُ   لدن شب حتى شاب سودُ الذوائبِ

ثم قال رحمه الله:

وَسَيْفَ دَوْلَةِ بَنِـــي الْعَبَّـــاسِ   إِلَى بَنِـــي حِمْدَانِـهَا الأَكْيَاسِ

سيف الدولة: علي بن أبي الهيجاء بن حمدان بن حمدون بن الحارث بـن لقمان بـن راشـد. والضمير في **حمدانهـا:** لتغلـب. **والأكيـاس:** جمـع كَيِّسٍ (كجَيِّـدٍ) وهو الظريف، أو جمع أكيس للعاقل الجواد.

---

(1) ابن عمرو بن عباد بن بكر بن عامر بن أسامة بن ملك بن بكر التغلبي، كان شاعرا إسلاميا حسن التشبيب بالنساء رقيقه وكان كثير الأمثال في شعره، ومن شعره:

ومـــن تكـــن الحضـارة أعجبتـهُ   فأي رجـــال باديــة تـرانا

ومن ربـــط الجِـحَاشَ فإنَّ فينا   قنًا سُلُبًا وأفـــراسا حســـانا

وكـــنَّ إذا أغـــرن على جنابٍ   وأعـــوزهنَّ نهب حيث كانا

أغـــرن من الضباب على حلـول   وضبَّـــة إنـــــه من حان حانا

وأحيانا على بكـــــر أخـــينا   إذا ما لم نجـــد إلا أخـــانا

(2) القوارب: السوائر بالليل للورود غدا.

يعني وانسب إلى بني تغلب سيف الدولة، أي دولـة بـني العباس، وهـو من بني حمدان؛ ويقال لهم قريش تغلب. ثم وصفهـم بـالكيس وهـو العقـل والجود[1]. وسمي سيف الدولة لإفادته لهم وحمايته لدولتهـم، وهـو في زمـن المتقي با لله، ولاه على الشام وحلب. وله يقول المتنبي (أحمدُ بن الحسين[2]):

حلب قصـــــدُنا وأنــت السبيلُ[3] ...

---

(1) قال أبو منصور الثعالبي في *يتيمة الدهر*: كان بنو حمدان ملوكا أوجههم للصباحـة وألسـنتهم للفصاحة وأيديهم للسَّماحة وعقولهم للرجاحة، وسيف الدولة هو أبو الحسن علي بن عبـد ا لله بن حمدان، مشهور بسيادتهم وواسطة قلادتهم وقبلـة الآمـال ومحـط الرحـال وموسـم الأدباء وحَلْبة الشعراء وكان أديبا شاعرا، وقد اشتهرت مدائح المتنبي فيـه، وممـا مدحـه بـه قصيدته التي مطلعها:

عــواذل ذات الخال فيَّ حواســد ... وإن ضجيع الخـــود مني لماجـد

يرد يدا عـــن ثوبها وهـــو قادر ... ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

إلى أن يقول:

نهـبـت من الأعمار ما لو حويته ... لـهـنـئـــت الدنيا بأنك خالــد

فأنت حسام الملك وا لله ضـارب ... وأنـــت لواء الدين وا لله عاقـد

وأنـــت أبو الهيجا بن حمدان بابنه ... ..إلخ.

(2) من قصيدة يمدحه بها:

كلما رحَّبــت بنا الـــروض قلنا ... حَلَبٌ قَصْـــــدُنا وأنت السبيل

فيكِ مَــرعَى جيادنــا والمطـــايا ... وإليـــــها وجيفـنا والذميـــــل

والمسَمّـــوْن بالأمـــــير كثـــيرٌ ... والأمـــيرُ الـذي بها المأمـــول ..إلخ.

(3) يقول كلما طاب لنا مكان كأنه يرحب بنا بما يبدي من حسنه وما يستميلنا به من وُروده وأزهاره فكأنه يدعونا للنزول بـه، اعتذرنا إليه وقلنا له: لا نقيم عندك لأن قصدنا حلب ـ مقام سيف الدولة ـ وأنت الممر فلا نقدر أن نقيم عندك وإن كنت طيبا.

ودار مملكته "مَنبِج" (بفتح الميم وكسر الباء آخره جيم)، وله يقول:

قَيْلٌ بمنبِـجَ مثـواه ونائلـه ... في الأُفق يسأل عمن غيره سالا

وأكثر مدائح المتنبي فيه؛ وله يقول:

وأنت أبو الهيجا ابن حمدان بابنه ... تشابه مولـود كريم ووالـد

فحمدان حمدون وحمدون حارث ... وحارث لقمان ولقمان راشد[1]

---

(1) بعده: أولئـك أنياب الخلافـة كلها ... وسائـر أملاك البـلاد الزوائد

أحبك يا شمـس الزمان وبـدره ... وإن لامني فيك السهى والفراقدُ

وذاك لأن الفضـل عنـدك باهر ... وليس لأن العيـش عنـدك بارد

وإن قليل الحـب بالعقل صالح ... وإن كثير الحبِّ بالجهـل فاسد ..إلخ.

ومن غرر مدائحه فيه لاميته التي مطلعها:

أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل ... دعا فلباه قبـل الركب والإبل

ظللـت بـين أصيحابي أكفكفه ... وظل يسفح بين العـذر والعذل

إلى أن يقول:

ومن علي بن عبـدا لله معـرفـق ... بحملـه مَن كعبد ا لله أو كعلي

معطي الكواعب والجرد السلاهب والـ ... ـبيض القواضـب والعسَّالة الذُّبُل

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملك ... ملء الزمان وملء السهل والجبل

فنحن في جذل والـروم في وجل ... والبر في شغـل والبحر في خجل

من تَغلبَ الغالبين الناس منصبـه ... ومن عدي أعادي الجبن والبخل

والمـدح لابن أبي الهيجاء تنجده ... بالجاهليـة عين العـي والخطل

ليت المدائـح تستـوفي مناقبه ... فما كليب وأهل الأعصر الأول؟!

خذ ما تراه ودع شيئا سمعـت به ... في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

وقد وجـدت مكان القول ذا سعة ... فإن وجـدت لسانا قائلا فقـل

إن الهمام الـذي فخـر الأنام به ... خير السيوف بكفي خيرة الدول

<<=

ومات بمنبج، من عسر البول، في انسلاخ المائة الرابعة[1].

وَمِن بَنِي بَكْرٍ بَنُو حَنِيفَهْ ابْنِ لُجَيْمٍ فِئَةٌ سَخِيفَهْ

ولجيم (بالجيم على المشهور): تصغير لُجَم (كصرد) لدويبة - وقيل بالحاء - ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وهو أبو حنيفة وعجل. والفئة: الطائفة. والسخيفة: من سخافة العقل وهِيَ دقاقته.

--- >>

تمسي الأمانيُّ صرعى دون مبلغه	ولا يقول لشيء: ليت ذلك لي ..إلخ.

ويقول فيه من قصيدة أخرى:

أرى كل ذي ملك إليك مصيره	كأنك بحر والملوك جداول
إذا مطرت منهم ومنك سحائب	فوابلهم طل وطلك وابل
كريم متى استوهبت ما انت راكب	وقد لقحت حرب فإنك نازل ..إلخ.

ويقول فيه وكان قد عاده في مرض:

إذا اعتل سيف الدولة اعتلت الأرض	ومَن فوقها والبأس والكرم المحض
وكيف انتفاعي بالرقاد وإنما	بعِلّتِه يعتلُّ في الأعين الغمض
شفاك الذي يشفي بجودك خلقه	فإنك بحر كل بحر له بعض

ويقول فيه:

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم	وزال عنك إلى أعدائك السقم
صحت بصحتك الغارات وابتهجت	بها المكارم وانهلت بها الديم
وراجع الشمسَ نُورٌ كان فارقها	كأنما فَقْدُهُ في جسمها سقم
ولاح برقكَ لي مِن عارِضيْ مَلِك	ما يسقط الغيث إلا حين يبتسم
يُسْمَى الحسامَ وليست من مشابهة	وكيف يشتبه المَخدوم والخدم ..إلخ.

(1) ولما أنهى الكلام على بني تغلب شرع يتكلم على بني بكر بن وائل بادئا ببني حنيفة، فقال رحمه الله:

يعني أن من بني بكر بن وائل[1] بني حنيفة بن لجيم، وهم فئة حمقاء لتصديقهم مسيلمة أخاهم، مع ما يشاهدون من كذبه وشؤمه وركاكة ترهاته التي يدعي لهم أنها قرآن كقوله ـ لعنه الله ـ: "والطاحنات طحنا.." إلى آخرها ـ فُضَّ فُوهُ ـ، و"الفيل وما الفيل.."، و"يا ضفدع بنت ضفدعين..".

---

(1) أولاد بكر بن وائل أربعة: عليٌّ ويشكر وعوف وبدر، ولم يذكر في النظم إلا ما تفرع من عليٍّ. أما يشكر فمنهم الفارس المشهور والسيد المذكور الحارث بن عباد، ومنهم أبو جِلْدَةَ بن عبيد الله بن غنم بن حُبيب من شعراء الدولة الأموية. وأما عوف فمنهم حمل بن يزيد بن عوف بن بكر، كان له فرس اسمه خِصاف (بوزن كتاب) فطلبه منه المنذر بن قيس ليستفحله فخصاه بين يديه بحربة فسمي "خاصي خصاف" وفيه المثل: "أجرأ من خاصي خصاف". وأما بدر فدخل في يشكر. وأما علي فمنهم بنو حنيفة وبنو عجل وبنو عكابة بن صعب، وذكر الناظم بعض مشاهير علي هؤلاء.

ومن شعر أبي جِلدة اليشكري هذا قصيدته التي يمدح بها مسمعَ بن مالك بن مسمع ويفتخر فيها حيث يقول:

غدت تلوم على ما فات عاذلتي ... وقبل لومِك ما أغنيتِ مَن منعَا
مهلاً ذريني فإني غالني خُلُقِي ... وقد أرى في بلاد الله مُتسعَا
مجدي تليدٌ وما أنفقت يُخلِفُه ... سَيبُ الإله وخيرُ المالِ ما نفعَا
ما عضَّني الدهر إلا زادَني كرمًا ... وما استكنتُ له ان جار أو خَدَعا
ولا تُلَيِّنُ من عُودي غوامزُه ... إذا المُغَمَّزُ مِنها لانَ أو خضعَا
ولا أخاتِل ربَّ البيت غفلتَه ... ولا أقولُ لشيء فات ما صنَعَا
ما يسَّر الله من شيء قنعتُ به ... ولا أموتُ على ما فاتني جزعا ..الخ.

ومن شؤمه أنه تفل لقوم في بئر لهم يريدون التبرك بريقه، فملح ماؤها حتى لا ينتفع به، ومسح على رأس صبي فقرع قرعا فاحشا، ومسح على عينيْ رجل، استشفاء بمسحه، فابيضت عيناه. وأتاه رجل فقال له: يا نبي إن لي مالا كثيرا ولي ابنان أحب أن تدعو لهما فيرثا مالي، فقال: سأدعو لك حتى يطول عمرك ويعيشا بعدك كثيرا، فدعا له؛ فذهب إلى أهله فوجد أحدهما قد سقط في البئر ومات والثاني أكله الذئب، وقالت امرأته وا الله ما دعاءُ محمد كدعاء مسيلمة.

ومن فحشهِ وشؤمه أن وضع عنهم القرآن وأحل لهم الزنى وشرب الخمر، وأمهر سجَاحِ بصلاتي العشاء والصبح! وهو مع هذا يشهد لرسول ا الله ﷺ بالنبوءة، لأنه جاء في وفْدِ بني حنيفة إلى النبي صلى ا الله عليه وسلم، فلما رجعوا إلى أهليهم ادعى أن النبي ﷺ أشركه في الأمر، فصدقوه إلا القليل. وبَعث إليه النبي ﷺ حبيبَ بن زيد بن عاصم ـ أمُّه نسيبةُ بنت كعب ـ فأخذه وقطعه عضوا عضواً، كلما قطع عضوا سأله: أتشهدُ أنَّ محمدا رسُولُ ا للهِ فيقول: نعم، ثم يقول: أتشهد أني رسُولُ ا الله فيقول: إني أصم، فيقطع عضوا حتى قتله؛ فقتل مسيلمةَ أخُو حبيب عبدُ ا الله بن زيد مع وحشي بن حرب، وفي ذلكَ يقول:

ألم تــر أنّي ووحشيهــم	قتلنا مسيلمــــة المفتــن
ويسألني الناس عن قتله	فقلت: ضربت وهذا طعن

ولم يكن على المسلمين أشدُّ بلاءً من بني حنيفة، حتى قيل إنهم المراد

بقوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[1]، وهُم أيضا المرادون بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[2]. ويسمَّى أبو بكر إمام الشاكرين، لأنهم المعنيُّون بقوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

ومن بني حنيفة هوذةُ بن علي، ويقال له ذو التاج؛ لأنه ملك اليمامة ـ ملكه عليها كسرى ـ ويمدحه الأعشى[3] بقصيدة يقول فيها[4]:

إلى هـوذة الوهاب أعْمَلـتُ ناقتي أُرَجِّي عطاءً فاضـلا مـن نوالكا[5]

وكَتَبَ إليه النبي ﷺ كتابا مع سليط بن عمرو[6] يدعوه إلى الإســلام،

---

(1) الفتح: 16.
(2) آل عمران: 144.
(3) هو الأعشى الكبير ميمون بن قيس بن جندل البكري.

(4) **وخرقٍ مخوف قد قطعت بجسرةٍ إذا الجبس أعيا أن يـروم المسالكا**
قطعت إذا ما الليل كانت نجومه تراهُنَّ في جَـوِّ السماء سوامِكا
بأدماء حرجـوج بريـت سنامها بسـيري عليها بعدما كان تامكا
إلى أن يقول: إلى هـوذة.. إلخ..

(5) **تجانـف عـن جـل اليمامة ناقتي وما قصـدت من أهلها لسِوائكا**
أَلَمَّت بأقـوام فعافـت حياضهم قلوصي وكان الشرب منها بمائكا
فلما أتـت آطام جَـوٍّ وأهلـه أنيخت وألـقَـت رحلها بفنائكا
ولم يسْع في الأقوام سعيك واحد وليـس إناء للندى كإنائكا ..إلخ.

(6) العامري، أخو سهيل بن عمرو.

فضنَّ بملكه و لم يسلم (أعاذنا ا الله من البلاء)، وقال: إن أعطاني محمد شيئا من الأرض اتبعته، فقال له صلى ا الله عليه وسلم: «لو سألني سيابة ما أعطيتها له»[1]. وكان عالما بصفات النبي ﷺ قرأها في الكُتُبِ؛ وقال حين قرأ كتاب النبي ﷺ:

أتاني سليط والحوادث جمة   فقلت له ما ذا تقول سليط[2]

من قصيدة ذكرناها في خاتمة شرح الغزوات[3]

ومِنْ حَنِيفَةَ أَبُو ثُمَامَهْ   وَابْنُ أُثَالٍ سَيِّدُ الْيَمَامَهْ

---

(1) ذكره *زاد المعاد*: (696/2)، وسيابة (بفتح السين والتخفيف): البَلَحَة وجمعها: سياب ـ [لسان العرب، ونسب الحديث لأسيد بن حضير].

(2) **فقال التي فيها عليَّ غضاضة   وفيها رجاء مطمع وقُنوط**

(3) لم تكن هذه الخاتمة التي أشار إليها الشارح موجودة في جميع نسخ شرحه للغزوات، والموجود منها خال من هذه القصيدة؛ فلعل ما أشار إليه هنا يعتبر من إنتاجه الذي ما زال في عداد المفقود. ومن هذه القصيدة قوله:

فقلت له غاب الذي كنت أجتلي   به الأمر عنّي فالصعود هُبُوط
وقد كان لي وا الله بالغ أمره   أبا النصر جاش في الأمور ربيط
فأذهبه خوف النبي محمد   فهوذة فيه في الرجال سقيط
فاجمع أمري من يمين وشمال   كأني ردود للنّبال لقيط
وأذهب ذاك الرّأي إذ قال قائل   أتاك رسول للنّبي خَبيط
رسولُ رسولِ ا الله راكب ناضح   عليه من اوبار الحجار غبيطُ
سكرت ودبَّت في المفارق وسنة   لها نفَس على الفؤاد غطيط
أحاذر منه سَوْرة هاشِمية   فوارسها وسْط الرجال عبيط
فلا تُعْجِلَنّي يا سَليط فإننا   نبادر أمرا والقضاء محيطُ

يعني أن **من** بني **حنيفة** بن لجيم **أبا ثمامة**، كنية اللعين مسيلمة الكذاب. ومنهم أيضا سيدُنا ثمامة **بن أثال** الصحابي رضي الله عنه. قوله: **سيد اليمامة:** أي سيد أهل اليمامة بالكرم وقِدم الصحبة، وهو القائل لمسيلمة حين ادعى النبوءة:

مسيلمة ارجع ولا تمحكِ   فإنك في الأمر لم تُشْرَكِ

في أبيات ينهاه عن دعوى النبوءة ويكذبه ويهجوه.

وتبعه ألف من بني حنيفة، لأنه سيدُهم وهم أهل اليمامة، وهي مدينة شرقيَ مكة بالتوسط، وعلى ست عشرة مرحلة من البصرة وكذلك من الكوفة، وبها تنبَّأَ مُسَيْلِمَةُ وبنى بها حديقته التي سماها "حديقة الرحمن"، فدخلها لما انهزمت جيوشه، فاقتحمها عليه المهاجرون والأنصار حتى قتلوه، وقتل فيها منهم كثير. ويُقَالُ إنَّ أوَّل من اقتحمها عليه أبو دجانة وعباد بن بشر والبراء بن مالك.

وكانت اليمامة تُسمَّى جَوًّا، فلما استأصل تبَّعُ جديسا أخذ زرقاء اليمامة ـ وتَقَدَّمَ بعضُ الكلام عليها في خبر جَديسٍ وطسم ـ فسألها عن سبب حدة بصرها؟ فقالت: أكتحل كل يوم بالاثمد، فَسَمَلَ عينيها فإذا عُرُوقهما سود. وصلبها على باب جَوٍّ، وقال سموا جوا اليمامة، فسميت بها؛ قال عمرو بن كلثوم:

فأعرضتِ اليمامة واشمخرتْ   كأسْيافٍ بأيدي مصلتينا

ثم قال رحمه الله:

ثُمَامَةُ عَلَى قُرَيْشٍ هَجَمَا   مُلَبِّيا والمَيْرَ إذ ذَّاكَ حَمَى

ثمامة: هو ابن أثال سيد اليمامة المتقدم ذكره. **وهجم عليهم:** دخل عليهم بغتة بلا إذن. **وملبيا:** قائلا: لبيك، في حج أو عمرة. **والمير:** الطعام المجلوب، والميرة (بالكسر): جلبه. **وحمى الشيء:** منعه.

ثمامة بن أثال وسبب إسلامه

يعني أن ثمامة بن أثال رضي الله عنه هو أول من دخل مكة ملبيا، هجم على قريش بالتلبية، والحال أنه إذ ذاك منعهم أن يمتاروا من اليمامة حتى يُسلموا عن آخرهم. وذلك أنه لما أسلم قدم على قريش فقالوا له: أصبأت يا ثمامةُ وتركت دين آبائك؟! فقال: لا أدري ما تقولون ولكن لا يصل إليكم شيء من اليمامة حتى تتبعوا محمدا ﷺ عن آخركم.

وسبب إسلامه أنه أخذته سرية النبي ﷺ إلى القروط (وهم: قُرط وقَرِيط وقُرَيط[1]) بنو عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. أتت به السرية إلى النبي ﷺ أسيرا، ولم يعرفوه؛ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «أتعرفون أسيركم هذا»؟ قالوا: لا، قال: «هو ثمامة بن أثال واستوصوا به خيرا»[2].

فكانوا يأتونه مساء بجفنة ثريد ويأكلها، وصباحا كذلك؛ وفي الغنائم لقحة تملأ العُسَّ يحلبُونها له فيشربها، فكان صلى الله عليه وسلم يغدو

(1) بوزن: قفل، وأمير، وزبير؛ وهم بطون من بني كلاب.

(2) سيرة ابن هشام.

عليه فيقول: «ما عندك يا ثمامة؟»[1]. وأتاه يوما فقالها لـه، فقـال: إن تقتـل تقتل ذا دمٍ وإن تمنن تمنن على شاكرٍ وإن تسأل المال تُعْطَ منـه مـا شئت. ثم أتاه يوما آخـر، فأعـاد عليـه المقالـة، فأسـلم وأمـره أن يغتسـل، وقـال: «اللهم إن أكلة من لحم جزور أحب إلي من دمِ ثمامة»، فقـال: يـا رسـول الله أخذتني سريتك وأنا معتمر أأُتِمُّ عمرتي؟ قال: «نعم إن شئت».

فلما أسلم أتوه بالجفنة فأصاب منها قليلا وأتوه بلبن اللقحة فكذلك، فقـال لهم النبي ﷺ: «أتعجبون من رجـل أكـل بـالأمس وهـو كـافر في سبعة أمْعَـاءٍ فاسلم فأكل في معىً واحد» ـ أو كما قال صلى الله عليه وسـلم ـ وقيـل ورد هذا الحديث في غيره ـ (اهـ بمعناه من عيون الأثر والروض الأنف وغيرهما)[2].

وابْنُ أَبِيهِ عِجْـلُ الذِي رَنَتْ   حَذَامِ أُمُّـهُ القَطَا فَفَطَنَتْ
بِأَنْ أَثَـارَهُ البَيَاتُ، وَأَبُـو   دُلَفٍ النَّـدْبُ إِلَيْهِمْ يُنسَـبُ

رنت: من الرنو (كالدُّنوِّ) وهو إدامة النظر بسكون الطرف ويتعدى بـ"إلى"، يقال: رنـى إليـه؛ وعَـدَّاه إلى القَطَـا بحذف الخـافض أو بتشـريب الفعل مَعْنَى أبصر، أي أبصرت القطا. وحذام: (على وزن قطام) مبني على الكسر[3]:

وابنِ على الكسـر فعال علما   ...

---

(1) البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد.
(2) ولما فرغ من الكلام على بني حنيفة أتبعه الكلام على بني عمهم بني عجل، فقال رحمه الله:
(3) قال محمد بن مالك في ألفيته:

وابْـنِ على الكسـر "فعال" علما   مؤنـثا وهـو نظيـر جشما.. الخ.

وهي بنت حسن بن تيم العذريةُ، زوجُ لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. **والقطا**: معروف وفيه المثل: "أهدى من القطا"، ويقال أنسب من قطاة، لأنها في طيرانها بالليل تقول: قَطًا قَطًا ـ وبذلك سميت ـ وهي من أكثر الطير ورودا في كلام العرب يسمون بها ويشبهون بها؛ واسم ذَكَرِها القطامي وبه سمي عمير بن شهيم لقوله:

يصكهن جانباً فجانبا صك القطاميٍّ القطا القواربا

وأثاره: أنهضه وأطاره. **والبيات**: أهل التَّبييتِ، أي العَدُوُّ البائت يريد تصبيح القوم بالغارة. **وأبو دلف**: الجواد المشهور والندب الظريف.

يقول ومن بني بكر أيضا: ابن أبي حنيفة، وهو لجيم ـ كما مَرَّ ـ وابنه عجل بن لجيم[1] وأمه حذامِ العذريةُ، التي يقول فيها زوجها لجيمُ:

---

(1) وعجل بن لجيم هذا كان من الحمقاء المعروفين، يحكى أنه كان له فرس جواد فقيل له: لكل جواد اسم يعرف به فما اسم فرسك؟ فقال: لم أسمه بعد، فقيل له: سمه، ففقأ عينه وقال: سميته الأعور! فضرب به المثل في الحماقة فقيل: "أحمق من عجل"، وفي ذلك يقول الشاعر:

رمتني بنو عجل بداء أبيهمُ وأي امرئ في الناس أحمق من عجل

أليس أبوهم عار عين جواده فصارت به الأمثال تضرب بالجهل؟

(وعار عينه: إذا فقأها).

وممن ضرب به المثل في الحماقة أيضا هبنَّقة وأبو غبشان وجحا وبيهس ومالك بن زيد مناة، فقالوا: أحمق من هبنقة وأحمق من أبي غبشان وأحمق من جحا وأحمق بن بيهس وأحمق من مالك بن زيد مناة. وضربت العرب أيضا المثل في الحماقة بالبهائم والطير وغيرهما، فقالوا: أحمق من الضبع، وأحمق من ذيبة؛ قيل لأنها ترضع ولد الضبع. وأحمق من نعجة على حوض، لأنها إذا وردت الماء أكبت عليه ولا تنثني، وأحمق من حمامة لأنها لا تصلح عشها وربما سقط بيضها فانكسر وقد تبيض على الأوتاد فيقع البيض. وأحمق من نعامة لأنها إذا مرت ببيض غيرها حضنته وتركت بيضها. وأحمق من رخمة. وأحمق من كروان، لأنه إذا رأى إنسانا سقط على الطريق فيأخذه. ومن الموصوف بالحمق الحبارى والطاووس والزرافة والبعير.

إذا قالت حـــذام فصدقـوها   فإن القـــول ما قالت حـــذامِ

وذلك[1] أنْ مر بها القطا ـ ليلا ـ طائرا، ففطنت له فـإذا هـو غـير وارد ولا ثائر لشيء ذلك الوقـت؛ فقـالت لزوجهـا: قُـمْ الآن وارتحـل، فقـال: و لم؟ قالت: "لو ترك القطا ليلا لنام" ـ وأرسلتها مثلا ـ وا لله ما أثار هــذا القطـا إلا العدو مبيتكم، فذكر زوجها ذلك للحـي فلـم يعبـأوا بـه، وارتحـل هـو ذلك الوقت فصبح الجيـشُ الحيَّ، وسـلم هـو ومـن معـه؛ فقـال: **إذا قـالت حذام.. إلخ**، وصارت مثلا.

وأبو دُلف: هو القاسم بن محمد العجلي، من أمراء بني العبـاس، مشـهور بالجود، ومدحه الشعراء كثيرا. وممن مدحه أبو تمام، ومن مدحه له قصيدته التي منها[2]:

---

(1) أنَّ حربا وقعت بين حيها وحي آخر، فأراد عدوٌّ حيها بياتهم بالغارة فسار ليلا فأثار القطـا ففطنت له..

(2)
ودِّعْ فُـؤادَكَ توديـع الفراق فما   أراه من سفر التوديـــع منصرفا
يجاهــد الشـوق طورا ثم ترجعه   مجاهـــدات القـوافي في أبي دلفا
بجــوده انصاعــت الأيام لابســة   شرخ الشباب وكانت حلَّةً شرفا
حـــتى لو ان الليالي صـورت لغدت   أفعالـــه الغـــر في آذانها شنفا

إلى أن يقول:

وغيضـة الموتِ أعني البذَّ قُدتُ لها   عَرمرما لحـــزون الأرض معتسفا
كانــت هي الوسطَ الممنوع فاستلبت   ما حولها الخيـلُ حتى أصبحت طرفا
فظــلَّ بالظفـــر الإفشين مرتديا   وبات بابُكها بالـــــذلِّ ملتحفا
أعطى بكلتا يديـــه حـــين قيل له   هـــذا أبـو دلف العجليُّ قد دلفا

إلى أن قال: **نامت همومي**...الخ.

نامــت هُمومِيَ عنِّي حين قلت لها   حسبي أبو دلف حسبي به وكفى[1]

ومِن جُودهِ وحلمه أنه وفد عليه شاعر تميمي، فلما دخل عليه قال لـه: من أنت؟ قال: من تميم، فأنشد أبو دلف:

تميم بطرق اللــؤم أهدى من القطا   ولو سلكتْ سُبْـلَ المكارم ضلّـتِ

فقال التميمي: بتلك الهداية أتيتك! فخجل أبو ذلف وأحسن جائزته. وممـا قيلَ فيه:

إنـما الـدُّنيا أبــو دلـــفٍ   بـين مَبْــداه ومحتضـــره
فإذا ولّى أبـــو دلـــف   ولّـــت الدنيا على أثـــره[2]

---

(1) وله يقول دعبل الخزاعي من قصيدة:

الله أجـرى مـن الأرزاق أكثرها   على يديـك بخـير يا أبا دلفِ
أعطى أبو دلــف والريح عاصفة   حتى إذا وقفــت أعطى ولم يقف   ..الخ.

(2) كل مــن في الأرض من عــرب   بـــين باديـــه إلى حضـــره
مستعـــير منــك مكرمـــة   يكتسيها يـــوم مفتخَـــرِه

ولعبد الله بن محمد البواب في مدح أبي دلف:

طرقتــكَ صائــدة القلوب رباب   ونأت فليـــس لها إليــك مآب
وتصرمت منها العقــود وغلقت   من دون نَيل طِلابها الأبـــوابُ
فلأصدفـــن عن الهـوى وطِلابه   فالحـــب فيـــه بلية وعـذاب
وأخـــص بالمــدح المهذب سيِّدا   نفحاتُـــه للمجتـــدين رغاب
وإلى أبي دلــف رحلــت مطيتي   قد شفـــها الإرْقالُ والإتعـابُ
تعلـــو بنا قُلَل الجبال ودونــها   مما هـــوت اهويـــة وشعاب
فإذا حللت لدى الأمـــير بأرضه   نلــت المنى وتقضَّـت الآرابُ
ملك تأثـــل عن أبيه وجـــده   مجدًا يُقَصِّـــر دونـــه الطلاب

<<=

>> - -

وإذا وزنت قديم ذي حسب به   خضعت لفضل قديمه الأحساب
قوم علوا أملاك كل قبيلة   فالناس كلهمُ لهم اذناب
ضربت عليه المكرمات قبابها   فعلا العمود وطالت الأطنابُ
عُقِمَ النساءُ بمثله وتعطلت   من أن تضمَّن مثله الأصلاب

ويقول آخر:

أبو دلف إن تلقه تلق ماجدا   جوادا كريما راجح الحلم سيِّدا
أبو دلف الخيرات أنداهمُ يدا   وأبسطُ معروفا وأكرم محتِدًا
تراث أبيه عن أبيه وجده   وكل امرئ يجري على ما تعودا ..إلخ.

ويقول آخر من قصيدة في مدحه:

لولا ابن عيسى القرم كنا هملا   لم يؤتثل مجد ولم يرع حسَبْ
ولم يقم في يوم بأس وندى   ولا تلاقى سبب إلى سبب
تكاد تبدي الأرض ما تضمِره   إذا تداعت خيله: هَلاً وهَبْ!
ويستهل أملاً وخيفة   جانبها إذا استهلَّ أو قطب
وهْوَ وإن كان ابن فرعي وائل   فبمساعيه ترقى في الحسَب
وبعُلاهُ وعُلاَ آبائه   تُحوى غداة السَّبق أخطارُ القصب
يا زهرة الدنيا ويا باب الندى   ويا مجيرَ الرعب من يوم الرهب
لولاك ما كان سدًى ولا ندًى   ولا قريش عرفت ولا العربْ ..إلخ.

طريفة: حكى أبو الفرج الأصبهاني في كتاب **الأغاني** في ترجمة أبي دلف: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: كنا عند أبي العباس المبرد يوما وعنده فتى من ولد أبي البَخْتَريِّ وهب بن وهب القرشي الأسَدِي وفتى من ولد أبي دلف العجلي، فقال المبرد لابن أبي البختري: أعرف لجدك قِصَّة طَرِيفة من الكرم لم يسبق إليها، قال: وما هي؟ قال: دُعِيَ رَجُلٌ من أهل الأدب إلى بعض المواضع فسقوه نبيذا غير الذي كانوا يشربون منه فقال فيهم:

نَبيذَانِ في مجلسٍ واحدٍ   لإيثارِ مُثرٍ على مُقْترِ

<<=

وقبيلته من عجل، بنو دلف بن جشم بن قيس؛ منهم عميرُ بن المهتجر الشاعر، والأغلب بن جعشم المعمر القائل:

طول الليالي أسرعت في نقضي نَقَضْنَ كُلّي ونَقَضْنَ بعضي

وهما صحابيان. وصحب غيرهما من بني عجل: أبو سفيان بن الحارث ومَعْتب بن قشير العجليان وجماعة أخرى من الصحابة. (اهـ من الحلة السيرا بعضه). ومنهم أبو النجم الشاعر المشهور[1]، ذَكَرَهُ الذهبي في الصحابة.

وَدَغَـةُ أُمُّ بَنِي الجَعْـرَاءِ بَلْعَنبَرِ بْنِ عَمْرٍو الْغَوْغَاءِ

>> - -

فلو كان فعلُك ذا في الطَّعَامِ لزمت قياسَكَ في المُسْكرِ

ولو كنتَ تطلبُ شأوَ الكرام صنعتَ صنيعَ أبي البَخْتَري

تَتَبَّعَ إخوانه في البلادِ فأغنى المُقِلَّ عن المُكْثِرِ

فبلغت الأبيات أبا البختري فبعث إليه بثلاثمائة دينار. قال ابن عَمَّار فقلت له: قد فعل جد هذا الفتى في مثل هذا المعنى ما هو أحسن من هذا، قال: وما فعلَ؟ قلت: بلغه أن رجلا افتقر بعد ثروة فقالت له امرأته: افْتَرِضْ في الجند فقال:

إلَيْكِ عني فقد كلَّفتني شَطَطًا حَمْلَ السِّلاحِ وقول الدارعين قِفِ

أمن رجال المنايا خلتني رجلا أمسي وأصبح مشتاقا إلى التلف

تمشي المنايا إلى غيري فأكرهها فكيف أمشي إليها بارز الكتف

حَسِبتِ أنَّ نِزالَ القِرْنِ مِن خُلقي أو أن قَلبيَ في جَنْبيْ أبي دلف!

فأحضره أبو دلف ثم قال: كم أمَّلت امرأتك أن يكون رزقك؟ قال: مائة دينار، قال: وكم أمَّلْتَ أن تعيش، قال: عشرين سنة، قال: فذلك علي ما أمَّلت امرأتك في مالنا دون مال السلطان، وأمر بإعطائه إياه. قال: فرأيت وجه ابن أبي دلف يتهلل، وانكسر ابن أبي البختري انكسارا شديدا ـ [اهـ منه].

(1) ذو الأراجيز واسمه فضل بن عبد الله بن عبيدة العجلي.

يقُولُ: ومن بني عجل **دغة** بنت منعج (وهي بفتح الدال، وقيدها ابن خلكان بكسرها)، وهي **أم العنبر بن عمرو** بن تميم، ويقال لبنيه **بلعنبر بنو الجعراء**، لأنَّ أمَّهم ـ دغةَ ـ لما ضربها المخاض ظنت أنها تريد الخلاء فبرزت في بعض الغيطان، فولدت وانصرفت تُقَدِّرُ أنَّها تغوطت، فقالت لضرتها: يا هنتاه.. هل الجعر يفتح فاه؟! قالت: نعم ويدعو أباه! فَمَضَتْ ضرتها وأخذت الولد، فلذلك سمي بلعنبر بنو الجعراء.

والغوغاء: الضِّعَافُ، وأصله شيء كالبعوض لا يقدر على العض لضعفه، فشبه به ضعاف الناس ـ (اهـ من القاموس).

وَلِعُكَابَـةَ بْنِ صَعْـبِ بِنِ عَلِي سَلِيـلِ بَكْرٍ ابْنِ وَائِـلِ العَلِي
ثَعْلَبَةٌ، وتَحْتَـهُ الْبَـرْشَاءُ أُخْتُ بِنِي تَغْلِبَ وَالْجَـذْمَاءُ

يعني أن **ثعلبة** بن **عكابة بن صعب بن علي** بن **بكر بن وائل**: **تحته البرشاء**، واسمها رَقَاشِ بنت الحارث بن عتيك بن غنم بن تغلب التغلبية، وتحته أيضًا **الجذماء**، واسمها أسماء بنت حل بن عدي بن الرباب، من بني بكر. ومعنى **العكابة**: الدخان. ومعنى **البرشاء**: أنها رمتها ضرتها بنار فاحترقت فبرشت فسميت **البرشاء**، ووثبت هي عليها فقطعت يدها فسميت **الجذماء**. والجذم: القطع والأجذم: مقطوع اليد، قال عنترة:

وترى الذباب بها يغني وحده هَزِجًا كفعل الشارب المترنم
غردا يسُنُّ ذراعه بذراعه فِعل المكب على الزناد الأجذمِ

فَأَوْلَدَ الجَـذْمَاءَ تَيْـمَ اللهِ وذَاتُ الانْحَـاءِ لِـذِي العِضَاهِ

وتيم الله معناه: عبد الله، ومنه تيمه الحب: أي عَبَّده وذلَّله. **والأنحاء**:

جمع نِحْيٍ لِزِقِّ السمن. **وذات الأنحاء**: يعني ذات النحيين وجمع مراعاةً للقول بأن أقل الجمع اثنان، أو لأنَّ العرب ربما تجمع المثنى، كقول مطرود الكعبي:

وهاشــم في ضَـريحٍ وسط بلقعة　　　تسفي الرياح عليه وسط غزات

واسم ذات النحيين خولة بنت عدي. **والعضاه**: أعظم الشجر، عبر به عن القبيلة؛ يريد أنها بالنسبة إلى القبائل كالعضاه بالنسبة إلى سائر الشجر. ولم يذكر منها إلا هذه المرأة المشتهرة بقصتها في الجاهلية مع خوات بن جُبير رضي الله عنه.

قصة ذات النحيين

وذلك أنها قدمت تعرض نحيين لها على السوق، وكانت ذاتَ منظر؛ فأمهلها خواتُ حتى انصرفت بهما فلحق بها وقال لها: هَاتِي أُجَرِّبُ نحييك لأشتري منهما واحدًا. فحل أحدهما فذاقه وقال: امسكي حتى أجرب الآخر، فحله وذاقه وقال: امسكي، فأمسكته بيدها الأخرى؛ فلما اشتغلت يداها بالنحيين أقبل عليها حتى قضى وطره منها. فكان فيهما المثلان: "أشغلُ من ذات النحيين" و"أغلم من خوات[1]". وفي ذلك يقول

---

(1) غلم واغتلم: اشتدت شهوته للجماع. وقد مرَّ خَوَّاتُ بن جبير هذا قبل إسلامه بنسوة فأعجبه حسنهنَّ فجلس إليهن وسألهنَّ أن يفتلن له قيدًا لبعير لـه زعم أنه شارد، فمرَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتحدَّث إليهن فأعرض عنه. فلما أسلم سأله ــ وهو يتبسَّمُ ـ عن ذلك البعير الشارد؟ فقال خوات: قيده الإسلام يا رسول الله، وقد رزق الله خيرا وأعوذ بالله من الحور بعد الكور، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تسكن غلمته فسكنت بدعائه ـ [مجمع الأمثال للميداني وغيره].

خوات رضي ا لله عنه:

وذات عيال واثقين بعقلها   خَلجْتُ لها جار اسْتِها خلجات
فشدت على النحيين كفًّا ضَنِينة   فأعجلتها والفتك من فعلاتي

يعني أن ثعلبة بن عكابة له من امرأته الجذماء تيمُ ا لله بن ثعلبة، أبو القبيلة العظيمة التي منها ذات النحيين، ومنها أيضا عكرمة الفياض؛ الذي يقول فيه الشاعر:

إذا بهشت ربيعة للمعالي[1]   فعكرمة بن رِبْعِيٍّ فتاها

ومنهم عبيد ا لله بن ظبيان، الذي قتل مصعبَ بن الزبير فأتى برأسه عبدَ الملك فسجد شكرا. وكان عبيد ا لله يقول: ما ندمتُ على شيء ندمي على أني لم أقتل عبدَ الملِك حين خرَّ ساجداً، لأكون قتلت مَلِكَيْ العرب في يوم واحد.

وَمِن بَنِي الْبَرْشَاءِ شَيْبَانُ الأُلَى   بِذُهْلِهِمْ غَصَّتْ سَبَاسِبُ الفَلاَ

الألى: الذين. وغصت: امتلأت وضاقت. والسَّباسبُ: جمع سبسب للأرض المُسْتَوِيَةِ البعيدة. والفلا: جمع فلاة للصحراء الواسعة، وإضافة السباسب إلى الفلا من إضافة الشيء إلى نفسه على مذهب الكوفيين في تجويزهم ذلك إذا اختلف اللفظان.

---

(1) الباهش: المسرع إلى الشيء سرورا به كما يبهش الغلام إلى أمِّه، قال الشاعر:

سبقتَ الرجالَ الباهشين إلى العُلا   كسبق الجواد اصطاد قبل الطوارد

يقول ومن أولاد ثعلبة من البرشاء، شيبان الذين كثروا حتى عمرت بهم الفلوات.

مِنْـهَا المُثَنَّى الْفَارِسُ الْهُمَامُ   وَأَحْمَدُ بْنُ حَنبَلِ الإِمَامُ

أي من شيبان: **المثنى** بن حارثة، الصحابي المشهور بالفروسة والبطالة. أمَّره خالد بن الوليد على جيوش العراق، حين بعث إليه أبو بكر أن يسير إلى الشام؛ قيل إنه بعث إليه أن يؤمر مكانه المثنى. و لم يزل يجاهدُ الفُرسَ ويبلي البلاءات الحسنة إلى أن اسْتُشهد من جراحات أصابته يوم جسر أبي عبيد، وقيل يوم البُوَيْبِ. فتزوج سعد بن أبي وقاص امرأته. وكانت معه يوما ـ وقد أقعدته عن القتال قروح به ـ وهما ينظران إلى الناس يقتتلون فقالت: وا مثناه! فاعترت الغيرة سعدا فلطَمَها وقال: هل المثنى إلا رجل من المسلمين يقاتل في سبيل الله.

المثنى بن حارثة

وهو من الرهط الأربعة الذين طلب منهم النبي ﷺ النصرة قبل الهجرة بمكة، حين كان يتعرض وفود القبائل يطلب منهم النصرة على قريش ـ وهم: هانئ بن قبيصة ومفروق بن عمرو والمثنى هذا والنعمان بن شريك ـ ومعه أبو بكر وعلي؛ وأبو بكر يُعَرِّفُه الناسَ ويخبره بساداتهم، فقال له: هؤلاء غرر في قومهم. فلما دعاهم كان كل يجيبه بكلام ويحيل على

صاحبه.. إلى أن بلغت النوبة إلى المثنى، وهو أصغرهم[1] وله ذؤابة، فقالوا:

---

(1) روي أنه لما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلي رضي الله عنهما إلى القوم كان مفروق بن عمرو أدنى القوم مجلسا من أبي بكر، فقال له أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال له مفروق: إنا لنزيد على الألف ولن تغلب ألف من قلة، فقال أبو بكر: كيف المنعة فيكم؟ فقال مفروق: علينا الجهد ولكل قوم جد، فقال أبو بكر: كيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبا لحين نلقى وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا.. لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: أوَ قد بلغكم أنه رسول الله؟ فها هو ذا، فقال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك، فإلى من تدعو إليه يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله وإلى أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشا قد ظاهرت على أمر الله وكذّبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد.

فقال مفروق: وإلى مَ تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فتلا صلى الله عليه وسلم: **﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾** - الآية (الأنعام:151) فقال مفروق: وإلى مَ تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾** - الآية (النحل: 90). فقال مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، والله لقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك. وكأنه أراد أن يَشْرَكَهُ في الكلام هانئ بن قبيصة فقال: وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا، فقال هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وإني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لأوَّلِ مجلسٍ جلسته إلينا، ليس له أول ولا آخر، زلة في الرأي وقلة نظر في العاقبة وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا؛ ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر. وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى فقال: وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا، فقال المثنى: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر ..الخ - [الروض الأنف].

هذا المثنى هو فارسنا وصاحب حربنا. ثم قالوا له: إنَّ تَرْكَنا دِينَنَا واتِّبَاعَنا لك على دينك بمجلس جلسته إلينا ليس لـه أول ولا آخـر، زلـة في الـرأي وقلة نظر في العاقبة وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومِن ورائنا قـوم نكـره أن نعقِد عليهم عقدا. فإن أحببت أن ننصرك مما يلي مياه العـرب فعلنـا، وقـد أنزلنا قومنا بين صَرِيَيِ اليمامة والعراق، فقال صلى الله عليـه وسـلم: «مـا هذان الصَّرِيان»؟ فقالوا: مياهٌ ما يلي العراق منها لكسرى وما يلي اليمامـة للعرب؛ أما ما يلي العرب منها فلا نبالي بهم، وأمـا مـا يلـي كسـرى فـلا طاقة لنا به. فقال صلى الله عليه وسـلم: «مـا أسـأتم في الـرد إذ أفصحتـم بالصدق وإن دين الله لن ينصره إلا من أحـاط بجميـع جوانبـه، أرأيتـم ان تلبثو، إلا قليلا حتى يورثكـم الله أرضهـم وديـارهم وأموالهـم ويفرشـكم نساءهم تسبحون الله وتقدسـونه»، فقال له النعمـان بـن شـريك: اللهـم لك ذلك.

فلما انصرفوا قال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر، يا علي: أَيَّة أخْـلاق في الجاهلية ما أشرفها بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعـض وبهـا يتجـاوزون فيما بينهم».

وأسلم هؤلاء بعد ذلك، أما المثنى فقدم في وفد من قومـه وأسـلم سـنة تسع ـ أو عشر ـ واستُشهد سنة أربعَ عشرة.

والهمام: الذي يفعل ما اهتم به من الخير.

الإمام أحمد بن حنبل

ومن بني شيبان أيضا **الإمام أحمد**[1] بن محمد بن حنبل، أحد أئمة

---

(1) هو الإمام حقا وشيخ الإسلام صدقا: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان الشيباني، إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة. ولد في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة ببغداد، ونشأ مُنكَبا على طلب العلم وسافر في طلبه أسفارا كثيرة إلى مكة والمدينة والبصرة والكوفة والشام واليمن وغيرها، وأخذ عن أكثر من مائتين وثمانين شيخا، منهم الإمام الشافعي وسفيان بن عيينة الهلالي، وكان غاية في الحفظ والضبط، وصنف الكثير من المؤلفات، منها *المسند* وكتب في التاريخ والناسخ والمنسوخ والتفسير وفضائل الصحابة والمناسك والزهد. ولم يوجد في زمنه أعلم منه بفقه الحديث ومعانيه، وإليه المنتهى في معرفة السنة علما وعملا ومعرفة الفقه وفروعه. وكان رأسا في الزهد والورع والعبادة والصدق، وقد قال فيه الشافعي: خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلا أفضل من أحمد بن حنبل ولا أعْلمَ ولا أفْقَهَ ولا أتْقَى. وقال فيه إسحاق بن راهويه: لولا أحمد وبذل نفسه لذهب الإسلام، وقال فيه: أحمد حجة بين الله وبين خلقه. وقال فيه ابن المديني: أعز الله الدين بالصديق يوم الردة وبأحمد يوم المحنة.

وفي أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن، ولما امتنع أحمد عن القول بذلك سجن وقيد بقيود الحديد وحمل من مكان إلى مكان ومن سجن إلى سجن وهو مقيد وناظروه فرادى وجماعات، ليلا ونهارا، ورغبوه وهددوه، وأدخلوه مجلسا فرأى السيوف قد جردت والرماح ركزت والتراس صففت والسياط وضعت.. وعلقوه بين خشبتين حتى انخلعت يداه وتعاقب عليه الجلادون حتى أغمي عليه وذهب عقله، وجعلوا يكبونه على وجهه مرة ويطرحونه على ظهره مرة أخرى ويدوسونه.. ولم يزده ذلك إلا ثباتا وتصميما وقوة وصلابة وشدة قلب وشجاعة حتى تخلوا عنه. وكان بين أخذه وتخليهم عنه نحو ثمانية وعشرين شهرا ولم يزل أثر الضرب في ظهره إلى أن مات.

ولما رفعت المحنة رجع إلى بغداد وهو متأثر من أثر الضرب والحبس، ولم يزل بها إلى أن مرض مرض الموت وهو في الثامنة والسبعين من عمره، وتسامع الناس بمرضه فكثروا حتى امتلأت الشوارع. فسمع الخليفة بكثرة الناس فجعل حراسا على بابه وأغلق الزقاق،

<<=

المسلمين الأربعة في الدين والسنة. ضُرب كثيرا وحبس على أن يقول بخلق القرآن فامتنع. وقيل لهُ: هَلاَّ ورَّيت كما ورَّى غـيرك فنجـا؟ فقـالَ: ومـن يقوم به بعدي؟ ولا تحصى مناقبه وأخباره الحميـدة. ويَـوْمَ مـات أسـلمت ألف من أهل الكتاب أو أكثر، وتوفي ببغداد رضي ا الله عنه ونفعنا ببركتهِ.

ودَغْفَـلُ النَّسَّابَـــةُ السَّـــؤُولُ لِسَانُـــهُ وقَلْبُهُ عَـقُـــــولُ

يعْني أن من بني شيبان ثم من بني سدوس بن ذُهْل بن شيبان **دَغْفَلُ** بـن حنظلة، العالم بأنساب الناس[1]، لكونه سؤول اللسان عقول القلب؛ دخـل يوما ـ وهُو شيخٌ ـ على معاوية فسألهُ عن العربية وعن أنسابِ النَّاس وعـن

- - >>

فكان الناس في الشوارع والمساجد حتى تعطلت بعض الأسواق. وجـاء القضـاة والأعيـان، وأرسل إليه السلطان أنه يحب أن يراه، فلم يأذن له ولا لأحد من هؤلاء. وتوفي يوم الجمعة صدر النهار، فكثر الصياح وعلت الأصوات بالبكاء حتى كأن الدنيا قـد ارتجت وامتـلأت السكك والشوارع. وحزر من حضر جنازته مـن الرجـال بـألف ألـف وثمـانين ألفـا، ومـن النساء بستين ألفا. وروي عن ابن صالح القبطري قال: شـهدت الموسـم أربعـين عامـا فمـا رأيت جمعا مثل هذا ـ يعني مشهد أحمد بن حنبل ـ وأظهـر النـاس الذيـن حضـروا جنازتـه السنة والطعن على أهل البدع، فسر ا الله المسلمين بذلك على ما عندهم من المصيبة لما رأوا من العز وعلو الإسلام وكبت أهل الزيغ. ولـزم بعـض النـاس قـبره ووقـع المـأتم والنـوح في المسلمين والنصارى واليهود والمجوس، وأسلم لذلك المشهد العظيم عشرون ألفا، وفي روايـة عشرة آلاف من اليهود والنصارى والمجوس، ورُئيت له بعد موتـه مرائـيَ حسـنة متواتـرة ـ [اهـ من سير أعلام النبلاء وغيره].

(1) هو دغفل (بغين معجمة وبوزن جعفر) ـ اسمه حجر ودغفل لقبه ـ وهو ابن حنظلة بن زيـد بن عبدة بن عبد ا الله بن ربيعة بن عمرو بن شيبان بن ذهل الشـيباني الذهلـي، كـان أعلـم الناس بأنساب العرب والآباء والأمهات وأحفظهم للمحاسن والمساوئ.

النجوم.. فقال له: بم نلت هذا من العلوم؟ قالَ: بِلسان سؤول وقلب عقول، وآفة العلم النسيان.

سَأَلَهُ عَن شَأْنِ عَبْدِ المُطَّلِبْ وَعَنْ أُمَيَّةَ مُعَاوِيٌّ فَسَبّ
أُمَيَّةً بِكَوْنِهِ أُزَيْرِقَا يَقُودُهُ ذَكْوَانُ: عَبْدُ الْحقَا
بَعْدُ بِهِ، وَالْمُصْطَفَى نَفَاهُ إِذْ لِقُرِيشٍ عُقْبَةٌ نَمَاهُ
وَقَالَ فِي شَيْبَةَ عَبْدِ المُطَّلِبْ: بَدْرٌ تَحُفُّهُ بَنُونَ كَالذَّهَبْ

يقول مما سأل عنه معاوية **دَغْفلا** خبرُ **عبد المطلب** و**أمية** بن عبد شمس وصفتهما وحقيقة أمرهما؛ قال له: أتعرف عبد المطلب؟ قال: نعم أعرفه: هو كبدر التمام **ويحفه بنون كالذهب**. ثم قال: أتعرف **أمية**؟ فقال: نعم أعرفه: **أزيرق يقوده** عبدُه **ذكوان**، قال: قل ابنه، قال: أنتم تقولون ذلك!

قوله: و**المصطفى نفاه**..إلخ: يعني يوم بدر، إذ نسبه **عقبة** بن أبي معيط إلى **قريش** بقوله: أأُقتَل بين قريش صبرا؟ حين أمر رسول الله ﷺ عليا - وقيل عاصم بن ثابت - بضرب عنقه في الأسْر، فقال له النبي ﷺ: «لست من قريش وإنما أنت من يهود صَفُّورية[1] - وقال عمر: "حَنَّ قِدْح ليس

(1) صفورية: قرية في فلسطين شمال غربي الناصرة، كان أمية قد اشترى منها أمة من يهودي وهي حامل فولدت جده أبا عمرو، فسماه أمية وتبناه فنسب إليه؛ ثم تنوسي التبني وظنت البنوة.

منها"[1]- وقال: يا محمد ما تركت للصبية؟ قال: «النار».

وقوله: **بعد به**: أي بعد أن كان عبدا تبناه أمية فتزوج بعده أم بنيه الأعياص - كما يأتي إن شاء الله[2]- فولدت له ابنه أَبَانًا، وهو أبو معيط[3]، وذكوان هو أبو عمرو.

وكان عقبة من المؤذين لرسول الله ﷺ بمكّة؛ وجده يوما ساجدًا فوطئ عنقَه الشريفةَ بقدمه الخبيثةِ حتى آذاه جدا، ووضع عليه يوما آخر سَلاَ جزور، لعنه الله. (ويُخرج الحي من الميت: فقَد آمن بنو عقبة وكانوا من أكابر الصحابة وفضلائهم، منهم هشام وخالد وعمارة وأم كلثوم، ومنهم الوليد بن عقبة، من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم).

ومن بني سدوس أيضا بشير ابن الخَصاصِية، وهي أمه، وكان اسمُه زَحْمًا بن مَعْبد فسماه النبي ﷺ بشيرا. ومنهم عمران بن حطان الشاعر الخارجي، كان سُنيا فتزوج امرأة من الخوارج وقال: لأردها عن دينها، فغلبت عليه (والعياذ بالله تعالى)، طلبه الحجاج وعبد الملك فهرب إلى الشام و لم يزل ينتقل من أحد إلى أحد متواريا مختفيا؛ أقام مرة عند روح

---

(1) أراد التعريض بنسبه، وذلك أن القِداح في الميسر ربما جعل معها قدح مستعار قد جرب منه الفلْج واليُمن فيستعار لذلك ويسمى المنيح، فإذا حرك في الربابة مع القداح تميز صوته لمخالفة جوهره جوهر القداح فيقال: "حنَّ قدح ليس منها"، فتمثل عمر بهذا المثل يريد أن عقبة ليس من قريش. وكان قتل عقبة هذا بعرق الظبية وهو موضع بطريق بدر من المدينة بين الروحاء وصخيرات اليمام - [الروض الأنف]. والفلج: الفوز. والضمير في *منها* عائد على القداح المعلومة من القدح المذكور؛ قال ابن بونا رحمه الله:

واستغنِ عن مفسر الضميرِ بالكُلِّ والجزْء وبالنظيرِ ..إلخ.

(2) راجع التكملة (*رياض السيرة والأدب*):1/74-292. (3) كني بابن له يسمى معيطا لم يعقب.

بن زنباعٍ، فلما خاف من الظهور عليه انسل من غير شعور به إلى زفر بـن الحـارث فأقام عنده مدة، وهو لا يعرفه كما لا يعرفه روح قبله. ثم انسل عنه أيضا.. إلى أن مات في تواريه على خارجيته[1]، وله في ذلك أشعار حسنة منها قوله:

ولي نفـس تنازعـني إذا ما   أقـول لـها لعلي أو عسـانـي

ومن بني ذُهل بن شيبان بنو مرة بن ذهل: همَّام وجسـاس وإخوتهمـا، وهم عشرة[2] وولدوا عشر قبائل، وتفرع من همام ثمانية وعشرون قبيلـة ـ (قاله في الحلة السيرا).

مَعْـنُ وَهانِئُ ومَفْرُوقُ السَّرِي   دَعَاهُمَا للـدِّينِ خَيْـرُ مُضَرِ
فِي فِئَةٍ مِن قَوْمِهِـمْ فَامْتَنَعُوا   أَن يُّؤمِنُـوا أوَّلَ وَهْلَـةٍ دُعُوا

قوله **معن**: معطوف على ما ذكـر قبلـه مـن رجـال بـني شـيبان بحـذف العاطف؛ يعني: منها المثنى وأحمد بن حنبل ودغفـل ومعـن.. ثـم اسـتأنف الكلام فقال: .. وهانئ ومفروق ـ وأخبر عنهما بـ**دعاهما** ـ وضمير: التثنية يعود إلى هانئ ومفروق دون **معن**. **والسري**: الشـريف السـيد، وخـص بـه

---

(1) وقيل إن الحجاج أخذه وقال لعماله اضربوا عنق ابن الفاجرة، فقـال لـه عمـران: لبئس مـا أدبـك أهلك يا حجاج، كيف أمنت أن أجيبك بمثل ما لقيتني به.. أبعد الموت منزلة أصانعك عليها؟ فأطرق الحجاج استحياء وقال: خلوا عنه فخرج إلى أصحابـه فقـالوا: والله مـا أطلقـك إلا الله فارجع إلى حربه معنا، فقال: هيهات "غلَّ يدا مُطْلقُها وأسَّر رقبة معتقُها"ـ [زهر الآداب].

(2) هم: جساس وهمام وسعد والحارث ونضلة وبجير وثعلبة وجندب وذؤيب وصبرة، بنو مـرة بن ذهل بن شيبان، وأشهرهم همام وجساس؛ واسم جسَّاس عدي وهو أصغرهـم، ويقـال لبني سعد وبجير والحارث وجندب وذؤيب من بني مرة هؤلاء: بنو هند.

مفروقا. **والفئة**: الطائفة. وضمائر الجمع في: **قومهم** إلى آخر البيت.. تعـود إلى هانئ ومفروق والفئة.. وتقدمت قصتهـم في الكـلام علـى المثنـى لأنـه أحد المدعوين. **وأول وهلة**: أول شيء؛ يشير إلى قولهم: "ونـرى ان اتبعناك وتركنا ديننا لدينـك لأول مجلس.." إلى آخـر كلامهـم. ويشـير أيضـا إلى أنهم أسلموا بعد ذلك، أما مفروق فهو ابـن عمـرو الأصـم بـن قيـس بـن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان الشيباني. وأمـا هانئ فهو ابن قبيصة بن هانئ بن مسعود بن عامر الشيباني. ومن قبيصـة: بنته بجيرة، قتل عنها عبيدُ ا لله بن عمـر بصفـين. وفي الموطـأ أن هانئـا ابـن قبيصة ورجلا من بني عمه أتيا عمر في الحج فقال هانئ: يـا أمـير المؤمنـين بينا تعادى بنا خيلُنا ندَّ منا ظبيٌ فقتلنـاه ونحـن محرمـان فمـا جـزاؤه؟ فدعـا عمرُ عبدَ الرحمن بن عوف وقال: تعال نحكمْ في هذا. فحكمـا فيـه بشـاة، فخرج هانئ يقول: مثل أمير المؤمنين لا يحكم في هذا حتـى يسـتعين عليـه غيره! فدعاه عمر وقال: أتقرأ القرآن؟ قال: أقـرأ منـه، قـال: أتقـرأ سـورة المائدة؟ قال: لا، قال: لو كنت تقرؤها لأوجعتك ضربا[1].

---

(1) ثم قال إن ا لله سبحانه وتعـالى يقـول في كتابـه: ﴿**يحكـم بـه ذوَا عـدل منكـم هديـا بـالغ الكعبة**﴾، وروى ميمون بن مهرانَ أن أعرابيا أتى أبا بكر رضي ا لله عنه فقال: قتلت صيدا وأنا مُحرِم فما ترى عليَّ من الجزاء؟ فقال أبو بكر لأُبيٍّ بن كعب وهـو جـالس عنـده: مـا ترى فيها؟ فقال الأعرابي: أتيتك وأنت خليفة رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أسألك فإذا أنت تسأل غيرك! فقال أبو بكر: "يقول ا لله تعالى: ﴿**فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم**﴾ فشاورت صاحبي حتى إذا اتفقنا على أمـرٍ أمرْنـاك". فسبحان ا لله لقـد بين له الصديق الحكم برفق وتؤدة وبينه الفاروق بقوة وشدة رضي ا لله عنهما.

وأما **معن** فهو ابن زائدة[1] المشهور بالجود، كان مختفيا من أبي جعفر المنصور؛ فخرج من البصرة وحده على جمل، فبينما هو يسير وحده إذا هو برجل أسود: قال ولم أشعر به حتى أخذ بخطام الجمَل وأناخه بي فقال: أنت معن بن زائدة الذي جعل فيك أمير المؤمنين كذا وكذا لمن يأتيه بك؟ قال: فأخرجت صرة من ذهب كانت معي وقلت: يا هذا خذ هذه ودعني وسبيلي يرحمك الله، فقال: جُعْلُ أميرِ المؤمنين فيك أكثر من هذا وطاعته واجبة، فقلت: خذ معها هذا الجمل وما عليه وخلني، فأبى؛ فقلت: خذ السيف وخلني. فقال: يا معن حدثني عن جودك الذي تزعم ويذكر عنك: هل خرجت يوما من جميع مالك؟ قلت: لا، قال: وهل خرجت من نصفه؟ قلت: لا، قال: وثلثه؟ قلت: لا، قال: وأي جود عندك؟ فأرسل خطام الجمل وتركني ولم يأخذ مني شيئا! وما زلت أسأل

---

(1) ابن عبد الله بن مطر الشيباني، يكنى أبا الوليد من أشهر أجواد العرب وأحد الشجعان الفصحاء. أدرك العصرين الأموي والعباسي، وكان في الأول مكرما وولي فيه الولايات العظيمة. وكان ممدحا، ورثاه الشعراء مراثي كثيرة من جملتها مرثية الحسن بن مطير الأزدي التي منها:

ألما على معنٍ وقولا لقبره	**سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا**
فيا قبرَ معن كيف واريتَ جودَه	**وقد كان منه البَرُّ والبحر مترعا؟**
ويا قبر معنٍ أنت أول حفرة	**من الأرض خُطت للسماحة مضجعا**
بلى قد وسعت الجودَ والجودُ ميت	**ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا**
فتًى عِيش في معروفه بعد موته	**كما كان بعد السيل مجراهُ مرتعا**
ولما مضى معنٌ مضى الجود وانقضى	**وأصبح عرنين المكارم أجدعا**

عنه بصفته و لم أر من يذكره[1].

ذُهْلُ ابْنُهَا مِنْـهُ الإِمَامُ الْمَازِنِي مُقَــوِّمُ اللَّحْنِ لِكُلِّ لاَحِــنِ

قوله: **ذُهل ابنها**: أي ابن البرشاء، وهو ذهل بن ثعلبة، احترازا من ذهل بن شيبان. **منه**: أي من ذهل بن ثعلبة، أبو عثمان المازني، نسبة إلى مازن بن ذهل بن ثعلبة. قوله: **الإمام** أي في النحو، ويحتمل في غيره. **ومقوِّم اللحن**..الخ: يشير إلى قصته مع الجارية والواثق با لله.

قصة المازني مع الواثق

وهي أن أبا عثمان سأله يهودي أن ينسخ له كتابَ سيبويه بمائة دينار، قال: فنظرت في الكتاب فإذا فيه ثلاثُمائة آية فكرهت أن أجعله في يد ذمي، فامتنعت؛ وعنفتني زوجتي لأنا في غاية الاحتياج إلى المائة، وذكرت الحديث: «من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه»[2]. فاتفق أن غنت جارية الواثق بقول العرجي:

أظَلُوم إن مصابكم رجلا أهدى السَّلاَمَ تحية ظلْمُ

فنصبت "رجلا" ولحنها بعضُ الندماء، فقالت: هكذا لقَّنني شيخي أبو

---

(1) و لم يزل معن مختفيا ويسكن في البادية خوفا من العباسيين حتى كان يوم الهاشمية وثار جماعة من أهل خراسان على المنصور وقاتلوه، فتقدم معن وقاتل بين يديه حتى افرج الناس عنه، فحفظها له المنصور وأكرمه وجعله في خواصه وولاه اليمن ثم ولي سجستان فأقام فيها مدة وابتنى دارا، فدخل عليه ناس في زي العمال فقتلوه غيلة، وله أخبار عجيبة.

(2) أحمد في مسنده.

عثمان المازني ولا أقوم عنه. فخاضوا في الكلام فيه واتفقوا على أن رجلا خبر "إن"، وهي مصرة على النصب. فأرسل الواثق من أتاه بالمازني ليلا، فلما دخل عليه قال: من الرجل؟ [قال:] فقلت: من بكر، وكرهت أن أواجهه بالمكر (لأنهم يبدلون الباءَ من صدر الكلمة ميما فيقولون في بكر: مكر)، وفطن لي وأعجبه ذلك منّي وقال: كيف تروي بيت العَرجي: أظلوم إن مصابكم..إلخ؟.

فجعل الصواب مع الجارية، فقال له الواثق: بم نصبت "رجلا"؟ قال: "بمصابكم" لأنها بمعنى إصابتكم، ألا ترى أن الكلام معلق إلى أن تقول ظلم؟ ففهم الجماعةُ البيتَ ورجعوا إلى قول الجارية فتحادثوا ساعة.

ثم قال لي: ما عليك من الدين؟ قلت: كذا وكذا، قال: كم عيالك؟ قلت: بنت، قال: ما قالت لك حين خرجت عنها؟ قلت: قالت:

أبانا فلا رِمْتَ من عندنا فإنّا بخيرٍ إذا لم تَرِمْ[1]

قال: وما قلت لها؟ قال: قلت:

ثقي بالله ليس له شريك ومِن عند الخليفة بالنجاح

فقال: بالنجاح إن شاء الله، فأمَرَ لِي بألف دينار وهدايا، وأمرت لي الجارية بثلاثمائة، وقال: إن شئت بت معنا بقية ليلتنا وإن شئت أمرنا من يوصلك أهلك، فاخترت أن يوصلني إلى أهلي ليسكن وجلهم علي. فقلت

(1) بعده: **فإنك إن أضمرتك البلا د نجفى وتقطع عنا الرحم**

لامرأتي: تركنا مائة لله فعوضنا عنها هذا - (انتهى من كثير من الكُتُبِ[1]).

---

(1) ومن شيبان أيضا بنو الشقيقة، وهم سيار وسمير وعبد الله وعمرو أولاد سعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان. والشقيقة أمهم، وهي بنت عباد بن زيد بن عوف بن ذهل بن شيبان، وهم مردة لا يأتون على شيء إلا أفسدوه، وإياهم يعني الشاعر بقوله:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي ... بنو الشقيقة من ذهل بن شيبانا

لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب ... ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ... ومن إساءة أهل السوء إحسانا

فليت لي بهمُ قوما إذا ركبوا ... شنوا الإغارة فرسانا وركبانا

ومن شيبان أيضا أبو الصقر؛ إسماعيل بن بُلْبُل الشيباني، كان من الشعراء البلغاء والأجواد الكرماء، وكان غاية في الشجاعة وعلو الهمة وصغر الدنيا عنده، وكان من قواد أبي جعفر المنصور، وتولى الأعمال الجليلة وهو ممدوح ابن الرومي، ومما قال فيه قصيدته المشهورة التي منها:

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم ... كلا لعمري، ولكن منه شيبان

تسمو الرجال بآباء وآونة ... تسمو الرجال بأبناء وتزدان

وكم أب قد علا بابن ذرى حسب ... كما علتْ برسول الله عدنان

ومنها:

هو الذي حكمت قدما بسؤدده ... عدنان ثم أجازت ذاك قحطان

ويقول فيه من قصيدة أخرى:

هذا أبو الصقر فردا في محاسنه ... من نسل شيبان بين الضال والسلم

أمسى وأصبح بين الناس أرفعهم ... ذكرا وأشهرهم بالمجد والكرم

كأنه الشمس في البرج المنيف بِهِ ... على البرية لا نار على علم ..إلخ.

يعني بالبرج قصره العالي، لما شبهه بالشمس جعل قصره برجا وأراد التلميح إلى قول الخنساء في أخيها صخر:

وإن صخرا لتأتم الهداة بـه ... كأنه علم في رأسه نارُ

ولما أنهى الناظم الكلام على بني شيبان شرع يتكلم على بني قيس بن ثعلبة، فقال رحمه الله:

مِن قَيْسِهَا طَـرَفَـةُ بْنُ الْعَبْدِ   كَجَـدِّهِ مُسْعِرُ حَرْبٍ مُـرْدِ

قيسها: أي البرشاء؛ وهم قيس بن ثعلبة القبيلة المشهورة العظيمة من قبائل بكر، منهم زينب بنت بشر الصحابية أم جعفر وعبيدة ابني الزبير بن العوام وأم غيرهما من قريش. يعني من قيس بن البرشاء **طرفةُ بن العبد** بن سعد بن مالك بن قيس بن ثعلبة[1]. **وجده**: يعني به سعد بن مالك، قال:

رأيت سعوداً من شعوب كثيرةٍ   فلم تر عيني مثلَ سعد بن مالكِ

قوله: **كجده**، يعني في الشجاعة وإيقاد الحروب؛ لأن جده هو القائل، مُعرِّضا بالحارث بن عُبَاد حين اعتزل الحرب:

من صد عن نيرانها   فأنا ابن قيس لا بَراح (الأبيات).

ومسعر حرب: موقدها. **ومرد**: مهلك.

طرفة وقصة قتله

وطرفة هو سادس الشعراء المدون شعرهم، وكان هَجَّاء للملوك في

---

(1) اسمه عمرو، مات عنه أبوه وهو صغير وولي أمره أعمامه. ومال إلى البطالة واللهو والأخذ بأسباب الفتوة وقول الشعر والوقوع به في أعراض الناس حتى هجا قومه وأهله، وهجا عمرو بن هند، ملك العرب بالحيرة، مع أنه كان يتعرض معروفه. وكان أقصَرَ فُحول الجاهلية عمرا وأجودهم وأوصفهم للناقة. قتله عامل عمرو بن هند بالبحرين وهو ابن عشرين سنة؛ فلذلك قيل له ابن العشرين. وقيل ابن ست وعشرين، وعليه قول اخته، او عمته، خرنق:

عددنا له ستا وعشرين حجة   فلما توفاها استوى سيدا ضخما

فجعنا به لما رجونا إيابه   على خير حال لا وليدا ولا قَحما

شعره ويذكر فيه الحروب.. إلى أن قتله عمرو بن هند. وذلك أنه هجاه فلم يبلغ عمرا هجاؤه؛ فلما كان ذات يوم دخل عليه عبدُ عمرو بن بشر بن مرثد فأمره أن يجلس معه على سريره، فبدا كشحه فضحك عمرو بن هند، فسأله عن ضحكه فقال: تذكرت قول طرفة قاتله الله:

ولا خـير فيه غير أن له غنى وأن لـه كشحا إذا قام أهضما

قال عبد عمرو: يقول فيك أقبحَ من هذا، فقال: ما هو؟ فندم على قوله وأنكره ـ خوفا عليه لأنه ابن عمه ـ فلم يزل به إلى أن أنشده أبياته فيه:

فليت لنا مكان المَلْك عمـرو رغـوثا[1] حـول قبتنا تخورُ! ..إلخ.

فأضمر عمرو بن هند الضِّغْنَ على طرفة. إلى أن وفد عليه مع المتلمس[2]، فكتب لهما كتابا إلى عامل له بقتلهما، وهو يريهما أنه كتب إليه ليعطيهما. فلما قربا من العامل لقيا راعي غنم فقال المتلمس: تعال نعرض كتابينا على هذا الراعي إن كان يقرأ لنعرف ما فيهما، فأبى طرفة وقال: لا يكون ذلك منه، لا يقتلني. ففتح المتلمس كتابه ودفعه إلى الراعي؛ فلما قرأه قال الراعي: ثكلت المتلمس أمه! قال: ويحك و لم ذلك؟ قال: في هذا الكتاب قتل المتلمس.

وطرفة لم يفتح كتابَه. فأمَّا المتلمس فألقى الصحيفة وهرب، وأما طرفة

---

(1) الرغوث: التي ترضع (فَعُول بمعنى مفعولة) من رغث الجدي أمه إذا رضعها وأرغثت النعجة ولدها: أرضعته، والأكثر استعماله في الضأن خاصة.

(2) وكان المتلمس خال طرفة، وقد بلغ الملك عنه مثل ما بلغه عن طرفة فأظهر لهما البشاشة والوداد ليؤمنهما وأمر لكل منهما بجائزة وكتب لهما كتابين إلى عامله بالبحرين.

فقدم بها على العامل، فأخبره العامل بما يراد فاتهمه، فقتله. وصدق فيه تفرسُ المسيَّب بن عَلَسٍ لمَّا أنشد بين يدي عمرو بن هند، وطرفةُ حاضرٌ:

وقد أتناسى الهم عند احتضاره بناجٍ عليه الصيعرية مُكْدَمِ[1]

فقالَ طرفة: استنوق الجمل[2] (يعني أن الصيعرية من سمات النوق ولا تكون على الذكور)، فَغَضِبَ المسيب وقال: ليقتلن هذا الغلامَ لسانُه. فكان كما تفرس فيه.

ومن بني قيس بن ثعلبة: الأعشى، ميمون بن قيس، ويكنى أبا بصير؛ جاهلي أدرك الإسلام فخرج يريد النبي ﷺ ومعه ابنُه، فلما كان قريبا من مكة لقي رجلا من قريش فسأله عن النَّبي ﷺ فقال: يا أبا بصير إنه يحرم الزنى، فقال: وا لله لا حاجة لي به قط، قال: ويحرمُ الخمر، فقال: أمَّا هذه فَفِي النَّفْسِ منها عُلالاتٌ، ثم قال: أرجعُ فأتعلل منها عامي هذا إلى القابل فأُسلم؛ فرجع ومات في عامه قبل القابل (والعياذ با لله). ولما خرج يريد النبي ﷺ قال قصيدته التي امتدحه فيها وأولها:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبتَّ كما بات السليم مسهدا

إلى أن قال:

---

(1) الصيعرية: سمة في عنق الناقة خاصة، وقال أبو علي في التذكرة: الصيعرية: وسمٌ لأهل اليمن لم يكن يوسم إلا النوق. ومكدم: غليظ شديد.

(2) أي إنك كنت في صفة جمل فلما قلت "الصيعرية" عدت إلى ما توصف به النوق.

فآليت لا أرثي لها من كـــلالة ... ولا من حفى حتى تلاقي محمدا ﷺ
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم ... تُراحي وتلقَيْ من فواضله ندى
رســول أتى بالمعجزات وذكره ... أغار لعمري في البـــلاد وانجدا

وآخرها:

وإياك والأوثـــان لا تعبـدنّـها ... ولا تعبـد الشيطان وا لله فاعبدا

ويُسَمَّى أبوه قيس قتيل الجوع، لأنه دخـل غـارا يستظل بـه مـن الحر فوقعت صخرة على فم الغار فأغلقته فلم يزل به حتى قتله الجوع.

ومن شيبان زفر بن مسعود بن سنان الذي يقول فيه الشاعر:

من البيض الوُجُـــوه بني سِنَانٍ ... لو انك تَسْتضيء بهـمْ أضَاؤُوا
همُ حلوا من الشـــرف المعلى ... ومن حســبالعشيرة حيث شاؤوا
فلو أن السماء دنت لمجـــــدٍ ... ومكرمـــة دنـــت لهم السَّماءُ
بُنَاة مكـــــــارم وأُساةُ كلْـمٍ ... دماؤهـــم من الكلب الشِّفَـاءُ

ومنهم سعد بـن إيـاس، صحـابي؛ ثـم صحـب عبـد ا لله بـن مسـعود، وعاش مائة وعشرين سنة.

هنا انتهى الكلام على ربيعة ويتلوه الكلام على أخيه مضر وهو عمود نسب النبي ﷺ، وذلك صنيعه يؤخر عمود النسب للاهتمـام بـه، ولأنـه في هذا كله بان على قصد النبي ﷺ والمقصود الأهم يؤخر غالبا.

قال ذاكرا ابنيْ مضـر، ولم يذكـره اتّكـالاً على ذكـره مـع إخوتـه، ولاستلزامـه بذِكْـر ابْنَيْهِ:

الكلام على ولد مضر

إِلْيَاسُ والنَّاسُ أَخُـــوهُ انتَشَـرَا ومِنْهُمَا كَانَ جَمِيــــعُ مُضَـرَا

إلياس: من اليأس (بالتحريك)، سمي به لأنه أول من أخذه داء اليـأس ـ وهو السل ـ ومات بـه وبَكَتـه خنـدف كثـيرا مـن السـنين. **والنـاس**: أخـو إلياس. و **انتشرا**: كثرا. **ومنهما**: أي من إلياس والنـاس **كـان مضـر** كلهـم، لأنهما ابناه وليس لـه ابـن غيرهمـا. قـال صلـى ا الله عليـه وسـلم: «مضـر صخرة ا الله التي لا تنكل»، أي لا تدفع عما وقعت عليه. وقال أيضا: «إذا اختلف الناس فالحق مع مضر»[1]، وقال: «لا تسـبوا مضـر وربيعـة فإنهمـا كانا مسلمين»[2]، وقال للقائل:

إني امرؤ حميري حين تنسبني لا مـن ربيعة آبائي ولا مضرا

«ذلك أبعد لك من ا الله ورسوله»، وقيل قالها معاوية.

والنَّاسُ عَيْـلاَنُ وَقِيلَ لَقَـــبُ والنَّاسُ قَيْسٌ، وإِلَيْهِ يُنسَـــبُ

خَصَفَـةُ العَزِيزُ، سَعْدُ، عَمْرُو لِخَصْفَــةٍ مُحَــارِبُ أَلْغُمْـــرُ

قوله: **والناس عيلان**: أي الناس هو الاسم ولقبه عيلان، أو هو كلبـه أو خادمه أو جبل ولد عنده. وقيل النـاس لقـب؛ فـإذن يكـون **النـاس وقيـس** واحدا، قيس هو الاسم والناس هو اللقــب. وعلى أن الناس اسـمٌ فعيـلان

---

(1) أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس.

(2) تقدم تخريجه (ص 124).

لقبهُ وقيس ابنه. ويروى في كلامهم قيس بن عيلان، واجتمع ذلك في قول الحماسي:

لحى ا لله قيسا، قيسَ عيلان إنها **أضاعت ثُغورَ المسلمين وولت**

فشاول بقيس في الطعان ولا تكن **أخاها إذا ما المشرفية سُلَّتِ**

ألا إنما قيس بن عيلان بقة **إذا شربت ماءَ العصير تغنت**

فالبيت الثالث يدل على أن قيسا ابن الناس والناس هو ابن مضر وعيلان لقبه، والبيت الأول يدل على أن قيسا هو ابن مضر والناس لقبه. **وعيلان** (بالعين المهلمة[1]) مضاف إليه **قيس**، ولو كان لقبا لما أضيف إليه قيس، إذ "لا يضاف اسم لما به اتحد معنى.."[2] عند البصريين. قوله: **وإليه ينسب**: أي وإلى قيس ـ على كلا القولين ـ ينسب **خصفة**. **العزيز**: أي قبائله التي نتجت منه الآتية قريبا إن شاء ا لله. **وسعد**: هو أبو غطفان. **وعمرو**: هو أبو فهم وعدوان. وأما **خصَفة** (بالتحريك، وسكنه للضروة) فله: **مُحَارِبٌ الغُمر**: أي الجهال، أو لفيف الناس؛ وصفهم به لأنهم أوَّل الأمر أقبح الناس ردا على النبي ﷺ حين دعاهم إلى الإسلام. وذلك انه دعا يوما إلى الإسلام بأحَد مواسم العرب فقال رجل من محارب: واللات لأقتلنه، فركب فرسه وركض نحو النبي ﷺ فسقط عن فرسه ميتا ومات الفرس.

---

(1) وليس في العرب عيلان بمهملة غيره، وقيل قيس هو الناس بن مضر وعيلان عبد لمضر حضن ابنه الناس فنسب إليه ـ [سموط الذهب].

(2) قال ابن مالك في الخلاصة (الألفية):

ولا يُضاف اسمٌ لما به اتّحدْ **معنًى وأوِّلْ مُوهمًا إذا وردْ**

ولكن أسلموا بعد ذلك؛ ومنهم من الصحابة أبان المحاربي، وفد على النبي ﷺ، حديثه: «من قال إذا أصبح الحمد لله ربي لا أشرك به شيئا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له غفرت ذنوبه حتى يمسي ومن قالها حين يمسي غُفرت ذنوبه حتى يصبح»[1]. ومنهم الأسود بن هلال وغورث بن الحارث صاحب القصة[2] مع النبي ﷺ فأسلم وذكر في الصحابة. ومنهم جماعة كثيرة؛ وهم من القبائل التي تستلئمهم العرب وتستحقرهم وتهجوهم الشعراء، كباهلة وطُفاوة وسلول وغيرهم.. ومِمَّا هُجُوا به:

تَنِقُّ بلا شيء شيوخُ محارب ... وما خِلْتُها كانت تُريش ولا تبري[3]

رُوِيَ أنه سامر رجل من محارب رجلا من بني هلال على غدير، فقال الهلالي: ما تركتنا شيوخ بني محارب الليلة ننام! يعني الضفادع ـ والنقيق صُياح الضفدع ـ فقال المحاربي: إن شيوخ بني هلال أضلت برقعا لها فهي تطلبه! يعني قول الشاعر:

لكل هلالي من اللؤم بُرقعٌ ... ولابن هلال برقع وقميصُ

---

(1) رواه أبو داود.

(2) وذلك أنه قال لقومه ألا أقتل لكم محمدا؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله؟ قال أفتك به. فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيفه في حجره فقال: يا محمد أنظرُ إلى سيفك هذا؟ قال: «نعم»، فأخذه فاستله ثم جعل يهزه ويهمُّ فيكبته الله، ثم قال: يا محمد أما تخافني وفي يدي السيف؟ قال: «لا، بل يمنعني الله منك».. وقيل أخذته الزلخة حتى سقط لوجهه، فأسلم - [روض النهاة على شرح نظم الغزوات].

(3) تُريش: أي تُعين وتُغني، وتُبري: أي تهزل وتُضعِفُ، وأصله نحتُ العُود.

وبَعَثَ رجل من محارب ـ عامِلٌ لقتيبة بن مسلم ـ رجلا من سلول إلى قتيبة فاستأذن عليه الرسول، فَقَالَ لَهُ بعض ندمائه: بِبَابِكَ ألأم العرب، قال: من هو؟ قال: سلولي رسول مُحارِبي إلى باهلي![1].

الكلام على سُليم وهوازن

مَنصُورُ وَالِدُ سُلَيْمٍ وَأَخِيهْ هَوَازِنٍ، فَمِن سُلَيْمٍ النَّبِيهْ
رُبُعُ الإِسْلَامِ صَفِيُّ الْمُصْطَفَى عَمْرُو بْنُ عَنَبَسَةَ خَيْرُ مُصْطَفَى[2]

يقول: لخصفة أيضا من الولد **منصور** بن خصفة، أبو **سليم وهوازن**. ثم شرع في الكلام على سليم[3] مرتبا باللف والنشر فقال: **فمن سليم**: العاقل الفطن، **ربع الإسلام**، أي رابع من أسلم بالنبي ﷺ[4]، كما في حديث مسلم، لما عرض عليه الإسلام قال: من معك على هذا الأمر؟ قال:

---

(1) ثم شرع في الكلام على سليم وهوازن ابنيْ منصور بن خصفة بن قيس عيلان، فقال رحمه الله وعفا عنه:

(2) **منصور** (بالرفع): معطوف على **محارب الغمر** في البيت السابق بحذف العاطف. **ووالد سليم**..إلخ: صفة لمنصور. **وهوازن** (بالجر): بدل من **أخيه**. **والنبيه**: مبتدأ مؤخر خبره الجار والمجرور قبله. **وربع الإسلام وصفي المصطفى** (بالرفع فيهما): صفتان للنبيه. **وعمرو** (بالرفع): بدل من النبيه. **وابن عنبسة وخير مصطفى** (بالرفع فيهما) أيضا: صفتان لعمرو.

(3) وسليم هؤلاء هم أكبر قبائل قيس عيلان، وهم أخوال النبي صلى الله عليه وسلم لأن منهم العواتك؛ وكانوا يفتخرون بخؤولاتهم هذه.

(4) عمرو بن عنبسة (بنون وبغيرها) بن عمرو بن خالد بن غاضرة بن عتاب بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم السلمي الصحابي الجليل.

«حُران وعبدٌ»[1]- يعني أبا بكر وزيدَ بن حارثة وبلالا - فأسلم ورجع إلى قومه، ولم يزل فيهم إلى أن فشا الإسلام. ثم هاجر إلى المدينة بعد الخندق فسكنها، ثم نزل الشام. وكان أخا أبي ذر لأمه. رَوى عن النبي ﷺ ثمانية وثلاثين حديثا، وكان يقول: أنا رابعُ الإسلام. وقوله: **صفي المصطفى**: يعني أنه كان صديقا للنبي ﷺ[2]. وهو ابن عبَسَة (كحسنة) كما في تقييد اليدالي، وهو ظاهر **القاموس**، وصرح اليدالي بالخطأ بالنون، وفي **الإصابة** بنون وبغَيْرِهَا.

ثم قال رحمه الله:

مِرْدَاسُ عَبَّاسُ ابْنُهُ أَخْبَرَهُ   شَخْصٌ عَلَى نَعَامَةٍ أَبْصَرَهُ

بِخَيْرِ مُرْسَلٍ فَآمَنَ بِهِ   وَهْوَ قَرِيعُ وَبَلِيغُ حِزْبِهِ

يقولُ: ومن سليم أيضا **مرداس** بن أبي عامر بن جارية. وابنه **عباس** بن مرداس سبب إسلامه أنه أخبره راكب أتاه على نعامة بالنبي ﷺ، فأتاه وآمن به. وهو - أي العباس - **قريع**: أي سيد، **حزبه**: أي قومه. وهو أيضا **بليغهم**، أي شاعرهم وخطيبهم.

قصة إسلام عباس بن مرداس

والقصة أنه كان في لقاح له وسط النهار، قال: بينما أنا في لقاح لي

---

(1) رواه أيضا النسائي وابن ماجه وأحمد.

(2) أي قبل البعثة.

وسط النهار إذ أبصرت نعامة بيضاء عليها راكب عليه ثياب بيض، فوقف عليَّ وقال: يا عباس ألم تر أن السماء قد كفَّت حراسها، وأن الحرب قد حرقت أنفاسها، وأن الخيل قد وضعت أحلاسها، وأن الذي نزل بالبر والتقوى، صاحب الناقة القَصْوَى؟!. قال: فرجعتُ مرعوبا وجئت ضمارِ (كحذام) ـ وهو صنم يعبدونه ـ فإذا صائح يصيح من جوفه:

قل للقبائل من سُليم كلها أودى ضمار وعاش أهلُ المسجدِ

أودى ضمارِ وكان يعبد مرَّة قبل الكتاب إلى النبي محمد

إن الذي ورث النُّبوءة والهدى بعد ابنِ مريم من قريش مهتد

قال: ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، فلمَّا رآني تبسم وقال: «يا عباس كيف كان إسلامك»؟ فقصصت عليه القِصَّةَ فقال: «صدقت». وأسلمتُ أنا وقومي[1]. والعباس هذا هو القائل:

وكانت نهابا تلافيتها بِكَرِّي على المُهْر في الأجرع[2]

وإيقاظيَ القوم أن يرقُدوا إذا هجع القوم لم أهجعِ

فأصبح نهبي ونهب العَبِيد[3] بين عيينةَ والأقرعِ

وقد كنت في الحرب ذا تدْرُإٍ فلم أعط شيئاً ولم أُمنعِ

إلا أباعير أعطِيتُها عديدَ قوائمها الأربعِ

وما كان حِصْنٌ ولا حابس يفوقان مرداسَ في مجمعِ

---

(1) أورده ابن عساكر في *مختصر تاريخ دمشق* ورواه الحافظ أبو نعيم في *الدلائل* ـ [البداية والنهاية].

(2) الأجرع: المكان السهل.

(3) العَبِيد: اسم فرس العباس بن مرداس.

وما كنـــت دون امـرئ منْهُمُ   ومن تضـــع اليوم لا يُرْفَـــعِ

وذلكَ أن النبي ﷺ أعطى يوم حنين الأكثر من المؤلفة قلوبهم من الإبـل مائة مائة، وأعطى الأقلَّ خمسين خمسين[1]؛ وزاد أبا سـفيان أربعـين أوقيـة، فقال: يا رسول الله وابني يزيد؟ فقال: «أعطوه مائة ناقة وأربعين أوقيــة»، فقال: وابني معاوية؟ فقال: «أعطوه مائة ناقة وأربعين أوقيــة»، وزنهـا لهـم بلال (وليس يزيد من المؤلفة قلوبهم وهو أفضل بني أبي سفيان). ثـم قـال أبو سفيان: والله يا رسول الله إنك لكريـم فـداك أبي وأمـي، والله لقـد حاربتك فلنعم المحارب أنت، ثم سالمتك فلنعم المسالم أنت، فجزاك الله خيرا.

ولما قال العباس بن مرداس هذا الشعر - وكـان أعطـي أقـل ممـا أُعطـيَ المؤلفة - قال رسول الله ﷺ: «اقطعوا عني لسانه»، فكملوا له مائة[2].

وكان العباس أشجع الناس في الشعر، وأشعاره يوم الفتـح وحنـين مـن أحسن الشعر[3]؛ وكان ممن حرم الخمر على نفسـه في الجاهليـة. روى عنـه

---

(1) وممن أعطى خمسين: مخرمة بن نوفل الزهري وعمير بن وهب الجمحـي وسـعيد بـن يربـوع المخزومي - [سيرة ابن هشام].

(2) فرضي بذلك، فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم - [سيرة ابن هشام: 117/4].

(3) من شعره يوم فتح مكة:

منا بمكة يـــوم فتـح محمـد   ألـــف تسيل به البطاح مسوَّم

نصروا الرســول وشاهدوا أيامه   وشعارهم يـــوم اللقاء مُقَـدَّم

في منزل ثبتـــت به أقدامهــم   ضنــكٍ كأن الهام فيـــه الحنتم

جَــرَّت سنابكها بنجـــد قبلها   حتى استقاد لها الحجاز الأدهــم

<<=

ابنه كنانةُ، وصحب ابنُه جلهمة بن العباس. ومن نسل العباس عبدُ الملك بن حبيب، الفقيه المشهور الأندلسي المالكي.

وكان مرداس أبوه صديقا لحرب بن أمية، فأتاه يوما وقال له: وجدت

--->>

ا لله مكنه له وأذله حكم السيوف لنا وجد مزْحمُ
عود الرياسة شامخ عرنينه متطلع ثغر المكارم خَضرَم

ومن شعره يوم حنين:

أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها مني رسالة نصح فيه تبيان
إني أظنُّ رسول ا لله صَابحَكم جيشا له في فضاء الأرض أركان
فيهم أخوكم سليم غير تارككم والمسلمون عباد ا لله غسان
وفي عضادته اليمنى بنو أسَدٍ والأجربان: بنو عبسٍ وذبيان
تكاد ترجف منه الأرض رهبته وفي مقدمه أوس وعثمان

(وأوس وعثمان: قبيلا مزينة). وله أيضا من قصيدة:

وغداة نحن مع النبي جناحه ببطاح مكة والقنا يتهزَّع
كانت إجابتنا لداعي ربنا بالحقِّ منا حاسر ومقنع
في كل سابغة تخير سردها داود إذ نسج الحديد وتبَّعُ
ولنا على بئري حنين موكب دمغ النفاق وهضبة ما تقلع
نصر النبي بنا وكنا معشرا في كل نائبة نضر وننفع
ذدنا غداتئذ هوازن بالقنا والخيل يغمرها عجاج يسطع
إذ خاف حدهم النبي وأسندوا جمعا تكاد الشمس منه تخشع
تدعى بنو جشم وتُدعَى وسْطَه أَفناءُ نصر والأسنة شرع
حتى إذا قال الرسول محمد: أبني سليم قد وفيتم فارفعوا
رحنا ولولا نحن أجحف بأسهم بالمؤمنين وأحرزوا ما جَمَّعوا

غيضة حريةً بالزرع إن زرعت فهلم فلنزرعهـا. فخرج معه حرب فلما رآها قال: نعم المزدرع هي، فأشعلا فيها نارا فسمعا فيها ضجيجا وأنينا وسمعا قائلا يقول:

ويل ام حـرب فارسا   مقاعسا مـداعسا
لنقتلـن بقتلـه   جحاجحا عنابـسا

فَفَزِعَا لِذَلِكَ، وقال مرداس:

إني انتخبـت لها حربا وإخوته   إني بحبـل وثيق العهد دساس
إني أقوّم قبل الأمـر حجتـه   كي لا يقال ولي الأمرَ مرداس

فماتَ حرب بن أمية بعد ذلك بقريب.

وابْنُ المُعَطَّـلِ بَرِيءُ الإِفْـكِ   مُدْرِكُ عُكْـلٍ فِي لِقَاحِ المَكِّي

البريء: المبرأ. **والإفك**: الكذب، وهو هنا الذي برئت منه أمنا عائشة وصفوان رضي الله عنهما. **ومدرك**: أي لاحـق؛ مِـن أدرك أي لحق. **وعكـل**: بنو عوف بن عبد مناة بن أد، سموا بعكل، أمَة حضنتهم. **والمكي**: النبي ﷺ.

صفوان بن المعطل

يقول: ومن سليم أيضا صفوان بن المعطل[1] المـبرأ مـن الإفـك بـالوحي

(1) المعطل (بفتح الطاء كما في *فتح الباري*) هو ابن رُبيعة (بالتصغير) - أو رفيضة - بن خزاعي (بلفظ النسب) ابن محارب بن مُرة بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهثة بن سليم السلمي الذكواني، أسلم قبل المريسع وشهده مع النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل شهد الخندق وما بعدها. وكان خيِّرا فاضلا شجاعا بطلا.

الكريم، ولاحِق عكل يوم انتهابهم للقاح النبي ﷺ[1]، وهم الذين اجتـووا[2] المدينة فخرجوا بأمر النبي صلى الله عليه وسـلم؛ قـال لهـم: «اخرجـوا إلى ذود لنا بالغابة وعليكـم بألبانهـا وأبوالهـا»[3]، ففعلـوا. فلمـا صحـوا وسمنـوا غدروا، فساقوا الإبل وقتلوا الراعي، أو الرعاة. فاستنفر لهم النبي ﷺ عشـرين فارسا أمَّر عليهم كرز بن جابر الفهري، وفيهم صفوان بن المعطل؛ وذلـك إدراكه لهم الذي ذكر الناظم. واستوفينا أخبارهم في شرح الغزوات.

واستشهد صفوان بن المعطل بن رفيضة سنة ثمان ـ أو تسع ـ وخمسـين؛ غزا الروم فاندقت قدمه، فلم يزل يطاعن بها حتى قتل، وقيل استشهد يوم اليمامة فوجد حصورا[4].

وَابْنُ عِلاَطٍ وَالِدُ الشَّهْمِ السَّرِي   نَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ طَرِيدِ عُمَرِ

ابن علاط: هو الحجاج بن علاط بن خالد بن نويرة[5] السـلمي، يكنـى أبا كلاب. سكن المدينة وبنى بها دارا ومسجدا يعرف به؛ وسببُ إسلامه

(1) لأنه كان ضمن السرية التي بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثرهم.

(2) أي كرهوا المقام بالمدينة و لم توافقهم.

(3) أخرجه البخاري ومسلم، ورواه ابن ماجه وأحمد.

(4) الحصور: المجبوب. قيل لم يتزوج قط؛ فعن عائشة أنه قال: "ما كشفت كنف أنثى قـط"، وقيل بل تزوج. وقيل إنه استشهد في خلافة عمر في غزوة أرمينية سـنة تسع عشـرة. والله أعلم.

(5) وقيل خالد بن ثويرة (بالثاء المثلثة وبصيغة التصغير) ابن هلال بن عبيد بن ظفر بن سعد بـن عمرو بن تيم بن بهز بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم.

أنه خرج في ركب يريد مكة فجنَّ عليهم الليل بواد مخوف، فقام يكلأ أصحابه وجعل يقول:

أعيـــذ نفسي وأعيذ صحـــبي مِن كل جِـــنِّيٍّ بهذا النقـــب

حـــتى أؤوب سالما وركـــبي

فسَمِعَ قائلا يقول: ﴿يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَـٰنٖ﴾[1]، فلما قدم مكة أخبر بذلك قريشا فقالوا: صبأت والله يا أبا كلاب، والله إن هذا مما كان يزعُم محمد أنه أنزل عليه، فقال: والله لقد سمعته وسمعه هذا النفر. ثم أسلم وحسن إسلامه.

نصر بن حجاج وسبب نفيه من المدينة

والشهم: الذكي المتوقد الفؤاد. **والسري**: الشريف ذو المروءة، يريد نصر بن حجاج بن علاط، الذي نفاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المدينة لما سمع المرأة تنشد:

هل من سبيـــل إلى خمر فأشربها أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

فانظر إلى السحر يجري في لواحظه وانظـــر إلى دعَج في طرفه الساجي

وانظر إلى شَعَراتٍ فوق عارضِهِ كأنهـــنَّ نمـــــال دبَّ في عاج

ويقال إن هذه المرأة أم الحجاج بن يوسف[2]، ولذلك كتب إليه عبـــد

(1) الرحمن: 33.

(2) اسمها الفريعة بنت همَّام.

الملك في كتاب يهدده فيه: يا ابن المتمنية ويا ابن المستفْرِمَة بعَجَم الزبيب[1].. وفيها يقول نصر بن حجاج:

ليتني في المؤذنين نهارا　　إنهم ينظرون مَن في السطوح
فيشيرون أو يُشار إليهم　　حبذا كل ذات دَلّ مليح

ولما سمع عمر قولها: *هل من سبيل* - البيت - حلق رأسه، ثم سمعها تنشد:

حلقوا رأسه ليكسب قبحا　　غَيْرَةً منهمُ عليه وشحًا
كان صبحا عليه ليل بهيم　　فمحوا ليله وأبقوه صبحا

فطرده عمرُ من المدينة، ولحق بالشام فآواه أبو الأعور السُّلمي. ثم رأى أبو الأعور امرأته تكتب في الأرض فكفَأَ جفنة على ما خطت ودعا من يقرأ فإذا المكتوب: "لا صبر عنك!"، فطرده أبو الأعور[2].

---

(1) المتمنية لقب هذه المرأة؛ لقبت بذلك لقول عمر فيها: - حين سمعها تنشد: **هل من سبيل إلى خمر فأشربها**..إلخ:- "من هذه المتمنية"؟. وقد أحبت نصر بن حجاج هذا حتى ضنيت من حبه ودنفت من الوجد به ولهجت بذكره حتى ضرب بها المثل فقيل: "أصبُّ من المُتمَنِّية" كما أن نصرا أحبَّها حبا شديدا حتى ضرب به المثل فقيل فيه: "أدنف من المتَمَنِّى".
والمستفرمة: التي تجعل الدواء في فرجها ليضيق. وعجم الزبيب: حَبُّه وهو مما يستفرم به؛ يريد أنها تعالج به فرجها ليضيق ويستحصف - [اللسان].

(2) وفي رواية أنه جاء إلى البصرة فآواه مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن وهب السلمي من أجل قرابته وجعله في منزله وأخدمه امرأته، وكانت أجمل امرأة بالبصرة؛ فعلقته وعلقها، وكان يتحدث مع مجاشع، وكان مجاشع أميا لا يقرأ، وكانت المرأة تقرأ. فلما عِيل صبر نصر بن حجاج كتب على الأرض بحضرة مجاشع: "إني قد أحببتُكِ حبًّا لو كان فوقكِ لأظلَّكِ ولو كان تحتكِ لأقلَّكِ"، فوقَّعت تحته غير محتشمة: "وأنا"، فسألها مجاشع عما كتبا فلم تَصْدُقْهُ فكفأ على الكتابة جفنة ودعا بغلام من الكُتّاب فقرأ عليه، فالتفت إلى نصر وقال له: يا ابن

<<=

وولد نصر أيام النبوءة وشهد خيبر مع أبيه.

يقول: ومن سُلَيْمٍ أيضا الحجاج بن علاط أبو الشريف الذكي الجميل **نصر**، الذي طرده **عمر**، أي نفاه من المدينة، لما سمع النساء يتشبَّبن به، خوف أن يفتن نساء حرم رسول الله ﷺ.

حَجَّاجُ ذَا اسْتَخْلَصَ بِاحْتِيَالِهِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ جَمِيعَ مَالِهِ

حجاج ذا: يعني ابن علاط. **واستخلص**: استنقذ. يشير إلى أن الحجاج لما أسلم شهد خيبر واستأذن النبي ﷺ في التقول على قريش ليستخلص منهم مالَهُ، فأذن له في كل ما يقول. فأتى أهل مكة كاتما إسلامه، وكان حديث عهد بهم على الكفر، فقالوا له: بلغنا أن القاطع سار إلى خيبر. قال: نعم ولكن هزم هزيمة لم يسمع بمثلها، وأسر محمد؛ وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلونه بمن كان قتل منهم، فاجمعوا لي مالي في تجار مكة لأُصيب من فل محمد وأصحابه في خيبر قبل أن يسْبِقني التجار إلى ما هنالك.

قال: فَقَامُوا وجمعوا لي مالي، وقلت مثل ذلك لصاحبتي أم شيبة بنت أبي طلحة، وقد كان لي عندها مال موضوع. فجاءني العباس، وقد سمع

<< - -

عم ما سيَّرك عمر من خير.. فقم فإن وراءكَ أوسع. فنهض مستحييا وعدل إلى منزل بعض السُّلميين، فضني من حب المرأة و لم يزل على ذلك حتى مات. فضربَ به أهلُ البصرة المثل "أدنف من المَتمنّى" - [مجمع الأمثال للميداني وغيره].

هذا، فقلت له: اكتم عني حديثي ثلاثا ثم قل ما شئت، فإني قد أسلمت وما جئت إلا لأخذ مالي فرقاً من أن أغلب عليه، فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروسا على بنت ملكهم صفية، ولقد افتتح خيبر وانتفل ما فيها وصارت له ولأصحابه. فلما كان اليوم الثالث أخبر العباس أهل مكة بحقيقة الخبر، فقالوا: انفلت منا عدو الله! أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن[1]، ولم يلبثوا أن جاءهم حقيقة الخبر.

وَصَاحِبُ الضَّبِّ عَلَى يَدَيْهِ   أَسْلَمَ أَلْفٌ مِن بَنِي أَبِيهِ

صاحب الضب: اشتهر في كتب الحديث والسير ذكره بهذا الوصف من غير تسمية، كأنه اغتني بهذا الوصف عن اسمه ونسبه[2]. وحديثه أنه اصطاد ضبًّا فجعله في طرف ثوبه، فأتى فوجد رسول الله ﷺ في ملأ يحدث الناس فقال: من هذا؟ قالوا: رسول الله ﷺ، قال: أهذا الذي يزعم أنه نبي؟ والله لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا الضب. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «يا ضب»، فطار الضب ومثل بين يديه صلى الله عليه وسلم وقال: لبيك يا رسول الله وسعديك والخير كله بيديك. قالَ: «من تعبد»؟ قال:

---

(1) ومات رضي الله عنه في أول خلافة عمر، كما في *الإصابة*، وله أخ اسمه صالح بن علاط مات في الجاهلية.

(2) وقد قيل إن اسمه قيس بن شعبة السلمي، ونظم ذلك ابن الناظم حبيب بن أحمد البدوي، معلقا به على نظم والده رحمهما الله فقال:

وصَاحِبُ الضَّبِّ الشهيرُ السُّلَمِي   قَيسٌ سَليلُ شُعْبَةٍ فَلْتعلَمِ

الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة ثوابه وفي النار عقابه. قال:«من أنا يا ضب»؟ قال: محمد بن عبد الله خاتمُ النبيين وإمامُ المرسلين والشَّفيعُ في المذنبين، السعيد من والاك والشقي من عاداك.

فآمن السلمي وأتى قومه بالحديث، فأسلمت منهم ألف على يديه. (اهـ من الشفاء للقاضي عياض)[1].

وَرَاشِدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الَّذِي ... بَالَ عَلَى صَنَمِهِ الْمُنْتَبَذِ

لِذَاكَ بَعْدُ الثُّعْلُبَانُ فَكَسَرْ ... صَنَمَهُ وَجَاءَ سَيِّدَ الْبَشَرْ

المنتبذ: المنبوذ، أي المطروح الملقى. **والثعلبان:** يروى بضم الثاء واللام وبالضمة على النون ـ علامة للرفع ـ وهو ذكر الثعالب؛ ويروى بصيغة تثنية ثعلب.

يقول: ومن سليم أيضا **راشدُ بن عبد ربه** الذي كان سادنا للصنم[2]، فأتاه يوما فوجد أثر ثعلبين أقبلا يشتدَّان حتى تسنماه فبالا عليه؛ فكسره وأنشد[3]:

أَربٌّ يبول الثعلبان برأسه؟ ... لقد ذلَّ من بالت عليه الثعالبُ!

---

(1) وذكره أبو نُعيم في *دلائل النبوة*.

(2) أي خادما له، يعني صنم سليم.

(3) **لقد خاب قوم أمَّلوك لشدةٍ ... أرادوا نزالا أن تكون تحاربُ**

فلا أنت تغني عن أمور تواترتْ ... ولا أنتَ دفّاع إذا حل نائبُ

أربٌّ يبول...

ثم قال: يا معشر سليم لا وا لله، لا يضر هذا ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع، فكسره ولحق بالنبي ﷺ فأسلم، وقال له: «ما اسمك»؟ فقال: غاوي بن عبد العزى، فقال صلى ا لله عليه وسلم: «بل أنت راشد بن عبد ربه»[1]، فكان ذلك اسمًا له.

أَلْفُ مَّعَ النَّبِيِّ يَوْمَ الْفَتْحِ أَمَامَهُ لِوَاؤُهُمْ كَالصُّبْحِ

يعني أن سليما غزت منهم **ألف مع النبي** ﷺ غزوة **الفتح**، وفي ذلك يقول العباس بن مرداس[2]:

... وفينا ـ ولم يستوفها معشر ـ ألفا

---

(1) رواه ابن منده كما في *الإصابة*.

(2) من قصيدة له:

فإن تتبع الكفار أم مؤمل ... فقد زوَّدت قلبي على نأيها شغفا
وسوف ينبيها الخبير بأننا ... أبينا ولم نطلب سوى ربنا حلفا
وإنا مع الهادي النبي محمدٍ ... وفَيْنا ـ ولم يستوفها معشر ـ ألفا
بفتيان صدق من سليم أعزة ... أطاعوا فما يعصون من أمره حرفا
خفاف وذكوان وعوف تخالهم ... مصاعب زافت في طروقتها كلفا
كأن النسيج الشهب والبيض ملبس ... أسودا تلاقت في مراصدها غضفا
بنا عز دين ا لله غير تَنَحُّل ... وزدنا على الحي الذي معه ضعفا
بمكة إذ جئنا كأن لواءنا ... عقاب أرادت بعد تحليقها خطفا

إلى أن يقول:

فكائن تركنا من قتيل ملحب ... وأرملة تدعو على بعلها لهفا
رضى ا لله ننوي لا رضى الناس نبتغي ... و لله ما يبدو جميعا وما يخفى ..إلخ.

ومكملهم الألف: الضحاك بن سفيان الكلابي، وزنه النبي ﷺ بمائة وأمره على جيش سليم وهو تسعمائة، فكان به ألفا؛ وفي ذلكَ يقول العباس بن مرداس[1]:

تحت اللــــواء مع الضحاك يقدمنا ... كما مشـــى الليث في غاباته الْخَدِرُ

من قصيدته الرائية التي أولها:

ما بال عينــــك فيها عائر سهـــرُ ... مثل الحماطة أغضى فوقها الشفر[2]

وَكُلُّهُــــم مِّن بُهْثَــــةٍ وَمِنْهُــمُ ... رِعْـــلُ وَذَكْــوانُ عُصَيَّتُــــهُمُ

---

(1) دع ما تقدم مــن عهد الشباب فقد ... ولّى الشباب وزار الشيب والزعر
واذكر بــلاء سليم في مواطنــها ... وفي سليم لأهــــل الفخر مفتخر
قوم هم نصــروا الرحمــن واتبعوا ... دين الرَّسول وأمر الناس مُشتجِرُ

إلى أن يقول:

الضاربـــون جنود الشرك ضاحية ... ببطن مكـــة والأرواح تبــــتدر
حتى دفعنا وقتــلاهُـــمْ كأنهمُ ... نخل بظاهــــرة البطحاء منقعــر
ونحــــن يوم حنــين كان مشهدنا ... للدين عزا وعند الله مُدَّخــــر
إذ نركـــب الموت مخضرا بطائنه ... والخيل ينجاب عنها سَاطِعٌ كَدِرُ
تحت اللواء مع الضحاك..إلخ.

(2) عـــين تأوبها من شجـــوها أرق ... فالماء يغمرها طـــورا وينحــدر
كأنه نظــــم دُرٍّ عــــند ناظمـــه ... تقطــع السلك منه فهـــو منتثر
يا بعـــد منـــزل من ترجو مودتــه ... ومن أتى دونه الصـــوان فالحفر
دع ما تقدم من عهد الشباب ..إلخ.

يعني أن سليما **كلهم من بهثة** (بضم الباء وبالثاء المثلثة بعدها هاء التأنيث)، إذ لم يعقب من أولاد سُلَيْمٍ إلا بُهْثَةُ؛ وأولاده خمسة كلهم أبو قبيلة أو قبائل؛ وهم: ثعلبة بن بهثة، وامرؤ القيس، والحارث، ومالك وعوف[1]. **ومنهم**: أي ومن بهثة؛ وجعْلُه الضميرَ رويا سائغ في أشعار العرب، قال أبو محجن الثقفي الصحابي:

كفى حَزَنا أن تردي الخيل بالقنا ... وأترك مشدودا علي وثاقيا
إذا قمتُ عَنّاني الحديدُ وأغلقت ... مصارع من دوني تصم المناديا

وقال أبو جهل:

ما تنقم الحرب العوان مني ... بازل عامين حديث السن
لمثل هذا ولدتني أمي

أما **ذكوان** فمنهم صفوان بن المعطل، المتقدم ذكره، ومنهم أخوال النبي ﷺ[2] أهل العواتك: الأوقص بن مرة بن هلال بن ذكوان، وتقدمت أُبُوتُهم للعواتك.

وأما **رعل** فهم الذين كان النبي ﷺ يُقنِّت بالدعاء عليهم مع عصية، لأنهم أنجدوا عامرَ بن الطفيل على قتل أهل بئر معونة.

---

(1) أما ثعلبة بن بهثة فمنهم بنو ذكوان، الذين منهم بريء الإفك صفوان بن المعطل، وأما امرؤ القيس فمنهم بنو رعل وعُصية، وأما الحارث فمنهم العباس بن مرداس.

(2) أي أجداده.

وَمِنْ عُصَيَّــــةَ بَنُو الشَّـــرِيدِ   فَازُوا بِكُــلِّ شَاعِــرٍ مُّجِيدِ

يقول ومن **عصية بنو** عمرو بن **الشريد** ـ أوْ عَمْـرٌو اسـم الشـريد ـ بـن بغيضة بن عصية.

ذكر الخنساء وأخويها: صخر ومعاوية

ولما كان بنو الشريد من عصية **فازوا** ـ أي عصيــة ـ بالشـعراء المجيديـن للشعر؛ وهم الخنساء وأخَوَاهَا صخر ومعاوية، لأنهـم كلهـم شـعراء، وإن اشتهرت به الخنساء[1]؛ ومن شعرها:

هريقي من دموعـك واستفيقي   وصبرا إن أطـقت ولن تطيقي[2]

إلى أن قالت:

---

(1) قال ابن عبد البر: قدمـت الخنسـاء على النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد بني سليم فأسلمت معهم، فذكروا أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم كـان يستنشـدها ويعجبه شعرها، فكانت تنشده ويقول: «هيه يا خنـاسُ»، ويومـئ بيـده. قـال: وأجمع أهـل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قط قبلها ولا بعدها أشعر منها.

(2)
وقُــولي إن خــير بني سليــم   وفارسهـــم بصحراء العقيـــق

ألا هــــل ترجعــــنَّ لنا ليال   وأيام لنا بلِـــوَى الشقيـــق

وإذ نحن الفـــوارس كل يــوم   إذا حضروا وفتيان الحقـــوق

وإذ فينا معاوية ..إلخ..

فَبَكِّيهِ فقـــد أودى حميدا   أمــين الرأي محمــود الصديق

فــلا والله لا تنساك نفســـي   لفاحشــــة أتيت ولا عقوق

ولكــني رأيــت الصبر خيرا   من النعلين والرأس الحليـــق

وكانت المرأة في الجاهلية إذا أصيبت بحميم حلقت رأسها وأخذت بيديها نعلين تصفع بهما وجهها وصدرها.

وإذ فينا معاويـــــة بن عمرو على أدماء كالجمـــل الفنيـق

(والفنيق: الفحل المكرم الذي لا يؤذى لكرامته على أهله).

ولها أيضا:

قذى بعينيــك أم بالعـــين عوار أم ذرَّفَتْ إذ خلت من أهلها الدار

وهو مطلع قصيدتها الرائية في صخر ومنها:

وإن صخـــرا لتأتمُّ الهـــداة بـــه كأنـــــه عَلَـم في رأســـه نارُ

وإن صخـــرا لوالينا وسيـــدنا وإن صخـــراً إذا نَشْتُوا لِمنْحَـــارُ

يا صخـــــر ورَّاد ماء قـد تناذره أهـــل الميَاه وما في ورده عـــارُ

وذكر الولي اليدالي في «الحلة السيرا» أن عمر استنشدها فأنشدته:

ترى الأمـــور سواء وهي مقبلة وفي عواقبـــها تبـــيان ما التبـسا

تـرى الجليس يقول القـول تحسبه نصحا وهيهات ما نصحا به التمسا

فاسمـــع مقالته واحـــذر عداوته والبـس له ثـوب شك مثل ما لبسا

فقال لها: أنت أشعر كل ذات ثديين، فقالت: وكل ذي خصيين.

وكان بشار بن برد يقول: ما قالت امرأة شعرا إلا وظهر عليه الضعف؛ فقيل له: حتى الخنساء؟ قال: لا، تلك لها أربع خصًى!.

وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم سمع عائشة تذكر اليرنا ـ وهي الحُنَّاءُ ـ فقال لها: «ممن سمعت هذه اللفظة»؟ قالت: من الخنساء.

ومر بها دريدُ بن الصِّمة وهي تهنأ بعيرا لها[1] فقال فيها:

---

(1) أي تطليه بالهناء؛ وهو القطران، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «لأن أزاحم جملا قد هنئ بقطرانٍ أحب إلي من أن أزاحم امرأة عطِرةً» ـ [لسان العرب].

حيوا تماضر[1] واربعوا صحبي وقِفُوا فإنَّ وُقوفَكمْ حَسْبي
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله كاليوم طاليَ أينق جُربِ
متبذلا تبدو محاسنه يضَع الْهِناءَ مواضع النُّقْبِ[2]
أخُنَاسُ قد هام الفؤاد بكم وأصابه تَبْلٌ مِّن الحبِّ

ثم خطبها، فبعثت جاريتها تنظر في بوله هل يثير أو يقعر؟ فأتتها فقالت: بل يثير، فردته[3] فهجاها. فقيل لها: هلا هجوته؟ فقالت: ما كنت لأجمع عليه الرد والهجو. ثم هجته بعد ذلك فقالت:

معاذ الله ينكحني حَبَرْكَى قصير الشبر من جشم بن بكر[4]

---

(1) تماضر: اسم الخنساء بنت عمرو السلمية.

(2) الهناء (بالكسر): الطلاء، والنقب: الجرب.

(3) وفي رواية أنها قالت لها: انظري إليه إذا بال فإن كان بوله يخرق الأرض ويخد فيها ففيه بقية، وإن كان يسيح على وجه الأرض فلا بقية فيه، فرجعت إليها وأخبرتها أن بوله ساح على وجه الأرض؛ فقالت: لا بقية في هذا، وأرسلت إليه: ما كنت لأدع بني عمِّي وهم مثل عوالي الرماح وأتزوج شيخا من بني جشم. فقال دريد:

وقاك الله يا ابنة آل عمرو من الفتيان أمثالي ونفسي
فلا تلدي ولا ينكحْك مثلي إذا ما ليلة طرقت بنحس
تريد شرنبث الكفين شثنا يقلب بالحديدة كل كرس
وقالت: إنه شيخ كبير وهل خَبَّرتُها أني ابن أمس؟!

(والشرنْبث: الغليظ الكفين والرِّجلين. وشثِنت الكف: خشنت وغلظت).

(4) يرى مجدا ومكرمة أتاها إذا عَشَّى الصَّديقَ جريمَ تمر
ولو أصبحت في جشم هديا إذن أصبحت في دنسٍ وفقر

والحبركى: الضعيف الرجلين كأنه مقعد لضعفهما والطويل الظهر القصيرهما ـ [القاموس]، (وجريم التمر: يابسه).

وأسلمت الخنساء وصحبت، وكان لها ثلاثة من الولد فتيان نجباء. فلما كان قتال الفرس بالقادسية، في ليلة يريد فيها المسلمون الغدو على القتال، دعتهم ثلاثتَهم وذكرت لهم تربيتها لهم وتأديبها لهم، ثم قالت لهم: يا بني لا أريدكم لأعظم من أن أقدمكم شهداء ولا تريدون لأنفسكم أكرم من الشهادة، فإذا زحفتمْ غَدًا للمشركين فإياكم أن ترجعوا إلي إلا بأحسن البلاء أو يرزقكم الله الحسنى وهي الشهادة العظمى، وأوصيكم بتقوى الله العظيم وأوصوني به وموعدكم الجنة إن شاء الله، أو كما قالت.

فلما لاقوا العدو غداً جعلوا يرتجزون بقولها ووصيتها، حتى استشهدوا عن آخرهم، جازاهم الله خيرا وجازاها عنا وعنهم خيرا - [ا هـ من **الكلاعي**].

وأخوها صخر بن عمرو، كان فارسا جوادا مغوارا شجاعا؛ أغار على هذيل مرارا وقتل منهم قتلى، فلما كان ذات يوم أغار عليهم آخر النهار فكمَنوا له حيث لا يظنهم، فمر بالكمين فطعنه رجل في صدره فجرح؛ فلم يزل الجرح يعالج إلى أن نبت فيه مثلُ اليد فأعيا الأطباء. فلما أُيِس منه وقَفَ رجل على زوجته وقال: كيف صخر؟ قالت: لا حي فيرجى ولا ميت فيريح، وهو يسمع[1]، فأنشأ يقول:

---

(1) وفي رواية أنه كانت له امرأة حسناء مفخمة الخلق ذات ردف ثقيل، فمر بها رجل من قومه فقال لها: أيباع الكفل؟ فقالت: نعم، عما قريب. فسمعها صخر فقال: لئن استطعت لأقدمنك قبلي، وسمع امرأة تسأل أمه تقول: كيف صخر؟ فقالت أمه: نحن بخير ما رأينا سواده (تعني شخصه)، ثم سمع امرأة أخرى تسأل امرأته عنه فقالت: لا حي فيرجى ولا ميت فيُسلَى فلقد لقينا منه الأمرين. فعزم على قتلها فقال لها: يا سليمى ناوليني السيف أنظر هل تقله يدي، فناولته إياه، فإذا هو لا يقدر على أن يقله فرده إليها وقال:

<<=

أرى أم صخـــر لا تملُّ عيادتي   وملت سليمَى مضجعي ومكان

وأي امـــرئ ساوى بأم حليلـةً   فلا عاش إلا في شقيً وهـــوان

ومات منه قبل الإسلام. وهو أخو الخنساء لأبيها[1]، وأمـا معاويـة فأخوهـا لـلأب والأم[2]، وكـان مـن فتيـان سـليم وفرسـانهم. وكـان يواصـل بَغِيًّـا

-- >>

أرى أم صخر لا تمـل عيادتـي   ..إلخ.

وبعده:

وما كنت أخشى أن أكون جنازة   عليك ومن يغـــتر بالحـــدثان

لعمري لقد نبهت مـن كان نائما   وأسمعـــت من كانت له أذنانِ

وأي امـرئ سـاوى بأم حليلة   ..إلخ.

أهم بأمـر الحـرب لو أستطيعه   وقد حيـل بين العـير والنزوان

فَلَلْمـوتُ خـير من حياة كأنها   مَعَـرَّسُ يعســوب بحدِّ سنانِ

(1) ومما قالت الخنساء في رثاء أخيها صخر:

أعيـــنيَّ جــودا ولا تجمــدا   ألا تبكيان لصخـــر النـدَى

ألا تبكيان الجـريء الجمـــيل   الا تبكيان الفـتى السيـــدا

طـويل النجاد رفيـــع العما   د ســاد عشيرتـــه أمـــردا

إذا القـــوم مـــدوا بأيديهـمُ   إلى المجد مـــدَّ إليه يـــدا

فنال الــذي فـــوق أيدِيـهمُ   من المجـد ثم مضى مُصْعِـــدا

يكلفـــه القـــوم ما عالهـــم   وإن كان أصغرهـــم مـولـدا

تــرى الحمد يهـــوي إلى بيته   يرى أفضل الكســب أن يحمدا

(2) وكان صخر أحب إليها من معاوية لأنه كان حليما جوادا محببـا في العشـيرة، وكـان مقتـل معاوية قبل مقتل صخر فكانت الخنساء تندبه فلما أصيب صخر نسيت به ما كان قبله مـن مصاب معاوية. وكان معاوية فارسا شجاعا.

وينازعه فيها هشام بن حرملة الفزاري، أوْ هي زوجتُهُ؛ وكانت فرس معاوية أدماء - كما قالت الخنساء - شديدة الحمرة، وكانت لها غرة، فحَنَّى غرتها وركب في فرسان من قومه يريدون المرأة، فاستقسم بالأزلام فخرج الذي يكره فعصاها، فلما أتى المرأة عرف هشام بن حرملة الفرس، فدعا خيله فركبوا ولحقوا بهم، فرماه هشام فقتله[1]. وكان في خيل معاوية خُفَافُ بن نُدبة، فثنى عنانَ فرسه وطعن مالك بن حرملة - أخا هشام - بالرمح فقتله؛ وفي ذلك يقول:

فإن تك خيلي قد أُصيبَ صَمِيمُهَا   فعمدًا على عيني تَيَممت مالكا
تيممت كبش القوم حتى عرفته   وجانبت شبَّان الرجال الصعالكا
وقفت له عَلْوَى وقد خام صحبتي   لأَبْنِيَ مجدا أو لأثأر هالِكَا
فجادت له يمنَى يَدَيَّ بطعنة   كست متنه من أسود اللون حالكا
أقول له والرمحُ يأطِر مَتْنَه: تأمَّل خفافا إنني أنا ذلكا!

وكان أبُوهُمَا عمرو بن الشريد يمسك بيدي ابنيه صخر ومعاوية في الموسم ويقُولُ: أنا أبو خَيريْ مضر[2] ومَن أبَى ذلك فَلْيُنَافِرْنِي، ولم ينكر أحد عليه.

---

(1) ورَثَتْه أختُه الخنساء بقولها:

ألا لا أرى في الناس مثل معاويهْ   إذا طرقت إحدى الليالي بداهيهْ
بداهية يصغي الكلابَ حسيسها   وتخرج من سر النجي علانيهْ
وكان لزاز الحرب عند شبوبها   إذا شمرت عن ساقها وهي ذاكيهْ
وقَوَّادَ خيل نحو أخرى كأنها   سَعَالٍ وعقبان عليها زبانيهْ
فأقسمت لا ينفك دمعي وعولتي   عليك بحزن ما دعا الله داعيهْ

(2) *الشعر والشعراء* لابن قتيبة الدينوري، وغيره.

وَلَهُـــمُ ابْنُ نُدْبَـــةٍ خُفَــافُ فَارِسُ قَيْسٍ كُلِّــهَا يُضَــافُ

قوله: **ولهم**: أي لعصية. و**ندبة** (بالضم ويفتح): أمه، وهـي أمَة، وأبـوه عمير. و**خفاف** من أغربة العرب[1]، وكان أسودَ.

يقول ولِعصية **يضاف خفاف** ابن ندبة، **فارس قيس** عيلان كلهـم؛ شـهد الفَتْحَ وحنينا والطائف، حَدِيثُهُ: أتيت النبي ﷺ فَقُلْتُ: على من تـأمرني أنزل، أعلى قريش أم على الأنصار أم أسلُم أم غفار؟ فقـال: «يـا خفـاف ابتـغ الرفيق قبل الطريق فإن عرض لك شيء نصرك وإن احتجت إليه رفدك»[2].

وَهْوَ أَبُـــو خُرَاشَـــةٍ، بِيَدِهِ لِوَاؤُهُـمْ فِي الْفَتْحِ دُونَ جُنْدِهِ

وهو: أي خفاف، ويكنى **أبا خُراشة**. وهو حـامل لـواء مسلمي سـليم يوم **الفتح دون** سائر سليم، لأنه فارسهم، وهو قاتل مالك بن حرملة ــ أو حمار ـ كما قدمنا قريبا. ولـه يقـول العبـاس بـن مـرداس، وكـانت بينهمـا مهاجاة في الجاهلية:

أبا خراشـــة إما أنت ذا نفـــر فإن قومي لم تأكلهم الضبــــعُ

والضبع: السنة، يعني أنهم ذوو عدد ومنعة.

ومن مفاخر سليم، وهي أعظمها، أنهم يوم الفتح ألـف مـع النبي ﷺ.

---

(1) خفاف (بوزن غراب). وأغربة العرب ثلاثة: خفاف هذا والثاني عنـترة بـن شـداد العبسـي والثالث السُّليك (بصيغة التصغير) واسم أمه السلكة (بضم ففتح)، وأمهات الثلاثة سود.

(2) رواه الخطيب في جامعه عن خفاف بن ندبة وله طرق، قال العجلوني: وكلها ضعيفة.

ومِنْهَا أن عمر بعث إلى أهل الآفاق أن ابعثوا إليَّ من كل بلد أفضله رجلا؛ فبعث إليه أهلُ الكوفة عتبةَ بن فرقد السُّلمي وأهل البصرة مجاشعَ بن مسعود السلمي وأهل الشام أبا الأعور السلمي وأهلُ مصر معن بن يزيد بن الأخنس السلمي. ومنها أيضا أن معنًا هذا شهد هو وأبُوهُ يزيدُ وجَدُّهُ أبو يزيد بن الأخنس بن حبيب بدرا وليست لسواهم. قال ناظم أهل بدر:

يا رب بالأخنس والنجل يزيد السلمــيين ومعــنٍ الحَفِيــد

وقال في الإصابة: ولا يصح شهوده بدرا وإنما قال: بايعت أنا وأبي وجدي رسول الله ﷺ.

ومن سُليم أيضا أنس بن العباس بن عامر، ابن خال طعيمة بن عدي؛ ولذلك كان فيمن قتلوا أهلَ بئر معونة، ثم أسلم وحسن إسلامه. وله أشعار في مدح النبي ﷺ.

ومِنْهُم أيضا ذو اليدين واسمه الخرباق (بخاء معجمة كقنطار) بن عمرو السلمي صاحب حديث السهو[1]، وليس هو بذي الشمالين عمير بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي، وغلط من جعلهما واحدا؛ لأن ذا الشمالين خزاعي واستشهد ببدر؛ وذو اليدين حديثه رواه أبو هريرة، وإنما أسلم أبو هريرة بخيبر في العام السَّابع.

---

(1) الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: صَلَّى بنا النبي صلى الله عليه وسلم الظهر أو العصر فسلم فقال له ذو اليدين: الصلاة يا رسول الله أنقصت؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «أحق ما يقول»؟ قالوا: نعم، فصلى ركعتين أخريين ثم سجد سجدتين. [رواه البخاري في صحيحه، وأبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد].

ومنهم أيضا سفيان بن عبد شمس، كان عليه مدار حرب معاوية بصفين؛ شهد حنينا كافرا ثم أسلم.

هنا انتهى الكلام على سليم، ثم شرع يتكلم على أخيه هوازن فقال:

الكلام على نسب هوازن

أَمَّا هَوَازِنُ فَبَكْرُ ابْنُهُ   مِنْهُ مُنَبِّهُ الْحَصِينُ حِصْنُهُ

وَسَعْدُ اللَّذْ أَرْضَعُوا خَيْرَ الْبَشَرْ   وَمِن مُعَاوِيَةَ ثَالِثِ النَّفَرْ

صَعْصَعَةُ وَجُشَمُ وَنَصْرُهُ   فَجُشَمُ مِنْهُ دُرَيْدُ بَدْرُهُ

منبه: هو ثقيف. وقوله: **الحصين حِصنه**: يحتمل المعنى: أي لعزتهم ومنعتهم، ويحتمل الحصن: أي حصن الطائف الذي تحصنوا به من النبي ﷺ فحاصرهم فيه سبعة عشر - أو عشرين - يوما ولم يؤذن له في الفتح؛ وكان يوم الشدخة في هذا الحصار، ماتَ فيه عدة من أكابر قريش شهداء؛ ضربوا لهم مِنجنيقا وأخذوا دبابة فمشوا تحتها يريدون قلع الحِصن، فرمتهم ثقيف بالحجارة المحماة حتى ألقوا الدبابة، فَرشقوهم بالنبل فأصابوا منهم قتلى كثيرة.

يقول **أما هوازن** بن منصور فولد **بكرا**، وولد بكر ثلاثة أولاد: **منبه**؛ وهو ثقيف، **وسعد**، **ومعاوية**؛ ولم يذكره في نسق أولاد بكر اتكالا على ذكره في الكلام عليه بقوله: **ومن معاوية**..إلخ. **والنفر**: ما دون العشرة من الرجال وبيَّنَهُ بـ**ثالث**.

أما منبه فيأتي الكلام عليه، وأما سعد فهم أظآر النبي ﷺ، منهُم الحارث بن عبد العزى وزوجه حَلِيمَةُ بنت أبي ذؤيب[1]، أبواه صلى الله عليه وسلم. أما الحارث فأسلم باتفاق وكذلك حليمة على الصَّحيح[2]. وفي الشفاء للقاضي عياض أنها كانت تأتي أبا بكر وعمر بعد النبي ﷺ فَيُبَالغان في إكرامها. وبنتها الشيماء[3] سُبيت يوم حنين، فَقَالَتْ للذين سبوها: أنا أخت صاحبكم. فأتوا بها النبي ﷺ فَذَكَرَت له ذلك فقال: «وما علامة ذلك[4]»؟ قالت: عضة بين كتفي عضضتنيها وأنا متوركتك. فعرف العلامة، فخيرها بين أن تقيم معه مكرمة وبين أن يصلها ويوصلها أهلها، فاختارت قومها فأعطاها جارية وغلاما اسمه مكحول؛ فزوجت أحدهما من الآخر، ولم يزل فيهم من نسلِهَما بقية[5]، وأعْطاها أيضا قطيع

---

(1) أما الحارث فهو ابن عبد العزى بن رفاعة بن ملأى بن ناضرة بن قصْبة بن نصر بن سعد بن بكر بن معاوية بن هوازن السعدي، قدم مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه. وأما حليمة فهي بنت أبي ذؤيب ــ واسمه الحارث ــ بن عبد الله بن شجْنة بن جابر بن ناضرة بن فُضية بن نصر بن سعد بن بكر بن معاوية بن هوازن السعدية.

(2) في شرح جسوس *لشمائل* الترمذي قال: ألف مغلطاي مؤلفا في إسلام حليمة وصحح ابن حبان وغيره إسلامها، وذكرها في **الإصابة *والاستيعاب***.

(3) بالشين المعجمة بعدها ياء ساكنة، أو الشمَّاء، واسمها خدامة (بخاء معجمة مكسورة وتضم ثم ذال معجمة وتهمل) أسلمت يوم حنين حين سبيت.

(4) *زاد المعاد*، وذكره ابن هشام.

(5) قاله ابن كثير في *البداية والنهاية*: (3/576-577). وفيه رواية أخرى أنه صلى الله عليه وسلم قال لها: «إن تكوني صادقة فإن بك مني أثر لا يبلى» فكشفت عن عضدها فقالت: نعم يا رسول الله حملتك وأنت صغير فعضضتني هذه العضة، فبسط لها رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه ثم قال: «سلي تُعطيْ واشفعي تشفعي».

إبل وغنم، قال البوصيري رحمه الله:

وأتى السبي فيه أخت رضاع	وضع الكفر قدرها والسباءُ
فحباها برا توهمت النـ	ـاس به أنما السباء هِداء
بسط المصطفى لها من رداء	أي فضل حواه ذاك الرداء
فغدت فيه وهي سيدة النسـ	ـوة والسيدات فيه إماء

وتفرقوا في الإسلام حتى لم يبق منهم حي يعرف.

وأما معاوية فأولاده أيضا ثلاثة: جشم ونصر وصعصعة. أما جشم فمنهم دريد بن الصمة، وهو بدره: أي سيده وزينه. وأفرد ضمير جشم وذكّره باعتبار الحي، ولو أراد القبيلة لأنث الضمير أو أراد أفرادها لجمعه. وقبائلُ جشم: عدي وعصمة وغزية.

فمن عدي زهيرُ بن معاوية الجشمي، قاتل سعد بن معاذ يوم الخندق على قول (والمشهور أن قاتل سعد حِبانُ بن العرِقَة، من بني عامر بن لؤي). وذُكر زهير في الصحابة.

ومن عصمة الفقيهُ أبو الأحوص، واسمه عوف بن مالك. ومنهم جعدة بن خالد بن الصمة الصحابي، حَدِيثُهُ: سمعت النبي ﷺ يقول لرجل سمين يومئ إلى بطنه: «لو كان هذا في غير هذا كان خيرا لك».

وأما دُريد فعشيرته من جشم غزية (كغنية وسُمية)، وذلك قوله[1]:

---

(1)

أمَرتُهمُ أمري بمنعرج اللوى	فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد
وقلت لهم إن الأحاليف كلها	قعود على ماء التليل فثهمد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى	غوايتهم وأنني غير مهتد

وهل أنا إلا من غزية ـ إلبيت.

وما أنا إلا من غزية إن غـوت   غـويت وإن ترشد غزية أرشد

من قصيدة يرثي بها أخاه عبد الله لما قتلته عبس وأثبتت الجراحات دريدا.

ومنها:

دعاني أخـــي والخيـــل بيني وبينه   فلما دعانـي لم يجـــدني بقُعْـــدد

تنادوا وقالوا أردَت الخيـــل فارسا   فقلــــت أعبـــد الله ذلكم الردي؟

فإن كان عبدُ الله خلى مكانـــــه   فما كان وقافا ولا طائـش اليـــد

ولا بـــرما إذا الرياح تناوحـــت   برطـب العضاه والضريع[1] المعضد

كميش الإزار[2] خارجٌ نصفُ ساقه   صبـــــور على اللأواء طلاع أنجد

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه   فلما عـــــلاه قال للباطـــل: ابعدِ

ومن جشم أيضا أبو وهب الجشمي، حديثه: «اربطوا الخيل وامســحوا بنواصيها وأكفالها وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار وعليكم بكل كميت أغـرَّ محجَّل أو أشقر أغَرَّ محجل أو أدهم أغـرَّ محجَّـل». ومنهـم أيضـا زهـيرُ بـن صرد الجشمي، الذي قدم في وفد هـوازن علـى رسـول الله ﷺ، فوجـدوه بالجعرانة، وعنده سباياهم و لم يقسمها بعد؛ فأسلم وأنشده قصيدته التي أولها:

امنُـن علينا رســولَ الله في كرم   فإنك المرءَ نرجُـــوه وننتظر[3]

---

(1) الضريع: نبت له شوكٌ كبار.

(2) كميش الإزار: مشمره.

(3) يا خير طفل ومـــولـود ومنتخب   في العالمين إذا ما حصـــل البشر

امنن على بيضــة قد عاقها قــدر   مشتت شملها في دهــرها غِـــيَرُ

إلى أن يقول:

امنن على نسوة قد كنت تَرْضَعُها   إذ فـــوك تملؤه من محضها الدرر

<<=

فاعـفُ عفا الله عما أنت راهبه يوم القيامة إذ يُهْدَى لك الظفر

وهذا البيت هو آخرها، وكان زهير رئيسَ قومه. وسائرُ القصيدة والأخبار المتصلة بها ذكرتُه في شرح الغزوات وكذلك خبر مالك بن عوف.

وَمَالِكُ بْنُ عَوْفٍ الْمُحَزِّبُ هَوَازِنًا لِنَصْرِهِمْ يَنتَسِبُ

المَحزب: من حَزَّب القوم أي جمعهم للحرب وألَّبَهُم. يعني أن مالك بن عوف الذي جمع هوازن لحرب النبي ﷺ من بني نصر بن معاوية[1]، لما هزمت هوازن وقف على ثنية في طريق الفَلِّ حتى أجاز قومه بني نصر بعد ما استحرَّ فيهم القتلُ ثم تحصن مع ثقيف في حصنهم. وقال النبي ﷺ: «لو أتاني لرددت عليه ماله وأهله»[2]، فسمعها مالك فأتاه[3]، فرد عليه ماله وأهله وأعطاه مائة ناقة واستعمله على من أسلم من قومه. فقال يمدح النبي ﷺ:

إذ كنت طفلا صغيرا كنتَ تَرضَعُها وإذ يزينك ما تأتي وما تذر

لا تجعلَنَّا كمن شالت نعامته واستبق منا فإنا معشر زهر

إلى أن يقول:

يا خَير من مرحت كُمْتُ الجياد به عند الهياج إذا ما استوقد الشرر

إنا نؤمل عفوا منك تلبسه هذي البرية إذا تعفو وتنتصر

فاعفُ عفا الله ..إلخ.

(1) وهو مالك بن عوف بن سعد بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، النصري، كان رئيس المشركين يوم حنين.

(2) ذكره ابن إسحاق.

(3) أي وأسلم.

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله | في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجْتُدِي | ومتى تشأ يخبرك عما في غد
وإذا الكتيبة عودت أنيابها[1] | بالسمهري وضرب كل مهند
فكأنه ليث على أشباله | وسط الهباءة خادر في مرصد

الكلام على بني عامر بن صعصعة

صَعْصَعَةٌ مِنْهُ الْعَزِيزُ عامِرُ وَعَامِرٌ مِن صُلْبِهِ أَكَابِرُ
مِنْهَا رَبِيعَةُ أَبُو كِلَابِ وَكَعْبٍ الأَمَاجِدِ الصِّلَابِ

يعني أن من ولد **صعصعة** بن معاوية **عامرا** الذي منه بنو عامر بن صعصعة، القبيلة المشهورة. ومن بنيه أيضا مرة بن صعصعة[2]، أمُّ بنيه سلُولُ بنتُ ذُهل بن شيبان ـ وسموا بها[3]، [وسياتي الكلام عليهم].

وأما **عامر** فمن بنيه **لصلبه**: أي لظهره أصالة ليس بيْنه وبينه أب **أكابر**. وأكابر: جمع كابر للعظيم. قوله **منها**، أي من أكابر ربيعة: أبو كلاب

---

(1) في نسخة: عردت أبناؤها بالسمهري..

(2) وأخو عامر ومرة هذين وائل، أمهم عمرة بنت عامر بن الظرب. ومن بني صعصعة أيضا غالب وأُمُّه غاضرة وبها يعرفون؛ وقيس وعوف ومساور وسيار، أمهم عدية وبها يعرفون؛ وكثير وعمرو وزبيبة وأمهم وائلة وبها يعرفون؛ وعبد الله والحارث وأمهما عادية وبها يعرفون؛ وربيعة وأمه عويصرة وبها يعرفون. واقتصر الناظم من هذه البطون على بني عامر لكثرتهم وشهرتهم ومجدهم في العرب.

(3) وهم نهار وعمرو وضبيعة وجندل وغاضرة وجبَّار، وعرفوا ببني سلول وهي أمهم. وكان حبشي بن جنادة من ذرية جندل بن مرة وقردة بن نفاثة من ذرية عمرو بن مرة.

وكعب **الأماجد**: جمع ماجد أي فاعل المجد. **الصِّلاب**: أي الأقوياء[1].

ومن بني عامر أيضا بنو هلال وبنو نمير، ويأتي الكلام عليهما إن شاء الله.

ثم قال رحمه الله:

وَمِن كِـلاَبٍ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرِ   مُرْدِي زُهَيْرٍ ذِي الإِتَاوَةِ السَّرِي

يقول **ومن كلاب خالد بن جعفر** بن كلاب، **مردي**: أي قاتل **زهير** بن جذيمة العبسي. **ذي الإتاوة** (بالكسر): الخراج. **والسري**: الشريف.

وابتداء الخبر أن زهيرا كانت قيس تؤدي إليه الإتاوة كل عام، فجاءته يوما عجوز من بني عامر بعكة[2] غير ملئى ووجدته في موسم من المواسم[3]، فدفع في صدرها فوقعت على قفاها منكشفةً، فضحك منها أهلُ الموسم؛ فسمع بها خالد وحلف ليقتلن زهيرا، ثم التقيا عند قريش فحجزت بينهما، فقال خالد: اللهم اجعل يدي هذه القصيرة الشعراء من وراء عنق زهير ثم أعني عليه. فقال زهير: اللهم اجعل يدي هذه الطويلة البيضاء من وراء عنق خالد ثم خل بيننا؛ فقالت له قريش: هلكت والله يا زهير. فقال: إنكم لا تعلمون شيئا أيقتلني هذا!.

---

(1) وصفهم بذلك لأن العرب لا تبالي بغيرهما من بني عامر، ولذا قال دريد يوم حنين: "لو كان يوم عِزٍّ وعلاء لما غابت عنه كعب وكلاب"، وأولاد كلاب بن ربيعة: عامر وربيعة وكعب وجعفر وأبو بكر وعمرو والحارث وعبد الله والضباب. وأولاد كعب بن ربيعة: عبد الله وجعدة وقشير وعقيل.

(2) العُكة: آنية السَّمْن، أصغر من القربة.

(3) واعتذرت إليه وشكت السنين التي تتابعت على الناس.

ثم سمع خالد أن زهيرا انعزل في جيرة قليلة منها أخوه أسيد بن جذيمة، فندب بني عامر؛ فركب في خيل منهم. فلما كانوا يرون سرح الجيرة نزلوا عن خَيْلِهم وجعلوها في مكان وربطوا أذنابها لِئلا تذبذب بها فيُرى تحركها، حتى روحت رعاة بني جَذيمة فقالوا: رأينا اليوم أكمة ما كنا نعهدها في ذلك المكان الذي هي به، فقال أسيد: تلك والله خيل بني عامر[1]، فشرع في التقويض والهرب، فقال زهير: كل أزب نفور! وكان أسيد كثير الشعر. فحلف زهير لا يبرح حتى يصبح في ذلك المكان؛ فتحملوا فبقي هو وبنوه ممسكي رؤوس خيلهم حتى دهمتهم الخيل، فركبوا هاربين فشرع زهير يضرب فرسه إذ أحس بالقوم، فقال أحد بنيه: شيء عظيم يحمل الشقراء على الضرب. فلحقه غلام من القوم على مهرة فطعن فرسه في الفخذ، فجعل زهير يدني منه شقها الثاني ليطعنها فيه فتستوي في الظلع ولا ينقص ذلك من جريها، ففطن له خالد فزجر الغلام، ثم لحق به وجعل يده من وراء عنقه ـ كما سأل قبل ـ فنزل به إلى الأرض. وكرَّ على زهير بنوه وضربوا خالدا من فوق زهير فلم يغنوا شيئا؛ وفي ذلك يقول ورقاء بن زهير[2]:

(1) فقال له زهير: أين بنو عامر؟ أما بنو كلاب فكالحية إن تركتها تركتك وإن وطئتها عضتك، وأما بنو كعب فإنهم يصيدون اللآى، يعني الثور الوحشي، وأما بنو نمير فإنهم يرعون إبلهم في رؤوس الجبال، وأما بنو هلال فيبيعون العطر، فشرع أسيد في التقويض..

(2) **رأيت زهيرا تحت كلكل خالد فأقبلت أسعى كالعجول أبادر**

<<=

ألا ليت أني يـوم أضرب خالدا ويمنعـه مني الحديد المظاهـــر
ويا ليت أني قبـــل أيام خالــد ويـــوم زهير لم تلدني تماضر[1]
وشلـت يميني يوم أضرب خالدا وشل بنَانَاها وشــــل الخناصر

فلما لحق أصحاب خالد لم يجدوا حيث يضربون زهيرا من تحت خالد، قال لهم خالد: اقتلونا معا[2]، فقتلوا زهيرا ورجعوا. ثم قال خالد ما فعلتم شيئا.. لعل الرجل لم يمت وعجلنـا عنـه، فقـال لـه أحدهـم: لا والله لقـد مات، ضربته والسيف حديد والساعد شديد، فوجدت شـيئا علـى غـرب السيف فذقته فإذا هو حلو فعلمت أنه الدماغ[3]. والغلام الذي لحق زهـيرا وطعن فرسه هو أخيلُ، جد ليلى الأخيلية، واسمه معاوية بن عبادة بن عُقيل بن كعب.

وكان قيس بن زهير ليلة قتل أبيه غلاما له ذؤابة، فلما شـب شـرع في طلب ثأر أبيه باشتراء الخيل والسـلاح واستنجاد العشـائر، إلى أن وقـع في

--- >>

إلى بطلـــين ينهضـان كلاهما يريغان نصـل السيف والسيف نادر
ألا ليت أني يوم أضرب ..إلخ.
العجول من النساء والإبل: الواله التي فقدت ولدها، لعجلتها في ذهابها ومجيئها جزعا.

(1) تماضر: هي بنت عمرو بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفـاف السـلمية، امـرأة زهير بن جذيمة.

(2) وكان في أصحاب خالد رجل اسمـه حنـدج فقـال لخـالد: نـحِّ رأسـك فنحى خـالد رأسـه فضرب حندج زهيرا ضربة على دهش، ثم ركبوا وتركوه.

(3) واستسقى زهير بنيه فمنعوه حتى نهك عطشا، وذلك لأن المصاب في الدمـاغ يخـاف عليـه الماء، فلما بلغ منه العطش جعل يهتف: أميِّت أنا عطشا؟ وينادي: يا ورقاء يا شـأس، فلمـا رأوا ذلك سقوه فمات لثالثة.

حرب الرِّهَان[1].

وَغَالَـهُ ابْـنُ ظَالِمٍ فَهَرَبَا إِلَى تَمِيمٍ وَالحُـرُوبَ أَلْهَبَا

غاله واغتاله: أهلكه. و**ابن ظالم**: هو الحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذُبْيَان. يعني أنه لما قتل خالدَ بن جعفر هرب إلى تميم[2] فاستجار بزُرارة بن عدس، لأن قومه تشاءموا به وكره أن تكون لهم عليهِ منةٌ. **فألهب**، أي أوقد، الحروب بين تميم وبني عامر بن صعصعة ومن معهم من قيس عيلان؛ فكان بينهم يوم جبلة[3]. (وولد عامرُ بن الطفيل ليلة جبلة، فقال فيه متفرس: سيسود هذا الغلامُ؛

---

(1) حرب مشهورة جرت بين عبس وذبيان، وتعرف أيضا بحرب داحس والغبراء: فرسي قيس بن زهير، والحنفاء والخطار: فرسي حذيفة بن بدر. ذكره الشارح عند قول الناظم:

ومن فـزارة بن ذبيان بنـو بـدر وفي حـرب الرهان وهنوا

(2) وكان خالد بن جعفر قد أغار على رهط الحارث بن ظالم من بني يربوع بن غيظ فقتل الرجال وبقيت النساء، والحارث يومئذ غلام. وزعموا أن أباه ظالما هلك في تلك الوقعة من جراحة أصابته يومئذ، فنشأ الحارث على بغض خالد وأردف ذلك قتله زهير بن جذيمة فاستحق خالد العداوة في غطفان، إلى أن التقى الحارث وخالد عند النعمان بن المنذر وجرت بينهما المحاورة المذكورة، التي جرَّت إلى قتل الحارث لخالد في جوار الملك؛ فخرج الحارث هاربا يطوف في البلاد يلتمس من يجيره.

(3) يوم جبلة (بالجيم والباء الموحدة محركة): كان بين بني عبس وذبيان ابني بغيض، وفيه يقول بعض رجَّازهم:

لم أر يوما مثل يوم جَبَلَه يوم أتتنا أسدٌ وحنظلهْ

وغطفانُ والملوكُ أزْفِلَه نضربهم بقُضُبٍ منتحلهْ

وجبلة: هضبة حمراء بين الشُّرَيْف والشَّرَف؛ وهما ماءان؛ الشُّرَيف لبني نُمير والشَّرف لبني كلاب، ويقال لهذا الموضع أيضا شِعبُ *جَبَلة*.

ويقال إنه ما ولد غلام في ضيق إلا وساد. وعام جبلة هو عام مولد النبي ﷺ).

الحارث بن ظالم وقصة قتله لخالد

ثم لحق الحارث بقريش بعد أن استجار بهم وانتسب إليهم، لِما يقال إن عوفا - أبا مرة - ابنُ عوف بن لُؤَي، وسيأتي ذلك إن شاء الله. وذلك قول الحارث:

رفعت السيف إذ قالوا قريشا ... وبينت الشمائل والعتابا
فما قومي بثعلبة بن سعد ... ولا بفَزارة الشعرِ الرقابا
وقومي إن جهلت بنو لؤي ... بمكة عَلّموا مضر الضرابا
سَفِهْنا باتباع بني بَغيضٍ ... وتركِ الأقربين لنا انتسابا
سفاهة مخرق لمّا تروّى ... هراق الماء واتّبعَ السرابا

وحديث قتله لخالد أنه وفد في أول فتوته على النعمان بن المنذر، فوجد عنده خالدَ بن جعفر، وكان ذا مكانة عنده - ولم تزل بين بني عامر وغطفان الضغائن منذ قتل خالد زهيرا - وكان الحارث لا يعْبَأُ بخالد في كلامه ودخوله وخروجه، وخالد يُضمر له ذلك. ثم غدّاهما النعمان وأشركهما في تمر، فجعل خالد يلقي النوى بين يدي الحارث، ففطِن له الحارث ولكن لم يكترث به. ثم قال خالد للنعمان: انظر - أبيت اللّعن - ما أكل هذا الغلامُ من التمر، قال الحارث: نعم ولكن أكلت أنت أكثر مما أكلت، قال: وأين نواه؟ قال: ابتلعته! فضحك النعمان وغضب خالد وقال له: والله لألحقنّك بابن عمك زهيرٍ الذي قتلتُ ولم أنبّه فيه من نومي، فقال: والله ما نسيت زهيرا ولا نسيه أحد من غطفان. وكان بينهما كلام في بقية ذلك اليوم يغلظ عليه فيه خالد ويبدؤه بالسوء، فلما

كان الليل تعرف الحارث البيت الذي نام فيه خالد، فأمهله حتى نام الناس فدلف إليه ودعاه باسمه حتى عرف مكانه فعلاه بالسيف فقتله وقتل شخصين معه، فهرب من الليل.

فبلغ عمرو بن الاطنابة ـ من بني الحارث بن الخزرج ـ قتلُ الحارث لخَالدٍ، وكان صديقا له؛ وكانت لخالد بن جعفر صداقة في الأوس والخزرج، كعمرو بن الاطنابة وحضير بن سِماك بن عتيك الأشهلي؛ ولما سمع خالد بقتل حضير قال يرثيه:

أتاني حـــديث فكذّبتــه ... وقالــوا خليلُك بالارمـــس

فيا عين بَكّي حُضَــير النـدى ... حضـــير الكتائـــب والمجلس

ولما بلغ عمرو بن الاطنابة قتل خالدٍ[1] دعا بشَرابه، ووضع تاجه على رأسه ودعا بالقيان يغنينه:

علـلاني وعلـــلا صاحِبَيا ... واسقياني من المـــروَّق ريا[2]

---

(1) قال: وا لله لو لقي الحارث خالدا وهو يقظان لما نظر إليه، ولكنه قتله نائما؛ ولو أتاني لعرف قدره. ثم دعا.. الخ

(2) المروَّق: المصفى من الشراب، وبعد البيت:

إن فيـنا القيان يعزفــن بالدفْـ ... ـفِ لفتيانـــنا وعيشاً رخـيا

يتباريـن في النعيــــم ويصبحن ... خـــلال القرون مسكا ذكيا

إلى أن يقول:

إننا لا نُســرُّ في غير نجـــدٍ ... إن فينا بها فتى خـــزرجيا

يدفـــع الضيم والظــلامة عنها ... فتجافيْ عنـــه لنا يا مـــنيًّا

=>>

إلى أن قال يعني الحارث بن ظالم:

إنـما يقتـل النيـــام ولا يقـ ـتـل يقظان ذا ســـلاح كميا

(وهي طويلة).

ولما سمع الحارث القصيدة، سار حتى انتهى إلى المدينة فكمَن إلى الليل، فأتى إلى دار عمرو بن الاطنابة فاستغاث وهتف به: أغثني أيها الملك فـإني مستجير بك. فخرج إليه عمرو مصلتا سـيفه يقـول: جـاءك الغـوث فمـن أنت؟ قال: أنا الحـارث بـن ظـالم، بلغـني قولـك: **إنما يقتـل النيـام**.. وجئـت لأقتلك يقظان متسلحا، فخذ حذرك فـإني قـاتلك ومـا جئـت إلا لذلـك. فقال عمرو: أمهلني إلى الصباح، قال: لا، قال: أنا شيخ ولا أبصر بـالليل فأمهلني إلى الصباح أبارزك، ثـم وضـع عمـرو سـيفه مـن يـده فقـال: أمـا أعلمتك أني شيخ والشيخ لا يجدي بالليل.. هذا السيف سـقط مـن يـدي وبقيت لك أعزل تفعل بي ما شئت، قال: خُـذْ سـيفك، قـال: أخـاف أن تغـدرني إن هويت لأخذه، قال: وذِمَّةِ ظالم لا أمَسُّك حتى تـأخذه، قـال: وذمة الاطنابة لا آخذه أبدا! فانصرف عنه الحارث وتركه، وقـال في ذلـك قصيدته الطويلة التي أولها:

اِعْـــزِفَا لي بلـــــذة قَيْـنَـتَيا قبل أن يبكـــر المنـــــون عليا

-- >>

أبلـــــغ الحارث بن ظالمٍ الرِّعـ ديد والناذر النـــــذور عليا

إنما يقتل النيام...

قبل أن يُنْكِر العـــواذل إنـــي　　كنت قدما لأمـــرهنَّ عَصِيَا[1]

إلى أن قال:

بلغتنا مقالـــــة الملْـــك عمرو　　...

ثم بعد هذه الحروب قدم على كسرى فأقام عنـده، وكـانت لِكِسْرَى ناقة داجنٌ رباها لتعبث بالناس، ترعـى في واد ثـم تجـيء ويدفـع لهـا التمـر والزَّرع، فبلغت مبلغ السمن؛ فعرف الحارث الوادي الذي ترعى به الناقـة فتبعها فنحرها.

ثم فقدت ناقة كسرى وفقد الحارث، فبعث كسرى من يطلـب الناقـة في واديها فوجدوا الحارث كامنا في لحمها، فأتوا به كسرى وقال لـه: تبًّا لك يا أعرابي متى جَوَّعْناك حتى تفعل هذا بِنَاقَتِنَا؟ فقـال: أيُّهَـا الملـك إنـا معاشر العرب زمن الشتاء إذا لم نأكل لحم الإبل نفسد، والملك أيسر شيء عنده ناقة وأعز شيء عنده حفظ جاره، فأكلت ناقة الملـك حفظـا لجـاره،

---

(1)
ما أبـالي أراشِـــــدًا فاصبحاني　　حَسِبتْـنِي عـــواذلي أم غـويا
من ســـلاف كأنــها دم ظـبي　　في زجـــاج تخالـــه رازقــــيا
بلغتنا مقالـــــة الـــمرء عمرو　　فأنفــــــنا وكان ذاك بَــــدِيا
قـــد هممنا بقتلـــه إذ بــرزنا　　ولقيناه ذا ســـــــلاح كميا
غـــير ما نائـــم تعلَّـــل بالحلـــ　　ـــم مُعِدًّا بكفــــه مـــشرفيا
فمننّا عليـــــــه بعـــد عُلُـــوٍّ　　بوفـــاء وكنت قِـــدمًا وفيا
ورجعنا بالصفـــح عنه وكان الـــ　　ـــمَنُّ منا عليـــــه بَعْـــدُ تَلِيَّا

فتركه كسرى وعفا عنه. ولا أدري ما فعل الله به بعد هذا[1].

مِن جعفرٍ أَرْبَدُ قِتْلُ الصَّاعِقَهْ   وَعَامِـــرُ أَرْدَتْــهُ أَدْهَى بَائِقَهْ

أربد: هو ابن قيس بن جَزْءٍ بن خالد بن جعفر، أخو لبيد لأمه. **وقِتْل** (بكسر القاف): أي قَتِيلُ. **وعامر:** هو ابن الطفيل بن مالك بن جعفر. **وأردته:** أهلكته. **والبائقة:** الداهية، أي أهلكته أعظم داهية.

قصة أربد وعامر مع النبي ﷺ

يشير إلى قصتهما وهي أنهما تواطئا على اغتيال النبي ﷺ، فلما كانا

---

(1) وقد اختلف في مصيره، فقيل قتله كسرى وقيل قتله النعمان. وقد روي في سبب نحره لهذه الناقة أنه كانت معه امرأتان فوحمت إحداهما فطلبت إليه شحما ـ وكانت الناس قد أصابتها سنة شديدة ـ فقال: ويحك وأنى لي بالشحم؟ فألحت عليه، فعمد إلى الناقة فأدخلها بطن واد ونحرها وأطعم امرأته ورفعت ما بقي من الشحم في عكتها. وفقدت الناقة فوجدت نحيرا، فأعلموا الملك بذلك فأمر بقتله، فقال: إنك قد أجرتني فلا تغدرني، فقال: لا ضير إن غدرتُ بك مرة فقد غدرتَ بي مرارا.. فقتل الحارث. وقيل إن النعمان بن المنذر بعث إلى جارات للحارث بن ظالم فسباهنَّ، فخرج الحارث إلى ابن للنعمان كان في حجر سلمى بنت ظالم فاحتال عليه حتى أخذه فقتله وقال في ذلك:

فإن تــك أذوادًا أصــبت ونسوةً   فهـذا ابن سلمى أمــره متفاقم

علـوتُ بذي الحيات مفرقَ رأسه   وكان ســلاحي تجتويه الجماجم

فتكــت به فتكا كفتكي بخالــد   وهل يركـب المكروه إلا الأكارم

بدأت بهــذي ثــم أُثْني بمثلها   وثالثــــة تبيَضُّ منها المقادم

شفيت غليل الصــدر منه بضربة   كـذلك يأبى المغضبــون القماقم

فقال النعمان: ما يعني بالثالثة غيري، فاحتال له وراسله وأعطاه الأمان حتى ظفر به فقتله. [من كتاب **الأغاني** لأبي الفرج الأصبهاني وغيره].

قرب المدينة قال لهُ عامر: إني شاغل عنك الرجلَ فاعْلُه أنت بالسيف فاقتله. فأتياه فجعل عامر يكلمه ويقول له: ما تجعل لي إن اتبعتك على أمرك هذا؟ قال: «أجعل لك أعنةَ الخيل»، قال: أوَ ليست لي؟ قال: «ليست لك ولا لآبائك»[1]، فقال: وا لله لأملأنّها[2] عليك خيلا جردا ورجالاً مردا حتّى لأربطن بكل نخلة فرسًا. فقال صلى ا لله عليه وسلم: «يأبى ا لله ذلك وأبناء قيلة»[3]. فسمع أسيد بن حضير هذا فأتاهم فجعل يدفع في صدورهما ويقول: اخرجا أيها الهِجرسان، فقال عامر: من أنت؟ قال: أنا أسيد بن حضير، قال: أبوك خير منك، قال: كذبت أنا خير منه، أنا مؤمن وهو كافر، فخرجا؛ فقال النبي ﷺ: «اللهم اكفنا شر عامر وأربد بما شئت»[4].

وقال عامر لأربد: ما لك لا تقتل الرجل وقد شغلته عنك؟ وا لله لا أرهبك بعدها وقد كنت أعدك من الرجال! فقال: لا تعجل علي.. وا لله ما علوته بالسيف إلا رأيتك دونه وما أريد أن أقتلك[5].

فخرجا، فلما دخلا على حي من سلول ـ وهم الأدنون من أحياء بني

---

(1) وفي رواية: «ليس ذلك لك ولا لقومك»، أخرجه الطبراني في *الكبير*، وفي سنده عبد العزيز بن عمران ضعفّه الهيثمي.

(2) أملأنها: يعني المدينة.

(3) أخرجه الطبراني، وذكره الواحدي في *أسباب النزول*.

(4) وفي رواية: «شر عامر بن الطفيل» ـ [ابن إسحاق].

(5) وقيل إنه لما أراد سلَّ سيفه من غمده سلَّ بعضه وغلبه الباقي منه.

عامر ـ أخذت عامرًا غدة، فجعل يتأسف ويوبخ نفسه على ذلك؛ لأن سلولا معروفون عند بني عامر باللؤم، فقال: إيتُونِي بفرس، فركبها وجَعَل يقول: أغدة كغدة البعير وموتا في بيت امرأة من سلول؟! حتى مات.

وسار أربد إلى أهله فقص عليهم الخبر، فأخذ جملا له وركبه ليبيعه في بعض أحياء العرب، فاعترَضَتْهُ سحابة في غير زمن المطر؛ فلما علته نزلت عليه منها صاعقة فقتلته والجملَ. فقال لبيد يرثيه:

بَلينا وما تبلى النجوم الطوالع ... وتبقى الجبال بعدنا والمصانع[1]

وقد كنت في أكناف دار مَضِنَّةٍ ... ففارقني جار بأربد نافع

فلا عجب ان فرق الدهر بيننا ... فكل امرئ يوما له الدهر فاجع

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

فلا تَبْعَدن إن المنية موعدٌ ... علينا فدانٍ للطلوع وطالع

أتجزع مما أحدث الدهرُ يا فتى ... وأيُّ كريم لم تصبه القوارع

لعمرك ما تدري الضواربُ بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما ا لله صانع

وكان عامر بن الطفيل فارسا جوادا سيدا شاعرا، وقيل إنه من مُقَبلي الظعن. وكان مناديه ينادي بسوق عُكاظ: هل من رَاجلٍ فأحمله؟ هل من جائع فأطعمه؟ هل من خائف فأمنعه؟ وهو القائل:

وإني وإن كنت ابنَ سيد عامر ... وفارسها المشهور في كل موكب

فما سودتني عامر عن وراثة ... أبى ا لله أن أسمو بأم ولا أب

ولكنني أحمي حماها وأتقي ... أذاها وأرمي مَن رماها بمنكبي

---

(1) المصانع: القصور جمع مصنع.

ولكنَّهُ ـ والعياذ با لله تعالى ـ شقي في بطن أمه، خزي في سعيه وهمه، إذ همه مُعَادَاة النبي ﷺ وإذايته؛ وهو قاتل أهل بئر معونة (حسبنا ا لله ونعم الوكيل).

كَذَاكَ جَبَّارُ بْنُ سَلْمَى المُسْلِمُ وَمَالِكُ بْنُ جَعْفَرٍ قَرْمُهُمُ
أَبُو بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ الأَرْبَعَهْ «الضَّارِبِينَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَعَهْ»
أَبُو بَرَاءٍ الطُّفَيْلُ سَلْمَى رَابِعُهُمْ رَبِيعَةُ إِذْ يُنْمَى

قوله: **كذاك**: أي كأربد وعامر، في كونهما من بني **جعفر**، **جبار بن سلمى المسلم** الصحابي، قاتل عامر بن فهيرة يوم بئر معونة؛ ثم أسلم وكان يقول: مما دعاني إلى الإسلام أني طعنت رجلا فقال: فزتُ ورب الكعبة. فقلت: ما فاز أليْسَ قد قتلته؟ فقيل لي: يعني الشهادة.

رُوِيَ أنَّه كان يقول: مَن رجل لما طعنته طار منه نور صعد في الهواء إلى أن دخل في السماء وكان ذلك سبب إسلامي؟. **والْقَرْمُ**: السيد.

يعني أن مالكا بن جعفر سيد بني كلاب، وهو **أبو بني أم البنين**[1] **الأربعة** الذين افتخر بهم لبيد في قوله:

نحن بنو أم البنين [الأربعه الضاربين] .. الخ.

والخيضعة: الغبار واختلاط الأصوات في الحرب. وهم:

(1) اسم أم البنين: ليلى بنت عمرو بن عامر فارس الضحياء ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة، زوج مالك بن جعفر؛ ويقال إنها أنجب امرأة في العرب وذلك أنها ولدت من مالك بن جعفر خمسة أبناء.

عامر أبو براء، ويقال له ملاعب الأسنة؛ سمي به لأنه كان يوما مع أخيه الطفيل فدهمتهما خيل من العدو ففر الطفيل وترك عامرا في أيدي العدو، فلم يزل يقاتلهم حتى نجا منهم فقالَ : ما هذا إلا تلاعب الأسنة، فسمي *ملاعب الأسنة* و*ملاعب الرماح*، فقال الشاعر في الطفيل:

فررت وأسلمت ابن أمك عامرا   يلاعب أطراف الوشيج المزعزعِ[1]

وفد أبو براء على النبي ﷺ و لم يُسلم وأهدى إليه هدية، فقال صلى الله عليه وسلم: «لو كنت أقبل هدية من مشرك لقبلتها من هذا»[2]. وهو الذي حمل النبي ﷺ على بعث أهل بئر معونة؛ قال له: لو بعثت إلى أهل نجد من يدعوهم ويرشدهم إلى الدين فإن فيهم إسلاما، فقال صلى الله عليه وسلم: «أخاف عليهم من أهل نجد»[3]، قال: لا تخف إني جار لهم. فخفره[4] فيهم ابن أخيه عامر بن الطفيل؛ وكان قد استنجد قبيلته بني عامر

(1) الوشيج: شجر الرماح. وفي *خزانة الأدب*: سمي ملاعب الأسنة بقول أوس بن حجر:

ولاعَبَ أطرافَ الأسنة عامر   فراح له حظ الكتيبة أجمع

وكان ملاعب الأسنة أخذ أربعين مرباعا في الجاهلية. والمرباع: ما يأخذه الرئيس وهو رُبُع الغنيمة، وكانوا في الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضا وغنموا أخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصا دون أصحابه، قال ابن عَنَمة:

لكَ المِرباعُ منها والصفايا   وحكمك والنشيطة والفضول

(والصفايا: ما يصطفيه الرئيس. والنشيطة: ما أصاب من الغنيمة قبل أن يصير إلى مجتمع الحي. والفضول: ما عُجز عن قسمه لقلته فيخص به).

(2) وفي رواية: «إني لا أقبل هدية من مشرك» ـ رواه الطبراني.

(3) ذكره ابن إسحاق.

(4) أي انتهك ذمته.

فأبت أن تعينه عليهم خوفا من أبي براء، فاستنجد لهم قبائل من سليم، لأنهم أخوال طعيمة بن عدي الذي قتله حمزة بن عبد المطلب يوم بدر كافرا، فأنجدوه لذلك.

والثاني من بني أم البنين **الطفيل**، ويقال له طفيل قُرزُل، وقرزل فرس له؛ ومعناه القيد، كأنه قيد المسابقين أو قيد الوحش، كما يقال *قيد الأوابد*.

والثالث سلمى أبو جبار المسلمِ الصحابي.

ورابعهم ربيعة[1] أبو لبيد.

مِنْهُ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ الأَبِي فَازَ بِصُحْبَةٍ وفَضْلٍ أَدَبِ

رَوَتْ لَهُ مِنَ الأُلُوفِ اثْنَى عَشَرْ عَائِشَةُ وَكُلُّ شِعْرِهِ دُرَرْ

قوله: **منه**، أي من ربيعة بن مالك بن جعفر: **لبيد**: الصحابي رضي الله عنه **الأبي** عن الضيم والذل والمكروه؛ يقال رجل أبي (من أبيين)، وآب (من أباة وأبين)، قال:

رئمت لسلمى بَوَّ ضيم وإنني قديماً لآبي الضيم وابن أباة

---

(1) ويلقب سلمى بنزَّال المضيف، وربيعة بربيع المقترين، والخامس معاوية ويسمى مُعوِّد الحكماء قيل لقب بذلك لقوله من قصيدة:

أُعَوِّد مثلها الحكماء بعدي إذا ما الحق في الأشياع نابا

وإنما اقتصر لبيد على أربعة منهم لأن أباه إذ ذاك كان قد مات أو لضرورة الشعر، وقيل إن ثالث هؤلاء الخمسة اسمه عبيدة الوضاح ـ بدل سلمى ـ وهم خمسةُ أُمِّ البنين، أما سلمى فأمه خالدة بنت سنان بن حارثة بن عبد بن سليم، فهو أخوهم لأب وشقيقه أبو شريك عتبة؛ فهؤلاء السبعة أبناء مالك بن جعفر بن كلاب.

لبيد بن ربيعة

وفاز لبيد[1] بصحبة النبي ﷺ، وبالأدب الفاضل، كالإسلام والكرم

---

(1) هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الكلابي الجعفَري الصحابي، يكنى أبا عقيل. قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد قومه - بني جعفر - فأسلم وحسن إسلامه. وكان من فحول الشعراء، قال له النابغة الذبياني بعد أن استنشده وهو شاب: اذهب فأنت أشعر العرب. وسئل لبيد نفسه: من أشعر العرب؟ فقال: الملك الضليل، يعني امرأ القيس الكِنْدي؛ فقيل له: ثم من؟ قال: الغلام القتيل، يعني طرفة البكري؛ فقيل له: ثم من؟ قال: الشيخ أبو عقيل، يعني نفسه. ومن شعره معلقته المشهورة:

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأبد غولها فرجامها

فمدافع الريان عُرِّيَ رسْمُها ... خلقا كما ضَمِنَ الوَحِيَّ سِلامها

وفيها يقول:

وجزور أيسار دعوت لحتفها ... بمغالق متشابه أجسامها

أدعو بهن لعاقر أو مطفل ... بذلت لجيران الجميع لحامها

فالضيف والجار الجنيب كأنما ... هبطا تبالة مخصبا اهضامها

إلى أن يقول:

إنا إذا التقت المجامع لم يزل ... منا لزاز عظيمة جشامها

ومُقَسِّمٌ يُعطي العشيرة حقها ... ومُغَذْمِرٌ لحقوقها هضامها

فضلا وذو كرم يعين على الندى ... سمح كسوب رغائب غنامها

من معشر سنت لهم آباؤهم ... ولكل قوم سنة وإمامها

إن يفزعوا تلق المغافر عندهم ... والسن يلمع كالكواكب لامها

وإذا الأمانة قسمت في معشر ... أوفى بأوفر حظنا قسامها

فبنى لنا بيتا رفيعاً سمكه ... فسمَا إليه كهلها وغلامها ..إلخ.

(المغذمر: من يأخذ من هذا فيعطي هذا ضاربا بعض حقوق الناس في بعض).

والشجاعة والشعر الجيد والظرافة ومكارم الأخلاق. منها ما روي أن عمر قال له: أنشدني من شعرك، فقال له: ما كنت لأقول الشعر بعد أن علمني الله البقرة وآل عمران؛ فأعجب ذلك عمر وزاده في عطائه خمس مائة، وكان ألفين.

وقال له معاوية: هذانِ الفودان فما بال العلاوة؟ (يعني بالفودين الألفين وبالعلاوة الخمسمائة)، فقال له: أموت الآن ويبقى لك الفودان والعلاوةُ. فمات بعد ذلك بيسير وعمره مائة ونحو العشرين؛ وعاش منها ستين في الجاهلية وستين ـ أوْ قَريبًا منها ـ في الإسلام، وقيل عاش مائة وخمسا وأربعين. ورُويَ أنه لم يقل من الشعر في الإسلام إلا بيتا واحدا وهو:

الحمدُ لله إذ لم يأتـني أجَـلي ... حتى اكتسيت من الإسلام سربالا[1]

وقال النبي ﷺ: «أصدق كلمةٍ قالها شاعر كلمةُ لبيدٍ:

---

(1) وقد قيل إن هذا البيت لقردة بن نفاثة السلولي، وإن البيت الذي قال [لبيد] في الإسلام هو قوله:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه ... والمرء يصلحه القرين الصالح

وأخرج ابن مندهٍ وسعدان بن نصر من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: رحم الله لبيدا حيث يقول:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خَلْفٍ كجلد الأجرب

لا ينفعون ولا يُرجَّى خَيْرُهُمْ ... ويُعَابُ قائلهم وإن لم يطرب

ثم قالت عائشة: فكيف لو أدرك زماننا هذا؟. قال عروة: رحم الله عائشة كيف لو أدركت زماننا هذا؟! قال هشام: رحم الله عروة كيف لو أدرك زماننا هذا؟!. واتصلت السلسلة هكذا إلى سعدان وإلى ابن منده..

ألا كـل شيء ما خلا الله باطـــل   وكل نعيم لا محالـــة زائــــلُ»[1]

وكان شريفا في الجاهلية والإسلام. ومـن جـوده انـه نـذر أن لا تهـب الصبا إلاّ نَحر وأطعم؛ فهبت الصبا يوما على جماعة فيها الوليد بن عقبـة[2] فقيل هبت ريح أبي عُقَيل فأيكم يُعينُه؟ فقال الوليد: أنا أعينـه بمائة بكـرة سوداء، فأرسل بها إليه وبهذه الأبيات:

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم؛ وهذا البيت من قصيدة له يرثي بها النعمان بن المنذر ملك الحـيرة وهي:

ألا تسـألان المـــرء ما ذا يحاول   أنحب فيقضى أم ضـــلال وباطل

حبائلـــه مبثوثـــة في سبيلـــه   ويفنى إذا ما أخطأتـــه الحبائـــل

إذا المرء أســـرى ليلة خال أنـــه   قضى عملا والمرء ما عاش عامل

فقـــولا له إن كان يَقسِـــمُ أمره   ألـمَّـا يعِظك الدهـر أمك هابل؟!

فتعلم أن لا أنـــت مدرك ما مضى   ولا أنت مما تحذر النفـــس وائل

فإن أنت لم ينفعك علمك فانتسـب   لعلك تهـــديك القرون الأوائـــل

فإن لم تجـــد من دون عدنان والدا   ودون معـــدٍّ فلتزعك العواذِلُ

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهـم   بلى كـــل ذي لب إلى الله واسِل

ألا كـــل شيء ما خلا الله باطل   وكل نعيـــم لا محالـــة زائل

وكل أناس سوف تحـــدث بينهم   دُويهيَّة تصفـــرُّ منها الأنامـــل

وكـــل امـــرئ يوما سيعلم سعيه   إذا كُشفـت عند الإله الحصائـــل   ..إلخ.

(والواسل: هو الراغب إلى الله تعالى، بمعنى ذو وسيلة. والدويهية: الداهية العظيمة ـ تصغير تعظيم ـ).

(2) ابن أبي معيط، وكان أميرا على الكوفة لعثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان لبيد بالكوفة أيضا.

أرى الجزار يشحــــذ شفرتيـه | إذا هبَّـــت ريــاح أبــي عُقَيْل
أشـــم الأنف أصيَدَ عامـــري | طويل الباع كالسيـف الصقيل
وفَى ابـنُ الجعفـــري بحَلْفَتَيْه | على الْعِـــلاَّتِ والمال القليل
بنحـــر الكوم إذ سُحِبَت عليه | ذيـــولُ صَبًا تجاوَبُ بالأصيل

فقال لبيد لابنته: أجيبيه يا بنتاه فقد وا لله عشت برهة مـن الدَّهـر ومـا أعيى بجواب شاعر؛ فقالت:

إذا هبـت رياح أبي عُقَيْـــلٍ | دعونا عنـــد هَبَّتِها الوليـــدا
طويـــل الباع أبيض عبشميا | أعان عـــلى مروءتـــه لبيدا
بأمثال الجـــبال كـأن ركـباً | عليـها من بَـــني حام قعودا
أبا وهـــب جـــزاك ا لله خيرا | نحـــرناها وأطعمـنا الثـريدا
فَعُدْ إنَّ الكـــريم لـــه معاد | وظـــني بابن عقبـة أن يعودا

فقال: أحسنتِ يا بنيتي إلا أنك استطعمتيه، فقالت: إن الملوك لا يستحيى من مسألتهم، فقال: وأنت يا بنيتي في هذه أشعر.

قوله: **روت له من الألوف**..إلخ: قالت: أنا أروي له اثنـى عشـر ألفـا، ولم تـأت بـالتمييز، لا بيتـا ولا قصيـدة ولا أرجـوزة، ويحتملُهُمَـا؛ والأشبهُ بيتا[1] لاستكثار غيره بالنسبة إلى شعر لبيد.

ولما كان في آخر عمره قال:

---

(1) في *الاستيعاب*: عن يوسف بن عمرو عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عـن عائشة قالت: رويت للبيد اثنى عشر ألف بيت.

ولقد سئمـــت من الحياة وطولها   وسؤال هذا الناس كيف لبيد[1]

وقال أيضا:

تمـــنّى ابنتاي أن يعيـــش أبوهما   وهـل أنا إلا من ربيعـــة أو مضــرْ؟

إذا حان يوما أن يمـــوت أبوكما   فلا تخمشا وجـها ولا تحلقا شعَـــرْ

وقـــولا هو المرء الذي ليس جاره   مضاما ولا خان الصديـق ولا غدرْ

إلى الحـول ثم اسمُ السلام عليكما   ومن يبكِ حولا كامـــلا فقد اعتذرْ

وهذا يخالف ما مرَّ من أنه ما قال في الإسلام إلا بيتا واحدا وهو: الحمد

---

(1) روي أن لبيدًا لما بلغ سبعا وسبعين سنة أنشأ يقول:

نفسي تَشكّى إليَّ المـوتَ مُجهشَةً   وقد حـملتُـــكِ سبعًا بعد سبعينَا

فإن تُزادي ثـــلاثا تحدثـــي أملاً   وفي الثــــلاث وفــاءٌ للثمانيـــنا

ولما بلغ تسعين سنة أنشأ يقول:

كأني وقــد جاوزتُ تِسعِين حجة   خلعـــت بها عن مَنكِـــبيَّ ردائيا

فلما بلغ مائة وعشرا أنشأ يقول:

أليس في مائــة قد عاشها رجـــل   وفي تكامـــل عشرٍ بعدها عُمُــرُ؟

فلما بلغ مئة وعشرين سنة أنشأ يقول:

وغنِيــت سبتا بعد مُجرى داحسٍ   لو كان للنّفسِ اللّجـوج خلــودُ

(والسبت: الدهر). ولما بلغ مائةً وأربعين سنة أنشأ يقول:

ولقد سئمـــت من الحياة وطولها   ..إلخ.

واختلف في قدر عمر لبيد، فقيل عاش مائة وعشرين، وقيل مائة وأربعين، وقيل مائة وسبعا وخمسين، قيل توفي في خلافة عثمان، وقيل في عهد معاوية بن أبي سـفيان بالكوفـة؛ ودفـن في صحراء بني جعفر بن كلاب.

ﷲ إذ لم يأتني..الخ، وهو للسهيلي في الروض الأنف.

وأما شرفه في الجاهلية فمشهور.

دور لبيد في إبعاد الربيع بن زياد عن النعمان بن المنذر

ومن خبره أن أعمامه كانوا يفدون على النعمان بن المنذر فيكلمونه في أمورهم، فيمنعه من قضائها الرَّبيع بن زَيَادٍ العبسي لكونه من أردافِهِ[1]، فيعودون مهمومين. فرأى لبيد كآبتهم بسبب ذلك فأراد المشي معهم إليه فمنعوه من ذلك لصغره، فتبعهم وهم لا يعلمون به فلحقهم بالطريق؛ فدخلوا به على النعمان وهم يستحقرونه لصغره لا يظنون به فائدة. فوجدوا النعمان يأكل مع الربيع، فأنشده لبيد، وقد قزع رأسه:

أكل يوم هامتي مقزعهْ — يا رُبَّ هيجا هي خير من دعهْ

نحن بنو أم البنين الأربعَهْ — سيوف جن وجفان مُترعهْ

نحن خيار عامر بن صعصعهْ — الضَّارِبُونَ الهام تحت الخيضعهْ

والمطعمون الجفنة المدعدعهْ[2]

وبِالرَّبِيعِ بْنِ زَيَادٍ شَرَّدَا — أَن كَانَ لِلنُّعْمَانِ فِيهِ أَنشَدَا:

«مهْلاً . أبَيْتَ اللَّعْنَ . لا تأكُلْ مَعَهْ — إن اسْتَهُ مِن بَرَصٍ ملَمَّعَهْ»

---

(1) وقد كانت بين بني عامر قبيلة لبيد وقبيلة عبس خلافات ومناوشات، وقد استغل الربيع بن زياد صداقته للنعمان ليوغر صدره على بني عامر الذين كان النعمان يكرمهم ويحسن وفادتهم.

(2) المدعدعة: المملوءة.

وإنـــه يُـــولج فيـها اصبعـــهْ

يدخلـــه حـتى يواري أشجعهْ كأنه يطلـــب شيئا أودعَـــهْ!

فرفع النعمان يده وقال: خبثت علي طعامي يا غلام. فرحل عنه الربيع بسبب ذلك[1].

والربيع: هو ابن زياد ـ هو ربيع الواقعة ـ أحد حفدة الخُرْشُبِ الآتي ذكرهم إن شاء الله. **وشَـرَّد به**: أجـلاه وضيق عليه الأرض، قال تعالى: ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾[2]. **والنعمان**: هو ابن المنذر بن المنذر ابن ماء السماء، ملك الحيرة؛ وهو آخر المناذرة ملكا للحيرة من قِبَل كسرى. **وأبيت اللعن**: خطاب ملوك الجاهلية، بمنزلة *أمير المؤمنين* للخلفاء.

والنعمان عمه عمرو ابن هند ـ وهي أمه ـ وأبوه المنذر بن ماء السماء، وإنما نسب لأمه لأن أخاه عمرو ابن مامة؛ فإذا انتسب أحدهما للمنذر التبس بأخيه فانتسبا لأميهما.

وكان النعمان منادما لعدي بن زيد العبادي، فغار منه لِما كان عدي يفعل من خلال الملوك من بذل الأموال وإطعام الطعام.. حتى صرف إليه وجوه الناس وأشعار الشعراء؛ فاحتال له النعمان حتى قتله.

زيد بن عدي وإيقاعه بالنعمان لدى كسرى

وترك عدي ابنه زيدا غلاما صغيرا، فتلطف الغلام للنعمان إلى أن اتخذه

---

(1) فلم يجالسه بعد و لم ينادمه، وجعل يكرم العامِريين ويعيد إليهم مكانتهم السابقة لديه.

(2) الأنفال: 57.

كالابن لما وجده أديبا أريبا، والغلام يضمر للنعمان ما يضمر. فلما شب جعله مكان أبيه ثم كان يرسله إلى كسرى فيما بينهما. فلما علم الغلام بمكانته عند كسرى جعل يريه النصح في أموره التي بينه وبين النعمان، ثم ذكر له بنات النعمان وجمالهن وأدبهن.. إلى أن وقع في نفس كسرى التزويج منهن، وزيد يعلم أن النعمان يأنف من تزويجهن للعجم. فأرسله كسرى يخطب له منهن. فلما أتى النعمانَ بذلك قال له: اعتذر له عني. فقال زيد: سأفعل عن تلطف، فقال النعمان: أو ما يلحقك من تزويج بنات العرب للعجم ما يلحقني؟ قال: نعم.

فأتى كسرى بغير هذا من الإجابة؛ فلما أراد كسرى أن يرده ليزوجه ويأتيه بالمرأة، قال له: أيها الملك أنا رجل عربي لا أعرف نكاحكم ولا سيرة الملوك فيكم فابعث معي رجلا من خاصتك يعلم ذلك كله يفعل لك ما تريد، فإني أخاف أن أضيعَ من أمر الملك ما يغضبه علي، والتمسْ رجلا لبيبا يتكلم بلغة العرب ويفقهها. فبعث معه رجلا على تلك الصفة، فلما قربا من النعمان قال له: لا يعلم أحد أنك تفقه العربية حتى تعلم ما عند الناس لتكون ناصحا في أمر الملِك.

فتكلم زيد للنعمان بخطبة كسرى، فقال النعمان: أما يجد الملك في بقر سواد العراق ما يكفيه عن بناتنا؟! فنبه زيد الرجل على كلمة النعمان، فلما قدما على كسرى قال: ما فعلتما؟ فقال زيد: الجواب مع هذا، فقال الرجل الكلمة لكسرى، فلما رأى زيد ذلك قال: ومعي أيها الملك أخرى، قال: وما معك؟ قال زيد: قال النُّعمان: أو ما يلحقك من تزويج بنات العرب للعجم معرة؟.

ثم أقام زيد عند كسرى خوفا من النعمان، وبعث كسرى إلى النعمان أن يأتيَهُ. فلما أتاه الرسول علم أنه للشَّر فخرج من الحِيرة يأتي أحياءَ العرب يستجير بهم من كسرى، فلم يجد من يجيره، فقيل له: لا أرى لك خيرا من أن تأتي كسرى، فإما أن يردك إلى ملكك أو يقتلك، والقتل خير لك من هذا الذي دخلت فيه. فرجع إلى كسرى، فلما دنا منه تعرض له زيد، فقال له: والله لئن نجاني الله لألحقنك بأبيك، فقال له زيد: امض يا نُعيم! قد والله خبأت لك خبيئةً لا يقطعها المهر الأَرِنُ[1].

فأجلسه كسرى في طريق الفيلة تطؤه حتى تحطم؛ وفي ذلك يقول الأعشى، يعني كسرى:

هــو المنـزل النُّعمان بيتًا سماؤُه نحور الفيـول بعد بيت مسردقِ

ورأى رجل من العرب النعمان في نومه، متحليا بحلل منها دماليج وخلاخل؛ فقصَّ رؤياه على النبي ﷺ فقال: «ارتفع شأن العرب ذلك سيدهم» [2].

ومنهم أيضا عروة الرحَّال، وهو ابن عتبة بن جعفر بن كلاب[3]، الذي قتله البرَّاض بن قيس الكناني[4]. فبسبب قتله قامت "حربُ الفجار".

---

(1) الأرن: النشيط المرح.

(2) ذكره صاحب *زاد المعاد*، وابن سعد، وابن سيد الناس.

(3) من بني عامر بن صعصعة، سمي الرحال لرحلته إلى الملوك.

(4) كان البراض هذا فاتكا يجني الجنايات على أهله فخلعه قومه وتبرأوا من صنيعه ففارقهم وقدم مكة فحالف حرب بن أمية ثم نبا به المقام بمكة أيضا ففارق أرض الحجاز إلى أرض العراق، وقدم على الملك النعمان بن المنذر فأقام ببابه.

سبب حرب الفجار

وذلك أن النعمان كان يبعث في كل عام لطيمة مسك[1] في جوار رجل من أشراف العرب حتى تباع له هناك[2]، فقال يوما ـ وعنده البراض والرحّال ـ: من يجيرها؟ فقال له البراضُ: أنا أجيرها على بني كنانة، فقال له النعمان: أنا لا أريد إلا من يجيرها على أهل نجد وتهامة، فقال له عروة: أنا أجيرها على أهل الشيح والقيصوم، فقال له البراض: أعلى بني كنانة تجيرها؟ قال: على الناس كلهم.

فدفعها له النعمان، فخرج بها وتبعه البراض فقتله؛ وكان فاتكا غدارا، فلما رآه عروة ناشده وقال: قد كانت مني زلة. فلما قتله خرج يرتجز:

قد كانت الفعلة مني ضلّه هلا لغيريَ تركْتَ الزّلهْ[3]

وَمِن كِلاَبٍ أَيْضًا المُحَلَّقُ رَفَعَهُ الأَعْشَى الْبَلِيغُ الْمُفْلِقُ

المحلق (كمعظم): اسمه عبدُ العزى بن جشم بن شداد بن مرة بن ربيعة المجنون بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب. لقب به لأنه أصابه سهم فكوي بحلقة. **ورفعه**: أي رفع بالمدح ذكره وشأنه. والشاعر **المفلق**: الآتي

---

(1) اللطيمة (بفتح أوله): الإبل التي تحمل الطيب والبز وعروض التجارة.

(2) أي في عكاظ وغيرها من أسواق العرب ومواسمها بالحجاز.

(3) فضرب المثل بفتكته هذه فقيل: *أفتك من البراض*، وفيها يقول أحد الشعراء:

والفتى مَن تعرَّفتْه الليالي والفيافي كالحيَّة النضناضِ

كلَّ يوم له بصرف الليالي فتكةٌ مثل فتكة البرَّاضِ

بالعجيب[1]. و**الأعشى** صاحب المحلق هو ميمون بن قيس المتقدم ذكره.

علوُّ شأن المحلق بمدح الأعشى

ورفْعه له بالمدح سببه أن المحلق كان فقيرا ذا بنات كثيرة، وكان لا يؤبه به لذلك؛ فبينما هو ذات يوم مع امرأته إذ رأيَا الأعْشَى يقود به ابنه، فقالت: هل لك في تزويج بناتك ـ ولم تكن منهن إذ ذاك متزوجة ـ وتبديلِ حالك إلى أحسن منها؟ قال: ما ذاك؟ قالت: قم إلى هذا الشاعر فأحسن ضيافته الليلة مع ما قدرت عليه من إكرامه والتلطف به، قال: ويحك بما ذا؟ قالت: انحر له ناقتنا هذه تطعمنا منها وتقريه هو - والحي إذ ذاك مسنتون[2] ـ.

فقام وأخذ بزمام ناقته حتى أناخها به عند بيته، وهو من أصغر بيوت الحي وأقلها أثاثا. فلما راحت الناقة حلبها له ثم نحرها فبات يصطفي له من أطائبها ويدهنه من شحمها ويخدمه هو وبناتُه حتى أصبح. فخرج عنهم بالقصيدة المشهورة، كلما ورد على حي من أحياء العرب أنشدها؛ فجعل الناس يسألون عن المحلق وعن خبره، فيذكر الأعشى بناتِه ويَثني

---

(1) المفلق: اسم فاعل من أفلق الشاعر إذا أتى بالفلْق (بكسر فسكون) وهو الأمر العجيب، وأصله الداهية. ويقال للشاعر المجيد: فحل، ولمن دونه: مفلق، ثم شاعر، ثم شويعر، ثم شعرور؛ وزاد بعضهم متشاعرا. والبليغ: هو من كانت البلاغة ملكة له، وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع كونه فصيحا - [زهر الأفنان وغيره]. وسميت البلاغة بلاغة لإبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع.

(2) أسنت القوم: أصابهم الجدب والقحط.

عليهن. ويقال إنه زوجهن كلهن ذلك اليوم حتى أمسين ما منهن أيم[1].

وأول القصيدة[2]:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة ... إلى ضوء نار باليفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى والمحلق

رضيعيْ لبان ثدي أم تحالفا ... بأسحم داج عَوْضُ لا نتفرَّق[3]

---

(1) وفي رواية أنه لما مدحه نوه به في سوق عكاظ، فلم يمض عام حتى لم تبق منهن جارية إلا وهي زوج لسيد كريم، وكن ثماني بنات عوانس قد رغب الرجال عن خطبتهن لفقرهن ولا يؤبه بهن لذلك. وكان الأعشى لجلالة شعره وطلاوته ورَوْعته يرفع به الوضيعَ الخامل ويخفض الشريف النابه. وكانت العرب تمدح فترفع وتهجو فتضع، فإذا مدحت الشيء بلطافتها وذلاقة ألسنتها اختير وبسط عذره، كما غطت بالهجاء محاسنه، وقد قال الشاعر:

فعين الرضى عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدي المساويا

(2) أرقت وما هذا السهاد المؤرق ... وما بي من سقمٍ وما بيَ مَعشَقُ

ولَكِنْ أراني لا أزال بحادثٍ ... أُغادَى بما لم يُمسِ عندي وأطرق

إلى أن يقول:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة ... ..إلخ.

(3) يداك يدا صدقٍ فكفٌّ مفيدة ... وأخرى إذا ماضُنَّ بالمال تنفقُ

ترى الجود يجري ظاهرا فوق وجهه ... كما زان متن الهندواني رونقُ

وأما إذا ما أوَّبَ المَحْل سَرحهم ... ولاح لهم من العشياتِ سَملقُ

نفى الذمَّ عن آل المحلق جفنة ... كجابية الشيخ العراقي تفهق

يروح فتى صدق ويغدو عليهم ... بملء جفان من سديفٍ يدفَّق

وعادى فتى صدق عليهم بجفنة ... وسوداء لا يابى المزادة تُمرق

ترى القوم فيها شارعين ودونهم ... من القوم ولدان من النسل دردق

طويل اليدين رهطه غير ثِنية ... أشم كريم جاره لا يرهَّق

كذلك فافعل ما حييت إليهم ... وأقدم إذا ما أعين الناس تبرق

تـــروح على آل المحلق جَفْنَـةٌ كجابيـــة الشيخ العراقي تـدفقُ

وَشَمْرُ قَاتِـلُ الحُسَيْنِ وَزُفَـرْ إِحْسَانَـهُ الْجَمَّ القَطَامِيُّ شَكَرْ

شمر (ككتف[1]): ابن ذي الجوشن. **وزفر**: ابن الحارث. **والجم**: الكثـير. **والقطامي**: لقب عمير بن شهيم التغلبي، وتقدم.

يقول ومن كلاب أيضا ثم مـن بـني الضبـاب: شمـر بـن ذي الجوشـن، الذي قتل ـ على قول ـ السيد السبطَ الحسين بن علي رضي الله عنهمـا ـ بتولية عمرو بن سعد بن أبي وقاص، بوزارة عبيد الله بن زيـاد ابـن أبيـه، بإمارة يزيد الفويسق ـ يوم كربلاء. وفي ذلك يقول شمر:

أوقـــر ركابي فضـــة وذهبا إني قتلــــت الملك المحجـــبا

قتلت خــــير النـــاس أما وأبا وخيرهمْ ـ إذ يُنسَبـــون ـ نسبا

وأبوهُ ذو الجوشن اسمه أوس بن الأعور الضبـابي، صحـابي، كـان مـع علي في حروبه وقتل معه بصفين.

وأما **زفر** فمن بني كلاب، من غير بني الضباب، بل من بـني عمـرو بـن كلاب. **وإحسانه** الذي أشار إليه **وشُكْرُ القطامي** له هو أنـه أسـر القطـامي، فأشارت إليه ابنته ضباعةُ بإطلاقه ليمدحه، فأطلقه وأعطاه مائة ناقة، فقـال في ذلك:

قفي قبــل التفـــرق يا ضباعا ولا يك موقـــف منك الوداعا

---

(1) وسكنه الناظم ضرورة.

إلى أن قال:

أكفرا بعد رد الموت عني ... وبعد عطائك المائة الرتاعا

ومن يك قد أساء على ثَوِيٍّ ... فقد أحسنت يا زفر المتاعا

وكان زفر بن الحارث مع الضحاك بن قيس يوم "مرج راهط[1]"، والضحاك على جيش ابن الزبير، وقيل على جيش نفسه، فقاتلوا مروان وهو يدعو لنفسه، فهزمهم مروان وقتل الضحاك. وفي ذلك يقولُ زفر:

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ... ببعض أبت عيدانه أن تكسرا

ولما لقينا عصبة تغلبية ... يقودون جُردًا للمنية ضمرا

سقيناهم كأسا سقونا بمثلها ... ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ... عشية لاقينا جذام وحِمْيَرَا

إلى أن لَقِينَا الحي بكر بن وائل ... ثمانين ألفا دارِعين وحسرا

وَمِنْهُمُ الضَّحَّاكُ سَيَّافُ النَّبِي ... بِمِائَةٍ وَزَنَهُ خَيْرُ نَبِي

قوله: **ومنهم**: يعني بني معاوية بن كلاب، وهو الملقب بالضِّباب ولذلك يقال لهم بنو الضِّباب[2] والنسبة إليهم ضبابي. **وسياف النبي**: يريد أنه كان يقوم على رأسه بالسيف. **والضحاك**: هو ابن سفيان بن عوف بن كعب بن معاوية بن الضباب بن كلاب بن ربيعة، أسلم قديمًا واستعمله النّبي ﷺ

---

(1) مرج راهط: موضع بالشام كانت به وقعة لمروان بن الحكم على الضحاك بن قيس الفهري.

(2) وإنما سموا الضِّباب لأن في أولاده: ضبا ومضبا وضبابا - [جمهرة النسب للكلبي].

على من أسلم من قومه، وبَعَثَ إليه يسأله أيُورِّث امرأة أُشَيْمٍ الضِّبابي من دية زوجها[1]؟. ثم هاجر وأمَّره النبي ﷺ على سرية إلى قومه بني كلاب، فهزمهم وأدرك أباه على فرس فعرقبه به وحبسه، وعرض عليه الإسلام فأبى، وحبسه إلى أن جاء رجل فأمره بقتله؛ وكان أنف من قتل أبيه. ووزنه النبي ﷺ بمائة فارس، وأمَّرَهُ على سليم يوم الفتح، وكانوا تسعمائة فصاروا به ألفا؛ وذلك قول العباس بن مرداس:

...   وفَيْنَا ولم يستَوفها معشرٌ ألفا

وقال أيضا:

تحت اللوامع والضحاك يقدمنا   كما مشى الليث في غاباته الخدر

ومن كلاب القُرَطَّاءُ، وهم: قُرْط وقَريط وقُرَيْط، بنو عبد الله بن أبي بكر بن كلاب؛ وهم الذين بعث إليهم النبي ﷺ سرية فأغارت عليهم وأخذوا ثمامةَ بن أثال أسيرا، وجدوه فيهِمْ وكَانَ يريد العمرة، ولم يعرفوه حتى قدموا به على النبي ﷺ فكان من خبره ما قدمنا.

ومنهم أيضا الحوص، رهط علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص، منافرُ عامر بن الطفيل، ثم أسلم ولحقَ بالنبي ﷺ، وله يقول الأعشى:

علقم ما أنت إلى عامر   الناقض الأوتار والواتر
إن تسُد الحوص فلم تعْدُهُمْ   وعامر ساد بني عامر

وجدُّهم الأحوص بن جعفر بن كلاب، كان من سادات بني عامر.

---

(1) فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يورثها من ديته - [أسد الغابة].

يروى أن بني كلاب ظعنوا يوما من أرض جدبة، والأحوص يقاد به جمل وقد عُمِّر وكُف بصرُه، فلما كان آخر النَّهار أحس بالإبل ترعى فقال: ما ترعى هذه الإبل؟ قالوا: نَصيًا وصِلِّيانًا، قال: منبتة ذُراها مكفتة رُغَاهَا[1].

منافرة عامر وعلقمة على هرم بن قطبة

أما حديث المنافرة الذي هو سبب قول الأعشى لبيتيه المتقدمين، فأثاره أن رأى عامرٌ علقمة يستخلي فضحك وقال: ما إن رأيت كاليوم عورة!. فسمع علقمة مقالتَه فأتاه فقال له: أما إنها غضيضة عن جاراتها، يُعرِّضُ بأن عامرا كان يُتهم بجاراته ـ وذلك من أعظم العيُوب عند العرب ـ فتسابًّا إلى أن قال أحدهُما للآخر: إن شئت تنافرنا، فقال له الآخر: نعم. فأجمعا على المنافرة.

فمكثا زمانًا يستعدان للمنافرة وأتى عامر عمه أبا براء يستعينه فقال له: خذ نعلي هاتين فإني ربعت فيهما أربعين مرباعًا، ولم يرض منه بذلك. ثم قدما على أبي سفيان بن حرب ليحكم بينهما فامتنع، وكذلك

---

(1) النصي (بفتح النون وكسر الصاد): نبت سبط من أفضل المراعي جمعه: أناص، قال الشاعر:

ترعى أناص من حرير الحمض

وأنصت الأرض كثر نصيها. والصليان: (بكسرتين مشددة اللام): نبت له سنمة عظيمة كأنها رأس القصبة إذا خرجت أذنابها تجذبها الإبل، والعرب تسميه خبزة الإبل، وفي حديث كعب: «إن الله بارك لدواب المجاهدين في صِلِّيان أرض الروم كما بارك لها في شعير سورية» أي يقوم لخيلهم مقام الشعير. وسورية: هي الشام ـ [لسان العرب وغيره]. والاكفات: العقد والطي. والرُّغَى: جمع رغوة، يعني أنها جيدة لأبدانها وألبانها.

كل من أتياه من حكام العرب.. إلى أن أتيا هرم بن قطبة الفزاري فوعدهما بالحكم بينهما، فقدما عليه ومع كُلٍّ ناصِرُوه والشعراء والقيان؛ ينحران ويطعمان.

فلما كانت الليلة التي أراد الحكم بينهما صبيحتها، خلا بكل واحد منهما، من غير شعور أحد وقال له: ما حملك على منافرة ابنِ عمك وهو يفعل كذا ولا تفعله؟ حتى لا يشك أنه يُنفره عليه، فيناشده با لله والرحم أن لا ينفر عليه؛ فيقول له: قد تحاكمتما إلي ولا أقول بينكما إلا الحق، فيمضي من عنده لا يشك أنه ينفره عليه. ويريد هرم بذلك أن يرضيا بالتساوي.

وأمر هرمُ بنيه أن ينحروا للناس ليشتغلوا بذلك عن الحرب حين الحكم. ثم قال: أما أنتما يا هذان فقد رضيتماني للحكم بينكما وليس لي أن أقول فيكما إلا ما أعلم ولا أعلمكما إلا كفرسي الرهان وركبتي البعير الأزم، يريد تساويهما (لأن فرسي الرهان ـ وهو المسابقة ـ لا يبعثان حتى يجتهد في تساويهما، والبعير الأزم ـ بالزاي ـ الذي يرفع رأسه لداء بأنفه وحينئذ تستوي ركبتاه).

وبعد ذلك قال عمر بن الخطاب لهرم: لم لا تنفر أحدهما على الآخر؟ قال: يا أمير المؤمنين لو فعلت لم تزل الحرب بينهما إلى يوم القيامة.

ومن كلاب ايضا النواس بن سَمْعَان بن خالد بن عبد ا لله بن أبي بكر بن كلاب، الصحابي من أهل الحديث. وذكر القرطبي أن أباه سمعان وفد على النبي ﷺ فأسلم ودعا له. وأعطاه بغلته وزوجه أخته؛ فلما دخلت عليه استعاذت منه فتركها. وهي الكلابية المستعيذة؛ قال لها النبي ﷺ:

«استعذت بمعيذ»[1]. وذكر أيضا أنه بكسر السين، من السِّمع؛ وهو سبع متولد بين الذئب والضبع وهو أخبث منهما، وبفتحها: فَعلان من السمع - (اهـ من **التذكرة** للقرطبي)[2].

هنا انتهى الكلام على بني كلاب بن ربيعة؛ فشرع يتكلم على بني كعب، فقال رحمه الله:

---

(1) وفي رواية: «لقد عذت بعظيم» - رواه البخاري وابن ماجه والنسائي.

(2) ومن كلاب أيضا **العَرندس**، أحد بني بكر بن كلاب، القائل يمدح بني عمرو الغنويين:

هَيِنُونَ لَيِنُونَ أيسار ذوو كرم   سواس مكرمة أبناء ايسار

إن يُسأل الخير يُعطُوه وإن خُبِرُوا   في الجهد أدرك منهم طيبُ أخبار

فيهم ومنهم يُعدُّ الخير مُتّلِدًا   ولا يُعدُّ نثا خِزيٍ ولا عار

لا ينطقون عن الأهواء إن نطقوا   ولا يمارون إن مارَوْا بإكثار

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم   مثل النجوم التي يسري بها السَّاري

وكان الأصمعي يقول: هذا المحال: كلابي يمدح محاربيا! - [النوادر].

ومن كلاب أيضا **عبد العزيز** بن زرارة الكلابي، وهو شاعر إسلامي كان في أول الدولة الأموية. قال في *شرح الحماسة*: وقد تولى مصر لمعاوية، وكان قد أقام على بابه سنة لا يأذن له، وكان في شملة من صوف ثم أذن له وقربه وأدناه وأحسن منزلته فقال: يا أمير المؤمنين دخلت إليك بالأمل واحتملت جفوتك بالصبر ورأيت ببابك أقواما قدمهم الحَظُّ وآخرين أخرهم الحرمان فليس ينبغي للمقدم أن يأمن عواقب الأيام ولا للمؤخر أن ييأس من عطف الزمان. فما خرج حتى ولاه مصر - [هـ منه].

ومن بني عمرو بن كلاب أيضا: **زرعة بن عمرو** بن خويلد الكلابي الذي يقول:

وأرملة تنوء على يديها   من الضراء أو قصص الهزال

خلطتُ بغثّها سِمَني فأضحتْ   شريكةَ من يُعَدُّ من العِيال

وأفنتني الليالي أم عمرو   وحِلّي في التنائف وارتحالي

وتربيتي الصغير إلى مداهُ   وتاميلي هلالا عن هلال - [الحماسة].

نسب بني كعب

مِن كَعْبِهِـــمْ قُشَيْرُ بَلْعَجْلانِ عُقَيْلُ جَعْـدَةُ وَذُو الأَسْـــنَانِ

لِـدَعْـــوَةِ النَّبِيِّ تَنبُـتُ عَلَى أَحْسَـنِ مَا كَانَـــتْ عَلَيْهِ أَوَّلاَ

مِنْهُـمْ وَقَيْسُ بْنُ الْمُلَوَّحِ الْعَمِيدْ وَمِـنْ عُقَيْـلٍ حَيٌّ أَخْيَلَ الْمَدِيدْ

قوله: **من كعبهم**: أي من كعب بني عامر، وهو كعب بن ربيعة بن عامر، أخو كلاب المتقدم ذكره. وكعب أولاده أربعة: عبدُ الله، وهو أبو بني العجلان، وقشير (كزبير)، وعقيل، وجعدة. وبذكرهم بدأ الناظم رحمه الله بعد ان أخرهم في الذكر، ليعود الضمير الآتي في **منهم** على أقرب مذكور. قوله: **وذو الأسنان**..إلخ: أراد النابغة الجعدي، واسمه قيسُ بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب، وقيل غير ذلك.

النابغة الجعدي

وإنما قيل له النابغة لأنه تنبغ بالشعر، بعد ثلاثين سنة لا يقوله؛ وكان شاعرا محسنا طويل البقاء في الجاهلية والإسلام، وهو أسن من النابغة الذبياني[1]، قيل عُمِّر مائةً وثمانين سنة وقيل مائتين وعشرين؛ ولما أتت

---

(1) فقد نادم الذبياني النعمان بن المنذر ونادم الجعدي المنذر أبا النعمان، وفي ذلك يقول:

تذكرت والذكرى تهيج على الفتى ومن عادة المحزون أن يتذكرا

نداماي عند المنذر ابن محرق أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقفرا

ومحرق الذي نسبه إليه جده وليس أباه.

عليه مائة واثنتا عشرة سنة قال:

أتـــت مائــة لعام ولدت فيه وعشـــر بعـــد ذلك واثنتان

فمن يك سائـــلا عـــني فإني مـــن الفتيان أيام الخُــــنان

وقد أبقت صـروفُ الدهر مني كما أبقـــت من الذكر اليماني

ألا زعمـــت بنو سعـــد بأني وما كذبـــوا كبير السن فان[1]

(*وأيامُ الخُنان:* لعله يعني زمن الخُنان، وهو في زمن المنذر بن ماء السماء وماتت فيه الإبل من الخُنان؛ وهو زكام يأخذ الإبل في أنوفها).

وكان النابغة في الجاهلية يذكر دين إبراهيم ويصوم ويستغفر. ومِمَّا قال في الجاهلية كلمته التي أولها:

الحمـــد لله لا شريـــك له من لم يقلـها لنفســـه ظلما

وقَدِمَ على النبي ﷺ فأنشده[2] قوله:

---

(1) ويقول أيضا:

المـــرء يهـــوى أن يعيـــش وطـــول عمـــر قد يضرُّهْ

وتتابـــع الأيـــام حـــتى ما يـــــرى شيئا يســـرُّهْ

تفـــنى بشـاشـتـــه ويبـ ـقى بعد حلـو العيش مــــرُّهْ

(2) قصيدته التي مطلعها:

خليـلي عوجا ساعـــة وتهجـــرا ولوما عـلى ما أحدث الدَّهر أو ذَرَا

ولا تجـــزعا إن الحياة ذميمـــة فخفا لروعات الحـوادث أو قرا

وإن جاء أمـــر لا تطيقان دفعـــه فلا تجزعا مِمَّا قضى ا لله واصـــبرا

ألم تريا ان الملامــــة نفعُـــها قليل إذا ما الأمـــر ولّى وأدبرا

<<=

أتيت رسول الله إذا جاء بالهدى ويتلو كتابا واضح الحقّ أكبرا

فلما أتى على قوله:

بلغنا السماء مجدُنا وسناؤنا وإنا لنرجوا فوق ذلك مظهرا

قال له النبي ﷺ: «إلى أين المظهر يا أبا ليلى»؟ قال: إلى الجنة، قال: «نعم إن شاء الله». ولما أتى على قوله:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

قال لهُ صلى الله عليه وسلم: «لا يفضض الله فاك»[1]، فما سقطت له سن بعد ذلك على تعميره؛ وقيل إنها تسقط وتنبت مكانها أخرى أحسن منها، وذلك الذي يريد الناظم رحمه الله.

وقد وفد النابغة على عبد الله بن الزُّبير بمكة في خلافته في عام مجدب

<< - -

تهيج البكاء والندامة ثم لا تغير شيئا غير ما كان قُدِّرا

إلى أن قال:

أتيت رسول الله ..إلخ، وبعده:

أقيم على التقوى وأرضى بفعلها وكنت من النار المخوفة أحذرا

ومنها في الفخر:

وإنا لقوم ما تعود خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا

وننكر يوم الروع ألوانَ خيلنا من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا

بلغنا السماء مجدُنا وجدودُنا وإنا لنرجوا فوق ذلك مظهرا

(1) رواه الحاكم، وذكره ابن الأثير، وابن الجزري في *أسد الغابة*.

جدا، فأمر له بوقر نواضحه ميرا؛ ثم جعل النابغة يأكل الزرع بين يدي ابن الزُّبير، فضحك منه وقال: شد ما بلغ بك الجهد يا أبا ليلى! فغضب النَّابغة، وجعل ابن الزبير يخفضه ويترضاه.

ومِمَّا يحكى عن النابغة أنه حين كان أبو موسى الأشعري أميرا على البصرة من قِبَل عُمر بن الخطاب سمع النابغة من يصرخ: يا لعامر، فأجابه وبيده عصية، فعزَّره أبو موسى الأشعري بأن جلده خمسين سوطا، لأنه أجاب من تعزى بعزاء الجاهلية وهو: يا لبني فلان، و لم يقل: يا للمسلمين؛ بعد أن كرهها النبي ﷺ منذ غزوة المريسيع وقال: «دعوها فإنها منتنة»[1]، وقال: «من تعزى عليكم بعزاء الجاهلية فأعضوه بهَنِ أبيه ولا تَكْنُوا»[2]، أي قولوا له: "عض أير أبيك" ولا تكنوا بالْهَن عن الأير، وذلك سب العرب؛ كانوا كما قال أبو بكر لعروة بن مسعود بين يديْ رسول الله ﷺ يوم الحديبية: امصص بظر اللات.

ولعل تعزير أبي موسى الأشعري النابغة بخمسين سوطًا هو الذي انتزع منه الفقهاء تعزير الإمام بما زاد على الحد، بل بما رأى، ولو أتى على النفس[3]، وقد صَحَّ حديث: «لا يجلد المؤمن فوق عشرة أسواط إلا في حد

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

(2) أخرجه أحمد في المسند والنسائي وابن حبان.

(3) لعله يشير رحمه الله بذلك إلى قول خليل بن إسحاق في باب الشرب من مختصره: "وضَرْب بسوط أو غيره وإن زاد على الحد وأتى على النفس" الخ.

من حدود الله»[1].

ودخل النابغة الجعدي على النابغة الذبياني وعنده الخنساءُ بنت عمرو بن الشريد، فأنشده، فقال له الذُّبياني: لولا ما أنشدنيه الأعمى قبلك ـ يعني الأعشى ـ لقلت إنك أشعر الناس، فقال: أنا أشعر منك ومن الأعمى ومن هذه.. فقال الذبياني: أنت قلت:

ولدنا بني العنقاء وابني محـــرق ...

فخرْتَ بمن ولدت لا بمن ولدك، وقلتَ "لنا الجفنات" و لم تقل "لنا الجفان" (يعني جمع القلة و لم ينطق بجمع الكثرة)، وقلت "الغر" و لم تقل "البيض"، وقلت "يلمعْنَ" و لم تقل "يُشرقن"، وقلت "بالدجى" و لم تقل "بالضحى"، وقلت "يقطرن" و لم تقل "يسلن".. واسكت فإنك لا تحسن أن تقول:

فإنك كالليـــل الذي هو مدركي وإن خلتُ أنَّ المُنتَأى عنك واسع[2]

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) والذي وقفت عليه أن هذه القصة كانت بين النابغة الذبياني وحسان بن ثابت الأنصاري، والبيتان من قصيدة لحسان وردت في ديوانه أولها:

ألم تسأل الربـع الجديـد التكلما بمـدفع أشـداخ فبُرقـة أظلما

أبى رسـم دار الحـي ان يتكلّما وهل ينطق المعروفَ من كان أبكما؟

إلى أن يقول:

متى ما تـزِنّا من معدٍّ بعصبة وغسّان نمنع حوضنا أن يهـدما

بكل فـتى عاري الأشاجـع لاحه قراع الكماة يرشحُ المِسكَ والدَّما

إذا استدبرتنا الشمـس درت متوننا كأنَّ عـروق الجوف ينضحن عندما

ولدنا بـني العنقاء وابـني مُحرِّقٍ فأكـرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

<<=

وكان النَّابغةُ الجعدي آخر الصحابة موتا بأصبهان.

ومنهم جعدة أيضا عبدُ الله بن الحَشرج[1]، من عمَّال ابن الزبير؛ وفيه يقول زياد الأعجم:

إن السماحة والمروءة والنَّدى   في قُبَّة ضربت على ابنِ الحشرج

قيس بن الملوح قتيل العشق

قوله: **وقيس بن الملوح**: يعني المجنون المشهور الذكر والشعر؛ وهو ابن

>> - -

نُسوِّدُ ذا المال القليل إذا بدت   مروءته فينا وإن كان مُعدِما

وإنا لنقري الضيف إن جاء طارقا   من الشحم ما أضحى صحيحا مسلما

لنا الجفنات الغرُّ يلمعن بالضحى   وأسيافنا يقطرن من نجدةٍ دَمَا ..إلخ..

اللهم إلا أن يكون الشارح وقف على ما أثبت والله أعلم.

(1) كان أحد سادات قيس، جوادا ممدحا، وكان من أمرائها؛ ولي أكثر أعمال خراسان وفارس وكرمان. وكان أبوه الحشرج بن الأشهب سيدا شاعرا وأميرا كبيرا، وأورد له في الحماسة:

ألا بكرت تلومك أم عمرو   وغير اللوم أدنى للسداد

وما بذلي تلادي دون عرضي   بإسرافٍ أميمُ ولا فسادِ

فلا وأبيك ما أعطي صديقي   مكاشَرَتي وأمنعه تلادي

ولكني امرؤ عودت نفسي   على علاتها جَريَ الجواد

محافظة على حسبي وأرعى   مساعِيَ آل ورْد والرُّقَادِ

ومن جعدة أيضا ورْد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة شاعر جاهلي، ومن شعره:

تحملتُ من نَعمان عود أراكة   لهندٍ ولكن من يبلغه هندا؟

خليلي عُوجَا بارك الله فيكما   وإن لم تكن هند لأرضكما قصدا

وقولا لها ليس الضلالُ أجارنا   ولكننا جُرْنَا لنلقاكُمُ عمدا

الملوح بن مزاحم بن عدي بن ربيعة بن ربيعة بن جعدة، وعند ربيعة يلتقي مع النابغة. **والعميد**: الهالك من العشق، قال الشاعر:

ولكنـــي مـــن حبها لعميـــد

يعني عشقه لليلى العامرية ـ وليست بليلى الأخيلية صاحبة توبة بن الحُمَيِّرِ ـ وهِيَ من بنات عمه، فلما أخبله حبها خطبها أهله إلي أبيها فقال: حلفت أن لا أزوج عاشقًا.

فلم يزل يهيم بها ويقول الشعر إلى أن قتله حبها. ومن أول ما قاله فيها من الشعر، قبل أن يعلم الناس بخبرهما:

كـــلانا مظهـــر للناس بغضا ... وكل عنـــد صاحبه مكـــين
تخـــبرنا العيـــــون بما أردنا ... وفي القلبين ثمَّ هـــوىً دفـين

ومن أحسنِ ما قاله فيها قوله:

تَعَشَّقت ليلى وهي ذات ذوائب ... ولم يبدُ للعينين من ثديها حجمُ
صغيرين نرعى البَهم يا ليت اننا ... إلى اليوم لم نكبَرْ ولم تكبَرِ البهم

وقال أيضا:

كأن القلـــب ليلة قيل يُغـدى ... بليلى العامـــرية أو يـــراحُ
قطاة غَرَّها شـــرك فباتـــت ... تجاذبـــه وقد علـــق الجناح
لها فرخان في قفـــرٍ بأَيْـكٍ ... على غُصْنٍ تُمَيِّلُـــه الرياحُ
إذا سمعا هبـــوب الريح نصًا ... وقـــد أودى بأمهما الـمُتَاحُ
فـــلا بالليـل نالت ما تُرَجِّي ... ولا بالصبـــح كان لها سَراحُ

وقال يخاطب زوجها:

بعيشك هل ضمَمْتَ إليك ليلى ... قبيل الصبـــح أو قَبَّلتَ فاها؟

وهل زُفَّـــت إليك قرونُ ليلى   زفيفَ الاقحُوَّانـــة في نـداها؟

وقال أيضا:

وأذْنيتني حـــتى إذا ما سبيتني   بقول يُحـلُّ العصم سهل الأباطحِ
تناءَيْت عني حـــين لا ليَ حيلـةٌ   وخلَّفتِ ما خلفتِ بين الجوانِحِ

وأخباره معها وأشعاره فيها لا قدرة لنـا علـى حصرهـا، فيليـق بنـا أن نضرب عنها إلى ما كنا فيه.

ومن جعدة الفَقِيهُ المشهور الإمام أشْهبُ بـن عبـد العزيـز بـن داود بـن إبراهيم، صاحب الإمام مالك.

قوله: **ومن عقيل**..إلخ: هو بضم العين، ورأَيْـتُ بخـط جـدي مُحَمَّـدًا ـ رحمه الله ـ أن كل عقيل في العرب بضم العين بصيغـة التصغـير، إلا عقيـل بن أبي طالب وعقيل بن عُلَّفَة[1] المري الجافي.

توبة وليلى الأخيلية

و لم يذكر من بني عقيل إلا بني أخيل بن عبادة بـن عُقيـل، رهـط ليلـى

---

(1) (بضم العين المهملة وتشديد اللام وفتح الفاء مخففة) وكان عقيل هذا شاعرا مجيدا مُقِلا مـن شعراء الدولة الأموية. لكنه كان مشهورا بالجفاء شديد الهوج والعجرفـة، ومـن جفائـه مـا قاله حين خطب إليه عثمان بن حيان ـ وهو أمير المدينة ـ إحدى بناته: "أبكرة من إبلي أيها الملك تعني؟!"، فأمر بإخراجه على أسوء حالة. وخطب عنده عبد الملك بن مروان إحـدى بناتـه لبعض أبناء عبد الملك فقال له: إن كان ولا بد فجنبني هجناءك!.. وغير ذلك من جفائـه، وكـان لا يرى أن له كفئا؛ وهو من بيـت شـرف في قومـه مـن كـلا طرفيـه، وكـانت قريـش ترغـب في مصاهرته ـ [الأغاني].

الأخيلية التي تَشَبَّبَ بها توبة بن الحُمَيِّر بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عامر بن عُقَيل[1]؛ وهِيَ ليلى بنت عبد ا لله الرَّحَّالِ بن شداد بن كعب بن أخيل، واسمه معاوية[2]، ويقال لِقومها الأخايل[3]. ولما اشتهر أمرُ توبةَ وليلى شكاه أهلها وزوجها إلى السلطان فأباح لهم دمَه، فلما علمت بذلك ليلى ـ وكان قد حلف لها زوجها لئن أنذرته ليقتلنها ـ خرجت مسفرةً حتى جلست في طريقه، وكانت قبل ذلك تخرج إليه في بُرقعها؛ فلما رآها على تلك الحالة علم، فركضَ فرسه ونجا، وذلك قوله[4]:

---

(1) عقيل هذا ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

(2) معاوية هذا ابن عُبادة بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

(3) وهي القائلة:

نحْـنُ الأخايـل لا يزال غلامُنا   حتى يـدبَّ على العصا مذكورا
تبكي السيـوف إذا فقدن أكفَّنا   جـزعا وتعرفنا الرفاق بحـورا
ولنحن أوثـق في صدور نسائكم   منكم إذا بكر الصـراخ بكورا

وقيل الأبيات لأبيها.

(4) نأتـك بليـلىدارها لا تـزورها   وشطت نواها واستمر مريـرها

إلى أن يقول:

حمامـة بطـن الواديـين ترنّمـي   سقاكِ من الغرِّ الغـوادي مطيرها
أبيـني لنا لا زال ريشـك ناعما   ولا زلت في خضـراء دانٍ بريرها
وأشـرف بالغـور اليفاع لعلني   أرى نـار ليـلى أو يراني بصـيرها
وكنت إذا ما زرت ليلى ..إلخ
عليَّ دِماءُ البـدن إن كان بعلها   يرى لِيَ ذنبا غـير أنّي أزورها
وإني إذا ما زرتها قلتُ يا اسلمي   وما كان في قولي اسلمي ما يضيرها   ..إلخ.

وكنت إذا ما زرت ليلى تبرقعت   وقد رابني منها الغداة سفورها

وكان توبة في غاية الفتوة ظرافة وجمالا وشعرا وشجاعة. وجدَه الفرزدق يوما مع ليْلَى فحسده وغار منه فقال له: صَارِعْني، وكان توبةُ أَيِّدًا، فقام إليه فصرعه فَضَرطَ الفرزدق، فقال في ذلك جرير:

فجئت إلى ليلى لتحظى بقربها   فخانك أست لا يزال يخون

ورأَتْهُ يوما بثينة ومعها جميل، فجعلت تنظر إليه، وشق ذلك على جميل فقال له: صارعني يا توبةُ، فصارعه فصرعه جميل، وقال له: ناضلني فنضله جميل، وقال له سابقني فسبقه جميل؛ فقال له توبةُ: يا هذا إنما تفعل هذا بنظر هذه الجالسة ولكن اهبط بنا إلى الوادي، فهبطا إلى الوادي فصرعه توبة ونضله وسبَقَهُ.

ومن شِعْره في ليلى قوله:

ألا إن أهوائي بليلى قديمة   وأقْتَلُ أهواءِ الرجال قَديمُها

وقوله:

ولو أن ليلى الأخيليةَ سلمت   عليَّ ودوني جندل وصفائحُ
لَسَلمت تسليم البشاشة أو زقا   إليها صَدًى من جانب القبر صائِحُ

وقوله:

أما والذي حَجَّ المُلَبُّون بيتَه   وعظَّم أيام الذبائح والنحر
لقد زادني للجفْر حبا وأهلِهِ   ليالٍ أقامتهن ليْلى على الجَفْرِ

ثم إن توبة حارَب بني عمه بني عوف بن عامر بن عقيل، وهو من بني خفاجة بن عامر بن عقيل، فاغار عليهم وقتل منهم. فخرجوا في طلبه فلحقوه وقد ارسل فرسه وهو راجل، فلما رآهم أراد فرسه فشردت عنه

فقتلوه. وفي ذلك تقول ليلى:

فإن تكن الـقَتْـلَى بواءً فإنكـــــم ... فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر[1]

فتى كان أحْيَى من فتاة بخِـــدرها ... وأشجـــعَ من ليث بخُفَّان خادرِ[2]

وأكثرت فيه المراثي، منها قولها:

أيا عـــين بَكِّي توبة بن حـمـيِّر ... بسَـــحٍّ كفيض الجدول المتفجـــر

كأن فتى الفتيان توبـــة لم يسـر ... بنجد ولم يركـــبْ مـــع المتغور

فيا تـــوب للمولى ويا توب للندى ... ويا تـــوب للمستنبح المتنـــور

ومنها قولها فيه من قصيدة:

معـــاذ إلهي كان وا لله توبـــةٌ ... جَـواداً على العِلاَّت جمٌّ نوائلُه

عفيفا بعيدَ الهم صلبا قناتـــه ... جميــــلا محياه قليلا غوائله

أغَرَّ خفاجيا[3] يـرى البخـل سبةً ... تحلَّبُ كفاه الندى وأناملـــــهْ

وكان إذا ما الضيف أرغى بعيره ... لديـــه أتاه نيلــه وفواضله

أتتـــه المنايا حين تَمَّ تَمَامُـــه ... وأقصرعنه كل قِـــرن يناضلهْ

وصار كليث الغاب يحمي عرينَه ... وترضى به أشبالُه وحلائلـــه

وقالت فيه أيضا:

جـزى ا لله خيرا والجزاءُ بفضله ... فتى من عُقيـل ساد غير مكلف

---

(1) بواء: (بالفتح والمدِّ) أي سواء، يقال: دم فلان بواء لدم فلان أي كفؤ له.

(2) أتتـه المنـايا دون درع حصينـــة ... وأسمـــر خَطيٍّ وجـرداء ضامـر

كأن فتى الفتيان توبـــة لم يُنـــخ ... قلائص يفحصْنَ الحصا بالكراكرِ ..إلخ.

(3) خفاجيا: أي منسوبا إلى خفاجة وهو من آباء توبة.

فتى كانت الدنيا تَهُونُ بأسرها عليه ولا ينفك جم التصرف[1]

وكانت ليلى مع شعرها ذات أدب وظَرافة وعلم بالأنساب، وكانت تفِدُ على الملوك. وفدت على معاوية ومدحته فأمر لها بخمسين بعيرا، ثم سألها عن مضر فقالتْ: فاخر بقريش وحارب بقيس وكاثر بتميم وناطق بأسدٍ. فقال: يا ليلى أكما يقول الناس كان توبة؟ فقالت: يا أمير المؤمنين ليس كلُّ ما يقول الناس في توبة حقًّا، الناس يحسدون أهلَ النعم حيث كانت وعلى من كانت؛ كان والله توبةُ سبطَ البنان حديد اللسان جميلَ المنظر عفيف المئزر، فقال: الناس يزعُمون أنه كان كذا وكذا، فقالت: **معاذ إلهي**.. ـ القصيدة ـ وأنشدتها إياه، فقال معاوية: قد جزت بتوبة قدره، فقالت: لَوْ رأيتَه يا أمير المؤمنين لعلمت أني قصرت في نعته.

---

(1) ولها فيه أيضا:

لعمرك ما بالموت عار على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المعايرُ
وما أحد حيا وإن عاش سالما بأخلد ممن غيبته المقابر
ومن كان مما أحدث الدهر جازعا فلا بد يوما أن يرى وهو صابر
وليس لذي عيش عن الموت مذهب وليس على الأيام والدهر غابر
فلا الحي مما يحدث الدهر مُعتَبٌ ولا الميت إن لم يصبر الحي ناشر
وكل شباب أو جديد إلى بلًى وكل امرئ يوما إلى الله صائر
وكل قرينيْ أُلفَةٍ لتفرقٍ شتاتا وإن ضنا وطال التعاشر
فلا يُبْعِدَنْكَ الله يا توبُ هالكا أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر
فآليت لا أنفك أبكيك ما دعت على فَنَنٍ ورقاءُ أو طار طائرُ ..إلخ.

ووفدت على عبد الملك، وقد أسنّت، فقال لها: ما رأى فيك توبةُ حين هوَاك؟ قالت: ما رآه الناس فيك حين ولّوك! فضحك عبد الملك حتّى بدت له سن سوداء كان يخفيها. وقال الشعبي لعبد الملك: إن شئت أضحكتك منها؛ فقال لها: ما لكم يا بني عامر لا تكتنون؟ ـ وكانوا يكسرون حرف المضارعة ـ فقالت: له أما نكتني؟ ـ فكسرت نون المضارع ـ فقال: ما فعلت، ولو فعلت لاغتسلت! فخجلت واستحيت.

ووفدت أيضا على الحجاج وامتدحته، فَأَحْسَن جائزتها ثم قال لها: أقسم عليك إلا صدقتني هل كانت بينك وبين توبة ريبة؟ فقالت: لا والله أيها الأمير، إلا أنا خلونا ذات ليلة فقال لي كلمة ظننت أنه خضع فيها لبعض الأمر، فقلت له:

وذي حاجةٍ قلنا له لا تبح بها　　فليس إليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه　　وأنت لأخرى صاحبٌ وحَليلُ

فلا والله ما سمعت منه ريبة بعد ذلك حتى مات.

ثم بعد هذا كله مرت بقبر توبة مع زوجها، فقال لها: هذا قبر توبة الكذاب الذي يقول: **ولو أن ليلى الأخيلية** ــ البيتين ــ أعزم عليك لَتُسَلِّمِنَّ عليه، فقالت: دعه عنك فإني لم أعرف فيه كذبة قط، وقيلَ إنها أرادت ذلك فنهاها زوجها فتقدمت وسلمت، فطار طائر من جانب القبر فنفر منه بعيرها فوقعت فاندقّتْ عنقها، فماتت من ساعتها ودفنت إلى

جانب قبر توبة[1].

انتهى الكلام على عُقيل وجعدة ابني كعب، فشرع يتكلم على قشير أخيهما فقال رحمه الله:

وَمِن قُشَيْرٍ الَّذِي أَلْفًا قَتَلْ   وَرِجْلُهُ عَن قَطْعِهَا إِذن ذَهَلْ

حَتَّى انتَهَى لأَهْلِهِ: حَيَّاسُ   وَكَانَ بِالْيَرْمُوكِ ذَا الْمِرَاسُ

ذهل عن الشيء (كمنع): نسيه لشغل. **وحياس**: هو ابن قيس بن الأعور، لم يذكره صاحب الإصابة في الصحابة. **واليرموك**: وادٍ بناحية الشام فيه الوقعة العظيمة بين المسلمين والروم، أميرها يزيدُ بن أبي سفيان واللواء عند أبيه، وفُقئت عينه الأخيرة يومئذ، ومات من الروم ما لا يحصى ولا يعد، واستشهد كثيرٌ من المسلمين. **والمراس**: القتال.

يعني أن من قشير **حياس** بن قيس، وتزعم النَّاسُ انه قتل ألفَ رجلٍ يوم

---

(1) ومن عُقيل أيضا مزاحم بن عمرو بن مرة بن الحارث العقيلي، وهو شاعر إسلامي بدوي فصيح كان في زمن الفرزدق وجرير. روي أن الفرزدق دخل يوما على عبد الملك بن مروان فقال له: أتعرف أحدا أشعر منك؟ قال: لا إلا ان غلاما من بني عقيل يركب أعجاز الإبل وينعت الفلوات فيجيد. ثم جاء جرير فسأله عن مثل ما سأل عنه الفرزدق، فأجابه بجوابه، فلم يلبث أن جاء ذو الرمة فقال له: أنت أشعر الناس؟ قال: لا، ولكن غلام من بني عُقيل يقال له مزاحم يسكن الروضات يقول وحشيا من الشعر لا يُقدر على مثله. ومن شعره:

وددت على ما كان من سَرَفِ الهوى   وغَيِّ الأماني أنَّ ما شئت يفعل

فترجع أيام تقضت ولذة   تولت وهل يثنى من الدهر أول

اليرموك وقطعت رجله و لم يشعر بها حتى قدم على أهله. وهو الذي يعني سواد بن أوفى بقوله:

ومنا ابن عتاب وناشد رجله ومنا الذي أدّى إلى الحيِّ حاجبا[1]

وقيلَ إنما كان ذلك بالقادسية، ويؤيده قول حياس:

أقدُم أخا سهم على الاساوره ولا تهولَنَّكَ رِجْل نادره
فإنما قصرك[2] **ترب الساهره ثم تعود بعدها في الحافره**
من بعد ما كنت عظاما ناخره

لأن الاساورة من الفُرس وهم أهل القادِسية، واليرموك أهله الروم.

وقشير ابناه سلمة الخير وسلمة الشر؛ فأما سلمة الخير فمن ولده الصحابي قرة بن هُبيرة بن عامر بن سلمة الخير، وفد على النبي ﷺ فأسلم وقال: الحمد لله يا رسول الله، إنا كنا نعبد آلهة لا تنفعنا ولا تضرنا، فقال ﷺ: «نعم ذا عقلا»[3]، فولاه صدقات قومه.

ومن قشير أيضا خالد وحرملة ابنا هوْذة بن ربيعة، وفدا أيضا على النبي ﷺ فَسُر بهما وأسلما، وهُما من المؤلفة قلوبهم. ومن خالد هذا ابنه العدَّاء بن خالد؛ اشترى من النبي ﷺ العَبْدَ أو الأمَة، وكتب له العهدة

---

(1) يعني به مالكا بن سلمة الخير بن قشير وكان قد أسر حاجبا بن زرارة يوم جبلة، وفي رواية: **ومنا الذي أردى من الموت حاجبا.**

(2) قصرك: أي قصارى أمرك، أي غايته ونهايته، وفي رواية "فإنما قصدك".

(3) ذكره ابن عبد البر في ***الاستيعاب*** والحافظ في ***الإصابة*** معزُوًّا إلى ابن أبي عاصم وابن شاهين بسند منقطع، ولفظه: «أفلح من رزق لُبًّا».

وأسلم[1].

ومنهم ضباعة بنت عامر بن قرط بن كعب بن قشير، أم سلمة بن هشام بن المغيرة، وله تقول:

لاهم رب الكعبة المحرمه أظهرْ على كل عدو سلمه

وهِي القائلة أيضا في جاهليتها:

واليوم يبدو بعضه أو كُلُّه وما بدا منه فلا أحِلُّه

ثم أسلمت وحسن إسلامها، وخطبها رسول الله ﷺ فأخبره أبو بكر أن بها كبرة فتركها.

ومنهم أيضا الولي المشهور أبو القاسم القشيري صاحب "الرسالة"[2].

لقي أبو القاسم أعرابيا فقال: ممن أنت؟ قال: من عقيل، فقال: من أيهم؟ فقال: من بني خفاجة، فقال القشيري:

رأيت شيخا من بني خفاجةْ

---

(1) بعد الفتح وحنين، وحسن إسلامه وروى أبو رجاء العطاردي عن العداء بن خالد قال: ألا أقرئك كتابا كتبه لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه مكتوب: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى العدَّاء بن خالد بن هوذة من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى منه عبدا ـ أو أمة (شك من راوي الحديث) ـ مبايعة المسلم ـ أو بيع المسلم ـ لا داء ولا غائلة ولا خبثة» قال الأصمعي: سألت سعيد بن أبي عروبة عن الغائلة؟ فقال: الإباق والسرقة والزنا، وسألته عن الخبثة؟ فقال: بيع أهل عهد المسلمين ـ [الاستيعاب].

(2) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري مؤلف الرسالة القشيرية في علم التصوف، ألّفها سنة:437 هـ.

فقال الخفاجي: ما شأنه؟ قال:

له إذا جَنَّ الظـــــلام حاجـةْ

قال: وما هي؟ قال:

كحاجـــة الديك إلى الدجاجةْ

فاستغفر الخفاجي وتاب وقال: سبحان الله ما أعرفك بسرائر الناس!.

ومنهم الشيخ تقـي الدين ابـن دقيـق العيـد العـالم الكبـير، القـائل: مـا تكلمت بكلمة ولا فعلت فعلا إلا أعددت لذلك جوابا بين يدي الله[1].

ومن بني كعب بنو العجلان، ولم يتكلـم فيهـم النـاظم رحمـه الله بغـير

(1) وكان ابن دقيق العيد هذا عالما ورعا زاهدا جمع بين مذهبي مالك والشافعي وكان مفتيا فيهما وكان من أبرز علماء عصره في مصر ورحلت إليه الطلبة من الآفاق وولي قضاء الديار المصرية، وكان يجيد الشعر، ومن شعره:

تمنيت أن الشيب عاجَلَ لِمَّتي	**وقـرب مني في صِباي مَـزارَه**
لآخذ من عصر الشباب نشاطَه	**وآخذ من عصر المشيب وقَارَه**

ومنه:

قالـوا فـلان عالم فاضـل	**فأكرمُـوه مثـل ما يرتضى**
فقلـت لما لم يكـن ذا تُـقًى	**تعارض المانـع والمقتـضى**

ومنه:

أتعبـت نفسـك بين ذلـة كادح	**طلـب الحياة وبين حِـرْصِ مؤمل**
وأضعت نفسك لا خـلاعـة ماجنٍ	**حصَّلـت فيـه ولا وقار مبجـل**
وتركـت حظ النفس في الدنيا وفي الـ	**ـأخرى ورحـت عـن الجميع بمعـزل**

وله عدة مؤلفات.

ذكرهم. وهم الذين هجاهم الحطيئة بقوله:

إذا غضـــب الإلــه على أناس ... الخ.

وقال فيهم أيضا:

وما سمي العجـــلان إلا لقـــولهم خذ القعبَ واحلب أيها العبد واعجل

فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب، فاستنشدهم شعره فيهم فقالوا: قال:

إذا الله عادى أهـــل لؤم وذلـــة فعادى بـني العجلان رهطَ بن مقبل

فقال عمر: إنما دعا عليكم بقوله فعادى ولعله لا يجاب، قالوا: فقال:

قُبَيِّلَـــةٌ لا يخفـــرون بـــذمـــة ولا يظلمـــون الناس حبة خردل

فقال: وددت لو أن آل الخطاب كانوا كذلك، قالوا: قال:

ولا يـــردون الماء إلا عشـــية إذا صـــدر الوراد عن كل منهل[1]

فقال: ذلك أصفى للماء، فقالوا: اسأل حسان؛ فأرسل إلى حسان فسأله هل هذا هجاءٌ؟ فقال حسان: ما هجاهم ولكن سلح عليهم!.

---

(1) بعده:

تعاف الكـــلاب الضاريات لحومَهم وتأكـــل مـن كعـب بن عوف ونهشل

وما سمي العجـــــلان إلا لقـــولهم خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

وابن مقبل المذكور في هذا الشعر هو تميم بن مقبل العجلاني شاعر مشهور، وكان بنو العجلان هؤلاء يقولون ان أباهم لقب العجلان لتعجيله قرى الضيوف وكانوا يفتخرون بهذه النسبة ويتبجحون بهذا اللقب إلى أن هجاهم الحطيئة بهذا الشعر فاتضعوا بعد رفعتهم وذلوا بعد عزتهم حتى صاروا يفرون من الانتساب إلى العجلان وجعل أحدهم إذا سئل عن نسبه يقول كعبي مخافة أن يسخر منه.

فحبسه عمر، ثم كتب إليه يستعطفه[1]:

باسم الذي أنزلت من عنده السور والحمد لله، أما بعد يا عمر
ما ذا تقول لأفراخٍ بذي مرخ حمر الحواصل لا ماء ولا شجرُ
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ فامنن عليك سلام الله يا عمر

فأخرجه عمر وحلّفه أن لا يهجوَ أحدا بعد ذلك.

ومنهم زيدُ بن أسلم، الصحابي البدري حليف بني عمرو بن عوف. ومنهم تميم بن مقبل الشاعر.

نسب بني هلال

مِنْ عَامِرٍ أَيْضًا بَنُو هِلَالِ أَصْهَارُ خَيْرِ الْخَلْقِ أَهْلُ الْمَالِ
سِتُّونَ أَلْفَ نَاقَةٍ لِلْوَاحِدِ مِنْهُمْ وَكَهْمَسُ مِنَ الأَمَاجِدِ

كهمسٌ: هو ابن معاوية بن أبي ربيعة الهلالي، قدم على النبي ﷺ فأسلم، وغاب عنه سنة فأتاه وقد ضعُف ونَحَل فقال: يا رسول الله أما تعرفني؟ قال: «من أنت»؟ قال: كهمس بن معاوية، ما نمت بعدك ليلا ولا أفطرت نهارا، قال: «صم شهر الصبر ويوما من كل شهر»، قال: أقدِر على أكثر من ذلك، قال: «صُمْ يومين من كل شهر» قال: أقدِر على أكثر من ذلك، قال: «صُم ثلاثة من كل شهر»[2].

---

(1) سيأتي تصويب المؤلف لنفسه بأن هذا إنما كان في هجو الحطيئة للزبرقان ـ الآتي ذكره ـ وأن الشاعر الذي هجا بني العجلان هو النجاشي - (انظر الصفحة 402).

(2) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه والإمام أحمد.

ومنهم حميدُ بن ثور[1] الهلالي وهو القائل:

أصبح قلبي من سليمى معمدا   إن خطأ منه وإن تعمدا
حتى أرانا ربنا محمدا   يتلو من الله كتابا مُرشدا
فلم نكذب وخررنا سجدا   نعطي الزكاةَ ونقيمُ المسجدا

قوله: **من الأماجد**: لمصاهرة النبي ﷺ. وقوله: **ستُّونَ ألف ناقة**..إلخ: ذلك خاص بقبيلة منهم يقال لها بَنُو رياح، وهو غير صحيح عند اليدالي[2]؛ وعلى تقدير صحَّتِهِ فإنما كان ذلك في آخر الزمان.

أَصْهَارُ هِندَ بِنتِ عَوفِ الْفُضَلاَ   نَبِيُّنَا بِزَيْنَبٍ ثُمَّ عَلَى
مَيْمُونَةٍ بِنتَيْ بَنِي هِلاَلِ   فَعَمُّهُ الْعَبَّاسُ قُطْبُ الآلِ
عَلَى لُبَابَةَ وَأُخْتُ هَذِهِ   وَتِلْكَ أَيْضًا أُمُّ خَالِدٍ وَهِي
لُبَابَةُ الصُّغْرَى وَأُمُّ الفَضْلِ   لُبَابَةُ الكُبْرَى فَخُذْ عَن نَّقْلِي

لما أنهى الناظم رحمه الله الكلام على بني كلاب وبني كعب، الأمجدَيْن عند العرب؛ ولا يبالون بغيرهما من بني عامر، كما قال دريد بن الصمة:

---

(1) ابن حزن بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن نهيك بن هلال.

(2) يعني محمد اليدالي بن المختار بن محمد سعيد الديماني المتوفى سنة 1166هـ، صاحب التصانيف الجزيلة والتآليف المفيدة، ولعله يشير هنا إلى ما ذكره في كتابه *الحلة السيرا في أنساب العرب وسيرة خير الورى*، ونصه: "ومن بني هلال بنو رياح كانوا أهل إبل يكون للرجل منهم نحو ستين ألف بعير؛ قال صاحب *مسالك الأبصار*: حدثني بذلك الشيخ أبو يحيى المغربي الإمام بالقصر الشريف السلطاني"، ثم قال: "والعهدة عليه في ذلك" - [اهـ منه].

"لو كان يوم جد لما غابت عنه كعب وكلاب"، وكما قال جرير:

... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

شرع يتكلم على غيرهما من بني عامر، فبدأ ببني هلال، فاستعجله - عن ذكر غيرِ كهمس ومدحهم - الطربُ إلى استطراد هؤلاء الأصهار الفضلاء، لأن منهم النبي ﷺ مرتين وفضلاء الصحابة؛ ونزههم عن أن يذكر معهم الوليد بن المغيرة - وإن كان له شرف في الدنيا - فاستلزم ذكره بذكر خالد.

وهند بنت عوف حميرية، وقيل أسدية، ويضرب المثل بها بكرم الأصهار؛ يقولون: أكرم عجوز في العرب أصهارا. وإنما ذكرهم هنا لأن بناتها من بني هلال، سوى الخثعميتين أسماء وسلمى بنتي عميس. **وزينب** بنت خزيمة[1] أمُّ المساكين، سميت بذلك لشفقتها وكثرة صدقتها على المساكين؛ كانت عند عبيدة بن الحارث بن المطلب فطلقها فتزوجها أخوه الطفيلُ فطلقها فتزوجها عبدُ الله بن جحش، واستُشهد عنها بأحد. فلما حلت تزوجها رسول الله ﷺ ومكثت عنده شهرين أو ثلاثة فتوفيت رضي الله عنها.

وقوله: **ثم علَى**: يحتمل أنه فعل ماض ناصب للفظ **ميمونة** على المفعولية؛ لأنهم يقولون فلانة تحت فلان إذا كانت زوجته، ويحتمل أنه حرفُ جر، أي ثم صاهرها بعد زينب **على ميمونة**؛ وهي بنت الحارث بن

---

(1) زينب أم المؤمنين هذه بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وفي هلالٍ تلتقي بأختها من الأم ميمونة بنت الحارث الهلالية.

حزن بن بجير بن هُزَم بن رُوَيْبَة بن عبد الله بن هلال، وهي آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ من نسائه؛ تزوجها في عمرة القضاء؛ قيل معتمرا، وهو المشهور، وذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم، وعند الشافعي تزوجها بعد ما حل. قال له العباس: يا ابن أخي هذه ميمونة بنت الحارث تأيمت من أبي رُهم بن عبد العزى، من أمرها كيت وكيت.. فتزوجْها فإنها تليق بك. فخطبها، ويقال إن الخاطب وجدها راكبة فقالت: البعيرُ وما عليه لرسول الله ﷺ ؛ فسقطت عن البعير فرحا. فجعلت أمرها إلى العباس فزوجها منه، فلما قالت قريش لرسول الله ﷺ اخرج عنا وعن أرضنا فقد تم الأجل بيننا وبينك ـ وهو ثلاثةُ ايام تصالحوا عليها عام أول في صلح الحديبية ـ قال لهم: «دعوني أقيم عندكم أُولمُ على عرسي وأطعمكم»[1]، قالوا: لا حاجة لنا إلى طعامك فاخرج عنا بطعامك وعرسك. فخرج حتى كان بسرف (ككتف) وهو قريب من التنعيم ـ وهو أقرب مواضع الحل ـ أعرس بها عنده وكان به قبرُها بعد ذلك؛ وذلك أنها قدمت مكة للحج فمرضت وأقام عليها الناس ينتظرون وفاتها، فأفاقت وقالت: احملوني فقد كنت أسمع من رسول الله ﷺ أني لا أموت بمكة، فحملوها فماتت عنده ودفنت في الموضع الذي أعرس بها فيه رسول الله ﷺ. وهي بنت خال أبي سفيان بن حرب، لأن أبا سفيان أمه صفية بنت حزن، كما في الروض الأنف وغيره. وفيه أن ميمونة وزينب بنتا

(1) ذكره ابن كثير وابن سعد و*زاد المعاد* ونحوه في سيرة ابن هشام.

عم، وخالف في ذلك الشيخ اليدالي فلم يلاقهما إلا في هلال.

وقوله: **قطب الآل**: يعني آل النبي ﷺ، وهم مُؤمنُو بني هاشم. **والقطب**: عود الرحى الذي تدور عليه، ونجْم يهتدى به إلى القبلة، وسيد القوم؛ يعني أن العباس سيد مؤمني بني هاشم.

يعني أن العباس صاهر هندَ بنت عوف على لُبابة، كما صاهرها رسول الله ﷺ على زينب وميمونة بنتَيْ بني هلال.

قوله: **وأخت هذه وتلك أيضا**: يعني بالإشارة القريبة لبابة الكبرى، زوج العباس، وبالإشارة البعيدة ـ وهي **تلك** ـ ميمونة.

يعني أن أم خالد بن الوليد شقيقة ميمونة ـ أم المؤمنين ـ ولبابة زوج العباس. ثم قال: **وهي لبابة الصُّغرى**، يعني أم خالد، **والكبرى** وهي زوج العباس، **أم الفضل** وإخوته: عبد الله وعبيد الله وقثم وعبد الرحمن ومعبد وأم حبيب. قوله: **فخذ عن نقل**: نَبَّه به على القول بأصغرية أم الفضل وأكبرية أم خالد وعلى ضُعفه.

وجَعْفَرُ العَتِيقُ حَيْدَرَتُهُمْ أَسْمَاءُ أَيْ بِنْتُ عُمَيْسٍ زوْجُهُمْ

يعني أن جعفرا وعليا ابني أبي طالب، وأبا بكر رضي الله عنهم أصهارٌ لهند بنت عوف على أسماء بنت عميس الخثعمية. أما جعفر فتزوجها قبل وهاجر بها إلى الحبشة الهجرة الثانية، ومعه اثنان وثلاثون رجلا واثنتا عشرة امرأة، وجعفر سيدُهم وخطيبهم عند النجاشي؛ فلم يزالوا يرجعون إلى أن بقي جعفر ورهط معه قليل. ثم كتب النبي ﷺ كتابا مع يعلى بن

أمية إلى النجاشي أن يقدم عليه جعفرا ورهطه وأن يزوجه أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، ففعل. ووافوا النبي ﷺ بخيبر قد افتتحها فقال: «لا أدري أي الفرحتين أشد: فتح خيبر أمْ قدوم جعفر» ، فعانقه النبي ﷺ حين قدم عليه[1]، (وذلك قول سفيان الثوري لمالك: عانَق من هو خير منك من هو خير مني).

وولدت أسماء لجعفر بالحبشة بنيه الثلاثة: محمدا وعونا وعبد الله، وهو أكبرُهم؛ ويوم ولد عبد الله ولد للنجاشي ولد فسماه عبد الله - باسم ابن جعفر - وأرضعته أسماء وأرضعت عبدَ الله بن جعفر امرأة النجاشي، وكانا يتواصلان بهذه الرضاعة.

فلما استشهد جعفر بمؤتة قال لها النبي ﷺ: «تسلبي ثلاثا فأخبريني»[2]. ثم لم يُقدَّر تزويج النبي ﷺ لأسماء، لكن كانت من خاصته

---

(1) رواه الطبراني في الكبير والصغير.

(2) وفي رواية: "تسلبي ثلاثا ثم اصنعي بعدُ ما شئت" رواه الإمام أحمد وصححه ابن حبان. ومعنى تسلبي: أي البسي ثياب الحداد السود، وتسلبت المرأة: لبست السِّلاب وهي ثياب المأتم السود، قال لبيد:

يخمشن حُرَّ أوجه صحاح ... في السُّلُبِ السود وفي الأمساح

وفي الحديث: أن بنت أبي سلمة تسلّبت على حمزة ثلاثة أيام فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرها أن تسرح شعرها وتكتحل.

وكانت أسماء هذه قديمة الإسلام، أسلمت قبل دخول دار الأرقم وبايعت وروت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنها جماعة منهم ابنها عبد الله بن جعفر وحفيدها القاسم بن محمد بن أبي بكر وابن عباس رضي الله تعالى عنهم.

تدخل عليه وتخرج، وباشرت لدَّهُ في مرضه ولَمَسَت عند موته موضع الخاتم تختبر به موته؛ وانظر: هل ذلك لمكان أختها ميمونة فيكون فيه متعلَّق لمن يرى ذلك، أو خصوصية؟[1].

ثم تزوجها أبو بكر بعد جعفر وولدت له محمَّدا، ولدته بذي الحليفة حين أحرم النبي ﷺ والنَّاس بحَجَّةِ الوداع، فمنعها النِّفاس من الطواف، كما منع الحيض عائشة منه في تلك الحجة[2]. ثم تزوجها علي بعد أبي

(1) قوله: وانظر هل ذلك: أي ما ذكر من دخولها عليه ومبشارتها لدَّه ولمسها موضع الخاتم منه، لمكان أختها أمنا ميمونة فتكون كالمحرم. وقوله: فيكون فيه متعلَّق (بصيغة اسم المفعول): أي مستند ودليل لمن يرى - أي من العلماء - أن من يحرم جمعها مع الزوجة، كأختها، حكمه حكم المحرم الذي تدوم محرميته أو هو خصوصية له صلى الله عليه وسلم دون غيره. وقد روي أن الذي لمس موضع الخاتم منه هو أمنا عائشة رضي الله عنها؛ ففي تعليق عبد المعطي على *دلائل النبوءة* للبيهقي (ج1/ص:260) عن عائشة - في صفة خاتم النبوة - قالت: كتينة صغيرة تضربُ إلى الدهمة وكانت مما يلي القفا، قالت: "فلمسته حين توفي فوجدته قد رفع". والله أعلم.

(2) عن عائشة رضي الله عنها قالت: نُفِسَتْ أسماء بنت عميس بمحمد بن أبي بكر بالشجرة (أي بذي الحليفة، وكانت هناك شجرة) فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن تغتسل فتهلَّ - [رواه أبو داود]. وفي رواية: فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يأمرها أن تغتسل وتهل بالحج وتصنع ما يصنع الناس إلا أنها لا تطوف بالبيت. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الحائض والنفساء إذا أتتا على الوقت تغتسلان وتحرمان وتقضيان المناسك كلها غير الطواف بالبيت». رواه أبو داود. وإنما أمرت بالاغتسال للإحرام لأنه إما تعبدي أو هو للنظافة، فهو كوضوء الجنب لا يؤثر في الحدث ولا يفيد طهارة - [انظر شرح النسائي].

بكر[1]، فولدت له يحيى - ومات صغيرا - قيل ويزيد.

وَأُخْتُهَا بِنتُ عُمَيْسٍ سَلْمَى بِحَمْزَةٍ عَمِّ النَّبِيِّ تُسْمَى

وأختها: أي أسماء[2]. **وتُسْمَى:** أي تُعْلَى، من السمو وهو العلو[3]. يعني أن من أصهار هند بنت عوف سيدَنَا حمزة رضي الله عنه، إذ تعلو بتزويجه بنتها سلمى بنت عميس؛ وهي أم ابنه يعلى وبناته، واختلف في عمارة هل هو ابن - كما ذكر صاحب **الإصابة** - أو هي بنت كما قال السهيلي في **الروض الأنف**، وذكر لها حديثا في الميراث بالعتق. وقد استوفينا ذلك في **شرح الغزوات** في الكلام على حمزة رضي الله عنه.

وَمِنْهُمُ ابنُ جَحْشٍ الْمُجَدَّعُ بِزَيْنَبٍ قَبْلَ النَّبِيِّ يُمْتَعُ

أي ومن أصهارها عبد الله بن جحش، كما قدمنا تزويجه **بزينب قبل النبي**ﷺ وبعد ابني الحارث بن المطلب. **والمجدع:** سيدنا عبد الله بن جحش، جدع في الله يوم قَتْلِه بأحد؛ وإنما سمي "المجدع" بعد موته، لكن

---

(1) وهي التي غسلت أبا بكر الصديق رضي الله عنه بوصية منه، ويحكى أنها بعد ما تزوجها علي تَفاخَر ابناها محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر، فقال كل منهما للآخر: أنا أكرم منك أبا، فقال لها علي: اقضي بينهما، قالت: ما رأيت شابا خيرا من جعفر ولا كهلا خيرا من أبي بكر، فقال لها علي: فما أبقيت لنا؟.

(2) أي لأب وأم، فهما بنتا عميس بن معْد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب بن شهران بن عفرس بن خلف ابن افتل وهو خثعم بن أنمار.

(3) من أسماه - الرباعي - أي أعلاه.

صارت له علما؛ لأن المشركين مثلوا به: جدعوا أنفه وأذنيه؛ لأنه دعا الله قبل ذلك أن يفعله به أسد من آساد المشركين، ليسأله الله يوم القيامة: من فعل بك هذا؟ فيقول: فلان، فيقول الله: فيم؟ فيقول: فيك؛ فسأل سعدَ بنَ أبي وقاص أن يؤَمِّن على دعائه وأَلَحَّ عليه فأمَّن سعد.

وأم عبد الله بن جحش: أميمة بنت عبد المطلب، وهو من المهاجرين الأولين؛ أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهو أولُ من بعثه النبي ﷺ في سرية وأوَّل من خمَّسَ الغنيمةَ في سبيل الله ثم نزلت: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾الآية[1]، ودفن هو وحمزة في قبر واحد.

وآل جحش حلفاء بني عبد شمس. **ويمتع**: أي يتمتع.

ولم يذكر الناظم من الأصهار الكرام ابني الحارث على زينب، كما قدمنا.

ولما أنهى الكلام على بني هلال واستطرد ذكر الأصهار، شرع يتكلم على بني نمير فقال رحمه الله:

نُمَيْـــرُ الَّذِي الهِجَاءُ وَضَعَهْ   نُمَيْرُ ابْنُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَـهْ

مِنْهُمْ جِرَانُ الْعَوْدِ والرَّاعِي الَّذِي   جَرَّ لَهُمْ هَجْـوَ جَرِيرٍ الْبَذِي

جران البعير: جلد مقدم عنقه من منحره إلى مذبحه. **والعَود**: المسن من الإبل. **والهجو**: الكلام القبيح. **والبذي**: الفاحش.

---

(1) الأنفال: 41.

هجاء جرير الذي وضع بني نمير

يعني أن من بني عامر بن صعصعة بني نمير بن عامر بن صعصعة الذين وضعهم الهجاء، بعد أن كانوا يعدون من جمرات العرب الثلاث، وأن منهم عامر بن الحارث بن كلفة النميري؛ وكان شاعرا[1] إسلاميا غلب عليه لقبه **جِران العَوْد**، ولقب به لقوله:

خُـذا حـذراً يا جَارَتيَّ فإنـني ... رأيت جـران العَوْد قد كاد يصْلُح

يخاطب امرأتيه ويهددهما بالضرب بالحبل من جران العود. **والراعي** شاعرُ بني نمير، واسمه عبيد بن حصين[2]، ولقب الراعي لقوله يصف إبلا وراعيَها:

لها أمرُها حـتى إذا ما تبوأت ... بأخفافها مرعىً تبوأ مَضْجَعَا

فقالت العرب: ما هذا إلا راع! وقيل بل لقب به لقوله:

تركت ضأني تود الذئب راعِيَهَا ... وانها لا تـراني آخر الأبدِ

الذئب يطرقُها في الدهر واحدةً ... وكل يوم تراني مُدية بيـدي

---

(1) جيد الشعر حسن التشبيه فصيح العبارة لطيف المعاني، وكان هو وعروة بن عتبة بن الرحال العامري متصادقين فتزوج كل واحد منهما، فلقي كل منهما ما يكره فأنشد كل واحد منهما قصيدة يذكر ما لقيه من امرأته، وكانت قصيدة جران العود أجود سبكا وأحسن لفظا من قصيدة عروة. ومما قاله جران العود يخاطب امرأتيه:

لقد كان لي عـن ضَرَّتين عَدمْتُني ... وعـمَّا ألاقي منهما مُتزحـزح

ألاقي الخـنى والبرح من أم جابر ... وما كنـت ألقى مـن بثينة أبرح

خذا حـذرًا يا جـارتـي فإنني ... ..إلخ.

(2) ابن معاوية، ينتهي نسبه إلى نمير بن عامر بن صعصعة، وغلب عليه لقبه "الراعي" لكثرة وصفه للإبل ونعته إياها وإصابته في ذلك.

وهو شاعر محسن، لكن لما هاجى جريرا هجاه وهجا قومه بقصيدة طويلة ذات حسن وفحش كلام، وتلقتها العرب بالقَبُول، وأوَّلُها:

أقـلّي اللـوم عـاذلُ والعتابا | وقـولي إن أصبتُ: لقد أصابا

ومنها ـ وهو الواضع لنمير ـ:

فغُضَّ الطـرْفَ إنك من نمير | فلا كعبا بلغـت ولا كـلابا

فلو وُضعت شيـوخُ بني نمير | على الميزان ما عـدلت ذبابا

وكانت بنو نمير قبل هذا البيت ينتسبون إلى نمير، ويفخمون كلامهم عند ذكر نمير افتخارا به؛ لأنهم كانوا يعدون من جمرات العرب، ثم صاروا بعد ذلك لا ينتسبون إلا إلى بني عامر؛ فإذا سئل أحدهم: ممن أنت؟ يقول: عامري. وقدم على الحجاج ـ أو غيره من الأمراء[1] ـ أسارى من بني نمير، فسمع أحدهم آخر الليل يترنَّم ويقول، وقد لاحت بروق:

ألا يا سنى برق على قُلَلِ الحِمَى | لَهِنَّـك من بـرق علي كريم

لمعت اغتذاءَ الطير والقومُ هُجَّع | فهيجـت أحزانا وأنت سليم

فبـت مُجِدَّ المرفقـين أشيمُه | كأني لـبرق بالنسار حـميم

فهل من معير طرف عين خلية | فإنسان عين العامـري كليم[2]

فلما سمع الأمير الأبيات أطلقه.

وأرسل يوما رجل من باهلة عبدَه وارداً على ماء عليه نمير، وقال له:

---

(1) وقيل إن صاحب الأسرى بُغَا التركي.

(2) رمى طرفَـه الـبرقُ الهلاليُّ رمية | بِذِكْـر الحِمَى وَهْناً فبات يهيم

إن منعوك الماء فأنشدهم هذا البيت: **فغض الطرف**..إلخ، فجاء العبد ـ ونسي البيت ـ فقال لهم: "غمض طرفك وإلا جاءك ما تكره"، فتفاسحوا عنه.

ومرت امرأة يوما بملأ منهم، فجعلوا ينظرون إليها ويتكلمون فيها، فقالت: يا بني نمير والله ما أراكم امتثلتم واحدة من اثنتين: لا قول الله تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾[1]، ولا قول جرير: **فغض الطرف إنك من نمير**.. فخَجِلُوا وكفوا عنها.

ومن قصيدة جرير، يذكر أم الراعي، قوله:

ترى برصا بمجمع اسكتيها ... كعنفقة الفرزدق حين شابا

يحكى أنه لما قال أول البيت غطى الفرزدق عنفقته، وكان حاضرا؛ فخرج وهو يقول: اللهم اخزه، يعني جريرا. ومما أجابه به الراعي قوله:

نمير جمرة العرب التي لم ... تزل في الحرب تلتهب التهابا

ولولا أن يقال هجا نميرا ... ولم نَسمع لشاعرهم جوابا

رغبنا عن هجاء بني كليب ... وكيف يشاتم الناسُ الكلابا![2]

---

(1) النور: 30.

(2) فما ضر ذلك كليبا ولا جريرا ولا نفع نميرا ولا الراعي. وكان سبب هجاء جرير للراعي وقبيلته أن الراعي كان يقضي للفرزدق على جرير ويفضله عليه، ومن ذلك قوله من قصيدة:

يا صاحبيّ دنا الرواح فسيرا ... غلب الفرزدق في الهجاء جريرا

فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال: ألا تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق علي وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم؟ ثم خرج ذات يوم يريد لقاء الراعي، وكان للراعي والفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها؛ فلقيه

<<=

وكان جرير يسمي قصيدتَه هذه "الدامغةَ"، ويقول: قد والله أخزيتهم لآخر الدهر!.

ومن نمير قيسُ بن عاصم بن أسيد الصحابي وفد على النبي ﷺ، وله يقول الشاعر:

إليك ابن خير الناس قيس بن عاصم جشمت من الأمر العظيم المجاشما

ومن بني عامر أيضا بنو سُواءة (كخُرافة) بن عامر بن صعصعة؛ منهم جابر بن سَمُرة بن عمرو بن جندب بن حجير بن سُواءة، راوي حديث

منصرفا من ذلك المجلس على بغلة له وخلفه ابنه جندل على مهر له، فاستقبله جرير وقال له: مرحبا بك يا أبا جندل، ثم قال له: يا أبا جندل إن قولك ليستمع وإنك لتفضل علي الفرزدق تفضيلا قبيحا وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم، وهو ابن عمي دونك ويكفيك من ذلك إذا ذكرنا أن تقول كلاهما شاعر كريم ولا تتحمل مني ولا منه لائمة. فلم يرد عليه، فلحق ابنه جندل فضرب عجز بغلته وقال: ما لي أراك واقفا على كلب من بني كليب كأنك تخشى منه شرا أو ترجو منه خيرا، وأنشد يقول:

ألم تر أن كلب بني كليب أراد حياض دجلة ثم هابا

ومضيا على وجهتهما. وانصرف جرير مغضبا، فقال قصيدته الفاضحة لبني نمير، فكانت من بحر البيت المذكور وعلى رويِّه. فلما أصبح سار بها، وقد أخذ الناس مجالسهم بالمربد؛ وكان يعرف مجلس الراعي والفرزدق حتى إذا كان بموقع السلام منهم اندفع في القصيدة، فلما أنشدها نكس الفرزدق رأسه وأطرق الراعي؛ فلو انشقت له الأرض لساخ فيها. فلما فرغ جرير منها وثب الراعي وركب بغلته وتفرق أهل المجلس، ومر الراعي بأصحابه وقال لهم: ركابكم فليس لكم هنا مقر فضحكم جرير، فترحلوا، فما وصلوا أهلهم حتى وجدوا فيهم قول جرير: **فغض الطرف**..إلخ يتناشده الناس فقال الراعي: والله ما بلغه إنسي ولكنه كان لجرير أشياعه من الجن، فتشاءمت بنو نمير بالراعي وسبوا ابنه وطردوه، وندم الراعي على إساءته، حتى ان بني نمير زعموا أنه مات قبل انقضاء السنة كمدا.

تربع النبي ﷺ وغيره؛ وكان من المكثرين من الحديث، أمه خالدة بنت أبي وقاص، أخت سعد صحابية أسلمت وهاجرت، وأبوه سَمُرة حليف بني زُهرة صحابي يروي عن النبي ﷺ: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»[1]. ومنهم أيضا مسلم بن جنادة بن جندب صحابي أيضا.

ومن سواءة أيضا أبو جحيفة وهب بن عبد الله بن قارب، توفي النبي ﷺ وهو مراهق بعد أن رأى وسمع، قال: رأيت النبي ﷺ وهذه منه بيضاء، وأشار إلى عنفقته. وشهد مشاهد عليٍّ كلها وولي له بيت المال. وهو آخر الصحابة موتا بالكوفة، وقيل عبد الله بن أبي أوفى الأسلُمي وهو الأصح.

ومن عامر أيضا بنو البكاء، واسمُه ربيعة بن عامر بن صعصعة؛ منهم بشر بن معاوية، وفد على النبي ﷺ فأسلم ومسح برأسه ودعا له، وفي ذلك يقول ابنه محمد بن بشر:

وأنا ابن من مسح النبي برأسه ... ودعا له بالخير والبركات

ومنهم صيداء التي شبَّب بها ذُو الرمة بقوله:

أمِن دمنة جرَّت بها ذيلَها الصبا ... لصَيْداءَ مهلا ماءُ عينيك سافح

لعمرك ما أشوانيَ البَيْنُ إذ غدا ... لصيْداء مجذوذ من الوصل جامح

أصيداءُ هل قيظ الرمادة راجع ... لياليه أو أيامهن الصوالح؟

(القصيدة).

ومن صعصعة أيضا بنو سلول، وهم بنو مرة بن صعصعة؛ عرفوا بأمِّهم

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

سلول بنت ذُهل بن شيبان، منهم حبشي بن جنادة الصحـابي؛ يكنـى *أبا الجنوب*. ومنهم قردة (بالتحريك) بن نفاثة الصحابي أيضا؛ قدم على النبـي ﷺ في وفد سلول فأسلموا وأمَّره عليهم. وعاش مائة وخمسين سنة وهو القائل:

أصبحتُ شيخاً أرى الشخصيْن أربعةً والواحدَ اثنين لَمَّا بُورك البصـرُ![1]

هنا انتهى الكلامُ على هوازن ـ غير ثقيف ـ ثـم شـرع يتكلـم عليهـم، فقال رحمه الله وعفا عنه:

نسب ثقيف

وَمِــن مُنَبِّــهٍ ثَقِيــفُ الْهَازِلُ أَحْلاَفُــهُ بِالْمُصْطَفَى والْقَاتِلُ
رَسُولَــهُ يَدْعُو إِلَى الإِسْــلاَمِ وَهْــوَ عَظِيــمُ قَرْيَــةِ اللِّئَامِ

يعني أن منبِّهَ بن بكر بن هوازن ابنه ثقيف[2]، واسمـه قَسِي (سمي قَسِيا لقساوة قلبه، لأنه قتل أخاه وعمـه[3])، وعمـد إلى الطَّـائف فـتزوج زينـب

---

(1) وبعده: وكنت أمشي على الساقين معتدلا فصرت أمشي على ما تنبت الشجر

(2) وأم ثقيف هذا أميمة بنت سعد بـن هذيـل بـن مدركـة، وكـان لثقيـف مـن الولـد: جشـم وناصرة وعوف، واشتهر بنوه (القبيلة) باسمه.

(3) وقيل لأنه مر على أبي رغـال، وكـان مصدقـا، فقتلـه فقيـل قسـا قلبـه؛ فلقـب قَسِيا، قـال شاعرهم:

نحن قـسِي وقــسَى أبــونا

ويقال قسا قلبه قسوة وقساوة وقساء: صلـب وغلـظ فهـو قـاس، وفي الذكـر: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ ـ (البقرة:74).

بنت عامر بن الظرب، فقالوا ما أثقفَهُ إذ تزوج بنت عامر بن الظرب.

والطائف مدينة على مرحلتين من مكة، وهي من أرض نجد؛ وهي مصدر قوت أهل مكة، وأهلها ثقيف. وهي إحدى القريتين في قوله تعالى ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[1]، وكان ثقيفُ يزعمون تكافُؤَ قريش يصاهرونَهُم. وتقول العرب إنهم من بقايا ثمود، جدهم أبو رغال منعه الحرم من العذاب؛ وكان الحجاج يقول: كذبوا لأن الله تعالى يقول ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾[2]. وقيل [هم] موال لهوازن، وقيل من إياد، قال الفرزدق:

ولولا بنو مروان كان ابنُ يوسف … كما كان عبدا من عبيد إياد

وهُم قبيلتان: الأحلافُ وبنو مالك.

ويعني أيضا أن الأحلاف منهم هم الذين هزلوا بالنبي ﷺ إذ جاءهم يدعوهم إلى الإسلام ويَسْتنصرهم ويستجير بهم من العرب حتى يُبلغ الرِّسَالة ـ كما فعلت الأنصار ـ فردوا عليه أقبح الرد، إذ قال له أحدهم: ما كان الله ليرسلك، وقال الثاني: أما وجد الله من يرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله لا أكلمك؛ إن كنت نبيا فأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك وإن كنت كاذبا فلا ينبغي لي أن أكلمك. فقال صلى الله عليه

(1) الزخرف: 31.

(2) النجم: 51.

وسلم: «أما إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني»[1]، وكره صلى ا لله عليه وسلم أن يبلغ قومه ذلك؛ فأبوا وأغروا به سفهاءَهم يرمونه بالحِجَارة، ومعه زيد بن حارثة يقيه الحجارة، فكلما أذلقوه بالحجارة جلس فيأخذون عضديه فيقيمونه.. حتى دميت قدمه، وشُج زيد. وبهذا فسر قول البوصيري:

دميت في الوغى لِتُكْسب طيبا ما أراقت من الدم الشهداءُ

لأن قدمه صلى ا لله عليه وسلم لم تدم في الحرب قط غير هذا؛ ورد على قائل هذا بأنه قال في الوغى وليس هنا جهاد، فقال بل فيه جهاد لأن زيدا جاهد عنه.

وهذا هو يوم *قرن الثعالب* الذي ذكره صلى ا لله عليه وسلم حين سألته عائشة رضي ا لله عنها: هلْ مرَّ عليك قط يوم كيوم أحد؟[2].

---

(1) ذكره في *المواهب*.

(2) فقال صلى ا لله عليه وسلم: «لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن ا لله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملَك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال صلى ا لله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج ا لله من أصلابهم من يعبد ا لله وحده لا يشرك به شيئا» ــ [أخرجه البخاري ومسلم]. (والعقبة: هي التي بمنًى. وقرن الثعالب: هو ميقات أهل نجد ويسمى أيضا قرن المنازل؛ بينه وبين مكة يوم وليلة. والأخشبان: جبلا مكة: أبو قبيس ومقابله قعيقعان؛ وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما).

قولــه: **والقـاتل رسـوله:** يعـني عروة بن مسعود بن معتب[1]، أمه سبيعة بنـت عبد شمس بن عبد مناف؛ لما ارتحل النبي ﷺ عن الطائف و لم يؤذن له في الفـتح خرج في إثره حتى لحق به وأسلم فقال: يا رسول الله أرسلني إلى ثقـيف أدعهم إلى الإسلام، فقال: «أخاف أن يقتلوك»[2]، فقال: يا رسول الله أنـا أحـب إلـيهم من أسماعهم وأبصارهم. فرجع إليهم فدعاهم، فرموه بالنبل فقتلوه، فأتاه قومه[3] فقالوا: ما ذا تريد أن نفعل بك؟ فقال: إنما دمي مـثل دم هـؤلاء الشـهداء فادفـنوني معهـم، يعـني الذيـن قتلوا من المسلمين بالطائف.

وقولــه: **هو عظيم قرية اللئام:** يشير إلى قولـه تعالى حاكيا عن قريـــش: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ يعـنون بعظـيم مكـة: الولـيد بـن المغـيرة ـ وقـيل عتبة بن ربيعة ـ وبعظيم الطائف: عـروة هـذا. وقوـله: **قرية**، وهي مدينة: تبعا للفظ الآية؛ لأن الطائف مدينة لدخولهـا في حـد المدينة، وهي قرى ذات سور من ورائها؛ وأما الآية فلعله مـن باب التغليب، كمكتين لمكة والمدينة، أو لأن المدينة يصدق عليها اسم القرية، قال تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾[4] وهي مدينة انطاكية، قال

---

(1) ابن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف.

(2) ذكره ابن أسحاق *وزاد المعاد*.

(3) قبل أن يموت.

(4) الكهف: 77.

تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: «أمرت بقرية تأكل القرى»[2] يعني المدينة، تأكل القرى والمدن، والله أعلم.

قوله اللئام: يعني إذ ذاك لكفرهم ومعاداتهم النبي ﷺ، وأما بعد إسلامهم فكرام. وذكرنا في صدر الكتاب سبب تسمية الطائف.

جَدُّ ابْنِ يُوسُفَ وَعَمُّ الدَّاهِي فَاقِدِ عَيْنٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَهْوَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ السَّرِي وَالْعَمُّ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودِ الْجَرِي

ابن يوسف: يعني الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عامر بن عروة بن مسعود، وأخوه محمد بن يوسف رثاه جريرٌ هو ومحمد بن الحجاج بقوله:

إن الرزية لا رزية مثلها فقدانُ مثل محمد ومحمد[3]

ومحمد بن يوسف هذا هو جد الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق، قال الناظم رحمه الله:

وأمه بنت أخي الحجاج ففسقُه من ذلك المزاج

وهو أيضا أبو زينب بنت محمد بن يوسف، التي يقول فيها محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي:

---

(1) الكهف: 82.

(2) رواه البخاري ومسلم.

(3) مَلِكان قد خلَت المنابرُ منهما أخذَ الحِمامِ عليهما بالمرصَد

تضوَّع مسكاً بطن نعمان أن مشت | به زينب في نسوة خَفِرات
دعت نسوة شمَّ العرانين بُدَّنا | نواعم لا شعثا ولا غبرات
أجَلْ والذي فوق السماوات عرشُه | أوانِس بالبطحاء مؤتمرات
مررن بفَخٍّ ثم رحن عشية | يُلبِّين للرحمن مؤتجرات[1]
يخبئن أطراف البنان من التقى | ويخرجن جنح الليل مختمرات
ولم تر عيني مثل سرب رأيته | خرجْن من التنعيم معتمرات
فلما رأت ركب النميري أعرضتْ | وكنَّ منَ ان يلقيْنه حذِرات[2]

المغيرة بن شعبة

وأما المغيرة فهو ابن شعبة بن مسعود[3]. هكذا نسب اليدالي المغيرة والحجاج؛ وأما غيره فجعل بين شعبة ومسعودٍ أبا عامر، يقولون: شعبة بن أبي عامر بن مسعود. وفقئت عين المغيرة يوم اليرموك وهو من دهاة الصحابة، أسلم عام الخندق، وأوَّلُ مشاهده الحديبيةُ؛ وكان واقفا على

(1) مؤتجرات: أي طالبات الأجْر.

(2) روي أن سعيد بن المسيب مر في بعض أزقة المدينة فسمع من يتغنى بقول النميري هذا: تضوع مسكا..الأبيات، فقال: هذا وا لله مما يلذ استماعه، ثم قال:

وليست كأخرى أوسعت جيب درعها | وأبدت بنان الكفِّ للجمرات
وعلَّت بَنانُ المسك وَحْفًا مُرَجَّلاً | على مثل بدر لاح في الظلمات
وقامت تراءى يوم جمع فأفتنت | برُؤيتها من راح من عرفات

فكانوا يرون هذا الشعر لسعيد بن المسيب. وبنان المسك أصابعها المغمورة به، فكأنها هو. وعلّت: أي سقت أصابعها شعرها الطيب مرة ومرة. والوحف: الشعر الغزير؛ يشير إلى تكرار مرور الأصابع بالشعر.

(3) يكنى أبا عبد ا لله، وأمه أمامة بنت الافقم بن عمرو، من بني نصر بن معاوية.

رأس رسول الله ﷺ وعروة بن مسعود يكلمه ويدخل يده في لحيته، فقال له: أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ، وضرب يده بصفح السيف؛ فقال عروة: من هذا؟ - وكان المغيرة متقنعا بالحديد - فقال رسول الله ﷺ: «ذلك المغيرة بن شعبة»[1]، فقال عروة: ويحك وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس! يعني عروة بذلك أن المغيرة وفد مع ناس من ثقيف على ملك غسان فآثر قومه عليه، فلما كانوا بالطريق قافلين غدر بهم فقتلهم وأخذ مالهم وأتى النبي ﷺ فأسلم، ولم يقبل منه النبي ﷺ الخمس؛ فودى عروة المقتولين.

ويقال إن المغيرة أحصن ألف امرأة في الإسلام. ولاه عمر البصرة ثم عزله وولاه الكوفة، ثم عزله عنها عثمان إذ ولي، ثم ولاه عليها معاوية وبها ماتَ سنة خمسين[2]. ومن أحسن دهائه أنه لما وضع رسول ﷺ في قبره طرح خاتمه في القبر فقال: خاتمي وقع مني، فدخل عليه فأخذه، ليكون آخر الناس عَهْدًا برسول الله ﷺ، وكان يقال له: مغيرة الرأي[3].

مِنْهُمْ حَلِيفَا زُهْرَةَ: الأَلَدُّ،   أَبُو بَصِيرٍ الْهُمَامُ الْجَعْدُ

---

(1) رواه البخاري وأحمد.

(2) ولما توفي المغيرة وقف ابن هبيرة الشيباني على قبره وأنشد قول مهلهل:

إن تحت الأحجار حزما وجودا   وخصيمًا ألدَّ ذا مِغْلاَقِ

حيـة في الوجار أربد لا ينـ   ـفع منها السليمَ نفث الراقي

ثم قال: أما والله لقد كنت شديد العداوة لمن عاديت شديد الأخوة لمن آخيت.

(3) ثم أخذ الناظم يتكلم على الأحلاف فقال رحمه الله:

أي ومن ثقيف **حليفا** بني **زهرة**، وهما الأخنس بن شَرِيقٍ وأبو بصير. **والألدُّ**: الخصم الشحيح الذي لا يرجع إلى الحق. **والهمام**: السيد الشجاع السخي. **والجعد**: الكريم[1].

أما الأخنس فكان اسمه أبيا فسُمِّي الأخنس، لأنه خنس عن بدر ببني زُهرة حين أتى رسولُ أبي سفيان قريشا أن يرجعوا، قال: إنما خرجتم لتمنعوا صاحبكم - يعني مخرمة بن نوفل (كان في العير) - وعيركم، وقد نجاهما الله. فأطاعوه، ورجعت معهم بنو عدي؛ فزاده ذلك علوا وشرفا فيهم. وكانوا يقولون ما ساد حليف إلا الأخنس. لكنه - والعياذ بالله - نافق، وجاء يوما إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني مؤمن بك ومصدقك ومحبك والله يشهد على ما في قلبي وعلى أني صادق فيما قلت لك. فخرج من عنده فمر بحرث وحمير لبعض المسلمين ليلا، فعقر الحُمُر وحرق الزرع؛ فنزلت فيه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ - الآية[2]. وفي **الروض الأنف**: قدم رجل من أهل الخِبرة في القرآن مكة فسئل عمن نزلت فيه هذه الآية، وفي الحضرة رجل من ولد الأخنس، فقال: نزلت في الأخنس بن شَرِيق. فلما تفرقت الجماعة قال له الذي من ولد الأخنس: يا

---

(1) والمراد بالألدِّ هنا الأخنس بن شريق الثقفي، وأبو بصير معطوف على الألد بحذف العاطف، والهمام والجعد: صفتان لـ أبو بصير.

(2) البقرة: 204.

هذا إن القرآن نزل في أهل مكة مجملا وإياك أن تعين أحدا ما دمت هنا.

أبو بصير وقطعه الطريق على المشركين

وأما أبو بصير فاسمه عبيد أو عتبة بن أُسيد ـ بضم الهمزة ـ بن جَارِيَّة بن أسيد[1]، انفلت من حبْس المشركين في هُدْنَةِ الحديبية ولحق برسول الله ﷺ، فبعث إليه ازهر بن عبد عوف والأخنس بن شريق جنادةَ بن مليح العامري ورجلا معه ليرده، فبعثه النبي ﷺ معهما مكرها. فلما قالوا[2] جعل يتحدث معهما ويأنس بهما فأخرجا زادهما من التمر فتغدى معهما؛ ثم أخذ سيف جنادة فقال: ما أجود سيفَك يا جنادة! فقال جنادة: ذلك سيف سأعمله في الأوس والخزرج إلى الليل، فقال: أتأذن لي أن أسله؟ فقال: سله وجربْه. فسله وجعل يهزه إلى أن رضي، فضربه به وأبان رأسه؛ فهرب زميله، فأخذ أبو بصير المتاع وتبعه. فلما خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد يريد الصلاة خرج عليهم الرجل، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «لقد رأى هذا ذعرا»، فقال له: «مالك ويحك؟»، قال: قتل صاحبي وإني لمقتول[3]. ثم طلع عليهم أبو بصير بإثره متوشحا السيف، فقال: يا رسول الله قد وفيت بعهدك رددتني إليهم فردني الله، وخذ خمس هذا. فأبى

---

(1) ابن عبد الله بن مسلمة بن عبد الله بن غِيَرة بن عوف بن ثقيف الثقفي، وفي نسبه أسيد (بصيغة التصغير) وجارية (بالجيم) وغيرة (بوزن عنبة). وقد أسلم أبو بصير هذا بمكة فحبسه المشركون وانفلت من حبسهم..

(2) قالوا: من المقيل وهو النزول وقت القائلة.

(3) أخرجه البخاري وأحمد.

رسول الله ﷺ عن الخمس وقال: «ويحه مِحَشُّ حرب لو وجد رجالا»[1].

فلما رأى أبو بصير أن رسول الله ﷺ سيرده، خرج من الليل إلى العيص (موضع بسِيفِ البحر)، فسمع به المحبوسون بمكة وسمعوا قول رسول الله ﷺ: «لو وجد رجالا»، فخرجوا إليه؛ فلم يزالوا يزدادون ويأوي إليهم من أسلم ممن هناك من قبائل الأعراب، كجهينة وقبائل بكر بن كنانة، إلى أن بلغوا مائتين أو أكثر.

فلم يزالوا يقطعُون الطريق على كل من خرج من قريش لعير أو غيرها، فبعثت قريش إلى رسو الله ﷺ: أن أسقطنا هذا الشرط من صلحنا فضم إليك القوم، فلم يفعل، إلى أن كتبوا إليه يستعطفونه بالله والرحم؛ فكتب إليه كتابا.

فوافى كتابُه أبا بصير وهو يجود بنفسه، فأخذ الكتاب وقرأه وجعله على صدره، ومات والكتاب بيده على صدره، فصلى عليه أبو جندل وبنى مسجدا على قبره. فهاجرت قريش إلى رسول الله ﷺ، ورجع من أسلم من القبائل إلى أهليهم على إسلامِهِمْ، وفي ذلك يقول أبو جندل:

أبلغ قريشا عن أبي جندل	**أنا بذي المروة بالساحل**
في معشر تخفق أيمانهم	**بالبيض فيها والقنا الذابل**

عُثْمَانُ وَلاَّهُ النَّبِيُّ فَأَبَى أَن يَرْجِعُوا لِكُفْرِهِمْ وَوَهَبَا

(1) وفي رواية: «ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال» - [رواه البخاري وأحمد].

يعني أن من ثقيف أيضا **عثمان** بن أبي العاص بن بشير بن عبد دُهمان، **ولاه النبي** ﷺ على الطائف، وكان في وفد ثقيف، فرآه أكثرهم قراءة للقرآن. فلما توفي النبي ﷺ **أبى** لهم أن يرتدوا، قال لهم: لا تكونوا آخر العرب إسلاما وأولهم ارتدادا؛ فكان ذلك سببَ تمسكهم بالإسلام. ثم لم يزل على الطائف إلى سنتين من خلافة عمر، فعزله وولاه عُمان والبحرين؛ وفتح الفتوحات. وهو القائل: "النّاكح مُغْتَرِسٌ فليَنظُر أحدُكم أيْن يَضَعُ غرسه فإنَّ عرق السُّوء لا بُدَّ أن ينزع".

توفي في خلافة معاوية، وكان أقطعه عثمان الف جريب، وذلك قول الناظم رحمه الله: **ووهبا،**

لَهُ ابْنُ عَفَّانَ الرِّضَى أَلْفَ جَرِيبْ   وَابْنُ أَبِي الصَّلْتِ وَغَيْلاَنُ اللَّبِيبْ

أَن كَانَ لاَ يَقْتَاتُ تَمْرًا وَلَبَنْ   وَالنَّفَرُ انقَضَّ بِبَكْرَةٍ وَمَنْ

نَبِيُّنَا عَلَيْهِ بِالْعِتْقِ، أَبُو   بَكْرَةَ فِي الْهَابِطِ هَذَا يُحْسَبُ

ابن عفان: هو عثمان رضي الله عنه. **والرضى:** المرضي عنه. **والجريب:** مكيال معروف، أو المزرعة أو الوادي، والله أعلم أيها المراد هنا، إلا ان لفظ *اقطع* أقرب إلى المزرعة أو الوادي، ولفظ **وهب** يحتمل المكيال. **وابن أبي الصلت:** يعني أمية؛ الشاعر المشهور، أمه رقية بنتُ عبد شمس بن عبد مناف، وهو ابن خالة عروة بن مسعود. قال فيه النبي ﷺ: «آمن شعره و لم يؤمن قلبه»[1]، وهو القائل:

---

(1) رواه مسلم.

الحمـد لله مَمْسانا ومَصبَحَـنَا　　باخـير صبَّحنا ربي ومَسَّانا

كان في وفد قريش وثقيف على سيف بن ذي يزن، ومدحـه بقصيدتـه التي منها:

اشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم　　وأسْبِلِ اليـوم في برديك إسبالا

واشرب هنيئا عليك التاجُ مُرْتَفِقًا　　في راس غُمدان دارا منـك محلالا

تلك المكـارم لا قَعْبَانِ مِن لَبَنٍ　　شِيبَا بمـاءٍ فعادا بعـدُ أبوالا

وهو أول من كتب من العرب *باسمك اللهـم*؛ وسبب ذلـك أنـه خـرج في تجارة، فلما كانوا في فلاة من الأرض مَضيَعة، سلط الله عليهم حية عظيمة جدا صاحت عليهم فنفرت إبلُهم فلأيا مًّا حبسوها عليهم، فَلَمْ تَـزَل بهـم كذلك: كلما ردوا عليهم إبلهم جاءتهم فتصيح بهم فتنفر إبلهم، فكـادوا يهلكون عطشا وتعبا.. إلى أن جن عليهـم الليـل، فسـار أميـة هائمـا علـى وجهه، فبينما هو يهيم إذ رفعت له نيران، فلما دنا منها آنس أنهـا ليسـت للإنس لكثرة اضطرابها وكثرة اللغط حولها واقشعر جلده فقال: إني عـائذ بزعيم هذا الحي، فقيل له: أمنت فاذهب إليه، فجاءه فقال له: ما شأنك يا إنسان؟ فقص عليه خبَره فقال: اذهـب إلى قومـك فكلمـا جـاءتكم فقـل: "باسمك اللهم"، ففعل فلم يروها بعد ذلك. فلم يزل أمية يُعَوِّذ بها ويكتبها في الرسائل ونحوها، واقتدت به العرب في ذلـك، إلى أن نسـخها الإسـلام ببسم الله الرحمن الرحيم.

وكان أمية وعروة ـ لخؤولتهما ـ كرجلين من رؤساء قريش يشركونهما في أمورهم ويسكنان عندهم. وكان أمية يقرأ الكتب ويعِدُ برسالة النبي ﷺ. فلما بعث النَّبي صلى الله عليه وسـلم غلـب عليـه الشـقاء (نسـأل الله العافيـة) فحسده وقال: كنت أظن أنه أنا أو من ثقيـف، فلمـا كـان مـن قريـش لا

أتَّبعه أبدا. وكان أميةُ لِدةَ عبدِ المطلب، فعمر إلى السنة الثانية من الهجرة، فلما احتضر غشي عليه فأفاق وهو يقول:

كل شيء وإن تطاول دهرا آئلٌ أمره إلى أن يزولا

ثم غشي عليه أيضا فأفاق وهو يقول:

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في رؤوس الجبال أرعى الوعولا

فذلك آخر العهد به. وابنه وهب صحابي أعطاه النبي ﷺ ميراثَ وهب بن خويلد بن ظالم، الصحابي من ثقيف أيضا.

قوله: **وغيلان اللبيب**..إلخ: هو غيلان بن سلمة بن شُرَحْبيل الثقفيُّ، أسلم هو وبنوه[1] ومواليه بإسلام ثقيف وتحته عَشْرُ نسوةٍ، فأمره النبي ﷺ أن يتَخيَّرَ منهن أربعا، ففعل[2]. وفد على كسرى فسأله: أي ولدك أحب

---

(1) من بنيه الذين أسلموا معه: عامر وعمار ونافع وبادية، وكان غيلان هذا شريفا في قومه وقائدهم في الجاهلية وكان أحد حكام قيس في الجاهلية، وكانت له وفادة على كسرى وكان شاعرا؛ روى عنه ابن عباس بعض شعره. وسئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿وثيابك فطهر﴾ قال: لا تلبس على معصية ولا غدرة، ثم قال سمعت غيلان بن سلمة يقول:

فإني بحمد الله لا ثوبَ فاجر لبست ولا من غدرة أتقنع

ومن شعره:

لم ينتقص مني المشيب قلامة والآن حين بدا ألبُّ وأكيس

والشيب ان يحلل فإنَّ وراءه عمرا يكون خلاله متنفس

(2) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد من حديث ابن عمر، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له «اختر منهن أربعا وفارق سائرهن»، وقال له يوما: «يا غيلان إئت هاتين الشجرتين فمر إحداهما تنضم إلى الأخرى حتى أستتر بهما» ففعل، فانقلعت إحداهما تخدُّ الأرض حتى انضمت إلى الأخرى.

إليك؟ قال: المريض حتى يبرأ والغائب حتى يقدَم والصغير حتى يَكْبَر، قال: مَا لَكَ ولهذا الكلام؟! هذا كلام الحكماء وأنت من قوم جفاة لا حكمة لهم فما غذاؤك؟ قال: لُباب البُر، قال كسرى: هذا العقل من لباب البر، وإنما أضر بالعرب التمر واللبن.

قوله: **والنفر انقضَّ**.. إلى آخره: يعني أن من ثقيف عثمان بن أبي العاصي الذي ولاه النبي ﷺ على ثقيف فثبتهم على الإسلام، ووهب له عثمان بن عفان ألف جريب. ومنهم أيضا أمية **بن أبي الصلت**. ومنهم **غيلان** بن سلمة **اللَّبيب**، أي العاقل الحكيم؛ لأنه **لا يقتات التَّمْر** ولا **اللَّبن** المضرين بالعقل وإنما يقتات لباب البر. ومنهم أيضا **النفر** الذين **انقضُّوا** من حصن الطائف، أي هبطوا **ببكرة**، وهي الآلة التي يسقى بها على البئر، فأتوا النبي ﷺ فأعتقهم، وهم: نفيع ونافع ابنا مسروح، والحارث بن كلابٍ وإبراهيم بن جابر والمنبعث، وكان اسمُه المضطجع، فسماه النبي ﷺ المنبعث، قيل إن ليْلة الطائف أمر النبي ﷺ مناديا ينادي: أي عبد أتانا فهو حر، فهبط هؤلاء. فلما أسلمت ثقيف كلموا فيهم النبي ﷺ فَقَالَ: «أولئك عتقاء الله»[1].

قوله: **أبو بَكرة في الهابط هذا يحسب**: أي يعد في هؤلاء الهابطين بالبكرة من الحصن، وهم الذين ذكرنا. واسم أبي بكرة: نفيع، وإنما كُنِّيَ أبا بكرة لفعله هذا؛ وهو من فضلاء الصحابة ومن رُوَاةِ الحديث، وأُمُّهُ سميةُ أمَة

---

(1) رواه أبو داود والترمذي وأحمد.

الحارث بن كلدةَ، وأخوه لأمه ـ سميةَ ـ زيادُ بن أبيـه؛ ولمـا سمـع استلحاق معاوية له غضب على أخيه وقال: ما يفعل بحـرم النبي ﷺ، أيدخـل عليهـا بهـذه الدعـوى أم يحتجـب عنهـا فيبطـل اسـتلحاقه؟ ويحـه مـن هـذا الاستلحاق..

وابنـه عبـد الرحمـن بـن أبـي بكـرة أول مـن ولـد بـالبصرة مـن أولاد المسلمين. ومات أبو بكرة بالبصرة سنة إحدى وخمسين ــ (قالـه في **مختصر الإصابة**). وكان أبو بكرة يعد من موالي رسول الله ﷺ، وكان ممـن اعـتزل الحرب بين علي ومعاوية.

ومن ثقيف أيضا أبو عبيـد بـن مسـعود، الـذي ولاه عمـر علـى جيـش المسلمين إلى الفرس، فكانت وقعة الجسر واستُشهد بها: بـرك عليـه الفيـلُ فقتله، بعد ما أوجع في الفرس؛ لكـن كـانت لهـم الوقعـة، فقـد قتلـوا مـن المسلمين الفا ومائتين، منهم سبعون من الأنصار.

وبنته صفية بنت أبي عبيد زوج عبد الله بـن عمـر، زَوَّجَهَـا لَـهُ أبـوه بخمسمائة، ودسَّ إليهم مائتين بلا علم من أبيه. وهي أم عدة من بـني عبـد الله بن عمر، منهم سودة زوج عروة بن الزبير بعد عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب. وابنُه أيضا الكذاب المختار بن أبي عبيد.

أبو محجن الثقفي

ومن ثقيف أيضا أبو محجن بن حبيب بن عمرو، وكان من الشـجعان؛ حده عمر في الخمر مرات، فهرب إلى سعد بن أبي وقـاص وهـو يُحـاربُ بالقادسية فحبسه، فلما كان يوم من الأيام ـ وهـو يـوم أغـواث ــ أصـاب

المشركون من المسلمين، فرأى أبو محجن ذلك ـ وهو في القيد ـ مع سلمى بنت قَبِيصَةَ زوج سعد (وكانت قبله عند المثنى بن حارثة) فقال:

كفى حزنا أن تردي الخيل بالقنا وأُتْرَكُ مشـــدودا عليَّ وثاقيا

إذا قمت عَنَّانِي الحديدُ وأغلقت مَصارعُ مِن دُوني تُصِمُّ المناديا

فناشد الله سلمى أن تطلقه، وعاهدها أن يعود إلى قيده إن سلمه الله؛ فحلته وأسرجت له "البلقاء"، فرس سعد ــ وكانت عندها لأن سعدا لم يقاتل لشدة قروح به وإنما كان مشرفا على الناس ينظر ما يفعلون ــ فركب أبو محجن الفرس وفعل العجب بالناس، فقال سعد: لولا محبسُ أبي محجن لقلت إنها بعض شمائله، ويقول: لولا أن الملائكة لا تباشر القتال لقلنا إنه ملَك. ثم ربط أبو محجن الفرسَ مكانها وعاد إلى محبسه وقيوده. فلما رجع سعد قالت له سلمى: كيف كان قتالكم اليوم؟ قال: لقينا ولقينا.. حتى بعث الله رجلا على فرس أبلق، لولا أن أبا محجن في قيوده لقلت إنه هو على البلقاء، قالت: هو والله أبو محجن، كان من أمره كيت وكيت. فدعا به وحل قيوده وقال: لا نحدك في الخمر أبدا بعدها[1]، فقال أبو محجن: وأنا لا أشربها بعد أبدًا، وكنتُ آنف من أن أتركها من أجل حدِّكم. فلم يشربها بعد ذلك، قيل إنه رىء قبره بأذربيجان ــ أو نواحي جُرجان أو أرمينية ـ عليه أصول كرم طالت وأثمرت وهي مغروسة عليه،

(1) في *خزانة الأدب*: أنكر ابن فتحون قولَ من روى أن سعدا أبطل عنه الحدَّ، وقال: لا يُظنُّ هذا بسعد؛ ثم قال: لكن له وجه حسن ولم يذكروه وكأنه أراد أنَّ سعدا أراد بقوله لا يجلده في الخمر بشرط أضمره وهو إن لم يثبت عليه أنه شربها، فوفقه الله أن تاب توبة نصوحا فلم يعُد إليها.

ومكتوب على القبر: هذا قبر أبي محجن ـ (اهـ من مختصر الإصابة وغيره).

وكان مشغوفا بالخمر وفيها يقول:

إذا مُتُّ فادفني إلى جنب كرمة ... تروي عظامي في الممات عروقُها

ولا تدفنني في الفَـــلاة فإنني ... أخافُ إذا ما متُّ أن لا أذوقها[1]

وروي أيضا أنه حبسه الحجاج، وهو من بني عمه، ثم قال له يوما:

---

(1) **أباكــرها عند الشــروق وتارة ... يعاجلني عند المساء غبوقـــها**

وللكأس والصهباء حـــق معظم ... فمن حقها أن لا تضاع حقوقها .. إلخ

ويروى أن ابنا لأبي محجن دخل على معاوية فقال له معاوية: أبوك الذي يقول: **إذا مت فادفني لدى جنب كرمة**.. إلخ؟ فقال له: لو شئتَ ذكرتُ أحسن من هذا من شعره، قال: وما ذاك؟ قال: قوله:

لا تسأل الناس عن مالي وكثـــرته ... وسائل الناس عن جودي وعن خلقي

قد يعلم الناس أني من سَراتهـــم ... إذا تطـيـش يـدُ الرِّعْدِيدةِ الفَرِق

قد أركـب الهول مسدودا عساكره ... وأكتم السِّر فيه ضربـــةُ العُنق

أعطي السنان غداة الروع حصته ... وعامل الرمح أرويـــه من العَلَق

وأطعن الطعنة النجْـلاءَ قد علموا ... تنفي المسابيرُ بالإزْبادِ والفَهَـــقِ

عَفٌّ المطالـــب عما لست نائله ... وإن ظُـلمت شديـد الحِقْدِ والحَنَقِ

وقد أجـــود وما مالي بِـذي فَنَعٍ ... وقد أكُرُّ وراء الْمُجْحَرِ الــبَرَق

قد يقتر المرء يوما وهو ذو حسـب ... وقد يثوب سوام العاجز الحَمِــقِ

ويكثـــر المال يـوما بعـد قلته ... ويكتسي العود بعـد الجدب بالوَرَق

فقال له معاوية: لئن أسأنا القول لنجزلنَّ الصِّلة، ثم أجزل جائزته وقال: إذا ولـدت النساء فلتلد مثلك ـ [خزانة الأدب]. (والنجلاء: الواسعة الشق. والمسَابيرُ: جمع مسبار وهـو الميل الذي تقدر به الجراحات ليعرف غورها. والفَهَق: كثرة الـدَّم. قوله: بـذي فنع: أي بـذي كثرةٍ. والْمجْحَر ـ بتقديم الجيم ـ: المضيق عليه في الحرب. البَرِق: الشاخص البصر).

إني أريد أن ألقيك على هذا الأسد ـ وكان ألقى في الحبس أسدا ضاريا ـ فإن قتلته سرحناك وإن قتلك أراحنا منك، فقال: ذلك إليك أيها الأمير، فأدلاه إلى الأسد. فلما أحس به الأسد وثب عليه، فقال أبو محجن:

ليث وليث في مَحَلٍّ ضنكِ   كلاهما ذو جرأة وفتكِ
إن يكشف الله قناع الشك   فأنت لي في قبضتي وملكي

فكثرت الأصوات وارتفع الغبار بينهما، ثم سمعوا تكبير أبي محجن فعلموا أنه قتل الأسد، فسرحه الأمير[1].

---

(1) المشهور أن صاحب هذه القصة جحدر بن مالك العجلي، الشاعر الفاتك؛ كان بأرض اليمامة فبلغ خبره الحجاج فبعث في طلبه قوما فلما ظفروا به أوثقوه وساروا به إليه فمروا في طريقهم بموضع يسمى حجرا فأنشأ يقول:

ومما هاجَني وازددتُّ شَوقا   بُكاءُ حَمامتَين تغردان
تجاوبتا بلَحْنٍ أعجميٍّ   على غُصْنَين من غربٍ وبان
فقلت لصاحبيَّ وكنت احزو   ببعض القول ما ذا تحزواني؟
فقالا: الدار جامعة قريبا   فقلت: وأنتما متمنيان
إذا جاوزتما نخلاتِ حجر   وأنديةَ اليمامَة فانعياني
وقولا جحدرا أمسى رهينا   يعالج وقْعَ مصقول يماني
يحاذر صولةَ الحَجَّاج ظلما   وما الحجَّاج ظلاَّما لعان
كذا المغرور بالدنيا سيردى   وتهلكه المطامعُ والأماني

فلما قدموا به على الحجاج قال له: أنت جحدر؟ قال: نعم أصلح الله الأمير، قال: فما حملك على ما صنعت؟ قال: جرأة الجَنَان وكلب الزمان وجفوة السلطان، فقال: ما الذي بلغ من أمرك فيجرأ جنانك ويكلب زمانك ويجفوك سلطانك؟ فقال: لو بلاني الأمير لوجدني من صالح الأعوان وأهم الفرسان؛ فإني لم ألق فارسا إلا كنت عليه مقتدرا. فقال

<<=

-- >>

له الحجاج: سنقذف بك في جب ليث فإن هو قتلك كفانا مؤنتك وإن أنت قتلته خلينا عنك وأحسنا جائزتك، فقال: نعم أصلح ا الله الأمير.. قربت المحنة وأعظمت المنة فافعل إن شئت. فبعث إلى عامله على "كسكر" فأرسل إليه أسدا ضاريا فجوعه أياما وأمكن جحدرا من سيف قاطع وأدخله على الأسد، وجلس الحجاج والناس ينظرون إليهما، فلما نظر الأسد إلى جحدر قد أقبل ومعه السيف تهيأ وتمطّى فأنشد جحدر:

ليث وليث في محلّ ضنك .. الخ

فوثب إليه الأسد وثبة شديدة فتلقاه جحدر بالسيف فضرب هامته ففلقها حتى خالط ذباب السيف لَهوَاتِه وتخضبت ثيابه من دمه ووثب وهو يقول:

يا جُمْلُ إنك لو رأيت كريهتي   في يوم هيج مسدف وعجاج

وتقدُّمي لليث أرسف موثقا   كيما أكابده على الاحراج

جهم كأن جبينه لما بدا   طبق الرحا متعجر الاثباج

إلى أن يقول:

ففلقتُ هامتَه فخرَّ كأنه   أُطم تساقط مائل الأبراج

ثم انثنيت وفي ثيابي شاهد   مما جرى من شاخب الأوداج

أيقنتِ أني ذو حفاظ ماجد   من نسل أملاك ذوي اتراج   إلخ..

فقال له الحجاج: يا جحدر إن أحببت المقام معنا فأقم وإن أحببت الانصراف إلى بلادك فانصرف، فقال: بل أختار صحبة الأمير والكينونة معه، ففرض له في شرف العطاء وأقام ببابه؛ فكان من خواص أصحابه.

وممن وقع له مثل هذه القصة من فتّاك العرب وأبطالها بشر بن أبي عوانة الذي يقول في ذلك:

أفاطم لو شهدتٌ ببطن خبتٍ   وقد لاقَى الهزبرُ أخاك بشرا

إذا لَرأيتِ ليثاً رام ليْثًا   هِزَبرا أغلبا لاقَى هِزبرا

تبهنس إذ تقاعس عنه مهري   فقلت له: عقرت اليوم مهرا!

أنل قَدَميَ ظهر الأرض إني   وجدت الأرض أثبت منك ظهرا

<<=

ومن ثقيف أيضا هبيرة بـن سَبل بـن العجـلان[1]، أسـلم عـام الحديبيـة واستعمله النبي ﷺ على مكة حين سار إلى الطـائف، وهـو أول مـن صلـى بمكة جماعة بعد الفتح[2]. (وقتل من بني مالك يوم حنين سـبعون كـافرا منهـم رئيساهم يومئذ: ذو الخمار بن الحارث وعثمان بن عبد ا لله بن ربيعة).

وعروة بن مسعود وأبو عبيد وأبو محجن من الأحلاف، ورئيسهم حين بعث النبي ﷺ عبدُ ياليل بن عمرو، وكان شيخا كبيرا؛ فلمـا رأت العـرب رمي النجوم من السماء وهالهم ذلك أتوا إليه يَسألونه فقال: لأحد أمريـن:

-->>

وفي يمناي ماضِـي العـزم أبقى ... بمضربـه قـراع المـوت أثرا
فأنـتَ تَـرومُ للأشبال قُـوتا ... ومطلـبي لبنت العَـمِّ مهرا
فلما ظـن أن النصـح غـشٌ ... وخال مقالـتي زوراً وهجـرا
مشـى ومشيتُ من أسدين راما ... مـراما كان إذ طَلَباهُ وعـرا
هـززت له الحسام فخلـت أني ... سللـت به لـدى الظلماء فجرا
وجدتُ بضربـة جاءتـه شفعا ... بساعـدِ ماجـدٍ تركَتْـه وتـرا
فخـرَّ مجنـدلا فحسبـت أني ... هدمـتُ به بـناء مشمخـرا
وقلـت له: يعـزُّ عليَّ أنّي ... قتلت مناسِـبي جلـدًا وقهرا
ولكـن رمْـتَ شيئا لم يـرمْهُ ... سـواك فلم أطـق يا ليث صبرا
فلا تجـزع، فقد لاقيـتَ حُـرا ... يحاذر أن يعاب فمتَّ حُـرّا

(1) سبل: هو بالسين المهملة، والعجلان هو ابن عتاب بن مالك بن كعب بن سعد بـن عـوف بن ثقيف، ورواه صاحب *الاستيعاب* بالشين المعجمة.

(2) ولما رجع رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم من الطائف وأراد الانصراف إلى المدينة أمَّر على مكة عتاب بن أَسِيد.

إما لانقراض الدنيا، وإما لأمر عظيم حدث فيها.

هنا انتهى الكلام على سليم وأخيه هوازن ابني منصور فأتبعهما الكلامَ على أخيهما مازن، فقال رحمه الله وعفا عنه:

نسب مازن

مِن صُلْبِ مَنصُورٍ كَذَاكَ مَازِنُ   وَقَدْ تَشَرَّفَتْ بِهِ المَوَازِنُ

أي كما أن سليما وهوازنَ ابنا منصور، كما قال: **منصور والد سليم وأخيه هوازن**..إلخ.. كذاك **مازن** ابنه لصلبه؛ وإنما لم يذكره معهما لكثرتهما وعلوهما عنه، أو لأن منصورا هذا ليس بمنصور بن خصفة وإنما هو منصور بن حمنة بن قيس عيلان. ولم يذكره القلقشندي وذكره اليدالي[1]، مع أنه نص على أنه إنما أخذ كتابه من القلقشندِي.

وقد تشرفت به الموازن: أي تعالت به القبائلُ من العرب الذين اشتركوا معه الاسم، وهم: مازنُ بن الأزد. ومازنُ بن النجَّار، من الأنصار، الذين منهم قيسُ بن مخلد البدري وغيره من البدريين والصحابة. ومازن بن مالك بن عمرو بن تميم، وهو أشرف إخوته؛ كما قال الشاعر قرط بن أنيف:

لو كنت من مازن لم تستبح أبلي   بنو اللَّقيطة من ذُهل بن شيبانا

ومنهم قَطَري بن الفجاءة. ومازن بن ذهل بن ثعلبة، الذين منهم أبو

(1) وقد ذكره أيضا كل من ابن عبد البر وابن هشام في نسب عتبة بن غزوان.

عثمان المازني النحوي. ومازن بن ذُبيان؛ منهم هرم بن قطبة الحاكم بين المتنافرين، ثُمَّ أسلم.

وإنما قال فيهم هذا لإفراده لهم عن أخويهم[1]، أو لأن منهم عتبة بن غزوان ،كما قال رحمه الله وعفا عنه:

وعُتْبَةُ سَلِيلُ غَزْوَانَ بَنَى   لَمَّا بَنَى الْبَصْرَةَ ذِكْراً حَسَنَا

لِمَازِنٍ[2] وَهْوَ الَّذِي اخْتَارَ التَّوَى   عَنِ الإِمَارَةِ فَنَالَ مَا انْتَوَى

عتبة: هو سيدُنا عتبة بن غزوان بن جابر[3] المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف. أسلم بعد ستة رجال، كما قال: رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام غير ورق الشجر حتى تقرحت أشداقنا. هاجر إلى الحبشة، وهو من سرية عبد الله بن جحش التسعة، وشهد بدرا ـ هو ومولاه سعد ـ وما بعدها. وهو من أكابر الصحابة وفضلائهم، وهو أشهر

---

(1) أي وإنما وصف الناظم مازنَ بن منصور بأنه تشرف به من شاركه في اسمه من بطون العرب لإفراده له عن أخويه سليم وهوازن ابني منصور أو لأن منه عتبة بن غزوان؛ ففي وصفه لمازن بهذا الوصف جبر لعدم ذكره مع أخويه وإدراجه فيهما، وردَّ الشارح هنا ضمير الجمع على مازن باعتبار بنيه أو القبيلة.

(2) قوله: **بنى**: فعل ماض فاعله ضمير يعود على عتبة **ولَما** (بفتح اللام مشدد الميم): ظرف بمعنى حين، **والبصرة** (بالنصب): مفعول به لبنى الثانية، **وذكرا**: مفعول به لبنى الأولى، **وحسنا**: صفة لـ**ذكراً**، و البناء الأول معنوي والثاني حسِّي. يعني أن عتبة بن غزوان بن جابر مازني وأنه خلف آثارا حسنة منها بناؤه البصرة ومسجدها الأعظم.

(3) وجابر هذا ابن وهب ـ أو وهيب ـ بن نسيب بن زيد بن مالك بن الحارث بن عوف بن مازن بن منصور.

من أن تذكر له مناقب ومزايا. وقولـه: بنى..إلخ: يعـني أنـه أول مـن نـزل البصرةَ واختطها وأمر مِحجنَ بن الادْرِع الأسلمي فبنى مسجدَهَا الأعظم. وكان عتبة ولاه عمر على البصرة، فلمـا بنـى منهـا مـا بنـى خـرج حاجـا فاستعفى عمر من الإمارة فأبى، فلما خرج من مكة قـاصدا البصـرة قـال: اللهم لا تردني إليها، فسقط عن راحلته فمات سنة سـبعَ عشـرةَ بـالرَّبذة، وسنُّهُ سبع وخمسون سنة.

والتوى: الموت. **وانتوى**: قصد.

يعني أن عتبة بن غزوان ـ وذكر ما ذكر من مَّحاسِنِهِ ـ مـن مـازن بـن منصور، و لم يذكر لهم غَيْره.

هُنَا انْتَهَى خَصَفَـةُ وَهْـوَ أَبُ أَوْ هُـوَ أُمُ وَإِلَيْهَا يُنسَـبُ
وَالأَبُ عِكْـرِمَـةُ ابْنُ النَّاسِ وَلَهُمَا يَنْسِـبُ بَعْـضُ النَّاسِ

يعني أنه أنهى الكلام **هنا** على **خصفة** العزيز الـذي ذكـر أنـه ابـن قيـس عيلان، ثم ذكر الخلاف بين النسابين في خصفة، فمنهم من يقول هو ابـن قيس عيلانَ، كما ذكر هو، ومنهم من يقول إن خصفة امـرأة وهـي زوج عِكرمة بن قيس عيلان، لكن **ينسب إليها** بنوها، كمـا ينسـب إلى خنـدف بنو إلياس؛ وبعض النسابين ينسب إليهما جميعا ويبدأ بالنسـب إلى خصفـة الأم فيقول: منصور ابن خصفة ابن عكرمة بن الناس، ويُكتب إذًا ألفُ *ابن* عكرمة، كما يكتب ابـن أبـيّ ابـن سـلول، لأن المعنـى ابـن خصفـة وابـن عكْرمة. قال السهيلي في **الروض الأنـف**: أَلِـفُ ابْـنٍ إذا وقـف عليهـا تكتـب

كما تكتب إذا نون الأول أو نودي.

قوله: **هنا انتهى خصفة..** لم يبال بمحارب بعد أن ذمَّهُم بالغمر لِسُوء ردهم على النبي ﷺ حين دَعاهم إلى الإسلام كما فعلت ثقيف، بل هم أقبح ردًّا لحلف أحدهم ـ بعد أن يئس منهم النبي ﷺ وتولى عنهم ـ ليقتلنه فركض فرسه نحوه، فلما دنا منه وَقَعَ هو وفرسه ميِّتَيْنِ ـ و لله الحمد ـ لكن كان منهم بعد ذلك كثيرٌ من الصحابة؛ منهم أبان المحاربي وغورث بن الحارث وآخرون [كما مر][1].

فَهْمُ بْنُ عَمْرٍو ابْنِ عَيْلاَنَ عَدَا عَلَيْهِ عَدْوَانُ أَخُوهُ وَغَدَا
لَـهُ الإِفَاضَـةُ وَتَمَّـتْ بِأَبِي سَيَّارَةٍ وَعَامِرُ بْنُ الظَّرِبِ
حَكِيمُهُمْ وَ اللَّيْثُ بَحْرُ الْعِلْمِ ضَيَّعَهُ أَقْوَامُهُ مِن فَهْمِ

يعني أن **فهم** بن **عمرو** بن قيس **عيلان عَدَا عليه عدوان**[2] أخوه، أي وثبَ عليه أو ظلمه فقتله، فصارت له الإفاضة بعده؛ وهي الدفع من عرفة أو الرجوعُ عنها والإسراع إلى مكان غيرها، أو إجازة الناس من المزْدلفة

---

(1) ولما أنهى الكلام على بني منصور بن عكرمة بن قيس عيلان أخذ يتكلم على بني عمرو بن قيس عيلان ـ بني عمومتهم ـ فقال رحمه الله وعفا عنه:

(2) كان لعمرو بن قيس عيلان ابنان: فهم وعدوان، واسم عدوان الحارث؛ وكان الحارث هذا قد عدا على أخيه فهم فقتله فلقب بعدوان فصارت له من بعده الإفاضة. وكان لعدوان بطن متسع وكانت منازلهم بالطائف بعد إياد والعمالقة حتى غلبهم عليها ثقيف فخرجوا إلى تهامة.

إلى منىً. ثم لم تزل فيهم إلى أن تمت بأبي سيارة[1]، وهو عميلة بن خالد الأعزل، وفيه يقول الشاعر:

نحن دفعنا عن أبي سيارهْ وعن مواليه بني فزارهْ[2]
حتى أجاز سالما حمارَه مستقبلَ القبلة يدعو جارهْ[3]
وقد أجار الله من أجارهْ

وكان يدفع الناس على أتان له عوراءَ[4]، وقيل حمار أسود، وفيه المثل: *أصح مِن عَيْرِ أبي سيارة*، وله يقول:

لاهم ما لي في الحمار الأسودْ أصبحت بين العالمين أحسدْ
فَقِ أبا سيارة المحسَّدْ من شر كل حاسد إذ يحسُدْ

وكان يقول[5]: اللهمَّ حبب بين نسَائِنَا وبغِّضْ بين رعائنا واجعل أمرنا بيد صلحائِنَا واجعل المال بأيدي سمحائنا، وفي رواية: حبب بين نسائنا في شأننا. ومَعْنَى إفاضة الناس إجازتهم من المزدلفة إلى منى؛ وأجاز الناس من المزدلفة إلى منى على حماره هذا أربعين سنة؛ وكان يقول: اشرق ثبير كيما نغير، أي كي نسرع إلى النحر (وثبير جبل بمكة، أو جبال).

---

(1) أي فكانوا يتوارثونها كابرا عن كابر إلى أن جاء الإسلام.

(2) يعني بمواليه: بني عمومته لأنه من عدوان وعدوان وفزارة من قيس عيلان.

(3) يدعو جاره: أي يدعو الله عز وجل، يقول: اللهم كن لي جارا ممَّا أخافه، أي مجيرًا.

(4) وكانت عقوقا خطامها ليف، قال الجاحظ: لا نعرف حمارا أهليا عاش مثل عمر حمار أبي سيارة، عاش أربعين سنة يجيز عليه من المزدلفة إلى منًى.

(5) أي قبل الإفاضة: اللهم حبب.. إلخ.

ومن عَدوان أيضا حكيمُ العرب عامر بن الظرب، أوّل من حكم في الخنثى المشكل في الجاهلية[1]. وذلك أنه كانت له أمة تدعى سخيلة ترعى عليه غنمه ويضربها على تمسيها للغنم وعلى كل أمر الغنم، فأتاه حكم الخنثى، فبات ليلة يتململ ويتفكر في الجواب فيه؛ فلما أصبح قالت له الجويرية: يا سيدي أراك بِتَّ ساهراً فما شأنك؟ قال: سرحي غنمك يا سخيلة.. أمر ليس إليك! فلما ألحت عليه قال: أشكل عليَّ حكمُ الميراث في الخنثى فلا أدري ما أجيب فيه إلى الآن، قالت: يا سيدي الأمر أهون: أتبع المال المبال[2]؛ فقال: فَرَّجْتِها يا سخيلة، أمسي أو أصبحي.. والله يا سخيلة لا أضربك بعدهَا.

وأول من حكم به في الإسلام أميرُ المؤمنين علي كرَّم الله وجهه.

يعني ومن عدوان أيضا: عامر بن الظرب حكيم عدوان، أو حكيم العرب.

ومن بني عدوان أيضا ذو الاصبع العدواني، شاعر جاهلي قديم، سمي

---

(1) قال ابن إسحاق: وكانت العرب لا يكون بينها كائنة ولا معضلة في قضاء إلا أسندوا ذلك إليه، ثم رضوا بما قضى فيه، فاختصم إليه في بعض ما كانوا يختلفون فيه؛ في خنثى له ما للرجل وله ما للمرأة، فقالوا: أتجعله رجلا أو امرأة؟ ولم يأتوه بأمر أعضل منه، فقال: حتى أنظر في أمركم، فوالله ما نزل بي مثل هذه منكم يا معشر العرب..

(2) أو قالت: سبحان الله، أتبع القضاء المبال: أقعده فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل وإن بال من حيث تبول المرأة فهي امرأة. فقال: مَسِّي سخيلُ بعدها أو صبِّحِي، فَرَّجْتِهَا والله. ثم خرج على الناس حين أصبح فقضى بالذي أشارت عليه به.

ذا الاصبع لأنه نهشته حية فقطعت إصبعَه، وهو القائل:

يا مـن لقلب طـويل الهم محزون   أمسى تذكَّـرَ ريًّا أمَّ هارون

ـ القصيدة، ومنها ـ:

لاه ابن عمِّك لا فُضِّلتَ في حسَبٍ   عـني ولا أنـتَ ديَّاني فتخـزوني

قيل إنه عاش ثلاثمائة سنة.

وقوله والليث بحر العلم.. إلى آخره: يريد به نسبه إلى فَهم بن عمرو الذي عدا عليه أخوه، أي وأما فهم فمنهم الإمام الكبير العالم الليث بن سعد الفهمي؛ رفع الشافعي رحمه الله مقامه في الذكر ورجحه في الفضل، ثم قال: ولكنه ضيعه أصحابه.

وكان له مع جزالة العلم ضخامةُ المال ولكن لا يُبقِي منه على شيء لغلبة الجود والسخاء عليه، وكانت له بقلقشندة دار فهدمها ابن عمه عبد الملك بن رفاعة أمير مصر، عنادا له، فعمرها الليث فَهَدَمَهَا، فلما كان في الثالثة بينما الليث نائم إذا هاتف يهتف به: أتمم البيت ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[1] فأصبح ابن رفاعة وقد أصابه فالج، فأوصى إلى الليث ومات بعد ثلاث ـ [انتهى من القلقشندي]. ويعني بـ**ضيعه قومه** قول الشافعي وقصة ابن رفاعة.

---

(1) القصص: 5.

تأبط شـرا

ومن فهم أيضا تأبط شرًّا، واسمه ثابت بن جابر بن سفيان. لقب تـأبط شرا لأنه قتل الغول وتأبطها حتى أتى بها أهله، وقيل لأنه خرجَ مِـنْ عند أمه متأبطا سـيفا ورمحا وسكينا، ثـم جاءها مـن يسأل عنه فقالت: لا أدري.. تأبط شرا وخرج. وهو من صعاليك العرب ومِـن العدائين، وهـو خال الشنفرى الأزدي، الصعلوك العداء أيضا، وهو الذي يعني بقوله:

إن بالشِّعْـب الذي دون سلع لقتيـلا دمُـه ما يُطَـلُّ
قـذف العـبء عليَّ ووَلى أنـا بالعـبء لـه مستقلُّ

إلى أن قال:

حَلَّـت الخمر وكانت حـرامًا فبـلأي ما ألَمَّـتْ تحـلُّ
فاسقنيها يا سـوادُ بنَ عمرو إنَّ جِسـمِي بعد خالي لَخَلُّ

وهو رَبِيبُ أبي كبير الهذلي، الشاعر، وفيه يقولُ يَرثيه:

ممـن حملن به وهن عواقـد حُبكَ النطاق فشب غير مهبل
علقت به في ليلـة مـزؤودة كرها وعقـد نطاقـها لم يحلل

ومنها:

وإذا نظـرت إلى أَسِرَّةِ وجهـهِ برقـت كبرق العارِض المتهلل

وقد نظرت عائشة رضي الله عنها يوما إلى النبي ﷺ وهو يخصِفُ نعلـهُ فرأت النور في وجهه، فقالت: يا رسول الله بأبي أنت وأمـي، أنـت والله أولى ببيت أبي كبير الهذلي: **وإذا نظرت إلى أسِـرَّة وجهـه..** إلخ، فقـام صلـى الله عليه وسلم إليها فقبل رأسها.

وكان تأبط شرا من الفتـاك، حـارب هذيـلاً وقتـل منهـم، فلـم يزالـوا يطلبونه إلى أن وجدوه يوما على جبل يشتارُ العسل[1]، ولم يشعر بهـم إلى أن أحاطوا بأسفل الجبل فصب عكةَ عسل على مكان من الجبل لا يصعـد فيه ولا يهبط منه لملاسـته، فـانبطح علـى العسـل فانسـاخ بـه إلى الأرض، فنجا وفاتهم؛ وفي ذلك يقول أبياتَه التي منها:

فأبتُ إلى فهـم وما كـدت آئبا وكـم مثلها فارقتها وهي تصفـــر

ولم تزل هذيل يحتـالون لـه ويطلبونـه إلى أن قتلـوه؛ فحلـف ابـن أختـه الشنفرى ليقتلن به منهم مائة. وقال يبكيه: **إن بالشعب**.. القصيدة، ومنها:

تضحــك الضبع لقتلى هذيل وتـرى الذيـب لها يستهـل

وقيل إن فَهْمَ تأبَّط شرا فَهْمُ بن عمرو بن سعد بن قيس عيـلان، وفَهْم الليث فهْـم بـن عمـرو بـن قيـس عيـلان. ولم يذكـر القلقشـندي إلا هـذا الأخير.

ولما أنهى الكلام على خصفة وعمرو رجع إلى أخيهما سعد الذي ذكر معهما، فقال رحمه الله:

الكلام على سعد بن قيس عيلان

ثَعْلَبَـــةٌ وَأَعْصُـــرُ وَغَطَـفَانْ عَمْرُو لِسَعْدِ ابْنِ قَيْسِ عَيْلَانْ

---

(1) أي يجنيه.

يعني أن سَعْد بن قيس عيلان له من الولد أربعة: عمرو وثعلبة، و لم يتكلم عليهما، وغطفان وأعصر[1].

أما ثعلبة فمنه الكسعي الذي يضرب المثل بندامته، واسمه عامر بن الحارث الكسعي؛ أعجبه عود نبع فلم يزل يسقيه ويُعَالِجُهُ إلى أن استقام وصلح، فعمل منه قوسًا وعمل من نجارتها سبعة أسهم؛ فرصد بها للحمر على الماء، فجعل كلما رَمَى واحدة أنفذها السهم ويصيب الحجارة من ورائها فيوري نارا فيظن أنه قد أخطأ؛ فعمد إلى القوس فكسرها. فأصبحت الحمرُ صرعى على الماء، فندم على كسر قوسه حتى عض على إبهامه فقطعها، وأنشد:

ندمت ندامةً لو أن نفسي ... تُطاوعني إذن لقطعت خمسي
تَبيَّن لي سفاه الرأي مني ... لعمر أبيك حين كسرت قَوسي

نسب باهلة

بَاهِلَةُ، طُفَاوَةُ، غَنِيٌّ لأَعْصُرٍ. بَاهِلَةُ الدَّنِيُّ
مِنْهُ الأَدِيبُ الأَصْمَعِيُّ المُنكِرُ نَسَبَهُمْ وَالظَّالِمُ الْمُنْتَشِرُ

---

(1) اسم أعصر هذا منبه، ولقب أعصر لقوله:

قالت عميرة ما لرأسك بعدما ... فقد الشباب أتى بلون منكر
أعمير إن أباك غَيَّر رأسه ... مرُّ الليالي واختلاف الأعصر

أما **باهلة** فهي بنت صعب بن سعدِ العشيرة، أهل عز مَذْحِجٍ، بل اليمن؛ تزوجها مالك بن أعصر فولدت له ثم خلف عليها ابنُه بعده معنُ بن مالك فولدت له ولدين، وله من غيرها عدة أولاد، فحضنت الجميع وسُمُّوا بها، فكان كل من ولد مالك بن أعصر يدعى باهلة[1].

وأما **طُفاوة** فهي امرأة من قضاعة[2] سمي بها من ولدت من بني أعصر.

يعني أن الحي المسمى باهلة والمسمى طُفَاوة والمسمَّى بني غني: **لأعصر** بن سعد، أي ينتسبون لأعصر. أما طُفاوة وغني فلم يتكلم فيهم[3].

---

(1) وتشمل قبيلة باهلة عدة بطون منها: بنو سهم وبنو أصمع وبنو وائل وبنو فرَّاص وبنو معن وغيرهم..

(2) وهي الطفاوة بنت جرم بن زبان، وبها عرفت قبيلة طفاوة التي تتألف من ثلاثة أولاد: معاوية وعمرو وثعلبة بني أعصر بن سعد، ولها بطون منها: بنو حسر وبنو سنان.

(3) وقد تفرعت غني إلى عدة بطون منها عبيد وزبان وصريم وصبيعة وبنو جِلاَّن وبنو عتريف، فمن غني ثم من بني جِلاَّن بن غنم بن غنيٍّ منهم: عبد الله بن عقبة، ابن عِم الطفيل الغنوي المذكور؛ كان فيمن شهد قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، وفي ذلك يقول الشاعر:

وعند غني قطرة من دمائنا   وفي أسد أخرى تعد وتذكر

ومنهم أيضا كعب بن سعد الغنوي الشاعر الإسلامي القائل:

وذي ندب دام الاظل قسمته   محافظة بيني وبين زميلي
وزاد رفعت الكف عنه عفافة   لأوثر في زادي عليَّ أكيلي
ومن لا ينل حتى يسد خلاله   يجد شهوات النفس غير قليل
وعوراء قد قيلت فلم ألتفت لها   وما الكلم العوارء لي بقبول
وما أنا بالشيء الذي ليس نافعي   ويغضب منه صاحبي بقؤول
ولن يلبث الجهال أن يتهضَّمُوا   أخا الحلم ما لم يستعن بجهول

ومن غني: كناز بن الحصين رضي الله عنه، وهو أبو مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب؛ شهد هو وابنه مرثد بدرا، وقتل مرثد في بعث الرجيع، وعاش أبوه إلى خلافة عمر وقيل عثمانَ؛ حديثه: «إن سركم أن تقبل صلاتكم فليؤمكم خيارُكم فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم»[1].

ومنهم الطفيل الغنوي، الشاعر[2] الذي قال أبو بكر للأنصار: والله ما نحن وأنتم يا معشر الأنصار إلا كما قال الطفيل الغنوي:

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقتْ ... بنا نعلنا في الواطئين فزلَّتِ

أبَوْا أن يَمَلُّونا ولو أنَّ أمنا ... تلاقي الذي لاقوه منا لملَّتِ

باهلة وبعض ما قيل عنهم

وأما باهلة فأول كلامه فيهم قوله: **باهلة الدني**، وأخبر عنه بقوله: **منه الأديب**.. ووصفهم بالدناءة لكثرة ما تهجوهم العرب وتسخر منهم، حتى قيل إن في الحديث: «تَتَكَافَأُ دماؤُكم ولو قتلتم رجلا من باهلة»[3]، وأما

---

(1) رواه الطبراني والحاكم.

(2) هو طفيل بن عَوْفٍ بن خلَف بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن جلاَّن بن غنم بن غني بن أعصر، شاعر جاهلي فارس، كان من أوصف العرب للخيل؛ قال فيه الأصمعي: كان طفيل أحد نعَّات الخيل، وكان يسمَّى طفيل الخيل لكثرة وصفه إيَّاها ويسمَّى أيضا المحبِّر لحسن وصفه لها أو لحسن شِعْره وتحبيره له، وقد قال فيه عبد الملك: من أراد ركوب الخيل فليروِ شعر طفيل، وقال فيه معاوية: دعوا لي طفيلا ولكم سائر الشعراءِ، وكان أكبر من النابغتين: الذبياني والجعدي.

(3) وفي رواية: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم» ـ أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد.

أقوال العرب فيهم فلا تُحصى نظمًا ونثرا، منها قول الشاعر:

وما ينفــعُ الأصــلُ من هاشم إذا كانــت النّفس من باهلــةْ

وقوله:

ولــو قيل للكلـــب يا باهلـي عوى الكلب من لؤم ذاك النسب

وقوله:

إذا باهلي تحتـــه حنظليـــة له ولـــد منها فـــذاك المدرع

ومنها أن قتيبة بن مسلم قال لهبيرة بن مسروح: أي رجل أنت لو كان أخوالك من غير بني سلول، فقال: أصلح الله الأمير بادِل بهــم مـن شئت من العرب وجنّبْني باهلة!

وقيل لبعضهم: أيسرك أن تدخل الجنة وأنت باهلي؟ قـال: نعـم ولكـن بشرط أن لا يعلم أهل الجنة أنني باهلي! ولقي أعرابي رجلا باهليـا فجعـل يرثي له ويقبل يديه ويتبرك منه، فقال لـه البـاهلي: و لم؟ فقـال: إن الله مـا ابتلاك في الدنيا إلا ليعوضك عنها في الآخرة. وحج أبو جُزء بن سعيد بـن سَلم في زيٍّ حسن، فوافـى في الموسـم قومـا مـن بـني الحـارث بـن كعـب فأعجبهم زيه وأدبه ثم سألوا عنه رجلا منَ خاصتِهِ فالتمس لهم أحسن مـا يذكر به فلم يزالُوا به إلى أن أوصله إلى باهلة، فقام أحدُهم وقال: ويحكـم قوموا بنا هذا الذي نجالسه مُنذُ اليوم باهلي، فقـال لهـم الرجـل: هـذا أبـو جزء بن سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم، أمير وابن أمير وابـن آخـر.. إلى أربعة، فقالو له: الإمارة أعظـم أم الخلافـة؟ قـال: الخلافـة، قـالوا: الخلافـة

أعظم أم النبوءة؟ قال: النبوءة، قالوا: وا لله لو ذكرت له من النبوءة أضعاف ما ذكرت له من الإمارة، ثم ذكرت أنه باهلي لكما قلت إنه باهلي! قال الرجل: فقلت لأبي جزء: قم بنا عن هؤلاء فما رأيت أسوأ منهم أدبا.

وذكَّر الوصف والضمير وأفردهما باعتبار لفظ الحي. **والأصمعي**: هو أديبُ وراويةُ زمانه، واسمُه عبد الملك بن قريب (كزبير) بن عبد الملك بن علي بن أصمع ـ المنسوب إليه ـ بن مُظَهَّرٍ[1]. وعن اليدالي: أن أصمع وأباه مظهرا أدركا النبي ﷺ وأسلما. و لم يذكرا في مختصر الإصابة في الصحابة.

وإنكاره لنسب باهلة أنه كان يقول: لم تلدني باهلة، لأن جدي قتيبة بن مَعْن لم تلده، فكيف أكون من باهلة والناس إذا كانوامنها تبرأوا من نسبهم، فكيف بمن لم تلدْهُ قط؟! وكان الأصمعي في الدولة العباسية، سمع يوما الكسائي ينشد قول افنون التغلبي:

---

(1) بوزن معظم؛ ومظهر هذا ابن رياح بن عبد شمس بن اعيا بن سعد بن عبد بن غنم بن قتيبة بن معن بن أعصر بن عمرو بن قيس عيلان. نشأ الأصمعي هذا بالبصرة فأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة البصرة وأخذ عن فصحاء الأعراب وأكثر الخروج إلى البادية وشَافَه الأعراب وساكنهم وتعلم من خلف الأحمر نقد الشعر ومعانيه وكان أحفظ أهل زمانه حتى قال مرة: إني أحفظ اثني عشر ألف أرجوزة، فقال له رجل: منها البيت والبيتان، فقال: والمائة والمائتان. وكان صاحب لغة ونحو، إماما في الأخبار والنوادر والملح والغرائب، وكان عالما حافظا فطنا عارفا بأشعار العرب وأخبارها وكان دَيِّنا. توفي رحمه الله بالبصرة في صفر سنة سبع وعشرين ومائتين. ومما رثي به:

لله در بنات الدهر إذ فجعت ... بالأصمعي لقد أبقت لنا أسفا

عش ما بدا لك في الدنيا فلست ترى ... في الناس منه ولا من علمه خلفا

أنّى جـــزوا عامرا سوءا بفعلِهــمُ   أم كيف يَجزونني السُّوآى من الحسن
أم كيف ينفع ما تعطــي العلوق به   ريمانُ أنــفٍ إذا ما ضُـــنَّ باللبن

فقال: كيف رفعت ريمان؟ فقال الكسائي: اسـكت مـا لـك ولهـذا؟ يجـوز رفعه بدلا من العلوق ونصبه على الحـال وخفضـه بـدلا مـن الضمـير. و لم يقنع الأصمعي بقول الكِسائِيِّ ولَكِن سكت عنه تأدُّبا معه.

قوله: **والظَّالم المنتشر**: يعني المنتَشِر بن وهب البـاهلي، كـان في الجاهليـة مشهورا بالظلم؛ روي أن العرب أقحطوا، فاجتمعوا وتعاقدوا على العافيـة وعدم الظلم حتى يمطَروا، فقال قائل: هذا الأمر لا يقبله المنتشر بن وهب؛ فبعثوا إليه بذلك مع رجل من بني ضبـة، فلمـا سمـع قولـه: قـال مـا تـأكل قومي إلى ذلك؟ فتوارى الضبي عنه فطلبه ليقتله فلم يجده، فركب وأغار.

وهو من سادات العرب، وكان أخذ رجلا مـن محـارب فقطعـه عضـوًا عضوًا وأنملةً أنملةً، والرجل اسمه صلاءة، ثم أخذت محارب منتشرا فقتلـوه؛ ورثاه الأعْشى بقصيدته التي هي من أحسن المراثي، وأولها:

إني أتتـــني لسان لا أُســـر بها   من عُلوَ لا عَجَـبٌ فيها ولا سخر
فبــت مُرتفقا للنجــم أرقبـــه   حَيْــرَانَ ذا حــذر لو ينفعُ الحذَرُ
وجاشــت النفــس لما جاءَ جمْعُهم   وراكب جاء من تثليـــثَ معتمـــر
يأتي على الناس لا يلوي على أَحدٍ   حتى التقيْنا وكانــت بيننا مضـــرُ
بنعـي من لا تغـب الحـيَّ جفنتُه   إذا الكواكـــب أخطا نوءها المطَر
مَن ليـــس في خـــيره شر يكدرهُ   على الصديـــق ولا في صفوه كدرُ
لا يأمن القـــوم مَمْساه ومَصبحهُ   من كـــل أَوبٍ وإن لم يأتِ ينتظَرُ

لا يتأرّى لما في القـــدر يرقبـــه ولا يعض على شرسُوفه الصَّفـــر[1]
لا يغمز السَّاق من أينٍ ومِن نصَبٍ ولا تـــراه أمام القـــوم يقتفرُ
وتفزع الشـــول منه حين تبصره حتى تقطـــع في أعناقها الجـــرر

وآخرها:

إذا سلكـــت سبيلا كنت سالكها فاذهـــب فلا يُعدَنك ا لله منتشرُ

قُتَيْبَـــةُ بْنُ مُسْلِـــمٍ أَحْدَبُهَا الْمُشْتَـوِي عِفَاقَ فِيهِ سَبُّهَا
«إِنَّ عِفَاقًا أَكَلَتْـــهُ بَاهِلَـــهْ تَمَشَّشُوا عِظَامَـــهُ وَكَاهِلَـــهْ»

قتيبة: معطوف على **الأديب** بحذف العاطف، وهو سائغ لا سيما في النظم. وكذلك **أحدبها**. يعني أنَّ باهلة منها الأديب الأصمعي والظالم المنتشر **وقتيبة بن مسلم وأحدب** باهلة[2].

أما قتيبة بن مسلم[3] فهو أمير خراسان المشهور بالجود والعدل والرئاسة، أمَّره الحجاج بإرشاد عبد الملك، فافتتح منها ما وراء النهروان من خُوارزم وسَمَرْقَندَ وبُخارى وفرغَانَة، وكان يأمر بالدابة فيركبها ويأتي

---

(1) يتأرى لما في القدر: أي لا يقيم لانتظاره والشرسوف (بوزن عصفور): طرف الضلع المشرف على البطن. والصفر (بالتحريك): الجوع، يقال "عض على شرسوف الصفر" أي جاع.

(2) وقوله: **إن عفاقا..** إلخ: بدل من قوله: **فيه سبُّها**، أي وفي أحدب باهلة هذا سب قبيلته الذي هو قول الشاعر: **إن عفاقا أكلته باهلة**..إلخ.

(3) ابن عمرو بن حصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخير بن كعب بن قضاعي بن هلال الباهلي. نشأ قتيبة هذا في الدولة المروانية وترقى وتولى الإمارة وفتح الفتوحات العظيمة وكان شجاعا جوادا دمث الأخلاق ذا رأي. وقتل في خلافة سليمان بن عبد الملك.

السوق فيشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسولُه، امتثالا للحديث: «من دخل السوق» ـ الحديث[1].

وأما **أحدب** فهو ابن عمرو بن عمارة بن عبد العزى، وجدُّه ـ عمارة بن عبد العزى ـ هو الذي قتل عبد الدار بن قصي، لكنه أكل رجلا من بني عامر بن صعصعة يقال له **عفاق** بن مرة بن سلمة بن قيس بن كعب بن ربيعة من عامر بن صعصعة، فسبت به باهلة، مع ما هم عليه، لأنه أكله لأجل الجوع؛ فقيل فيهم:

إن عفاقا أكلته باهلهْ تمششوا عظامه وكاهِلهْ
وتركوا أم عفاق ثاكلهْ

ومن باهِلة أبو أُمامة الباهلي الصحابي، واسمه صدي بن عجلان. ومنهم الهرماس بن زياد؛ وفد هو وأبوه زياد على النبي ﷺ، قال: رأيت النبي ﷺ راكبا على ناقته العَضْبَاءِ وأنا صغير قد أردفني أبي على جمل، فمددت يدي ليبايعني فلم يبايعني.

---

(1) ولفظه: «من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألفَ ألفِ حسنة ومحا عنه ألفَ ألفِ سيئة ورفع له ألفَ ألفِ درجة ـ وفي رواية ـ وبنى له بيتا في الجنة» ـ رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وأحمد، وهو من حديث سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جده.

ومنهم سلمان بن ربيعة الذي يقال له سلمان الخيل، صاحب الفتوحات لعثمان؛ إن لم يدرك النبي ﷺ فقد كاد.

ومنهم سُحبان وائل الذي يضرب به المثل في الفصاحة[1]، وباقل الذي يضرب به المثل في الفهاهة[2]، وهُما من قبيلة من باهلة يقال لها وائل؛ أبوها وائلُ بن معن بن مالك بن أعصر.

ومن باهلة أيضا سعيدُ بن سلم، ولي الولايات للمنصور والهادي، وهو الذي مدحه الشاعر بقوله:

أيا ساريا بالليل لا تَخْشَ ضلةً　　سَعيد بن سلم ضَوْءُ كل بلادِ

لنا سيد أربى على كل سيد　　جواد حثا في وجه كل جوادِ

قال سعيد: مدحني فأبلغ، وقصرت عن جائزته فهجاني فأبلغ فقال:

---

(1) هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، يعرف بسحبان وائل كان من المخضرمين الذين أسلموا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجتمعوا معه. وكان خطيبا فصيحا بليغا يضرب به المثل في البيان، وكان إذا خطب لا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ. وقام يوما في مجلس معاوية بأمر منه فتكلم من صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا ابتدأ في معنى فخرج منه وقد بقي عليه منه شيء، فما زالت تلك حالته حتى أشار معاوية إليه بيده فأشار إليه سحبان أن لا تقطع عليَّ كلامي فقال له معاوية: أنت أخطب العرب، فقال سحبان: والعجم والإنس والجن!.

(2) الفهاهة، والفهَّة: العِيُّ، وفهه: عيي - [القاموس]. ومن فهاهة باقل هذا أنه اشترى يوما ظبيا بأحد عشر درهما فسئل عن شرائه ففتح كفيه وأخرج لسانه يشير إلى ثمنه فانفلت الظبي، فضرب به المثل في العِيِّ!.

مدحت ابن سلم والمديح مهزة فكان كصفــوان عليه تــرابُ
لكل أخي مــدح ثواب علمته وليس لمــدح الباهلي ثــوابُ

بَاهِلَــــةُ مُحَارِبُ سَلُــولُ أَزْرَتْ بِهَا إِخْوَتُهَا الْفُحُــولُ[1]

يعني أن هذه القبائل كان فيها بعض ما يكون في قبائل العـرب مـن الشـعر والغَناء في العدو وغير ذلك من صفات العرب، لكن وضعها قصورها عـن شرف إخوتها. أما **باهلة** فوضعهم شرف إخوتهم غطفـان، وأمَّـا **محارب** فوضعتهم مآثر سليم وهوازن، وأمَّا **سلول** فوضعهم قصورهم عن إخوتهم من بني عامر بن صعصعة، حتى كـانوا يسـتنكفون عـن مسـاكنتهم؛ كمـا قال عامر بن الطفيل: *أغدة كغدة البعير وموتا في بيت امرأة من سلول!*[2].

---

(1) **باهلة**: مبتدأ. و**محارب وسلول**: معطوفان عليه بحـذف العـاطف، وجملـة: **أزرت بهـا**..إلخ: خبر المبتدأ. و**إخوتها**: فاعل أزرت، والضمير في **بها**: عائد علـى باهلـة والمعطوفـين عليهـا. و**الفحول**: صفة للفاعل وهو جمع فحل ويستعار ـ كما هنا ـ للكريم العظيم.

(2) ولما أنهى الكلام على بني أعصر أخذ يتكلم على بني أخيه غطفان وهم ثلاث قبائل: ذبيـان وعبس وأشجع. فقال رحمه الله وعفا عنه:

نسب غطفان

عَبْسًا وَذُبْيَانَ وَأَشْجَعَ انسُبِ لِغَطَفَانَ وَلِذُبْيَانَ الأَبِي

سَعْدُ أَبُو عُوفٍ أَبِي الْحَيِّ بَنِي غَيْظِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ عَوْفِ الْمُبْتَنِي

بِهَرِمٍ وَالحَارِثَيْنِ سُؤْدَدَا أَوْ لِلُؤَيٍّ عَوْفُهُمْ وَأَنشَدَا

فِيهِ ابْنُ سَعْدٍ إِذْرَآهُ أَبْطَأَ جَمَلُهُ والرَّكْبُ عَنْهُ قَدْ نَأَى

«احْبِسْ عَلَيَّ ابْنَ لُؤَيٍّ جَمَلَكْ تَرَكَكَ الْقَوْمُ وَلاَ مَتْرَكَ لَكْ»

عبسا: مفعول به لانسب، وذبيان وأشجع معطوفان عليه. **ولغطفان** متعلق بانسب. أما عبس وذبيان فبواسطتين وهما: بَغيض وريث، وأما أشجع فبواسطة واحدة وهو عمهما. قوله **وذُبيان الأبي**: ذبيان بضم الذال وكسرها. والأبي: صفة له، وهو من أسماء الأسد ومعناه الأبي عن الضيم، قال:

رئمت لسلمى بَوَّ ضيم وإنني قديما لآبي الضيم وابن أباة

والسودد (بالضم)، والسؤدد (بالهمز، كقنفذ): السيادة من تكرير الأصل. **ولؤي**: هو ابن غالب، عمودُ النسب؛ وهو بالهمز: تصغير اللآى وهو الثور الوحشي، أو هو تصغير اللأيِ وهو الأناة[1]، وعليه قول أبي أسامة الجشمي:

---

(1) يقال لم يجئ إلا بعد لأي أي بطءٍ واحتباس، ولعله بمعنى الأناة.

فدونكـــمُ بني لأي أخاكـــم ...[1]

يعني: وينسب لذبيان **سعد** بن ذبيان، وهو أبو عوف بـن سـعد؛ الـذي هو أبو القبيلة المشهورة بني مرة، وحيـث أطلـق المُـرِّيُّ فهـو منهـم. وذكـر أنهم ابتنوا المجد والسؤدد بثلاثة منهم، وهم:

الحارث وهرم ودورهما في الصلح بين عبس وذبيان

الحارث بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن غيظ بن مرة، كان سيدا في الجاهلية وهو قـائد غطفـان في الأحـزاب إلى النبـي ﷺ، ثـم أسـلم وحسـن إسلامه، وخطب إليه النبي صلى الله عليه وسلم بنتـه فـاعتذر إليـه أن بهـا برصا، فلما قدم عليها وجدها برصاء[2]. وسـأل رسـول الله ﷺ أن يبعـث معه رجلا إلى قومه يدعوهم إلى الإسْـلام فبعـث معـه رجـلا مـن الأنصـار فقتلوه، و لم يقدر الحارث على منعه؛ فبعث إليه يعتذر بدية المقتـول فقبلهـا صلى الله عليه وسلم ودفعها إلى ورثته، فقال حسان في ذلك:

يا حارِ من يغـدر بذمـة جاره منكـم فإن محمـدا لم يغـدر[3]

---

(1) تمامه: ودونـك مالكا يا أم عمرو ، وتقدم.

(2) زاد المعاد: 114/1.

(3) وبعده: إن تغـدروا فالغـدر منكم شيمة والغـدر ينبت في أصول السَّخبَرِ

وأمانة المري.. إلخ..

والسخبر: شجر ينمو فتتدلى أغصانه، قيل إنه قال ذلك لأن منازل قوم الحارث تنبت ذلـك النوع من الشجر.

وأمانـــة المري ما استودعتـــه   مثل الزجاجة صدعها لم يجـبر[1]

وهو أحد المتحملِيْن الحمالات بين عبس وذبيان، هو وابـن عمه هـرم بـن سنان.

وسبب ذلك أنه قال يوما للحارث بن ظالم: هل في العرب مـن تـأنف أن أتزوجها؟ قال: نعم، قال: من هي؟ قال: بنتُ أوس بن حارثة بـن لام، قال: اركب معي إليها. فركبا، فلما رآهما أوس قام فقـال: مرحبـا بسيد العرب ما حاجتك؟ قال: جئـت خاطبـا، قـال: أنـت عنـدي فـوق ذلـك، ففهمها الحارث فثنى رأس جمله موليا.

فدخل أوس على امرأته فقالت: من الراكبان؟ قال: ذلك سـيد العـرب اليوم الحارث بن عوف، قالت: ما يريد؟ قال: يخطب، قالت: ما قلت لـه؟ قال: رددته، قالت: و لم تقول إنه سـيد العـرب وتـرد خطبتـه عـن بنـاتك، تطلب أحدا أكرم منه أم تريد عضلهن؟ اذهـب فالحقـه وزوِّجْـهُ مـن شـاء منهن. فخرج أوس في أثره يقـول: اربَـعْ لي يـا حـار، والحـارث بـن ظـالم يستوقفه فيأبى.. فلأيا مًّا وقفا. فردهما وبنى لهما بيتا، ثم دخلَ على بناتـه وبدأ بالكبرى فاعتذرت، فقال: بارك الله فيك، ثم الوسطى فكذلـك، ثـم أتى الصغرى فقالت: نعم أنا الحسناء وجهاً، الصنعاء يدا؛ فزوجها منه.

فلما أصبح قال له الحارث بن ظالم: هل فرغت من أمر عرسِك ـ يعـني

---

(1) وجاء الحارث هذا إلى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر له وأدَّى له ديـة الأنصـاري وقـال له: يا محمد إني عائذ بك من لسان حسان.

الدخول ـ؟ قال: لا، قال: و لم؟ قال: قالت: أَعندَ أبي وحول بيت أمي؟ فأمر بالرحيل، فلما كانوا في الطريق سأله الحارث بن ظالم فقال له: أفرغت؟ قال: لا، قال: و لم؟ قال: قالت: تريد أن تجعلني كالأَمَة الجليبة؟ لا والله حتى نقيم عند أهلك. فلما قدموا أراد منها ذلك، فقالت: كنت أسمع أنك سيد العرب وأنَّ مِن أمرك كيت وكيت.. العرب تتفانى وتتقاتل عن يمينك وعن شمالك ولا يهمك إلا أمرُ النساء! فلما أصبح دعا ابن عمه هرما ابن سنان فقاما في الصلح بين ذبيان وعبس وتحملا الحمالات بينهما. وفي ذلك يقول زهير:

تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشِمِ

الثاني: هرم بن سنان بن أبي حارثة، ممدوح زهير؛ وهو أحد أجواد العرب في الجاهلية ـ وهم ثلاثة كما ذكر كتاب الغرر: هرم هذا وحاتم الطائي وكعب بن مامة الإيادي ـ فلما أكثر زهير من مدحه وأكثر هو من عطاء زهير، قال زهير: والله لا أمدحه بعد، فقال هرم: والله لا يسلم علي إلا أعطيته، فكان زهيرٌ إذا أتى النادي وفيهم هرم يقول: عموا صباحا غير هرم وخيركم تركت، فيعطيه عبدا أو وليدة أو فرسا.

قال عمر يوما لبعض ولد زهير: ما فعلت الحلل التي كسا هرم أباكم؟ قال: أبلاها الدهر، قال عمر: لكن الحلل التي كساها أبوكم هرما لم يبلها الدهر وقد ذهب ما أعطاكم وبقي ما أعطيتموه.

وأبوه سنان بن أبي حارثة، فُقِد فطلبُوه في الآفاق فلم يجدوه، وفي ذلك يقول زهير:

إن الرزيـــة لا رزيـــــة مثلها ما تبتغي غطفان يـــوم أضلت[1]

يقال إنه هَوِيَ امرأة فتفَاقم به حبها فتاه على وجهه، وتزعـم بنـو مـرة أن الجن استطارته فأدخلته بلادها فاستفحلته لكرمه[2]. ومما مدح بـه زهـير هرما قوله:

إليــكَ أعملتها فتــلا مرافقـــها شهرين يجهض في أرحامهـــا العلق
حتى أنخنا إلى حلــو شـمـائلــــه كالغيــث ينبــت في آثاره الـورَقُ
من أهل بيت يرى ذُو العرش فضلَهم يبنى لهم في جنان الخلد مرتفــــقُ
تنافس الأرض موتاهم إذا دفنـــوا كما تنوفس عند الباعــــة الورِقُ
إن فاخروا فخروا أو قامروا قمروا أو ناضلوا نضلوا أو سابقــوا سبقوا

ـ الأبيات، وهي في غير ديوانه ـ والعرب مقرة با لله وعالمة بالجنة والنار.

الثالث: **الحارث** بن ظالم بـن جذيمـة بـن يربـوع بـن غيـظ، كـان مـن شياطين العرب وفتاكهم وشجعانهم[3]، وقدمنا ما تيسر من خـبره في قتلـه

---

(1) إنَّ الــركاب لتبتغـي ذا مـــرَّة بجُنوب نخـــل اذا الشُّهور أحلَّتِ
ينعــونَ خـيرَ النَّاسِ عند كريهةٍ عظمـــت رزيَّتُهم هناك وجلَّت
ولنعم حشوُ الـدرع كان إذا سطا نهِلت من العَلَـق الرماح وعلَّتِ

(2) وقيل إنه هرم حتى بلغ مائة وخمسين سنة فهام على وجهـه خرفـا ففقـد، وقيـل إنـه خـرج لحاجة بالليل فأبعَد، فلما رجع ضل فهام طول ليلته حتـى سـقط فمـات، وتبـع قومـه أثـره فوجدوه ميتا، فرثاه زهير بقوله: إن الرزية..إلخ..

(3) آلت إليه سيادة غطفان بعد مقتل زهير بن جذيمة. ولما قتل خالد بن جعفر جدت بنو عـامر في طلبه، وطلبه النعمان بـن المنـذر أيضـا فشـاع خـبره في القبـائل فتحـامت العـرب شـره، ونشبت من أجله معارك كثيرة. وصار الحارث من حي إلى حي ثم جعل يطوف في البـلاد حتى أتى الشام فقتل في حوران ـ [الزركلي].

لخالد بن جعفر.

قوله: **أو للؤي عوفهم..** إلى آخره: يعني أن بني عوف بن سعد يزعمون أن عوفًا هذا ابنُ لؤي، وليس لسعد بن ذبيان؛ ولكن كان في رفقة فيها ثعلبةُ بن سعد، فأبطأ بعوف جمله؛ فلم يعرج عليه من الرفقة إلا ثعلبةُ أناخ له جملَه وأنشده البيت[1]. فحلف عوف لا يفارقه بعد ذلك، فآخاه حتى انتسب إلى أبيه سعد بن ذبيان[2]، وذلك معنى قول الناظم:

فَهْوَ إِذاً مُّذَبْذَبُ بَيْنَ لُؤَيّْ وَبَيْنَ سَعْدٍ مِّثْلَ مَا كَانَ لُحَيّْ

ولكن حبسهم عن قريش أنهم كانوا في غطفان في الرتبة العليا من الشرف والسؤدد. وقال الحارث بن ظالم حين قتل خالدَ بن جعفر وتشاءم بِهِ قومه، فأنف أن تكون عليه لقومه منة، وأتى قريشا بهذا الانتساب، فأنشد:

رفعْت السَّيف إذ قالوا قريشٌ وبينت الشمائل والعتابا
فما قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا
وقومي ـ إن جهلت ـ بنو لؤي بمكة علَّمُوا الناس الضرابا
سفِهنا باتباع بني بَغيض وتَرْكِ الأقربين لنا انتسابا
سفاهة محرق لَّما تروى هراق الماء واتبع السَّرَابَا

---

(1) وهو قوله: **احبس علي ابن لؤي جَمَلكْ تركك القوم ولا مترك لكْ**

(2) قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير أن عمر بن الخطاب قال: لو كنت مدعيا حيا من العرب أو ملحقهم بنا لادَّعيت بني مرة بن عوف، إنا لنعرف فيهم الاشباه مع ما نعرف موقع ذلك الرجل حيث وقع ـ يعني عوف بن لؤي ـ وهم يقولون إذا ذكر لهم هذا النسب ما ننكره وما نجحده وإنه لأحب النسب إلينا.

وقَوْلُه: **مُذَبْذَبٌ** (بالكسر والفتح) أي متردد بين الانتساب إلى **لؤي**، فيكون من قريش، أو إلى **سعد** بن ذبيان فيكون من غطفان؛ مثل تذبذب **لُحَيٍّ** بين الانتساب إلى قمعة ـ كما في الحديث ـ فيكون من عدنان، أو إلى حارثة الغطريف ـ كما عند النسابين مع اعتبار ضعف الحديث ـ فيكون من قحطان.

ولما قتل الحارثُ بن ظالم خالدَ بن جعفر استاق بنو عامر إبلا لجارات الحارث، فتبعها الحارث فوجد حالبين يَحلُبان ناقة منها تسمى اللَّفَاع ـ وكانت غزيرة اللبن جدا وكانت عند الحلاب تجتر وتدمع عَيْنَاهَا وتصغي برأسها وتتفاج تفاج البائل ـ فصاح بهما: خَلِّيَا عنها فليست لكما، فعَرف البائن صوته فضرَط، فقال المعَلِّي: والله ما هي لك، فقال الحارث: است البائن ـ أو قال: است الضارط ـ أعلم، فذهبت مثلا[1]؛ (والبائن الذي يأتي

---

(1) فخليا عنها، وارتجز قائلا:

إذا سمعت حنة اللَّفَاع فادْعي: أنا ليلى ولا تراعي

واستنقذ الحارث إبل جاراته واموالهن. وقتل الحارث بن ظالم هذا قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنين أو أكثر، وضرب المثل بفتكه.

ومن بني مرَّة بن سعد بن ذبيان شبيب ابن البرصاء، والبرصاء أمه وبها يعرف ـ وهي بنت الحارث بن عوف ـ وشبيب هو ابن يزيد بن جمرة، شاعر فصيح إسلامي. ومن شعره، من قصيدة له:

وإني لتراك الضغينة قد بدا ثَراها من المولى فلا استثيرها

مخافة أن تجني عليَّ وإنما يَهيج كبيراتِ الأمور صغيرُها

لعمري لقد أشرفت يوم عنيزة على رغبة لو شد نفسي مريرها

=>>

الحلوبة من شمالها[1]).

والبَسْلُ فِيهِمْ أَشْهُرُ ثَمَانِيَهْ   يُحَرِّمُونَهَا شُهُورُ عَافِيَهْ

في القاموس: **البَسْلُ**: الحرام والحلال ـ ضد[2] ـ وهو هنا الحرام، أي تحريم أربعة **أشهر** مع الأشهر الحُرُم، وهُو في بني مرة بن عوف خاصة دون العرب ـ أوْ معهم غيرهم من غطفان ـ كالنَّسيئ في كنانة، يجعلون الأشهر **ثمانية** لا يَتَعَرضون فيها لأحد ولا يتعرض لهم.

مسلم بن عقبة وجرائم جيشه في وقعة الحرة على المدينة

ومِنْهُمُ ابْنُ عُقْبَةَ المَرِيدُ   مُجْرِمُ اسْتَوْزَرَهُ يَزِيدُ

قوله: **ومنهم** أي من بني مرة. **والمريد**: العاتي أو البالغ الغاية في العتو.

-- >>

تَبَيَّنُ أعقابُ الأمور إذا مضت   وتقبلُ أشباها عليك صدورُها

إذا افتخرت سعد بن ذبيان لم تَجِد   سوى ما ابتنينا لا يَعُد فخورها

فلا خير في العيدان إلا صلابها   ولا ناهضات الطير إلا صقورها

ألم تر أنا نورُ قوم وإنما   يُبيِّن للظلماء في الناس نورها

(1) أي الذي يكون من الجانب الأيسر، والمعلي: هو الذي يُعْلي الإناء إلى الضرع ويكون من الجانب الأيمن ويقال له أيضا المستعلي.

(2) فمن مجيئه للحرام قول الشاعر:

بكرت تلومُك بعد وَهْنٍ في النَّدى   بَسْلٌ علَيْكِ ملامتي وعِتابي

أي حرام. ومن مجيئه للحلال قول الآخر:

أيثبتُ ما زدتم وتُلغَى زِيادتي   دمي إن أُحِلَّت هذه لكمُ بَسْلُ

أي حلال لكم ـ [لسان العرب].

والمجرم: المذنب والجاني أو الكافر، قال تعالى ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[1]. ولقب به مسلم بن عقبة هذا، ويقال له أيضا مسرف، وكلاهما تبديل اسمه للشر؛ وهو أهل لذلك لاستيزار يزيد الفويسق له، ولوقعته بأهل المدينة المسماة "الحرة" - لأنها في حرة واقم - أمَّره يزيد على الجيش وقال: لا تتعرض لأهل الشام فيما يفعلون بأهل المدينة. وكان مسلم يشتكي بطنه فقال يزيد: إن مات مسلم فالحصين بن نمير مكانه.

فلما فرغ مسرف من أهل المدينة - لا جازاه الله خيرا - سار قاصدا مكة، وعليها عبد الله بن الزبير، فمات في الطريق بين مكة والمدينة وولي الحصين مكانه على الجيش؛ فلم يزل محاصرا ابن الزبير إلى أن أتاه موت يزيد فرجع، بعد أن أشار إلى ابن الزبير أن يرشيه فيبايعه فلم يفعل، فقال: سبحان الله أُسَارُّك وتُجَاهِرُني وألاينك وتقاسيني!.

وكان لعبد الملك بن مروان صديقٌ من أهل الكتاب يسمى يوسف، قال له عبد الملك حين سار جيش يزيد إلى المدينة: ما أعظم جيش عدو الله إلى حرم رسول الله، فقال له يوسف: جيشك والله إلى حرم الله أعظم من جيشه إلى حرم رسول الله! فقال: عياذا بالله يا يوسف، فقال: والله ما قلته شاكا ولا مرتابا.

تردد أهل المدينة في مبايعة يزيد ثم خلعهم إياه

وكان أهل المدينة بايعوا ليزيد في حياة معاوية، أخذ عليهم البيعة له؛

---

(1) القصص: 78.

المكره أكره والمطيع أطاع. فلما قتل الحسين - رضي الله عنه ولعَن قتلته - تضجر أهل المدينة من يزيد وتداعوا إلى خلعه، فلم يتوافقوا على ذلك وبعثوا إليه وفدا، فأكرم الوفد وأجزلَ جوائزهم؛ ولكن أنكرُوا عليه دينَه وما هو عليه من الفسق، فقدموا على أهل المدينة بخلعه؛ فخلعوه إلا ابن عمر وأبا سعيد الخدري وجابر بن عبد الله.

وبايع أهل المدينة عبد الله بن حنظلة الغسيل؛ فقتل فيمن قتل. وقتل من الصحابة سبْعمائة ومن أبناء الصحابة ألف أو أكثر.

وكان[1] يأخذ الرجل فيقول له: بايع أمير المؤمنين على أنك عبد قِن إن شاء أعتق وإن شاء استرق؛ فإن قال: أبايعه على أني حر مؤمن، قتله وإن أقر بالعبودية أهانه ونتف شعرَه وأرسله. واستباح المدينة سبعة أيام، وقيل لم تبق فيها عذراء إلا افتضت؛ وبقيت أياما لم يدخلها إلا الضباع والذئاب. وقيل إن يوم الحرة لم يبق بعده بدري [ويأتي ذكره إن شاء الله].

وقال [عبد الرحمن] ابن سعيد بن زيد في يوم الحرة:

فإن تقتلونا يوم حرة واقم ... فإنا على الإسلام أول من قتل
ونحن قتلناكم ببدر أذلةً ... وجئنا بأسلاب لنا منكم نفل
فإن ينج منها عائذ البيت سالما ... فكل الذي نلقاه من دونها جلل

وقال فيه الشاعر يرثي يعقوب بن طلحة بن عبيد الله:

لعمري لقد جاء الكَرُوسيُّ كاظما ... على خبر للمسلمين فظيع

---

(1) يعني مسرفا، وزير يزيد.

شباب كيعقوب بن طلحة أقفرت منازلهم من رومـــة فبقيـــع
فوا لله ما هـــذا بعيش فيشتهى هَــنِيءٍ ولا مـوتٍ يريح سريع

ثم قال رحمه الله:

ومِـن فَـزَارَةَ بْنِ ذُبْيَانَ بَنُـو بَدْرٍ وَفِي حَرْبِ الرِّهَانِ وَهَنُوا

فزارةُ (كسحابة): منقول من الفـزارة، وهـي أنثـى النمـر[1]. وبنـو بـدر عدة، منهم حذيفة وحمل وحصن وزمعة وغيرهم. **وحرب الرهان**: هـو حـرب داحس والغبراء والحنْفاءِ والخطارِ المشهورُ. وقوله: **وهنوا**: أي ضعفوا.

سبب حرب الرهان

وسبب حرب الرهان أن قيس بن زهير قام في طلب ثأر أبيه الذي قتلـه خالد بـن جعفـر فـأتى الأنصـار يستعينهـم، ويقـال لهـم إذ ذاك بنـو قيلـة، فأعانوه بذات الفضول[2]؛ فلمـا قـدم بهـا قـال لـه الربيـعُ بـن زيـاد: أَرِنـي

---

(1) وفي *خزانة الأدب* أن فزارة اسمه عمرو؛ ضربه أخ له ففـزره فسـمي فـزارة (والفـزر: الكسـر والشق من الضرب). وقد تفرع من فزارة خمسة بطون هي: بنو بـدر بـن عـدي بـن فـزارة وذكرهم الناظم، وبنو شمخ (بالخاء المعجمة) ابن فزارة، وبنو غراب بن ظالم بن فزارة، وبنو سعد بن فزارة، وبنو العشراء بن جابر بن عقيل بن هلال بن سعد بن مازن بن فزارة. فمـن بني شمخ سمرة بن جندب الصحابي والهيثم بن مبشر الذي يقول فيه ابن سيار الشاعر:

لكـــل أنـاس حاتم يعرفونـــــه وحاتمنا يـــوم الحمالـة هيـثم

ومنهم أيضا منظور بن زبان ومرداس بن نهيك الآتيان.

(2) ذات الفضول: اسم دِرعٍ سميت بذلك لفضلة كانت فيها وسعة. وقيل كان اسم درع النبي صلى الله عليه وسلم [لسان العرب].

درعك هذه أنظر فيها، فأعطاه إياها، فلبسها وأبى أن يخلعها بعد. فأغار قيس على مائة ناقة لبني زياد فباعها بمكة من قريش بالسلاح وغيره، وفي ذلك يقول:

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بني زياد
ومحبسها على القرشي تشرى بأدراع وأسياف حداد

يعني بالقرشي عبد الله بن جُدعان[1].

ثم جاور فزارة يستنجدهم على ثأره، ثم كان من أمرهم أن تراهنوا على مسابقة فرسي قيس: داحس والغبراء، وفرسي حذيفة الخطار والحنْفاء؛ فتراهنا على عشرين بعيرا، وجعلا الغاية مائة غَلْوَة، والمضمار أربعين ليلة، والجري من ذات الاصاد. فأرصد بنو فزارة كمينا: غلمانا بأيديهم أرغفة، وقالوا لهم إن جاءتكم الغَبراء سابقة فردوها والطموا وجهها، ففعلوا.

فتطالب القوم الرهان، فكل منهما يدعي سبق فرسه.. إلى أن تشاحنا، فبعث حذيفة ابنه إلى قيس يطلب الرهن فقتله قيس. وكان الربيعُ بن زياد العبْسي مصاهرا لبني بدر مجاورا لهم. ثم بعث حذيفةُ فرسانا إلى مالك بن زهير فقتلوه، وكتم ذلك عن الربيع بن زَياد، فوجده الفرسان مع الربيع

---

(1) وفي *العقد الفريد*(152/5): فاطرد قيس لَبُونا لبني زياد فأتى بها مكة فعاوض بها عبد الله بن جدعان بسلاح. وفي رواية أنه أغار على أربعمائة ناقة للربيع بن زياد وقتل رعاءها وأنه باعها من حرب بن أمية بن عبد شمس كما في *الحلة السيرا*، وكما سيأتي للمصنف.

فقال لهم: هل ظفرتم بحماركم؟ قالوا: نعم، فجعل الربيعُ يلومه ويقول لـه: العرب تتقاتل، وتتعب خيلك في حمار وحش!! فلما أكثر عليه قال: إليـك عني، خيلي كانت تقتل مالك بن زهير؛ فارتحل الربيع بأهلهِ. فلما كان من الغد بعث حذيفة في أثـره رهطا وقـال لهـم: إن وجدتمـوه ارتحـل البارحـة وكسر أواني الخمر فارجعوا وإلا فاتبعوه فستلحقونه واقتلـوه؛ فوجـدوه لم يتريث وكسر أواني الخمر وترك الثقل وألقاها، فرجعـوا. وكـان في الليلـة التي بعد ارتحاله من بني بدر ـ حين أخذ المضجع ـ دنت منـه زوجتـه فقـال لها: إليك عني وجعل يقول:

أفبعـد مقتل مالك بن زهـير	**تَرجُـو النِّسَاءُ عَواقبَ الأطهار**
من كان مسـرورا بمقتل مالك	**فليأت نسـوتنا بوَجْـهِ نـهار**
يجـد النساء حواسرا يندُبْنه	**يبكـين قبـل تبلـج الأسْحار**

ولم تزل الحرب بين الحيين إلى "يوم جفر الهباءة"، وهو يـوم غـزت فيـه ذبيان عبْسًا؛ فلما هجمـوا عليهـم أمـر قيـس بـن زهـير عبسـا أن يولوهـم أدبارهم ويخلوا بيْنهم وبين النعم والأثاث؛ فاشتغلت ذبيـان بالغنـائم، فلمـا تَوَلَّوا وفرقتهم الغنائم نـدب قيـس النـاس في أثرهـم، فعـرف أثـر الحنفـاء[1] فقصوها. فقطع حزام حذيفة فانحاز إلى صخـرة ووقـف عليهـا حتـى شـدَّ حزامه، خوف أن يقفَ على الأرض فيعرف أثره.

فلحقوا بهم قائلين على ماء يقال له "الهباءة"، وكانوا أوقفوا ربيئة ينظر

---

(1) الحنفاء: فرس حذيفة بن بدر، وهي من أفراس الرهان المذكور.

على أثرهم خوف الطلب؛ فأتاهم فقال لهم: ما رأيت على الأثر إلا نعامة، فقال حذيفة: ذلك الطلب وا لله؛ فلم يأخذوا السلاح حتى وافاهم شداد بن معاوية ـ أبو عنترة ـ فجعل حذيفةُ يقول لقيس كلاما يستعطفه فيه، فضرب حملٌ في صدره وقال له: اتق مأثور القول[1] ـ فذهبت مثلا ـ وقتل حذيفة وحمل؛ وفي قتلهما يقول قيس بن زهير:

شفيت النفس من حمل بن بدر | وسيفي من حذيفة قد شفاني
فإن أك قد بردت بهم غليلي | فلم أقطع بهم إلا بناني

وقال يَرْثيهما[2]:

تعلَّم أنَّ خير الناس ميت | على جفر الهباءة لا يريم
ولولا ظلمه ما زلت أبكي | عليه الدَّهرَ ما طلع النُّجومُ
ولكن الفتى حملَ بن بدر | بغَى والبغي مرتعه وخيم[3]

ثم اصطلحت ذبيان وعبس، فقال قيس بن زهير لقومه: يا بني عبس شاعكم السلام[4]، وا لله لا أنظر في وجه ذبيانية قتلتُ أباها أو

(1) أي دع عنك قولا لا ينجيك تخضع فيه وتقتل فيؤثر عنك أي ينقل ويشتهر.
(2) ويروى أنه أول من رثى مقتوله.
(3)
أظن الحلم دلَّ عليَّ قومي | وقد يستجهل الرجل الحليمُ
ومارستُ الرجالَ ومارَسُوني | فمُعْوَجٌّ عليَّ ومُستقيمُ
ألاقي من رجال منكرات | فأنكرها وما أنا بالظلوم

(4) شاعكم السلام: أي السلام عليكم، وهذا دعاء يقوله من أراد أن يفارق أصحابه.

أخاها[1]، فعليكم بالوفاء فبه تتعايشون، وإياكم والظلم فإنه صرع أبي زهيرا[2]. وسار إلى أرض عُمان وسَكنها وفيها عقبه بعْدَ ذلك.

عيينة بن حصن وبعض جفائه

مِنْهُمْ عُيَيْنَةُ الْمُطَاعُ الأَحْمَقُ   لِـوَاؤُهُ عَلَى الأُلُـوفِ يَخْفِـقُ

منهم: أي من بني بدر، وهو **عيينةُ** بن حِصن بن حذيفة بن بدر، واسمه حذيفةُ؛ ولقب عيينة لشتر في عَينَيْه - ويكنى أبا مالك وهو من المؤلفة - قيل أسلم قبل الفتح وشهدها، وقيل أسلم بعدها. ولم تزل في إسلامه جفوةٌ، وشهد بُزاخة مع طليحة بن خويلد، وأُتيَ به أبو بكر، فجعل الصبيان يضربونه في طرق المدينة ويسخرون منه ويقولون له: أي عدو الله ارتددت بعد إسلامك، فيقول: والله ما أسلمت قط!.

---

(1) أو زوجها أو ولدها. ثم لحق بالنمر بن قاسط فقال: يا معشر النمر أنا قيس بن زهير غريب حريب فانظروا لي امرأة قد أدبها الغنى وأذلها الفقر؛ فزوجوه امرأة منهم، وقال لهم: إني لا أقيم فيكم حتى أخبركم بأخلاقي؛ إني امرؤ غيور فخور أَنِف ولستُ أفخر حتى أُبتلى ولا أغار حتى أرى ولا آنف حتى أظلم. فأقام فيهم زمانا ثم أراد التحول عنهم فقال: يا معشر النمر إني أرى لكم عليَّ حقا بمصاهرتي لكم ومقامي بين أظهركم وإني آمركم بخصال وأنهاكم عن خصال؛ عليكم بالأناة؛ فبها تدرك الحاجة، وتسويد من لا تعابون بتسويده، وإعطاء من تريدون إعطاءه قبل المسألة، ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح، وعليكم بالوفاء...

(2) ..وحملَ بن بدر، والسرف في الدماء؛ فإن قتل أهل الهباءة أورثني العار، ولا تعطوا في الفضول فتعجزوا عن الحقوق.

ومن جفوته أنه استضافه عمرو بن معديكرب، فقال له عمرو: أي الشراب أحب إليك أسْقيكه؟ فقال له عيينة: اسقني شرابنا الأول الذي تعرفنا نتنادم عليه، فقال عمرو: أو ما حرم الله الخمرَ؟ فقال: متى حرمها إنما قال: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1] فسكت وسكتنا. ومنها أنه دخَل على النبي ﷺ بلا إذن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أين الإذن»؟ فقال: ما استأذنت على أحد من مضر، ثم التفت إلى عائشة فقال: منْ هذه الحميراء؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «عائشة أم المؤمنين»، فقال: ألا أنزل لك عن أجمل منها[2]، فلما خرج قالت عائشة رضي الله عنها: من هذا يا رسول الله؟ فقال: «هذا أحمق مطاع في قومه». وكانت تتبعه عشرة آلاف قناة[3]، وقال صلى الله عليه وسلم: «أداريه لأني أخاف أن يفسد عليَّ خلقا كثيرا». واستأذن يوما على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «بئس أخــــو

(1) المائدة: 91.

(2) الطبراني.

(3) في *الإصابة* أن حصن بن حذيفة أوصى ولده عند موته وكانوا عشرة ـ وكان سبب موته أن كرز بن عامر العقيلي طعنه فاشتد مرضه ـ فقال لهم: الموت أروح مما أنا فيه فأيكم يطيعني؟ قالوا: كلنا، فبدأ بالأكبر فقال: خذ سيفي هذا فضعه في صدري ثم اتكئ عليه حتى يخرج من ظهري، فقال: يا أبتاه هل يقتل الرجل أباه؟، فعرض ذلك عليهم واحدا بعد واحد فأبوا إلا عيينة فقال له: يا أبت أليس لك فيما تأمرني به راحة وهوى ولك فيه مني طاعة؟ قال: بلى، قال: فمرني كيف أصنع، قال: ألق السيف يا بني فإني أردت أن أبلوكم فأعرف أطوعكم لي في حياتي فهو أطوع لي بعد موتي، فاذهب فأنت سيد ولدي من بعدي ولك رئاستي، فجمع بني بدر فأعلمهم بذلك، فقام عيينة بالرئاسة بعد أبيه، وقتل كرزا قاتل أبيه.

العشيرة هو»[1]، فلما دخل أحسن معه الخُلُقَ حتى خرج، فقالت عائشة: يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم ألنت له القول؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «إنا لنبش في وجوه قوم - وفي رواية: لنكش في وجوه قوم - وإن قلوبنا لتلعنهم»[2]، (ويؤخذ منه جواز غيبة الفاسق[3]).

ودخل يوما مع ابن أخيه الحر بن قيس بن حصن على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: والله يا ابن الخطاب لا تقسم بالعدل ولا تعطي بالجزل. فغضب عمر حتى هم أن يوقع به، فقال ابن أخيه: "يا أمير المؤمنين ﴿**خذ العفو**﴾ إلى آخر الآية"[4]، فسكن غضبه، وكان عمر وقّافاً عند كتاب الله.

ودخل عيينة يوما المسجدَ وفيه النبي ﷺ وأصحابه، فلما دخل كشف ثوبه ليبول فصاحوا به، فنهاهم رسول الله ﷺ وقال: «لا تُزرِمُوه»، فقال: اللهم ارحمني وارحم محمدا ولا ترحم معنا أحدا، فقال صلى الله عليه وسلم: «حجرت واسعا»[5]، ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بماء فصب على البول.

---

(1) البخاري وأبو داود وأحمد.

(2) رواية البخاري في الصحيح: «إنا لنكْشِرُ في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم».

(3) ذكر العلماء أن الفاسق المجاهر بالفسق ليست له غيبة، لما ورد في الخبر: «مَن القى جلباب الحياء فلا غيبة له»، وفيه: «اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس»، فالغيبة إذن في المرء الذي يستر نفسه. وروي عن الحسن أنه قال: ثلاثة ليست لهم حرمة: صاحب الهوى والفاسق المعلن والإمام الجائر»، وقال أيضا: "ليس لأهل البدع غيبة" - [قاله القرطبي (339/16)].

(4) الأعراف: 199.

(5) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه. ومعنى «لا تزرموه»: أي لا تقطعوا عليه بوله، الإزرام: القطع.

وقوله المطاع الأحمق: يحتمل أنه إشارة إلى الحديث الذي أجاب به صلى الله عليه وسلم عائشة، المتقدم في المسودة.

ويقال: ما ساد أحمق قط إلا عيينةُ، وما ساد فقير إلا أبو طالب أو عتبة بن ربيعة، ولا حليف إلا الأخنس بن شَرِيق.

وقوله: يخفق: أي يضطرب ويتحرك. يعني لواء عيينة، لِما ورد أنه يقود عشرة آلاف.

والحر بن قيس هذا هو الذي تمارى مع ابن عباس في صاحب موسى[1]

---

(1) أي الذي سأل السبيل إلى لقيه هل هو الخضر أو غيره؟ فابن عباس يقول هو الخضر واسم الخضر بليا وهذا هو المشهور، أما قول الحر فلم أقف عليه. وهذا التماري الذي وقع بين ابن عباس والحر غير التماري الذي وقع بين سعيد بن جبير ونوف البكالي، لأن هذا في صاحب موسى هل هو الخضر أو غيره وذاك في موسى هل هو موسى بن عمران الذي أنزلت عليه التوارة أو غيره. فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه موسى بن عمران عليه السلام. وعن نوْف بن فَضَالة البكالي هو موسى بن ميشا بن افرائيم بن يوسف عليه السلام. وموسى بن ميشا هذا قبل موسى بن عمران، وقد قال بعض أهل الكتاب إن موسى الذي رحل إلى الخضر هو موسى بن ميشا، وتابعهم على ذلك بعض من يأخذ من صحفهم وينقل عن كتبهم، ومن ذلك نوف بن فَضَالة الحميري البكالي الدمشقي وهو تابعي فاضل من أهل دمشق، قيل كان ابن امرأة كعب الاحبار، وكان يعرف كثيرا من الإسرائيليات.

والصحيح الذي دل عليه ظاهر سياق القرآن ونص الحديث الصحيح الصريح المتفق عليه أنه موسى بن عمران نبي بني إسرائيل، كما ان المشهور ان صاحب موسى بن عمران هو الخضر عليهما السلام وأن فتى موسى الذي رافقه إلى الخضر هو يوشع بن نون ـ قيل كان ابن أخت موسى ـ وانه هو الذي قام في بني إسرائيل بعد موت موسى عليه السلام ـ [راجع فتح الباري والبداية والنهاية].

عليه السَّلام، وابنه عبد الله بن الحُرِّ هو القائل:

فإن تك أمي من نســاء أفاءَها جيادُ القنا والمرهفات الصفائح
فتباً لفضـــل الحر إن لم أنل به كــرائمَ أولاد النساء الصرائح

ومِن أولاد عيينة أبانُ بن عيينة، وابنه سعيد بن أبان هو الذي قتله عبدُ الملك بن مروان مع حَلْحَلَة بن قيس بن اشيم. وذلك أن كلبا قتلوا من فزارة قتلى كثيرة، فتلافى عبدُ الملك أمرهم فتحمل لفزارة نصف الحمالات وضمن النصف الآخر إلى العام القابل؛ ثم إن فزارة أخفرت ذمةَ عبدِ الملك وأوقَعُوا بكلب، فأمر عبدُ الملك الحجاج إذا فرغ من ابن الزبير أن يوقع بفزارة؛ فلما فرغ منه احتال إلى أن أتاه سعيدُ وحلْحلةُ المذكوران فأوثقهما ربطا وبعث بهما إلى عبد الملك، فلما أتياه[1] أتى ابن سويد الكلبي ـ وكان أبوه ممن قتلته فزارة ـ فقال: يا حلحلُ هل أحسست سويدا؟ فقال: عهدي به وقد انقطع خرؤه في بطنه، فقال ابن سويد: أما والله لأقتلنك، فقال: كذبت.. والله ما أنت الذي يقتلني، وإنما يقتلني ابن الزرقاء ـ وهي بنتُ علقمة بن صفوان (أمُّ مروان) ـ فقال عبد الملك: صبرا يا حلحل، فقال: أي والله،

(1) قال: الحمد لله الذي أقاد منكما، فقال حلحلة: أما والله ما أقاد مني ولقد نقضت وِتري وشفيتُ صدري وبردت وحري، فقال عبد الملك: من كان له عند هذين وتر يطلبه فليقم إليهما، فقام سفيان بن سويد الكلبي وكان أبوه.. إلخ.

أصبر من ذي الضاغط العركرك ألقى بوانـــي زوْره لِلْمَـــبرَكِ[1]

ثم التفت إلى ابن سويد فقال: يا ابنَ الستهاء أجد الضربة فقد وقعت مـني ضربة لأبيك أسلحته حتى عددت النجوم في سـلحه، فضـرب ابـن سويد عنقه، ثم قدم سعيدُ بن أبان بن عيينة فناداه عبد الملك: صبرا يا سعيد، فقال:

أصـبر من عَـوْدٍ بدَفَّيْهِ الجُلَبْ قد أثَّرَ البطان فيه والحقـب[2]

بَعَثَـــــهُ إلَى تَمِيـمٍ النَّبِي وجَاءَ بِالسَّبْيِ به أَتَـى الأَبِي
قَوْمٌ ونَادَوْا مِن وَّرَاءِ الْحُجُرَاتْ وَفَاخَـرَتْ وَأَسْلَمَتْ تِلْكَ الْحُمَاةْ

الضمير في **بعثه** لعيينة[3]. **والسبي**: ما يسـبى مـن النسـاء والصبيـان، ولا يقال للرجال. **والأبي**: الأسد، والأبـي عـن الضيـم؛ ويحـق ذلـك الوصـف

(1) فصار هذا مثلا للصابر، يقال: أصبر من ذي الضاغط، والضَغَط: انفتاق إبط البعير. والعركرك: الغليظ. والزور: الصدر. والبواني: القوائم والأكتاف، ويقال للمقيم: ألقى بوانيه وألقى برأسه.

(2) وصار هذا أيضا مثلا. والعود: المسن من الإبل. ودفَّاهُ: جنباه. والجلب: جمع جُـلْبة (كغرفة وغرف): أثر الدبر.

(3) **والنبي**: فاعل بعثه. **والأبي**: فاعل جاء. والمراد به عيينة، ومعناه الذي يأبى الضيم. وبه: جـار ومجرور متعلق بأتى بعده. وقوم: فاعل أتى. والمراد بالقوم هنـا وفـد تميـم. وفي قولـه: الأبـي والحماة إقامة الظاهر مقام الضمير. والمعنى ان عيينة بن حصن الأبي عن الضيـم بعثـه النبي صلى الله عليه وسلم أميرا على سرية إلى حي من تميم، فأغار على الحي وأخذ أمواله وسبيه وجاء بهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم جاء وفـد تميـم بسبب ذلـك ففـاخروا النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، فآل أمرهم إلى أن أسلموا ورد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم سبيهم وأحسن جوائزهم.

لعيينة. **والقوم** منهم الزبرقانُ بن بدر وعمرو بن الأهتم والأقرعُ بن حابس وقيسُ بن عاصم وعطارد بن حاجب بن زرارة.. وغيرهم من أشراف تميم، وفدوا على رسول الله ﷺ في سنة تسع بسبب هذا السبي.

والحجرات: حجرات نسائه أمهات المؤمنين، جمع حجرة وهي ما يحجر عليه من الأرض بحائط ونحوه؛ وهو هنا مساكن أزواجه رضي الله عنهن.

وكان هؤلاء القوم جاؤوا وقت القيلولة، فلم يعلموا في أي الحجرات كان النبي ﷺ فتفرقوا عليها، فكل واحد قام من وراء حجرة ونادى: اخرج إلينا يا محمدُ، فذمهم الله تعالى بقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[1]. وفي مصحف ابن مسعود: "أكثرهم بنو تميم لا يعقلون" - (قاله الثعالبي).

والحماة: جمع حامية للرجل الذي يحمي أصحابه، ووصفهم الناظم رحمه الله بالحماية لأنها التي أوفدتهم.

يعني أن عيينةَ بن حِصن أَمَّرهُ النبي ﷺ على سرية بعثها إلى حيٍّ من تميم كانوا مجاورين لحي من العرب بعث إليهم النبي ﷺ مُصَدِّقِينَ، فلما أخذوا الصدقة قالت بنو تميم لمجاوريهم: لِمَ تعطون أموالكم هذه؟ فقالوا: هي زكاة أموالنا؛ فعمد بنو تميم إلى الأموال فنهبوها.

فوجدهم عيينة نازلين بالقيلولة وقد سرحوا أمواهم، فهرب منه الرجال وأخذ الأموال والسبي. ثم جاء الوفد، فآل أمرهم إلى أن أسلموا كلهم

---

(1) الحجرات: 4.

ورد عليهم النبي ﷺ سبيَهم وأحسن جوائزهم، بعد أن فاخروا الصحابة بالخطب والشعر؛ فكان خطيبُ تميم الأقرع بن حابس، فلما خطب قال النبي ﷺ لثابت بن قيس الأنصاري وكان خطيبَه: «قم يا ثابت فأجبْه»، ففعل، فقام شاعر تميم وهو الزبرقانُ بن بدر فقال:

نحن الكرام فلا حي يفاخرنا   منا الملوك وفينا تنصب البيع

(القصيدة)،

فقال النبي ﷺ لحسان: «قم يا حسان فأجبْه»[1]، فقام حسان فقال:

إنَّ الذوائب من فهر وإخوتهم   قد بينوا سنة للناس تتبعُ

(إلى آخرها)،

فقال الأقرع بن حابس: إن هذا الرَّجل لمُؤتَّى له: لَخَطيبُه أخطبُ من خطيبنا ولَشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم تعلو أصواتنا.

وفي هذا الوفد سأل النبي ﷺ عمرو بن الأهتم عن الزبرقان[2]، فقال

---

(1) البخاري والترمذي وابن ماجه.

(2) وكان الزبرقان قد جلس عند النبي صلى الله عليه وسلم هو وعمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم، فقال الزبرقان: يا رسول الله أنا سيد بني تميم والمطاع فيهم والمجاب، أمنعهم من الظلم وآخذ منهم بحقوقهم وهذا يعلم ذلك؛ وأشار إلى عمرو بن الأهتم، فقال عمرو: هو مطاع في أذنَيْه، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره. فقال الزبرقان: يا رسول الله إنه ليعلم مني أكثر مما قال ولكنه حسدني! فقال عمرو: أما والله إنه لزمر المروءة ضيق العطن، أحمق الولَد لئيم الخال، حديث المال، مضيع في العشيرة.. فرأى تغيُّر النبي صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله، فقال: والله يا رسول الله ما كذبت في الأولى ولقد صدقت في

<<=

صلى ا الله عليه وسلم: «إنَّ من البيان لسحْرًا»[1].

ومِنْهُمُ امُّ قِرفَـــةٍ وبَـــزَّهَا أَنْ سَبَّـــتَ افْضَلَ الأَنَامِ عِزَّهَا

أم قرفة (بالكسر): فاطمةُ بنت زمعة بن بـدر، كـانت عنـد مـالك بـن حذيفة بن بدر (**والقرفة**: رائحة القرنفل). **وبزها**: سلبها. **وعزهـا**، يضـرب به المثل، يقال: أعز وأمنع من أم قرفة؛ لأنها كانت يعلق في بيتهـا خمسُـون سيفا لمحارمها.

يعني أن من بني بدر أمَّ قِرْفَة التي يضرب المثل بعزها، لكـن سـلبه منهـا سبها للنبي ﷺ يوم "وادي القرى" بسرية زيد بن حارثة؛ أمر بهـا فربطـت بحبلين إلى بعيرين فأرسل كل واحد إلى جهة فشقاها شقين[2] وسبَوا ابنتهـا

الأخرى، ولكني رجل رضيت فقلت أحسن ما علمت، وسخطت فقلت أقبح ما وجـدت، فقال عليه الصلاة والسلام «إن من البيان لسحرا» - [أخرجه البيهقـي في الدلائـل عـن ابـن عباس]. (ومعنى زمر المروءة: قليلها، والعطـن: منـاخ الإبـل حـول المـاء؛ وهـو كنايـة عـن البخل، وحديث المال: أي قريب العهد بالغنى).

(1) رواه البخاري وأبو داود وأحمد وغيرهم. يعني أن بعض البيان يعمل عمـل السـحر، ومعنـى السحر إظهار الباطل في صورة الحق. والبيان اجتماع الفصاحة والبلاغة وذكاء القلـب مـع اللسَن، وإنمـا شبه بالسـحر لحدة عمله في سامعه وسرعة قبـول القلـب لـه. يضـرب في استحسان المنطق وإيراد الحجة البالغة - [اهـ من مجمع الأمثال].

(2) ذكره ابن حجر في *الإصابة* وقال: "كـانت شـديدة علـى المسـلمين". وذكـره ابـن سـعد في *الطبقات الكبرى* لكن قال: قتلها محمد بن قيس بن المحسـر قتـلا عنيفـا. ورواه الدارقطـني في سننه بلفظ: بفَرسين..

فأتوا بها النبي ﷺ فأهداها لخاله حزن بن أبي وهب، فأولدها عبدَ الرحمن بن حزن ـ وحزن جد سعيد بن المسيب بن حزن ـ وخؤولته للنبي ﷺ أنه ابنُ خال أبيه، فهو ابن أبي وهب بن عمرو بن عائذ، وأم عبد الله فاطمة بنت عمرو بن عائذ.

وقيل إن بنت أم قرفة فدى بها النبي ﷺ أسيرين كانا بمكة، وهو عندي أصح أو هو الصحيح. وقتل لأم قرفة تسعة بنين يوم بزاخة مع طليحة بن خويلد.

وسَمْـرَةُ بنُ جُندَبٍ فِي النَّارِ سَـقَـطَ والنَّبِـيُّ ذُو إِخْبَارِ
بِمَوْتِـهِ بالنَّارِ وَالكُـزَازُ قَـدْ عَالَجَهُ بِالْمَاءِ فِي القِدْرِ اتَّقَدْ

أي ومن بني فزارة ـ من غير بني بدر ـ **سمرة بن جندب** بن هلال. **والكزاز** (كغراب أو رمَّان): مرض من شدة البرد، أو هو الرعدة الناشئة عن شدة البرد، أخذت هذا الصحابي فكان يعالجها بالقعود على قِدر مملوءة ماءً حارا، إلى أن سقط فيها، فمات من ذلك رضي الله عنه. وكان ذلك تصديقا للنبي ﷺ، رآه يوما مع أبي هريرة ورجل آخر ـ لم أقف على اسمه[1]ـ فقال لهم: «آخركم موتا بالنار»[2]، فكان سَمُرة آخرَهم موتا، مات بعد أبي هريرة بيسير؛ وكان أبو هريرة يقول: اللهم إني أعوذ بك

---

(1) في *الإصابة* أن ثالثهم أبو محذورة.

(2) ذكره ابن الأثير: (126/5)، وفي الطبراني: (211/7) بدون ذكر سمرة.

من رأس السِّتين، فتوفي قبلها، وذلك لما سمع من رسول ﷺ: «إن على رأس الستين يكون الأمر بأيدي أغيلمة من قريش يفعلون كذا وكذا»[1]، فكان ذلك ولاية يزيد.

أَجَازَهُ نَبِيُّنَا أَن صَرَعَا أَسَنَّ مِنْهُ وَلَهُ كَانَ وَعَى
سَكْتَةً اِن كَبَّرَ أَوْ إِن تَمَّمَا فَاتِحَةً وَبَيْنَ الانصَارِ نَمَا

يعني أن النبي ﷺ يوم أحد كان يرُد من لم يبلغ خمس عشرة سنة ويجيز من بلغها، وردَّ عدة غلمان، منهم عبدُ الله بن عمر وعرابة بن أوس بن قيظي وزيد بن ثابت وسعد بن خيثمة، واسترد رافع بن خديج فقال له أهلُه: إن رافعا كان راميا، فأجازه، فقال أهل سمرة ـ وكان رده ـ: يا رسول الله إن ابننا يصرع هذا الذي أجزته؛ فأمرهما فتصارعا فصَرعهُ سمرة فأجازه.

رواية سمرة للسكتتين في الصلاة

ووعَى: حفظ، أي حفظ له سكتتين، إحداهما إن كبر تكبيرة الإحرام والأخرى إن تمم الفاتحة[2]، فأنكرهما عليه عمران بن حصين، فكتبا إلى أبيّ بن كعب فقال: صدق سمرة[3]. وهو من الحفاظ المكثرين من الحديث.

---

(1) رواه البخاري وأحمد بلفظ قريب من هذا ليس فيه "إن على رأس الستين".

(2) وفي قول الناظم: **وعى سكتة**.. اقتباس من نص حديث سمرة المذكور؛ فقد روي عنه أنه قال: سكتتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنكرهما عليه عمران..إلخ.

(3) رواه الترمذي وأبو داود في سننيهما وأحمد في مسنده، وغيرهم..

وبالسَّكْتَتَيْنِ أخذ الشافعيُّ، أما الأولى فكان يقرأ فيها دعاء الاستفتاح، والثانية يقرأ فيها الفاتحة مَن لم يدرك دعاء الاستفتاح، لاشتغاله بالدعاء حين قراءة الإمام الفاتحة[1].

قوله: **وبين الانصار نما:** أي نشأ. يعني أنه كان حليفا لهم وولد بينهم ونشأ[2]، إلى أن مات رضي الله عنه، وكان يقول: كنت أحفظُ عن رسول الله ﷺ وما يمنعني من القول إلا أن هناك رجالا أسن مني. ولي البصرة لمعاوية ثم عزله.

وَربعِي أقْسَمَ أَن لاَّ يَضْحَكَا حَتَّى يَرَى مَصِيرَهُ فَنَسَكَا

---

(1) ولدعاء الاستفتاح عدة روايات من أشهرها أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد اللهم نقني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس»، وكانت له سكتتان؛ الأولى بعد الإحرام وقبل القراءة يقرأ فيها دعاء الاستفتاح، والثانية بعد الفاتحة يقرأ فيها المأموم الفاتحة، وينبغي تطويلها بقدر الفاتحة. وروي أن هناك سكتة ثالثة بين القراءة والركوع، والمشهور أنها سكتة لطيفة للراحة وتراد النفس، لأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يصل القراءة بالركوع؛ فمن اعتبرها جعلها سكتة ثالثة ومن لم يذكرها فلقصرها.

(2) وسكن رضي الله عنه البصرة، وكان زياد يستخلفه عليها ستة أشهر وعلى الكوفة ستة أشهر، فلما مات زياد استخلفه، وكان استخلفه على البصرة وأقره معاوية عليها سنة ثم عزله. وكان شديدا على الحرورية، كان إذا أتى بأحد منهم قتله ويقول: شر قتلى تحت أديم السماء، يُكَفِّرون المسلمين ويسفكون الدماء. وكان ابن سيرين والحسن وفضلاء البصرة يثنون عليه، وكانت وفاته بالبصرة في خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين، وقيل تسع وخمسين. وكان من الحفاظ المكثرين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين.

فَرِيءَ يَضْحَكُ قُبَيْلَ القَاصِمَهْ وهَكَذَا فَلْيَكُ حُسْنُ الخَاتِمَـهْ

ربعي (بالكسر) بن حراش (بالمهملة وبالشين المعجمة، وككتاب): تابعي، وأخواه الربيع ومسعود تابعيان أيضا. **ونسك**: تعبد. **والقاصمة**: أراد بها الموت.

يعني أن رِبعيا هذا من فزارة، وذكر أنه أقسم أن لا يضحك حتى يعلم ما يؤول إليه من جنة أو نار؛ فلما احتضر رآه أخوه يضحك حين غشيه الموت فأفاق فقال: لأخيه اسرعوا بي فإن رسول الله ﷺ أقسم أنه لا يبرح حتى أقدم عليه.

وقوله: **وهكذا فليك**..إلخ: معناه التعجبُ والتفخيمُ لشأن هذا الصَّالِح.

مَنظُورُ النَّاكِـحُ مَقْتًا وَحَلَفْ خَمْسِينَ مَا لَهُ عَلَى مَنْعٍ وَقَفْ

منظور: هو ابن زبَّان بن هاشم من بني بدر، وسمي منظورا لأنه مكث في البطن سنين، وفيه يقول أبوه:

فما جئـتَ حتى قيلَ ليس بوالدٍ وسميـت منظورا وجئت على قَدْرِ

وإني لأرجـو أن تكون كهاشم وإني لأرجو أن تسـود بني بدر

وقولـه **الـناكح مقتا**: هو ما كانت الجاهلية تفعله من تزويج الابن زوجة أبـيه بعـده، فَنَسَـخَتْهُ شـريعتنا بقـولــه تعـالى ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[1]. **والمقت**: أشدُّ البغض إلى الله.

---

(1) النساء: 22.

يعني أن منظورا تزوج امرأة أبيه بعده[1]، فلما اطلع عليه عمر بن الخطاب حَلَّفَه خمْسين يمينا بعد العصر في المسجد أنه ما سمع فيه بأمرٍ قط يحرمه، ففارقها بكرهٍ منه وفي ذلك يقول:

ألا لا أبالي اليوم ما صنع الدهر إذا مُنعت مني مليكةُ والخمر[2]

فإن تك قد أمست بعيدا مزارُها فحي ابنة الْمُرِّيِّ ماطلع الفجرُ

فتزوجت بعده، فلقي زوجها فقال له: كيف وجدت أثر أيري؟ فقال له: كما وجدتَ أثر أير أبيك!.

صَاهَـرَهُ أَبُو خُبَيْبٍ وَالْحَسَنْ وَافْتَاتَتِ اذْ أَعْطَتْهُ خُوْلَةُ الرَّسَنْ

فَأَنْجَبَتْ بِالْحَسَنِ الْمُثَنَّى وَبَعْدَهُ بِخِطْبَةٍ مَّنْ عَنَّا:

تَرُدُّهُ تَأَنُّفًا مِّنْ حَمَإٍ بَعْدَ رَسُولِ الأُمَّةِ الْمُنَبَّإِ

أبو خبيب: عبد الله بن الزبير، كني به لأنه أكبرُ بنيه؛ بُشر به قُدومَه من فتحِ افريقية في خلافة عثمان مع أحد إخوته. ومات خبيبٌ تحت سياط عمر بن عبد العزيز حين كان أميرًا على المدينة من قِبل الوليد بن عبد

---

(1) وهي مُلَيْكَة بنت خارجة بن سنان بن أبي حارثة المرية، فولدت له هاشما وعبد الجبار وخولة، ولم تزل معه إلى خلافة عمر فرفع أمرهما إليه فأحضره وسأله عما قيل فيه من شربه الخمر ونكاحه امرأة أبيه، فاعترف بذلك فقال: ما علمت أن هذا حرام، فحبسه إلى صلاة العصر وحلّفه ثم خلى سبيله.

(2) **وما منهما إلا عظيم فراقه صَبُوح المدامَى والمخدرة البكر**

فإن تك قد أمست ..إلخ.

الملك أو عبد الملك، ولا أدري في حَدٍّ أو أدب[1]، وكان عمر إذا مدح ببعض أفعاله الكريمة يبكي ويقول: ما فعل خبيب[2]؟.

وافتاتت على أبيها: أنكحت بدون أمره. **وعَنَّ**: عرض. **والتأنف**: التكبر والاستنكاف عما لا يليق. **والحَمْوُ**، والحَمْؤُ، والحَمَأُ (بالتحريك): أبو زوج المرأة أو أحد أقارب الزوج أو الزوجة، والمراد هنا الأوَّل، لأن رسول الله ﷺ أبو الحسن، لقوله: «إن ابني هذا سَيِّدٌ[3]» ـ الحديث، ولخصوصيته بتعصيب بني بناته أصالة، كبني فاطمة وعلي وأمامة ابني أبي العاص بن الربيع وعبد الله بن عثمان، أمَّا أمُّ كلثوم فلم تلد.

يعني أن منظور بن زبان هذا صاهرهُ عبدُ الله بن الزُّبير على ابنته تماضر؛ وسبب مصاهرته أنه بعثه الزبيرُ إلى العباس يستعير منه رحلا، فوافى

---

(1) كان خبيب هذا فاضلا صالحا ناسكا وكان طويل الصلاة قليل الكلام، لقي كعب الأحبار وكثيرا من العلماء وقرأ الكتب وعلم علما كثيرا لا يعرف وجهه ولا مذهبه فيه، يشبه ما يدعي الناس من علم النجوم، وكان يتكلم وهو يحدث نفسه بكلام لا يفهم ويخبر ببعض الأمور المغيبة فتقع على نحو ما قال، وكان الوليد بن عبد الملك قد غضب عليه لأمر بلغه عنه فكتب إلى عمر بن عبد العزيز ـ وهو إذ ذاك واليا له على المدينة ـ أن يجلده مائة سوط ويسجنه، ففعل فاشتد وجعه فأخرجه وندم على ما فعل فلما سمع بموته سقط على الأض واسترجع ـ [حلة السيرا ونسب القرشيين لابن قدامة وأنساب الأشراف للبلاذري].

(2) وقيل إنه قسم من ماله قسما في خلافته فقال الناس: دية خبيب، وكان خبيب هذا عقيما لم يولد له.

(3) .. ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» ـ [أخرجه البخاري والترمذي وابو داود وأحمد].

العباسَ قد أطعم فأمره أن يـأكل مـع النـاس، فاستضْعَفَ أكلَـه؛ فقـال لـه العباس: ذهب بك لين آل أبي بكر، فمر أباك أن يزوجـك مـن الأعـراب، فزوجه تماضر بنت منظور وهي أم بنيه؛ وهي التي يقول فيها الفرزدق:

أمَّا البنـــون فلم تقبل شفاعتهم　　وشُفِّعــتْ بنتُ منظور بن زبَّانا
ليْسَ الشفيع الـذي يأتيك مؤتزرا　　مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا!

وصاهر منظورا أيضا على ابنتـه خولـةَ سـيدُنا الحسـن السـبط؛ قدمـت على أختها تماضر تزُورُها فتزوجها الحسن بغير إذن أبيها، فلما سمع بذلـك غضب وقال: أمثلي يفتات عليه! فركـز رايتَـه، فلـم يبـق قيسـيٌّ إلا دخـل تحتها، فسار بجنوده إلى المدينة. فدفع إليه الحسنُ ابنته فسار بها، فلما كانـا في الطريق كلمته ابنته وقالت له: أتريد عضلي أم مـا ذا؟ قـال: لا، قـالت: فلمن تريدني بعد ابن رسول الله ﷺ؟ قال: صدقتِ، ولكن نقيم هنـا فـإن كان الرجل يريدنا فسيلحقنا وإلا فالعار أن نرجع إليه.

فلما سمع ذلك الحسن تبعهم مع عدة مِّن أبناء الصحابة، فردها معهـم؛ وولدت لهُ الحسن المثنى. ثم بعد الحسن من تعرض لهـا **بالخطبـة** تقـول: مـا كنت لأتخذ حَمَاً بعد رسول الله ﷺ. وفي خولة هذه يقول الشاعر:

قِفَا في دار خـــولـة فَاسألاها　　تقـــادم عهـــدُها وهجرتماها
بمحـــــلال كأن المسك فيه　　إذا فاحت بأطيبــــه شـــذاها

قيل لها بعد أن أسنت: كيف أنتِ حين قيلتْ فيك الأبيات؟ قالت: أحسن من نار القِرى في عين التائه الصرد.

الربيع بن ضبع أحد المعمرين

ومن فزارة أيضا الربيعُ بن ضبع[1] الشاعر المعمَّرُ، قيل إنه عاش أربعمائة وثلاثين سنة، ولما بلغ ثلاثمائة سنة قال[2]:

إذا عاش الفتى مائتين عاما ... فقد ذهب المسرةُ والفتاء

وقد كملتها وضممت أخرى ... إليها والدُّهور لها بقاءُ

ومن شعره أيضا:

أقفر من مية الجريب إلى الزجـ ... ـين إلا الظباء والبقرا

كأنها درة منعمة من ... نسوة كنَّ قبلها دررا

إلى أن قال:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا ... أمسك رأس البعير إن نفرا

والذيب أخشاه إن مررت به ... وحدي وأخشى الرياح والمطرا!

أصبح عني الشباب مبْتكرا ... إن ينأ عني فقد ثوى عُصُرا

---

(1) ابن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فزارة الفزاري.

(2)
ألا أبلغ بَنِيَّ بَني ربيع ... فأنذال البنين هم فداء

بأني قد كبرت ودقَّ عظمي ... فلا تشغلكمُ عني النساء

فإنَّ كنائني لَنِساءُ صدقٍ ... وما آلا بَنِيَّ وما أساءوا

إذا كان الشتاء فأدفئوني ... فإنَّ الشيخ يهدمه الشتاء

فأمَّا حين يذهب كل قَرٍّ ... فسربالٌ خفيفٌ أو رداءُ

إذا عاش الفتى ..إلخ.

فارَقَني قبـــل أن أُفَارِقـــــه		لما قضى من جماعنا وطـــــرا[1]

وهو جاهلي لم يُسلم[2].

انتهى كلامه على ذُبيان فأتبعه الكلام على عبْس، فقال رحمه ا لله وعفا عنهُ:

نسب عبس

**وانسُبْ لِعَبْسٍ عُرْوَةَ بْنَ الْوَرْدِ		حَفَـدَةَ الخُرْشُبِ خَيْرِ جَدِّ[3]**

---

(1) **هـا أنا ذا آمـــل الخلــود وقــد		أدرك عقلي ومولدي حجـــــرا**

**أبا امرئ القيس هل سمعـــت به		هيهات هيهات طــــال ذا عُمُرَا**

وروي أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال لـه: يـا ربيـع أخـبرني عـمَّ أدركـت مـن العمـر والمدى ورأيت من الخطوب الماضية؟! فقال: أنا الذي أقول **إذا عاش الفتـى مـائتين عامـا**..إلخ. فقال: قد رويت هذا من شعرك وأنا غلام، وأبيك يا ربيـع لقـد طـار بـك جـد غـير عـاثر ففصِّل لي عمرك. قال: عشت مائتيْ سنةٍ في فترة عيسى عليه السلام ومائة وعشر سـنين في الجاهلية وستين سنة في الإسلام. فقال: أخبرني عن فتية من قريش متواطئـي الأسمـاء. قـال: سل عن أيهم شئت. قال: أخبرني عن عبد ا لله بن عباس. قال: فهـم وعلـم وعطـاء جـذم ومقرى ضخم. قال: فأخبرني عن عبد ا لله بن عمر، قال: حلم وعلم وطـول كظـم وبعـد من الظلم. قال: فأخبرني عن عبد ا لله بن جعفر، قال: ريحانة طيب ريحهـا لـين مسُّـها قليـل على المسلمين ضرها. قال: فأخبرني عن عبد ا لله بن الزبير، قال: جبل وعر يتخذ منه الصخـر. قـال: لله درك يا ربيع ما أعرفك بهم. قال: قرب جوار وكثرة استخبار. وقد قيل إذا كـان هـذا الخبر صحيحا فقد يكون سؤال عبد الملك له إنما كان في أيام معاوية ـ [راجع سموط الذهب].

(2) قال في ***الإصابة*** إنه جـاهلي أدرك الإسـلام، ويقـال إنـه عـاش ثلاثمائـة سـنة منهـا سـتون في الإسلام، ويقال لم يسلم.

(3) قوله: **عروة** (بالنصب): مفعول به **لانسب**. **وحفدة** (بـالنصب أيضـا): عطـف عليـه بحـذف العاطف. **وخير** (بالجر): صفـة **للخرشـب**. **والحفدة**: جمـع حـافد وهـو ولـد البنـت. والمـراد بالحفدة هنا بنو زياد العبسيون، جدهم من الأم **الخرشب**. أي وانسب لعبس.. الخ.

أي وانسب لعبس عروة بن الورد وحفدة الخُرشب[1].

عروة بن الورد

وكان عبدُ الملك بن مروان يقول: من زعم أن حاتما أسمحُ العرب فقد ظلم **عروة بن الورد**، وقال فيه أيضا: ما أحب أن لي أبا بأبي إلا عروة بن الورد.

وكان عروة من الشجعان والفرسان والشعراء إلا أنه لم يدْرك الإسلام، وكانت له جارية اسمُها أمُّ وهب وكان استولدها ويحبها حبا شديدا فقدم بها على بني النضير، وكان ينادمهم ويميرونه ويختلف إليهم، فسقوه الخمر ثم ابتاعوها منه، فلما صحا منعوها منه؛ وفي ذلك يقول قصيدته التي منها:

سقوني الخمر ثم تَكَنَّفوني ... عُداةَ الله من كذب وزور

وآخر معهد من أم وهب ... معرسنا فويْق بني النضير

سأل عمرُ بن الخطاب عبْسًا: بِمَ تغلبون؟ قالوا: سيدُنا قيس بن زهير، وشاعرنا عروة بن الورد، وفارسنا عنترة بن شداد؛ وهذا يدل على أنه أشعرُ من عنترة. وكان مع رئاسته وكرمه يعد من الصعاليك.

ومن شعره في تصعلكه:

أقول لقومٍ بالكثيب تَروَّحُوا ... عشية بتنا عند مَاوَانَ رُزَّحِ

تنالوا الغنى أو تبلغوا من نفُوسكم ... إلى مُستراح من حِمَام مُبرِّح

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا ... من المال يطرح نفسه كلَّ مطرَح

---

(1) ولعبس من الولد: قطيعة (بوزن جهينة) وورقة، ومنهما تفرعت أفخاذ عبس. فمن قطيعة بن عبس: بنو بجاد وبنو المقاصف وبنو غالب. ومن عبس أيضا بنو جذيمة وبنو جروة وبنو هزم.

ليبلغ عــذرا أو يصيب رغيبـــة ومُبْلِــغُ نفس عُذرَها مثلُ مُنجح[1]

والحفدة: جمع حافد والمراد به هنا ابن البنت، لأن بني زياد - وهم ربيـعُ الواقعة وأنس الفوارس وزيد الحفاظ - أمُّهُم فاطمة بنت الخرشب (كَـبُرْقُعٍ) وهي إحدى المنجبات؛ سئلت: أي بنيها أفضل؟ فقالت: ثكلتهم إن كنـت أعلم أيهم أفضل؛ هم كالحَلْقَةِ المفرغةِ لا يُدرى أين بابُهـا[2]. انتبهـت ليلـة

(1) ومنه أيضا:

لحا الله صعلوكا إذا جنَّ ليلــه مُصَافي المشاش آلفًا كــل مجـزر
يَعدُّ الغِــنَى من نفســه كل ليلة أصاب قراها من صديــق مُيسَّر
ينام عشاءً ثم يصبــح ناعسًا يحتُّ الحصى عن جنبــه المتعفِّرِ
يُعــين نساء الحــي ما يسْتعنَّه ويمسي طليحا كالبعير المحسَّــر
ولكـن صعلوكا صفيحـة وجهه كضوء شهاب القابس المتنــوِّرِ
مُطِــلاًّ على أعدائــه يزجرونـه بساحتهــم زجر المنيح المشهر
إذا بعدوا لا يأمنــون اقترابــه تشوُّف أهـل الغائـب المتنَظَّـرِ
فــذلك إن يلق المنيــة يلقها حميدا وإن يستغنِ يوما فأجْــدِرِ

(2) وفي *خزانة الأدب*: أنهم الربيـع وأنـس وعمـارة وقيـس، وأن كـل واحـد منهـم قـد رأس في الجاهلية وقاد جيشا، ويقال لهم الكملة؛ وكان لكل واحد منهم لقب، فكـان عمـارة يقـال له: الوهاب، والربيع يقال لـه: الكـامل، وقيـس يقـال لـه: الجـواد، وأنـس يقـال لـه: أنـس الحِفَاظ. وكان عمارة آلى على نفسه أن لا يسمع صوت أسـير ينـادي في الليـل ألا افتكَّـهُ. ونظمهم مَن قال:

أبناء فاطمـــة بنت الخـــرشـب بضم خائـــه وشينـــه الأبي:
ربيعهـــم وقيسهـــم وأنـس عمارة مجدَهُـــمُ قـد أسَّسُوا
"ثَكِلتُهـم إن كنـــتُ أدري أَيُّهم أفضــلُ" قولُ أمِّهم، فأُمَّهُـــم

على رجل يريدها بالسوء، فصرخت ببنيها فأرادوا قتله، فأخذه منهم الربيع وقال: انج بنفسك، فأطلقه منهم وقال لهم: إن قتلتموه أو حبستموه حتى يعلم به غيركم تكون لكم سبة آخر الدهر.

وكانوا أول حرب الرهان بينهم وبين قيس بن زهير عداوة بني العم، حتى نهب منهم أربعمائة ناقة وباعها على مائدة عبد الله بن جُدعان بالسلاح ـ كما قدمنا ـ وفي ذلك يقول:

ألم يأتيك والأنباء تنمي ... بما لاقت لبون بني زياد

ومحبسها على القرشي تشرى ... بأدراع وأسياف حداد

كما لاقيت من حمل بن بدر ... وإخوته على ذات الاصاد

فهم فخروا علي بغير فخر ... وردوا دون غايته جوادي

جزيتك يا ربيعُ جزاءَ سوء ... وقد يجزي المقارض بالأيادي

فلما قتل مالك بن زهير دخلوا في الحرب مشمرين عن ساعد الجد.

وابْنُ سِنَانٍ خَالِدُ نَبِيُّهُمْ وَضَيَّعُوه، وَالْحُطَيْئَةُ لَهُمْ

يقول وانسب لعبس أيضا **خالد بن سنان**، ويحتمل أن يكون **وابن سنان** مبتدأ، **وخالد** بدل منه، **ونبيهم**: خبره. قوله: **وضيعوه**: يعني قول النبي ﷺ ــ إن صَحَّ ـ: «ذلك نبي ضيَّعه قومه»[1].

روي أنه صلى الله عليه وسلم سألَ وفد عبس عن خالد بن سنان، فقالوا: مات وترك بنتا، فقال: «ذلك نبي ضيَّعه قومه». وفي **حياة الحيوان** أنه

(1) رواه الحاكم في *المستدرك*، وذكره في *الإصابة* و*مجمع الزوائد* و*مصنف* ابن أبي شيبة.

عند موته قال لِقومه: إذا دفنتموني تأتي عانة حُمُرٍ يقدُمُها عَيْرٌ من أمره كَيْتَ وكَيْتَ.. فإذا انتهى إلى القبر نبش عند رأسي؛ فإذا رأيتم ذلك فانبشوا عني أخبركم بعلم الأولين والآخرين. فلما دفنوه وانصرفوا عنه جاءت الحُمُرُ كما وصف لهم، حتى انتهى ذلك العيرُ إلى القبر فنبش عند رأسه، فأرادوا أن يخرجوه، فأبى أقاربُه ـ أو بنوه ـ فقالوا: نخاف أن نعير بِنَبْشِهِ.

وقيل إنَّ خالدًا ابن سِنان هو النبي الذي دعا على العنقاء فطارت من الأرض وفقدت، وهي طائر عظيم الرأس كان يصطاد الصبيان وصغار البقر فشكاه الناس إلى نبي ـ قيل هو خالد هذا ـ فدعا عليه فطار جنسه كله من الأرض ولم ير بعد ذلك؛ فكانت العرب تضرب به المثل في الشيء المفقود، يقولون: طارت به العنقاء. والأصح أنها طائر معروف الاسم، مجهول الجسم ـ كما في القاموس ـ قال:

الغول والبوم والعنقاء ثالثها أسماءُ أشياءَ لم تُخلق ولم تكنِ

ولْم يجمع على نبوءة خالد، لقوله صلى الله عليه وسلم في عيسى ابن مريم: «ليس بيني وبينه نبي»[1]، ولذا لم يكفر من سبَّه، لأن كفر من سب النبي أو الملَك مقيد بالمجمع على نبوءته أو ملكيَّتِه.

الحطيئة ومدحه لبني أنف الناقة

و**الحطيئة** اسمُه جرول، وكنيته أبو مليكة؛ أدرك الجاهلية والإسلام

---

(1) رواه البخاري وأبو داود وأحمد.

وأسلم في عهد النبي ﷺ؛ ويدل شعره على ردته، وإن كان أسلم بعد، ولكن في إسلامه جفوة؛ وهو القائل:

أطعنا رسـول ا لله ما كان بيننا فوا عجبًا مَا بَالُ دين أبي بكر

أيورثها بكـرًا إذا قام بعـده؟ فتلكم وبيتِ ا لله قاصمةُ الظهر!

ويقال إنَّه أشعر الشعراءِ لولا ما يُكَدِّر شِعْرَه من الطمع والهجو، حتى قيل إنه ما قال قط بَيتًا إلا وهو مشتمل على مدح أو هجو؛ وكان مع ذلك بخيلا يطرد الضِّيفان ويضربهم ويهجوهم. بينما هو في غنيمة إذ رأى ضيفا عند بيته فأتاه فقام إليه الضيف يزعُم أنه إنما جاء لاستضافته، فأهوى إليه عصا في يده، فقال الضيف: ويحك أنا ضيف، فقال الحطَيئةُ: للضيفان أعددتها!. وهو القائل:

أعددت للأضياف كلبا ضاريًا عندي وفضلَ هراوة من أرزن

ومعاذرَ كذبا ووجها باسـرا وتَشَكِّيًا عض الزمان الألْـزن

(والارزن: شجر صلبٌ. والباسر: العابسُ. والزمان الالْـزَن: الضيقُ الشديدُ. وعضه: منعه).

وكان الحُطيئة ينتسب إلى طيئ إذا لم ترضه عبس. ومن شعره في ذلك:

سيري أمام فإن المال يجمعه سيـب الإله وإقبالي وإدباري

إلى معاشر منهم يا أمام أبي من آل عمرو بـدور غير اسرار

وكان الحطيئة يكثر مدح بني جعفر بن قريع (كزبير) بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وهم بنو أنف الناقة. وسبب ذلك أنه خرج يريد بني تميم، فلقي في الطريق الزبرقان بن بدر ذاهبا بالصدقات إلى

عمر بن الخطاب، فَقَالَ لَهُ الزبرقانُ: سر إلى أهلي وانتظرني عندهم حتى آتيك؛ وهم في البلد الفلاني، فسَلْ عن بيت القمر ابن القمر إذا قدمت. فسار الحطيئة حتى نزل ببيت الزبرقان، فعلم به بنو أنف الناقة فحسدوا عليه الزبرقانَ، فأتوا امرأته فقالوا لها: إن له بنتا جميلة والزبرقان يريد تزويجها. فأساءت إليه وطردته، فذهب به بنو جعفر بن قريع إلى أهلهم فأكرموه ووشوا له في الزبرقان حتى هجاه ومدحهم. ومن مدحه لهم قوله[1]:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ... ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا؟

قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم ... شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا[2]

---

(1) من قصيدة أولها:

طافت أمامة بالركبان آونة ... يا حسنها من قوام مًّا ومنتقبا

إذ تستبيك بمصقول عوارضه ... حَمْشِ اللّثاتِ ترى في غربه شنبا

قد أخلقت عهدها من بعد جدته ... وكذبت حبَّ مَلْهُوفٍ وما كذبا

إلى أن يقول:

قالت أُمامة لا تجزع فقلت لها ... إن العزاء وإن الصبر قد غُلبا

هلاَّ التمست لنا إن كنت صادقة ... مالاً نعيش به في الخرج أو نشبا

حتى نجازي أقواما بسعيهمُ ... من آل لأيٍ وكانوا سادة نجبا

إلى أن يقول:

قوم يبيت قرير العين جارهمُ ... إذا لَوَى بِقُوَى أطنابهم طنبا

قوم هم الأنف.. إلخ..

(2) العناج: حبل يشد أسفل الدلو إذا كانت ثقيلة ثم يشد إلى العَراقي. والكرب (بالتحريك): عقد الرشاء الذي يشد على العراقي؛ أو هو الحبل الذي يشد في وسط العراقي ثم يثنى ويثلث ليكون هو الذي يلي الماء فلا يعفن. أراد الحطيئة أنهم إذا عقدوا لجارهم عقدا أحكموه وأوثقوه.

وكانوا يغضَبُون من هذا اللقب؛ لأن أصله أن جعفرا ـ جدَّهــم ـ نحر أبوه جزورا في سنة شهباء فقسمها بين نسائه فأرسلت جعفرًا أمُّه[1] ليأتيها بنصيبها، فلم يدرك إلا الرأس مع العنق؛ فقال له أبوه: شــأنك بـه، فجعـل يجره بين البيوت وجَعَل الناسُ يضحكون مِنْــهُ، فسـمي بذلـك *أنـف الناقـة* (لأنه مدخل يده فيه ويجر به العضويــن[2]). فلمـا مدحهـم الحطيئـة بهذيـن البيتين صاروا يحبون هذا اللقب ويفتخرون به[3]؛ ومن مدحه لهم قوله:

وإن الــــتي نكَّبْتُها عن مَعاشـــرٍ	عليَّ غضاب ان صـددت كما صدُّوا
أتـــت آل شماس بن لأيٍ وإنـــما	أتاهم بها الأحـلامُ والحسبُ العِدُّ[4]
فإنَّ الشــقي من تعادي صدورهــم	وذا الجَــدِّ من لانوا إليه ومَن وَدُّوا
يسوسُـــون أحـــلاما بعيدًا أناتُها	وإن غضبـوا جاء الحفيظــة والجِدُّ
أقلوا عليهـــم لا أبا لأبيكـــــــمُ	من اللوم أو سدوا المكان الذي سَدُّوا
أولئك قوم إن بنوا أحسنـــوا البنا	وإن عاهدوا وفـــوا وإن عقدوا شـدوا
وإن كانت النعما عليهـم جزوا بها	وإن أنعموا لا كدروها ولا كـــدوا

(الأبيات[5]).

---

(1) اسمها الشموس، وهي من بني وائل بن سعد هذيم.

(2) وصاروا يعيرون به ويغضبون منه حتى ان الرجل منهم كان إذا سئل ممن هو يقول: من بـني قريع؛ فيتجاوز جعفرا أنف الناقة، فرارا من هذا اللقب!.

(3) وأصبحوا يتطاولون بهذا اللقب والنسب ويمدون به أصواتهم بجهارة.

(4) العدُّ: القديم.

(5)

وإن قال مولاهـــم على كل حادث	من الدهر رُدُّوا بعضَ أحلامكم رَدُّوا
مطاعين في الهيجا مكاشيف للدجى	بنـى لهـمُ آباؤهـــم وبـــنى الجَدُّ
وتعذلـــــني أبنـــاء سعـــد عليهمُ	وما قلت إلا بالـذي علمت سعدُ!

ومما هجا به الزبرقان قصيدتُه السينية التي منها قوله:

دع المكـــارم لا ترحـــل لبغيتها　　　واقعد فإنك أنت الطاعـم الكاسي

وهذا البيت هو الذي قال فيه حسان، حين استعدى عليه[1] الزبرقـانُ عمـرَ بن الخطاب، فسأل عمر رضي ا لله عنـه حسـان: هـل هجـاه أم لا؟ فقـال حسَّان: ما هجاه ولكن سلح عليه!، فحبسه عمر حتى قال قصيدته:

باسم الذي أنزلت من عنده السور　　　والحمــد لله، أما بعـد يا عمـــر

فأخرجه وأحلفه أن لا يهجو أحدا بعد ذلك.

وهذا هو محل هذه القصة، لا ما قدمنـا في بـني العجـلان، لأن الشـاعر الذي هجاهم هو النجاشي، وهو غلط منا وخطأٌ.

ومن قصيدة الحطيئة السينية قوله:

من يفعــل الخير لم يعـــدم جَوَائِـزَهُ　　　لا يذهـــب العرف بين ا لله والنَّاسِ

وقال كعب الأحبار: هذا البيت وا لله في التـوراة كمـا قالـه، إلا أن في التوراه بين الناس وا لله.

ومعنى **الحطيئة**: القصير الدميم، وسمـي بـه جـرول لأنـه كـان كذلـك. وكان هجا نفسه بقوله، وقد نظر في المرآة:

بـــدا لي وجـــه قبح ا لله خلقه　　　وقُبِّــح من وجه وقُبِّح حاملـه!!

ولما احتضر دخل عليــه النـاس يَعُودونـه فوجـدوه يجـود بنفسـه فكلمـا سألوه عن شيء أجابهم بما يضحكهم، فقالوا لـه: بم توصِينـا بـه لليتـامى؟

---

(1) أي على الحطيئة.

فقال: كلوا أموالهم ونيكوا أمهاتِهم. فلما اشتدت عليه السكرةُ أمر أهله أن يفرشوا له فروة على أتان ويحملوه عليها، ففعلوا، فجعل يقول:

لا أحد ألأم من حطيئهْ هجا البنين وهجا المريئهْ

ومات محمولا على فريوهْ

قول الناظم: و**الحطيئة لهم**: يصح أن يكون محل الحطيئة الخطيئة (بالخاء المعجمة، غير مصغر): الذنب ـ أي والخطيئة لعبس إذ ضيعوا نبيهم خالد بن سنان ـ لولا أنه يُؤدِّي إلى إغفال ذكر جَرْول الشاعر.

وابْنُ الْيَمَانِ حِبْرُهُمْ وَعَنْتَرَهْ   وَدَّ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى لَوَ ابْصَرَهْ

ابْن اليَمان: سيدُنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، واليمان اسْمُه حُسَيْلُ بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جرول بن الحارث بن مازن بن قُطَيْعة (كجهينة) بن عبس، وسمي اليمان لأنه أصاب دما في قومه فدخل في الأنصار، لأنهم أصلا من أهل اليمن، وهو حليف الأنصار.

حذيفة بن اليمان وما خصه به النبي ﷺ

وخير النبي ﷺ حذيفة بين الهجرة والنصرة فاختار النصرة (وليت شعري ما معنى ذلك؟)[1]. وأول مشاهده أُحُدٌ، وقتل أبوه بها؛ قتله عتبةُ بن مسعود

(1) لعل معناه أنه صلى الله عليه وسلم خيره بين أن يكون معدودا في المهاجرين ـ وذلك لأنه كان قد هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد إلى المدينة ولأنه ليس من الأنصار في الأصل ـ أو يكون معدودا في الأنصار ـ لأنه كان قد حالفهم وسكن فيهم ـ فاختار رضي الله عنه أن يكون من الأنصار. والله أعلم.

يظنه من العدو، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فقال له النبي ﷺ: «خيرا فعلت»[1]، وزاده ذلك عنده. وبعثه النبي ﷺ ليلة الخندق ينظر له أمر قريش، وضمنه منهم ويكون رفيقَه يوم القيامة؛ فدخل فيهم إلى أن جلس في نادي أبي سفيان، فسمع كل ما يقولون؛ وسمع قول أبي سفيان: ليتعرف كل أحد بجليسه، فأخذ بيد من يليه وقال من هذا؟ فقال: أنا معاوية بن أبي سفيان. قال حذيفة: فأتيت النبي ﷺ فوجدته يصلي.

وكان حذيفة هذا يعرف بصاحب سر رسول الله ﷺ[2]، لأنه يسر إليه أخبار المنافقينَ ويُعَرفه بكل منافق ـ وكان عمر رضي الله عنه إذا دعي لجنازة لا يخرج إليها حتى يخرج إليها حذيفة[3]، لما يعلم أنه يعلمهم[4] من غيرهم ـ ويسر إليه أيضا أخبار الفتن وأخبار ما يأتي من الدهر والأمراء. وأما علم السر فأهله أبو بكر وعلِيٌّ لا غيرهما ـ (قاله أبو حامد الغزالي في الإحياء). وأما سر النبي ﷺ في ذات نفسه فصاحبه عبد الله بن مسعود. والله تعالى أعلم.

وسئل حذيفة رضي الله عنه أي الفتن أشد؟ قال: أن يعرض عليك الخير والشر ولا تدري أيهما تركب. وقال: لا تقوم الساعة حتى يسود

---

(1) رواه أحمد.

(2) في الصحيحين ان أبا الدرداء قال لعلقمة: أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره؟ يعني حذيفة. وروى مسلم من حديث حذيفة قال: لقد حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان وما يكون حتى تقوم الساعة.

(3) راجع *الاستيعاب* في ترجمة حذيفة.

(4) أي يعلم المنافقين.

كلَّ قبيلة منافقُوها.

ولم يزل رضي الله عنه يشهد المشاهد في حياة رسول الله ﷺ وبعده، وأخذ الراية لما قتل النعمان بن مقرن "بنهاوند" فكان الفتح على يديه، وفتح "الري" و"الدينورَ"، وتوفي في أول خلافة علي، وأوصَى ابنيه: صفوان وسعيدا أن يكونا مع علي؛ فقتلا معه.

والحبر (بالكسر ويفتح): العالم والصالح (قاله في القاموس)، قال عبد الباقي الزرقاني في الكلام على اللقطة: "الحبر بالفتح ـ وان صدر صاحب القاموس بالكسر ـ عالم أهل الذمة، ويستعار لعالمنا".

وعنترة بن شداد بن معاوية، وأبوه شداد فارس جَروة، وهو السابق من طلب عبس إلى بني بدر يوم "جفر الهباءة". وكانت أم عنترة أمَةً سوداءَ، ويذكر ذلك في شعره، وهو سادس الشعراء الستة. وكان يذكر مكارم الأخلاق في شعره، كقوله:

يخبرْكِ من شهد الوقائع أنني   أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وقوله:

ولقد أبيت على الطوى وأظله   حتى أنال به كريم المأكل

وذكر الولي محمد بن المختار بن سعيد اليدالي أن النبي ﷺ أنشد بيت عنترة هذا فقال: «ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة»؛ ومن ذلك أخذ الناظم رحمه الله قوله: **ود النبي المصطفى لو أبصره.**

يقول ومن عبس عالمهم حذيفة بن اليمان، لأنه من علماء الصحابة وأكابرهم، ومنهم أيضا عنترة الشاعر الذي تمنى النبي ﷺ أن يراه.

وَابْنُ زُهَيْرٍ فَارِسُ الْغَبْـــرَاءِ   وَدَاحِـسٍ ذُو الْمَكْرِ وَالدَّهَاءِ

يعني ومن عبس أيضا قيسُ بن زهير، صاحب الفرسين المشهورين: **داحس والغبراء**، والقول إنهما لحمل بن بدر مردود.

سبب تسمية الفَرس داحس

وداحس يضرب به المثل يقال: أشأم من داحس، لأنه قام عليه حرب الرهان المتقدم ذكره؛ وسمي داحسا لأن أمَّه جلوى الكبرى فرسٌ لبني ضبة - لرجل يقال له قرواش - مرت بذي العُقّال (كرمان) فرس حوط بن أبي جابر، وكان عند جاريتين من الحي؛ فلما رأى جلوى أدلى، فضحك شباب من الحي، فاستحيت الجاريتان فأرسلتاه فنزا عليها فوافق قبولها. فعرف حوط - صاحب ذي العُقال - ذلك حين رأى عين فرسه - وكان شريرا - فطلب منه أرش فحله.

فلما عظم الخطب بينهم قالوا له: دونك ماءَ فحلك، فجعل يده في ماء وتراب وأدخلها في رحمها، حتى ظن أنه قد أخرج الماء. واشتملت الرحم على ما فيها فنتجها قرواش مهرا فسمي داحسا لِذلكَ، وخرج كأنه ذو العقال أبوه. ثم نهبه قيس من بني ضبة أو من غيرهم.

و**المكر** الخديعة. و**الدهاء**: العقل وجودة الرأي. وكان قيس بن زهير من دهاة العرب، ومن عقبه المساور بن زهير، الذي هاجى المرار الأسدي؛ ومن هجوه للمرار قوله:

ما سرني أن قومي من بني أسد   وإن ربي ينجيـــني من النار

وانهـــــم زوجوني من بناتهمُ وان لي كــل يوم ألف دينار![1]

سَأَلَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ خَالِدَا نَارًا تَكُونُ آيَةً وشَاهِدَا
وَلَمْ يَضِرْهُ أَنْ عَلَيْهَا دَخَلاَ إِذْ سَأَلُوهُ كَشْفَهَا، وَسَأَلاَ
مُنتَظِرًا خُرُوجَهُ وَكَشْفَهَا أَن لاَّ يُنَوَّهَ بِهِ وَنُوِّهَا

يعني أن **خالد** بن سنان **سأله قيس بن زهير** وبنو عبس معجزة دالة على نبوءته، قالوا له: أخرِج لنا من هذا الوادي نارا تكون آية وشاهدا على نبوءتك. فخرجت لهم من الوادي نار فهربوا منها واستغاثوا به منها فقالوا له اكشفها عنا، فقال لهم: إذا دخلتها فلا تنوِّهُوا بي ما دمت فيها - أي لا تنادوني باسمي - فلما دخلها وكشفها عنهم جعلوا ينادونه ويقولون: يا خالد. ولعل ذلك تضييعهم له الذي ذكر النبي ﷺ في قوله: «نبي ضيعه قومه». وا لله تعالى أعلم.

وقيل إن ربعيا بن حِراش (بكسر الراء من الأول والحاء من الثاني) - الذي ذكره الناظم في فزارة - من عبس.

عَبْسُ وَذُبْيَانُ انتَهَواْ وسِلْكُهُمْ بَغِيضُ، رَيْثُ، غَطَفَانُ مَلْكُهُمْ

مراده بهذا البيت التَّنبيه على انتهاء ما ذكر من عبس وذبيان، وذكر ما

---

(1) ومن شعره فيهم:
زعمـتم أن إخوتكـم قريـش لهم إلْفٌ وليس لكـم إلافُ
أولئك آمنـوا جـوعا وخوفا وقد جاعـت بنو أسد وخافـوا

بينهما وبين غطفان من الآباء؛ وهما اثنان: بغيض وريث. فَهُما أخوان ابنا بغيض بن ريث بن غطفان. أما أشجع الذي ذكر معهما فهو عمهما ابن ريث بن غطفان. وقوله **ملكهم**[1]: تَتْميمٌ، وأراد به أن جد القبيلة كالملك عليْهم. وقوله **سلكهم**: أي نسبهم[2].

وابْنُ سِنَانٍ معْقِلُ اللَّوْذَعِي وَصِنْوُهُ مُؤَمَّلُ لأَشْجَعِ

اللوذعي واللوذع: الظريف والحديد الذهن والفؤاد والفصيح اللسان كأنَّه يلذع كَالنَّارِ لِذَكائِه. **والصنو**: الأخ الشقيق، وهو المراد هنا، ويطلق على الابن والعم[3]. بدأ بذكر أشجع بابني سنان الصحابيين معقل ومؤمل؛ أما معقل فشهد الفتح، وكان شابا تقيا فاضلا يكنى أبا سنان، قتله مسرف ابْنُ عقبة يوم الحرة صبرا، وكان على المهاجرين يومئذ؛ وفيه يقول الشاعر:

فأصبحت الأنصار تبكي سراتها وأشجع تبكي معقل بن سنان

يقول وابنا سنان **معقل ومؤمل** ينسبان **لأشجع**، وينسب لهم أيضا

---

(1) قوله: ملكهم: أي جدهم الجامع لهم فهو تتميم على سبيل الاستعارة.

(2) ثم أفرد أشجع عنهما، لأنه عمهما وطفق يتكلم عليه فقال رحمه الله وعفا عنه:

(3) **ومؤمل**: بالرفع بدل من صنوه. يقول ومن أشجع بن ريث بن غطفان الصحابيان الجليلان معقل ومؤمل ابنا سنان بن مظهر بن عركى بن قينان بن سبيع بن بكر بن أشجع الأشجعيان، وبدأ رحمه الله ذكر أشجع بهما. ولأشجع من الولد بكر وسليم وعمرو، ولبكر منهم ابنه سبيع، ولسبيع هذا قينان وخلاوة، فمن قينان بن سبيع بن بكر بن أشجع معقل ومؤمل ابنا سنان هذان رضي الله عنهما.

المذكورون بعدهم:

وابْنُ حَـــرَامٍ زَاهِــرُ الْبَادِيَهْ   لِلْمُصْطَفى أَعْظِمْ بَهَا مِنْ خَاصِيهْ[1]

غَمَّضَـــهُ مِنْ خَلْفِـــهَ وَقَالاَ:   مَن يَّشْتَرِي عَبْداً، فَعِ الْمَقَالاَ

شهد زاهر بدرا وسكن البادية في حياة النبي ﷺ، وكان لا يأتيه إلا أتى بطُرفة من طُرف البادية حتى قال صلى ا لله عليه وسلم: «لكل حاضرة باديةٌ وبادية آلِ محمد زاهرُ»[2]. ووجده رسول ا لله ﷺ بسوق المدينة يوما فوضع يديه الكريمتين على عينيه من ورائه وقال: «من يشتري العبد؟» فأحس به زاهر فقال: "إذا تجدني كاسِدًا يا رسول ا لله، فقال: «بل أنت عند ا لله رابح»[3].

ثم انتقل إلى الكوفة.

وَعَامِرُ بْنُ الاَضْبَطِ الّذِي السَّلَمْ   أَلْقَاهُ لِلْجَيْشِ وَغَالَـهُ الْحُطَـمْ

مُحَلِّمُ وَالأَرْضُ إِذْ دَعَى النَّبِي   عَلَيْــهِ أَلْقَتْــهُ فَلَمْ تُغَيِّــبِ

السلم: الانقياد. والحطم: الغشوم الظلوم كالحطمة، ومنه الحديث:

---

(1) يعني أن من أشجع أيضا ثم من بني بكر منهم الصحابي الجليل زاهرا بن حرام الأشجعي الذي وصفه النبي صلى ا لله عليه وسلم بأنه بادية آل محمد، فما أعظمها من منقبة خصه بها رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم.

(2) نحوه في *الجامع الصغير* وأحمد وذكره في *المواهب*.

(3) رواه الترمذي في *الشمائل* وأحمد والطبراني والبزار.

«شر الرعاة الحطمة»[1]. **ومحلم** (كمحدث) ابن جثَّامة الليثي؛ كان من حديثه أنه كان في سرية، فتعرض لهم راكب على ناقة جيدةٍ ومعه وطب لبن ومَتاع، فسلم عليهم وقال لهم إنه يريد النبي ﷺ، فَرَمَاهُ محلِّم هذا وأخذ النَّاقة وما عليْها. فلما أتوا النبي ﷺ وأخبروه غضب ـ وذلك في طريقه إلى فتح مكة ـ فتفاقم أمر الناس فيه. فتنافس عليه الأقرعُ بن حابس وعيينة بن حصن؛ فالأقرع متعصب للقاتل لأنه من خِندف، وعيينة للمقتول لأنه من غطفان، والنبي ﷺ في ظل شجرة؛ فبينما الناس في شغل من ذلك إذ قبل أهل المقتول الدية. فأتوا به النبي ﷺ يستغفر له فقال: «ما اسمك»؟ فقال: محلم، فرفع صلى الله عليه وسلم يديه وقال: «اللهم لا تغفر لمحلم»[2] قالها ثلاث مرات. فقام من عنده وهو يتلقَّى دموعه بفضل ردائه، فمات بعد ذلك بسبع ليال فدفنوه فلفظته الأرض إلى ثلاث مرات، فوضعوه بين صخرتين فرضموا عليه بالحجارة؛ وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الأرض لتنطبق على من هو شر منه ولكن الله أراد أن يعظكم في جرم ما بينكم وبين ربكم بما أراكم منه»[3]، وأنزل الله: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ﴾[4]ـ أي انقاد وأذعن ـ وقُرِئَ بـ"ٱلسَّلَمَ"[5] أي التحية،

---

(1) رواه مسلم وأحمد.

(2) رواه أبو داود وأحمد.

(3) رواه ابن ماجه وذكره البيهقي في ***دلائل النبوة*** وابن كثير في ***البداية والنهاية***.

(4) النساء: 94.

(5) قرأ نافع وابن عامر وحمزة بالقصر، وقرأ باقي السبعة بالمدِّ.

وقيل نزلــت في أسامة لما قتل مرداس بن نهيك الجهـني، فقال له النبي ﷺ: «هلا شققت عن قلبه؟»[1]. وأخو محلم هذا الصعبُ بن جثَّامة الليثي الصحابي.

ومـ أشجع أيضا نعيم بن مسعود بن عامر رضي الله عنه، الذي شتت أمر الأحزاب ليلة الخندق، وهو أيضا الذي نزلت فيه ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[2] وذلك يوم حمراء الأسد، فالمراد بالناس الأولى نعيم وحده والثانية المشركون.

ومنهم أيضا مسعود بن رخيلة الذي قاد أشجع يوم الأحزاب إلى النبي ﷺ ثم أسلم بعدُ وحسن إسلامه.

ومنهم أيضا فالج بن خلاوة الذي يضرب به المثل في التبري من الأمر، يقال: أنا منه فالج بن خلاوة؛ وذلك أنه قتل أنيسًا الأسدي، فلما كان يوم الرقم قيل له: هل أحسست أنيسًا؟ قال: أنا منه بريء.

ومعنى البيتين ومن أشجع عامرُ بنُ الاضبط، الذي ألقى السلم إلى جيش المسلمين فقتله محلم بن جثامة الليثي، فدعا عليه النبي ﷺ فلم تقبله الأرض.

هنا انتهى الكلام على الناس الذي هو قيس عيلان، فشرع يتكلم على أخيه إلياسَ عمود النسب؛ وذلك صنيعه يذكر عمود النسب ويؤخره حتى يُشعِّبَ إخْوتَه فينزل عليه، لأنه الأصل والسلك والعرب جمانُه كما قال:

فقال رحمه الله: جُمَـانُ سِلك نَسَـــب النـــبيِّ ...

---

(1) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه وأحمد.

(2) آل عمران: 173.

الكلام على نسب إلياس

فِي صُلْبِ إِلْيَاسَ لِخَيْرِ الأُمَمِ   تَلْبِيَةٌ يَسْمَعُ مَن بِالْحَرَمِ

الصلب (بالضم وبالتحريك): الظهر. **وإلياس** سمي به لأنه أوَّل من أخذه داء اليأس (وهو السل). **وخير الأمم**: النبي ﷺ، فالأمم جمع أمَّة للرجل الجامع للخير، فالنبي ﷺ خير ذلك الجنس. والأمة: كل جيل من ولد كل حي، والنبي ﷺ خيرُ كلِّ مخلوق، والأمة: كل جماعة أرسل إليها رسول؛ فكل أمة خيرها رسولها، وخير كُلِّ رسُولٍ سيدُنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ. **والتلبية**: قول لبَّيك.

يعني أن جميع من بمكة يسمع، إذا كان إلياس يلبي، تلبية النبي ﷺ في ظهره؛ وذلك يدل على إسلام إلياس بل على كونه من الأكابر، وإسلام إلياسَ يدل على إسلام جدوده كما تقدم.

ومن صنيعه رحمه الله أنه إذا كان في القبيلة مكرمة أو قصة دمج ذكر القبيلة في ذكرها.

أوْلادُهُ مِنْ خِندِفٍ الشَّامِخَهْ   قَمَعَةٌ، مُّدْرِكَةٌ وَطَابِخَهْ

خندف (كزبرج): لقبُ زوج إلياس واسمها ليلى بنت حُلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة؛ وسميت خندفا لأن إلياس لقيها يوما وهي تخندف، أي تمشي الخندفة ـ وهي مِشية كالتبختر ـ فقال لها: إلى أين تخندفين؟ فقالت: ما زلت أخندف في أثركم. وقد خرجوا فنفرت إبلُهم من أرنب،

فأدرك عمرو الإبل فسمي **مدركة**، وتَصيَّد عامر الأرنب وطبخها فسمي **طابخة**، وقمع عمير الإبل فسمي **قمعة**. **والشامخة**: الرافعة بأنفها عزا، ووصف بها خندفا لأنها تستحقه؛ وكل بني إلياس إذا أراد أحدهم أن يفتخر بنسبه يقول: من خندفٍ[1]، بل غلب انتسابهم إليها على انتسابهم إلى إلياس[2].

قَمْعَةُ قِيلَ جَدُّ عَمْرِو بْنِ لُحَيْ ذِي الْقُصْبِ فِي حَدِيثِ أَفْضَلِ لُؤَيْ

قمعة (بالتحريك، وسكنه للضرورة): لقب عمير بن إلياس. **والقُصْب** (بالضم): المعي. **والحديث** الذي يعني: قوله صلى الله عليه وسلم في ذكر

---

(1) ومنه قول قصي بن كلاب:

إني لدى الحرب رخيُّ اللَّبب أمَّهتي خندف والياس أبي

ويقول العجاج من رجز له:

فخِندِفٌ هامة هذا العالم

وقال نصر بن سيار:

أنا ابن خِنْدِف تنميني قبائلها للصالحات وعمِّي قيس عيلان

(2) ومن خندف هذه عرب الحجاز وجُلُّ عرب نجد، فمنها قريش وكنانة أجمع وأسد ابنا خزيمة بن مدركة، وهذيل بن مدركة، ومنها أسلم وخزاعة ـ على القول بأنَّ أباهم عمرو بن لحي بن قمعة ـ ومنها تميم بن مر بن أد بن طابخة؛ وهي من أعظم قبائل العرب وأشجعها، وضبَّة بن أد بن طابخة، وسائر الرباب وهم: عدي بن عبد مناة بن أد بن طابخة وتيم بن عبد مناة بن أدٍّ وثور بن عبد مناة وعكل، وهم بنو عوف بن عبد مناة بن أد؛ ومنها مزينة وهم بنو عمرو بن أدٍّ بن طابخة. وتنقسم مضر إلى قسمين: إلى قيس المتقدم ذكرهم، وإلى خندف الذين أخذ الناظم في ذكرهم وبدأ بقمعة فقال رحمه الله وعفا عنه:

عمرو بن لحي: «رأيته يجر قصبه في النار وأشبهُ الناس به أكثم هذا»، يعني أكثم بن الجون، فقال أكثم: أيضرني ذلك الشبه يا رسول الله؟ قال: «لا أنت مؤمن وهو كافر»، وأول الحديث عمرو بن لحي بن قمعة، ثم إن صح الحديث فلا عبرة بكلام النسابين القائلين إن لحيا: ابن حارثة الغطريف - والد الأوس والخزرج - لكن قال بعض النسابين إنه ابن حارثة بالتبني، وإن حارثة خلف على أم لحي بعد قمعة فتبناه؛ وهذا القولُ جامع بين الحديث وكلام النسَّابين.

أَوَّلُ مَنْ حَمَلَ أَكْيَاسَ الْحَرَمْ   لِكُفْرِهِ عَلَى عِبَادَةِ الصَّنَمْ

الأكياس: جمع كيس، أي عاقل. يعني أن عمرو بن لحي هو أوَّل من حمل أهل الحرم على عبادة الأصنام، لأنه كان كثير المال كثير الإنفاق[1].

---

(1) قال في **الروض الأنف**: كانت العرب قد جعلت عمرو بن لحي ربا لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة، لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم؛ فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة حتى أنه اللاَّتُ الذي يلت السويق للحجيج على صخرة معروفة تسمى صخرة اللاَّتِّ، ويقال إن الذي يلت كان من ثقيف، فلما مات قال عمرو إنه لم يمت ولكن دخل في الصخرة؛ ثم أمرهم بعبادتها وأن يبنوا عليها بيتا يسمى اللات. ويقال دام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلاثمائة سنة، فلما هلك سميت تلك الصخرة اللات مخففة التّاء واتخذ صنما يعبد - اهـ.

قال ابن هشام: حدَّثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما قدم مئابَ - من أرض البلقاء - وبها يومئذ العماليق، وهم ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح، رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا: هذه أصنام نعبدها نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنمًا فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه؟ فأعطوه صنما يقال له هُبَلُ، فقدم به مكة

<<=

عمرو بن لحي وابتداعه عبادة الأصنام

وأَدْخَـلَ اللَّذَيْنِ أخْـرَجَهُمَا إِذْ أَحْــدَثَا فَمُسِخَا أَهْلُهُمَا
وَصُلِبَا عَلَى الصَّــفَا لِيَتَّعِــظْ عَنِ الزِّنَى بِمَكَّـةٍ كُـلُّ يَقِــظْ

يعني أن من كفر عمرو بن لحي أن جُرهماً قبلُ أحدث منهم رجل وامرأة في الطواف، أي تلامسا عن ريبة - وقيل زنيا - فمسخا حجرين، لعظم حرمة الحرم، **فأخرجهما أهلهما** - وهم جرهم - **وصلبوهما على الصفا ليتعظ** ويتذكر وينتهي **عن الزنى** ونحوه **كل يقظ**، أي كل منتبه غير نائم عن العواقب. والرجل اسمه إساف (ككتاب أو سحاب) ابن عمرو، والمرأة اسمها نائلة بنت سهل؛ فجَرا في الكعبة فمسخا حجرين. فقال عمرو بن لحي: حقهما أن يعبدا فعبدهما؛ قيل أدخلهما، وقيل وضع أحدهما على

>>

فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه.

قال ابن إسحاق: ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل أنه لا يظعن من مكة ظاعن منهم - حين ضاقت عليهم والتمسوا التفسُّح في البلاد - إلا حمل معه حجرًا من حجارة الحرم تعظيما للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى خرج بهم ذلك إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم، حتى أتت بذلك قرون ونَسُوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيمَ وإسماعيلَ غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات.

وفي الزرقاني قال: صحت الأحاديث في البخاري وغيره وتضافرت نصوص العلماء بأن العرب من عهد إبراهيم عليه السلام على دينه، لم يكفر منهم أحد إلى أن جاء عمرو بن لحي؛ فهو أول من عبد الأصنام وغير دين إبراهيم، وكان زمنه قريبا من زمن كنانة.

الصفا والآخر على المروة، وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة؛ ثم عبدتهما قريش.

وأول عبادة عمرو بن لحي الأصنام أنه خرج إلى العمالق فوجدهم بالشام يعبدون الأصنام، فاستوهبهم منها فأعطوه واحدا فقدم به مكة، قيل هو هُبَل، صنم قريش الذي قال له أبو سفيان يوم أحد: اعلُ هُبَلُ، فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه «قولوا له: الله أعْلَى وأجل»[1].

مَلَكَ أَرْبَعِيـــنَ أَلْفًا فَسَمَـــلْ عَن شُكْرِهَا أَعْيُنَ عِشْرِينَ جَمَلْ

وَكَادَ يُعْبَــدُ، فَكُــلُّ مَا أَمَــرْ بِــهِ مِنَ الْمُخْتَلَــقَاتِ يُبْتَــدَرْ

يعني أن عمرو بن لحي مع ابتداعه عبادة الأصنام وحمله العرب وذوي العقول من أهل مكة على الكفر، أعطاه الله ما لم يعط غيره من الأموال، حتى أنه ملك أربعين ألف ناقة - استدراجا وإملاء له (حسبنا الله ونعم الوكيل) - فزعم أن شكر ذلك أن يسمُل - أي يفقأ - عن كل ألف عين فحل؛ فسمل عيون عشرين جملا شكرا للأربعين الألف، كالزكاة! قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، وقال تعالى جوابا لقول المترفين الكافرين: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٣٥ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾[3]، أي مطيعا كان، كعُثمان وعبد الرحمن بن عوف وأنس بن

---

(1) رواه البخاري وأحمد.

(2) الأعراف: 182.

(3) سبأ: 35-36.

مالك وطلحة بن عبيد الله وغيرهم من الصحابة والصالحين بعدهم، وعاصيا؛ كعمرو بن لحي والوليد بن المغيرة وغيرهما إلى الآن.. لأن الدنيا لا تزنُ عند الله جناح بعوضة، كما قال صلى الله عليه وسلم[1]. والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾[2].

وكاد الناس يعبدون عمرو بن لحي لمساعدة الدنيا له بكثرة الأموال، لأن الناس أعوانُ مَن أَعَانَتْهُ دولته[3]، ولكثرة إحسانه عليهم؛ فكان يطعم أهل المواسم ويكسوهم كلهم وينفق كثيرا.. إلى أن أحبته القلوب، لأنها جبلت على حب من أحسن إليها، وأفعال الأبدان منقادة إلى أهواء القلوب. فبسبب ذلك كان الناس يتدرون كل ما أمَر به مما اختلقه، ولو خالف ما كانوا عليه من الدين ومكارم الأخلاق[4].

كَالْوَصْلِ والبَحْرِ وكَالتَّسْيِيبِ وكَالْحِمَايَةِ وَكُلِّ رَيْبِ
وتَصِلُ الأَخَ الْعَنَاقُ وَتَقِي مِن ذَبْحِهِ لآلِهَاتِ الأَخْرَقِ

---

(1) «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها..» - [رواه الترمذي وقال حسن صحيح].

(2) الزخرف: 33.

(3) يشير إلى قول الشاعر:

الناس أعوان من والته دولته وهُمْ عليه إذا خانته أعوانُ

(4) ثم ذكر بعض مختلقات عمرو بن لحي التي سنَّ لهم، فقال رحمه الله:

بَحِــيرَةٌ فَعِيلَةٌ مِــن بَحَــرَا   تُشَــقُّ طولاً أُذْنُهَا بِـلاَ امْتِرَا
إن وَلَدَتْ عَشْــراً ولِلذُّكُــورِ   يَحِلُّ لَحْمُهَا عَلَى الْمَسْطُــورِ
وَسَيَّــــبُوا لِنَاقِــهٍ وقَــادِمِ   تَقَرُّبًا كَالْعِتــقِ فِي العَظَائِــمِ
والْفَحْلُ يَحْمِي ظَهْرَهُ إن وَلَدَا   وَلَـــدُهُ أَوْ رِيضَ فِيمَا وَرَدَا

البحر في اللغة: الشق، ويكون ضد الوصل. **والتسييب**: الإهمال. **والحماية**: الوقاية. **والريب**: ما يُريب أي يشكك، وهو أصل السوء. **والعناق**: الأنثى من أولاد المعز. **والأخرق**: الأحمق، وأراد به ذم عمرو بن لحي. **وآلهته**: الأصنام، ثم شرع في تفسير مختلقاتِهِ فقال: **وتصل الأخ**: يعني أنهم بنوا **فعيلة** ـ بمعنى فاعلة ـ من **وصل**، وذلك أن الشاة إذا ولدت ذكرا وأنثى قالوا *وصلت أخاها*، فلا يذبحون الذكر لآلهتهم؛ أو هي شاة تلدُ ذكرا ثم أنثى فلا يذْبحون أخاها من أجلها، فإن ولدت ذكرا قالوا هذا قربان لآلِهَتِنَا. وقيل **الوصيلة** من الشاء التي ولدت ستة أبطُن، عناقين عناقين، فإذا ولدت في السابعة عناقا وجَديا قالوا وصلت أخاها، فلا يشرب لَبَنَها إلا الرجالُ. **وبحيرة**: بناء فعيلة ـ بمعنى مفعولة ـ من فِعْل **بحر**، وفسَّر ذلك بقوله: **تشق طولا أذنها**. وتترك مشقوقة غير مقطوعة فيكون ذلك سمة لها. **بلا امتراء**: أي بلا شك، وهو تتميم.

قوله: **إن ولدت عشرًا**: يحتمل فتح الهمزة من **أن** فتكون مصدرية للتعليل، أي تبحر لأجل ولادتها عشرة أبطن؛ ويحتمل كسر همزتها على أنها شرطية، أي تبحر الناقة إن ولدت عشرا.

وفي شرعهم أن **البحيرة** يأكل الرجال لحمها ويحرم على النساء. وجمع البحيرة: بحر، وقد توجد منها إبل كلها بحر، قال الشاعر يصف روضا:

بعازب النّبـــت يرتاع الفُــؤاد له   رأدَ النهار بأصــوات من النعـــر

والأزرق الأخضَبُ السربال منتصبا   قيد العضا فـــوق ذيال من الزهر

به من الاخـــــرج الوضاح قرقرةٌ   هدر الدبابي وســط الهْجمة البحر

قوله: **وسيَّبُوا**: أي واختلقوا أيضا السَّائبة، وهي الناقة تهمل فلا تركب ولا تمنع من كلإٍ ولا ماءٍ لنذر إذا **نقه** أحدُهم من مرض ـ أي برئ بعض البرء أو أفاق من مرضه ـ أو **قدم** من سفر بعيد، أو نجا من حرب أو مشقة؛ وإنما يفعلون ذلك تقربا، كما نفعل نحن في الأمور **العظام** من **العتق**.

ومما اختلقوا أيضا **الحماية**، وهي أن **الفحل** إذا أدرك نتاج نتاجه قالوا حمى ظهره، فلا يركب ولا يحمل عليه وكذلك إذا ريضَ ولدُه، أي ذُلِّلَ[1].

والعُــرْبُ قَبْـلُ مُـتَدَيِّنُــونَا   بِمِلَّــةِ الْخَلِيـــلِ يَعْمَلُـــونَا

* *

وهْــــــوَ أَبُو خُزَاعَةٍ وأَكْثَمُ   شَبَّهَـــهُ بِـــهِ النَّبِيُّ مِنْهُـمُ

يعني أن **العرب قبل** مختلقات عمرو بن لحي **متدينون**: أي أصحاب دين، أي إسلام، **يعملون بملة** إبراهيم **الخليل**، عليه السلام. وبَقِي منها أربع خصال لم تنسخ إلى أن بعث نبينا محمد ﷺ؛ وهِيَ: الحج والنِّكاح والاغتسال من الجنابة وقِرَى الضيف (والله أعلم). قال السهيلي: يدل

---

(1) وقد تحدث القرآن العظيم عن هذه المختلقات في مواضع مختلفة من سورة الأنعام.

خطاب العرب بالطهارة على أنهم كانوا عارفين لها، قال تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾[1]، ولم يصف لهم الطهارة كما وصف لهم الوضوء، بقوله تعالى ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾[2].. إلى آخر الوضوء، ولو كانوا يعرفون الوضوء كما يعرفون الطهارة لقال فتوضَّأوا.

قوله: **وهو أبو خزاعة**: يعني قبائل خزاعة؛ وهم: كعب، وعدي، وسعد، ومليح، وسلول.

أما كعب فمنهم عمرو بن سالم الذي استصرخ لخزاعة، حين غدرت بهم بنو بكر بن كنانة، النبي ﷺ بقوله:

يا رب إنــــي ناشـــد محمدا حِلْـــــف أبينا وأبيـــه الأتْلَدا

(القصيدة)

فقال له النبي ﷺ: «لا نصرني الله إن لم أنصرك»، وقال، وقد استهلت عليهم سحابة: «إن هذه السحابة لتستهل لنصر بني كعب»[3].

وأما سعد فمنهم بنو المصطلق ـ واسمه خزيمة ـ بن سعد، أهل أمِّنا جويرية؛ وسمي المصطلق لحسن صوته، وهو أول من غنى من خزاعة.

وأما عدي فمنهم بديل بن ورقاء بن عبد العزى، الصحابي، أسلم يوم الفتح هو وابنه عبد الله وشهدَا ما بعد الفتــح، وقيل أسلم عبد الله قبـــل

---

(1) المائدة: 6.

(2) المائدة: 6.

(3) رواه الطبراني في *الصغير* والبيهقي في *السنن الكبرى* و*دلائل النبوة*.

الفتح. وكان عبد الله سيد خزاعة، وكان مع ابن عامر في فتوحه، وهو الذي صالحه مع أصبهان زمن عثمان، ثم كان مع علي في الجمل وصفين؛ وفي صفين يقول:

لم يبق إلا الصَّبر والتوكُّلْ ثم التَّمَشِي في الرَّعيل الأوَّلْ
مشي الجمال في حياض المَنْهَلْ والله يقضي ما يشا ويفعلْ

وكان عليه درعان ومعه سيْفَانِ يضرب بهما، حتى انتهى إلى معاوية فأزاله عن موقفه هو وأصحابه، فرموه بالحجارة حتى أثخنوه فقتلوه، وأقبل عليه معاوية وعبد الله بن عامر، وألقى عليه ابن عامر عمامته وقال لمعاوية: والله لا يُمثل به وَفيَ روح، فقال معاوية: وهَبْناهُ لك؛ فكشف معاوية عن وجهه فقال: هذا كبش القوم وربِّ الكعبة.

وأخوه نافع بن بديل قتل يوم بئر معونة، وفيه قيل:

رحم الله نافِع بْنَ بديل رحمة المبتغي ثَواب الجهاد

قوله **وأكثم**: هو إلى المُثَلَّثةِ أقرب، لأن المجد[1] أهمله - ويقلُّ فيه ذلك - وذكر آخرين بالمثلثة، ولم يذكر في المثناة معنى يُسَلَّطُ عليه به. قوله: **شبهه به النبي.. إلخ**: أي ومن خزاعة ثم من بني كعب أكثم بن الجون؛ وتقدم هذا التشبيه في حديث عمرو بن لحي.

عِمْرَانُ الْمُعَايِنُ الْمُكَلِّمُ قَعِيدَهُ حَتَّى اكْتَوَى قَرْمُهُمُ

---

(1) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي صاحب *القاموس المحيط*.

يقول إنَّ **عمران** بن حصين **قرم**: أي سيد خزاعة، وهو أيضا من كعب ثُمَّ من بني غاضرة، وكان يرى بعينه قعيدَه، أي حفظته، قال تعالى ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[1]، ويكلمهم ويأنس بهم، حتى أصابه مرض فاكتوى، فغابوا عنه؛ فقال: يا رسول الله ما بال قوم كنت آنس بهم وأراهم؟ فقال: «لَعَلَّكَ اكتويت»[2]؟ قال: نعم، فقال صلى الله عليه وسلم: «سبعون ألفا من أمتي لا حساب عليهم الذين لا يكتوون ولا يستَرْقُون وعلى ربهم يتوكلون[3]»، قال القاضي عياض وغيره: ولا يختص عدم الحساب بالمتوكلين الذين لا يكتوون ولا يسترقون، لأن النبي ﷺ تداوى من الأمراض واسترقى من السحر وجاءه ذلك من ربه تعالى، وأمر بالتداوي والرقية وأمر الله تعالى بالأسباب، لكن لم ينه عن التوكل معها؛ كما قال صلى الله عليه وسلم لعمرو بن أمية الضَّمري: «بل قيدها وتوكل»[4]، ولو كان في السبب غضاضةٌ لما رَبَط النبي ﷺ البراقَ في الحلقة التي كان الأنبياء يربطونها فيها - (انتهى قول القاضي وغيره بالمعنى والاختصار).

---

(1) سورة ق: 17.

(2) ذكره في *المواهب اللدنية*.

(3) رواه البزار عن أنس. وحديث «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا...» متفق عليه.

(4) رواه ابن خزيمة والطبراني.

يكنى عمران أبا نُجَيْد[1]، أسلم عام خيبر، وكان من فضلاء الصحابة؛ وكان يحدث عن إسلامه وقال: أتيت النبي ﷺ فجعل يحدثنا ببدْءِ الوحي، فقال قائل: يا ابن الحصين راحلتك انفلتت، فقمت فرأيتها يتقطع السراب من دونها وليتني تركتها. مروياته من الحديث مائة وثمانون، ومات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة؛ وكان عبد الله بن عامر استقضاه عليها فاستعفاه، ففعل. وكان مجاب الدعوة ويذكر أن الدعاء يستجاب عند ذكره. وأبوه حصين بن عبيد بن خلف بن عبدنُهْم، صحابي؛ قال له النبي ﷺ: «من تعبد»؟ قال: عشرة آلهة، قال: «وما هم وأين هم»؟ قال: تسعة في الأرض وواحد في السماء، قال: «فالغ التِّسْعة»[2].

كُثَيِّرُ، بُدَيْلُ، أُمُّ مَعْبَدِ، دِعْبِلُ هَاجِي الْخُلَفَاءِ الْمُعْتَدِي

يعني ومن خزاعة - بالإجمال - **كثير وبديل** بن ورقاء - وتقدم الكلام عليه - **وأم معبد ودعبل** (كزبرج)، الذي كان يهجو خلفاء بني العباس. **والمعتدي**: المجاوز حده.

كثير عزة

أما كثير فهو لقبه، وهو بالتصغير، وكنيته أبو جمعة، واسمُه عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي؛ الشاعرُ المشهورُ وكان رافضيا،

(1) بنون وجيم، مصغرا - [الإصابة].

(2) رواه أبو داود وأحمد.

وكان يحمق متكبرا جدًّا، ويقال له كثير عزة ـ ينسب إليها[1] ـ لشدَّة كَلَفِه بها. وكان معاصرا لجرير والفرزدق وذي الرمة ونصيب. ومن أحسن شعره في عزة قصيدته:

خليلي هــذا ربع عــزة فاعقــلا   قلوصيكما ثم ابكيا حيــث حَلَّتِ

وما كنــت أدري قبل عزة ما البكا   ولا موجعاتُ القلــب حتى تَوَلَّت

ومن شعره فيها أيضا قوله:

قضى كــلُّ ذي دَينٍ فَوَفَّى غريمَهُ   وعَــزة ممطــول معنًّى غريمــها[2]

---

(1) وعزة هذه بنت حُميل بن حفص الحاجبية من بني حاجب بن غفار. ومن شعره فيها:

وددت ـ وما تغــني الودادة ـ أنني   بما في ضمــير الحاجبــية عالم

فإن كان خــيرا سرنــي وعلمته   وإن كان شــرا لم تلمني اللوائمُ

وما ذكرتـك النفس إلا تفــرقت   فريقــين منها عاذر لي ولائــم

فريق أبى أن يقبل الضيم عنــوة   وآخــر منها قابل الضيم رَاغمُ

(2) وقال فيها أيضا:

ألا ليتنا يا عــز من غير ريبــة   بعيران نرعى في الخَــلا ونعذَّب

كــلانا به عَــرٌّ فمن يرنا يقل   عــلى حسنها جَرْبَى فَتُعْدي وأجربُ

إذا ما وردنا منهــلا صاح أهلــه   علينا فما نَنْفَــكُّ نُرمَى ونُضرَبُ

وددت وبيــت ا لله أنك بكــرة   هجان وأني مصعــب ثم نهرب

نكــون بعيري ذي غنى فيضيعنا   فــلا هو يرعانا ولا نحن نطلَبُ

فقال له عمر بن أبــي ربيعة: ويلـك تمنيـت لها ولنفسـك الرق والجـرب والرمـي والطـرد والمسخ، فأي مكروه لم تتمنَّ لها ولنفسك؟ ولقد أصابهــا منـك قـول الأول: معـاداة عـاقل خير من مودة أحمق، فخجل كُثيِّر وضحــك منـه أهـل المجلس، وفيهـم الأحـوص ونصيـب وغيرهما من الشعراء.

قيل إن أمَّ البنين بنت عبد العزيز سألتها عن هذا الدَّيْن؟ فقالت: وعدته بقُبلة فلم أنجز، فقالت: أنجزيها وعلي إثمُها!.

وكان مداحا لعبد العزيز بن مروان؛ فمدحه مرة فقال له: تَمَنَّ، فقال: تجعلني مكان كاتبك "ابن رمانة"، فقال: ويحك هو كاتب وأنت شاعر، ويعدون ذلك من حمقه. ورُوِي أن عبد العزيز أرسل يوما إلى عزة فأدخلها بيتا وأسبل عليها سترا، فأرسل إلى كُثَيِّرٍ وقال له: سلني حاجتك كائنة ما كانت. فقال: أرضك الفلانية ومائة ناقة برعاتها، فقال: هل تريد غير ذلك؟ قال: لا، قال عبد العزيز: يا غلام ارفع الستر، فنظر فإذا عزة، فأنشا يقول:

عجبت لتركي خُطَّة الرشد بعدما ... بدا لي من عبد العزيز قبولها
حلفت برب الراقصات إلى منى ... يجوب الفيافي نَصُّها وذَمِيلُها
لئن عاد لي عبدُ العزيز بمثلها ... وأمكنني منها إذن لا أقيلها

ومن شعره فيها أيضا، وقد هجرته زمانا ثم حجت، فلما قفلت من الحج مرت بجمل لِكُثير في مطايا الحاج فسلمت عليه؛ فسمع بذلك كُثَير فقال:

حَيَّتْكَ عزة بعد الحج وانصرفت ... فَحَيِّ ويحك من حياك يا جمل
ليت التحية كانت لي فأشكرها ... مكان يا جمل حييت يا رجل
لو كنت حييتها ما زلت ذا كرم ... عندي ولا مَسَّكَ الإدلاج والعمل

وفي عبد الملك بن مروان يقول:

إذا هَمَّ بالأعداء لم تَثْنِ هَمَّهُ ... حَصان عليها نظمُ دُرٍّ يَزينها
نهته فلما لم تر النهي عاقه ... بكت فبكى مما شجاها قطينها

ولما أراد عبدُ الملك المسير إلى مُصعب بن الزبير نهته زوجته عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية، فلما لم ينتـه بكـت فبكـى لبكائهـا حشـمها؛ فقـال عبـد الملك: قاتل الله أبا جمعة كأنه شاهد يومنا هذا، ثم قال: علي بأبي جمعـة. فقال [له]: إن أنت أخبرتني عن بيتين من شعرك وردا علي اليـوم أخـبرتك بما تحدثك به نفسك، فقال: ما هو إلا أنك نهتك عاتكـة بنـت يزيـد عـن المسير، فلما امتنعتَ بكت فبكى معها خدمها؛ قال: صدقت، وأنت تقول لك نفسك أنا أشقى الناس.. أخرج مع رجل ليس على ديني إلى رجل هو أحب الناس إلي، فقال: أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين.

وكُثَير من بني غاضرة؛ وهم من كعب.

وأما **بديل** فتقدم الكلام عليه قريبا وأنه من عدي.

أم معبد وخبر ها مع النبي ﷺ

وأما **أمُّ معبد** فهي من بني كعب أيضـا، وهـي عاتكـةُ بنـتُ خـالد بـن سعد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم صاحبة الشاة. ومن خبرهَا أنهـا وجدهـا النبي الله ﷺ وأصحابُه بقُديد في فِناء خيمـة، فأنـاخوا؛ ثـم قـال النبي ﷺ: «هل من قِرى»؟ - وكانوا مرملـين عليهـم أثـرُ السـفر جـدا ـ فقـالت: لا والله، ولو كان عندنا لقدَّمناه لكم، ثم قال: «ما هـذه الشـاة الـتي بِكِسْـر الخيمة»؟ فقالت: شويهة خلَّفها الجهد، فقال لها النبي ﷺ: «أتـأذنين لي في حلبها»[1]؟ فقـالت: بـأبي أنـت وأمـي هـي أجهـد مـن ذلـك وإن شئت

---

(1) سيرة ابن كثير: (260/1)

فاحلبها؛ فأمر النبي ﷺ أصحابه فأخرجوها من الخيمة، فنفض ضرعها بيده الكريمة فتفاجَّت ودرَّت، فأمر بِعُسٍّ[1] فحلب فيه حتى ملأه، فناول أبا بكر فقال: بل أنت فاشربْ يا رسول الله، فقال: «ساقي القوم آخرُهم شربا»[2]، ثم ناول القوم واحدًا بعد واحد - وهم ثلاثة: أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة ودليلهم عبد الله بن الأريقِط - حتى رووا، ثم حلب فشرب، ثم حلب حتى ملأ العُسَّ فتركوه عندها وساروا.

فلم تلبث أن جاء زوجها يسوق شياها يتساوكن[3] هزالا، فقال: يا أم معبد ما بال هذا اللبن عندكم والغنم عازبة؟ قالت: ما هو إلا أن مر بنا رجل مبارك من أمره كيت وكيت.. فحلب هذه الشويهة حتى أروى أصحابه ثم حلبها فخَلَّفَ عندنا هذا الإناء مملوءا لبنًا، فقال: صِفِيه يا أم معبد، فوَصَفَتْه فأحسنت، فقال: هذا والله صاحب قريش الذي يزعمون أنه ساحر وهو نبي، والله لألحقن به أو لأجهدن، فتبعه حتى لحقه فأسلم وبايع.

وكان آل أم معبد يؤرخون بذلك اليوم، يقولون: يوم الرجل المبارك. وقدمت بعد ذلك أم معبد المدينة، ومعها بُنيٌّ لها صغير فرأى النبي ﷺ يخطب، فأتاها يَشْتَدُّ يقول: أي أمَّاه إني رأيت الرجل المبارك، فقالت: أي

---

(1) العُس (بالضم وبمهملتين): القدح الضخم يروي الثلاثة والأربعة أو أكثر، وفي حديث المنحة: «تغدو بعُسٍّ وتروح بعُس».

(2) رواه البيهقي في الدلائل، ورواه مسلم وأبو داود في غير هذا السياق.

(3) التساوك: السير الضعيف.

بُنيٍّ ذلك رسول ا لله ﷺ.

وبقيت عندهم هذه الشاة إلى آخر خلافة عمر، وكانت عام الرمادة عندهم تأدم لآل أم معبد وجيرانها، قاله هشام[1] أخو أم معبد. قاله السهيلي وغيره، وقال: اختلف فيها هل هي نعجة أم عنز؟ والأصح أنها نعجة بيضاء.

وأما دعبل فهو ابن عبد ا لله بن زيد بن إسماعيل الخزاعي، الشاعر المشهور[2]. كان مولعا بالهجو، هجا الخلفاء ومَن دونهم، وطال عمره،

---

(1) هشام هذا ابن حبيش عمته أم معبد فهو ابن أخيها ويلقب الأشعر ويكنى أبا صخر، صحب النبي صلى ا لله عليه وسلم، وكان يقول: أنا رأيت الشاة وإنها لتأدم لأم معبد وصرمها ـ أي أهل ذلك الماء ـ عام الرمادة.

(2) وقيل هو ابن علي بن رزين بن عثمان بن عبد ا لله بن بديل بن ورقاء، واختلف في اسمه، فقيل الحسن وقيل عبد الرحمن وقيل محمد، واشتهر بلقبه دعبل، وقيل في نَسبه وأصله غير هذا. وكان فصيحا أديبا شاعرا عظيم الشأن عَلِيَّ المنزلة؛ واشتهر بالتَّشَيُّع، وكان ذلك مما دفعه إلى هجاء الخلفاء العباسيين، وله في مدح آل البيت وذكر مناقبهم جمعا وفُرَادى ورثائهم وما أصابهم من الكوارث وأَلَمَّ بهم من الرزايا والحوادث.. قصائد كثيرة منها قوله:

لو كنت أركَنُ للدنيا وزينتها	**إذن بكيت على الماضين من نفري**
أخنى الزمان على أهلي فصدَّعهم	**تصدع الشعب لاقى صدمة الحجر**
بعض أقام وبعض قد أهاب به	**داعي المنية والباقي على الأثر**
أما المقيم فأخشى أن يفارقني	**ولَستُ أَوْبَةَ من ولّى بمنتظر**
أصبحت أخبر عن أهلي وعن ولدي	**كحالم قص رؤيا بعد مدَّكر**
لولا تشاغل نفسي بالألى سلفوا	**من أهل بيت رسول ا لله لم أقرِ**

إلى أن يقول:

<<=

وكان يقول: لي خمسون سنة وأنا أحمل خشبتين على كتفي أدورُ بهما على من يصلبني عليهما فما وجدت من يفعل[1]! وهو المشهور بأبي

أنسى الحسين ومسراهم لمقتله وهم يقولون هذا سيد البشر
يا أمة السوء ما جازيت أحمد عن حُسْنِ البَلاء على التنزيل والسور
خَلَفتموه على الأبناء حين مضى خلافة الذئب في أبقار ذي بقر
وليس حي من الأحياء نعلمه من ذي يمان ومن بكر ومن مضر
إلا وهم شركاء في دِمائِهم كما تشارك أيسار على جزر
قتلا وأسرًا وتحريقا ومنهبة فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمية معذورون إن قَتَلوا ولا أرى لبني العباس من عذر ..إلخ.

(1) وتوفي دعبل سنة ست وأربعين ومائتين، ومن شعره:

أحببت قومي ولم أعدل بهم أحدًا قالوا تعصَّبتَ جهلا قولَ ذي بَهَتِ
دعني أصل رحمي إن كنتَ قاطعها لا بدَّ للرحم الدنيا من الصِّلة
فاحفظ عشيرتك الأدنين إن همْ حقا يفرق بين الزوج والمَرَةِ
قومي بنو مذحج والأزد إخوتُهم وآل كندة والأحياءُ من عُلَةِ
ثُبت الحلوم فإن سُلَّت حفائظُهم سَلُّوا السيوف فاردوا كلَّ ذي عَنَتِ
لا تَعرضنَّ بمزح لامرئ طَبِنٍ ما راضه قلبُه أجراه في الشفة
فرُبَّ قافيةٍ بالمزح جارية مشؤومة لم يُرَدْ إنماؤها نمتِ
إني إذا قلت بيتا مات قائله ومن يقال له والبيت لم يمت

وله أيضا:

نَعَوْني ولما ينعني غَيرُ شامت وغيرُ عدو قد أصيبت مقاتله
يقولون إن ذاق الردى مات شعره وهيهات عمر الشعر طالت طوائله
سأقضي ببيت يحمد الناس أمره ويكثر من أهل الرواية حامله
يموت رديُّ الشعر من قبل أهله وجيده يبقى وإن مات قائله

الشيص[1]، وكان صديقا لأبي البحتري الشاعر، ومات قبله هو وأبو تمام فرثاهما أبو البحتري بقوله:

قد زاد في كلفي وأوْقد لـوعتِي مثوى حبيب يوم مات ودِعْبِـلِ
أخوان لم تزل السماءُ بخيلـــةً تغشاهما بسماء مــــزن مسبل

ومن خزاعة، ثم من كعب: بشرُ بن أبي سفيان، بعثه النبي ﷺ في غزوة الحديبية وحده عينا. قال السهيلي: يؤخذ من هذا جوازُ أن يسافر الرجلُ وحده إذا مسَّت إليه الحاجة؛ ويفهم من كلام السُّهيلي أنه لا يجوز إلا إذا مست الحاجة، وهو موافق لقوله ﷺ: «الواحد شيطان»[2].

ومنهم أيضا خراش بن أمية، بعثه أيضا النبي ﷺ يوم الحديبية إلى قريش على جمله الثَّعْلبِ، فعقروا الجملَ وآذوه. وهو الذي حلق رأس النبي ﷺ يومئذ. ومنهم ذو الشمالين عميرُ بن عبد عَمْرٍو الذي شهد بدرا واستشهد بها. ومنهم معتب بن عوف، الذي يقال له ابن الحمراء، هاجر الحبشة وشهد بدرا وآخى النبي ﷺ بينه وبين ثعلبة بن حاطب.

ومِن خزاعة أيضا: أبو كبشة، الذي تُشَبِّه به قريش النبيَّ ﷺ. ومنهم أيضا أبو غُبشان. ومنهم قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة، ولد أوَّلَ سنة من الهجرة وقيل عام الفتح، وأتي به النبي ﷺ فدعا له، فكان ذا علم وفقه؛

---

(1) وقيل أبو الشيص لقب ابن عمه محمد بن عبد الله بن رزين الخزاعي، الشاعر المتوفى سنة ست وتسعين ومائة.

(2) رواه الترمذي وأحمد.

وأبوه ذؤيب بن حلحلة صحابي، بعث معه النبي ﷺ الهدي إلى مكة وقال له: «إن عَطِبَ منه شيء فانحره وخلِّ بين الناس وبينه»[1].

ومنهم عمرو بن الحمق؛ والحمق (ككتف): الخفيف اللحية، شهد مع علي حروبه، ثم فر من زياد وأتى الموصل فدخل في غار فنهشته بِهِ حية فمات، وبعث صاحب الموصل برأسه إلى زياد فبعث به زياد إلى معاوية، وهو أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد. وذكر السهيلي قولا بأن أول رأس حمل في الإسلام رأسُ أبي عزة الجمحيِّ. قلت: ولو صح ذلك لما كرهه الفقهاء.

ومن خزاعة أيضا بالولاء، وتميم بالنسب، وزُهرة بالحلف: سيدُنا خبَّابُ بن الأرتِّ؛ قيل إنه تميمي النسب أصابه سباء فبيع من خزاعة بمكة وأعتقته امرأة من خزاعة فحالف بني زهرة[2].

---

(1) رواه ابن ماجه والدارمي، ومسلم بلفظ قريب من هذا.

(2) ومن خزاعة أيضا طلحة الطلحات الجواد المشهور، وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، أضيف إلى الطلحات لأنه فاق في الجود خمسة أجواد اسم كل واحد منهم طلحة؛ وهم: طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الجود وطلحة الدراهم وطلحة الندى، قال الناظم في الغزوات:

فالطلحات خمسة سوى العلم ... فطلحة الجود ابن عمه الخضم
وطلحة الخير وطلحة الندى ... إلى الحسين وابن عوف اسندا
وطلحة الدراهم العتيق ... جَدُّ أبيه بالعُلا حقيق
سادسُها طلحتها الخزاعي ... أجودُهم كُلا بلا نزاع

وقيل سمي بذلك لأنه كان في أجداده جماعة اسم كل واحد منهم طلحة. وقيل إنما سمي

<<=

هنا انتهى الكلام على قمَعَة فشـرع يتكلـم علـى أخيـه مدركـة عمـود النسب، وخالف عادته[1] فقال رحمه الله:

نسب مدركة

مُدْرِكَــةُ مِنْهُ هُذَيْــلُ الَّذِي   مِنْهُ خُنَاعَةُ[2] التِي مِنْهَا احْتُذِي

أُصَيْلُ شَـــوَّقَ النَّبِيَّ مَكَّتَـهْ   وَزَوْجَــهُ بِوَصْفِهِ فَأَسْكَتَــهْ

>> - -

بذلك لأن أمه صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة وأخوها طلحة بن الحارث، فقد تكنفه الطلحات فعرف بهذه الإضافة من غيره من الطلحات. وكـان والي سجستان وبها مات، ومما مدح به قول سحبان وائل البليغ المشهور:

يا طلح أكرم من مشى   حسـباً وأعطـاه لتالـدْ

منــك العطاء فأعطني   وعليَّ حمدك في المشاهد

فحَكَّمَه وأعطاه ما أراد. ورثاه ابن قيس الرقيات بقصيدة منها:

رحــــم الله أعظماً دفنـــوها   بسجستان طلحــــة الطلحات

كان لا يَحْـرِمِ الخليـل ولا يعـ   ـتل بالبخل طيــب العذرات

بســط الكـــف بالنوال إذا ما   كان جود البخيل حبس العدات

(والعذرات: أفنية الدور).

(1) فقدم مدركة ـ عمود النسب ـ على فروعه بني طابخة بن إليـاس، وذلـك لقلـة مدركـة غير عمود النسب، وكثرة بني طابخة.

(2) ولد مدركة بن إلياس رجلين هما: خزيمة ـ عمود النسب ـ وهذيل، ولهذيل من الولد سـعد وجناب وعميرة وهرمة ولحيان، وتفرعت منهم بطون كثيرة؛ فمـن بـني سـعد بنـو صاهلة وبنو صبيح؛ فمن بني صاهلة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الهذلي، ومـن بـني صبيح أبو كبير الهذلي، ومن بني عميرة بن هذيل بطن يقال له خناعة بن سـعد بـن عمـيرة ؛ وقد تفرع من خناعة ثلاثة بطون هم: بنو الحارث وعوف ومعاوية بنو تميم بن خناعة.

خناعة (كثمامة) بن سعد بن هذيل. **واحتذي:** قطع. **وأصيل** (كزبير) بن عبد الله، أي قبيلته التي هو منها كأنه قطع منها؛ ويحتمل أنه قطع منها بسابقة الإسلام. **وزوجه:** يعني أمَّنا عائشة.

قدم من مكة فوجد النبي ﷺ مع عائشة فقال له: «كيف تركت مكة»؟ قال: تركتها حين ابيضت أباطحُها وأحجن ثمامُها وأغدف اذخرُها وأمْشَر سلمها! فقالت عائشة: يا رسول الله اسمع ما يقول أصيل. فقال صلى الله عليه وسلم: «اسكت يا أصيل شوقتنا» [1]. وقيل إن عائشة هي التي سألته كيف تركت مكة. (قوله: حين ابيضت أباطحها: يعني أنها أمطرت فبيضت السيول أباطحها وأنقتها من الأوساخ. وقوله: وأحجن ثمامُها أي خرجت حجنته، وهي التي تخرج من رأس العود. قوله: وأغدف اذخرها أي صار كلون الغُدافِ وهو الجناح الأسودُ أو الشعر الأسودُ. وقوله: وأمشر سلمها صارت فيه المشرة، وهي الخوص أو هي نعومة الأغصان).

وَمنْ هُـذَيْلٍ صَاحِبُ السَّوَادِ　　والسِّـرِّ وَالسِّوَاكِ والْـوِسَادِ
والنَّعْلِ والسَّتْرِ لَدَى الْمُغْتَسَلِ　　والاذْنِ فِي الْمَجْلِسِ مَا لَمْ يُعْزَلِ
وَهْوَ ابْنُ مَسْعُودٍ مُبَشِّرُ النَّبِي　　بِرَأْسِ عَمْرِو بْنِ هِشَامٍ الْغَبِي

السواد: الشخص[2]. **والسر** هنا: سر النبي ﷺ في نفسه، كان يفشي إليه

---

(1) ذكره في *الإصابة*.

(2) والمراد به هنا شخص النبي صلى الله عليه وسلم. يعني أن من هذيل بن مدركة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الذي عرف بصاحب سواد النبي صلى الله عليه وسلم، لقول

<<=

ما يريد أن يفعل ومَن يريد غزوه، ويوري لغيره. وأما سره لحذيفة فهو إخباره بما سيكون من الفتن ونحوها إلى يوم القيامة وإفشاء أسرار المنافقين وتعيينهم، حتى كان عمر إذا دعي لجنازة لا يخرج إليها حتى يخرج حذيفة إليها لعلمه أنه يعلم المنافق من غيره.

وأما علم السر، الذي هو علم الحقيقة، فلم يرمزْ به إلا لأبي بكر وعلي؛ ولذلك كانت طريقتاه إليهما، أمَّا الجيلية فإلى أبي بكر وأما الشاذلية فإلى علي. وا لله تعالى أعلم.

ومعتمدي في هذا ما اقتطفت من كتب أهل الحقيقة، وقولي *لم يرمز*: لأنهم قالوا لم يتكلم فيه إلا بالرمز والإيماء. وروي أنه صلى ا لله عليه وسلم قال: «علمني ربي ثلاثة علوم: علم أمرني بإفشائه، وعلم أمرني بكتمانه، وعلم خيرني فيه[1]»، أو كما قال ﷺ. أما الذي أمره بإفشائه

رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم له: «لا يفارق سوادي سوادك»، أي شخصي شخصك، أي حتى أنهاك. وهو ايضا صاحب **سره وسواكه ووساده ونعله** وطهوره، أي **يستره** إذا أراد أن **يغتسل**؛ وهو الذي بشر رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يوم بدر برأس أبي جهل **الغبي**، أي الذي لا فطنة له.

(1) ذكر هذا الحديث غير واحد كالصاوي على ***الجلالين وروح المعاني*** للألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾..الآية، وذكره صاحب ***روح البيان*** والشيخ سيد المختار الكنتي في ***جذوة الأنوار*** وفي ***فتح الودود*** عند قول ابن مالك [في المقصور والممدود]:

كفى بالفنا قوتا لنفس فناؤها قريب.. إلخ..

وقد قيل إنه حديث موضوع.

فظاهر أنه علم الظاهر، وأما الذي خيره فيه فيشبه أن يكـون علـم الحقيقـة لإيمائه به إلى بعضٍ وكتمانه عن بعض، وكل ذلك نصيحةٌ منـه صلـى الله عليه وسلم وأداء لأمانته؛ وأما الذي أمره بكتمانه فما يعلمه سواه غير الله وحاشا رسول الله ﷺ أن يخالف أمر ربه حيا أو ميتا.

ترجمة عبد الله بن مسعود

يعني ومن هذيل: الـذي قـال لـه النـبي ﷺ: «لا يفـارق سـوادك ــ أي شخصك ـ سوادي حتى أنهاك»[1]؛ وكان يقال له صاحب السـواد، وهـو أيضا صاحب سره ـ كما قدمنا ـ وصاحب سـواكه، كلمـا أراد الاسـتياك أتاه به؛ وكان يحفظ عليه وساده ويأتيه به، وكان يلبسه نعله ويعلـق النعـل في ذراعه، ويستره إذا أراد أن يغتسل، ويوقظه إذا نام، ويمشي أمامه. قوله: **والإذن في المجلس ما لم يعزل:** يعني أنه كان النبي ﷺ يقول له: «إذني لك مـا لم أعزلك عني»[2]، أي حتى أقول لك اخـرج عـني في هـذه السـاعة. والله تعالى أعلم.

قوله: **وهو ابـن مسـعود:** أي وهـذا الـذي هـذه أوصافُـه: عبـدُ الله بـن مسعود بن غافل (بالفاء والغين المعجمة) ابن حبيب بـن شمـخ بـن فـار بـن

---

(1) رواه مسلم، وذكره ابن سعد: (109/3).

(2) رواه مسلم والطيالسي وذكره ابن سعد.

مخزوم بن صاهلة[1]، أبو عبد الرحمن؛ أمه أمُّ عبد ـ كنيت به لأن قريشا كانوا يقولون له ابن أم عبد ـ بنت عبد بن عبد ود[2]. أسلم قديما وهاجر الهجرتين وشهد بدرا والحديبية وصلى إلى القبلتين؛ وكان حليفا لبني زُهرة.

وسبب إسلامه أنه كان يرعى غنما لعقبة بن أبي معيط، فمر به النبي ﷺ فقال: «هل في غنمك من لبن»[3]؟ قال: نعم لكني مُؤتمن، قال: «فهل من شاة لم ينز عليها الفحل»؟ قال: فأتيته بشاة فأخذها ومسح صلى الله عليه وسلم موضع الضرع فتدلى فدرت عليه لبنا غزيرا فحلبه في إناء فشرب، ثم قال للضرع: «اقلص اقلص[4]» فارتفع. فأسلم وقال: هل أتبعك؟ قال: «لا حتى أظهر».

وقوله: **مبشر النبي**..إلخ: يعني أنه وجد يوم بدر أبا جهل بين القتلى وبه رمق فقال له: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال: خلِّ عني وأخبرني لمن الدَّابرة؟ قال: لله ولرسوله وللمؤمنين. فأراد أن يجهز عليه، فقال: أبلغ عني صاحبك هذا وافعل ما تريد، قال: أبلغه أني ما عاديته قط مثل هذه الساعة. قال ابن مسعود فحززت رأسه وأتيت به النبي ﷺ فقلت: يا

---

(1) صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل الهذلي.

(2) عبد ودّ بن سواء بن قديم بن صاهلة بن كاهل..

(3) متفق عليه.

(4) وفي رواية: فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فقال: «هل في غنمك».. إلى أن قال: فشرب وسقى أبا بكر ثم قال للضرع ـ الحديث ـ [أخرجه أحمد في مسنده].

رسول الله أبشر.. هذا رأس عمرو بن هشام، فقال: «آلله الذي لا إله إلا هو»؟، فقلت: آلله الذي لا إله إلا هو. فلما أبلغته مقالته قال: «ويحه كفر بي حيا وميتا».

وكان عبد الله بن مسعود مع جلالته في غاية القصر يواريه الجالسون، أمره النبي ﷺ يوما أن يصعد شجرة فنظر أصحابه إلى حموشة ساقيه فضحكوا، فقال رسول الله ﷺ: «إنهما في الميزان أثقل من أحد»[1]. وشهد له النبي ﷺ بالجنة، وقال فيه: «خذوا القرآن من أربعة..»[2] منهم عبد الله بن مسعود. وكان النبي ﷺ يقرأ القرآن عَلَى جِبريلَ كُلَّ سنة مرة؛ فقرأه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين وحضرهما عبد الله بن مسعود، فعرف ما نسخ وما بدل وما أحكم؛ وكان يقول: ما نزل شيء من القرآن إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل وما أحد أعلم بكتاب الله مني، ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لأتيته، ثم استحيا مما قال فقال: وما أنا بخيركم.

وبعثه عمر مُعَلِّما إلى الكوفة، وكان يقول فيه: "كُنَيْفٌ مُلِئَ عِلما". والكنيف تصغير "كنف" - تصغير التعظيم - والكنف ما يجعل فيه الراعي متاعه. واستأذن يوما عليه فَتَيَان من قريش يطلبان العلم قبل طلوع الشمس فأذن لهما، فلم يدخلا حتى استأذنا عليه مرة أخرى فأذن لهما

(1) رواه أحمد.

(2) متفق عليه.

فدخلا، فقال لهما: ما لكما لا تدخلان حين أَذِنا لكما؟ قالا: نخاف أن يكون أحد من أهل البيت نائما، فقال: لقد ظننتم بآل أم عبد سوءا؛ ثم قال: انظري يا جارية هل طلعت الشمس؟ قالت: نعم، ثم قال: الحمد لله الذي أنقذ آل أم عبد من هذا اليوم.

ودخل عليه عثمانُ رضي الله عنه يعوده في مرضِهِ، فقال له: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: وما تشتهي؟ قال: رحمةَ ربي، قال: ألا أدعو لك الطبيب؟ قال: الطبيبُ أمرضني، قال: آمر لك بعطاء، قال: لا حاجة لي فيه، قال: يكون لبناتِكَ من بعدك، قال: أتخشى على بناتي الفقرَ؟ إني أمرتهن أن يقرأن سورةَ الواقعة؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا». ولما جمع عثمان القرآن أمر بجميع المصاحف أن تحرق أو تخرق أو تغرق، فأبى هو بمصحفه وقال لتلامذته: غلوا مصاحفكم ﴿وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾[1].

وتوفي رضي الله عنه في آخر خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين، وأوصى الزبير أن يصلي عليه ويدفنه ليلا، ففعل؛ فعاتب عُثمان الزبير على أن لا يعلمه. وقيل صلى عليه عمار وقيل عثمان، والأول أصح[2].

---

(1) آل عمران: 161.

(2) ولما أنهى الكلام على هذيل بن مدركة أخذ يتكلم على من تفرع من طابخة بن إلياس، أخي مدركة، فقال رحمه الله وعفا عنه:

وَمِن بَـنِي أُدٍّ سَلِيلِ طَابِخَـهْ   ضَبَّةُ إحْدَى الْجَمَرَاتِ الرَّاسِخَهْ
وَالْجَمَرَاتُ مَا عَدَاهَا: عَبْـسُ   ءَالُ الْمَـدَانِ، لا نُمَيْرُ النِّكْسُ

السَّليل: الولد. و**الراسخة**: الثابتة[1]. و**النكس** (بالكسر): الضعيف.

جمرات العرب

يقول ومن بني **أد** بن **طابخة**: **ضبة**[2]، أبو بني ضبة الذين هم **إحدى الجمرات الراسخة**، أي الثابتة، يعني جمرات العرب الثلاث؛ وهي: ضبة هؤلاء وبنو **عبس** وبنو الحارث بن كعب بن **المدان**، قال وليس منهم بنو **نمير النكس**: أي الضعيف، يعني الحي كما زعموا مكان عبس.

وهؤلاء سموا بالجمرات من بين العرب[3]، لأن امرأة من العرب رأت في المنام أنه خرج ثلاث جمرات من فرجها، فتزوجها كعبُ بن المدان فولدت له الحارث جدَّ بني الحارثِ بن كعب أشراف اليمن، ثم تزوجها أد بن طابخة فولدت له ضبة جدَّ بني ضبة أولي البأس والنجدة، ثم تزوجها بَغِيضُ بن ريث فولدت له عبسا فرسان العرب.

---

(1) وقوله: **آل المدان** (بالرفع): عطف على عبس، وقوله: **لا نمير**: عطف مغايرة على عبس.

(2) أولاد أدٍّ بن طابخة: مُرُّ بن أدٍّ وضبَّة وعبد مناة وعمرو وزيد مناة وآخرون. أما ضبة فجد بني ضبة إحدى جمرات العرب، وأما مر بن أد فمنه تميم والغوث وظاعنة وإخوتهم، وأما عمرو فجد بني مزينة، وأما زيد مناة فمنه عدي أبو بطن من طابخة كان له من الولد: جل وملكان، ومن عدي أيضا ذو الرمة غيلان بن عقبة.

(3) وهم إخوة لأم، فجمرتان منهم في مضر وجمرة في اليمن.

ولبني ضبة تعرف النجدة والبأس، وهم القائلون:

نحن بَنِي ضبـــة أصحاب الجَمَلْ   والْمَوْتُ أحلى عندنا من العسل

نحـــن بَنُو الموت إذا الموتُ نزل   لا عار في الموت إذا حُمَّ الأجل

والجملُ الذي يعنون: العسكر، جمل عائشة المسمى به اليوم، وقطعت على خطامه يومئذ من بني ضبة سبعون يدًا.

وتزعم نمير وبعض العرب أن ثالثة الجمرات نمير لا عبس، قال شاعرهم الراعي:

نمير جمـــرة العـــرب الـتي لم   تزل في الحرب تلتهبُ التهابا[1]

"أَسَعْدُ أَمْ سُعَيْدُ" الْمَثَلُ فِي   سَلِيلَيِ الْجَمْـــرَةِ ضَبَّةَ الْحَفِي

إِذْ خَرَجَا وَلَمْ يَـؤُبْ سُعَيْـدُ   فَاسْتَشْأَمُـــوا بِهِ وَذَا الْفَقِيدُ

أَهْلَكَـــهُ الْحَارِثُ ثُمَّ افْتَخَرَا   بِقَتْلِهِ لِضَبَّـةٍ، إِذْ لاَ يَـــرَى

أَنَّ أَبَاهُ ضَبَّـــةٌ، فَقَتَلَـــهْ   وَ"سَبَقَ السَّيْفُ الْعِتَابَ" أَرْسَلَهْ

الحفي: المُكْرِم. وسعيد هذا قيده بعضهم بصيغة التصغير، و لم يذكر فيه المجد ذلك.

يعني أن المثل السائر في العرب: "**أسعد أم سعيد؟**" أصله أن سعدًا وسعيدا ابني ضبة ـ إحدى الجمرات ـ **خرجا** في طلب إبل فرجع سعد و لم

---

(1) وعلى القول الأول درج الناظم، ونبه على هذا القول بنفيه حيث قال: "لا نمير النكس"، وهذا النوع من التنبيه على القول المضعف شائع في اصطلاح المؤلفين.

يؤب سعيد، أي لم يرجع؛ فمن ذلك استشأم به العرب، يقولون في السؤال عن الأمر أخير أم شر هو: أسعد أم سعيد؟ فإذا كان خيرا قيل سعد، لأنه رجع، وإذا كان شرا قيل سعيد الذي لم يرجع.

وهذا المفقود قتله **الحارث** بن كعب بن المدان ـ أخو ضبة لأمه ـ جاهلا له، ثم بعد ذلك بينما الحارث وضبة يتحدثان إذ هبطا واديا فقال الحارث لقيت يوما بهذا الوادي فتى من أمره كيت وكيت.. ـ إلى أن عرفه ضبة ـ فقتلتُه وسلبته هذا السيف، وهو يفتخر بذلك؛ فأخذ ضبةُ السيف وقتل به الحارث. ولو ظن الحارث أولا أن الفتى ابنُ ضبة ما قتله لأنه ابن أخيه، ثم لو علم بعد ذلك ما أخبر به ضبةَ. وقوله: **وسبق السيف العتاب**: أي لما قتل ضبةُ الحارثَ قِيلَ له في ذلك، قال: *سبق السيفُ العذل*، فأرسلها مثلا[1].

---

(1) ومن بني ضبة ثم من بني السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة منهم: سُلَيْمِيُّ بن ربيعة الضبي ثم السيدي، شاعر جاهلي كانت تحته امرأة تسمَّى تماضر، فاستنكرت عليه استهلاكه للمال وتعريضه نفسه للمعاطب ففارقته ولحقت بأهلها ، فقال في ذلك:

حلت تماضر غربة فاحتلَّتِ ... فلْجًا وأهلك باللوى فالحَلَّةِ

فكأن في العينين حب قرنفل ... أو سُنبُلاً كُحِلت به فانهلت

زعمت تماضر أنني إما أمت ... يسدد ابينوها الاصاغر خلَّتي

تربت يداك وهل رأيت لقومه ... مثلي على يُسرٍ وحين تَعِلة؟

رجُلاً إذا ما النائبات غشينه ... اكفى لمعضلةٍ وإن هي جَلَّتِ

ومُناخ نازلة كفيتُ وفارسٍ ... نهلت قناتي من مِطَاهُ وعلَّتِ

وإذا العذارى بالدخان تقنعت ... واستعجلت نصب القدور فبلت

دارت بأرزاق العفاة مغالق ... بيدَيَّ من قمَعِ العشار الجِلَّةِ

<<=

عَبْــدُ مَنَاةٍ ابْنُ أُدٍّ تُنسَــبُ   لَــهُ الرِّبَابُ زُمَرٌ تَـــرَبَّبُوا
مَعَ تَمِيمٍ وَهْيَ: ثَوْرٌ، عِجْلُ،   تَيْمٌ، عَدِيٌّ، ضَبَّةٌ وَعُكْـــلُ

يعني أن أد بن طابخة تنسب إليه ضبة الجمرة كما تقدم، وليس بضبة بن عبد مناة بن أد الذي هو من الرِّباب، بل هو عمُّه كما يأتي قريبا إن شاء الله. **وعبد مناة تنسب** له قبائل **الرِّباب**، وسموا الرِّباب لأنهم تعاقدوا **مع تميم** بأنهم أدخلوا أيديهم في رُبٍّ وتحالفوا بذلك، فكانوا من قبائل تميم العظام؛ قال جرير:

يَعُــدُّ الناسبــون إلى تميــم   بيــوت المجد أربعــة كبارا
يَعُـــدُّون الرباب وآل سعد   وعمرًا ثم حنظلـــة الخيارا
ويذهب بينها المرئـــيُّ لغـوا   كما الغيتَ في الدية الحـــوارا

وهم ست قبائل كما عد في النظم.

وعكل[1] بنو عوف بن وائل بن عوف بن عبد مناة، حضنتهم أَمَة يقال لها عكل فاشتهروا بها. ومنهم النمر بن تولب العكليُّ الصحابي، وفد على رسول الله ﷺ وقال:

ولقد رأبت ثأى العشــيرة بينها   وكفيــت جانيها اللتيا والتي
وصفحت عن ذي جهلِها ورفدتها   نُصحي ولم تُصب العشيرةَ زلَّتي
وكفيت مــولاي الأحمَّ جريرتي   وحبستُ سائمتي على ذي الخَلَّةِ

ولما فرغ الناظم من بني ضبة أخذ يتكلم على بني عمهم عبد مناة بن أدٍّ، فقال رحمه الله:

(1) هم: الحارث وجشم وقيس وسعد وعلي، بنو عوف..إلخ.

إنا أتيناك وقد طال السفَرْ نقود خيلا ضمرا فيها صعر
نُطعمها اللحم إذا عزَّ الشجر يا قوم إني رجل عندي خبر
الله من آياته هذا القمر والشمسُ والشعرى وآيات أخرْ

وهو القائل أيضا:

أودَى الشبابُ وحب الخالة الخلبهْ وقد برئت فما في الصدر من قلبهْ
وقد تثلم أنيابي وأدركني قِرن عَلَيَّ شَديدٌ فاحشُ الغلبهْ
وقد رمى بِسُراه اليوم معتمدا في المنكبين وفي الساقَين والرقبهْ

(الخالة: أهل الخيلاء. والخلبة: جمع خالبٍ للنساء. ويعني بالقرن: الهرم)[1].

ومدح النبي ﷺ. حديثه: «صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن وحَرَ الصدر[2]».

ومن عكل أيضا خزيمة بن عاصم بن قطن[3]، أسلم واستعمله النبي ﷺ على صدقاتِ قومه.

---

(1) ومن شعره أيضا:

تَدارك ما قبل الشباب وبَعْده حوادثُ أيام تمرُّ وأغفُل
يَسُرُّ الفتى طولُ السلامة جاهِدًا فكيف يَرى طُولَ السلامة يفعَلُ
يَرُدُّ الفتى بعد اعتدالٍ وصحَّةٍ ينوءُ إذا رام القيام ويُحمَلُ

ومنه:

لا تغضبنَّ على امرئٍ في ماله وعلى كرائم حُرِّ مالك فاغضب
وإذا تصبك خصاصة فارج الغنى وإلى الذي يعطي الرَّغائب فارغب

(2) رواه أحمد في *المسند* والنسائي في *السنن*.

(3) وفد على النبي صلى الله عليه وسلم بإسلام قومه فأسلم وحسن إسلامه ومسح النبي صلى الله عليه وسلم وجهه، فما زال جديدا حتى مات، وكتب له كتابا.

ومن عكل: الذين اجتووا المدينة، أو هم بنو عرينة من القحطانية، أو بعضهم من عكل وبعضهم من عرينة. وبعث النبي ﷺ عشرين فارسا في إثرهم، أمَّر عليهم كرز بن جابر؛ فلحقهم وجاء بهم مردفين. وفقد رسول الله ﷺ لقحةً من الإبل يقال لها "الحنى" فسأل عنها، فقيل له نحرُوها. فسمل أعينهم قصاصا[1]، وتركهم في الحرة مستلقين يستسقون ولا يُسْقَوْنَ حتى ماتوا، للحرابة أو لارْتِدَادهم، وكان أحدُهم يلقي لسانه في الأرض يكدِمها به ليجد بردها. واستُشكل هذا، لأن المرتد لا يمنع من السقي والإطعام. وقيل لأنهم لا حُرمة لهم كالكلب العقور. وقيل إن النبي ﷺ لم يعلم بذلك. وأما سمل أعينهم وتكحيلها بمسامير النار وغرز الشوك في ألسنتهم وكل ما فعل بهم، فذلك كله قصاص لأنهم فعلوه بالراعي أو الراعيين ـ على أنهما اثنان ـ وليس بالمـُثْلَة المنهي عنها، لأن المثلة ما كان ابتداء من غير جزاء. وقيل أيضا إن تعطيشهم قصاص، لأنهم عطشوا آل البيت؛ لأنهم كانت تأتيهم قربة لبن من اللقاح فتلك الليلة لم يأتهم لبن فعطشوا، فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم أعطش من أعطش أهل بيت نبيك»[2].

ومنهم الرباب، ثم من بني عدي بن عبد مناة: ذو الرمة الشاعر، غيلان بن عقبة بن نهيش (كزبير)، وسيأتي في النظم. والشيخ رحمه الله ذكره في

(1) لقتلهم راعييه كما يأتي قريبا.

(2) رواه النسائي.

جملة تميم، لأن الرباب يُعَدُّون لِتميم. قال جرير: يعد الناسبون إلى تميم.. الخ كما مر.

وَانسُبْ لِثَوْرٍ الَّذِي مَا اسْتَوْدَعَا ... حِجَاهُ مَعْلُومًا فَخَانَ مَا وَعَى

وَهْوَ سَمِيُّ ابْـــنِ عُيَيْنَـــةَ الْعَلَمْ ... مَوْلَى بَنِي هِلَالٍ النَّدْبِ الْحَكَمْ

الحجا (كإلى): العقل والفطنة؛ قال ذو الرمة:

خليلي لا رســم بوهبين مخـبر ... ولا ذو حجًا يستنطقُ الدار معـذر

ووعى: حفظ. **والندب**: الظريف.

يقول **وانسب لثور** بن عبد مناة بن أدٍّ، الذي هو من الرباب: الإمام سفيانا الثوري، أحد الأئمة المشهورين. قوله: **ما اسْتَوْدعا**.. إلى آخره، نظم به مقالة سفيان: "ما أودعت قلبي شيئا فخانني"، يعني أنه ما نسي شيئا قط علمه. وعبر الناظم بالحجا ـ وهو العقل ـ عن القلب، لأن قول سفيان "قلبي" يعني به العقل؛ لأن القلب محل العقل ـ على المشهور ـ ومُتَنزهه الدماغُ، كما قال أبو الحسن اليوسي، جمعا بين قولَيْ مالك وأبي حنيفة.

قوله: **وهو سمي ابن عيينة**: يعني أن اسمه واسم ابنِ عيينة[1] واحد، ويقال

---

(1) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران، ميمون، مولى محمد بن مزاحم ـ أخي الضحاك بن مزاحم ـ الإمامُ الكبيرُ، حافظُ العصر، شيخُ الإسلام: أبو محمد الهلالي الكوفي. لقي الكبار وحمل عنهم علما جما وأتقن وجَوَّد وجمعَ وصَنَّف وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه وانتهى إليه علو الإسناد ورحل إليه من البلاد؛ وقال فيه الشافعي: لولا مالك وسفيان بن عيينة لذهب علم الحجاز.

لهما السفيانان، وهما معاصران لمالك والشافعي؛ ومراسيلهما في الحديث تقارب مراسيلَ ابنِ المسيب التي لها حكم الاتصال. ثم وصف ابن عيينة **بالعَلَمِ** لشهرته بالعِلْم والصلاح وبولاية بني هلال، **وبالندب**: أي الظريف، **وبالحكم**: أي العاقل المجرب ذي الحكمة. وأما الثوري فهو أبو عبد الله سفيان بن سعيد[1].

يضيق الكاغد ويكل القلم عن مناقبهما. رئي سفيان الثوري في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فأنشد:

نظرت إلى ربي عيانا فقال لي	**هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد**
لقد كنت قواماإذا الليلُ قد دجا	**بعبرة محزون وقلب عميد**
فدونك فاختر أي قصر تريده	**وزرني فإني منك غير بعيد**[2]

نسب مزينة

مُزَيْنَـةُ أُمُّ بَنِي عَمْرِو بْنِ أُدّْ وَفِي رِبَابَـةِ الرِّبَابِ قِيلَ عُدّْ

شرع يتكلم على مزينة، وهي قبيلة ذات غنى وشرف قائمة وحدها،

---

(1) بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أُبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة، الثوري الكوفي، شيخ الإسلام وإمام الحفاظ وسيد العلماء العاملين في زمانه وأمير المؤمنين في الحديث. فاق أهل زمانه في الفضل والعلم والعبادة والورع وكان غاية في الحفظ والذكاء.

(2) ومن ثور بن عبد مناة أيضا: الرَّبيع بن خيثم الفقيه المشهور، قال بعض علماء النسب: لولا سفيان الثوري والربيع بن خيثم ما عرفت ثور. ثم شرع يتكلم على مزينة فقال رحمه الله وعفا عنه:

وقيل تَرَبَّبُوا مع إخوتهم المتقدمين: بني عبد مَنَاةَ، وذلك قوله: **وفي ربابة الرباب قيل عُدّ.**

وهم بنو عثمان وأوس ابنيْ عمرو بن أُدٍّ، نسبوا إلى أمهم مزينةَ بنت كلب بن وبرة، وقيل إن مزينة اسم أبيهم.

والإخْـوَةُ السَّبْعَةُ مِن مُّزَيْنَهْ مُزَيْنَـةِ التَّيْسِ لأُدٍّ زِينَـهْ

إذْ هَاجَـرُوا لِطَيْبَةٍ .وَلاَ تُرَى لِغَيْرِهِمْ . وَفَتَحُـوا لِلأُمَـرَا

قولـه: **والإخوة السبعة**: يعـني بـني مقرِّن (كمحدِّث)[1] الذين ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا﴾[2] لما قال لهم النبي ﷺ في غزوة تبوك: ﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾[3].

يعني أنهم زينة لبني أد بن طابخة، لأنهم **هاجرُوا** السبعة إلى المدينة و لم تكن **لغيرهم** من العرب، سبعة إخوة هاجروا؛ وهم: النعمان ونعيم وضرار وحذيفة ومعقل وسنان وسويد.

---

(1) ابن عامر بن صبح بن هجير بن نصر بن حُبشِية بن كعب بن عبد بن ثور بن هُذمَة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أُدٍّ، وبنو عمرو بن أد هم مزينة، وسماهم في الجمهرة: النعمان ونعيم وسويد ومعاوية وعقيل ومعقل وعمرو، وكان أولاد مقرن عشرة أسلم منهم هؤلاء السبعة وهاجروا وبقي ثلاثة على كفرهم.

(2) التوبة: 93.

(3) رواه البخاري ومسلم.

وقوله: **وفتحوا للأمرا**: أمَّا النعمان فكان بيده لواءُ مزينة يوم الفتح. وبعثه عمر بثلثي أهلِ الكوفة إلى نهاوند وقال لهم: إن يقتل النعمان فحذيفة مكانه، ففتح أصبهان؛ ثم أتى نهاوند فقال: يا معشر المسلمين شهدت رسول الله ﷺ إذا لم يقاتل أوَّل النهار أخَّر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر، وقال: إني أهز اللواء ثلاث مرات فإذا هززت الثالثة فاحملوا ولا يلوي أحد على أحد؛ فلما هز الثالثة حمل فحمل الناس، فكان أول صريع؛ وأخَذَ حذيفة الراية ففتح الله عليه، وذلك يوم الجمعة. وبكى عليه عمرُ حين نعي له.

وأما نُعيم فكان من وجوه الصحابة ووجوه مزينة، وكانت له فتوحات كثيرة. وأما ضرار فكان مع خالد في الحيرة.

وسُمُّوا **مزينة التَّيْس** لأنهم أسروا ثابتَ بن المنذر بن حرام، والدَ حسان، وأبوْا أن يأخذوا في فِدائه إلا تيسا، فَامْتنع أهله من ذلك خوف السَّبِّ بهِ، فبعث إليهم ثابت أن اعطوهم ما طلبوا. فأتوهم بتَيْسٍ، فقال ثابت: خُذُوا أخَاكم واتركوا لهم أخاهم! فسموا بذلك *مزينة التَّيْسِ*.

وَمِن مُّزَيْنَـــةَ إِيَاسُ الـذَّكِـي وَذُو الْبِجَادَيْنِ وَكَعْـبُ الزَّكِي

الذكي: العاقلُ والسريع الفطنة. **والبِجَادُ**: الكِساء غير الجيد. **والزَّكي**: الصالح. يقول ومن مزينة إياس بن معاوية الذكي، المشهور بالذكاء، وعبد الله بن عبْدِنُهْمٍ ذُو البجادين، وكَعْب بن زهير الشاعر.

إياس بن معاوية وذكاؤه

أمَّا إياسٌ[1] فمن ذكائه أن اجتمع الناس لرؤية الهلال، وفيهم أنس بن

---

(1) فهو القاضي أبو واثلة إياس بن معاوية بن مُرة بن إياس بن هلال بن رياب بن عبيد بن سارية بن ذبيان بن ثعلبة بن سليم بن أوس بن مزينة، المزني التابعي. قيل لأبيه معاوية: كيف ابنك لك؟ فقال: نعم الابن، كفاني أمر دنياي وفرغني لآخرتي. وروى إياس هذا عن جماعة من الصحابة منها أنس بن مالك. وولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة، وكان عمر كتب إلى عامله بالعراق ـ وهو عدي بن أرطاة ـ أن اجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الجوْشنى فولِّ قضاء البصرة أنفذهما، فجمع بينهما فقال له إياس: أيها الأمير سل عني وعن القاسم فقيهي المصر: الحسن البصري ومحمد بن سيرين. وكان القاسم يأتيهما وإياس لا يأتيهما، فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به، فقال له: لا تسأل عني ولا عنه فوا لله الذي لا إله إلا هو إن إياس بن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء، فإن كنت كاذبا فما يحل لك أن توليني وأنا كاذب وإن كنت صادقا فينبغي لك أن تقبل قولي. فقال إياس: أيها الأمير إنك جئت برجل أوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف. فقال عدي بن أرطاة: أما إذ فهمتها فأنت لها واستقضاه. وله في الفراسة والفطنة حكايات غريبة. روي أنه قال له يوما رجل: يا أبا واثلة حتى متى يبقى الناس وحتى متى يتوالد الناس ويموتون؟! فقال إياس: حتى تتكامل العدتان عدة أهل الجنة وعدة أهل النار. وسأله رجل عن النبيذ؟ فقال: هو حرام. فقال الرجل: أخبرني عن الماء؟ فقال: حلال. قال: فالكسور؟ قال: حلال. قال: فالتمر؟ قال: حلال. قال: فما باله إذا اجتمع يحرم؟ فقال إياس: أرأيت إن رميتك بهذه الحفنة من التراب أتوجعك؟ قال: لا، قال فهذه الحفنة من التبن؟ قال: لا توجعني. قال: فهذه الغرفة من الماء؟ قال: لا توجعني. قال: أفرأيت إن خلطت هذا بهذا وهذا بهذا حتى صار طينا ثم تركته حتى استحجر ثم رميتك به أيوجعك؟ قال: أي والله وتقتلني. قال: فكذلك تلك الأشياء إذا اجتمعت. ومن كلام إياس: "لأن يكون في فعال الرجل فضل عن مقاله خير من أن يكون في مقاله فضل عن فعاله". وذكر عنده يوما رجلٌ آخرَ بسوء، فقال له: أغزوت الروم؟ قال: لا. قال: فالسند؟ قال: لا. قال: فالهند؟ قال: لا. قال: فالترك؟ قال: لا. فقال له: أتسلم منك الروم والسند والهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم؟!.

مالك ـ وهُو شيخ ـ فقال: انظروا إليه قَدْ رأيته؛ فنظر الناس كلهم فلم يَروْهُ، وأنس يقول: انظروا إليه.. فجاءه إياسُ من خلفه فغطى حاجبَيْهِ وقال: يا عم أرأيته؟ فلم يره، وقال: هل رأيته الآن؟ فقال: لا. فعلم إيَّاسٌ أنَّ أنسًا إنما رأى شعرة من حاجبيه طالت وانعطفت. ومن ذكائه أيضا أنه نظر يوما إلى رجل يدور في الناس فقال: هذا الرجل غريب وهو يطلب عبدا وهو أيضا معلم صبيان ومن أهل واسط. فأتوا بالرجل فسألوه عن ذلك فأقر؛ فقالوا له: ما هذا؟ فقال: أمَّا أنه غريب فلأنه لا يأنس إلى أحد، وأمَّا أنه ينشد عبدا فلأنه يأتي العبيد ويقف عليهم، وأمَّا أنه من أهل واسط فعلى ثيابه لونُ أرضِها، وأمَّا أنه معلم صبيان فكان يجلس إليهم.

ومن ذكائه أيضا أنه قال يوما لجلسائه: تحت هذا الحجر حية. فقلبوا الحجر فوجدوها؛ فقالوا له: لم علمت أن تحت الحجر حيةً؟ فقال: أحسَست بندى فيها ولا يكون الندى إلا من نفس. ورأى يوما نسوة سمعن ذعرا، فقال: إحداهُن مرضع وأخرى حامل وأخرى عذراء؛ فسئل فقال: المرأة إذا سمعت بفجع تضع يدها على أعز ما عندها: رأيت المرضعَ وضعت يدها على ثديها، والحامل على بطنها، والعذراء على حِرِها.

ويضرب المثل بذكائه، قال أبو تَمَّامٍ[1]:

---

(1) في مدح أحمد بن المعتصم، من قصيدته التي مطلعها:

ما في وقوفك ساعة من باس ... تقضي ذمام الأربع الادراس

فلعل عينك أن تعين بمائها ... والدمع فيه خاذل ومواس

إلى أن يقول:

إقدام عمرو في سماحة حاتم ... في حلم أحنف.. إلخ.

وهو من التابعين، ووهم من ذكره في الصحابة، وإنما ذكره ابـن حجـر في القسم الرَّابع في الإصابة الذي ينفي عنه الصحْبة.

وأما ذو البجادين[1] فحبسه أهله حين أسـلم في بجاد وضيقُـوا عليـه، ثـم هرب منهم إلى النبي ﷺ؛ فلمَّـا دنـا منـه شَـق بجادَه نِصفـين تـأزَّر بوَاحِـد وارْتدى بآخر. وغزا مع رسول الله ﷺ تَبُـوكَ فَمـاتَ في الطريـق، ولَحَـده النبي ﷺ ومَعَه أبُو بكر وعمر؛ فرأى ابـن مسـعود الضـوء نحوهـم مـن نـار أوقدوها فسار نحوهم فوجد النبي ﷺ واقِفًـا في القـبر يقـول لهمـا: «أدْلَيـاه عليَّ»، ثم قال: «اللهم إني أمسيت راضيا عنه فارض عنـه»[2]، فقـال ابـن مسعود: فتَمنَّيتُ أن أكون صاحب الحفرة.

ذكر إسلام كعب بن زهير وبعض شعره

وأما كعب بن زهير فبلغه أنَّ النبي ﷺ أهـدر دمه وأمـر بقتلـه، فضـاق

---

(1) فهو عبد الله بن عبدنهم بن عفيف بن سحيم بن عدي بن ثعلبة بن سعد بن عدي من بني عثمان بن عمرو بن أد المزني، كان اسمه عبد العزى فغير النبي صلى الله عليه وسلم اسمه، قيل كان يتيما في حجر عمه وكان محسنا عليه فبلغه أنه أسلم فنزع منه كل شيء أعطاه له حتى جرده من ثوبه، فأتى أمه فقطعت له بجادا لها قطعتين ائتزر نصفا وارتدى نصفا، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: «أنت عبد الله ذو البجادين»، ولزم باب النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يرفع صوته بالذكر، فقال عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أمُراءٍ هو؟ فقال: «بل هو أحد الأوَّاهين» ـ [سموط الذهب].

(2) سيرة ابن هشام: (143/4).

عليه أمره[1]. فلما رجع النبي ﷺ من الطائف أتى كعب المدينة ليلاً، فنزل على رجل من جهينة كان صديقا له؛ فأتى به المسجد حين صلاة الصبح فأشار له إلى النبي ﷺ[2] فقال له: يا رسول الله إن كعب بن زهير بلغه أن من أتاك تائبا مسلما تعفو عنه، فجاء تائبا مسلما فهل أنت تعفو عنه؟

---

(1) روي أن كعبا خرج هو وأخوه بجير يريدان النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغا ابرق العُزَّاف (موضع بين الربذة والمدينة)، فقال كعب لبجير: الق هذا الرجل وأنا مقيم لك هنا. وفي رواية أن بجيرا قال له: اثبت في الغنم هنا حتى آتي هذا الرجلَ فأسمع كلامه وأعرف ما عنده، فأقام كعب وقدم بجير على النبي صلى الله عليه وسلم فسمع منه وأسلم، فبلغ ذلك كعبا فشق عليه إسلامه وكتب إليه:

ألا بلغا عني بجيرا رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
سقاك بها المامون كأسا روية ... فأنهلك المأمون منها وعَلَّكا
ففارقت أسباب الهدى واتبعته ... على أيِّ شيء وَيْبَ غيرك دَلَّكا
على مذهب لم تلق أما ولا أبا ... عليه ولم تعرف عليه أخاً لكا
فإن أنت لم تفعل فلستُ بآسف ... ولا قائل إما عثرت لعاً لَكا

(ويب: كلمة مثل ويل وويح [الصحاح]. ولعا: كلمة يدعى بها للعاثر معناها الارتفاع [لسان العرب]).

فكتب إليه بجير:

فمن مبلغ كعبا فهل لك في التي ... تلوم عليها باطلا وهي أحزم
إلى الله لا العُزَّى ولا اللات وحدَه ... فتنجو إذا كان النجاء فتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمُفْلِتٍ ... من الناس إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهْو لا شيء دينه ... ودين أبي سُلمى عليَّ محرم

وكتب إليه أن أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنك إن فعلت ذلك قبل منك.

(2) فقام إليه حتى وضع يده في يده، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه.

قال: «نعم»، قال: فأنا كعب بن زهير. فقام إليه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنقه، فنهاه عنه. فبايعه ثم جعل ينشد:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم اثرها لم يُفْدَ مكبول

رُوي أن النبي ﷺ قال له: «ومن سعاد»[1]؟ فقال: إحدى بنات عمي يا رسول الله؛ فلما أتمها رمى إليه رسول الله ﷺ بردة كانت عليه. وذلك قوله رحمه الله:

خَوَّلَهُ النَّبِيُّ بُرْدَةً عَلَى "بَانَتْ سُعَادُ" وغَلَتْ كُلَّ الْغَلاَ

خوله: أعطاه تفضلا. وقوله: **على بانت سعاد**: أي جائزةً ومجازاةً عنها حين أنشدها بين يديه صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك **غلت** في الثمن **كل الغلاء**. وكان كعب لا يلبسها إلا تبركا بها؛ فلما ولي معاوية سامها منه بعشرين ألف درهم، فقال: ما كنت لأبيع ثوبا مسَّ جلد رسول الله ﷺ بالدنيا. فلما توفي كعب اشتراها معاوية من ورثته بثلاثين ألف درهم. وقيل إنها البُرد الذي تداولته الملوك بعد ذلك.

وهذه القصيدة لما أنشدها كعب بين يدي النبي ﷺ عدها العلماء حديثا لا يستحسنُ عليها غيرها من الشعر، وأردتُ إيرادها تبركًا بها وإعجابا، وهي:

بانَتْ سعادُ فقلبي اليوم متبولُ متيم إثرها لم يفد مكبُولُ[2]

---

(1) سيرة ابن كثير: (707/3)

(2) متبول: هائم سقيم. متيم: مذلل بالحب. لم يفد: لم يجد من يفديه. مكبول: أسير مقيد.

وما سعادُ غـــداةَ البين إذا رحلوا إلا أغنُّ غضيض الطَّرْف مكحول[1]
هيفاءُ مقبلةً عجــزاءُ مدبـــرةً لا يشتكى قِصَــرٌ منها ولا طولُ
من اللواتي إذا ما خُلَّـــة صدَقت يشفي مُضاجعَها شَــمٌّ وتقبيــــل
تجلُو عوارض ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمت كأنــه مُنهل بالراح معلـــولُ[2]
شجـــت بذي شبم من ماء محنية صافٍ بأبطح أضحى وهو مَشمول[3]
تنفي الرياحُ القَـــذَى عنه وأَفرطَهُ من صـــوب سارية بيضٌ يعاليل[4]
أكرم بها خلة لو أنها صدقـــت موعُودَها أو لو ان النصحَ مقبول[5]
لكنها خلـــةٌ قد سيــط من دمها فجْــعٌ وولْعٌ وإخلافٌ وتبديل[6]
فما تـــدوم على حال تكون بــهِ كما تَلـــوَّنُ في أثوابها الغُــول[7]
ولا تَمَسّـــكُ بالعهد الذي زعمت إلا كما يُمسكُ الماءَ الغرابيــــل[8]

---

(1) البين: الفراق. أغن: في صوته غنة، وهو صوت محبوب يخرج من أقصى الأنف؛ وهو صفة للغزال. غضيض الطرف: فاتر النظر منكسر الأجفان. مكحول: أسود الطرف من غير اكتحال.

(2) تجلو: تكشف. العوارض: الضواحك من الأسنان. الظلم: مـاء الأسنان وبريقهـا. والمنهـل: المسقى مرة أولى. والراح: الخمر. والمعلول: المسقى مرة بعد أخرى.

(3) شجت: مزجت. ذو شبم: البارد. المحنيـة: ما انعطف مـن الـوادي، ومـاؤه يكــون أصفـى وأرق. الأبطح: المسيل المتسع. المشمول: الذي أصابته ريح الشمال فبردته.

(4) أفرطه: ملأه. السارية: السحابة التي تمطر ليلا. والبيض: الجبال. اليعاليل: المفرطة في الطول.

(5) يقول: أكرم بها صاحبة لو أنها تصدق وعدها أو أنها تقبل النصح في من يهواها.

(6) سيط: خلط. الفجع: الإصابة بما يكره. الولع: الكذب. أراد أنها قـد خلـط بدمهـا الفجـع بالمصائب والكذب في الاخبار وإخلاف الوعد وتبديل خليل بآخر.. وصار ذلك سجية لها وطبعا يلازمها.

(7) الغول: السعلاة، وقد زعمت العرب أنها تغتالهم وأنها تتراءى لهـم في الفلـوات علـى صـور مختلفة وأشكال متباينة فتضلهم عن الطريق.

(8) أراد أنها لا تفي بعهودها ومواثيقها.

فلا يغرنك ما منّتْ وما وعدتْ إن الأمانيَّ والأحلام تضليل

كانت مواعيدُ عرقوب لها مثلاً وما مواعيدُها إلا الأباطيل

أرجو وآمل أن تدنو مَوَدَّتُها وما إخالُ لدينا منك تَنويل[1]

أمستْ سعاد بأرض لا يُبَلِّغُها إلا العتاقُ النجيبات المراسيل[2]

ولن يُبلغَها إلا عذافرة لها على الأيْن إرقال وتبغيل[3]

من كل نَضَّاخَةِ الذِّفرى إذا عرقت عُرضتها طامسُ الاعلام مجهول[4]

ترمي الغيوبَ بعيني مفرد لهِقٍ إذا تَوَقَّدَتِ الحُزَّانُ والميل[5]

ضخم مُقلَّدُها عَبل مقيدُهَا في خَلْقها عن بنات الفحل تفْضيل[6]

غَلْبَاءُ وجناءُ علكوم مُذَكَّرةٌ في دَفِّها سَعَة قُدَّامها ميل[7]

وجلدها من أطوم ما يُؤَيِّسُه طِلْح بضاحية المتنين مهزول[8]

---

(1) التنويل: العطاء؛ يقول: رغم اتصاف سعاد بالجفاء وإخلاف الوعد فإني لا أقطع الرجاء من مودتها، ثم التفت يخاطبها قائلا: ولا أحسب أن لي منك عطاء أرجوه.

(2) العتاق: النوق الكرام الأصول. النجيبات: الكريمة. المراسيل: السريعة اليدين في السير.

(3) العذافرة: الصلبة القوية. الأين: التعب والنصب. الإرقال: ضرب سريع من السير. التبغيل: ضرب من الهملجة.

(4) النضاخة: السائلة. الذفرى: عظم ناتئ خلف الأذن. عرضتها: هِمَّتُها. الطامس: المندرس المختفي.

(5) الغيوب: آثار الطرق التي غابت معالمها عن العيون. المفرد: المنفرد، أراد به الثور الوحشي. لَهِق: شديد البياض. الحزَّان (جمع حزن): ما غلظ من الأرض. الميل: ما تراكم ومال من الرمل.

(6) الضخم: العظيم. المقلد: موضع القلادة من العنق. عبل: غليظ. المقيد: موضع القيد وهو الرسغ. بنات الفحل: النوق.

(7) غلباء: غليظة. وجناء: عظيمة الوجنتين (الوجنة: طرف الوجه). علكوم: صخمة. مذكرة: تشبه الذكر. الدف: الجنب. قدامها ميل: أي طويلة العنق.

(8) الاطوم: السلحفاة. يؤيسه: يؤثر فيه. الطِّلح: القراد. ضاحية المتنين: ما برز للشمس من ظهرها.

حرفٌ أخوها أبـــــوها من مُهَجَّنةٍ	وعمها خالُـــها قَـــوداءُ شِمليل[1]
يَمْشي القُـــــراد عليـها ثم يُـزْلقه	منها لَبَـانٌ وأقـــرابٌ زهاليـلُ[2]
عيرانةٌ قذفت بالنحض عـن عُرُض	مرفقها عن بنات الـزَّور مفتُـولُ[3]
كأنما فات عينيـــها ومِذبَحـــــها	من خَطمها ومن اللحيـين بِرطيلُ[4]
تمرُّ مثلَ عسيـــب النخل ذا خُصَلٍ	في غارز لم تَخَـــــوَّنهُ الاحاليل[5]
قَنـــــــواءُ في حُرتيها للبصير بها	عِتقٌ مُبـــينٌ وفي الخدَّين تَسهيل[6]
تخدي على يسراتٍ وهي لاحقـــةٌ	ذَوابِــــــلٍ مَسُّهُن الأرض تحليلُ[7]
سُمر العُجَاياتِ يترْكْن الحصى زِيَما	لم يقِهِـــنَّ رُؤوسَ الاكمِ تنعيـــلُ[8]

(1) حرف: ضامرة؛ أو تشبه حرف الجبل أي القطعة الخارجة منه في القوة والصلابـة. مهجنـة: كريمة. قوداء: طويلة العنق. شمليل: خفيفة. وقوله: أخوها أبوها..إلخ: يشير بـه إلى خلـوص نسبها وجودة أصلها وهو محتمـل لأمريـن: أحدهمـا التشبيه أي أن أخاهـا يشبه أباهـا في الكرم وأن عمها يشبه خالها، والثاني أنها من إبل كـرام يحمـل بعضهـا علـى بعـض حفظـا للنوع؛ وذلك يحتمل صورا منها أن فحلا ضرب بنته فأتت ببعيرين فضربها أحدهما فـأتت بهذه الناقة. ومن صُور قوله: **أخوها أبوها**: أن أمها أتت بفحل فألقى عليها فأتت بهذه الناقة.

(2) اللبان: الصدر. الأقراب: الخواصر. الزهاليل (جمع زهلول): الأملس.

(3) عيرانة: تشبه العير. قذفت: رميت. النحض: اللحـم. عـن عـرض: أي رميـت بـه مـن كـل جانب. والزور: الصدر أو وسطه. ومفتول: مجافٍ عنه.

(4) فات: تقدم. الخطم: مقدم الأنف. البرطيل: المعول من حديد.

(5) عسيب النخل: الجريدة، شبه بها ذنـب الناقـة. الخصـل: لفـائف الشـعَر. الغـارز: الضـرع. تخونه: تنقصه. الأحاليل (جمع إحليل): مخرج اللبن من الثدي.

(6) قنواء: في أنفها حدب. الحرتان: الأذنان. العتق: الكرم. تسهيل: أي سهولة وليونة.

(7) اليسرات: القوائم. لاحقة: ضامرة. الذوابل: اليابسة. التحليل: التقليل.

(8) العجايات: الأعصاب المنحـدرة من ركبتها إلى فرسنها؛ شـبهها بالرمـاح السـمر في القـوة والصلابة. والزيم: المتفرقة لشدة وطئ هذه الناقة. والأكم (جمع أكمة): الرابية المرتفعة مـن

<<=

كأنَّ أوْبَ ذراعيها إذا عـــرقتْ وقـد تلفَّـــع بالقُـور العساقيل[1]
يومًا يظـــل به الحِرباءُ مصطخدا كأن ضاحيَه بالشمـــس مملـول[2]
وقال للقوم حاديهم وقد جَعَلَـت ورق الجنادب يَركضْن الحصَى قِيلُوا[3]
شدَّ النّهارِ ذراعا عيطَـــلٍ نَصَـفٍ قامـــت فجاوبها نُكْدٌ مَّثاكِيلُ[4]
نواحةٌ رخـــوةُ الضَّبْعيْن ليـس لها لما نعى بكرَها النّاعـونَ معقـولُ[5]
تفـــري اللبان بكفيها ومِدرعُـــها مُشقَّـفٌ عن تراقيـها رَعَابِيـــل[6]

--- >>

الأرض. والتنعيل: شد النعال، وخص الأكم لأنها تبقى بها الحجارة الخشنة، فلا تحتـاج إلى تنعيل لصلابة حوافرها.

(1) أوب ذراعيها: رجوعهما وسرعة حركتهما. تلفع: الْتَحف. القور: كـل موضـع مرتفـع. العساقيل (جمع عسقول): السَّراب.

(2) الحرباء: حيوان بري يستقبل الشمس ويدور معها حيث دارت ويتلون ألوانا، ويصير وقـت الهاجرة في أعلى الشجرة يمسك سـاق الشـجرة ولا يرسـله حتـى يمسـك سـاقا آخـر، قـال الشاعر:

وكن كأنـك حرباء الهجير ضحى لا يـترك الساق إلا ممسكا ساقـا

المصطخد: المحترق بحرِّ الشمس. ضاحيه: ما ظهر منه للشمس. المملول: الذي أنضجته النار بشدةِ حرها.

(3) الجنادب: ضرب من الجراد، والورق: الخضر منه التي تضرب إلى السواد. يركضن: يضربـن بقوائمهن. قيلوا: استريحوا في القائلة؛ أي وسط النهار.

(4) شد النهار: وقـت ارتفاعـه. ذراعـا: تثنيـة ذراع (خـبر كـأنَّ المتقدمـة). العيطـل: الطويلـة. النصف: متوسطة في السِّنِّ. النكد: التي لا يعيش لها ولـد. المثـاكيل (جمـع مثكـال): كثـيرة الثكل وهو فقدان الولد.

(5) نواحة: كثيرة النوح. الرخوة: المسترخية. الضبعين: العضدين.

(6) تفري: تشق. اللبان: الصدر. المدرع: القميص. الرعابيل: القطع المتخرقة، يعني أنهـا تخـدش نحرها وصدرها وتشق مدرعها لِما هلك من ولدها.

يسعى الوُشاةُ جنابيـها وقولُهــمُ	إنك يا ابـن أبي سُلمى لمقتُــول
وقالَ كــلُّ خليــلٍ كنت آمُلُهُ	لا أُلْهِيَنَّكَ إني عنــكَ مشغولُ
فقلـــت خَلوا سبيلي لا أبا لكمُ	فَكُلُّ ما قَـدَّر الرحـمنُ مفعــول
كُلُّ ابنِ أنثى وإن طالَــتْ سلامتهُ	يوما على آلـــة حدباءَ محمول
أُنبِئْتُ أن رسُــولَ ا لله أوعَـدني	والعفـوُ عند رسول ا لله مأمــولُ
مهــلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ	ـقرآن فيها مواعيـــظٌ وتفصيلُ
لا تأخُـــذَنِّي بأقـوال الوشاة ولم	أذنب وإن كثرت في الأقاويــل
لقـــد أقومُ مقاما لو يقــوم به	أرى وأســمعُ ما لو يسمعُ الفيل
لظل يرعُدُ إلا أن يكــــون لـه	من الرســـول بإذن ا لله تنويـلُ[1]
حتى وضعــتُ يميني لا أنازعـــه	في كَـفٍّ ذي نَقِمَاتٍ قِيلُه القيــلُ[2]
لَـــذاك أهيَـبُ عندي إذ أُكَلِّمُـــه	وقيل إنك منســـوبٌ ومسؤولُ
مِن خادر مـن ليوث الأسْد مسكنُه	في بطـــن عثَّر غِيلٌ دونه غِيـلُ[3]
يغدو فيُلْحِـــم ضِرغامين عيشهما	لحم من القــوم معفور خـراديل[4]

(1) يقول: لقد حضرت مجلسا هائلا لو حضره الفيل ورأيت أمرا عظيما وسمعت كلامـا عجيبـا لو رآه وسمعه الفيل.. لظل يرعد: أي تأخذه الرعدة من شدة الخوف، وخص الفيـل لأنـه أعظـم الحيوانات وأضخمها جثة؛ لأنه أراد التهويل والتعظيم. والتنويل: العطاء والمراد به هنا التأمين.

(2) وضعت يميني: أشار به إلى مصافحته للنبي صلى ا لله عليـه وسـلم. والنقمـات: جمـع نقمـة، وصفه به لأنه كان ينتقم من أعدائه. قِيلُهُ: أي قوله هو القول المعتمد النافذ.

(3) الخادر: الداخل في خدره أي أجمته وهي الشجر الملتف، وخص الأسد لأنه أعظم الحيوانات هيبة حتى ان الإنسان بمجرد رؤيته لا يستطيع الفرار منه لشدة الخـوف؛ وخصـه بالكينونـة في خدره لأن الأسد في الوحوش كالملِك في الآدميين كلمـا كـان مختفيـا عـن العيـون كـان أشد هيبة ووقعا في النفوس. وعثر: مأسدة. والغيل: الملتف من الشجر.

(4) يلحمهما: يطعمهما لحما. والضرغام: في الأصل الأسد الضاري والمراد به هنـا ولـد الأسـد وهو الشِّبل. المعفور: الملقى في العفر وهو التراب. والخراديل: المقطَّع.

إذا يساور قِرنا لا يحـــــلُّ له | أن يترك القِـرن إلا وهو مجدُول[1]
منــهُ تظـــــل سباعُ الجوِّ ضامزة | ولا تَمشَّى بواديـــه الأراجيــــل[2]
ولا يزال بواديه أخـــو ثقـــــة | مُطَّـــرَّح البَزِّ والدِّرسانِ ماكول[3]
إنَّ الرســــولَ لسيفٌ يستضاء به | مهنَّـــدٌ من سيـــوف الله مسلول
في فتيةٍ من قـــريش قال قائلهم | ببطْـــن مكَّـــة لما أسْلموا: زولوا
زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُـفٌ | عند اللقــاءِ ولا ميـــل مَّعازيل[4]
شمُّ العـــــرانين أبطـال لَبُوسُهُـــمُ | من نسـج داود في الهيجا سَرابيـل[5]
بيض سوابغُ قد شُكَّـــت لها حلَقٌ | كأنها حلَـــقُ القفعاء مجْـدُول[6]
لا يفرحــــون إذا نالت رِماحُهم | قومــا وليْسوا مَجازِيعًا إذا نِيلُوا[7]

---

(1) يساور: يواثب. القرن: الخصم. المجدول: الملقى بالجدالة وهي الأرض.

(2) الجوُّ: ما اتسع من الأودية. الضامزة: الساكتة. الأراجيل: ضد الراكبين.

(3) مطَّرح: مطروح. البز: السلاح. الدرسان: الأثواب المتخرقة البالية.

(4) زالوا: هاجروا. أنكاس (جمع نكس): الضعيف الجبـان. كشف (جمع أكشف): الـذي لا ترس له في الحرب. مِيلٌ (جمع أميل): وهو الذي لا يحسن ركوب الخيل أو الـذي لا سيف له. المعازيل: من لا سلاح معهم.

(5) شم العرانين: كناية عـن الأنفـة والإبـاء. لبوسـهم: مـا يلبسـونه مـن السـلاح. نسـج داود: صنعته. الهيجا: الحرب. السرابيل: الدروع.

(6) بيض: مصقولـة. سـوابغ: طويلـة تامـة. شـكت: أدخـل بعـض حلقهـا في بعـض وسمـرت. القفعاء: نبت ينبسط على وجه الأرض له حلق كالخواتم. المجدول: المحكم الصنعة.

(7) المجازيع (جمع مجزاع): للشديد الجزع والخوف. يقول إنهم لا يفرحون بالانتصار لكونه مـن عاداتهم ولا يجزعون بالهزيمة لثقتهم بالتغلب على عدوهم. قـال في *الممتع* (384): والعـرب تتمادح بذلك، ويقال إن أبا مسلم هزم نيفا وستين هزيمـة فمـا رؤي عليـه كآبـة الانهـزام، وفتح له مثلها فما رؤي عليه أثر الفرح.

يمشــون مشي الجمال الزهر يعصمهم ضـرب إذا عَرَّد السُّـودُ التنابيل[1]
لا يقع الطعـــنُ إلا في نحُـــورِهِمُ فما لهم عن حياض المـوت تَهْليلُ[2]

(1) الزهر: البيض. عَرَّد: أي جبن وتأخر. السود: جمع أسود. التنـابيل (جمـع تنبـال): القصـير. يعني أنهم سادات لا عبيد، وعـرب لا أعـراب.. موصوفـون بـامتداد القامـة وعظـم الخَلْق والرفق في المشي وذلك دليل على الوقـار ويحميهـم مـن الأعـداء ضربهـم إيـاهم بالسـيوف والرماح، لا التحصن بالحصون والقلاع.

(2) حياض الموت: موارد الهلاك. التهليل: التأخير أو الجبن والفرار، يقول: لا يقع طعن الأعـداء في ظهورهم لأنهم لا يفرون وليس لهم تأخُّر عن موارد الردَى.

ولما فرغ كعب من مدح النبي صلى الله عليـه وسـلم والمهـاجرين شـق علـى الأنصـار كونـه لم يذكرهم مع إخوانهم ـ وكان رجل منهم قـال لرسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم: دعـني أضرب عنقه ـ فقالوا له: ألا ذكرتنا مع إخواننا من قريش؟ ويقال إن النـبي صلـى الله عليـه وسلم قال له بعد ذلك: «ألا ذكرت الأنصار بخير، فإن الأنصار لذلك أهل»، فقال يمدحهم ويذكر بلاءهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من سَـــرَّه كَـــرَمُ الحياة فلا يزل في مَقْـنَـبٍ من صالحي الأنصارِ
تَـزِن الجبالَ رزانـــة أحــلامُهــم وأكفهـــم خَلَـف مــن الأمطـارِ
ورثوا المكارم كابـــرا عن كابـــر إن الخيار هـــمُ بنــــو الأخيار
المكرهـــين السمهـــري بأذرع كصواقل الهندي غـــــير قصار
والناظريــن بأعــــين محمـــرَّةٍ كالجمر غير كليلــــة الإبصار
والبائعـــين نفوسهـــم لنبيهـــم للمـــــوت يوم تعانــق وكرار
والذّائديـــن الناس عــن أديانهم بالمشـــــرفي وبالقـــنا الخطار
يتطهَّرون يــــرونه نسكا لـهــم بدماء مــن علقـــوا من الكفار
دَرِبُـــوا كما دَرِبَتْ ببطـن خَفيـةٍ غلب الرقاب من الأسود ضـوار
وإذا حللــــت ليمنعـوك إليهمُ أصبحـت عند معاقـــل الأغفار
ضربـــوا عليًّا يوم بـــدر ضربة دانــت لوقعتها جميع نِـــزار

<<=

وتوجد الحكمة في شعر كعب بن زهير كقوله:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني ... سَعيُ الفتى وهو مخبوء له القدرُ
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها ... فالنَّفس واحـــدة والهم منتشرُ
والمرء ما عاش ممـــدود له أجلٌ ... لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر

وكقوله:

إن كنــت لا ترهب شتمي لِما ... تعلم من صفحي عن الجاهِـــل
فاخش سكوتي إذ أنا منصــت ... فيه لمسمـــوع خنى القائـــل
فسامع الذم شريـــك لـــهُ ... ومطعم المأكـــــول كالآكل
مقالـــــة السُّـــوء إلى أهلها ... أســـرع من منحـدر سائـــل
ومَـن دعا الناسَ إلى ذمِّـــــهِ ... ذَمُّــوهُ بالحـــقِّ وبالباطِل[1]

--- >>

لو يعلم الأقــوام علمي كلـه ... فيهـــم لصـدَّقني الذين أماري
قوم إذا خــوت النجوم فإنهـم ... للطارقِــين النازلــين مقـار
في الغر مـن غسان من جرثومـــة ... أعيـــت محافــرُها على المنقار ..إلخ

(وقوله: ضربوا عليا.. يعني بعلي: بني كنانة بن خزيمة.)

(1) ومن جيد شعره قصيدته التي يفتخر بها على مزرد، وأولها:

أتعـرف رسما بين دهمان بالرقــم ... إلى ذي مراهيـط كما خط بالقلمْ
عفته رياح الصيف بعدي بمـوْرِها ... وأودت به الجوزاء بالوبـل والديمْ

إلى أن يقول:

ألا أبلغا هذا المعـــــرض آيـــة ... أيقظان قال القول إذ قال أو حلمْ
فإن تســـأل الأقـــوام عني فإنني ... أنا ابن أبي سُلمى على رغم من رغمْ
أنا ابن الذي قد عاش تسعين حجة ... فلم يخز يـــوما في معـــدّ ولم يلم
وأكرمــه الأكفاء من كل معشـــر ... كـــرام فإن كذبتني فاسأل الأمم
أقـــول شبيـــهات بما قال عالما ... بهنَّ ومن يشبه أباه فما ظلَـــمْ

<<=

وكان ابنه عقبة شاعرا، وابْن ابنه العوَّام بن عقبة شاعرا؛ ومن شعره:

ألا ليــتَ شعري هل تغيَّر بعدنَا ملاحــة عينيْ أم عمرو وجيدُهَا

وهل بَليت أثوابها بعد جـــدة ألا حبذَا أخلاقها وجَديـدُها[1]

(يعني بالأثواب العهود، أي هل بقيت على عهدنا أم لا؟).

وأبو سُلمى - أبو زهير ـــ شـاعرٌ أيضـا، وهـو بضـم السـين؛ وليـس في العرب سُلمى بضم السين غيره.

- - >>

فأشبهته من بين من وطئ الحصى ولم يَنْزَعَنّي شبه خال ولا ابن عم

أعيرتـــــني عزا قـديما وسادة كراما بنوا للمجـد في باذخ الشمم

هم الأصل مني حيــث كنت وإنني من المزَنيين المضيفين للكــــرمْ ..إلخ.

(1) [الأخلاق: جمع خلَق للثوب القديم، ويقال: ثوب أخلاق]. ومن شعره أيضا:

أإن سجــعت في بطن واد حمامة تجاوبُ أخرى ماء عينيك غاسق

كأنــك لم تسمع بكاء حمامـــة بليل ولم يحــــزنك إلف مفارق

ولم تـــر مفجــوعاً بشيء يحبه سواك ولم يعشق كعشقك عاشق

بلى فأفــق عن ذكــر ليلى فإنما أخو الصبر من كف الهوى وهو تائق

ومما قيل في هذا المعنى لرجل من نهشل:

ألام على فيـض الدمــــوع وإنني بفيض الدمــوع الجاريات جدير

أيبكي حمام الأيــك من فقد إلفه وأصبر عنها؟ إنـــني لصبـــور

ولآخر من بني الصيداء:

دعت فوق أفنان من الأيك موهنا مطوقـــة ورقاء في إثــــر آلف

فهاجـــت عقابيل الهوى إذ ترنمت وشبت ضرام الشوق تحت الشراسف

بكت بجفـون دمعها غـــير ذارف وأغرت جفوني بالدمــوع الذوارف

ومنهم مزينة قرة بن إياس الصحابي، جد إياس الذكي ؛وهو ابن معاوية بن قرة.

ومنهم معاوية بن معاوية، قيل إن أباه معاوية بن مقرِّن، وليس من الذين هاجروا المذكورين في النظم. وبنو مقرن عشرة هاجر منهم سبعة و لم أر إسلامًا للباقين. ولما مات مُعاوية بن معاوية نزل جبريل على النبي ﷺ فقال: يا محمد مات معاوية بن معاوية أتحبُّ أن تصلي عليه؟ فقال: «نعم»، فضرب بجناحه الأرض فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت، فرفع له سريره فصلى عليه وخلفه صفّان من الملائكة، كل صف سبعون ألفًا، فقال صلى الله عليه وسلم: «يا جبريل بم نال معاوية هذه المنزلة»؟ قال: بمحبَّة ﴿قل هو الله أحد﴾ وكثرة قراءته لها[1].

ومن مزينة معن بن أوس المزني الشاعر القائل:

لَعَمْرُكَ ما أدري وإني لأوجل ... على أيِّنا تعدو المنية أول؟
وإني أخوك الدائم العهد لم أحل ... إنِ ابْزَاكَ خصمٌ أو نبا بك منزل
أحارب من حاربت من ذي عداوة ... وأحبس مالي إن غرِمْت فأعقل[2]

(1) رواه الطبراني في *الكبير* - كما في *مجمع الزوائد* - وفيه العلاء بن زيد قال الذهبي عن ابن حبان إنه منكر، وعزا البيهقي للبخاري أنه منكر الحديث [انظر ميزان الاعتدال وضعفاء العقيلي]. وقال في *عون المعبود*: "لا يصح فإن في إسناده العلاء بن زيد قال علي بن المديني كان يضع الحديث..".

(2) بعده: **وإن سؤتني يوما صفحت إلى غدٍ ... ليعقب يوما منك آخر مقبلُ**
كأنك تشفي منك داء مساءَتي ... وسخطي وما في ريبتي ما تَعجَّلُ

<<=

<< - -

وإنّـي على أشياء منـك تَرِيبني   قديما لذو صفح على ذاك مُجمِلُ
ستقطـع فيالدنيا إذا ما قطعتني   يمينَك فانظـر أيَّ كف تَبدَّلُ
وفي الناس إن رثت حبالك واصل   وفي الأرض عن دار القلى متحـول
إذا أنت لم تنصـف أخاك وجدته   على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركـب حد السيف من أن تضيمه   إذا لم يكن عن شفرة السَّيف مَزحَلُ
وكنت إذا ما صاحـب رام ظنتي   وبـدل سوءًا بالذي كنت أفعَلُ
قلبـت لـه ظهر المجنِّ ولم أُقِـمْ   على ذاك إلا ريثـما أتحـوَّلُ
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد   إليه بوجـه آخر الدهـر تُقبِلُ

وله أيضا:

وذي رحـم قلَّمت أظفار ضِغنه   بحلمِيَ عنـه وهو ليس له حِلمُ
إذا سمته وصـل القرابة سامـني   قطيعتها تلك السفاهـة والظلم
فأسعى لكي أبني ويهـدم صالحي   وليس الذي يبني كمن شأنه الهدمُ
يحاول رغمي لا يحاول غـيره   وكالمـوت عندي أن يحل به رغم
فما زلـت في لين له وتعَطُّـفٍ   عليه كما تحنو على الولـد الأم
لأستـلَّ منـه الضغـن حتى سللته   وإن كان ذا ضغن يضيق به الحِلمُ

وله أيضا:

لعمـرك ما أهـويت كفي لريبة   ولا حملتـني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمـعي ولا بصري لها   ولا دلني رأيي عليها ولا عقـلي
وأعلم أنـي لم تصبـني مصيبـة   من الدهر إلا قد أصابـت فتى قبلي
ولسـت بماشٍ ما حيـت لمنكـر   من الأمـر لا يمشي إلى مثله مثلي
ولا مؤثـر نفسيعـلى ذي قـرابة   وأوثـر ضيفي ما أقام على أهلي

ولما فرغ الناظم من مزينة - وهم بنو عمرو بن أد - أخذ يتكلم على بـني عمهـم مُـرٍّ بـن أد، فقـال رحمه الله:

وانسُبْ لِمُرٍّ ابْنِ أُدٍّ مَازِنَـــهْ، تَمِيمَـــهُ وَغَوْثَـــهُ وظَاعِنَـــهْ
أُمُّهُمُ الْحَـــوْأَبُ بِنتُ كَـلْبِ كَلْبِ بْنِ وَبْرَةَ قَرِيعِ الْعُرْبِ[1]

أما **مازن** بن مر فلا ذكر لهم. وأما **ظاعنة** ففيهم يضرب المثل فيما فات [يقال]: *ظعنت به ظاعنة*. وأما **الغوث**[2] فهم صوفة الذين كانت لهم إجازة الناس في الحج من المزدلفة إلى عرفة ومن عرفة إلى منى - وهي الإفاضة - يقول صاحبها منهم: أجيزي صوفة، فإذا جازوا يقول: أجيزي خندفُ، فإذا أفاض خندف أذن للناس في الإفاضة. وذلك قول الناظم رحمه الله:

وَالْغَـــوْثُ لاَ يُفِيضُ دَيَّارٌ إِلَى مِنًى بِدُونِ إِذْنِهِـــمْ وَإِنْ عَـلاَ

ديار: أحد، أي لا يفيض أحد من عرفة إلى مِنًى حتى يأذنوا له. **وإن**

---

(1) ذكر الناظم في البيت الأول أربعة من أولاد مر بن أد بن طابخة، وهم مازن وتميم والغوث، وأضافهم إلى ضمير أبيهم، والرابع ظاعنة؛ وترك من أبنائه محاربا وسلمة وبكرا ومالكا، ولم يكن لهم ذكر. وأما بنات مُرّ فهن: برة أم النضر بن كنانة وإخوته، وهند وهي أم بكر وتغلب وعنز بني وائل، وتُكْمَة وهي أم غطفان بن سعد وأم سليم وسلامان ابني منصور، وجديلة وهي أم فهم وعدوان وإليها ينسبون، وعاتكة وهي أم عذرة بن سعد وإخوته - [جمهرة ابن حزم].

(2) فهو ابن مرّ بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر وهو جد من أعيان مضر في الجاهلية، قيل إن أمه نذرت إن هي ولدت ذكرا لتجعلنه خادما للبيت.. ثم ربطته عند البيت فمرت به وقد أصابه الحر فسقط فقالت: ما صار ابني إلا صوفة، فصار يسمى *صوفة* واشتهر بها بنوه بعده.

علا: أي عظم وعز، لأنها لهم من بين الناس[1]؛ ومنه قول الشاعر:

ولا يريمون في التعريف موقفهم حتى يقال أجيزوا آل صـــوفانا

وفي **القاموس**: الصَّوابُ آل صفوانا[2].

وأمُّ بني **مر بن أد** الذين ذكر: **الحوأبُ** (كجوهَر) بنت كلب بـن وبـرة، سمي بها الماء المعروف. **وقريع العرب**: سَيِّدهم وبـه عنـى كلـب بـن وبـرة، يعني أنه من ساداتهم.

وشُرْحَبِيلُ مِنْهُـــمُ ابْنُ حَسَنَهْ رَائِي الْفُتُوحِ لِلْعَتِيقِ فِي السَّنَهْ

---

(1) وإنما كانت لهم لأن أم جدهم الغوث بن مر بن أُدٍّ امرأة من جرهم، وكانت لا تلد فنذرت لله إن هي ولدت ابنا أن تَصدق به على الكعبــة عبدًا لها يخدمها ويقـوم عليهـا، فولـدت الغوث، فكان يقوم على الكعبة في الدهر الأول مع أخواله جرهم، فولي الإجازة بالناس من عرفة لمكانه الذي كان به من الكعبة ومكان أخواله جرهم، ثم وليها ولده مـن بعـده حتـى انقرضوا. فورثهم في ذلك بالقعدد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم. وكانت من بـني سـعد في آل صفوان بن الحارث، وكان صفوان هو الذي يجيز الناس ثـم بنـوه مـن بعـده حتـى كـان آخرهم الذي قام عليه الإسلام. وفي ذلك يقول أوس بن تميم بن مَغْرَاءَ السعدي:

لا يـبرح الناس ما حجوا معرَّفهم حتى يقال أجيزوا آل صفـــوانا

مجـــد بناه لنا قـــدما أوائلـــنا وأورثـــوه طوال الدهر إخوانا

(2) نص **القاموس**: "صوفة أبو حي من مضر وهو الغوث بن مُرِّ بن أُدِّ بن طابخة، كانوا يخدمـون الكعبة ويجيزون الحاجَّ في الجاهليـة، أي يُفيضـون بهـم مـن عرفـاتٍ، وكـان أحدهـم يقـوم فيقول: أجيزي صوفة، فإذا أجازت قال: أجيزي خِندِفُ، فإذا أجازت أذن للناس كلهم في الإجازة. أو هم قوم من افناء القبائل تجمَّعـوا فتشـبكوا تشـبك الصوفـة. وقـولُ الجوهـري: ومنه: حتى يقال أجيزوا آل صوفانا: وهْمٌ، والصـواب: آل صفوانا. وهم قوم من بني سعد بن زيد مناة، قال أبو عبيدة: حـتى يجوِّز القائم بذلك من آل صفوان" ـ [اهـ منه].

منهم: أي من الغوث، وشرحبيل هو ابن عبد الله بن المطاع[1]. **وحسنة** أمُّه، وهو قُرَشِي بالحلف، قديم الصحبَةِ، هاجر الحَبَشة هجرتها الثَّانية ثم هاجر المدينة. وكانَ من وجوه قُرَيش ومِن وُجوه الصَّحابة. قوله: **رائي الفتوح للعتيق في السِّنة**: **العتيق**: أبو بكر. والسِّنة: النوم؛ يعني أنه رأى في نومه الفتوح التي فتح أبو بكر وقصها عليه، فاستعمله على جيش من جيوشه إلى الشام، ثم ولاه عمر في خلافته على ربع من أرباع الشام إلى أن مات في طاعون عَمَوَاسَ سنة ثمان عشرة، وهو ابن سبع وستين سنة. هؤلاء بنو مر من غير تميم.

نسب تميم

أَمَّا تَمِيمُ فَهْوَ كَاهِلُ مُضَرْ   زَيْدُ مَنَاةٍ إبْنُهُ قَدِ انتَشَرْ

في الحديث: «تميم كاهل مضر وعليه الحملان»[2]؛ **والكاهل**: الحارك،

---

(1) ابن عمرو أو ابن عبد الله بن الغطريف بن عبد العزى بن جثامة بن مالك، اشتهر بالنسبة إلى أمه حسنة وهي مولاة لمعمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي.

(2) وفي *الكامل* للمبرد أن معاوية بن أبي سفيان قال للأحنف بن قيس وجارية بن قدامة ورجال معهما من بني سعد، كلاما أحفَظَهُم فردوا عليه جوابا مُقذِعًا؛ فلما خرجوا جاءته بنت قرظة، وكانت في بيت يقرب منه وقد سمعت كلامهم، فقالت: يا أمير المؤمنين لقد سمعت من هؤلاء الأجلاف كلاما تَلَقَّوْك به فلم تنكر فكدت أخرج إليهم فاسطو بهم. فقال لها: إن مضر كاهل العرب وتميما كاهل مضر وسعدا كاهل تميم وهؤلاء كاهل سعدٍ. وروي أن صعصعة بن ناجية، جد الفرزدق، دخل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم

<<=

والحملان: الحمل، وذلك لكثرتهم.

وبنو تميم لصلبه ثلاثة: **زيد مناة** ـ وهو أكثرهم قبائل، وذلك قوله: **قد انتشر**، أي كثرت قبائله ـ وعمرو والحارث.

ومن زيد مناة بنو سعد بن زيد مناة. ومنهم الاضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد، القائل لما أغضبه قومه فارتحل عنهم، فكل من نزل به لم يحمده، فقال: أينما أَذهَبُ ألقى سعدًا، أو قال: بكل وادٍ بنو سعد، أي الناس كلهم مثل بني سعد[1]، وهو القائل:

لكل هم من الهموم سعهْ	**والمسْيُ والصبح لا فلاح معهْ**
قد يجمع المال غيرُ آكله	**ويأكل المال غيرُ من جمعهْ**
فاقبل من الدهر ما أتاك به	**من قر عينا بعيشه نفعهْ**
وصل حبال البعيد إن وصل الـ	**ـحبل وأقصِ القريب إن قطعهْ**
لا تُهينَ الفقيرَ عَلَّك أن تَرْ	**كَعَ يوما والدَّهرُ قد رفَعهْ**

وأخوه جعفر بن قريع الملقب بـ"أنف الناقة" هو أبو الحي مِن بني أنف الناقة. وسبب تلقيبه به أن أباه نحر جزورا في سنة شهباء فبعثته أمه إليه فوجده قد قسمها بين نسائه إلا رأسها، فقال له: شأنك به فجعل عودا في

--- >>

فقال: «كيف علمك بمضر»؟ قال: يا رسول الله أنا أعلم الناس بهم: تميم هامتها وكاهلها الشديد الذي يوثق به ويحمل عليه، وكنانة وجهها الذي فيه السمع والبصر، وقيس فرسانها ونجومها، وأسد لسانها. فقال صلى الله عليه وسلم: «صدقت» ـ [سموط الذهب].

(1) يعني أنه لم يجد من أحد خيرا كما لم يجده من قومه بني سعد بن زيد مناة، فصار مثلا.

الأنف وجعل يسحبه بين الحي، فضحكوا منه وسموه أنف الناقة. وكان هذا الحي يكرهون هذا اللقب ويعيرون به، حتى مدحهم الحطيئة بقوله:

قوم هم الأنف والأذنابُ غيرهمُ ومن يسوي بأنفِ الناقة الذنبا؟

قوم إذا عقدوا عقدا لجارهـمُ شدوا العناج وشدوا فوقه الكربَا

فصاروا بعد ذلك يفتخرون به، وأجزلوا جائزة الحطيئة وأكثر في مدحهم وأحسن وأجاد[1].

مِن كَعْبِ ابْنِ سَعْدِهِ عُطَارِدُ مُقَاعِسُ وَمِنقَرُ الأَمَاجِدُ

يعني أن من قبائل زيد مناة أيضا ثم من بني سعد: بني عطارد وبني مقاعس وبني منقر (كمنبر). ويعني **بالأماجد** بني منقر، لأن فيهم شرفَ تميم.

ومن عطارد كَرِبُ بن صفوان الذي كان يُفيض الناسَ، بعد أن كان ذلك في بني الغوث فورثه منهم، قال الشاعر:

ولا يريمـون بالتعريف موقفهم حتى يقال أجيزوا آل صفـوانا

ومِن عُطارد ايضا أبو رجاء واسمه عمران بن عبد الله العطاردي، كان يقول: لم أر ناسًا أضل من العرب يجيؤونَ بالشاة البيضاء فيعبدونها فيأتي الذئب فيأكلها فيجيئونَ بأخرى، وإذا رأوا صخرة حسنة جاؤوا بها وصلوا إليها، وإن رأوا أحسن منها تركوها وجاؤوا بتلك يعبدونها. وقد

---

(1) راجع بعضه في ص: 400.

أسلم على عهد النبي ﷺ. ومات في خلافة هشام بن عبد الملك وهو ابن مائة وعشرين سنة. وقال فيه الفرزدقُ:

ألم تــر أن الناس مات كبــيرهم — وقد عاش قبل البَعْث بَعْثِ محمَّد[1]

وأما مقاعس فولده الحارث وعبيد.

ومن الحارث سلامة بن جندل الذي يقول:

أودى الشباب عجيبا ذو التعاجيب — أودى وذلك شأو غير مطلوب

ولّى حَثِيثاً وهـــذا الشيــب يتبعه — لو كان يُدركــه ركضُ اليعاقيب

إن الشباب الــذي مجد عواقبــه — فيهِ نَلَـــذُّ ولا لذات للشيــب

وأما منقر فهو ابن عبيد بن مقاعس. ولم يذكر الناظم رحمه الله أحدا لبني عطارد ولا لمقاعس إلا بني منقر، وصفهم بالمجد وذكر لهم رُؤساء؛ فقال رحمه الله:

قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ أَخُوهُمْ سُبِيَتْ — بِنتٌ لَـهُ وَخُيِّرَتْ إِذْ جُلِيَتْ

بَيْنَ أَبِيهَا وَالْحَلِيلِ السَّابِــي — فَاخْتَارَتِ الْحَلِيــلَ عَنْ إِيابِ

فَغَاظَــهُ ذَاكَ وَشَـــنَّ وَأْدَا — عَلَى بَنَاتِــهِ؛ وَسَــــنَّ إِدَّا

---

(1) ولم يغــن عنه عيــش سبعين حجة — وستـــين لما بات غير موسَّـــد

إلى حفــرة غــبراء يكره وردها — سوى أنها مثوى وضيع وســـيد

ولو كان طــول العمر يُخْلِد واحداً — ويدفــع عنــه عيــب عمر ممــدَّد

لكان الـــذي راحــوا به يحملونه — مقيما ولكـــن ليس حي بمُخلد

نـروح ونغـــدو والحتـــوف أمامنا — يضعن لنا فـخَّ الرَّدى كـل مرصد ..إلخ.

قوله **أخوهم**: يعني بني منقر، منهم قيس بن عاصم الذي قال فيه النَّبِيُّ ﷺ، حين قدم عليه في وفد تميم الذين نادوه من وراء الحجرات سنة تسع: «هذا سيدُ أهل الوبر».

قيس بن عاصم وسبب وأده لبناته

وقصة بنته أن بني تميم منعوا الاتاوة من النعمان بن المنذر، فبعث إليهم أخاه ريان بن المنذر فسبى منهم نسوة، منهن **بنتٌ لقيس بن عاصم**. فلما استرد بنو تميم نساءهم من النعمان خيَّر النساء بين من سباهن وبين الإيابِ ـ أي الرجوع ـ إلى أهلهن، فكل النساء اختارت أهلها إلا بنت قيس بن عاصم فإنها **اختارت** سابيها ريان بن المنذر عن الرجوع إلى أبيها؛ **فغاظ** ذلك قيسا على بناته **فشن** ـ أي صبَّ ـ عليهن **الوَأد**، وهو المعروف الذي ذُمَّتْ به الكفار؛ **فَسَنَّ** بذلك **إدًّا**، أي إثما عظيما.

ويفهم من هذا أنه أوَّل من وأد، وليس كذلك؛ إلا أن يكون أول من وأد من قومه[1]. أسلم قيس حين وفد على رسول الله ﷺ ، لكن قيل إنه

---

(1) وروي أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم إني وأدت ثماني بنات في الجاهلية، فقال: «اعتق عن كل واحدة منهن رقبة» فقال: إني صاحب إبل، قال: «اهد إن شئت عن كل واحدة منهن بدنة» ـ [سموط الذهب].

وفي *الإصابة* أن أبا بكر سأل قيس بن عاصم ما حمله على وأد بناته؟ فقال له: خشيت أن يخلف عليهن غير كفء. قال: فصف لنا نفسك. فقال: أما في الجاهلية فما هممت بملامة ولا حُمْتُ على تهمة ولم أُرَ إلا في خيل مغيرة أو نادي عشيرة أو حامي جريرة، وأما في الإسلام فقد قال الله تعالى ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾. فأعجب أبو بكر بذلك.

ارتد بعد ذلك وتبع سَجاح العنبرية، ثم أسلم وحسن إسلامه، وقال يهجو سَجَاح ومسيلمة الكذاب:

أضحتْ نبيتنا أنثى نطوفُ بها وأصبحت أنبياء الله ذُكْرانا

يا لعنة الله والأقوام كلهم على سجاح ومن بالكفر أغرانا

أعني مسيلمةَ الكذاب لا سُقيت أصداؤه ماءَ مزن حيثما كانا

وهو ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية. وسبب ذلك أنه يوما غمز بنته وهو سكران، وسبَّ أبويه، ورأى القمر فتكلم بما لا يليق، وأعطى الخمار مالا كثيرا. وكان مشهورا بالعقل والحلم؛ ومما قال في الخمر:

رأيت الخمر صالحةً وفيها خصالٌ تفسد الرجل الحليما

فلا والله أشربها صحيحا ولا أشفي بها أبدا سقيما

ولا أعطي بها ثمنا حياتي ولا أدعو لها أبدا نديما

فإن الخمر تفضَحُ شاربيها وتجنيهم بها الأمر العظيما

قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من خالي قيس بن عاصم؛ رأيته يوما بفِنَاءِ بيته يحدث قومه محتبيا بحمائل سيفه إذ أتي برجل مكتوف ومعه آخر مقتول، فقيل له: هذا ابن أخيك قتل ابنك، فوالله ما قطع كلامه ولا حل حبوتَهُ، فلما أتمه التفت إلى ابن أخيه وقال له: بئسما فعلت يا ابن أخي أثمت بربك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك؛ ثم قال لابن له آخر: قم يا بني حل كتاف ابن عمك ووار أخاك وسُقْ مائة ناقة إلى أمك دية ابنها، فإنها غريبة؛ ثم قال:

أقول للنفس تأساء وتعزية إحدى يدي أصابتني ولم تُرد

كلاهما خلف عن فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

ولَّما حضرته الوفاة قال: لا تنوحوا علي، فإن رسول الله ﷺ لم يُنح عليه(1).

وَأيْنَ مُحْيِيهِنَّ مِنْهُ: صَعْصَعَهْ   جَدُّ الْفَرَزْدَقِ الذي قَدْ رَفَعَهْ

قوله **وأين محييهن**: أي ما أبعده منه في الفضل، يقال أين فلان من فلان، إذا كان أفضل منه أو كان على عكسه، لأن هذا أماتهن وذلك أحياهن؛ وتقدم سبب إماتة قيس لهن.

صعصعة بن ناجية وإنقاذه للموءُودات

وأما سبب إحياء **صعصعة** لهن أنه أضل ناقتين فخرج في طلبهما، فبينما هو يسوقهما إذْ رُفع له بيت، فوجد أهله يئِدون جارية فاشتراها منهم بالناقتين والجمل الذي كان ينشد عليه الناقتين. ثم لم يزل يشتري الموءودات بمثل ذلك إلى أن اشترى منهن كثيرا فردهن إلى أهلهن. فلما أسلم سأل النبي ﷺ هل ينفعه ذلك؟ فقال: «لا».

(1) ودعا بنيه وقال لهم: يا بني احفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني، إذا مت فسوِّدوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم وتهونوا عليهم، وعليكم بإصلاح المال فإنه مَنْبَهَة للكريم ويستغنى به عن اللئيم، وإياكم ومسألة الناس فإنها آخر مكسب الرجل. ورثاه عبدة بن الطبيب بقوله:

عليك سلام الله قيس بن عاصم   ورحمته ما شاء أن يترحما

تحية من أوليته منك نعمة   إذا زار عن شحط بلادك سَلَّما

فما كان قيس هلكه هلك واحد   ولكنه بنيان قوم تهدَّما

ويقال إن هذا البيت أرثى بيت قالته العرب.

وصعصعة هو ابنُ ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع. والفرزدق بن غالب بن صعصعة، وكان يفتخر بإحياء صعصعة للموءودات لأنه رفعه في الجاهلية؛ يقول مفتخرا على جرير في قصيدة[1]:

ومنا الذي منع الوائدات وأحيَا الوئيد فلم يوءد

وقوله **قد رفعه**: أي رفع صعصعة إحياؤه للموءودات، ويحتمل: رفع الفرزدق على جرير جده صعصعة، لأنه كان يفتخر به عليه.

مِنِ ابْنِ عَاصِمٍ تَعَلَّمَ الأَدَبْ وَالْحِلْمَ الاَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَذرِبْ

يشير إلى ما قدمنا قريبا في الكلام على قيس من قول الأحنف: تعلمت الحلم من خالي قيس.. إلى آخره[2]. قوله: **وذرب**: أي حمل عنه الذرابة، أي

---

(1) **ألم تر أنا بني دارم زُرارة منا أبو مَعبَدِ**
ومنا الذي منع ... إلخ.. وبعده:
ألسنا بأصحاب يوم النسار وأصحاب ألوية المِربَدِ
ألسنا الذين تميم بهم تُسامي وتفخر في المشهد
وناجية الخير والأقرعان وقبر بكاظمة المورد
ومجد بني دارم دونه مكان السماكين والفرقد

(2) أي آخر كلامه الذي مر آنفا، وكان يقول: لست بحليم ولكنّي أتحلَّم، ويقول - إذا عجبَ الناس من حلمه - : إني لأجد ما تجدون ولكنّي صبور، وسئل عن الحلم ما هو؟ فقال: هو الذل مع الصبر، وكان يقول: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال، ويقول: فيَ ثلاث خصالٍ ما أقولهنَّ إلا ليعتبر فيَّ معتبر؛ ما دخلتُ بين اثنين قط حتى يُدخِلاني بينهما، ولا أتيتَ باب أحد من هؤلاء ما لم أدع إليه - يعني الملوك - ولا حللت حبوتي إلى ما يقوم الناس

<<=

الفصاحة والبلاغة.

الأحنف بن قيس وحلمه

وذكر هنا الأحنف بن قيس وليس من منقر، ولكن من مرة بن عبيد — أخي مِنقر بن عبيد ـ للمناسبة بينه وبين قيس بن عاصم في الحلم والعقل والأدب. واسم **الأحنف**: الضحاكُ، وقيل صخر وكنيته أبو بحر؛ وكان في رجليه حنف فادح وبه لقب، وكانت أمُّه ترقصه وتقول:

والله لولا حنف في رجله ... ما كان في رجالكم من مثله

وهو ابن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال، وأمه[1] من باهلة. أدرك الإسلام ولم ير النبي ﷺ وحبسه عمر بالمدينة سنة ثُمَّ قال له: ما حبستك إلا لأعلم هل أنت بريء من النِّفاق فوجدتك بريئًا منه. ورُوي أنه اشتكى إليه رجل وجع الضرس فأعرض عَنْهُ فاشتكى إليه، فقال له: يا أخي لي ثلاثون سنة وأنا فاقد البصر من إحدى عيني ولم أُشعر بذلك أحدا (يأمرهُ بالكتمان للمرض). وكان يقول: ما طَلَبْتُ شيئا قط إلا أُعطِيتُهُ، فقيل له: ولم ذلك؟ فقال: لأني لا أسأل مستحيلا.

>> - -

إليه. ومن كلامه: ألا أدلكم على المحمدة بلا مرزأة الخلق السجيح، والكف عن القبيح، ألا أخبركم بأدوإ الداء: الخلق الدنيئ واللسان البذيئ، ويقول: ما ادخرت الآباء للأبناء ولا أبقت الأموات للأحياء أفضل من اصطناع معروف، وقال كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروءة ومن لزم شيئا عرف به.

(1) حُبَّى بنت قرظ الباهلية.

وذكر أبو العباس المبرد في الكامل في باب جامع الأخبار أن الأحنف تحمل الحمالات بين تميم وبين بني شيبان، فجعل يجمعها للناس، فذُكر له حي من تميم بنجد فأقبل إليه، فأناخ عند شيخ كُبَّار فسأله عن شأنه فأخبره، وسأله عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعن عمر. فلما أصبح أعطى مائة عقال لمائة راع كلهم أمره أن يعقل له ناقة، ولم يعلم الشيخ من أي تميم، ولم يسأل الشيخ الأحنف من أي تميم هو.

ولا تحصى مناقب الأحنف، ومنها الشجاعة؛ لما استنجد يزدجردُ خاقان ملكَ التُّرك، لتدمير المسلمين للفرس، قال خاقانُ: أنا بريء من الظلم ولكن لا يستنجدني أحد إلا أنجدته، فأعطاه جيوشا؛ فساروا فلما دخلوا العراق سمع بهم المسلمون فشق عليهم ذلك. وكانت عادتهم أن أشجعَهم يأخذ طبلا فيتقدم به فيأتي إلى مكان مرتفع فلم يزل يضربه حتى تأتيه الجيوش؛ فسمع المسلمون طبلين لهم كل واحد في مكان، فانسلَّ الأحنف من بين الناس ولم يشعر به أحد فأقبل نحو أَحدِ الطبلين فأتى صاحبه فقتله وكسر طبله وساق فرسه وأقبل نحو الآخر ففعل به مثل ذلك، وصبَّح فرسيهما عند المسلمين؛ فبعث جنودُ الترك إلى خاقان بذلك فقال: إني لأعلم أن أولئك لا يُغلبون لمطاوعتهم لنبيهم، وأيضا بلغني أن نبيهم نهاهم عنا ما تركناهم؛ فاسترد جنوده.

وقوله:

وَهْوَ حَفِيدُهُ وَالاَهْتَمَ هَتَمْ ... وَالِدَ عَمْروٍ ابْنِ عَمِّهِ الْخِضَمّْ

وهو: أي الأحنف، **حفيده**: أي قيس بن عاصم؛ وفيه نظر، لأن أم الأحنف

من باهلة ــ كما قدمنا ــ إلا أن يكون الناظم رحمه الله بنى على قول الأحنف: تعلمت الحلم من خالي قيس بن عاصم. لأن من كان له خال يكون هو حَفِيدُه، اللهم إلا أن تكون للأحنف خؤولة في بني منقر، فهي التي يعني، لأن قيسا سيدُهم بل سيدُ أهل الوبر كما قال صلى الله عليه وسلم، وكما قال الشاعر يرثيه:

عليك سلام الله قيسُ بن عاصم ورحمَتُه ما شاء أن يترحما

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدَّما

قوله **والأهْتَمَ هَتَمْ**: أي هتم قيسُ الأهْتَم أبا عمرو بن الأهتم، ضربه بقوس فهتمه، أي كسر ثنيته؛ وفي القاموس أنه هُتم يوم الكُلاب. واسم الأهتم سنان بن خالد[1]. وقوله **ابن عمه**: يعني أن عمرو بن الأهتم ابنُ عم قيس بن عاصم. وقوله **الخصم**: يعني عمرو بن الأهتم، وكان يضرب به المثل في البلاغة والشعر والجمال والجود. ومن بلاغته ما قال فيه النبي ﷺ: «إن من البيان لسحرا»، وذلك أنه سأله عن الزبرقان بن بدر، حين وفدا عليه في وفد تميم، فقال عمرو: الزبرقان مطاع في أذينه[2]، شديد العارضة في قومه، مانع لما وراء ظهره. فقال الزبرقانُ: يا رسول الله إنه ليعلم مني أكثر من ذلك ولكنه حسدني. فقال عمرو: أما الزبرقان فزَمِرُ المروءة،

---

(1) بن منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن زيد مناة بن تميم التميمي المنقري.

(2) الأذين (بوزن أمير): النداء، يعني أنه إذا نادى قومه لحرب أو نحوها أطاعوه. وفي رواية: مطاع في أَدْنَيْه. والأدنون: جمع الأدنى: بمعنى الأقرب.

ضيق العَطن[1]، لئيمُ الخال أحمق الولد. ثم قال: وا لله ما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الثانية، ولكني رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبحَ ما علمت. فقال صلى ا لله عليه وسلم: «إنَّ من البيان لسحرا[2]». وكان يدعى المكمل لجماله. ومن شعره[3]:

ومستنبح بعد الهدوء دعوته ... وقد حان من ساري الشتاء طُرُوقُ

إلى أن قال:

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ... ولكن أخلاق الرجال تضيقُ[4]

مَيَّةُ مِن قَيْسٍ وَذُو التَّميمَةِ لِفَزَعٍ عَلَّقَهَا بِرُمَّةِ لأُدٍّ؛ إلاَّ أَنَّهُ أَشْعَارُهُ مُشْعِرَةٌ أَنَّ تَمِيمًا دَارُهُ

---

(1) زمر المروءة: أي قليلها، وضيق العطن كناية عن البخل.

(2) رواه البخاري.

(3)
ذَرِيني فإنَّ البخلَ يا أمَّ مالكٍ ... لصالح أخلاق الرجال سَرُوقُ
ذريني وحظي في هواي فإنني ... على الحسب الزاكي الرفيع شفيق
ذريني فإني ذو فَعَال تُهمُّني ... نوائبُ يَغشى رزؤها وحقوق
وكل كريم يتّقي الذم بالْقِرى ... وللحقِّ بين الصالحين طريقُ
ومستنبحٍ بعد الهدوء.. إلخ.

(4) وله أيضا:
ألم تر ما بيني وبين ابن عامر ... من الود قد بالت عليه الثعالب
فأصبح ما في الود بيني وبينه ... كأن لم يكن، ذا الدهر فيه عجائبُ!
إذا المرء لم يحببك إلا تكرُّهًا ... بدا لك من أخلاقه ما يغالب

مية: هي بنت بلال بن طُلبة بن قيس بن عاصم، وتكنى أمَّ ثور. **والرمة** (بالضم وتكسر): قطعة من حبل، وبها لقب هذا الشاعر واسمه غيلان بن عقبة بن نهيش (كزبير، بنون وهاء آخره شين معجمة) ابن مسعود بن حارثة. واختلف في سبب هذا اللقب، فقيل إنه كان به فزع وهو صغير فكتبت له تميمة[1] فعلقت عليه بقطعة حبل، وقيل إنه أول يوم رأى فيه مية أنه كان في رهط فرفعت لهم بيوت، فمال إليها ليشرب فأتى بيتا فيه امرأة ومعها جارية، فاستسقى المرأة ماءً فقالت للجارية اسقيه يا مية فجاءته بماء، وكانت على كتِفه قطعة حبل، فقالت: اشرب يا ذا الرمة؛ وكانت قد سلبته منذ رآها، فخرج وهو يقول[2]:

قد عجبت أخت بني لبيد وهزأت مني ومن مسعود
رأت غلاميْ سفر بعيد يدَّرِعَان الليل ذا الصرود
مثل ادِّراعِ اليلمق الجديد

ثم كان من أمره ما كان، حتى ضرب به المثل، وسمي بها. وتشبب

---

(1) قوله: كان به فزع: هو بالفاء والزاي وقيل قرع بالقاف والرَّاء. والتميمة: واحدة التمائم أي التعاويذ.

(2) **هل تعرف المنزل "بالوحيد" قفراً محاه أبد الأبيد**
والدَّهْرُ يُبْلي جِدَّة الجديد لم يبق غير مُثَّلٍ ركود
غير ثلاث باقيات سود وغير مشجوج القفا موتود
فيه بقايا رمَّة التقليد

إلى أن يقول: **قد عجبت أخت بني لبيد..** إلخ.

(ومشجوج القفا: الوتد يدقُّ رأسه. ومسعود: أخ لذي الرمة).

أيضا بنسوة أخر، منهن خرقاءُ امرأة من بني البكاء[1]، وهم من بني عامر بن صعصعة. وذكره الناظم رحمه الله هنا تبعا لذكر مية، وحقه أن يذكر في نسبه، وهو الرِّبَاب.

ومنهم منقر أيضا: مَنازِل بن ربيعة، وهو الذي يقال له اللعين، سمي بذلك لأن عمر سمعه ينشد والناس يصلون فقال: من هذا اللَّعين؟ فعلق به ذلك اللقب؛ وهو شاعر، ومن شعره يهجو رؤبة:

أَبا الأَرَاجِيزِ يا ابن اللؤم توعدني ... وفي الأراجيز خلت اللؤمُ والخورُ[2]

---

(1) قال المفضل الضبي: كنت أنزل في بعض الأعراب إذا حججت فقال لي يوما: هل لك في خرقاء صاحبة ذي الرمة؟ قلت: بلى، فتوجَّهنا نريدها فعدل بي عن الطريق بقدر ميل، فإذا أبيات فقرع منها بيتا فخرجت إلينا منه امرأة حسناء بها قوة فتحدثنا معها طويلا فقالت: أحججت قبل هذه؟ قلت: بلى، قالت: فما منعك من زيارتي أما علمت أني منسك من مناسك الحج؟ قلت: وكيف ذلك؟ قالت: أما سمعت قول ذي الرمة:

تمام الحج أن تقف المطايا ... على خرقاء واضعة اللِّثام

(2) ويحكى أنه اعترض الفرزدق وجريرا وقال لهما:

سأقضي بين كلب بني كليب ... وبين القين، قين بني عقال

بأن الكلب مرتعه وخيم ... وأن القين يعمل في سِفالِ

فلم يجبه أحد منهما، فقال:

فما بُقْيَا عليَّ تركتماني ... ولكن خفتما صَرَدَ النِّبال

فدونكما انظرا أهجوتُ أم لا ... فذوقا في المواطن من نبال

وما كان الفرزدق غير قَيْنٍ ... لئيم خاله للؤم تالي

ويترك جده الخطفى جرير ... ويَندب حاجبا وبني عِقال

فلم يلتفتا إليه فسقط. وكان اللعين هذا هجاء للأضياف من ذلك قوله:

<<=

ومنهم أيضا أبو العلاء المنقري، كان صديقا لذي الرمة، فلما مات ذو الرمة صادقه أخوه.

ومنهم الحارث بن شريح، كان مع قيس بن عاصم وعمرو بن الأهتم في وفد تميم إلى النبي ﷺ حين نادوه من وراء الحجرات ففاخروا وأسلموا وأحسن النبي ﷺ جوائزهم.

ومنهم القُلاخ بن جَناب القائل:

أخا الحرب لباسا إليها جلالها وليس بولاج الخوالف أعقَلا

وهو القائل أيضا:

أنا القُلاخ بن جناب بن جلا أبو خناثير أقود الجملا

(والخناثير: الدواهي)[1].

ومن بني مرة بن عبيد، أخي منقر، قبيلُ الأحنف بن قيس ـ وليس الأحنف من منقر وإنما هو من إخوتهم بني مرة بن عبيد ـ ومنقر بن عبيد.

>> - -

وأبغض الضيف ما بي جُل ماكله إلاّ تنفُّجُه عندي إذا قَعَدَا

ما زال ينفج كَتْفَيْهِ وحبوته حتى أقول لعلّ الضيف قد وَلَدَا!

(1) وله أيضا:

سقى جدثا وارى أريبَ بن عسعسٍ عن العين غيثٌ يسبق الرعدَ وابلُه

مُلث إذا ألقى بأرض بعاعه تعمَّد سهل الأرض منه مسائلُه

وذي تَدرإٍ ما الليث في أصل غابه بأشجع منه عند قِرنٍ ينازله

قبضت عليه الكف حتى تقيدَه وحتى يفي للحق أخضع كاهله

فتى كان يستحيي ويعلم أنه سيلحق بالموتى ويُذكر نائله

ومن مرة ـ غير الأحنف ـ جارية بن قدامة، الصحابي، يقال له المحرق، لأنه حرق دارا على ابن الحضرمي وأصحابه، وهم سبعون؛ بعثهم معاوية إلى أهل الكوفة يحرضهم على غزو علي فحرق عليهم دارا من دور الكوفة. ومنهم الفقيه أبو بكر الابهري. ومنهم سيدُنا خباب بن الأرتِّ، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله في ذكره في قريش.

مِن مَّالِكِ بْنِ سَعْدِهِ الرَّبَائِعُ حَنظَلَةُ وَمِنْهُمُ اليَرَابِعُ

سعده: أي سعد بن زيد مناة بن تميم. **والربائع:** جمع ربيعة وهم: ربيعة الجوع بن مالك بن سعد، وربيعة الوسطى بن حنظلة بن مالك، وربيعة الصغرى بن مالك بن حنظلة بن مالك؛ كلهم عم الآخر. ومثلهم في ذلك الثعالب كلهم عم الآخر: ثعلبة بن روْمان، وثعلبة بن ذهل بن روْمان، وثعلبة بن جدعان بن ذهل بن رومان.

قوله **ومنهم اليرابع:** أي من حنظلة، لأن يربوعا: ابن حنظلة، أخو ربيعة الوسطى؛ ويقال لبني حنظلة هؤلاء حنظلة الأكْرَمون.

وَهْيَ كُلَيْبُ ورِيَاحُ، ثَعْلَبَهْ، غُدَانَةُ وعَنبَرُ ذُو المَثْلَبَهْ

وهي: أي اليرابع: **كليب** بن يربوع، **ورياح** بن يربوع، **وثعلبة** بن يربوع، **وغدانة وعنبر** ابنا يربوع.

ومن بني يربوع واقد بن عبد الله الصحابي، حليف آل الخطاب، أول من قاتل في سبيل الله؛ قَتل عمرو بن الحضرمي في سرية عبد الله بن جحش آخر يوم من رجب بنخلة، وهو موضع بين مكة والطائف. وفي ذلك يقول أبو بكر رضي الله عنه، وقيل عبد الله بن جحش:

تعُدُّونَ قَتْلَى في الحـــرام عظيمة   وأعظمُ منها لو يَرى الرشد راشد
صـــدودُكُمُ عمَّا يقـــول محمد   وكفرٌ به وا لله راءٍ وشاهـــــدُ

ومنها:

سقينا من ابن الحضرمي رماحَنا   بنخلة لما أوقد الحــــرب واقدُ
دما وابن عبـــد ا لله عُثمانُ بيننا   ينازعه غِـــل من القِدِّ عانـــد

أسلم قبل دخول دار الأرقم وشهد بدرا وما بعدها وتوفي في خلافـة عمـر رضي ا لله عنهما.

ومـن يربـوع أيضـا ابنـا نويـرة: مـالكٌ ومتمـم (كمُعَظَّـم، وقـال ابـن خلكان: كمُحَدِّث)؛ بعثهما النبي ﷺ على صدقات قومهما. وكان مـالك من سادات تميم فلما سمع بوفاة رسول ا لله ﷺ فرق الصدقات على قومـه، فبعث أبو بكر خالدَ بن الوليد يقاتل أهلَ الردة، وكان يُبَيِّتُ الحي فإذا سمع فيهم الأذان عدل عنهم وإذا لم يسمعه أوقع بهم؛ ولم يسمعه بالحي الـذي منهم مالك، فكان يكلمه ويقول له مالك: قال صاحبك وتوفي صاحبك ـ يعني رسول ا لله ﷺ ـ فقال له خالد: أو ليس بصاحبك يا عدوَّ ا لله؟ فـأمر ضرارَ بن الأزور فقتله، وفي ذلك يقول متمم:

نعم القتيل إذا الرياح تناوحـــت   خَلْفَ البيـوت قتلتَ يا ابن الأزور
أدَعَوْتَـــــهُ با لله ثم غدرتـــــه؟   لو هُو دعاك بذمةٍ لم يغـــدر[1]

(1) لا يضمـر الفحشاء تحـت ردائه   حلـــوٌ شمائلـــه عفيـف المئـزر
ولنعمَ حشْوُالـدِّرْع يـوم لقائـه   ولنعـم مأوى الطـارق المتنَـــوِّرِ

يقال إن خالدا تزوج امرأته ـ أم متمم ـ وبنى بها تلك الليلة، فقال عمر لأبي بكر: ارجم خالدا، فقال: إن كان خالدٌ لمتأولا؛ أي ما كان خالد إلا متأولا (إنْ نافية واللام بمعنى إلا، على حد ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[1] على أحد التأويلين). وشهد على إسلام مالك رجلان من الأنصار: ثابت بن قيْس وعباد بن بشر، لا ترد شهادتهما وخالد سيف الله سَلّه على أعدائه.

ومن مراثي متمم لمالك قوله، وقد تزوج امرأة من الأنصار فلم يتوافقا:

أقـول لهندٍ حين لم أرض فعلها	**أهـذا دلال الحب أمْ فِعْلُ فارك**
أم الصرم تختارين ؟ كلُّ مفارق	**يسيرٌ علينا فقْـدهُ بعد مالك**[2]

وقال له عمر رضي الله عنه[3]: ودَدت أني رثيت أخي زيدا بمثل ما

---

(1) الطارق: 4.

(2) ومنها:

لقد لامني عند القبور على البكا	**رفيقي لتذراف الدموع السوافك**
أمـن أجل قبر بالفلا أنت نائح	**على كل قبر أو على كل هالك؟**
فقال أتبكـي كـلَّ قبر رأيتـه	**لقبر ثوى بين اللوى فالدَّكادِكِ؟**
فقلت له إنَّ الشجا يبعث الشجا	**فدعـني، فهـذا كله قبر مالك!**
ألم تـره فيـنا يقسـم مالـه	**وتاوي إليه مرمـلات الضرائك**

(والضرائك: الفقراء والسيئو الحال).

(3) حين سمعه ينشد مرثيته وقد بلغ قوله:

وكُنّا كندماني جذيمـة حقبـة	**من الدَّهـر حتى قيل لن يتصدَّعَا**
فلما تَفَـرقْـنا كأنّي ومالكا	**لطـول اجتماع لم نبت ليلة معا**

قال له: هذا والله التأبين ولوددت..إلخ..

رثيت به أخاك، فقال له متمم: لو علمت أن أخي صار إلى ما صار إليه أخوك ما رثيته. وقال في مدحه نثرا: "كان أخي يركب الجمل الثَّفَالَ بين مزادتين غير معتدلتين في ليلة باردةٍ وهو يقود الفرس الجرُورَ وعليه الشَّمْلة الفَلُوتَ[1] ويُصبح يبتسم".

ومَّا يحكى عن مالك أنه أسر له أسير فقدم على الحي الذين أسروه، وهم لا يعرفونه، فلم تبق امرأة منهم إلا تطلعت لرؤيته لجماله؛ فأناخ بالبيت الذي عنده الأسير فاجْتمع إليه الناس فلم يَزلْ يحدثهم ويتعجبون من حسنه وحسن حديثه، فلما أحضروا الغداء نظر إلى الأسير فقال: من هذا؟ قالوا: أسير، قال: حلوه حتى يأكل معنا، فأطلقوه فأكل معهم ثم أرادوا أسره فقال: أفٍّ له! إنه قد أكل معنا فصار منا، فكان ذلك تسريحا له.

ومن **كليب** بن يربوع جرير بن عطية بن الخطَفَى، مهاجي الفرزدق والراعي والأخطل وغيرهم.. رُوي أنَّه سأله رجل: من أشعر الناس؟ فدعا أباهُ عطية فخرج إليه واللبن يسيل على لحيته، فقال: هذا ضنَّ أن يمس لبن العنز الإناء فكان يحلبها في فيه، وأشعر الناس مَن هذا أبوه. وأفحم سبعين

(1) الثَّفَال (كسحاب): البطيء الذي لا يكاد ينبعث. والمزادة: القربة، قال أبو منصور: المزاد - بغير هاء - هي الفردة التي يحتقبها الراكب برحله، وأما الراوية فإنها تجمع المزادتين يعكمان على جنبي البعير وكل واحدة منهما تسمَّى مزادة؛ وتكون المزادة من جلدين ونصف وثلاثة جلود لتتسع؛ سميت بذلك لمكان الزيادة. والفرس الجرور: الذي لا يكاد ينقاد مع من يجنبه إنما يجر الحبل. والشَّمْلَة: كساء أو مئزر يتشح به. والفَلُوتُ: التي لا ينضم طرفاها لصغرها أو التي لا تثبتُ على صاحبها للينها أو خشونتها.

شاعرًا. وكان هو والفرزْدق على مهاجاتهما يصطحبان كالمتصادِقَيْن لا عداوة بينهما ولا شحناء ويهجو أحدهما الآخر وهو معه في مجلس ويضحكان!. ومن ذلك أن جريرا كان يهجو الراعِي بقَصِيدته التي وضع بها نميرا، فلما انتهى إلى قوله: **ترى برصًا بمجمع اسكتيْها**، وكان الفرزدق جالسًا فغطّى عنفقته، فقال جرير: **كَعَنفة الفرزْدق حين شابا**، فخرج الفرزدق يضحك ويقول: اللهم اخزه. ومن شعره في عبد الملك، يخاطب أمَّه:

ثقي با لله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

إلى أن قال:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطونَ راحِ

فقال له عبد الملك: أيرضي أمَّك يا جرير مائةُ بكرة من إبل كلب سود الحدق؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين ولكن من يرعاها؟ فقال: غلامان أو غلام وجارية، وزاده قدحا من ذهب.

ولما مات الفرزدق رثاه بقوله:

لعمري لئن كان المخبر صادقا لقد عظمت بلوى تميم وجلت
فَلاَ حَملت بعد الفرزدق حُرَّة ولا ذات حمل من نفاس تعلت

فقيل له: أترثيه وقد هاجاك أربعين سنة؟ فقال: وا لله ما تسابَّ رجلان ولا تناطح كبشان فمات أحدهما إلا وتبعه الآخر عن قريب. فمات بعده بأربعين يوما.

ومن رياح سحيمُ الشاعر القائلُ:

أنا ابن جلا وطلاّعُ الثنايا متى أَضعِ العمامة تعْرفُوني
وإن مكاننا لبني نمير مكان الليث في وسَط العرين

ولو أنا عـلى حجـــر ذُبحنا جـرى الدميان بالخبر اليقين
دعـي ما ذا عَلِمْــتِ سأتّقيهِ ولكـــن بالمغيَّــب نَبِّيِــني

وقيل إنَّ سُحيمًا عبد حبشي اشْتَرَاه عبـد ا الله بـن أبـي ربيعـة لعثمـان، فقال له: لا تفعـل، فـإنك إن أدنيتـه وقربتـه تشبب بنسـائك وإن باعدتـه وخوفته هجاك؛ فرده لأهله. ثم انه هوي بنت مولاه فقال فيها:

عمـيرة ودِّعْ إن تجَـهَّزتَ غاديا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا
تُوسـدني كفا وتُثني بمعصـم علي وتحُـني رجلـها من ورائيا
وهبـــت شمالٌ آخر الليل قرةٌ ولا ثـوب إلا دِرعـها وردائيا
وما زال ثـوبي طيبا من نسيمها إلى الحول حتّى أنهَـجَ الثّوب باليا

وأمَّا **ثعلبة** بن يربوع فهم الذين يعني جرير بقوله:

أثعلبـــةُ الفــوارس أم رياحٌ عـدلـــت بهم طهية والخشابا

ومنهم طليحة بن أقرم القائل:

كرب القلب مـن جواه يذوب حين قال الوشاة هند غَضُـوبُ

وأما **غُدانة** (بضم الغين) بن يربوع فهم الذين يعني الشاعر بقوله:

بني غدانـــة ما إن أنتُـمُ ذهبا ولا صريفا ولكن أنتم الخزف[1]

سجاج وخبر تنبئها مع مسيلمة

وأما عنبر بن يربوع، أهل **المثلبة**، فمنهـم سـجاح بنـتُ الحـارث، وقيـل

---

(1) ويقول فيهم الأبيرد بن المعذر بن قيس اليربوعي الرياحي من أبيات له:

ألا ليــتحظّي من غدانــة أنها تكـــــونكفافا لا علـيَّ ولا ليا
أبى ا للهُ أن يَهـدي غدانـة للهُدى وأن لا تكون الدهـــر إلا مَواليا

بنت أوس؛ والمثلبة[1] هي تنبُّؤ أختهم واتباعهم لها. وتبعها كثير من تميم وأخْوالها من تغلب وغيرهم من ربيعة؛ تنبأت في زمن مسيْلمة ثم أسلمت في زمن معاوية وحسُن إسلامها.

فلما تبعها من تبعها قصدت إلى مُسيْلمة إذ سمعت به، وسجعت في ذلك أساجيع، فلما أتته قال لها: أبعدي أصحابك، ففعلت. فضرب لها قبة عظيمة وطيَّبها بالبخور واجْتمعا فيها وقال لها: ما أوحي إليك؟ فقالت له: ما أوحي إليك أنت؟ قال: *ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى، أخرج منها نسمةً تسعى، من بين صفاق وحشا*. قالت أيضا: وما أنزل إليك؟ قال: *إن الله خلق للنساء أفراجا، وجعل الرجال لهن أزواجا، فيولجون فيهن إيلاجا، ثم يخرج ما يشاء منهن إخراجا، فَيُنتجن لهم نتاجا*. فقالت: أشهد أنك نبي! فقال لها: هل لك أن أتزوجك؟ قالت: نعم، قال: فقد جعلت صداقك صلاة العتمة وصلاة الصبح أضعهما عن أصحابك وأصحابي، ثم قال لها: هل لك أن أرتجز؟ قالت: نعم، فقال:

ألا قومي إلى النَّيْكِ فقد هنأ لك المضجعْ
فإن شئت ففي البيت وإن شئت ففي المخدع
وإن شئت سلقناك وإن شئت على أربع
وإن شئت بثلثيه وإن شئت به أجمعْ

فقالت: بل به أجمع، فهو للشمل أنفع. قال: وبذلك أوحي إلي! فأقامت

---

(1) المثلبة: العيب ويعني بها هنا تنبُّؤ أختهم.. الخ

عنده ثلاثة أيام ثم انصرفت إلى قومها.

ومن **العنبر** بن يربوع أيضا الخشخاشُ بن الحارث العنبري، له ولبنيه الثلاثة صحبة، ورُوي عنه قال: أتيت النبي ﷺ ومعي ابني فقال: «لا تجني عليه ولا يجني عليك»[1]. ومنهم أيضا ذُؤيْبُ بن شَعْثَنٍ - أو شَعْثَمٍ - كان اسمُه الْكَلاَّحُ فَسمَّاهُ النبي ﷺ ذؤيبا - وكان له ذؤابة طويلة - ويكنى أبا رُديح، نزل البصرة.

مِنَ الْحَنَاظِلِ الْخِشَابُ دَارِمُ طُهَيَّةُ أَخُوهُمُ الأَلاَئِمُ

الحناظل: جمع حنظلة، يعني القبائل؛ أي من قبائل حنظلة بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم: **دارمٌ** وقبيلات **الخشاب** و**طهية**. **أخوهم**: أي أخو الخشاب ودارم، بنو مالك بن حنظلة[2]. **والألائم**: جمع لئام[3]. أما **الخشاب** فثلاث قبائل، وهم: ربيعة ورزام وكعب، ويقال لبني كعب *ذئابُ الغضا*. وأما **دارم** فاسمه بحر بن مالك، وسمي دارما لأن أباه أتاه قومٌ من العرب في

---

(1) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد.

(2) لمالك بن حنظلة هذا أحد عشر ولدا هم: دارم، وبنو طهية الثلاثة: الأسود وعوف وحبيش بنو مالك، والخشاب وهم: ربيعة ورزام وكعب بنو مالك، وبنو العدوية وهم: زيد والعداء ويربوع بنو مالك.

(3) وهو جمع لئيم قال الشاعر:

لكل كريم من الألائم قومه على كل حال حاسدون وكُشَّحُ

ووصف به بني طهية وجمع الوصف باعتبار أفراد بني طهية، وطهية (كسمية) أمهم، وهي بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

حمالة فناداه يا بحرُ إيتني بخريطة المال فأتاه بها يدْرِم تحتها، أي يقارب خطوه في عجلة. وأما **طُهية** فهم: الأسود وعوف وحبيش بنو مالك بن حنظلة، عرفوا بأمهم طهية بنت عبد شمس.

وقوله: **الألائم**: يشعر بإعراضه عن ذكر أحد من طُهية الخشاب.

ومن بني حنظلة بن مالك: بنو العدوية، منهم يعلى بن أمية بن أبي عبيد؛ ويقال له ابن مُنْيَة[1]، وهي أم أبيه حضنتهُ فنسب إليها. أسلم عام الفَتْح هو وأبوه، قال أبوه أمية لرسول الله ﷺ: يا رسول الله بايعنا على الهجرة. فقال: «لا هجرة بعد الفتح»[2]. وشهد يعلى حنينا والطائف وتبوك؛ استعمله أبو بكر ثم عمرُ ثم عثمان، وكان عظيم الشأن عند عثمان فقام في نصرته جدا، أعان الزبير بأربعمائة ألف وحمل سبعين رجلا من قريش واشترى "العسكر" لعائشة بمائة دينار، وهو الجمل المسَمَّى به اليَومُ، قيل إنه لما تجهز سقط عن بعيره فانكسرت فخذه، وقيل إن ذلك عبد الله بن أبي ربيعة؛ وكلاهما كان عاملا لعثمان. ثم كان يعلى ـ بعد أن شهد الجمل مع عائشة ـ مع علي، لما تبين له أنه بريء من دم عثمان وأنه على الحق؛ فشهد معه صفين وقُتلَ بها، وكان معروفا بالسخاء.

---

(1) منية (بضم الميم وسكون النون) بنت الحارث بن جابر والدة أمية والد يعلى، وهي أيضا أم العوام والد الزبير، فهي جدة الزبير ويعلى، وقيل هي عمة عتبة بن غزوان، وقيل أخته.

(2) متفق عليه.

ذكر قبائل دارم

مِن دَارِمٍ مُجَاشِــعُ وَنَهْشَلُ   وَعُـدَسُ حَاجِبُــهُ الْمُحْتَمِلُ
مِائَـةَ نَاقَــةٍ طَعَامًا حَمَلَــتْ   بِقَــوْسِـهِ يَرْهَنُهَا فَقُبِلَــتْ

ثم شرع يتكلم علَى بني دارم، مع تخليط لا يسلم من الغلط، لقوله في الحناظل - وهي البراجمُ ـ مُعَمِّمًا، ودارم ليسوا من البراجم وإنما هم إخوتهم، لأن البراجم من أولاد حنظلة، ولذكره العنبر بن عمرو بن تميم في جملة زيد مناة، وإنما أبوهم العنبر بن عمرو بن تميم، وسيأتي إن شاء الله.

وأما قبائل **دارم** فهي **مجاشع ونهشل** والأحلاف وبنو عبد الله بن دارم، وهُو أعزهم، بل أعزُّ بيت في تميم. فهؤلاء المشهورون من قبائل دارم، بل هم المعروفون.

أما مجاشع فمنهم الأقرعُ بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع؛ قال السهيلي: سمي الأقرعَ لسؤدده، من *القريع* وهو السيد؛ وقال غيره: لقرعٍ كان برأسه. وهو من حكام العرب إليه يتحاكمون ويتنافرون، قال جرير بن عبد الله البجلي، وقد تنافر إليه مع رجل من أهل اليمن:

يا أقــرع بن حابس يا أقرع   إنك إن يصرع أخــوك تصرع

وهو ممن أعطاهم رسول الله ﷺ مِائَةً[1] يومَ الفتح تَأَلُّفًا. وشهد الفتح وحنينا والطائف، وشهد مع خالد حرب العراق، ثم استعمله ابن عامر

(1) من الإبل.

على جيش ووجهه إلى خُرَاسَان فأصيب هو والجيش. وكان من الســادات في الجاهلية والإسلام واسمه فِراسُ. وابن عمه صعصعة بن ناجية بن عقــال، وأعينُ بن ضُبيعة بن ناجية بن عِقال، الذي عقر الجمل بأمنا عائشــة رضــي الله عنها يوم الجمل[1].

وأما نهشل فمنهم بنو حازم، الذين يقول أحدهم:

إذا مضر الحمراء كانت أرومتي وقام بنصــري حازم وابن حازم
عَطَسْتُ بأنف شامخ وتناولت يداي الثريا قاعدا غــير قائم

روي أن الفرزدق قال له[2]: والله لتعطينيهما أو لأنبشن أمــك مـن قبرهـا، فقال: خذهما لا بارك الله لك فيهما. وكان الفرزدق يقول مكان "حــازم وابن حازم": دارم وابن دارم.

وأما الأَحْلاَفُ[3] فمنهم المنذرُ بن ساوى، ملكُ البحرين الذي أرسل لــه النبي ﷺ العَلاءَ بن الحضرمـي بكتـاب فأسلم. ومنهـم مسـكين بـن عـامر

---

(1) وكان مع علي يومئذ، ويقال إن عائشة رضي الله عنهـا دعـت عليـه أن يقتـل غيلة فكـان كذلك؛ فقد بعثه علي إلى البصرة لما غلب عليها عبد الله بن الحضرمي فقتل غيلة سنة ثمـان وثلاثين، وأعين هذا هو والد النوار زوج الفرزدق.

(2) أي لقائل هذين البيتين.

(3) الأحلاف هم: عبد الله ومرَّة وحارثــة وربيعة وجناب ومالك بَنو دارم بـن مـالك، سمـوا بالأحلاف لتحالفهم على أخيهم عـدس بـن دارم، فكـانوا يـدا واحـدة عليـه، وهـم إخـوة مجاشع ونهشل وعدس بني دارم.

الدارِميُّ الشاعر[1].

وأما عدس فهو ابن عبد الله، تحالف عليه الأحلاف فصاروا يدا واحدة عليه. منه حاجبُ بن زُرَارة بن عدس ولقيط بن زرارة بن عدس، الذي أسرته بنو عامر يوم شِعْبِ جبلة فأبى أن يطعم شيئا، فكانوا يفتحون فاه

---

(1) من بني زيد بن عبد الله بن دارم، واسمه ربيعة، وسمي مسكينا لقوله:

أنا مسكين لمن أنكرني ... ولمن يعرفني جد نطق

أو لقوله:

وسميت مسكينا وما بي حاجة ... وإني لمسكين إلى الله راغب

ومن شعره:

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم ... على سر بعض غير أني جماعها
لكل امرئ شعب من القلب فارغ ... وموضع نجوى لا يرام اطّلاعها
يظلون شتى في البلاد وسرهم ... إلى صخرة أعيى الرجال انصداعها

ومنه أيضا:

أخاك أخاك إن من لا أخا له ... كساع إلى الهيجا بغير سلاح
وإن ابن عم المرء فاعلم جَناحُه ... وهل ينهض البازي بغير جَناح
وما طالب الحاجات إلا معذبا ... وما نال شيئًا طالب لنجاح
لحى الله من باع الصديق بغيره ... وما كل بيع بعته برباح
كمفسد أدناه ومصلح غيره ... ولم يأتمر في ذاك غيرُ صلاح

وله أيضا:

اصحب الأخيار وارغب فيهمُ ... رب من صاحبته مثل الجربْ
واصدق الناس إذا حدثتهم ... ودع الكذب لمن شاء كذبْ
رب مهزول سمين عرضه ... وسمين الجسم مهزول الحسب

فيصبون فيه فيمجه حتى مات جوعا وعطشا.

وقوله: **وعدس حاجبه المحتمل**: أشار إلى أن حاجب بن زرارة قدم على كسرى فاستأذن عليه فقال: من أنت؟ قال: رجل من العرب. فلما جلس بين يديه قال: من أنت؟ قال: سيد العرب. قال: أنت بالباب تقول رجل من العرب والآن قلت سيد العرب؟ قال: كنت بالباب من العرب فلما جلستُ معك صرت سيدَهم! فأعجبه وملأ فاه دُرًّا وقال له: ما حاجَتك؟ قال: إن بلادنا أجدبت وأريد أن تأذن لبني تميم يرعون العراق وأحتمل لك مائة ناقة تحمل الطعام. فقال كسرى: وما ترهنني؟ قال حاجب: قوسي. فضحك منه الحاضرون، فقال كسرى: العربي لا يُسْلم قوْسه، فقبلها. فرعت تميم العراقَ حتى أخصبت بلادُهم فرجعوا إليها، ومات حاجب فأخذ بنوه مائة ناقةٍ تحمل الطعام فقدموا بها على كسرى وأخذوا قوس أبيهم[1]. وقيل إنه قال له: تعْطيني مائة ناقة تحمل الطعام فإذا صرت إلى أهلي بعثت إليك ثمنها.

قوله: وعدس حاجبه: أي حاجب بني عدس، وهو ابن زرارة بن عدس وابنه عطارد بن حاجب الصحابي كان في وفد تميم المشهور سنة تسع.

---

(1) وإلى قصة قوس حاجب هذه يشير أبو تمام في قصيدة يمدح بها أبا دلف العجلي ويذكر يوم ذي قار، وقد كان فيه غَنَاءٌ لبني عجل:

إذا افتخرت يوما تميم بقوسها — وزادت على ما وطّدَت من مناقب

فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم — عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

وَمَــن مُّعَاوِيَـــــةُ بِالإِخَـاءِ وَرِثَـــهُ وصَاحِـــبُ الصَّفَاءِ
لِلْمُصْطَفَى وفِي ثِيَابِهِ يَطُوفْ وهْوَ عِياضُ بْنُ حِمَارٍ الْعَطُوفْ

قوله: **ومن مُّعاويةُ**..إلى آخره: أي ومن دارم أيضا: الذي ورثه معاوية بالمؤاخاة، وهو الحُتَات (بتائين منقوطتَيْن باثنتَيْنِ من فوق) ابن زيد بن علقمة بن جزى بن سفيان بن مجاشع. وفد على النبي ﷺ فآخى بينه وبين معاوية بن أبي سفيان. ثم زمن الإمساك[1] فَرَّ من علي إلى معاوية، فلما مات ورثه معاوية بتلك الأخوة[2]. وكان الصحابة حين آخى النبي ﷺ بينهم يتوارثــونَ بها إلى أن نزلــت: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾[3] فرجعت الموارثة للأرحام كما في التنزيل.

توريث معاوية بالمؤاخاة

وفِعْلُ معاوية هذا لعله مما يقال فيه "مذهب صحابي"، لأنه خالف النَّصَّ، والصحابة رضي الله عنهم مجمع على عدالتهم؛ وهــو كإراقة عمر اللبن على وجه من غشــــه، ومُعاويــة رضي الله عنه إمامٌ وكاتِـبُ وحْيٍ

---

(1) الامساك: مصطلح يعبر به عن الفتنة الكبرى التي جرت بين علي ومعاوية ومن معهم من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، وأصله حديث: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا» كما في *الجامع الصغير*.

(2) وعبارته في **الإصابة**: لما مات الحتات قبض معاوية ماله فخرج إليه الفرزدق وهو غلام فأنشده: أبوك وعمي.. إلخ، فدفع إليه ميراثه، وكان للحتات بنون. ثم قال: وينظر كيف يجمع هذا مع قصة معاوية في حيازته ميراثه.

(3) الأنفال: 75.

رسول ا لله ﷺ. وفي هذه الموارثة يخاطب الفرزْدق معاوية بقوله:

أبوك وعَمِّـي يا معاوي خَلّـفا تـراثا وتحْتَـاز التراث أقاربـهْ
فما بال مـيراث الحتات أكلتـه وميراث صخر جامد لك ذائبه؟[1]

وليْس الفرزدق يعني بقوله: عمي، أنه أخو أبيـه، وإنما يعـني أنـه ابـن عمِّـه وأسَنُّ منه؛ كما تقول العرب لمن هو أسَنُّ: يا عم، ويقولُ الكبير للصَّغـير: يا ابْن أخي. والفرزدق أيضا لا يريد ميراث الحتات لنفسه، لبُعده عنه ببـني الحتات، عبد ا لله وعبد الملك ومازن[2]. ومن شعر الحتات:

لعمْر أبيـك فـلا تكـذبـنَّ لقـد ذهـب الخـير إلا قليلا
لقد فتن الناس بعـد النـبي وأبْقَى ابنُ عفان شـرًّا طويلا

ومِـهِ دارمٍ أيضا **صاحب الصفاء**: أي المصادقة للنبي ﷺ في الجاهلية ـ ومن مصادقتهما أنه إذا قدم مكة **يطوف في ثياب** النبي ﷺ لئلا يطوف عريانا أو يترك ثيابه في الحطيم فتكون لقىً ـ وهو، أي صاحب مصادقة النبي ﷺ والطواف في ثيابه، **عِياضُ بن حمار** بن أبي حمار بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع الصحابي. و**العطوف**: الشفيق.

وهْيَ الْبَرَاجِمُ وَعنبَـرُ الَّذي بِالـذُّلِّ عَابَـهُ بَلِيغُهُ الْبَـذِي

---

(1) **فلو كان هـذا الأمـر في جاهليـة علمـتَ مَنِ المرءُ القليلُ حلائبُه** ..إلخ.
وحلائب الرجل أقاربه وأنصاره، وفي **الإصابة** وغيرها أن معاوية رضي ا لله عنه دفع إلى الفرزدق ميراث الحتات.

(2) وقد ولي بنو الحتات هؤلاء لبني أمية، كما في *الإصابة*.

البراجم في اللغة: تكاميش ظهور الأصابع، ولا أدري لم سميت به هذه القبائل[1]؛ وفي الحديث: من آدابه "غسل البراجم[2] والرواجب"، وهي ما تحت الأظافر وبطون الأصابع. قوله: **وهي**: يعني الحناظل، ولكن ليس منهم دارم[3]. ومن البَرَاجم ضابئ بن الحارث بن ارطاة؛ الذي حبسه عثمانُ بالمدينة في جناية فقال[4]:

---

(1) في **زهر الأفنان**: البراجم خمسة من أبناء حنظلة بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وهم: قيس وكلفة وظليم وغالب وعمرو، وسُمُّوا البراجم لأنهم كانوا قليلين، فقال لهم رجل منهم، وهو حارثة بن عامر بن حنظلة: "أيتها القبائل التي قل عددها تعالوا فلنجتمع كبراجم الكف"، ففعلوا وتعاضدوا، فسموا بهذا الاسم.

(2) أخرجه مسلم وأصحاب السنن. وأخرجه أحمد بزيادة "الرواجب"، وذكره في ***فتح الباري***.

(3) الذي يقتضي المعنى أن تكون عبارة الناظم: "**ثم البراجم**" بعطفها على من قبلها من قبائل بني زيد مناة ويكون قوله: **وعنبر**..إلخ: ابتداء في الكلام على بني عمرو بن تميم، ويكون **الحبطات** في البيت التالي معطوفا عليه، ويكون المعنى: ومن عمرو بن تميم بنو العنبر بن عمرو ومنه أيضا الحبطات ـ [قاله في سموط الذهب].

(4) قيل إنه كان قد استعار كلبا من بعض بني جرول بن نهشل يصيد الظباء، فطال مكثه عنده فطلبوه منه فامتنع عليهم فانتزعوهُ منه فغضب وهجاهم ورمى أمهم بالكلب فقال في ذلك من أبياتٍ:

فأردفتهم كلبا فراحوا كأنما ... حباهم بتاج الهرمزان أمير!

وقلدتهم ما لو رميت متالعًا ... به وهو مغبر لكاد يطير

فيا راكبا إما عرضت فبلغن ... ثمامة عَنِّي والأمور تدور

فأمكمُ لا تتركوها وكلبكم ... فإنَّ عقوق الوالدات كبير ..إلخ.

فشكوه إلى عثمان فحبسه وقال: والله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حي لأحسبنّه نزل فيك قرآن، وما رأيت أحدا رمى قوما بكلب قبلك.

فقال وهو في السجن:

<<=

فمن يك أمسى بالمدينـــة رحله　　فإنـــي وقيار بـــها لغـــريب

ثم أمر به عثمان ليؤدبه، فشدَّ سكينا بساقه ليقتـل بهـا عثمـان، ففطـن لـه عثمان فأحسن أدبه وأطلقه[1]، فقال:

وقائلة إن مَّات في السجن ضابئٌ　　لنعم الفـــتى تخلو به وتواصلهْ

وقائلـــة لا يبعـــد ا لله ضابـئًا　　إذا الخَصْم لم يُوجد له من يُناضلُهْ[2]

هممت ولم أفعل وكدت وليتني　　تركـت على عثمان تبكي حلائلهْ

ولما قُتِل عُثمانُ يوم الدار دخل عليه عمير بن ضابئ فوطئَ على ضلعه

--- >>

دعاك الهـــوى والشوق لما ترنمت　　هتوف الضحى بين الغصون طروبُ

تجاوبــها وُرق طـرِبْنَ لصوتـــها　　فكـــل لكـل مسعـــد ومجيبُ

فمن يك أمسى .. إلخ.

وما عاجـلات الطير تدني من الفتى　　رشـادًا ولا عن ريثهـــنَّ يخيـــب

ورب أمـــور لا يضـــيرك نأيها　　وللقلب منها خشية ووجـــيب

ولا خير في مـــنلا يُوَطِّـــن نفسه　　على نائبات الدهـــر حين تنوبُ

وفي الشكِّ تفريط وفي الحزم قـــوَّة　　ويُخطئُ في الْحَدْسِ الفتى ويُصيب

ولَســـتَ بمستبقٍ صديقًا ولا أخا　　إذا لم تـفـــده الشيء وهـو قريبُ

(1) وقيل لم يزل في الحبس إلى أن مات، فقال في ذلك أبياتا منها: وقائلة إن مات.. الخ.

(2) بعده: فـلا تتبعيني إن هلكـــت ملامة　　فليـــس بعار قـتـل من لا أقاتلـــهْ

فلا تَقْـــرَبَنْ أمـــرَ العزيمة بامرئ　　إذا رام أمـــرا عوقـتـه عواذلـه

هممت ولم أفعل.. إلخ.

فما الفتك ما استامرت فيه ولا الذي　　تُحـــدِّث من لاقيت أنك فاعلهْ

وما الفتك إلا لامرئ ذي حفيظـــة　　إذا هم لم ترعـــدعليـه خصائله

فكسرها[1]. فلما ولي الحجاج العراق ودخل الكوفة صعِد منبرها وخطب، فلما نزلَ مرَّ به عمير بن ضابئ فجعل يأمر الناس بالطوع له ويحضهم، فلما ذهب قال له إنسان: أيُّها الأمير أتعرف هذا؟ فقال: من هو؟ قال: عمير بن ضابئٍ الذي كسر ضلع عثمان. فاستَردَّه فأمر بقتله، وهو أوَّلُ قتيل للحجاج بالعراق[2]. ثم إن الحجاج جهز الناس إلى المهلب في قتال

---

(1) انتقاما لأبيه ضابئ، وهو يقول:

أين تركت ضابئا يا نَعثَلُ

ونعثل لقب يطلقه اعداء عثمان عليه رضي الله عنه.

(2) وروي أن الحجاج لما صعد المنبر مكث ساعة لا يتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض: قبح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق، فقال عمير بن ضابئ البرجمي: ألا أحصبه لكم؟ فقيل له: أمهل حتى ننظر، فلما رأى الحجاج أعين الناس ترمقه حسر اللثام عن وجهه ونهض قائما ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

ثم قال: يا أهل الكوفة إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها وكأني أنظر إلى الدماء تَرقرقُ ما بين العمائم واللحى.. إلى أن يقول: إني والله يا أهل العراق ما يقعقع لي بالشِّنَان وإن أمير المؤمنين نثل كنانته فعجم عيدانها عودا عودا فوجدني أمرَّها عودا وأصلبها مكسرا وأبعدها مرمى.. فرماكم بي، لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال. ثم قال: وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه ثلاثة أيام إلا ضربت عنقه. ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم، فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كبرا فقال: أيها الأمير إني من الضعف على ما ترى ولي ابن هو أقوى مني على الأسفار أفتقبله مني بدلا؟ فقال له الحجاج: نفعل أيها الشيخ. فلما ولى قال له قائل: أتدري من هذا أيها الأمير؟ هذا عمير بن ضابئ الذي كسر ضلع عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقال: ردوه. فقال له الحجاج: أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان بديلا يوم الدار؟ إن في قتلك لصلاحا للمسلمين، فأمر بضرب عنقه.

الأزارقة، فقال عبد الله بن الزَّبير الأسدي[1]:

تَخَيرْ فإمَّا أن تَزُورَ ابنَ ضابئ عميرا وإما أن تَزور المهلبا
هما خطتا خسفٍ نجاؤُك منهما رُكوبك حوليا من الثلج أشهبا![2]

ومن البراجم الذي فيه المثل: "إن الشقي وافِدُ البراجم"؛ وأصله أن عمرو ابن هند حلف ليحرقنَّ مائة من دارم بأخيه سعد بن المنذر ـ وكان مات فيهم غيلة؛ أتاهم يطلب اتاوة أخيه عليهم ـ فحرق منهم تسعة وتسعين؛ فشمَّ البرجمي رائحة القطر من لحوم الناس فظنه شواء صنعه الملك فعدل إليه ليرزأ منه[3]، فكمل به الملكُ المائة من دارم [وتأتي قصته قريبا].

هنا انتهى كلامه على قبائل زيد مناة بن تميم، الذي ذكر أنه انتشر، إلا قوله الآتي في بهدلة وذكره الأقرع بن حابس والفرزْدق لدارم.

ومن قبائل زيد مناة: امرؤ القيس الذين يهجوهم ذو الرمة، و لم اقف

---

(1) وكان قد لقيه إبراهيم بن عامر الأسدي في السوق فسأله عن الخبر فقال:

أقول لإبراهيم لَمَّا لقيتُهُ: أرى الأمر أمسى مُنصِبًا متشعِّبا
تجهز وأسرع والحق الجيش لا أرى سوى الجيش إلا في المهالك مذهبا
تخير فإمَّا أن تَزورَ ابنَ ضابئ ..إلخ.

(2) بعده: فما إن أرى الحجاج يغمد سيفه يَدَ الدهر حتى يترك الطفلَ أشيبا
فاضحى ولو كانت خراسان دونه رآها مكان السُّوقِ أو هي أقربا!! ..إلخ.

وقوله: خطتا خسف..إلخ: أي أمران فيهما الهوان والهلاك لا ينجي منهما إلا مهلكة ثالثة هي أن تعتصم بذروة جبل بعيد شامخ يلبسه الثلج الأشهب حولا كاملا، أو الحولي ما أتت عليه سنة من فرس وبعير لونه أشد شهبة من الثلج.

(3) رزأه رزءا ومرزِئة: أصاب منه خيرا ـ [القاموس].

على ذكر أحد منهم، لا في الصحابة ولا في غيرهم.

ومن بني حنظلة بن مالك بن سعد بن زيد مناة، بالولاء: الزاهدُ العالم الولي سيدنا عبد الله بن المبارك المروزي، الذي تسأل الرحمة عند ذكره. أبوه من الترك، كان عبدا لرجل من هَمْدَان فاشتراه رجل من تميم فاستعمله على ضيعة له فأتاهُ غيرما مرة فلم يجده ينقص منها شيئًا فقال له: ما لهذه الضيعة على حالها لم تأكل منها؟ قال: لم تأمرني بذلك، فلم يزلْ يجربه فوجده في غاية الورع فأتى به زوجته فقال لها: لا بد أن أزوج مباركا ابنتي، فأعتقه وزوجه ابنته فجاءت بعبد الله[1].

ومن بني ربيعة بن مالك بن سعد ـ وهو ربيعة الجُوع؛ وهو الأكبر من الربائع ـ علقمة الفحل ابن عبدة بن النعمان أحد الشعراء الستة.

---

(1) فنمت عليه بركة أبيه، فكان نادرة في العلم والزهد والورع. تفقه على سفيان الثوري ومالك بن أنس، وروى عن مالك الموطأ وكان كثير الانقطاع محبا للخلوة، وروي أنه قدم مرة على مدينة الرقة فاستقبله خلق كثير وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد هارون الرشيد لذلك وقالت: ما هذا؟ فقيل لها: عالم أهل خراسان قدم الرقة يقال له عبد الله بن المبارك. فقالت: هذا والله الملك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشُرَطٍ وأعوان. وكان ابن المبارك يقول الشعر، ومن شعره:

قد يفتح المرء حانوتا لمتجره　　وقد فتحت لك الحانوت بالدين

بين الأساطين حانوت بلا غَلَق　　تبتاع بالدين أموال المساكين

صيرت دينك شاهينا تصيد به　　وليس يفلح أصحاب الشواهين

ومن كلامه: تعلمنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا. وكان مولده بمرو سنة مائة وثمان عشرة، وتوفي في رمضان سنة مائة وإحدى وثمانين وهو غاز بـ"هيت" وهي مدينة على الفرات حول الأنبار من أعمال العراق، وقبره هناك يزار.

ومن سعد بن مالك بن سعد - أخي ربيعة الجوع - رؤبة وأبوه العجَّاج بن رؤبة، الرَّاجزان المشهوران؛ كانا من أعراب البصرة. لقي العجاج أبا هُريرة، ودخل على عبد الملك بن مروان فقال له: يا عجاج بلغني أنك لا تقدر على الهجاء، فقال: يا أمير المؤمنين من قدر على تشييد الأبنية أمكنه خرابُ الأخبية، قال: فما يمنعك من ذلك؟ قال: إن لنا عزا يمنعنا أن نُظْلَم وهو الأدب البارع والفهم الناصع، وإن لنا حلما يمنعنا أن نَّظلِمَ وهو الأدب المستطرَف والطبع التالد. فقال عبد الملك: لَكَلِماتُك أشعر من شعرك.. لقد أصبحت يا عجاج حكيما. قال: وما يمنعني من ذلك وأنا نَجِيُّ أمير المؤمنين.

ومن قبائل سعد بن زيد مناة: حميدُ بن مالك، فهو حميد الأرقط الشاعر. ومنهم الأسود بن سريع بن حمير السعدي الصحابي، قال: غزونا مع رسول الله ﷺ فأوصى أن لا تقتلوا الذرية، فقال: يا رسول الله إنهم أولاد المشركين؟ فقال: «أو ليس خياركم أولاد المشركين؟! ما من مولود يولد إلا على الفطرة وإنما أبواه يُهوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه»[1]. وكان شاعرا، وأظنه الذي يقول:

أما ترين وقد قطعتني عذلا ... ما ذا من الفضل بين البخل والجود

لا يعدم السائلون الخير أفعله ... إما نوالا وإما حسن مردود

إن لا يكن ورق عندي أجود به ... للخابطين[2] فإني لَيِّنُ العود

---

(1) متفق عليه.

(2) أي السائلين المعروف من غير آصرة.

قوله **وعنبر الذي**.. إلى آخره: يشبه أن يكون أراد عنبر بني يربوع، لأنه المتقدم، أوْ الذي **عابه** شاعره **البذي** ـ أي الفاحش ـ بالذل[1]: بلعنبر بن عمرو بن تميم، على ما عندنا؛ لأن مازنا الذي ذكر: مازن بن عمرو بن تميم تمنَّى أن يكون منهم، لأن مازنا هو أشرفُ إخوته بني عمرو بن تميم. **والبذي** الذي عاب أهله بَلعنبر: هو قرط، أو قريطٌ، بن أنيف (كزبير): شاعر جاهِلي، أغارت بنو ذُهل بن شيبان على إبِله في حرب بينهم وبين تميم فلم يستطع تخليصها[2]، فجعل يقول:

لو كنتُ من مازن لم تستبح إبلي	**بنو اللقيطة من ذُهل بن شيبانا**
إذن لقام بنصري معشر خشن	**عند الحفيظة إن ذو لوثه لانا**
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم	**طاروا إليه زرافات ووحدانا[3]**
لا يسألون أخاهم حين يندبهم	**في النائبات على ما قال برهانا**
لكنَّ قومي وإن كانوا ذوي عَددٍ	**ليْسوا من الشر في شيء وإن هانا**
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة	**ومن إساءة أهل السُّوءِ إحسانا**
كأنَّ ربك لم يخلق لخشيته	**سواهمُ من جميع الناس إنسانا**
فليت لي بهمُ قوما إذا ركبوا	**شَنُّوا الإغارة فرسانا ورُكْبانا**

والْحَبَطَاتُ مِن تَمِيمٍ عَمْرُهُ وكُلُّهُمْ كَانَ وَضِيعًا قَدْرُهُ

---

(1) أي الضعة والهوان.

(2) وكان قد استنجد قومه فلم ينجدوه فأتى بني مازن بن عمرو بن تميم، فركب معه نفر منهم فطردوا لشيبان مائة بعير فدفعوها له، وكانت إبله التي أغارت عليها بنو ذهل ثلاثين بعيرا.

(3) زرافات: جماعات. ووحدانا: أفرادا.

يقول: إذا أردت أن تعرف **الحبطات من تميم** فهم من عمرو بن تميم، بنو الحارث بن مالك بن عمرو، ويسمى الحبْط (بالسكون، ويحرك) لعظم بطنهِ؛ والحبط: داء يأخذ البهيمة إذا أكلت الخَضِرَ أول ما ينبت فتنتفخ ويعظم بطنها، وسمي به هذا الرجل لعظم بطنه. وكلٌّ بنيه وضيع القدر في تميم، و لم أقِفْ على مشتهر منهم غير عبادة بن الحصين بن أوس.

مِنْ عَمْرٍو اَيْضًا الْحَكِيمُ أَكْثَمُ هِند أَبُو هَالَةَ سَيِّدُهُم

يعني من **عمرو** بن تميم أيضا ـ بعد الحبطات ـ أكثمُ (بالمثلثة) بن صيفي. قوله: **الحكيم**: يعني أنه كان من حُكماء العرب في الجاهلية، وهو جد حكيم العباسيين في الإسلام القاضي يحيى بن أكثم (بالمثلثة أيضا)، ولي القضاء وهو ابن ثمان عشرة سنة. سأله يوما رجل قضى عليه، فأراد أن يحطه، فقال: أصلح الله القاضيَ كم سنُّه؟ فقال: ثمان عشرة سنة: كسنِّ عتاب بن أسيد حين ولاه النبي ﷺ قضاء مكة، فأفحم الرجل[1]. وكان ـ مع علمه ـ ينبز باللواط، إذ لا سلامة من الخلق.

وسمع المأمون برجل تنبأ فقال ليحيى: اذهب بنا إلى هذا المتنبئ، فركبا

---

(1) وروى ابن خلكان أنه لما ولي البصرة وكانت سنه نحو العشرين استصغره أهل البصرة فقالوا له: كم سنُّ القاضي؟ فعلم أنهم استصْغروه فقال: أنا أكبر من عتاب بن أسيد حين ولاه النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم الفتح، ومن معاذ بن جبل الذي وجه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على اليمن، ومن كعب بن سور حين وجه به عمر قاضيا على البصرة؛ فجعل جوابه احتجاجا.

فأتياه متنكرين فجلس المأمون عند يساره وجلس يحيى عند يمينه، فقال له المأمون: متى عهدك بجبريل؟ فقال: آنفا، قال: فما قال لك؟ قال: قال: يأتيك رجلان الذي يجلس عن يمينك هو ألوط أهل زمانه. فضحك المأمون وقال: أشهد أنك نبي! وفيه يقول الشاعر:

تقول: سلِ المعروف يحيى بن أكثم ... فقلت: سليه ربَّ يحيى بن أكثم

قوله: **هند أبو هالة سيدهم:** أي سيد عمرو بن تميم، وإنما سوده الناظم لتزويجه أمنا خديجة قبل رسول الله ﷺ[1]، وهو هند أو مالك بن النباش بن زرارة الأسَيْدِيُّ حليف بني زهرة، وكان شاعرا جدا، فكان مداحا لنبيه بن الحجاج السهمي، وفيه يقول قصيدة ذكرناها في شرح الغزوات[2].

ومن بني أسيد بن عمرو بن تميم حنظلة بن الربيع بن صيفي، ابن أخي أكثم الحكيم، كتب لرسول الله ﷺ. قالت امرأته ترثيه:

تعجبت هند لمحزونة ... تبكي على ذي شيبة شاحب

---

(1) وقد كانت خديجة أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهنَّ شرفا وأكثرهنَّ مالا، وكل قومها حريص على التزوج بها لو يقدر على ذلك، ولولا سؤدد أبي هالة في قومه بل وفي قريش لما تزوج بها، وأبو هالة هي كنيته واختلف في اسمه فقيل: هند، وقيل: النباش بن زرارة، وقيل: مالك بن النباش بن زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن عدي بن جروة بن أُسيد (بضم الهمزة وتشديد الياء) بن عمرو بن تميم التميمي الأسيدي..

(2) أولها قوله:

دع عنك ريطة واكس الرحل ناجية ... أدما مخلقة كأنها فيل

هل تبلغنّي فتًى محضا ضرائبه ... مؤملا وأبوه قبل مأمولُ

إن تسأليني اليـــــوم ما شفني أُخبركِ قـــولا ليس بالكاذِبِ
إن ســــــواد العين أودى به حـــــزن على حنظلة الكاتبِ

تخلف عن علي يوم الجمل ومات في خلافة معاوية.

وهؤلاء من أُسيِّد بن عمرو، وأسيد: بتشديد الياء، وقيل تخفف، قال شاعرهم[1]:

حـــولي أسَيِّدُ والهُجَيْـمُ ودارم فإذا رجعت فحول بيتي خَضَّمُ
تحتي الأغر وفـــوق جلدي نثرةٌ زَغفٌ ترد السيف وهْو مثلم[2]

(وخَضَّم - كبَقَّمٍ - قيل إنهم بنو العنبر، سموا بذلك لكثرة أكلهم[3]. والهجيم أيضا قبيلة من تميم).

وَالْحَارِثُ ابْنُهُ رَبِيبُ الْمُصْطَفَى أَوَّلُ مَقْتُــولٍ نَّمَتْـهُ الْحُنَفَا

---

(1) هو طريف بن تميم العنبري فارس قومه:

أو كلما وردت عُكَاظَ قبيلـــة بعثوا إليَّ عريفهـــم يتوســـم
فتوسمـوني إنـــني أنا ذلكم شاكي سلاحي في الحوادث مُعلَمُ
حولي أُسيِّد.. إلخ.

(والعريف: رئيس القوم لأنه عُرِف بذلك. والنثرة: الدرع الرحبة في صلابة. والتوسم: التفرس).

(2) النثرة: الدرع الرحبة في صلابة. والزغف: الدرع اللينة الواسعة المحكمة أو الدقيقة السلاسل.

(3) قال في السبائك: وخضم (بتشديد الضاد) تقال لبني عمرو بن عفير بن تميم، قال الجوهري: وهم يزعمون أنهم سمُّوا بذلك لكثرة الخضم وهو المضغ، يعني أنهم قوم كرام يكثر عندهم أكل الضيفان، وقيل خضم اسم العنبر بن عمرو بن تميم وقد غلب على القبيلة.

وَأَوَّلُ الْكَفَـرَةِ ابْنُ الْحَضْرَمِي   عَمْرُو قَتِيلُ وَاقِـدٍ الْخَـذِمِ

ابنه: أي أبو هالة. وربيب **المصطفى** صلى الله عليه وسلم لأنه ابن خديجة[1]. **ونمته**: نسبته وعزَته إليهم. **والحنفاء**: الصحابة، لأنهم على الملة الحنيفية، ملةِ إبراهيم عليه السلام، والحنفاء: جمع حنيف لصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه. وذكر **الحارثَ** هذا وقصةَ قتله الشهابُ أحمد بن حجر في كتابه **الإصابة**، قال: لَمَّا نزَلَ ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾[2] طاف النبي ﷺ بالبيت وهو يدعُو قُريشا إلى الإسلام، فقاموا يضربونه، فصرخت صارخة؛ فأتاه ربيبه الحارث بن أبي هالة فحال بينهم وبينه، فلم يزالوا يضربونه حتى مات بضربهم، فكان أول قتيل قتله المشركون، كما أن أوَّل قتيل كافر قتله المسلمون **عمرو بن الحضرمي** الذي قتلتْه سرية عبد الله بن جحش، وتولى قتله **واقدُ** بن عبد الله اليربوعي حليف آل الخطاب.

والخذم: القاطع. وبنو الحضرمي: حُلفاءُ عتبة بن ربيعة، واسم أبيهم

---

(1) فيه تجوز، إذ ليس ابنها وإنما هو ربيبها لأنه ابن زوجها أبي هالة؛ ولما كان ربيبها وأخا ابنيها هالة وهند ـ ربيبيه صلى الله عليه وسلم ـ وكان مع خديجة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد تزوجها منه صار في حكم الربيب للنبي صلى الله عليه وسلم معدودا في أربائه على وجه التعظيم لأن أي علاقة بالنبي صلى الله عليه وسلم ـ سيما هذه العلاقة ـ تستحق الذكر، خاصة بعد أن آمن به وصدقه وأصبح يدافع عنه كفار قريش مدافعة الابن عن والده حتى كان أول شهيد في الإسلام. ولم أقف على أمِّ الحارث هذا.

(2) الحجر: 94.

الحضرمي: عمادُ، وهم العلاء بن الحضرمي، الصحابي الصالح؛ أرسله النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى التميمي ملكِ البحرين ثم استعمله عَلَيْهَا، واستعمله عمر على البصرة ومات قَبْل الوصول إليها بأرض لا ماء بها ومعه ركب فيه أبو هريرة فتركوه غير مدفون، ثم وجدوا الماءَ قريبا فرجعوا إليه ليغسلوه فوجدوه ابتلعته الأرض. وكان مجاب الدعوة، خاض البحر بِكلمات وهي: "يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم"، فلم يغرق شيء ممن معه.

ومن بَنِي الحضرمي عامر، الذي استنشده أبو جهل يوم بدر ثأره، لما همت قريش بالرجوع فانكشف الناس وهو يقول: وا ثأراه! وكان من المؤلفة قلوبُهم، أعطاه النبي ﷺ من غنائم حنين.

ومنهم الصعبة بنت الحضرمي، أم طلحة بن عبيد الله، أسلمت وهاجرت وكانت قبل عبيد الله بن عثمان تحت أبي سفيان بن حرب فطلقها، وفيها يقول:

وإني وصعبة فيما يرى	**بعيدان والودُّ ودٌّ قريبْ**
فيا لَقُصيٍّ ألا تنظروا	**إلى الوَبْرِ صار الغزالَ الربيبْ**
وإلا يكن نسَبٌ ثاقب	**فعند الفتاة جمال وطيبْ**

ولما قتل عمرو بن الحضرمي تفاءلت اليهود على المسلمين فالاً كانت عقوبته عليهم، قالوا: عمرو: عمرت الحرب، وواقد: وقدت الحرب، والحضرمي: حضرت الحرب! فكان شؤم ذلك عليهم، والحمد لله.

بِــذَكَرَيْــنِ: هَالَــةٍ وَهِنــدِ[1] نَجْلَيْ أَبِي هَالَةَ قَبْلَ الْمَهْدِي[2]
جَاءَتْ خَدِيجَةُ، وَمِنْ عَتِيــقِ بِبِنْتِهَا هِنْــدَ عَلَى التَّحْقِيــقِ
هِندُ ابْنُهَا وَاصِفُ خَيْرِ الْعَالَمِينْ وَهِندُهُ لِمُصْعَبٍ خَيْرُ مُعِينْ
وَأُمُّهَا فَاطِمَــةُ بِنتُ الْخِضَمّْ زَائِدَةَ الْقَرْمِ الْهُمَامِ ابْنِ الأَصَمّْ

لما ذكر لبني عمرو بن تميم **أبا هالة**، ذكر له ابنيْه الذكرين من أمنا خديجة قبل أن يتزوجها النبي ﷺ، وهما: **هالة وهند** الصحابيان[3]؛ أما **هالة** فلم أقف له على مشهور خبر إلا أن له ابنًا يسمى هندًا روى عنه، وأما أخوه **هند** فقتل يوم الجمل مع علي، وكان فصيحا مشهورا بالفصاحة؛ وهو صاحب حديث وصف النبي ﷺ[4] رواه عنه الحسن والحسيْن

---

(1) قوله: "بذكرين" عبر به لأن لفظ هالة وهند من الأعلام المؤنثة غالبا، وأيضا للاحتراز من بنت خديجة من عتيق بن عائذ التي تسمى هند أيضا، وللتنبيه على أن الحارث بن أبي هالة المذكور إنما هو من غير خديجة بل هو ربيبها، ولما كانت أمه مجازا ـ لأنه ولد زوجها أبي هالة ـ عبر الناظم عنه بـ"ربيب المصطفى" صلى ا لله عليه وسلم كما مر. وا لله أعلم.

(2) المهدي من أسمائه صلى ا لله عليه وسلم؛ وهو بضم الميم: اسم فاعل (من أهدى الرباعي) أي الدال على ا لله الداعي إليه، وبفتح الميم: اسم مفعول أي الرشيد الموفَّق ـ [مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات].

(3) وقيل ولدت له أيضا ابنا اسمه الطاهر وبنتا اسمها زينب ابني أبي هالة. [راجع ابن إسحاق وغيره].

(4) رواه الترمذي في **الشمائل**، والطبراني والبيهقي وأبو نعيم وابن عساكر.. عن الحسن بن علي رضي ا لله عنهما قال: "سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية النبي صلى ا لله عليه وسلم، وكان وصافا؛ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئا أتعلق به، فقال: كان فخما يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر..." إلى آخر الحديث الطويل.

وغيرهما. **وجاءت**، قبل أبي هالة، من عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ـ وهو أبو عذرها[1] ـ ببنتها هندَ، التي تسمى الطاهرة أم محمد ابن الطاهرة؛ وهو محمد بن صيفي بن رفاعةَ بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. وقوله: **وهنده لمصعب**: يعني مُصعب بن الزبير، قُتل معه يوم قَتل مصعبٌ المختارَ بن أبي عبيد. ثم استطرد ذكر أُمِّ خديجة لَّما ذكر بنيها فقال: **وأمها**، أي خديجة، هِي **فاطمة بنت زائدة بن الأصم**[2]، أحد بني معيص (كأمير) بن عامر بن لؤي. ووصف **زائدة** بالثلاثة الأوصاف لأنه جدُّ أمِّنا خديجة. **والخضم** (كخدب): السيد الحمول المعطاء، وهو خاص بالرجال. **والقرم**: السيد. **والهمام**: العظيم الهمة، خاص بالرجال أيضا.

وقيل في موت هند بن أبي هالة غير ما قدمنا من أنه قتل يوم الجمل مع علي؛ وهو أنه مات بطاعون البصرة ومات يوم موته خلق كثير[3] فاشتغل الناس بجنائزهم عن جنازته؛ فلم يوجد من يحملها، فرأت نادبة ذلك فصاحت: وا هند بن هنداهْ، وا ربيبَ رسول الله ﷺ! فطرح الناس

---

(1) يقال: هو أبو عذرها إذا كان هو الذي افتضها، والأصل فيه أبو عذرتها فحذفت التّاء منه. وقيل ولدت له أيضا ابنا اسمه عبد مناف بن عتيق..

(2) واسم الأصمِّ جندب بن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص، وأم فاطمة هذه هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص، وأم هالة قِلابة بنت سُعَيد بن سعد بن سهم، وأم قلابة هذه بنت سُعيد بن سهم، وأم بنت سعيد هذه عاتكة بنت عبد العزى بن قصي.

(3) نحو من سبعين الفا.

جنائزهم وأتوا جنازته فرفعوها على أطراف الأصابع[1].

ومن عمرو بن تميم: النضر بن شميل العالم المشهور، كان بالكوفة فشيعته ثلاثة آلاف تلميذ له، فلما أرادوا الرجوع عنه قال: شيعكم الله يا أهل الكوفة والله لو وجدت من يتكفل لي بدينار كل يوم ما فارقتكم، فلم يجبه أحد. وخرج إلى خراسان فأصاب بها أموالا كثيرة.

ومن مازن بن عمرو: قَطَرِيٌّ بن الفجاءة الخارجي، خرج زَمَنَ مُصعب بن الزبير فمكث عشرين سنة يسلّم عليه بالخلافة، ويحاربه الحجاج بالمهلب بن أبي صفرة؛ وأكثر أيامهم يظفر فيها قطري بن الفجاءة. وله في ذلك أشعار جيدة منها قوله:

يا رب ظل عقاب قد وقيت به ... مُهري من الشمس والأبطال تجتلدُ

ورب يوم حمى ارعيت عقوبته ... خيلي اقتسارا وأطراف القنا وَقَدُ[2]

ومنهم أعشى بني مازن، و لم تجاوز الكتب ذلك في نسبه واسمه عبدُ الله، ويأتي ذكره في النظم قريبا؛ كانت عنده امرأة من بنات عمه يقال لها معاذة فغاب عنها ليمتار فهربت بعده واستجارت برجل من بني الحرماز بن عمرو يقال له مطرف بن بهصل، أعز في قومه من الأعشى، فأتى الأعشى النبي ﷺ فأنشده:

يا سيد الناسِ ودَيَّانَ العربْ ... إني نكحت ذربة من الذرب

---

(1) إعظاما لربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) القنا: الرماح: جمع قناة. والوقد (بالتحريك): المتقدة.

خرجت أبغيها الطعام في رجبْ فخالفتني بنزاع وهربْ
أخلفتِ الوعدَ ولَطَّتْ بالذنبْ وهن شر غالب لمن غلبْ[1]

فكتب النبي ﷺ إلى مطرف أن يردها عليه[2]، فأتى المرأة فقال لها: لا مرد لكتاب رسول الله ﷺ، فقالت: نعم، ولكن خذ لي الأمان من زوجي فإني أخاف أن يعاقبني، فقال: أما هذه فنعم، فأخذ لها الأمان وأمره أن يترضاها، فقال: إن شاءت بالعطاء وإن شاءت بالشعر؛ فاختارت الشعر، فقال:

لعمرك ما حبي معاذة بالذي يغيره الواشي ولا قِدمُ العهد
ولا سوء ما جاءت به إذ أَزَالَهَا غواة رجال إذ يناجونها بعدي

ومن تميم عسعس بن سلامة (بفتح العين) حديثه: إن رجلا من أصحاب النبي ﷺ أتى الجبل يتعبد ففُقد فطُلب، فأتي به النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني نذرت أن اعتزل فأتعبد، فقال رسول الله ﷺ: «لا يفعله أحد منكم ـ ثلاث مرات ـ فلأن يصبر أحدكم ساعة من نهار في بعض مواطن الإسلام خير له من عبادته خاليا أربعين عاما»[3].

---

(1) فقال صلى الله عليه وسلم: «وهنَّ شر غالب لمن غلب».

(2) رواه أحمد.

(3) ذكره الهيثمي في *مجمع الزوائد*. وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: مر رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بشِعب فيه عين ماء عذبة فأعجبته لطيبها فقال لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشِّعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ألا تحبُّون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا في

<<=

ومن تميم أيضا المستوغر[1] بن ربيعة، المعمر؛ عاش ثلاثمائـــة عام وأدرك النبوءة فهدم "رُضًا" - بيتا كانت ربيعة يعظمونه - ومما يحكـى مـن تعمـيره أنه رآه رجل يقود شيخا فانيا فقال له: ارْفُق به فطالما رفق بـك، فقـال لـه من تراهُ مني؟ فقال: أراه جدك، فقال المسـتوغر: بـل هـو ابـن ابـني، فقـال الرجل: ما رأيت كاليوم مستوغراً! فقال: أنـا المسـتوغرُ. ولُقِّـب المسـتوغر لقوله:

ينِشُّ الماءُ في الرَّبَـــلاتِ منها نَشِيشَ الرَّضْفِ في اللبن الوغير[2]

وَعِــزُّ كَعْــبٍ وَتَمِيمٍ بَهْدَلَــهْ وَرِجْلُ ذِي الْبُرْدَيْنِ ذَا تَشْهَدُ لَهْ

كعب: يعني كعب بن سعد بن زيد مناة. وذو **الـبردين** اسمـه عمـرو بـن أحيمر. والواو في قوله **وتميم**: عاطفة بمعنى بل، أي وعز كعب بن سعد بل وعز تميم في بني **بهدلة** بن عوف بن كعب. **وذا**: مبتـدأ وخـبره **تشـهد لـه**. والمشار إليه كون عز تميم في بني بهدلة.

سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنـة»، قـال الـترمذي: هـذا حديـث حسن. وروي أن عسعس بن سلامة هذا قال لأصحابه: سأحدثكم ببيـت شـعر، فتعجَّبـوا فقال:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإنـي لا أخـالك ناجـيا

أي إن تنج من مسألة القبر. فأخذ القوم يبكون بكاء ما بكوا مثله من شيء.

(1) واسمه عمرو بن ربيعة بن كعب - [القاموس].

(2) قاله في القاموس، والنشيش صوت الماء وغيره إذا غَلَى. والرَّضْف: الحجارة المحماة يوغر بها اللَّبن. والوغير: اللبن ترمى فيه الحجارة المحماة ثم يشرب.

قوله: **ورجْل ذي البردين**: أي وقصة ذي البردين (ولا يعني الرِّجل التي قال صاحبها: من أزالها عن مكانها.. لأن القوة توجد في العزيز والذليل) وإنما يعني القصة التي فيها ذكر الرِّجل؛ وهي أن النعمان بن المنذر وفدت عليه وفود العرب فأخرج إليهم برديْ عمه عمرو ابن هند فقال: ليقم أعز العرب فليأخذهما، فقام عمرُو بن أحيمر فأخذهما و لم ينازعه أحد، فقال له النعمان: لم أخذتهما؟ فقال: إنك قلت أعز العرب وعز العرب في مضر[1] ثم في خندف ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب ثم في بهدلة، ومن أنكر هذا من الناس فلينافرني. وسكت الناس. فقال له النعمان: هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت وأهل بيتك؟ قال: أما أهل بيتي فأنا أبو عشرة وأخو عشرة وعم رجال وخال رجال، وأما أنا في بدني فهذا شاهدي: فوضع قدمه على الأرض وقال: من أزالها عن مكانها فله مائة ناقة، فلم يقم إليه أحد؛ فذهب بالبردين ولقب بهما.

وإنما أخر **بهدلة** عن مكانهم، وهم من بني كعب بن زيد مناة الذين بدأ بهم، ليذكر أنهم أعز تميم، كأنه قال: ولتعلم أن تميما هؤلاء كلهم أعزهم بنو بهدلة[2]؛ لأن منهم الزبرقان بن بدر[3] ـ واسمه الحصين ـ ولقب الزبرقان

---

(1) وفي رواية أنه قال له: عز العرب في معد ثم في نزار ثم في مضر..إلخ.

(2) ومما يشهد لذلك قصة ذي البردين. ولما أنهى الكلام على قبائل تميم شرع يذكر بعض شعرائهم، وبدأ بالزبرقان لأنه من قبيلة بني بهدلة التي هي بيت العز في تميم، وهي المحدث عنها في الحال، فقال رحمه الله: **من مفلفيها**.. الخ.

(3) بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، التميمي السعدي.

لجماله، لأن الزبرقان القمر، ويقال له القمر بن القمر؛ وقيل سمي الزبرقان لأنه لبس عمامة مزبرقة، أو لأنه لبس حلة، فراح إلى نادي قومه فقالوا: زبرق الحصين. وقدمنا وفودهُ على النبي ﷺ وإسلامَه. واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه، فكان من أصحاب النبي ﷺ وَوُلاَته، وهو سيد بني بهدلة ومن سادات بني تميم؛ وذكره الناظم في ذكر شعراء تميم فقال:

مِن مُفْلِقِيهَا الزِّبْرِقَانُ الْبَهْدَلِي   كَذَاكَ ذُو الآثَارِ مِنْهَا النَّهْشَلِي

قوله: **من مفلقيها**: يعني تميما، من أفلق الشاعر إذا أتى بالشعر العجيب.

ذكر بعض شعراء تميم

لما أنهى الكلام على قبائل تميم شرع يذكر بعض شعرائهم، وبدأ بالزبرقان، إيصالا له بقبيلته بني بهدلة. ومن شِعْره قصيدته التي قال في مفاخرة الوفد لرسول الله ﷺ وأصحابه، إذ هو شاعرهم ــ أما خطيبهم فالأقرعُ بن حابس، وقيل عطارد بن حاجب بن زرارة ــ فلما أنشد القصيدة، وهي:

نحن الكرام فلا حي يفاخرنا   منا الملوكُ وفينا تنصب البيعُ
وننحر الكوم عبطا في أرومتنا   للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا
وكم قسَرْنَا من الأحياء كلّهم   عند النّهاب وفضل العز يتبع
ونحن نطعم عند القحط مطعمُنا   من الشواء إذا لم يونس الفزعُ
أما ترى الناسَ تأتينا سَراتُهم   من كل أرض هوينا ثم نصطنع
فلا ترانا إلى حي نفاخِرُهُم   إلا استقادوا فكان الرأسُ يقتطع

إنا أبَيْنا ولا يأبى لنا أحدٌ ... إنا كذلك عند الفخر نرتفع

أمر النبي ﷺ حسانًا أن يجيبه؛ فقال:

إن الذوائب من فهر وإخوتِهم ... قد بينوا سُنةً للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرتُه ... تقوى الإله وكل الخير يصطنع

قوم إذا حاربوا ضروا عدُوَهُمُ ... أو حاولوا النفعَ في أشياعهم نفعوا

سجيةٌ تلك منهم غيرُ محدثة ... إن الخلائق ـ فاعلم ـ شرُّها البدع

لا يرقع الناسُ ما أَوْهَتْ أكفُّهُمُ ... عند الدفاع ولا يُوهون ما رقعوا

إن كان في الناس سبَّاقون بعدهمُ ... فكل سَبق لأدْنى سبقهم تبَعُ

إن سابقوا الناسَ يوما فازَ سَبْقُهمُ ... أو وَّازنوا أهلَ مجد بالندى متعُوا

خذ منهمُ ما أتوا عفوًا إذا غضِبوا ... ولا يكن هَمُّكَ الأمرَ الذي منعوا

كأنهم في الوغى والموتُ مكتنعٌ ... أسْدٌ ببيشة في أرساغها فدع[1]

أكرم بقوْمٍ رسولُ الله شيعتُهمْ ... إذا تفاوتت الأهواءُ والشيع

أهدى لهم مدحتي قلبٌ يُؤازره ... فيما أحب لسَانٌ حائك صَنَعُ

فلما فرغ منها قدَّم الوفد الأقرع بن حابس ليخطب فخطب. فأمر النبي ﷺ ثابتَ بن قيس أن يجيبه؛ فلما أجابه قال الأقرعُ: إن هذا الرجل لمؤتّى له؛ لَشاعره أشعرُ من شاعرنا ولخطيبُه أخطب من خطيبنا ولأصواتُهم تعلو أصواتَنا..

قوله كذاك ذو الآثار منها: أي من مفلقي تميم، وهو الأسود بن لقيط بن زرارة، سمي ذو الآثار لأنه إذا هجا قوما ترك فيهم آثارا. وقوله:

---

(1) الوغى: الحرب، مكتنع: دان. الفدع: الميل والعوج.

النهشلي، فيه نظر، لأن الأسود بن لقيط بن زرارة لم يكن من بني نهشل وإنما هو من بني عدس، وعدس ونهشلُ أخوان، ابنا دارم، إلا أن يكون هذان الاسمان لغير لقيط بن زرارة العَدَسِيِّ[1].

جَرِيــرُ يَرْبُــوعٍ مُتَمِّمُهُــمُ أَعْشَى بَنِي مَازِنٍ عَمْرُو مِنْهُـمُ

أي ومن شعراء تميم أيضا: **جَرِيرُ** بني **يَرْبُوع**؛ وهو جرير بن عطية بن الخَطَفَى، وتقدم بعض الكلام عليه، وهو من كليب بن يربوع، وله يقول الفرزدق:

---

(1) ويحتمل أن يكون المراد بالأسود هنا الأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن حارثة بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي النهشلي، وهو ممن يلقب بالأعشى، وكان ممن يهجو قومه ـ [قاله في **خزانة الأدب**]، إلا أنه لم يذكر أنه يلقب ذا الآثار ولم ينف عنه ذلك اللقب، إلا أن ذكره له باسم الأسود النهشلي وأنه كان ممن يهجو قومه وأنه شاعر فصيح مشهور، ناسب أن يكون هو المراد هنا.
ومن شعرائهم أيضا: حُطائط بن يعفر، الذي يقول لأمه ـ واسمها رُهْم بنت العباب ـ وقد عاتبته على البذل:

تقول ابنة العبَّاب رُهْـمُ حربتنا	**حُطائط لم تترك لنفسك مقعَدا**
إذا ما أفدنا صِرمة بعد هجمة	**تكون عليها كابن أمك أسودا**
فقلت ولم أعيَ الجواب تأملي	**أكان هزالا حتف زيد وأربدا؟**
أريني جوادًا مات هزلا لعلني	**أرى ما ترين أو بخيلاً مخلَّدا؟**
ذريني أكن للمال ربًّا ولا يكن	**ليَ المال ربا تحمدي غبَّه غدا**
ذريني يكن مالي لعرضي وقاية	**يقي المال عرضي قبل أن يتبدَّدا**
ذريني فما أعْيَى بما حل ساحتي	**أسُود فأُكفَى أو أطيع المسودا**

إذا قيـــل أي الناس شـر قبيلة   أشَارَتْ كُلَيـبٍ بالأكـفِّ الأصابعُ
فوا عجبا حـــتى كليبٌ تسبني   كأن أباها نهشل أو مجاشـــع

يحكى أن أمه رأت في المنام، وهو في بطنها، أنها ولدت حبلا من شـعر فجعل يثب على الناس ويلتوي على عنق كل أحد؛ فعبر لها أنها تلد شاعرا هجاءً للناس، فسمي جريرا؛ لأنَّ الجرير في اللغة هــو الحبـل. وممـن هـاجى من الشعراء الفرزدق والراعي بقصيدته التي وضع بها قبيلة بني نمير، منها:

فغــض الطـــرف إنــك من نمير   فـــلا كعبا بلغــت ولا كـلابا

والأخطل بقوله:

ما أنت بالحكَــم التُرضى حكومته   ولا الأصيل ولا ذي الرَّأيِ والجدل

والصلتاني العبدي، وغيرهم.. حتى قيل إنه أفحم سبعين شاعرا.

وقوله: **متممهم**: يعني يربوعـا، وتقـدم الكـلام عليـه، كمـا تقـدم علـى الأعشى قريبا.

والأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، الْفَرَزْدَقُ   لِـــدَارِمٍ وَدَارِمُ الْمُحَــــرِّقُ
حَرَّقَ مِنْهُمْ مِائَةً جرًا أَخِيهْ   كَمَّلَـهَا بِالْبُرْجُمِيِّ الْمُعْتَفِـيهْ

يعني أن من شعراءِ تميم أيضا الأقرع بن حـابس، وتقـدم مـا تيسـر مـن الكلام عليه، وهو من حُكَّام العرب الذيـن يتحـاكمون عليهـم ويتنـافرون إليهم في الجاهلية ومن رؤسائهم. ومن أعظم رئاسته منازعته مع عُيينـة بـن حصن في خبر عامر بن الأضبط ومحلم بن جَثَّامة، والنـبي ﷺ جـالسٌ حـين قتل محلم عامرا بـن الأضبـط، فكـان عيينـة يحمـي عنـه لأنـه مـن أشـجع،

وأشجع من غطفان ـ وهِيَ قبيلة عيينة بن حصن ـ والأقرع يحمي عن محلم بن جثّامة، لأنه من كنانة الذين هم من خندف، وتميم ـ قبيلة الأقرع ـ من خندف؛ حتى رضيت أشجع بالعقل. وتقدم بعض هذا.

ترجمة الفرزدق

ومن شعرائهم أيضا الفرزدق، وهو والأقرع من بني دارم؛ واسم الفرزدق: همامُ بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال، الذي تقدم. والفرزدق في اللغة: القِطعةُ من العجين، وبها لقب لجهامة وجهه؛ وكان أول أمره هجاء للناس، ويكثر في شعره ذكر المعاصي بالنساء وغيرها، إلا أن له شرفا؛ قال عمرو بن هبيرة الفزاري: ما رأيت أشرف من الفرزدق هجاني أميرًا ومدحني أسيرا. وذلك أن عمرا لما ولي العراق من جهة بني مروان قال فيه الفرزدق، يخاطب فيه الوليد بن عبد الملك:

أميرَ المؤمنين وأنت عدل ... أمين لست بالطبع الحريص
أوَلّيت العراق ورافديه ... فزاريا أجذَّ يدِ القميص
تفهق بالعراق أبو المثنى ... وعلم قومه أكل الخبيص
ولم يك قبلها راعي مخاض ... ليأمنهُ على ورِكَيْ قلوص!

(قوله: رافديه: يعني الكوفة والبصرة، وقوله: أجذَّ يد القميص: يرميه بالسرقة، لأن السارق يقصر يد قميصه. وكانت العرب ترمي فزارة بنكاح النوق[1] وذلك قوله:

---

(1) قال الشاعر: **لا تأمنن فزاريا خلوت به ... على قلوصك واكتبها بأسيار**

ليأمنه..إلى آخره).

ودخل الفرزدق يوما على سليمان بن عبد الملك وأنشده أبياتا من سخف شعره، فقال له سليمان: لا بد من إقامة الحد عليك لأنك أقررت عندي بالـزنى وأنا إمام. قال الفـــرزدق: كتاب الله يدرأُ عني الحـد، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[1] وأنا قلت ما لم أفعل، فتبسم سليمان وقال: أولى لك. ودخل يوما على سليمان فاستنشده من شعره ـ وإنما أراد سليمانُ أن يمدحه ـ فأنشده:

وركـب كأن الريح تطلب عندهم لـها تِـرة من جذبها بالعصائـب

سروْا يخبِطــون الريح وهي تلفُّهم على شُعب الأكوار ذات الحقائب

إذا آنسوا نارا يقولـون ليتـها ـ وقد حضرت أيديهم ـ نارُ غالب

يعني أباه. فغضب سليمان حتى رأى الحاضرون الشرَّ في وجهه، فقال له نصيب: إن شاء أمير المؤمنين أنشدته من رويِّه، فقال: نعم، فأنشد:

أقـول لركـب صادرين لقيتهم قفا ذات أوشال ومَوْلاَكَ قاربُ

قفـوا خبروني عن سليمان إنني لمعروفـه من أهل وَدَّانَ طالب

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهلـه ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فالتفت سليمان إلى الفرزدق وقد سري عنه فقال: وما تقول فيه؟ فقال: هو أشعر أهل جلدته، فقال سليمان: وأهل جلدتك.

ومن شـرف الفرزدق، مما يظـن له به الخير، قصيدته التي امتـدح بها

---

(1) الشعراء: 226.

سيدنا عليا زين العابدين بن الحسين بن علي رضي ا لله عنهم. وسببها أن هشام بن عبد الملك حجَّ فرأى الناس مقبلين على زين العابدين بالإجلال والهيبة، فغضب لذلك حسدا وقال: من هذا؟ فقال الفرزدق في ذلك:

هذا سليل حسين، نجلِ فاطمة	بنت الرسول الذي انجابت به الظلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد ا لله كُلّهِمُ	هذا التقيُّ النقيُّ الطاهر العَلمُ
يكاد يمسكه ـ عِرفانَ راحته ـ	ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم
وليس قولك من هذا؟ بضائره	العرب تعرف من أنكرت والعجم

فلما سمع زين العابدين القصيدة بعث بمال إلى الفرزدق، فرده وقال: لم أرد بها العوض من الدنيا، فرده إليه وقال: لا ينقص هذا من أجرك، وإنا أَهْلَ البيْتِ لا نعود فيما وهبناه، فأخذه الفرزدق.

ويُدخل بعضُ الرواة في القصيدة بيتين ليسا منها، وهما:

يُغضي حياءً ويغضى من مهابته	فما يكلم إلا حين يبتسم
في كفه خيزران ريحها عبق	في كفٍّ أروع في عرنينه شَمَمُ

وإنما هما للحزين الدؤلي في عبد ا لله بن عبد الملك بن مروان.

وكانت للفرزدق بنت عم تسمى النوار، فوكلته على نفسها فزوجها من نفسه، فامتنعت منه وهربت إلى عبد ا لله بن الزبير وهو بمكة في خلافته فاستجارت بزوجته تماضرَ بنت منظور بن زبان، وتبعها الفرزدق فاستجار ببني عبد ا لله بن الزبير، فكان بنو عبد ا لله يصلحون له شأنه بالنهار فتفسده تماضر بالليل، فقال في ذلك:

أما البنون فلم تُقبل شفاعتهم	وشُفِّعَت بنتُ منظور بن زبانا

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا　　　مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا!

ثم توافقا بعد ذلك وولدت له، وفيها يقول:

حنت نـوار ولات هَنَّا حَنَّـتِ　　　وبدا الذي كانت نـوار أجَنَّتِ

يروى أنه كان يراود امرأة عن نفسها فامتنعت منه فهددها بالهجو، فاشتكت إلى النوار فقالت لها: عِديه بما يريد منك وواعديه مكانا ووقتا ثم إئتني، ففعلت معه ذلك. فجاءت إلى النوار فأخبرتها؛ فأخذت لباس المرأة فلبسته وأتت مكان الموعد في وقته، فجاءها الفرزدق ـ يظنها المرأة ـ فواقعها، فلما فرغ تراءت له النوار وجعلت تسبه وتخزيه، فقال لها: سبحان الله ما أبردك حلالا وأطيبَك حرامًا!.

وتنسك الفرزدق في آخر عمره. وجمعته يوما مع الحسن البصري جنازة، فقال الفرزدق: يا أبا عبد الله أتدري ما يقول الناس؟ يقولون: جمعت هذه الجنازة خير الناس يريدونك وشرَّ الناس يعنوني، فقال الحسن: لستُ بخير الناس ولستَ بشر الناس ولكن يا أبا فراس ـ وهي كنية الفرزدق ـ ما أعددت لمثل هذا اليوم عليك؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وخمس نجائب لا يدركن، يعني الصلوات الخمس.

وكانت عند سليمان بن عبد الملك أسارى من الروم فقدمها يوما للقتل، فكان يدفع كل واحدٍ لرجل يقتله؛ فكان الناس يتفاخرون بكيفية القتل، فقدم واحدا للحسين بن زيد فضربه وأبان رأسه ويده وقطع الغُل، فقال سليمان: والله ما ضربته بسيفك ولكن بحسبك، ودفع آخر للفرزدق وأعطاه سيف الحارث بن ظالم فقال له: لا أضربه إلا بسيف جدي

مجاشعٍ، فأعطاه إياه فضربه و لم يقطع شيئا، فضحك منه الحاضرون، وقال: كأني بابنِ المراغة ـ يعني جريرا ـ يقول:

بسيف أبي رغـوان سيف مجاشـع ... ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

وأنا أقول له:

وهـل ضربـة الرومي جاعلة لكم ... أبا عن كليـب أو أبا مثـل دارم

كذاك سيـوفُ الهند تنبو ظُباتها ... وتقطـع أحيانا مناط التمائـم

ومعنى بيتي الناظم أن الأقرع بن حابس والفرزدق من شعراء تميم وهما من بني دارم؛ ثم استطرد فعلة عمرو بن هند لدارم وذكر البرجمي الذي كمَّل به المائة من دارم.

قوله **ودارم** مبتدأ. **والمحرق**: مبتدأ آخر خبره: جملة **حرق** الفعليةُ. والمحرق وخبره: خبر دارم.

وافد البراجم الشقي!

والقصة أن عمرو ابن هند حلف ليحرقن مائةً من دارم بأخيه سعد بن المنذر. وكان للمنذر ابنان يسمَّى كل واحدٍ منهما بعمرٍو فنسب كل منهما إلى أمه ليمتاز عن أخيه، وهما عمرو ابن هند وعمرو ابن مامة، الذي كان يحاربه على الملك إلى أن مات في ذلك؛ وأما ابن هند فاستقام له الملك وبقي فيه إلى أن مات فقام فيه ابن أخيه النعمان بن المنذر. وكان سعد بن المنذر مسترضعا في دارم فقتل فيهم غيلة، فحلف أخوه عمرُو ابن هند ليحرقن منهم مائة جَرَّاءَهُ، أي لأجله (يقال فعلت كذا جراك وجراءك ـ مشددة، مقصورة وممدودة ومكسورة كذلك ـ أي من أجلك)، فأخذ

منهم تسعة وتسعين فحرقهم وبقي عليه المُوفِي المائة، فمرَّ واحد من البراجم فاشتم رائحة لحوم الناس وشحومهم فظن أن الملك أطعم، فقصده ليرزأ من طعامه، فلما رآه قال له: من أنت؟ فقال: أبيت اللَّعن أنا وافدُ البَراجِمِ، فَقال: إن الشقي وافد البراجم، فألقاه في النار ليكمل المائة به فيبر يمينه.

والمعتفيه: الطالب رزقه أو فضله.

ومن خبر هذا البرجمي صارت تميم تعير بحب الطعام حتى قيل فيهم:

إذا ما مات مَيْتٌ من تميم ... فسرَّك أن يعيش فجِئْ بزادِ
بلحمٍ أو بخبز أو بتمر ... أو الشيء الملفَّفِ في البجاد![1]

ويحكى أنه دخل الأحنفُ بن قيس على معاوية، فأراد معاوية ممازحته فقال له: ما الشيء الملفَّف في البجاد؟ فقال له الأحنفُ: السخينة يا أمير المؤمنين. والسخينة طعام كانت قريش تصنعه في المجاعة وكانوا يعيرون به حتى كانوا يسمون به، قال رجل من هوازن:

يا شدة ما شدَدْنَا غير كاذبة ... على سخينة لولا الليل والحرم

---

(1) الأبيات لأبي مُهْوِس الفقعسي، وبعد البيتين:

تراه يُطَوِّف الآفاق حرصًا ... ليأكل رأس لقمان بن عادِ

والشيء الملفلف في البجاد: وطْبُ اللَّبن، والبجاد: كساء فيه خطوط يلفلف فيه الوطاب ويترك حتى يروب، والوطب: زق اللبن خاصة. وإنما ذكر لقمان بن عاد لجلالته، يريد أنه لشدة نهمه وشرهه إذا ظفر بأكلة فكأنه قد ظفر برأس لقمان لسروره بما نال وإعجابه بما وصل إليه، وهذا كما يقال لمن يزهو بما فعل ويفخر بما أدرك: كأنه قد جاء برأس خاقان.

ذكر بعض الأجوبة المُسكِتة

وجواب الأحنف لمعاوية من الأجوبة المسكتة، كما قال له عقيلُ بن أبي طالب، حين قال له: إنكم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم، فقال له عقيل: كما أنكم معشر بني أمية تصابون في بصائركم. وقال يوما لرجل من أهل اليمن: ما أحمق قومك حين ولوا عليهم امرأة. فقال له الرجل: "وأحمق منهم قومُك حين قالوا: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1] ولم يقولوا فاهدنا إليه". ويشبه هذا ما وقع للفرزدق ورجل من فقعس لقيه، فقال له الفرزدق: ممن أنت؟ فقال: من فقعس، قال الفرزدق: فكيف تركت القنان؟ فقال: تركتُهُ يساير لصافا؛ يشير الفرزدق إلى قول الشاعر:

ضمن القنان لفقعس سوءاتها   إن القنان بفقعس لخبير

ويشير الفقعسي إلى قول الشاعر:

وإذا تسرك من تميم خصلة   فلَما يسوءك من تميم أكثرُ

قد كنت أحسبهم أسودَ خفية   فإذا لَصافِ تبيض فيه الحُمَّرُ!

(الحمر: بتشديد الميم وتخفيفه[2]. والقنان: جبل لفقعس يذكره زهير في قوله:

جعلنا القنان عن يمين وحَزْنَه   ومن بالقنان من محل ومحرم

ولصاف: جبل لتميم).

---

(1) الأنفال: 32.

(2) جمع حُمَّرةٍ (بالتخفيف والتشديد): طائر أحمر اللون.

ودخل أعرابي من بني محارب على عبد الله بن يزيد الهلالي، وقد بات بقرب غدير فيه الضفادع، فقال: ما تركتنا شيوخ بني محارب البارحة ننام؛ يشير إلى قول الأخطل:

تَنِقُّ بلا شيء شيوخُ محارب وما خلتها كانت تنِقُّ ولا تبري
ضفادع في ظلماء ليل تجاوبتْ فَدل عليها صوتُها حيةَ البحر

قال المحاربي: أصلح الله الأمير أضلت برقعا لها فهي في بغائه! يشير إلى قول الشاعر:

لكل هلالي من اللؤم بُرقُع ولابن هلال برقع وقميص

وَسُمي عمرو بن هند **محرقا** لتحريقه دارما، وقيل سمي محرقا لإفساده في الأرض، ويسمى أيضا *مضرِّط الحجارة*.

هنا انتهى الكلام على تميم مع تخليط فيه، أو قرب تخليط؛ وهل يصح الكلام عليهم بلا تخليط لكثرتهم؟ وكانت العرب تضرب الأمثال بكثرتهم، وقالت ليلى الأخيلية: كاثرْ بتميم. ولذلك كانت فيهم قبائل الكرم والجود والعز في الجاهلية والإسلام. ومنهم في زمن الفقهاء: يحيى بن يحيى التميمي، عالم الأندلس كلِّه تلميذُ مالك بن أنس. وفيهم القبيلات اللئام رعاء الشاء لا غير. ولم أقف على ذكر أحد منهم بمكرمة ما.

ومنهم أهل الرئاسة والكرم في الجاهلية، كحاجب ولقيط ابني زرارة وأشباههما. ومنهم من جمع رئاسة الجاهلية والصحبة كالأقرع بن حابس وصعصعة بن ناجية وقيس بن عاصم والأحنف بن قيس والزبرقان بن بدر وغيرهم ممن لا يحصى..

ولما أنهى الكلام على تميم نزل على بني خزيمة بن مدركـة بـن إليـاس، وإن خالف صنيعه؛ لأن صنيعه أن يجعل عمودَ النسب أصلا ويذكر الفروع قبله ثـم ينحط عليه، وهنا قدم مدركة بنَ إلياس ـ عمـودَ النسـب ـ علـى فروعـه: بـني طابخة بن إلياس، لقلة مدركة غير عمود النَّسب، وكثرة بني طابخة؛ فقال:

نسب خزيمة

أَمَّا خُزَيْمَــةُ فَمِنْ أَسَــدِهِ غَنْــمُ بْنُ دُودَانَ ذَوُو رَشَـدِهِ

إِذْ هَاجَــرُوا لِطَيْبَةٍ كُلُّهُــمُ وَآلُ جَحْــشٍ الْكِرَامُ مِنْهُمُ

قوله: **فمن أسده**: أي أسد خزيمة[1]، الذين قـالت فيهـم ليلـى الأخيليـة: ناطقْ بأسد، تعني فصاحتهم؛ لِما يقال إنهم أفصح العرب، وإن قـال النبي ﷺ: «واسترضعت في بني سعد بن بكر بن هوازن»[2].

---

(1) لخزيمة من الولد: كنانة ـ عمود النسب ـ وأسد والهُون، وقد تفرع مـن الهـون بطنـان همـا: عضل والقارة، وأما أسد فله من الولد دودان وكاهل وعمـرو وصعـب وحلمـة، وتفرعـت منهم بطون كثيرة وتشعبت من تلك البطـون أفخـاذ عديـدة؛ فمـن دودان بنـو غنـم الذيـن كانوا أهل إسلام وهجرة بنسائهم إلى المدينة، ومن بني غنم بن دودان هـؤلاء: بنـو جحـش بن رئابٍ بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم.

(2) ذكره الطبراني في *الكبير* من حديث أبي سعيد: «..أنا أعرب العرب ولدتني قريش ونشـأت في بني سعد بن بكر فأنى يأتيني اللحن». وروى ابن حجر العسقلاني في *تلخيص الحبير*: «أنا سيد ولد آدم بيد أني من قريش ونشـأت في بـني سـعد واسـترضعت في بـني زهـرة» قـال: "ويروى: «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش..» الخ". وقال: في إسناده مبشـر بـن عبيـد وهو متروك.

وغنم ودودان كلاهما بالضم. **والرشَد** (بالتحريك): الرُّشْدُ والصواب، قال تعالى ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[1]. **وطيبة**: المدينة. **وآلُ جحش**: بنو عمة النبي ﷺ أميمة بنت عبد المطَّلِب: عبدُ الله بن جحش المجدعُ. وابنُه محمد بن المجدع. وأبو أحمد الأعمى بنُ جحش الشاعر، قيل اسمه عبد الله وقيل ثمامة، أسلم قديما وهاجر وطلب من النبي ﷺ أن يرد إليهم دورهم بعد الفتح فأعرض عنه، فقيل له إن النبي ﷺ يحب أن لا يرجعَ إليكم ما نزع منكم في الله، وتوفي آخر خلافة عمرَ. وعبيد الله، هاجر الحبشة الهجرة الثانية مع زوجه أمِّنا رملة ـ وهو أبو بنتها حبيبةَ التي تكنى بها ـ وتنصر ومات على نصرانيته (نسأل الله العافية). وأمُّنا زينب. وحمنة، مات عنها مُصعبُ بن عمير يوم أحد، وهي التي قال فيها النبي ﷺ: «إن زوج المرأة لبمكانةٍ عندها»[2]، وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف، وكانت تستحاض في زمن النبي ﷺ. وجحش هو ابن رئاب بن كبير، كان اسمه برة فقالت زينب لرسول الله ﷺ: غيِّر اسم أبي، فقال: «لو كان أبوك مسلما لسميته باسم رجل من أهل البيت ولكن أسميه جحشا والجحش أكبر من البرة»؛ والبرة: دويبة.

يقول: أمَّا **خزيمة** عمود النسب فمن **أسد** ابنه **غنم بن دودان** بن أسد، أهل **رشد** لأجل هجرتهم كلهم إلى المدينة، وأيضا **منهم** بنو **جحش الكـرام**

---

(1) الكهف: 10.

(2) ذكره ابن هشام.

حلفاء بني عبد شمس. وكان عتبة بن ربيعة بعد هجرتهم يمر بدُورهم تخفق فيها الرياح فيتنفس الصُّعَداءَ وينشد:

وكل دار وإن طالت سلامتُها يوما ستدركها النكباءُ والحوب

ومِنْهُمُ ابْنُ مِحْصَنٍ عُكَّاشَهْ بُزَاخَةُ آخِرُ يَوْمٍ عَاشَهْ

أَهْلَكَهُ طُلَيْحَةُ الْعَادِلُ أَلْفًا وبَعْدَ رِدَّةٍ الْقَاتِلُ

أَسْلَمَ مُخْلِصًا وَقَادَ أَسَدَا بِالْقَادِسِيَةِ وَأَثْخَنَ الْعِدَى

أي ومن غنم بن دودان **عكّاشة** (بضم العين وتشديد الكاف) بن مِحْصن (كمنبر) بن حرثان بن قيس بن مرة بن كبير[1] بن غنم بن دودان، كان في سرية ابن عمه عبد الله بن جحش ـ التي هي أول وقعة لنا في المشركين ـ ثم شهد بدرا وما بعدها؛ وهو الذي فيه مثَل الحديث: «سبقك بها عكاشة»؛ وذلك أن النبي ﷺ قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا لا حساب عليهم» فقال عكاشة: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت منهم»، فقال رجل آخر: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «سبقك بها عكاشة»[2]، عدل صلى

---

(1) حرثان: بضم الحاء المهملة وسكون الراء وبالثاء المثلثة وبعد الألف نون كما في *أسد الغابة*، وكبير بالباء الموحدة وبوزن أمير، كذا في *الطبقات الكبرى* لابن سعد، وفي *الاستيعاب*: كثير بالثاء المثلثة بدل الباء، وفي *الإصابة*: بكير بالباء الموحدة مضمومة.

(2) متفق عليه.

ا لله عليه وسلم عن "لستَ منهم" تأدُّبا وتلطفا بأصحابه. قال السهيلي: عكاشة سأل ساعة الإجابة والرجل سأل وقد فاتت، وقال أيضا: وفي الحديث روايتان إحداهما: فقام رجل من الصحابة، والثانية: فقام رجل منافق معلوم النفاق - [اهـ].

وكان عكاشة جميلا شجاعا، انكسر سيْفُه يوم بدر فأعطاه النبي ﷺ عرجونا فعاد سيفا في يده واستمر عنده يقاتل به إلى أن بيع في الدولة العباسية من بُغَا التركي[1]، وكذلك دفع لعبد ا لله بن جحش يوم أحد عِذق نخل فعاد سيفا في يده، وكان بعد ذلك بيد ابنه محمد بن عبد ا لله المجدع؛ و لم أقف على ما آل إليه أمره.

وابن أخي عكاشة: سنان بن أبي سنان، شهد بدرا، وهو أول من بايع تحت الشجرة بيعة الرضوان، وقيل أبوه أبو سنان، والصحيح الأول. **وبزاخة** (كثمامة): موضع به وقعةُ خالد بن الوليد على أهل الردة الذين اتبعوا طليحة بن خويلد حين تنبأ، منهم بعض بني أسد وفزارة؛ قائدهم عيينة بن حِصن؛ فلما استشعر الغلب جعل يسب طليحة. وقال الحطيئة شعرا يمدح به الذين آمنوا بطليحة ويهجو به غيرهم، منه:

---

(1) بغا التركي تقال لقائدين من الترك في عهد العباسيين وهما بغا الكبير: (ت: 248 هـ) قائد تركي الأصل اشتهر في عهد المعتصم قاد حملات ضد البيزنطيين. اشترك في تنصيب المستعين بعد اغتيال المتوكل. وبغا الصغير: (ت: 254 هـ) قائد تركي قاد حملة حربية على ثوار أذربيجان في عهد المتوكل، تآمر على المتوكل واغتاله وأصبح الآمر والناهي. قتله الخليفة المعتز با لله.

فدا لبني نصْــر طريفي وتالدي | عشية ذادوا بالرماح أبا بكــرِ
فباستِ بني بكــر وباستاه طيئ | وباست بني دُودان حاشى بني نصْــر
أبوا غير ضـرب يجثمُ الهام وقعُه | وطعنٍ كأفــواهِ المزفتة الحمــر

ويروى منه:

أطعنا رســـول الله ما كان بيننا | فوا عجبا ما بالُ دينِ أبي بكــر
أيورثـــها بكــرا إذا قام بعــده | فتلكم وبيتِ الله قاصمةُ الظهـر!

ثم قال طليحة: أمـا الدِّيـن فـلا ديـن وأمـا أنتـم فقـاتلوا عـن أحسـاب قومكم - ويروى هذا عن مسيلمة -. ولما انهزم جيش طليحة ركب فرسه وفر إلى الشام، فلحقه عكَّاشَةُ آخـر النهـار فدعـاه للـبراز فقتلـه، ثـم لحقـه ثابت بن أقرم البلوي حليف الأنصار فقتله أيضا، وفي ذلك يقول:

عشيـــة غادرت ابن أقـرم ثابتًا | وعكاشـــة الغنميَّ عنـد مجالي
أقمت لهم صـــدر الحمالة إنها | معـــودة قِيل الكماة: نـــزال
فيوما تـــراها في جلال مصونة | ويوما تراها تحت ظـــل عوال
فإن تك أذواد أصبن ونســـوةٌ | فلن تذهبـــوا فرغا بقتل حبال

(وفرغا: هدرا، وحبال: قُتل يومئذ؛ وهو حبال بـن مسـلمة بـن خويلـد، ابـن أخـي طليحة)، ومسلمة أعان أخاه طليحة على قتل عكاشة.

فلحق طليحة بالشـام، ثـم أسـلم وتـاب وقـدم المدينـة مخلصـا الإيمـان، وشهد القادِسية وأبلى فيها بـلاءً حسـنًا؛ وقـاد إليهـا أسـدا، واستُشـهدت منهم بها ألفٌ، ثم استشهد [هو] بـ"نهاوند".

يقول ومن غنم بن دودان عُكَّاشة **بن مِحصَن**، وآخر أيامه من الدنيا يوم بزاخة؛ قتله **طليحة** بنُ خويلد الذي يـوزن في القتـال **بـألف** فـارس، ثـم إن

طليحة بعد تنبئه وردته **أسلم مخلصا** الإسلام **وقاد** قبيلته بني **أسد** إلى **القادسية وأثخن** فيها **العدى**، أي أكثر قتلهم. **وال** في **القاتِلُ** للعهد، أي وهذا القاتل لعكاشة. والقاتل: مبتدأ خبرهُ: جملة **أسلم**. و**مخلصا** حال.

مِمَّن بِأَلْفٍ يُوزَنُ: الْمِقْدَادُ، خَارِجَةٌ، عُبَادَةُ الآسَادُ
كَذَا الزُّبَيْرُ، وَعَلِيٌّ أَجْدَرُ وَخَالِدٌ بِالْعَدِّ مِمَّن ذُكِرُوا

ذكر رحمه الله طليحة بن خويلد في ذكر عكاشة، وهما من بني دودان ابن اسد؛ لكن عكّاشة من بني غنم وطليحة من بني قعين (كزبير) وقعين من بني ثعلبة بن دودان، وكذلك ذكر بني أسد إجمالا؛ ثمَّ شرع يفصل قبائلهم وينسب الرجال إليها؛ وبنو أسد قبائلهم كثيرة، وكبراؤهم ثلاثة: بنو دودان وبنو عمرو وبنو كاهل؛ الذين قتلوا والد امرئ القيس فقال فيهم:

قد قرت العينان من مالك ومن بني عمرو ومن كاهل

وأكثر قبائلهم يتفرع من بني دودان.

مَن يوزن بألفِ فارس

ولما ذكر الناظم طليحة وذكر أنه يعدل بألفٍ ـ أي ألف فارس ـ استطرد ذكر من يوزن بألف فارس كذلك؛ وهم أربعة غير طليحة: الزبير بن العوام. وخارجة بن حذافة بن غانم العدوي، الذي قال قاتله: *أردت عمرا وأراد الله خارجة*، وسيأتي ذكره في نسبه إن شاء الله؛ ويروى أن أبا عبيدة بعث إلى عمر يستمده فبعث إليه الزبير وخارجة وقال له: قد

أمددتك بألفيْ فارس!. الثالث: المقداد بن عمرو البهراوي. والرابع: عبادة بن الصامِت الأنصاري.

يقول ممن يعدل بألف فارس ـ غير طليحة ـ **المقدادُ** بن عمرو البهراوي حليف بني زُهرة، صاحب رسول الله ﷺ وخاله بالحلف وصهره على ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب؛ **وخارجة** بن حذافة؛ **وعبادة** بن الصامت؛ وكذلك منهم الزبير بن العوام.. **الآساد**: أي المشبهون بالآساد في الشجاعة، بل هم أشجع من الأسد إذ لا يعدل أسد بألف فارس، لكن غاية الشجاعة عند العرب الأسد.

ثم قال في نفسه غير مستند إلى أحد: **وعلي** بن أبي طالب **وخالد** بن الوليد **أجدر**: أي أحق، **بالعد** فيمن يوزن بألف من هؤلاء المذكورين. **قلت**: لكن هؤلاء خُصُّوا بهذه الصفة، وهي عدالة الألف، دون غيرهم من الشجعان؛ ولا أراهم أشجعَ من حمزة بن عبدِ المطلب وأبي دجانة والبراء بن مالك وأمثالهم..

مِنْ أَسَدٍ أَيْضًا دُبَيْرُ، فَقْعَسُ، عَـرَارُ وَالْكُمَيْـتُ وَالْمُنبَجِسُ
بِالشِّعْـرِ إِذْ بِأُخْتِـهِ رَمَاهُ أَحَـدُهُمْ وَإِفْكُـهُ شَجَـاهُ
«ذَاكَ عَبِيدُ قَـدْ أَصَابَ مَيَّا يَا لَيْتَـهُ أَلْحَقَـهَا صَبِـيًّا»

يقول: **من أسد أيضا** ثم من ثعلبة بن دودان قبيلتا **دُبير وفقعس**، **وعرار** بن عمرو بن شأس **والكميت** بن زيد الشاعر، **والمنبجس بالشعر**، أي المتفجر به بعد أن لم يكن شاعرا، لأجل أن **رماه أحد** بني أسد **بالإفك**

وشجاه: أي أحزنه.

أما **دُبير** (كزبير) فهو من بني قعين وكذلك **فقعس**، ومنهم عبدُ الله بن الزَّبير (كأمير) الشاعر؛ قدم على عبد الله بن الزُّبير بمكة فلم يعطه شَيْئًا فاستحمله، فقال: ما بال ناقتك؟ فقال: نقبت ودبرت، فقال: انعلها وداوها، فقال: لعن الله ناقة حملتني إليك! فقال: إنَّ وراكبها[1]. وخرج عنه يقول:

أرى الحاجات عند أبي خبيب نَكِبْنَ ولا أمية في البلاد

ومن فقعس أيضا ابن كوز، الذي قيل فيه وقد خطب امرأة:

تمنى ابن كوز والسفاهة كاسمها ليستادَ[2] منا إن شتونا لياليا

فلا تخطبنها يا ابن كوز فإنه غذا الناسُ مذ قام النبي الجواريا

(أي ترك الناس منذ بعث النبي ﷺ الوأدَ، وتزويجها إياك يا ابن كوز وأدٌ لها!). ومنهم أيضا عبد الله بن الريس، الشاعر.

هؤلاء من فقعس. وأما **عرار** فهو ابن عمرو بن شاس الصحابي، من بني سعد بن ثعلبة بن دودان، وكان عمرو بن شاس شاعرا، وهو القائل:

إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا كفى لمطايانا بذكراك هاديا

وشهد الحديبية، وهو القائل أيضا في ابنه عرار يخاطب امرأته، وكان عرارُ

---

(1) إن بمعنى نَعم، أي لعنها ولعن راكبها.

(2) أي يخطب إلينا، واستادوا سيدهم خطبوا إليه.

أسود[1]:

أرَدتِّ عــرارا بالهوان ومن يــرد	عرارا لعمــري بالهــوان فقد ظلم
فإن كنتِ مِنّي أو تريدين صحبــتي	فكوني لـه كالسمن رُبَّت لـه الأدم
وإن كنتِ تهوين الفراقَ - ظعينتي -	فكوني له كالذئب ضاعت له الغنم
وإن عــرارا إن يكن غير واضح	فإني أحبُّ الجون ذا المنكب العممْ

ثم اتفق أن أميرا من أمراء عبد الملك بَعَثَ عرارًا إلى عبـد الملـك، فلمـا دخل عليه استخف به لسواده، فلما كلمــه أعجبـه كلامُـه وأدبـه، فأنشـد عبد الملك:

أردت عرارا بالهوان.. البيت، فقال عرار: يا أمير المؤمنـين أتعـرف عـرارا؟ قال: لا، قال: أنا عرار، فتعجب عبد الملك وأحسن جائزته.

وأمــا **الكميـت** فهـو ابـن زيـد بـن الأخنـس مـن بـني سـعد بـن ثعلبـة بـن دودان أيضـا ــ مثـل عـرار ــ وكـان شـاعرا مجيـدا

---

(1) لأن أمه أمَة سوداء كانت لأبيه فأولدها عرارا، وامرأته التي يخاطبها هي أم حسّان السعدية وكانت تبغض عرارًا وتشتمه وتؤذيه وتُعَيِّر أبَاهُ به، ولمـا أعيـا عمـرا أمرُهـا و لم يقـدر علـى إصلاحها في شأن عرار هذا قال:

ألم يأتها أني صحــوت وإنــي	تحلّمت حتى ما اعارم من عـرَمْ
وأطرقت إطـراق الشجاع ولو رأى	مساغا لنابَيْـهِ الشجاع لقــد أزم
وان عــرارا إن يكن ذا شكيمــة	تقاسينــها منه فما أملك الشيم

أردتِّ عرارا بالهوان..إلخ. (وعرار: بالمهملة وبوزن سحاب وكتاب).

شيعيا[1]، وأولُ ما قال من الشعر قصيدة يمدحُ بها آل النبي ﷺ، فخلا بالفرزدق وقال له: إنّي قلت قصيدة وأردت أن أعرضها عليك، إن كانت شعرا فأخبرني وإلا فاكتم عني؛ فأنشده إياها، فقال له: أراك أشعر الناس.. اذهب فقل ما شئت من الشعر. والقصيدة[2] منها:

---

(1) وكانت للكميت خصال لم تكن في شاعر؛ كان خطيب بني أسد وفقيه الشيعة وحافظ القرآن، وكان ثبت الجنان كاتبا حسن الخط، وكان في صغره ذكيا لوذعيا. يحكى أنه وقف وهو صبي على الفرزدق وهو ينشد، فأعجبه سماعه فلما فرغ قال: يا غلام كيف ترى ما تسمع؟ قال: حسن يا عم، قال: أيسرك أني أبوك، فقال: أما أبي فلا أبغي به بدلا ولكن يسرني أنك أمي! فحصِرَ الفرزدقُ وقال: ما مر بي مثلها. وكان الكميت قال الشعر وهو صغير وبرع فيه. روي أنه سئل معاذ الهرَّاء عن أشعر الناس؟ فقال: من الجاهليين امرؤ القيس وزهير وعبيد بن الأبرص، ومن الإسلاميين الفرزدق وجرير والأخطل. فقيل له: ما رأيناك ذكرت الكميت؟ قال: ذلك أشعر الأولين والآخرين. وله في أهل البيت قصائده المشهورة البليغة وهي أجود شعره.

(2) أولها:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب	**ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب**
ولم تلهني دار ولا رسم منزل	**ولم يتطربني بنان مخضَّبُ**

إلى أن يقول:

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى	**وخير بني حواء والخيرُ يطلب**
إلى النفر البيض الذين بحبهم	**إلى الله فيما نابني أتقربُ**
بني هاشم رهط النبي فإنني	**بهم ولهم أرضى مرارا وأغضبُ**
خفضت لهم مني جناح مودتي	**إلى كنف عطفاه أهل ومرحبُ**

بأي كتاب أم بأية سنة..إلخ. ومنها:

<<=

بأيِّ كتابٍ أم بأيَّـــة سُنـــــة ترى حبَّهم عارا عليَّ وتحسب؟
وما ليَّ إلا آل أحمــــــد شيعة وما لي إلا مـذهب الحق مذهبُ

عَبيد بن الأبرص وتنبغه بالشِّعر

وأما المنبجس الذي يشير إليه وإلى قصته فهو عبيد (كأمير) ابن الأبرص، شاعر بني أسد في الجاهلية؛ و لم يدرك الإسلام بل مات قبيل البعثة. وكـان تِربَ عبد المطلب، وعاش مائة وعشـرين سـنة، فقتلـه النعمـان بـن المنـذر. وكان للنعمان يوم نعيم مَن وَرَد عليه فيه أغناه، ويـوم بـؤس مَـن أتـاه فيـه قتله، فوافَى عبيدُ يوم البؤس فقتله.

والقصة أنه أورد هو وأخته يوما غنما لهما، فزاحمه على الماء رجل مـن بني أسد فغلبـهُ علـى المـاء، فـأتى هـو وأختـه إلى ظـل شـجرة فجلسـا فيـه ينتظران فرجة الماء، فقال الرجل يهجوه ويسخر به ويبهتُه: **ذاك عبيد**..إلخ.

فابتهل عبيد إلى ا لله وقـال: اللهـم إن فلانـا ظلمـني ورمـاني بالبهتـان، اللهم إن كنـت تعلـم هـذا فـأدِلْني عليـه[1]. وغلبتـه عينـاه فنـام، فـرأى أن شخصا رمى في فيه بكبة من شعر فانتبه يرتجز.. فكان شاعر بني أسد!.

-- >>

ومَن غيرهــم أرضى لنفسي شيعة ومن بعدهم ـ لا ـ مَن أجل وأرحب
إليكـم ذوي آل النبي تطلعـــت نوازعُ من قلــــبي ظماء والبُبُ
وجدنا لكـم في آل حاميــم آية تأولها منا تقـــي ومُعـــــربُ

يشير إلى قوله تعالى في (حم عسق): ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾.

(1) أي اجعل لي الكرَّة عليه، والإدالة: الغلبة.

وكل من ذكر من أسد من بني دودان، إما من ثعلبة وإما من غنم.

ومن غنم يزيد بن رقيش بن رئاب، شهد بدرا وهو ابن عم بني مِحْصن.

ومنهم محرز بن نضلة، ويقال له الاخرم، ويقال له أيضًا قمير، شهد بدرا وقتل يوم الغابة؛ ركب على فرس لمحمد بن مسلمة الأنصاري فلحق القومَ وحده، فقال لهم: قِفُوا يا بني اللكعاء حتى يلحقكم النبي ﷺ ومَن معه من المهاجرين والأنصار؛ فرموه فقتلوه، وجال الفرس إلى آريه[1].

ومن غنم أيضا أربدُ بنُ عميرة، ذكر أنه هاجر الحبشة وأنه شهد بدرا، وكلا القولين ليس بصحيح وا لله تعالى أعلم.

ومنهم عقبة وشجاع ابنا وهب بن ربيعة، شهدا بدرا؛ أما شجاع فأرسله النبي ﷺ إلى الحارث بن أبي شِمْرٍ الغسَّاني وجَبلةَ بنِ الأيْهم، وآخى النبي ﷺ بينه وبين خولَى بن أوس، وقتل يوم اليمامة؛ وهما من حلفاءِ بني عبد شمس من بني غنم.

وأما ثعلبة فمنهم الصحابي ظبيان بن ربيعة، ابن عم طليحة؛ قال له: إنما أنت كاهِن تصيب وتخطئ والنبي ﷺ يُصيب ولا يخطئ. ومنهم القبيلتان فقعس ودُبَير، كما قدمنا.

---

(1) الآريُّ (ويخفَّف): الأَخِيَّةُ وهي عروة تربط إلى وتد مشقوق وتشد فيها الدابة، قال امرؤ القيس:

ويخضد في الآري حتى كأنما ... به عُرَّة من طائف غير معقب

كَذَا ابْنُ الاَزْوَرِ ضِـرَارُ الْهَالِكُ مُقَاتِــلاً بِصَــدْرِهِ وَالْهَالِكُ

ابن الأزور: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. **وضرار:** بدل من ابن الأزور. **والهالك** الأول: نعت لضرار. **ومقاتلا:** حال متعلق **بصدره**. **والهالك** الثاني: عطف على البدل أو المبدل منه.

يقول كذا من أسد **ضرارُ** بن الأزور، الذي مات وهو يقاتلُ بصدره. ومنهم أيضا الرجل المسمى **الهالك** بن عمرو بن أسد، وهو الحداد؛ لأنه أول من عمل في الحديد من العرب[1]، ومن ثم يقال لبني أسد *القيون*. وأما ضرار فهو من بني ثعلبة بن دودان[2]؛ وهو من فرسان الصحابة وشجعانهم وشعرائهم، وفد على النبي ﷺ، وقتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليد كما تقدم.

وقوله: **الهالك مقاتلا:** يشير إلى أحد القولين في موته، وهو أنه يوم اليمامة قطعت ساقاه فجعل يحبو ويقاتل بيديه وصدره وتطؤه الخيلُ حتى غلبه الموت. والقول الثاني أنه استُشهد بالشام في خلافة عمر بعد أن شرب هو وضرار بن الخطاب وأبو جندل بن سهيل بن عمرو الخمر،

---

(1) ومن بني الهالك هذا سماك بن مخرمة الذي يقول فيه الأخطل:

نعم المجير سماك من بني أسدٍ بالمزج إذ قتلت جيرانها مضر

قد كنت أحسبه قينا وأخبره واليوم طَيَّرَ عن أثوابه الشرر

(2) هو ضرار بن الأزور ـ واسم الأزور مالك ـ بن أوس بن خزيمة بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة بن دودان.

متأولين بقوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]، فاهتم أبو عبيدة بجلدهم، فقالوا له: إنك لاقٍ بنا العدوَّ غدا، فإن قتلنا كُفِيتنا وإلا فشأنك بنا؛ فقتل ابن الأزور وأبو جندل، وبعث عمر إلى أبي عبيدة أن يجلد ضرار بن الخطاب[2]، وكتب إلى ضرار: إن الذي أوجب عليك الذنب هو الذي حظر عليك التوبة.

وَأَيْمَــنُ اسْتَعَانَـــهُ مَــرْوَانُ وَفَتْكُـــهُ قَيَّـــدَهُ الإيمَـــانُ

قوله: **وأيمن**: يحتمل أنه عطف على المذكورين قبله، أي كذا ابن الأزور والهالك وأيمن؛ ويحتمل أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره: منهم، أي ومن اسد أيمن[3]. **واستعانه**: طلب منه المعونة. يشير إلى أن أيمن بن خريم بن مالك بن فاتك

---

(1) المائدة: 93.

(2) ورد الخلاف في قصة هؤلاء القوم، أي فيمن استشهد منهم ومن أقيم عليه الحد، ففي ***الاستيعاب*** قال: فاستشهد ابن الأزور وحد الآخران، أبو جندل وضرار بن الخطاب. ومثله في ***الإصابة***، وفيها أيضا يقال إن ضرارا ابن الأزور ممن شرب الخمر مع أبي جندل فجلدهم أبو عبيدة. وفيها أن أبا جندل استشهد باليمامة. وفي ***تاريخ الطبري***: انهم نفر وأن منهم ضرارا وأبا جندل، وأنهم جلدوا، وفيه أيضا: فاستشهد ضرار بن الأزور في قوم وبقي الآخرون فحدوا، وقيل إن ضرارا ابن الأزور قتل باجنادين.

(3) وهو أيمن بن خريم بن الأخرم بن شدّاد بن عمرو بن فاتك بن العليب بن عمرو بن أسد، الأسدي الصحابي، وكان شاعرا محسنا؛ وهو القائل في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه:

إن الذين تولـــوا قتلــه سفــها لقوا أثاما وخســـرانا فما ربحوا

وكان يُسمى "خليل الخلفاء" لإعجابهم به وبحديثه لفصاحته وعلمه.

طلبه مروان أن يعينه يوم مرج راهط على قتال ابن الزبير فقال: "الإيمان قيد الفتك"، ثم قال له: إن أبي وعمي شهدا بدرا وعهدا إلي ألا أقاتل مسلما، فإن جئتني ببراءة من النار أُعينك، فقال له: لا حاجة لي في معونتك. ويعني بعمه: سبرة بن فاتك، فقال أيمن في ذلك:

ولست بقاتل رجلا يصلي على سلطان آخر من قريش

له سلطانه وعلي إثمي معاذ الله من سَفَهٍ وطيشِ

أأقتل مسلما في غير جرم فلست بنافِعِي ما عشت عيشي

أسلم أيمنُ يوم الفتح وهو غلام يافع، روي أن النبي ﷺ قال فيه: «نعم الرجل أيمن لولا طول جمته وإسبال إزاره»[1]، فقطع جمته إلى أذنيه وشمر إزاره إلى نصف ساقه.

ودخل أيمن على عبد العزيز بن مروان فوجد عنده نُصَيْبًا، وقد جاءه يمدحه يريد أن يشتريه، فقال له عبد العزيز: ما قيمة هذا العبد عندك؟ فقال: أراه يُساوي ثلاثة آلاف، فقال عبد العزيز: واعلم أنه شاعر، فقال أيمن: قيمته إذا ثلاثة دراهم!.

وأما أيمن والهالك فمن عمرو بن أسد. ومنهم أيضا الأقيشر بن الأسود، سمي الأقيشر لأنه كان أحمر اللون، وكان من شعراء أول الإسلام ومن المعمرين، كان في زمن بني العباس، وهو القائل:

---

(1) أخرجه أبو داود وأحمد، والذي في *الإصابة والاستيعاب* أنه قال ذلك في خريم.

في فتية جعلوا الصليب إلههم   حاشاي إني مسلم معذور[1]

ومن أسد ـ ولا أدري من أي قبائلهم ـ وابصةُ بن معبد بن مالك الصحابي، قال: وجد النبيُّ ﷺ رجلا يصلي خلف الصف فأمره أن يعيد

(1) وكان الأقيشر هذا كوفيا خليعا ماجنا فاسقا مدمن الخمر، وكان هجاء. من ذلك قوله في ابن عم له موسر كان يسأله فيعطيه، حتى كثر ذلك عليه فمنعه وقال: إلى كم أعطيك وأنت تنفقه في شرب الخمر؛ ولطمه، فأنشأ يقول:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه   وليس إلى داعي الندى بسريع

حريص على الدنيا مضيع لدينه   وليس لما في بيته بمضيع

ومن شعره:

يا أيها السَّائل عمَّا مضى   من علم هذا الزَّمن الذاهبِ

إن كنت تبغي العلم أو أهله   أو شاهدا يخبر بالغائب

فاختبر الأرض بأسمائها   واعتبر الصاحب بالصاحب

وشرب يوما حتى سكر فسقط وبدت عورته وامرأته تنظر، فأقبلت تلومه وتعتب عليه، فأنشأ يقول:

تقولُ يا شيخ أما تستحي   من شربك الراح على المكبر؟

فقلت لو باكرت مشمولة   صَفْرًا كلَوْن الفرس الأشقر

رُحتِ وفي رجليك ما فيهما   وقد بدا هَنْكِ من المئزر

وله من قصيدة:

لا تشربَنْ أبدًا خمرا مسارقة   إلا مع الغر أبناء البطاريق

أفنى تلادي وما جَمَّعتُ من نشب   قرع القواقيز افواه الأباريق

عليك كلَّ فتى سمح خلائقه   محض العروقِ كريم غير ممذوق

ولا تصاحبْ لئيما فيه مَقرفَةٌ   ولا تزورنَّ أصحاب الدَّوانيق

صلاته[1]. ومنهم قبيصة بن برمة[2]، قال له النبي ﷺ: «كم مات لك من البنين»؟ قال: ثلاثة بنين، قال: «لقد احتظرت من النار بحظار شديد»[3]. ومنهم المحدث المشهور مُسَدَّد (كمعظم) بن مُسرهد بن مُجرهد بن مُسربل بن مُغربل بن مُرعبل بن مُطربل بن أرندل بن سرندل بن عَرْندل[4]. وتزعم الزوايا[5] أن اسمه وأسماءَ جدوده رقيةٌ للعقرب.

نصيب الشاعر:

ومن موالي بني أسد: نصيب الشاعر، وكان في الغاية من السَّواد

---

(1) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد.

(2) قبيصة: بفتح أوله وكسر الموحدة. وبرمة: بضم الموحدة وسكون الراء ـ[تقريب التهذيب لابن حجر وغيره].

(3) قاله في *الاستيعاب*. وروى الطبراني في *الكبير* والبزار أن امرأة من الأنصار جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله مات لي ابنان، فقال صلى الله عليه وسلم: «لقد احتظرت من النار احتظارا شديدا»، وفي الطبراني أيضا: «لقد استجن جنة حصينة من النار رجل سلف بين يديه ثلاثة من صلبه في الإسلام».

(4) وفي **القاموس**: عرندل بن ماسك بن المستورد الأسدي. وفي نصر الهوريني: عرندل بالإهمال وفيها إعجام العين. وقيل إن هذه الأسماء إذا كتبت وعلقت على محموم كانت من أنفع الرقى وجربت فكانت كذلك. وقال عاصم إنها رقية للعقرب إذا كانت قبلها البسملة ـ [قاله أبو نعيم]. وفي *كوثر المعاني*: 492/1: مسدد بن مسرهد..إلخ، ثم قال: هو البصري الأسدي الحافظ أبو الحسن، قيل اسمه عبد الملك بن عبد العزيز، قال العجلي: وكان أبو نعيم يسألني عن نسبه فأخبره، فيقول لي: يا أحمد هذه رقية العقرب. وفي **نسيم الرياض**: اسم مسدد عبد الملك واسم مسرهد عبد العزيز. وكان مسدد إماما حافظا محدثا بالبصرة، روى عنه أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائتين.

(5) الزوايا: تطلق في بلاد شنقيط على القبائل المشتغلة بالعلم والقائمة بالأمور الشرعية.

والظرافة وجودة الشعر، وكان عبدًا لِرجل من بني الحسحاس؛ وهم من بني أسد[1]، ولم أقف لهم في كتب الأنساب على ذكر، ولا ذكرهم النابغة في قصيدته التي ذكر فيها سائر قبائل بني أسد، لكن ذكرهم نصيب بقوله:

أشْعارُ عَبْـدِ بني الحسحاس قُمْنَ له	عند الفخار مَقامَ الأصـل والورق
إن كنت عبدا فنفسي حرة كرما	أو أسودَ اللون إني أبيض الخُلق

وكان سيده من بني الحسحاس أرعاه إبلا فأضلها وخرج في طلبها، فلما عزَّته عمد إلى عبد العزيز بن مروان يمتدحه، فلما دخل عليه أنشده شعرا فيه؛ ولم يثقْ عبد العزيز بكون الشعر له ـ إذ لا يعرفه ـ فقال له لعلك انتحلت هذا الشعرَ فإن كنت صادقا فارتجِل الليلةَ شعرًا لا ينبغي أن يكون لغيرك، ثم غدا عليه بقصيدة يذكر فيها السحاب ويغزل فيها، وخلص على مدح عبد العزيز. فأعطاه قيمة الإبل وذهب بها إلى سيده فكاتبه، فرجع إلى عبد العزيز فأعطاه الكتابةَ ودفعها إلى سيده، ثم كان شاعر عبد العزيز وبني مروان. ومن شعره قوله:

يا أخت ناجية السلام عليكم	قبل الرحيل وقبل لوم العذل
لو كنت أعْلم أن آخر عهدكم	يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

قال له ابن أبي عتيق: ما ذا تفعل إلا أن تقول: "غاق" فتطير! يشبهه بالغراب لسواده.

وكانت امرأة في طريق الحاج بين مكة والمدينة يقال لها زينب، كل من

---

(1) الحسحاس (بمهملات): هو ابن نُفاثة بن سعد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة. وكان مولى سحيم من بني الحسحاس يسمى جندل بن معبد.

مر بها تكرمه وتطعمه ويعطيها ثلاثة دنانير؛ فقال عندها نصيب، فلما أراد الارتحال عنها خيرها بين الدنانير وأبيات، فاختارت الأبيات فقال:

بِزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركب ... وقلْ: إن تملينا فما ملَّكِ القلبُ
خليلي من كعب ألما هديتما ... بزينبَ لا تفقدْكما أبدا كعب
من اليوم زُورَاها فإن ركابنا ... غداة غد عنها وعن أهلها نكب

ووفد على عبد الله بن جعفر فقال له عبد الله: ما حاجتك؟ فقال: هذه رواحلي تميرني، فقال: أنخ أنخ، فأوقرها له ميرا وأجزل جائزته غير ذلك، فقيل لعبد الله أتعطي هذا كله لهذا الأسود؟ فقال: إن كان أسود فشعره أبيض وإن كان لا يستحقه فأنا أستحق بذله. وكان نصيب يواصل امرأة، فزارها فوجد رجلا آخر معها، فقال:

أراكِ طموح العين ميالة الهوى ... لهذا وهذا منك ود ملاطف
فإن تحملي ردفين لم أك منهما ... فحبي فرد، لستُ ممن يرادف

وكان نصيب متكبرا، روي أنه لما شب ابنُه وأراد التزويج خطب إلى مواليه من بني أسد فأجابوه، فاستشار أباه فقال له: اجمع الناس فجمعهم، فأتاهم نصيب فقال: لما اجتمعتم هنا؟ فقالوا: ابنك هذا يريد أن تزوجه بنت فلان، قال: أوَ أراد ذلك؟ قالوا: نعم كما ترى، فقام إليه فضربه. ولنثن عن أخبار نصيب.

ولما فرغ من الكلام على الفرع، وهو بنو أسد، انحط على الأصل الذي هو عمود النسب، فقال رحمه الله:

انتهى بحمد الله الجزء الأول من شرح عمود النسب

ويليه إن شاء الله الجزء الثاني، وأوله نسب كنانة

فهرس محتويات الجزء الأول

فهرس الأعلام المترجمين والمعرفين في الشرح والتعليق

في الجزء الأول

طبع بمطابع
دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع
ص ب: 23424 الشارقة - إ. ع. م.

تصريح وزارة الإعلام والثقافة رقم: أ ع ش/428 بتاريخ 2002/2/26

نسب كنانة

[ولما فرغ من الكلام على الفرع، وهو بنو أسد، انحط على الأصل الذي هو عمود النسب، فقال رحمه الله:]

وَمِن كِنَانَـةَ فُقَيْـمُ النَّاسِـئَهْ، عَبْـدُ مَنَاةٍ وَهْـيَ أَعْظَمُ فِئَهْ

فقيم: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. **والناسئة**: صفة لفقيم، أنَّثه باعتبار القبيلة. **وعبد مناة**: عطف على فقيم بحذف العاطف. **وهي**، أي قبيلة عبد مناة، هِيَ أعظم قبيلة من كنانة؛ إذ منها جل قبائل كنانة كما يأتي.

وذكر لكنانة من القبائل غير النضر ـ عمود النسب ـ قبيلتين: **فقيم** (كزبير) **الناسئة**، أي المؤخرة للشهور، **وعبد مناة** بن كنانة[1].

وأما فقيم فبينه وبين كنانة رجال، وهو فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة، والنسبة إلى فقيم هذا فُقَمي (كعرني)، والنسبة إلى فقيم دارم فقيْمي (قاله في القاموس). وأول من نسأ منهم الشهور رجل يقال له القَلَمَّسُ، واسمه حذيفة بن عبد مناة بن فقيم، وهو جد عبد الرحمن بن الحكم لأمهاته؛ ولذلك يقول مفتخرا به:

نماني أبو العاصِ الأمينُ وهاشم وعثمان والناسي الشهور القلَمَّسُ

---

(1) ولد كنانة بن خزيمة أربعة نفر: النضر وعبد مناة ومالك وعامر، وقيل: له غير هؤلاء. ومن ولد عبد مناة بكر، وأبناؤه ثلاثة: ليث وضمرة والدُّئل بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، ومنهم تفرعت بنو كنانة.

ثم توارث ذلك بنوه، واحدا بعد واحد، حتى قام الإسلام على آخرهم وهو رجل يقال له أبو ثمامة واسمه جنادة بن عوف[1]. وذكر السهيلي أنه أسلم وحج في زمن عمر رضي الله عنه.

وكانت العرب إذا فرغت من حجها تأتيه فيقول: اللهم إني حرمت الأشهر الحرم الأربعة ثم أحللت أحد الصفَرين ونسأت الآخر للعام المقبل - يعني بالصفرين المحرم وصفر - فتحل العرب ما أحل من ذلك عليها وتحرم ما حرم عليها، وفي ذلك يقول أحدهم[2]:

ونحن الناسئون على معد　　شهور الحل نجعلها حراما

وذمهم الله بقوله ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3]. ويقال إن أبا ثمامة هذا نسأ على الناس أربعين سنة،

---

(1) ابن أمية بن قلع بن عياذ بن حذيفة بن عبد بن فقيم. حكى ابن الكلبي أنه نسأ أربعين سنة وأنه كان أرفعهم ذكرا وأطولهم أمدًا، ثم قال: وأول من نسأ بعد القلمس قلع بن عياذ ثم ابنه أمية بن قلع ثم ابنه عوف ثم ابنه جنادة هذا.

(2) هو عُمير بن قيس بن جذل الطعان، يفتخر:

لقد علمت معد أنّ قومي　　كرام النّاس إن لهم كراما

فأي الناس فاتونا بوترٍ　　وأي الناس لم نُؤلِك لجاما؟

ونحن الناسئون.. إلخ. (ووَلَكَ اللجام: مضغه).

(3) التوبة: 37.

ولما ولي قصي أمْرَ مكة وساد بني عدنان أقرَّ بني فقيم على النساءة، وأقر بني مرة بن عوف على البسل[1]، وبني صفوان وعدوان على الإفاضة، إذ يرى ذلك دينا؛ فهدم الله ذلك كله بالإسلام.

قوله: **عبد مناة وهي..إلخ**: أنَّث الضمير العائد على عبد مناة باعتبار القبيلة، وذكّرهُ في أول البيت الآتي باعتبار الرجل، فقال:

مِن بَكْرِهِ لَيْثٌ وَحَيٌّ دِئِلِ وَضَمْرَةٌ، مِّن ضَمْرَةٍ النُّعَلِي
الْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو الْمُخْتَارُ مَوْلَاهُ حِينَ الأُمَرَاءُ جَارُوا

من بكره، أي من بكر بن عبد مناة (أضافهُ إليه لأنه ابنه أصالة): قبائل ليث، وهي أيضا أعظم قبائل عبد مناة. **وحَيٌّ**: أي قبيلة، **دِئِل** (كإبل أو بِضَم الدال وكسر الهمزة، ولا يعرف هذا البناء لغيره إلا قراءة أبي السمال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبِكِ﴾).

ومنه أيضا قبيلة ضمرة، بل قبائلها التي منهم بنو نعيلة (كجهينة) بن مليل بن ضمرة، الذين ينسب إليهم الحكم بن عمرو[2]؛ الذي **اختار مولاه حين جار الأمراء**، أي اختار الموت والانقلاب إلى ربه. وكان رجلا صالحا صحابيا، وأخوه رافعُ بن عمرو صحابيٌّ أيضا؛ وكانت الجنوب بنت

---

(1) البسل: ثمانية أشهر حُرم كانت لقومٍ لهم صِيتٌ وذِكرٌ في غطفان وقيس يقال لهم الهباءات.

(2) عمرو هذا ابن مجدع بن حذيم بن الحارث بن نُعيلة بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة النُّعَلي.

الحكم تحت قثم بن العباس. ويعني **بالأمراء**: زياد بن أبيه.

يشير رحمه الله في هذا البيت إلى قصة الحكم مع زياد، وهي أنه بعثه على جيش فأصاب مغنما فكتب إليه زياد: "إن أمير المؤمنين كتب إلي أن أصطفي له كلَّ بيضاء وصفراء ويقسم ما وراء ذلك"، يعني الذهب والفضة؛ فكتب إليه الحكم: "إني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، والله لو أن السماوات والأرض كانتا رتقا على عبد ثم اتقى الله لجعل الله له مخرجا، والسلام". ثم قال للناس اغدوا على أموالكم؛ فغدوا عليه فقسم الغنائم بينهم وقال: اللهم إن كان لي عندك خيرٌ فاقبضني إليك، فمات رحمه الله ودفن إلى جانب بريدة بن الحصين الأسلمي، وقيل إنه مات بالبصرة، والله أعلم.

ومن بني ضَمرة ـ من غير نعيلة ـ عمرُو بن أمية بن خويلد[1] الضمري، أسلم بعد أحد وبعثه النبي ﷺ إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام فأسلم[2]، وكان من فتاك العرب، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ لِرجل ـ بعث معهما هدية إلى أبي سفيان بمكة ـ: «أخوك البكري لا تأمنه»[3]. وهو صاحب حديث: «بل قيدها وتوكل»[4]، وكان قال للنبي ﷺ: إئذن لي أرسل ناقتي وأتوكل على الله. وأول مشاهده بئرُ معونة؛ ولم يَسْلَم من أهل بئر

---

(1) بن عبد الله بن إياس بن عبد بن ناشرة بن كعب بن جدى بن ضمرة.

(2) وأرسل إليه معه أن يزوجه رملة بنت أبي سفيان، ففعل. وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم أيضا إلى مكة لينزل خبيبا بن عدي عن الخشبة التي صلب عليها.

(3) رواه أبو داود وأحمد والطبراني في الأوسط.

(4) رواه ابن خزيمة والطبراني.

معونة يومئذ غيره[1]، وقَتل في رجوعه رجلين من بني عـامر فوداهما النبي ﷺ لأنهما كانا في عهده، ولم يعلم عمرو بذلك، وهما اللذان سأل النبي ﷺ بني النضير منابَهم من ديتهما، فكان ذلك سببا لغدرهم وطردهم عن المدينة. ومات عمرو بن أمية في خلافة معاوية، وله عشرون حديثا ولأبيه أمية صحبة ورواية.

مِن ضَمْرَةٍ أَيْضًا غِفَارُ اسْتَغْفَرَا ... لَهَا النَّبِيُّ وَأَبُو ذَرٍّ يُرَى

لَهُمْ وَجَهْجَا وَجُعَيْلُ الْمُنْتَخَبْ ... أُهْبَانُ[2] ذُوالسَّيْفِ بَرَاهُ مِنْ خَشَبْ

يقول: **من ضَمرة** بن بكر بن عبد مناة بنو **غفار** (ككتاب) بن مليل (كزبير) بن ضمرة، **استغفر** لهم النبي ﷺ بقوله: «غفار غفر الله لها، أسلَم سالمها الله»[3]. وقوله **يُرى**: لم يرد به تمريضا، إذ لا خلاف في نسبة **أبي ذر** إلى غفار، لكن ألجأته القافية.

التعريف بأبي ذر رضي الله عنه

وأبو ذر هو جندب بن جنادة بن قيس[4] الغفاري، أمه رملة بنت الوقِيعة الغفارية؛ كان يقول: أنا رابع الإسلام، يعني أنه أسلم بعد ثلاثة،

(1) أسره عامر بن الطفيل، ولما عَرَف أنه من بني ضمرة جزَّ ناصيته وأطلقه وزعم أنه أعتقه عن رقبة كانت على أمه.

(2) أهبان: بوزن عثمان.

(3) متفق عليه.

(4) ابن عمرو بن مليل بن صعير (بصيغة التصغير فيهما) بن حرام بن غفار. وقيل فيما بينه وبين غفار غير هذا.

وقيل أربعة. وعلى كل كان قديم الإسلام وأسلم بإسلامه أخوه أنيس وأمه رملةُ بنت الوقيعة[1]. لم يشهد بدرا ولا أحدا ولا الخندق، ثم قدم على النبي ﷺ وصَحِبَه إلى وفاته صلى الله عليه وسلم، وكان من أوعية العلم المبرزين في الزهد والورع والعبادة وقول الحق؛ قال فيه النبي ﷺ: «هو في أمتي شبيه عيسى ابن مريم في زهده»[2]، وقال فيه: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر»[3]، وقال فيه: «رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده»[4]؛ وذلك حين لحق به في غزوة تبوك بعد أن تخلف عنه ففقده فسأل عنه فلم يجده، ثم رأى الناسُ راكبا يجول في السراب فأخبروا به النبي ﷺ فقال: «كن أبا ذر»، فإذا هو أبو ذر، فقال: «رحم الله أبا ذر..» ـ الحديث.

فأقام بالمدينة بعد رسول الله ﷺ يزهِّدُ الناس في الدنيا؛ قال عمرُ يوما: من لها بأزمتها؟ يعني الخلافة، فقال أبو ذر: من أرغم الله أنفه وأسلت خده. فلما ولي عثمان أجلاه لذلك عن المدينة إلى الربذة لئلا يفسد على الناس دنياهم. فلم يزل بالربذة، وليس معه إلا امرأته وعبده، إلى أن مات رضي الله عنه؛ ولما احتضر قال لعبده: إذا مت فاغسلني وكفني ثم القني على الطريق فأول من رأيت قل له أعنّي على دفن أبي ذرٍّ صاحب رسول

---

(1) ولما أسلم رجع إلى قومه، ولم تتهيأ له الهجرة حتى فاتته بدر وأحد والخندق.

(2) رواه الترمذي.

(3) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد.

(4) أخرجه الحاكم وصححه ابن كثير.

ا لله ﷺ، ففعل العبد ذلك؛ و لم يلبث أن رأى ركبا فناداهم بذلك، فإذا فيهم ابنُ مسعود[1] فبكى حتى كاد يموت لتذكره قول النبي ﷺ: «يموت وحده»، بل قيل إنه مات آخر ذلك اليوم، وليس بشيء.

النهي عن دعوة الجاهلية

وأما **جهجا** (بجيمين بينهما هاءٌ ساكنة، وقد تزاد هاء ثانية آخره، كما ذكره الناظم رحمه ا لله في الغزوات[2]، قيل والصحيح بدونها كما هنا)، فهو ابن مسعود الغفاري؛ شهد بيعة الحديبية والمريسيع، وكان يومئذ أجيرا لعمر يقود فرسه، فورد في واردة الجيش فوقع بينه وبين سنان بن وبْرة شيء؛ وهو أنَّ سِنانا وقف على رأس البئر يمتح والبئر قليلة الماء، فأتى جهجا من خلفه فكسعه بيده، وهو يمازحه، فغضب سنان بن وبرة، فافتتن الجيش؛ فصرخ سنان ـ وهو جهنيٌّ حليفُ الأنصار ـ يا للأنصار! وصرخ جهجا: يا للمهاجرين! فكره النبي ﷺ هذه الدعوة وقال: «دعوها فإنها منتنة»[3]، وقال فيها: «من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهنِ أبيه ولا تكنوا»[4]، أي من قال: يا لفلان، لأن ذلك استصراخ أهل الجاهلية؛ وإنما دعوة أهل الإسلام: يا للمسلمين لأنهم إخوة كلهم. وقوله: «فاعضوه

---

(1) وكانوا أربعة عشر راكبا حجاجا، فصلى عليه ابن مسعود. وكانت وفاته سنة: 32 هـ.

(2) وهو قوله:

فاستصرخَ المهاجِرين اللّذْ كسرْ   عصا النبي جهجاهُ عامل عمرْ

(3) رواه البخاري ومسلم.

(4) أخرجه أحمد.

بهَن أبيه ولا تكنوا» أي قولوا له: عض أير أبيك، ولا تكنوا بالْهَن عن الأير بل صرحوا بذكره، وذلك كان سبَّ العرب؛ كما قال أبو بكر لعروة بن مسعود: "امصص بظر اللات". لكن النبي ﷺ منزه اللسان عن فحش القول، فكنى بالهن عن الأير وأمر بالتصريح. واستمرَّت هذه الدعوةُ ممنوعةً. وسمع أبو موسى الأشعري - وهو وال لعمر على البصرة - من يقول: يا لعامر.. فأجابه النابغة الجعدي وبيده عصية، فجلد أبو موسى النابغةَ خمسين سوطا.

قلت: ولعل الفقهاء أخذوا من هذا تعزير الإمام بما زاد على الحد أو أتى على النفس. ويستثنى من هذه الدعوة حلفُ الفضول لقول النبي ﷺ: «ولو دعيت به اليوم لأجبت»[1]، وكان الصحابة أهله إذا دعا به أحد أجابوه مصلتي سيوفهم.

ولما استصرخ الصارخان قال عبدُ الله بن أبيّ ما قال، مما جاء في سورة المنافقين[2]، ومن قوله: "سَمِّنْ كلبَك يأكلك".. وغير ذلك، فسعى به زيد بن أرقم إلى النبي ﷺ، فحلف ابن أبيّ ما قاله، فصدقه بعض الناس؛ فحزن زيد لذلك إلى أن أنزل الله السورة.

وروى جهجا عن النبي ﷺ: «الكافر يأكل في سَبْعَة أمعاءٍ والمؤمن في معى واحدٍ»[3]، وهو الوارد فيه الحديث، لأنه شرب حلاب سبع شياهٍ،

---

(1) رواه أحمد وذكره ابن هشام وغيره..

(2) ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ..﴾ - (8).

(3) رواه البخاري ومسلم.

فلما أسلم لم يستتم حلاب شاة واحدة. وقيل إنما ورد الحديث في ثمامة بن أثال، كما قدمنا في الكلام عليه. وجهجا هو الذي وجد في حصار عثمان عصا النبي ﷺ بيده، وكانت عنده يخطب عليها، فأخذها منه وكسرها على ركبته فجرحته ودَخَلَت شظية منها في ركبته، فتآكلت منها ركبته، ومات منها قبل العام؛ وربطت العصا فبقيت بعده بحالها.

وأما جعيل (بصيغة التصغير) فهو ابن سراقة الغفاري. **والمنتخب**: المختار، وقد أشار به إلى ما روي من أنه لما أعطى النبي ﷺ المؤلفة قُلوبُهم من غنائم حنين قيل له أتعطي هؤلاء وتدع جُعيلا؟ قال: «نعم جعيل خير من طِلاعِ الأرض من مِّثل هؤلاء لكن أعطي هؤلاء أتألفهم وأَكِلُ جعيلا إلى ما جعل الله له من الإيمان»[1]، وطلاع الأرض (ككتاب): ملؤها.

وأمَّا **أهبان**: فهو ابن صيفي. **وذو السيف**: صاحب السيف. الذي **براه**: أي نحته **من الخشب** بأمر رسول الله ﷺ، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كانتِ الفتنة فاتخذ سيفا من خشب»[2] فاتخذته. وقال له علي: ألا تعينني؟ فأخرج له السيف من الخشب وقال له: هذا سيفي إن شئت أعنتك به، فقال: لا حاجة لي في معونتك. ويروى: «فاقعد في بيتك واتخذ سيفا من خشب».

وَهْوَ الَّذِي ثَالِثَ الاَكْفَانِ خَلَعْ   أَن كَانَ فِي حَيَاتِهِ مِنْهُ امْتَنَعْ

---

(1) ذكره ابن هشام عن ابن إسحاق.

(2) رواه الترمذي وابن ماجه.

يعني أنه لما حضرته الوفاة قال لأهله: كفنوني في ثوبين لا غير. قالت ابنته: فكفناه في ثلاثة أثواب فأصبح ثالِثُها لنا فوق المِشْجب معلقا.

ومن غفار أبو رهم، كلثوم بن الحصين بن خلف، أسلم قبل قدوم النبي ﷺ المدينة ولم يشهد بدرا، وهو الذي نُحِر يوم أحد بسهم، فبصق عليه النبي ﷺ فبرئ من حينه، فسمي المنحور، وشهد بيعة الرضوان واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في عمرة القضاء وفي الفتح وحنين والطائف.

ومن غفار أيضا خفافُ بن أيْماء بن رخصةَ، بعثه أبوه أيماء بعشر جزر إلى جيش قريش يريدون بدرا ـ وكان أبوه سيدَ بني ضَمرة ـ وقال لهم: إن شئتم مددناكم بالرجال والسِّلاح؛ فقالوا له: لا حاجة لنا في المدد؛ إن كان محمد إنّما يقاتل معه الناس فنحن نكفيه، وإن كان كما يزعُم يقاتل معه الله والملائكة فلا تغني عنا الكثرة. ثم أسلم خفاف وسكن المدينة وكان سيد بني غفار وخطيبهم.

ومنهم بصرة بن أبي بصرة، صحابي وابن صحابي، كما كان خفاف وأبوه ايْماء، قيل وابنه مخلد بن خفاف صحابيون. ومنهم الأقرع الغفاري، يروي حديث النهي عن الوضوء بفضل المرأة[1]، وغيرهم من الصحابة[2]..

مِن لَيْثِهِمْ يَعْمَرُ شَدَّاخُ دِمَا خُزَاعَةٍ غَدَاةَ فِيهِمْ حُكِّمَا

---

(1) أخرجه الترمذي.

(2) ولما فرغ من ضمرة بن بكر أخذ يتكلم على أخيه ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فقال رحمه الله وعفا عنه:

أَبُو الطُّفَيْـلِ عَامِـرُ بْنُ وَاثِلَهْ   آخِرُ مَن مَّاتَ مِنَ الأَصْحَابِ لَهْ

أي **من ليثِ** عبدِ مناة أو بَكْرٍ: **يَعْمَرُ**(كيعلم) بـن عـوف بـن كعْـب بـن عامر بن ليث بن بكر، ويقال ليعمر **الشداخُ** لأنه شدخ ـ أي أهْـدَر ـ **دماءَ خزاعة** حـين تحـاكم إليـه قصـي وخزاعـة. **وحكـم**: يحتمـل بالبنـاء للفـاعل ويحتمل بالبناء للمفعـول مشـدد الكـاف، أي حـين اتخـذه قصـي وخزاعـة حكما بينهم في أمر الكعبة، لما تداعوا إلى الصلـح بعـدَ القتـال والحـروب؛ فقضى بينهم بتولية قصي الكعبة وأمر مكة والدية في قتلـى كنانـة وقريـش وقضاعة، وشـدخ ـ أي أهـدر ـ دمـاءَ خزاعـة تحـت قدمـه؛ فمنهـا سمـي الشداخ، وهو أبو قبيلة من كنانة، وأرى امرأ القيس يعنيها بقوله:

كنانية بانـت وفي الصدر ودها   مجـاورة غسَّان والحيُّ يعمـرا

أي وحيها يعمرُ، فهو إذًا مقوٍ، ولا غرابة في ذلك إذ يوُجد ذلـك في شـعر الشعراء كثيرا؛ قال أبو عبيدة: اثنان من الشعراء كانا يقويان الشعر، النابغةُ وعَبيد بن الأبرص.

ومن يعمر المتوكل بن عبد الله بن نهشل الذي يقول:

يا أيها الرجـل المعلم غـيرهُ   هـلا لنفسـك كان ذا التعليمُ
تصف الدواءَ لذي السقام من الضَّنَى   كيما يصـح به وأنـت سقيم!
لا تنهَ عن خُلُـق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلـت عظيم
فأراك تلقـح بالرشاد قلوبنا   نصحا وأنـت من الرشاد عديم
وإذا عتبت على السفيـه ولمتَه   في مثـل ما تأتي فأنت ملـوم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيـها   فإذا انتهتْ عنهُ فأنـت حكيمُ

فهناك يُقبل ما تقــولُ ويقتدى بالقـــول منك وينفع التعليم[1]

ومنهم قُباث (كغراب) بن أشيم الصحابي. والصعب بن جثّامـة، بيـده يوم الفتح لواء ليث، وأخوه محلم تقدم في الكلام على أشجع.

يقول من ليث بني كنانة يعمَرُ الشداخُ، وقد نسبناهُ. ويعمر ينسـب لـه أبو الطفيل الأخير من الصحابة موتا. **وأبو الطفيل** مبتدأ خبره الجار والمجرور الأخير من البيت، وهو: **له**، أي أبو الطفيل ليعمر هذا. واسم أبـي الطفيـل عامرُ بن واثلة بن عبد ا لله بن عمير[2]، وُلد يوم أُحد وأبوه واثلة مـن أهـل الصفة. وكان أبو الطفيل محبا لعلي ويقدمه على الشيخين مع محبتـه لهمـا[3]

---

(1) يروى هذا لأبي الأسود الدؤليِّ من قصيدة أولها:

حسَـدوا الفـتى إذ لم ينالوا شأوه فالْقـــوم أعـداء له وخُـصـــومُ

(2) وفي *سموط الذهب*: واثلة بن عبد ا لله بن عمرو بن جحش بن جزى بن سعد بـن ليـث بـن بكر بن عبد مناة، ثم قال: وأبو الطفيل: معطوف على يعمر بحذف العاطف. وعامر: بـدل من أبو الطفيل. وابن واثلة وجملة آخر من مات.. إلخ: صفتان لأبـو الطفيـل. والضمـير في: له: عائد على النبي صلى ا لله عليه وسلم، ثم قال: والـذي مـن أهـل الصفـة هـو واثلـة بـن الأسقع وليس واثلة والد أبي الطفيل. وعلى ذلك يكون تقرير البيتين: ومن ليـث بـن بكـر بن عبد مناة يعمر بن عوف الشداخ وأبو الطفيل عامر بن واثلة آخر من مات مـن صحابـة النبي صلى ا لله عليه وسلم.

(3) ولد أبو الطفيل هذا عام أحد وأدرك من حياة النبي صلى ا لله عليه وسلم ثمانيَ سنين وذكـر أنه رأى النبي صلى ا لله عليه وسلم وروى عنه أحاديث وروى عن أبي بكـر وعمـر وعلـي ومعاذ وحذيفة وابن مسعود وابـن عبـاس وزيـد بـن أرقـم وغـيرهم.. وروى عنـه الزهـري وجماعة من التابعين وصحب عليا رضي ا لله عنهما وشهد معه مشـاهده كلهـا، فلمـا قتـل علي انصرف إلى مكة وأقام بها إلى أن مات بها، وكان يقول: ما على وجـه الأرض اليـوم من رأى النبي صلى ا لله عليه وسلم غيري، وكان موتـه عـام مائـة للهجـرة، وكـان شـاعرا

<<=

وله يقول أبو العباس الأعمى مولى بني أسد الشاعر:

لعمـــرك إنّـــني وأبا طـفـــيل لمختلفـــــان وا لله الشهـــــيد

لـــدى عثمان مهتـــديا ويأبى متابعـــــتي وآبى ما يـــــريد

وهو آخر من مات ممن رأى النبي ﷺ، قال الزين العراقي:

أخرهـــم موتا بغـــير مـــرية أبو الطفيـــل مات عام مائـــة

فهو إذا ينقص عن المائة بسنتين وبعض أو ثلاث سنين.

وَلَمْ تُجَـاوِزْ مِائَةً بَعْدَ الرَّسُولْ أَصْحَابُهُ وَهُمْ جَمِيعُهُمْ عُدُولْ

وَمُطْلَقُ الصُّحْبَةِ عِندَ الْمُبْتَدِعْ لَيْسَ بِـــهِ عَلَى الْعَدَالَـةِ قُطِعْ

وعَنْــهُ يَابَـى الْحُنَفَا والنُّـــورُ وَحَالُهُــمْ والْخَبَـرُ الْمَأْثُــورُ

>> - -

محسنا، ومن شعره:

أيدعونني شيخا وقد عشت حقبة وهـــنَّ من الأزواج بعدي نوازع

وما شاب رأسي من سنين تتابعت علي ولكـــن شيبتني الوقائـــع

وكان فصيحا عاقلا حاضر الجواب متشيعا يفضل عليا على الشيخين ويثني عليهما ويترحم على عثمان، قدم مرة على معاوية رضي ا لله عنه فقال له: كيف وجدُك على خليلـك أبي الحسن؟ قال: كوجد أم موسى على موسى وأشـكو إلى ا لله التقصير. قـال: أكُنـتَ فيمـن حاصر عثمان. قال: لا ولكنني كنت فيمن حضره. قال: فما منعك من نصره؟ قال: وأنت فما منعك من نصره إذ تربصت به ريب المنون وكنتَ مع أهـل الشام وكلهـم تـابع لـك، فيما تريد؟ فقال له معاوية: أو ما ترى طلبي لدمه نصرة له؟ قـال: بلى ولكنـك كمـا قـال أخو جعف:

لا ألفينـك بعـد المـــوت تندبني وفي حَياتـــيَ ما زودتـــني زادا

وَالْقَتْـــلُ لِلآبَــاءِ والأَوْلاَدِ   وَبَــذْلُ الانْفُسِ عَلَى الْجِهَادِ
وَكُــلُّ مَا جَاءَ مِنَ الرِّسَالَــهْ   يَشْهَــدُ لِلْكِــرَامِ بِالْعَــدَالَــهْ

لَمَّا ذكر الصحابة، بذكر آخرهم موتا، استدعاه ذلك وشوَّقه إلى ذكر وقتهم الذي لا يجاوزُونَهُ وذكر حدهم وحكمهم وبعض مدحهم، فقال: **ولم تجاوز مائة..إلخ**: أي لم تجاوز **الصحابة** مائة سنة، بعد موت رسول الله ﷺ (والرسول لم يأت اسْمُ مفعول بزنة *فَعول* غَيرُه، ويستوي فيه الواحدُ والجمع، قال تعالى ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]). وقد قال صلى الله عليه وسلم في الشهر الذي توفي فيه: «ما من نفس منفوسة على وجه الأرض وهي حية بعد مائة سنة من هذه الليلة»[2] - أو كما قال صلى الله عليه وسلم - وبهذا الحديث نَفَى بعضُ العُلماء اسْتِمرَارَ حياةِ الخضر، وأجيب بأنه تلك الليلة على وجه البِحار؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «على وجه الأرض». واعتمد أهل العلم على هذا الحديث في التصحيح في إمكان نقل الراوي عن المروي عنه[3]، وفي نفي من يدعي الصحبة بعد المائة من وفاته صلى الله عليه وسلم؛ كرَتَنِ الهندي[4].

---

(1) الشعراء: 16.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

(3) وذلك بتحقيق تاريخ مولد الرَّاوي ثم تاريخ وفاة المروي عنه ثم إسقاط سِنِّ ما قبل التَّمييز؛ وهو خمسة أعوام.

(4) رتن (محركا) بن كِرْبَالٍ بن رَتَن البَتْرَنْدِيُّ ليس بصحابي، وإنما هو كذاب ظهر بالهند بعد السِّتمائة فادعى الصحبةَ وصُدِّق - [القاموس].

القول في عدالة كل من صحب

يقول لم يبق بعد مائة سنة من موته صلى الله عليه وسلم أحد من **الصحابة**. قوله: **وهم**: أي الصحابة. **جميعهم**: أي كلهم. **عدول**: بمطلق الصحبة، الآتي حده، خلافا **للمبتدعة**: أي المحْدِثين في الدين بعد إكماله ما ليس منه، وهم فرق كثيرة؛ قال صلى الله عليه وسلم: «ستفترق أمتي على اثنتين وسبعين فرقةً الناجية منها واحدة»[1].

ومن المبتدعة المعتزلةُ، وهم أيضا فِرق؛ منهم ذو هوى خفيف، وهم كالحرورية والواصلية وغير ذلك. سموا بأصلهم: واصل[2] بن عطاء، الذي لا ينطق بالراء؛ قال البوصيري:

أي حب يصح مني وطـــرفي   للكرى "واصل" وطيفك "راءُ"

(أي كيف يصح هذا الحب الذي ادعيته مع كثرة نومي على عدم لقياي لطيفك، حتى صرت كأني واصل وكأنَّ طَيْفَكَ راءٌ فلا يلتقيان؛ التفت عن واصل الذي وصف به طرفه بالرجل الذي لا ينطق بالراء[3]). وجد الحسن بن أبي الحسن رضي الله عنه واصلا في مسجد البصرة يقول بأقاويله، فقال له: اعتزل مسجدنا؛ فسميت طائفته *المعتزلة*.

قوله: **ومطلق الصحبة**: أي مجردها، من غير أن يصحبها فعل غيرها من

---

(1) أخرجه أبو داود.

(2) واصل بن عطاء، أبو حذيفة (ت 131هـ) رأس متكلمي المعتزلة وإليه تنسب الواصلية. ولد بالمدينة وانتقل إلى البصرة حيث اتصل بالحسن البصري وعمرو بن عبيد.

(3) يسمَّى هذا بالتَّورية؛ وهي ذكر لفظٍ ذي معنيين: بعيد وقريب ويُراد البعيد.

غزوة مع النبي ﷺ أو رواية عنه أو عمل له، لا يقطع به على العدالة عند أهل البدَعِ بل لاَ بُدَّ مَعَه من شيءٍ مما ذُكِرَ. ولكن **يأبى** عن قول المبتدعة **الحنفاءُ**: أي السلفُ والإجماع والنور، الذي هو القرآن؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]، وغيرها مما مدِحوا به ووعدوا به في القرآن، **وحالهم**: أي ما هم عليه من الكرم وحب النبي ﷺ والابتدار إلى أوامره واجتناب نواهيه، **والخبر المأثور**: أي المنقول بالرواية، راوٍ عن راوٍ إلى النبي ﷺ[2]، يعني به الحديث: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[3]، وإن كان ضعفه البزار، وذكر إمام الحرمين في ورقاته على الأصول ضُعفه، لكن اشتهر شهرة الصحيح حتى كاد يتواتر؛ وقيل الصحيح اتفاقا: «اقتدوا باللَّذيْن من بَعْدي أبي بكر وعمر»[4].

قوله: **والقتل للآباء**: ومنه قتل الضحاك بن سفيان الكلابي أباه (قد لحق

---

(1) التوبة: 100.

(2) يعني أن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بمجرد الصحبة لتعدِيل الله تعالى لهم وورود القرآن بتزكيتهم والأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإجماع الأئمة على ذلك، وفضلهم وحالهم السني.

(3) رواه ابن عبد البر في *جامع العلم* عن جابر، وهو ضعيف ـ [انظر جامع الأصول وغيره].

(4) أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد.

أباه على فرس فعرقبه به وحبسه بعد أن دعاه إلى الإسلام فأبى، إلى أن جاء رجل آخر فأمره بقتله فقتله). وكل الصحابة لا تمنعه الأبوة ولا البُنوة من قتل أبيه أو ابنه الكافرين.

قوله: **وبذل الانفس على الجهاد:** ذلك دأبُ الصحابة كلهم، ومنه قول عبد الله بن عمر لأبيه، لما لامَه على رجوعه من اليمامة سالمًا: عرضت يا أبت نفْسي على المشركين غيرما مرة فلم تقدر لي الشهادة إذ لم أستوف أجلي. قوله: **وكل ما جاء من الرسالة:** كل رسول من الرسل يخبر أمته بالنبي ﷺ ويمدح أمته، حتى أن موسى طلب من الله تعالى أن يجعله من أمة محمد ﷺ، وقال الله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّـةٍ أُخْـرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1]، يعني الصحابة خصوصا، وقيل عمومُ أمة محمد ﷺ.

وسبقهُ الزين العراقي لهذا بقوله:

... ... **وهم عدول، قيل لا من دخلا**

في فتنة.. إلخ[2].

---

(1) آل عمران: 110.

(2) نص الزين العراقي:

وتعرف الصحبة باشتهار او تواتر أو قول صاحب ولو

قد ادعاها وهو عدل قبلا وهم عدول قيل لا من دخلا

في فتنة. والمكثرون ستة أنس، ابن عمر، الصديقة ..إلخ.

قال في شرحه: ثم إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلابس الفتن منهم وذلك من حين مقتل عثمان، فأجمع من يعتد به أيضا في الإجماع على تعديلهم، إحسانا للظن بهم

=>>

ويعني بالفتنة الردة، كالأعراب الذين صحبوا النبي ﷺ ثم ارتدوا بعده ثم أسلموا وحسن إسلامهم، لأن الردة تجبُّ الصحبة(1) كما أن الإسلام يجبُّ ما قبله من الكفر، فكذلك الكفـر يجـب ما قبله من الخير (والعياذُ بالله). ولا يعني الفتن التي أخبر بها صلى الله عليه وسلم أنها تقعُ بين المسلمين، لأن تلك دخل فيها أكابر الصَّحابة مِن المهاجرين والأنصار ودخل فيها من العشرة عليٌّ والزبيرُ وطلحة وسعـدُ بن أبي وقاص، قيـل

--- >>

وحملا لهم في ذلك على الاجتهاد. ثم ذكر قولا بأنهم عدول إلى وقوع الفتن؛ فأما بعد ذلك فلا بد من البحث عمن ليس ظاهر العدالة. وحكى ابن عبد البر في *الاستيعاب* إجماع أهل الحق من المسلمين، وهم أهل السنة والجماعة، على أن الصحابة كلهم عدول - [اهـ من التبصرة والتذكرة].

وقال في *فتح الباقي على ألفية العراقي*: كل الصحابة - باتفاق أهل السنة - عدول وإن دخلوا في الفتنة، نظرا إلى ما اشتهر عنهم من المآثر الجميلة، ولقوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ .آل عمران 110 . وقوله ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ - البقرة: 143 - ولقـوله صلى الله عليه وسلـم: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحُد ذهبا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه» - [متفق عليه] - وقوله: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه» - [رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه]، ثم قال: وما أحسن قول عمر بن عبد العزيز: تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا نخضب بها ألسنتنا.

(1) اختلف في الردة هل تجب الصحبة أم لا، فقد قال بعضهم: الظاهر أنها تحبط الصحبة المتقدمة وتقطع فَضْلَها، ودليل ذلك حبوط الأعمال بالردة عند عامة العلماء كأبي حنيفة، بل نص عليه الشافعي في *الأم*. وقال آخرون: بل الصحيح أنها تبقى وان صاحبها معدود في الصحابة بعد عوده، لإطباق المحدثين على عد الأشعث بن قيس ونحوه في الصحابة - [راجع الزين العراقي وفتح المغيث].

وسعيد بن زيد. ومن ارتد ثم أسلـم لم يذكره العلماء كالشهاب أحمد بن حجر وعالِمُ الأندلس أبو عُمَرَ بن عبد البر في الصحابة. وقيل لم يستعن بهم أبو بكر ولا عمر واستعان بهم عثمانُ فأفسدوا عليه. وا لله تعالى أعلم.

وَعَـــنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُـدْرِيِّ ... أَنَّ امْــرَءًا رِيءَ مَـــعَ النَّبِيِّ

قَالَ لِحُبْلَى أَتُحِبِّـــينَ ذَكَـــرْ ... فَقَالَتِ الْوَرْهَاءُ مَن لِي بِالذَّكَرْ؟

فَقَالَ إِنْ أَعْطَيْتِــــنِي شَاةً فَمَا ... لَبِــثَ أَن جَاءَتْ بِهَا وَنَمْنَــمَا

أَلْفَاظَ سَجْـــعٍ كَالْكَهَانَــةِ لَهَا ... وَهْيَ الْحِبَالَــةُ بِهَا نَـــوَّلَـهَا

وَأَطْعَمَ الصِّدِّيقَ فِيمَنْ أَطْعَمَـهْ ... مِنْهَا وَمَا بِكُنْـهِ الاَمْـرِ أَعْلَمَهْ

وَإِذْ بِـــهِ أُعْلِـــمَ بَعْـدُ قَاءَهْ ... وَلأَبِي حَفْـــصٍ شَكَا هِجَـاءَهْ

أَنصَارُ خَيْرِ مُرْسَـــلٍ فَاعْتَذَرَا ... عَنْهُ بِأَن صَحِبَ أَشْرَفَ الْوَرَى

أبو **سعيد** اشتهر بكنيته، واسمه سعد بن مالك بـن سنان بـن عبيـد بـن ثعلبة بن خدرة الأبجـر، و**الخدري** نسبة إلى جده خدرة الأبجر، من بـني الحارث بن الخزرج. استرده النبي ﷺ فيمن استرد يوم أحـد، لعـدم بلـوغ خمسة عشر عامًا. وشهد الخندق، وهو أول مشاهده، وغـزا مع النبي ﷺ اثنتي عشرة غزوة، وأكثر من الرواية عنه حتى عد سابعا للستة المكثرين، وعاش إلى سنة أربع وسبعين وفيها توفي. وكـان ممن أبى عـزل يزيـد بـن معاوية من العلماء كعبد ا لله بن عُمَرَ وجابر، فلذلك سَلموا يوم "الحرة"، لنهي يزيد جيشه عنهم. لكن دخل قوم عليه من أهل الشام[1] فقالوا له: قد

---

(1) في نسخة: بعض الجيش.

بلغنا خبرك.. لا نقتلك ولكن هات المال، فقال: ذهب به الذين جاؤوا قبلكم، فنتفوا شعره وأخذوا زوجين من حمام كان صبيانُه يلعبون بهما.

والمرء الذي رِيء مع النبي ﷺ لم أقف على اسمه فيما طالعت فيه حديثه من الكتب، ولعله إنما أُبهم ستراً عليه، لهذا الحديث وهجوه لِلأَنصَارِ، أو لم يبلغ درجة أن يعرف، كالمرأة التي **نولها الحبالة. والورهاء**: الحمقاء، وصفها بذلك لوثوقها بما ذكر لها، حتى **جاءته بشاة فنمنم**: أي زخرف لها ألفاظا مسجعة كألفاظ الكهنة، لأنهم يسجعون ألفاظهم؛ وتسمى هذه الفعلة **الحبالة**، وهي المصيدة و لم تكن **بالكهانة** ولا بالسحر. **وكنه الأمر**: حقيقته.

يعني أنه مما يدل على عدالة الصحابة وعلو منزلتهم وحرمة الوقوع فيهم بشيء لا يليق، أن أبا سعيد الخدريَّ كان مضطجعا يوما[1]، فقيل في

---

(1) فذكرَ بعضُ من حضر عليا ومعاوية، فتناول رجل من معاوية، فاستوى أبو سعيد جالسا ثم قال: كنا رفاقا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكنا في رفقة فيها أبو بكر، فنزلنا على أهل أبيات وفيهم امرأة حبلى، ومعنا رجل من أهل البادية فقال للمرأة الحامل: أيسرك أن تلدي غلاما؟ فقالت: نعم، فقال: إن أعطيتني شاة ولدت غلاما، فأعطته فسجع لها اسجاعا، ثم عمد إلى الشاة فذبحها وطبخها وجلسنا نأكل منها، ومعنا أبو بكر؛ فلما علم بالقصة قام فتقيأ كل شيء أكله. ثم قال: فرأيت ذلك البدوي أُتي به عمر بن الخطاب وقد هجا الأنصار، فقال لهم عمر: "لولا أن له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدري ما نال فيها لكفيتكموه، ولكن له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم". فقد توقف عمر عن معاتبته فضلا عن معاقبته لكونه علم أنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم؛ وفي ذلك أبين شاهد على أنهم كانوا يعتقدون أن شأن الصحبة لا يعدله شيء. وروي عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله اختار أصحابي على الثقلين سوى النبيئين والمرسلين» - [انظر: سموط الذهب].

الصحابة؛ فاستوى جالسا ثم قال: إنه كان رجل ريء مع رسول الله ﷺ ـ ولا يزيد على ذلك ـ فرأى يوما امرأة حاملا فقال لها: يا هذه أتحبين أن يكون ما في بطنك ذكرا؟ فقالت: نعم، فقال: إن جئتني بشاة أفعل لك ما يكون به ذكرا، فجاءته بشاة فذبحها وأطْعَم لحمها الناس، وكان فيمن أطعم أبو بكر رضي الله عنه، ولم يعلم بشأن اللحم، فلما علم تقايأَهُ؛ ثم إن هذا الرجل هجا الأنصار، واستعدوا عليه عمر رضي الله عنه، فقال لهم: لولا أن ذلك الرجل صحبَ رسول الله ﷺ لأنصفتكم منه. وذكر القاضي عياض هذا الحديث في الشفاء، في آخر القسم الرَّابع منه.

الْقِسْمُ الاَوَّلُ مِنَ "الإِصَابَهْ" لِلْعَسْقَلاَنِيِّ هُمُ الصَّحَابَهْ
تَوَفَّرَتْ فِيهِمْ شُرُوطُ صُحْبَتِهْ وبَلَغُوا أَوَانَ حَمْلِ دَعْوَتِهْ
وَثَانِي الاَقْسَامِ لِمَن فِي الصِّغَرِ لَعَلَّهُ رَآهُ خَيْرُ مُضَرِ
ثَالِثُهَا مَن فِي الأَوَانِ خَضْرَمَا وَلَيْسَ مِنْهُمْ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَا
رَابِعُهَا فِي نَبْذِ مَن تَفَاحَشَا غَلَطُهُمْ فِيهِ وَفِيهِ نَاقَشَا

استطرد الناظم رحمه الله في هذه الأبيات الخمسة صنيعَ الشهاب أحمد بن حجر **العسقلاني**، ذي التصانيف الفاخرة المشهورة، في كتابه المسمى بالإصابة في تمييز الصحابة ؛ معتمده فيه كتابُ الاستيعاب لعالم الأندلس أبي عُمَر ابن عبد البر ويزيد عليه زياداتٍ صحيحة. وصنيعه أنه قسم كتابه أربعة أقسام ورتبه على حروف المعجم قائلا: "القسم الأول"؛ فيذكر فيه مَن أول اسمه الهمزة إلى تمام مَن ذلك اسمُه، ثم الباء كذلك.. إلى آخر

الحروفِ؛ فيتبعه "القسم الثاني" كذلك، ثم "القسم الثالث" كذلك، ثم الرابع كذلك..

القول في حد الصحبة

أما **القسم الأول** فيذكر فيه مَن توفرت فيه شروط الصحبة؛ وهو "من آمن به واجتمع معه وهو مؤمن وإن لم يرَه لعمًى، كعبد الله بن أم مكتوم، ويكون ذلك **أوان** حمل الدعوة؛ وهو منذ أرسل إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم". وقوله: **أوان حمل**: يرجع إلى ما قبله من **توفرت وبلغوا**، وليس معناه وبلغوا الحُلُم، إذ لا يشترط، وإنما يكفي التمييزُ؛ لذكره في هذا القسم الصبيان المميِّزين. وأما من اجتمع معه قبل أوان حمل الدعوة ثم آمن به و لم يَجتمع معه أوانها فلا تتناوله الصحبة، وكذلك من آمن به واجتمع معه بعد حمل الدعوة، كأبي ذؤيب الهذلي؛ فإنه وفد يوم وفاةِ النبي ﷺ ووجده مُسَجًّى قبل أن يدفن، فكشف عن وجهه وقبَّلَه وحضر الصلاة عليه ودفْنَه وحضر بيعة أبي بكر، ومع هذا كله لا تتناوله الصحبة؛ فكيف بمن يدعي اليوم لُقيه أو يدعيه لغيره؟!

أبو ذؤيب الهذلي

كان أبو ذؤيب مؤمنا على عهد رسول الله ﷺ و لم يره، وكان يحدث يقول: "ليلة صبيحة قبض رسول الله ﷺ سهرتُ فلم يأتني النوم و لم يقر لي قرار فبت في هول يهولني و لم أدر لأي شيء، فنظرت في السماء لعلي أرى شيئا أتطير به، فوقعت عيناي على سعد

الذابح[1]؛ فعلمت أنه ذبح في العرب. فلما أصبحت ركبت فقصدت المدينة، فكلما زجرت من غراب يكون لي على ما أكرهُ، ومررت بشيهَم وصَلٍّ يقتتلان[2] فوقفت عليهما، فغلب الشَّيْهمُ الصلَّ، فعلمت أنه شيء مهم. فقدمت المدينة ولقيت رعاتَها يبكون والأرض مظلمة، فقالوا: قبض رسول الله ﷺ، فدخلت المدينة".

وكان من أمره ما ذكرنا، فرثى النبي ﷺ بقصيدة، منها:

كسفت بمصرعه النجومُ وبدرها ... وتزعزعت آطام بطنِ الأبطح

وتضعضعت أجبال يثرب كلها ... ونخيلها لحلول هول مفدح

---

(1) سعد الذابح: هو أحد سعود النجوم وهي الكواكب التي يقال لكل واحد منها سعد كذا.. وهي عشرة أنجم كل واحد منها سعد، أربعة منها منازل ينزل بها القمر وهي: سعد الذابح وسعد بُلَع وسعد السعود وسعد الاخبية، وهي في برجي الجدي والدَّلوِ. أما سعد الذابح فكوكبان متقاربان سمي أحدهما ذابحا لأن معه كوكبا صغيرا غامضا يكاد يلزق به فكأنه مكب عليه يذبحه والذابح أنور منه قليلا. وسعد بُلَع نجمان معترضانِ خفيان قيل سمي بُلعا لأن أحدهما لقرب صاحبه منه يكاد يبلَعه. وسعد السعود كوكبان؛ وهو أحمد السعود ولذلك أضيف إليها، وقيل هو كوكب نير منفرد. وسعد الاخبية ثلاثة كواكب مائلة عن طريق السعود وليست بخفية غامضة ولا مضيئة منيرة؛ قيل سميت بذلك لأنها إذا طلعت خرجت حشرات الأرض وهَوَامُّها من جحرتها؛ فجحرتها لها كالأخبية. والستة الأخرى لا ينزل بها القمر وهي: سعد ناشرة وسعد المَلِك وسعد البِهام وسعد الهمام وسعد البارع وسعد مَطر، وكل سعد منها كوكبان بين كل كوكبين في رأي العين قدر ذراع وهي متناسقة وقد ذكر الذبياني هذه السعود فقال:

قامت تراءى بين سجفي كلة ... كالشمس يوم طلوعها بالأسعد

[لسان العرب].

(2) الشيهم: القنفذ. والصل: الحية.

ثم انصرف إلى باديته، وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه، بأرض الروم؛ وليس وراء قبره قبر لأحد من المسلمين. وهو من بني صَاهِلة من هذيل، وقيل إنه أشعر أهل زمانه، ومن شعره قوله:

سقى أم عمرو كلَّ آخر ليلة حناتمُ سود ماؤهن ثجيج

شربن بماءِ البحر ثم ترفعت متى لُجَجٍ خُضْرٍ لهن نئيج

قوله: **وثاني الاقسام**: أي أقسام ابن حجر في كتابه **الإصابة**، وهو أن يقول ـ بعد فراغه من القسم الأول، على ما ذكرنا ـ: "القسم الثاني"، فيبدأ بالهمزة ويرتب حروف المعجم ترتيب المشارِقة إلى آخرها، متكلما على من يمكن أن يراه النبي ﷺ لكونه ولد على عهده بأرض قدمها النبي ﷺ بعد أن بعث؛ وهذا النوع يقول له العلماء *صحابي صغير*. ويدخل في هذا الحد مروان بن الحكم، فذكروه صحابيا لذلك، مع العلم بأن النبي ﷺ لم يره قط، لأنه ولد بالطائف بعد طرد أبيه إليه؛ ولم يزالوا بها إلى أن ردهم عثمان رضي الله عنه في خلافته. وقيل إنه ولدَ قبل ذلك عام الخندق، وهو الأصح، وعلى هذا يمكن أن يراه النبي ﷺ عام الفتح أو في حجته أو عمرته.

وقوله: **ثالثها**: أي ثالث الأقسام على من في أوَان حمل الدعوة **خضرما**، (وأصله خضرم آذان الإبل: أي قطعها، علامة على إسلامه، ليسلم من جيوش المسلمين وسرايا النبي ﷺ دَمُه ومالُه؛ وكان مَن لم يفد على النبي صلى الله عليه وسلم ـ وهو مسلم ـ يفعل ذلك)؛ وهذا ـ لعدم الرؤية والاجتماع ـ لم يكن عند العلماء صحابيا، وإنما يقال له مخضرم (بفتح الراء

وكسرها)، ولا يمكن عدهم لكثرتهم[1]؛ إلا أن منهم سويد بن غفلة، ذكره منهم زين الدين العراقي[2]، قال: **كسويد في أمم..**

قوله: **رابعها**: أي رابع أقسام **الإصابة في نبذ**: أي إخراج عن الصحبة من غلِط فيه بعض العلماء الغلط الفاحش، بأن ذكره من الصحابة وهو لا يصح، لتأخر مولده عن وفاة النبي ﷺ تأخرا بينا، كإياس بن معاوية وأهل زمانه، وذكروه وناقشهم - أي كاذبهم - في هذا النوع ابنُ حجر[3].

---

(1) بلغ بهم مسلم بن الحجاج عشرين ومغلطاي أزيد من مائة.

(2) هو الإمام الحافظ الحجة المحدث الكبير أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي الكردي المصري الشافعي المتوفى 806هـ وقد قال في ألفيته:

والمدركون جاهلية فَسم مخضرمين كسويد في أمم

يعني أن من أدرك الجاهلية وهي ما قبل البعثة مع زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا صحبة لهم سموا مخضرمين ومنهم سويد بن غفلة بن عوسجة الجعفي الكوفي وكان قد قدم المدينة حين نفضت الأيدي من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقوله: في أمم: أي جماعات، والمخضرمون (بالمعجمتين وبفتح الراء وقد تكسر): هم الذين أدركوا الجاهلية وحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليست لهم صحبة؛ فهم مترددون بين طبقتين لا يدرى من أيتهما؛ بين الصحابة للمعاصرة وبين التابعين لعدم الرؤية واللُّقيِّ، وقد عدَّ بعضهم من المخضرمين أبا مسلم الخولاني والأحنف بن قيس.

(3) أي رد قولهم لعدم إمكان صحته، لتأخر مولده عن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أو عن عصر الصحابة الماضي، قال: ولم أذكر فيه إلا ما كان الوهم فيه بينا وأما مع عدم احتمال الوهم فلا، إلا إن كان ذلك الاحتمال يغلب على الظن بطلانه.

ولما فرغ الناظم مما استطرد من ذكر الصحابة ،رجع إلى ما كان بصدده من الكلام على بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فقال رحمه الله وعفا عنه:

بَنُو الْبُكَيْرِ الاَرْبَـعُ اللَّذْ شَهِدُوا   بَـدْرًا مَزِيَّـةً بِهَا تَفَـرَّدُوا

رجع إلى ما كان فيه من ذكر ليث. يعني ومن ليثهم[1] **بنو البكير** ـ بحذف العاطف ـ وهم أربعة **شهدوا بدرا** بعد أن هاجروا إلى المدينة[2]، وهي **مزية تفردوا بها** عن غيرهم؛ ولا تعرف أربعة إخوة شهدوا بدرا غيرهم، إلا بني مظعون، على الخلاف فيهم. وقوله: **الأربعُ** بحذف التاء، على غير الغالب؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: «ثم اتبعه بستٍّ من شوال»[3]، وقول المخزومي[4]:

... ...   **ثلاث شخوص: كاعبان ومعصرُ**

واللَّذْ (بسكون الذال): بمعنى الذين، يستوي فيه المفرد والجمع. **والمزية**: الفضيلة. وهم: خالد وعامر وعاقل وإياس، بنو البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث، الليثيون، حلفاء بني عدي؛ حالف جدهم عبدُ ياليل نفيلاً، جد عمر بن الخطاب بن نفيل.

أما خالد فهو من سرية عبد الله بن جحش التي قَتلت ابن الحضرمي، فكانت سببا في عز الإسلام، وقتل في بعث الرجيع. وأما عاقل فكان اسمه

---

(1) أي ليث عبد مناة أو بكر، يعني أن من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الإخوةَ المشهورين بني البكير الأربعة.

(2) ونزلوا على رفاعة بن عبد المنذر الأوسي.

(3) رواه مسلم والترمذي.

(4) وهو عمر بن أبي ربيعة، قال:

وكان مجني دون ما كنت أتقي   ثلاث شخوص ..إلخ.

غافلا فسماه النبي ﷺ عاقلا[1]، شهد بدرا وقتل بها. وأما عامر وإياس فأسلما في دار الأرقم واستُشهدا يوم اليمامة. وروي عن إياس حديثان: «من طلق امرأته ثلاثا قبل أن يمسها فإنها لا تحل له»[2]، وحديث: «من مات يوم الجمعة كتب له أجر شهيد ووقي فتنة القبر»[3].

وابن عمهم واثلة بن الأسقع من أهل الصفة، خدم النبي ﷺ ثلاث سنين، وقيل أسلم والنبي ﷺ يتجهز إلى تبوك فاشترى راحلة فغزا عليها معه، وعاش مائة سنة.

ومن ليث بنو جعونة ابن شعوب، منهم شداد[4] الذي قتل حنظلة الغسيلَ يوم أحد؛ وكان حنظلة قد علا أبا سفيان بالسيف فقتله شداد فقال أبو سفيان: "حنظلة بحنظلة" يعني ابنه الذي قَتل زَيْدُ بنُ حارثة يوم بدر. وفي ذلك يقول أبو سفيان:

وما زال مهري مزجـرَ الكلب منهمُ	لدن غـدوة حتى دنت لغروب
ولو شئـت نجتني كميتٌ طمرة	ولم أجعل النعماءَ لإبن شعـوب

وأخوه أبو بكر بن جعونة، الذي يقول يرثي هشام بن المغيرة:

ذريـني أصطبح يا بكـر إني	رأيت المـوت نقب عن هشام

(1) ذكره في *أسد الغابة والإصابة*.

(2) أخرجه في *الموطأ*، ورواه أحمد.

(3) رواه أحمد.

(4) هو شداد بن جعونة بن الأسود بن عبد شمس بن مالك من بني ليث بن بكر، وشعوب أمه أو أم أبيه جعونة.

تخيره فلم يعـــدل ســـواهُ فنعم المرء من رجـــل تهامي

وهم - أي بنو جعونة - حلفاء العباس بن عبد المطلب، وإليهم ولاء البَدْر أبي رُويم نافع القارئ.

ومن ليث: شدادُ بن الهادي، كان سيافا للنبي ﷺ ولأبي بكر[1] بعده، وابنه عبد الله صحابي. وسمي أبوه *الهادي* لأنه كان يوقد النار للأضياف ليهتدوا بها إليه، وهو حليف بني هاشم.

ومنهم بنو أذينة: هشام وعروة وبكر، الذي يقول فيه عروة:

على بكـــر أخِـي ولّى حَـميدًا وأي العَيْش يصلح بعد بكرِ؟

فسمعته سكينة بنت الحسين يَنشُدُ هذا البيت فقالت: هذا الـذي نحن فيه يصلح والله حتى الخبز والزيـت!. وكان هشام بن أذينة - ويقال ادية - شاعرا أيضا، وهو الذي يقول:

لقد علمت وما الاشراف من خلقي أن الذي هو رزقي ســـوف يأتيني
أسعـى إليـــه فيعييـــني تطلبُــه ولـو قعـــدت أتانـــي لا يعنّيـني

ثم وفد على هشام بن عبد الملك، فلما دخل عليه قال له: ألسـت القـائل: ***لقد علمت*** - البيتين -؟ فخجل ابن أذينة. فلمـا خـرج في النـاس مـن عنـده انسلَّ من بين الناس برحله فمضى إلى منزله بالمدينة، ففقده هشام بن عبد

(1) وفي **سموط الذهب**: شداد بن الهادي الصحابي كان سِلفا للنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه، لأنه كانت عنده سلمى بنت عميس، أخت أسماء بنت عميس شقيقتها وأخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث لأمها؛ وسلمى هذه هي أم ابنه عبد الله بن شداد.

الملك فسأل عنه فقيل له: ذهب إلى أهله؛ فعاتب هشام نفسه وقال: شاعر سؤت فيه ولا آمن أن يقول في شعرا.. فبعث إليه بألفيْ دينار، فقال للرسول: قل لأمير المؤمنين أوَجدني صادقا في قولي أم لا: خرجت أطلب رزقي فأتعبني طلبه و لم أجده، فلما قعدت في بيتي أتاني من غير تعب ولا عناء؟!.

ومن ليث أيضا: ابن قميئة (كسفينة) قاتل مصعب بن عمير رضي الله عنه يوم أحد، يظنه رسول الله ﷺ، فلما قدم مكة خرج إلى غنمه فقتله تيسُها، وقيل تيسُ الجبل.

ومِثْلُهُمْ عُثْمَانُ، عَبْدُ اللهِ، قُدَامَةُ وَسَائِبُ ذُو الْجَاهِ
فَهَؤُلاَءِ هَاجَرُوا بِالسَّائِبِ سَلِيلِ عُثْمَانَ أَخِيهِمُ الأَبِي

أي ومثل بني البكير في التفرد بالفضيلة التي هي الاجتماع في شهود بدر، بنو مظعون من جمح[1]: **عثمان وعبد الله وقدامة والسائب**، وزاد بنو مظعون على بني البكير بخامسٍ، ابن أحدهم، وهو السائب بن عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، الجمحيون من قريش.

أما عثمان فمن القوم الذين هاجروا إلى الحبشة، وأسلم بعد ثلاثة عشر رجلا، فجمع قِدم الإسلام والسبق في الهجرتين وشهود بدر، وكان من

(1) ومثلهم أيضا في قدم الإسلام والهجرة إلى المدينة جميعا، وزاد بنو مظعون على بني البكير بهجرتهم كلهم إلى الحبشة كما يأتي.

فضلاء الصحابة، وممن حرَّم الخمر في الجاهلية؛ وكان يَقُولُ: لا أشرب شرابا يُذهب عقلي ويُضحِك منِّي مَن هو دوني ويحملني على أن أنكح كريمتي. ويأتي إن شاء الله بعض الكلام عليه في ذكره.

وأما **عبد الله** فهاجر الحبشة أيضا. وأما **السائب** فهاجر أيضا الحبشة، واختلف في شهوده بدرا. وأما **قدامة** فهاجر الحبشة وشهد بدرا واستعمله عمر، فشرب الخمر فجلده عمر بأمر أبي هُريرة[1]، فغضب قدامة و لم يكلم عمر. فرأى عمر آتيا أتاه في المنام فقال له: سالم قدامة، فدعاه عمر واستغفر له واصطلحا. وأما **السائب** بن **عثمان** فهاجر الحبشة وشهد بدرا واستُشهد يوم اليمامة عن بضع وثلاثين سنة. وزاد بنو مظعون على بني البكير بهجرتهم الحبشة كلهم[2].

---

(1) أي شهادته مع غيره.

(2) ومن ليث أيضا فرات بن زيد الليثي، كان من أَلِبَّاءِ العرب وذوي العلم والرأي، وكان ذا مال كثير، وكان بخيلا؛ روي أنه دخل يوما على عمر رضي الله عنه وهو يعطي المهاجرين والأنصار، فقال له: يا فرات من الذي يقول:

الفقر يزري بالفتى في قومه — والعين يغضيها الكريم على القذى

والمال يبسط للئيم لسانه — حتى يصير كأنه شيء يرى

والمال جُدْ بفُضوله ولتعلَمنْ — أن البخِيلَ يصير يوما للثرى؟

فقال فرات: لا أدري يا أمير المؤمنين، غير أني عرفت أن أخا ضبيعة أشعر الناس حيث يقول:

وإصلاح القليل يزيد فيه — ولا يبقى الكثير مع الفساد

فقال عمر: هذا أفضل منه قول الله عز وجل ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ

<=>

مِن دُئِلٍ دَلِيـلُ خَيْرِ الْعَالَمِينْ   عَبْدُ الإِلَهِ بْنِ الأُرَيْقِطِ الأَمِينْ

دُئِل (بضم الدال وكسر الهمزة ـ كما تقدم ـ وكعنب) منهم عبدُ الله بن **الأريقط**، **دليل** رسول الله ﷺ وأبي بكر في هجرتهما إلى المدينة، بعد أن دفعا إليه ناقتيهما وواعداه الغار بعد ثلاث؛ فأتاهما في الأجل، فقال فيه رسول الله ﷺ: «هو أمين». ويؤخذ منه جوازُ مدح الكافر بخلق فيه، لأنه إذا ذاك على كفره؛ بل لم يعلم له إسلام كما قال السهيلي، وقيل يذكر له. ويذكره[1] أبو بكر في قصيدته التي يقول في الهجرة، أولُها:

--- >>

﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ـ الحشر:9. فقال فرات: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ ـ الإسراء: 27 ـ قال عمر: فبين ذلك ـ يا فرات ـ ﴿قَواما﴾، اتق الله وإنما لك من مالك ما أنفقت يا فرات، أطعم السائل وكن سريعا إلى داعي الله، إن الله جواد يحب الجود وأهله وإن البخل بئس شعار المسلم، يا فرات أتدري من الذي يقول:

سأبـــذل مـالي للعفاة فإنـــني   رأيت الغنى والفقر سيان في القبر

يمـوت أخو الفقر القليـل متاعـه   ولا تـترك الأيام من كان ذا وفـر

وليس الذي جَمَّعتُ عندي بنافع   إذا حلَّ بي يوما جليل مـن الأمـر

قال: لا أدري يا أمير المؤمنين، قال: هذا شعر أخيك قسامة بن زيد، قال: ما علمته، قال: بلى هو أنشدنيه وعنه أخذته وإن لك فيه لعبرة، قال: يا أمير المؤمنين وفقك الله وسددك أمرت بخير وحضضت عليه. وترك فرات كثيرا مما كان عليه.

ولما فرغ الناظم من بني ليث أخذ يتكلم على بني أخيه دئل بن بكر بن عبد مناة، فقال رحمه الله وعفا عنه:

(1) أي يذكر ابن الأريقط في قصيدته حيث يقول:

سار الأريقط يهـــدينا..   إلخ، أي عبد الله بن الأريقط.

قال الرسولُ ولم يشعر بنا أحد ونحن في سُدفة من ظُلمةِ الغار
لا تخشَ شيئا فإن الله ثالِثُنا وقد تكفَّل لي منهُ بإظهار
وإنما كيدُ من تخشى بوادرُه كيدُ الشياطين كادتْه لِكُفَّار
والله مهلكهم طرا بما كسبوا وجاعل المنتهى منهم إلى النار
وأنت مرتحل عنهم وتاركُهم إما غُدوًا وإما مدلجاً سار
وهاجِرًا أرضَهم حتى يَكونَ لنا قوم عليهم ذوو عزٍّ وانصار
حتى إذا الليل وارتنا جوانبُه وسُد من دون من نخشى بأسْتار
سار الأريقط يهدينا وأينقُه ينعبن بالقوم نعبًا تحت أكوار
يعسِفن عَرض الثنايا بعد اطْولها وكل سَهْب دُقاق التُّرب موَّار
حتى إذا قلتُ قد انجدْن عارضها من مدلج فارسٌ في منصب وار
يردي به مشرف الاقْطار محتزم كالسِّيد ذي اللبدة المستأسد الضاري
فقال كروا فقلنا إن كرتنا من دونها لك نصرُ الخالقِ الباري

(ونسأل الله العِنَاية بنا وتوفيقنا لما يحبُّه ويرضاه مِنَّا، إن كان هذا الرجلُ لم يُسلم وقد سافر هذا السَّفر مع هؤلاء ويطعم مطعمهم ويشرب أسآرهم ويركب مراكبهم ويجلس مجالسهم وينظر في وجه رسول الله ﷺ مسياً وبكرة، فأسأل ربي اللطيف، متطفلا على خفي لطفه ومستجيرا بفضله من عدله ومستعيذا مما أنا أهله بما هو أهلُه، أن يعطف علي بنصُوح التوبة وخالصِ الإيمان وصفي صالح الأعمال ويبدل سيآتي حسنات حتى لا ألقى بعد نزع روحي إلا ما يسرني إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير ـ آمين).

سَارِيَةُ أَبُو الْفُتُوحِ بِالْجَبَلْ أَغْرَاهُ فَانْتَحَى إِلَيْهِ وَاعْتَقَلْ

أي من دئل أيضا: ساريةُ الذي ناداه عمر، وهو أميرُ جيش بنهاوند

وعمر يخطب للجمعة بالمدينة؛ وسمعه الناس يقول في أثناء الخطبة: "يا سارية الجبل"![1] فجزع الناس لذلك، ومنهم من قال: خرف أمير المؤمنين وإنا لله وإنا إليه راجعون! فلم يقدر أحد أن يتجاسر على سؤاله عن كلامه حتى خرج من المسجد، فتعرضه عبدُ الرحمن بن عوف فقال له: ما بال كلام سمعَه الناس منك في أثناءِ الخطبةِ أفزع الناسَ عليك و لم يقدروا أن يردوا عليك؟ فقال: لا بأس، رأيتُ الجَيْشَ الذي بنهاوند وقَد أحاط بهم العدو فناديت أميرَهم أن يعتقلوا بالجبل ففعلوا، ثم والحمد لله رأيتهم قد فتح الله عليهم. فلما قدم ساريةُ أخبرهم أنه سمع كلام عمر وائتمر به، فأرخوا لذلك فوجدوه في ساعة.

ومكاشفات عمر كثيرة، قال صلى الله عليه وسلم: «قد كان فيمن كان قبلكم محدثون، فإن كان فيكم فعمر»[2]. وكل الخلفاء يكاشف لهم، ولذلك كانت أفعالهم غالبا توافق الصواب. أمَّا أبو بكر فمن مكاشفاته

---

(1) وقيل إن عمر أمَّره على جيش سيره إلى فارس سنة ثلاث وعشرين، فوقع في خاطر عمر ـ وهو يخطب يوم الجمعة ـ أن الجيش المذكور لاقى العدوَّ وهم في بطن وادٍ وقد هموا بالهزيمة وبالقرب منهم جبل، فقال في أثناء الخطبة: يا سارية الجبلَ الجبل.. ورفع بها صوته، فألقاه الله في سمع سارية فانحاز الناس للجبل وقاتلوا العدو من جانب واحدٍ ففتح الله عليهم. وقيل كانت غزوة نهاوند سنة إحدى وعشرين وكان أمير الجيش النعمان بن مقرن المزني وبها قتل، فأخذ الراية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، فكان الفتح على يديه صلحا؛ و لم يقم للفرْس بعد هذه الوقعة قائم، فسماها المسلمون فتح الفتوح. ونهاوند مدينة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام ـ [تاج العروس]. والقصة رواها البيهقي في *الدلائل*، وغيره.

(2) متفق عليه.

قولُه لعائشةَ حين احتضر: "ذو بطن بنت خارجة أُراه أنثى"، وفي رواية: ألقي في خلدي أنه أنثى، يعني ابنته أم كلثوم. وأما عثمان فقوله لأنس حين دخل عليه، وكان ينظر في محاسن زوجة عثمان: "يدخل علي أحدكم وفي عينيه أثرُ الزنى"، فقال أنس: أوحي بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: بل فراسة المؤمن. وأما علي فمنها ما روي أن عمرو بن العاص أتاه فقال: أحسن الله عزاءك في ابن عمك معاوية، فقال له: لا ينبغي لمعاوية أن يموت قبلي؛ وإنما يريد عمرو أن يعلم أيهما يموت قبل الآخر، ويعلم أن عليا يكاشف له.

قوله: **أغراه**: أي ألزمه إياه بأن قال له: **الجبل**، أي عليك الجبل، أي الزمه. والجبل في قول عمر منصوب على الإغراء ناصبه *عليك* أو *الزم*. **وانتحى**: مال إليه وقصده. **واعتقل**: أي تحصن وتمنع بالجبل.

وسارية هو ابن زنيم[1]، اختلف في صحبته؛ قال في **القاموس**: "زنيم (كزبير) والد سارية الذي ناداه عمر بنهاوند".. ويذكر بعده كلمة عضلت قراءتها ثم يقول بعدها: "رآه النبي ﷺ فسجد شكرا لله"[2]. (وما

---

(1) ابن عبد الله بن جابر بن محمية بن عبد بن عدي بن الدئل بن بكر بن عبد مناة الدؤلي، كان من الشعراء والقادة الفاتحين وكان في الجاهلية لصًّا كثير الغاراتِ يسبق الفَرس عدْوا على رجليه، توفي سنة ثلاثين.

(2) نص القاموس: "زنيم"- كزبير - والد سارية الصحابي الذي ناداه عمر وهو بنُهاوند ونُغاشِيٌّ رآه النبي صلى الله عليه وسلم فسجد شكرا - [اهـ منه]. والكلمة التي عضلت قراءتها هي: "نُغاشِيٌّ" بضم النون وفتح الغين المعجمة بعدها ألف ثم شين معجمة ثم ياء مشددة،

<<=

سمعت بنسخة من القاموس وردت على هذه البلاد إلا جعلت همـتي إليها حتى أكشف فيها عن هذه الكلمة وأستنجد عليها من قدرت عليه من الزوايا و لم يظفر بقراءتها أحد، وهي إلى الآن غيرُ مقروءة في نسخ المغرب ولا المشرق[1]، أما كتب هذه البلاد فإن كان الكاتب ذا بصيرة فإما أن يضبب عليها وإما أن يبيض لها. وقلما تندس عني مشكلة إلا وفتح الله علي فيها - والحمد لله ــ غيرها). و لم نجد في كتب الحديث ولا كتب السير ما ذكر من سجود النبي ﷺ شكرا لهذا المرئي. والله تعالى أعلم.

وَبَنُو الاَسْـــوَدِ الأُلَى أَرْدَتْهُـــمُ   خُزَاعَـــةُ فَالْـتَهَبَـتْ حَرْبُهُمُ

بنو الأسود ثلاثة: كلثومُ وسَلمى ودُويبة، بنو الأسود بن رزَن، كانوا مفخرَ بني كنانة في الجاهلية، إذ كانوا يُودَوْنَ بدِيتَيْـنِ، لفضلهم في قومهم وشرفهم، وتُودَى كنانةُ ديةً واحدة. **والألى**: أي الذين. **وأردتهم**: قتلتهم **خزاعة**. **فالتهبت**: أي اتقدت الحرب بينهم، حتى حَجَزَ الإسلامُ بينهم وتشاغل الناس به، فدخلوا في صلح الحديبية؛ على أن خزاعة في حِلف النبي ﷺ وبني بكر في حِلف قريش.

والنغاشي: هو أقصر ما يكون من الرجال الضعيف الحركة الناقص الخَلْق، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم رأى نغاشيا فسجد شكرا لله تعالى. وفي رواية أنه مر برجُلٍ نغاشي فخرَّ ساجدا ثم قال: أسأل الله العافية - [انظر تاج العروس ولسان العرب]. وقال في *تاج العروس*: وأورده الطبراني في الصحابة.

(1) أي الواردة إلى هذه البلاد الشنقيطية.

وَنَوْفَــلُ الَّــذِي خُزَاعَــةَ غَدَرْ   عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ لِذَا لَهَا انتَصَرْ

يعني: ومن دئل بنو الأسود ونوفل بن معاوية[1] **الذي غدر خزاعة** طَلَبًا لثأر بني الأسود، بعد أن دخل كل من الفريقين في صلح الحديبية؛ ولهذا الغدْرِ انتصر **عمرُو بن سالم** لخزاعة، فنصره النبي ﷺ نصرا جرَّ إلى فتح مكة. وكان نوفل أوقع بخزاعة ليلا وهم "بالوتير" ـ موضع قريب من مكة ـ ومعه رجال من قريش مختفين، منهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل، فقاتلوهم حتى أدخلوهم الحرم فكفوا عنهم. وخرج عمرو بن سالم يستصرخ النبي ﷺ بقوله:

يا رب إني ناشد محمدا   حلف أبينا وأبيه الأتلدا[2]

---

(1) ابن عروة بن صخر بن يعمر بن نفاثة بن عدي بن الدئل بن بكر الكناني الدئلي.

(2) وسبب حلف خزاعة لعبد المطلب: أنه لما مات المطلب بن عبد مناف وثب نوفل على أركاح عبد المطلب فغصبه إياها، فسأل رجالا من قريش النصرة عليه فقالوا: لا ندخل بينك وبين عمك، فكتب إلى أخواله من بني النجار، فجاءه منهم ثمانون راكبا وأقبلوا نحو نوفل وهو جالس في الحجر مع مشايخ قريش، فقالوا له: ورب البيت لتردنَّ على ابن أختنا اركاحه أو لنميلن عليك بهذه السيوف، فقال لهم: رددتها عليه، وأشهد على ذلك مشايخ قريش. فرجعوا إلى المدينة؛ فلما رأى نوفل ذلك حالف بني عبد شمس بن عبد مناف على بني هاشم. (والأركاح: ساحات وأفنية واسعة لا بناء فيها يتركح فيها، أي يتوسع؛ والرُّكْح ناحية البيت من ورائه، كأنه فضاء لا بناء فيه).

ولما رأت خزاعة نصر بني النجار لعبد المطلب قالوا: نحن ولدناه كما ولدتموه فنحن أحق بنصره ـ وذلك أن أم عبد مناف: حبى بنت حُليل الخزاعية ـ فدخلوا دار الندوة وحالفوا بني هاشم على بني عبد شمس ونوفل، وذلك قوله: "حلف أبينا وأبيه الأتلدا"، وأشار إلى أبوتهم هذه لعبد مناف بقوله:

<<=

إن قريشـا أخلفـوك الموعدا	ونقضـوا ميثاقـك المؤكدا
وجعلوا لي في كـداء رصـدا	وزعموا أن لسـت أدعو أحدا
وهـم أذل وأقـلُّ عددا	هـم بيتُونا بالوتـير هجدا
وقتلـونا ركعا وسجـدا	.. إلى آخرها.

فلما سمع رسول الله ﷺ قوله قال: «لا نصرني الله إن لم أنصرك»، وقال، وقد عرضت لهم سحابة: «إن هذه السحابةَ لتستهلُّ لنصر بني كعب»[1]، يريد خزاعة؛ فغزا غزوة الفتح.

ونوفل بن معاوية أسلم وصحب النبي ﷺ، وشهد معه الطائف؛ واستشارهُ في أمر ثقيف فقال: يا رسول الله هم كثعلب في جُحْرِهِ: إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لا يضرك. وحج مع أبي بكر حجةُ بالناس، ثم حج مع النبي ﷺ حجة الوداع؛ وعاش مائة سنة أو أكثر، نصفها في الجاهلية ونصفها في الإسلام؛ عاش إلى زمن يزيد بن معاوية.

ومن دئل أبو أُناسٍ بن زنيم ـ أخو سارية ـ كان شاعرا، وفي النبي ﷺ

--->>

قـد كنتـمُ ولـدا وكنا والـدا	ثمـتَ أسلمنا ولم ننـزع يدا
فانصـر هـداك الله نصرا أيِّدا	وادع عباد الله يأتـوا مددا
فيهم رسـول الله قد تجـردا	أبيض مثل البدر يسمو صعـدا
إن سيـم خسفا وجهـه تربدا	في فيلـق كالبحر يجري مزبدا
إن قريشا أخلفـوك الموعـدا	..إلخ.

(1) أخرجه البيهقي في *السنن الكبرى ودلائل النبوة*، والطبراني في *الصغير*، وذكره ابن سعد وابن هشام.

يقول:

وما حملت من ناقة فوق رحلها أبرَّ وأوفى ذمــــة من محمد
وأعطى إذا ما طالِب العُرف جاءه وأمضى بحـــــد المشْرفِيِّ المُهَنَّدِ

وابنه أُسَيْد بن أبي أُناس، كان هجاءً فأهـــدر النبي ﷺ دمـه، فجـاء تائبـا وأنشد فيه مدحة حسنة.

ومنهم أبو الأسود الدئلي، واسمه ظـالم بـن عمـرو[1] بـن نفاثـة، واضـع النحو؛ وهو أيضا أوَّل من نقط المصحف بأمر الحجاج. وكان يضـرب بـه المثل في الذكاء والبلاغة والبُخل، تحاكم مع امرأة في ابْنٍ بينهمـا إلى عمـرَ، فقالت المرأة: إنه طلقني يا أمير المؤمنين وأراد أن يأخذ مني ابني، فقـال أبـو الأسود: هو ابني يـا أمـيرَ المؤمنـين حملتـه قبـل أن تحملـه ووضعتـه قبـل أن تضعه! فقالتْ: حمله خفا وحملته ثِقلا ووضعه شهوة ووضعته كرها. فقـال له عمر: دعني من تمشدقك واسْلم للمرأة ابنها.

وسمع زينبَ بنت عقيل تبكي الحسين ورَكْبَه الذين قتلوا معه وتقول:

ما ذا تقولون إن قال النبي لكم ما ذا فعلتم وأنتم آخـــر الأمَمِ

(1) عمرو هذا ابن سفيان بن جندل بن يعمر بن حليس بن نفاثة بن عدي بـن الدئـل بـن بكـر الدئلي، وكان أبو الأسود الدئلي هذا من كبـار التـابعين مخضرمًـا أدرك الجاهليـة والإسـلام وروى عن عمر وعلي ومعاذ وأبي ذر وابن مسعود والزبـير وأبـيّ بـن كعـب وابـن عبـاس وعمران بن حصين وغيرهم.. وروت عنه جماعة من التابعين وولي قضاء البصـرة وكـان ذا عقل ودين ولسـان وبيـان وفهـم وحـزم، وكـان مـن الفقهـاء والقـراء والمحدثـين والشـعراء المشهورين، قيل توفي في طاعون سنة تسع وستين عن خمس وثمانين سنة.

بأهل بيتي وأنصاري وذي رحمي منهم أسارى وقتلى ضُرِّجُوا بدم؟

فقال أبو الأسود: نقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1]. ومن شعره:

وكن معدنا للخير واصفح عن الأذى فإنك راء ما حييتَ وسامعُ
وأحبب إذا أحببت حبا مقاربا فإنكَ لا تَدْري متَى أنت نازع
وأبغض إذا أبغضت بغضا مقاربا فإنك لا تدري متَى أنتَ راجعُ[2]

فِي مُدْلِجٍ مِّن بَكْرِ الْقِيَافَهْ كَمَا لِلِهْبٍ كَانَتِ الْعِيَافَهْ

---

(1) الأعراف: 23.

(2) ومن شعره:

كساك ولم تستكسه فاشكرن له أخ لك يعطيك الجزيل وياصِرُ
وإن أحق الناس ان كنت حامِدًا بحمدك من أعطاك والعِرض وافر

ومعنى ياصر (بالياء المثناة): يعطف. ومما ينسب له:

بليت بصاحب إن زدت شبرا يزدني في مباعدةٍ ذراعا
وإن أمدد له في الوصل ذرعي يزدني فوق قيس الذرع باعا
أبت نفسي له إلا اتباعا وتأبى نفسه إلا امتناعا
كلانا جاهد أدنو وينأى فذلك ما استطعت وما استطاعا

وله أيضا:

وإذا طلبت من الخلائق حاجة فادع الإله وأحسن الأعمالا
فليُعْطِيَنَّكَ ما أراد بقدرة وهو اللطيف إذا أراد فعالا
إن العباد وشأنهم وأمورهم بيد الإله يقلب الأحوالا
فدع العباد ولا تكن بطِلاَبهم لَهِجًا تضعضع للعباد سؤالا

وَهْـيَ الْقِيَافَـــةُ بِلاَ امْتِرَاءِ   مَعْرِفَـةُ الأبْنَــاءِ بِالآبَـــاءِ

مدلج: هو ابن مُرَّة بن **بكر** بن عبد مناة بن كنانة، وهم أهـل **القيافـة** في العرب. ومن قيافتهم ما سرَّ النبي ﷺ في زيد بن حارثة وابنه أسامة؛ وكـان زيد أبيضَ وأسامةُ أسود، فمر بهما مجزِّزٌ الأعور بن جعدة ـ وهو صحـابي وابنه علقمةُ صحابي ـ مضطجعين فقال: "لمن هذه الأقدام التي بعضها مـن بعض"؟ فسر رسول ا لله ﷺ بذلك.

يعني أن مدلجا هم أهل **القيافة** كما أن بني **لِهْب** هم أهل **العيافة** بالطـير، أي التيامن والتشاؤم بطيرانها وألوانها ومواقعِهَا وأسمائها. وممـا يحكـى مـن عيافتهم أن رجلا منهم أتاه ابنُه يحدثه فقال: بينما أنا اليوم إذا بغراب علـى شجرةِ كَذا، فقال لابنه: أطردته؟ قال: طردته، ولم يزل كذلك إلى أن قال له: احْذني وإلا فلست بابْني، يُريد أنه وقع علـى كنز فاستخرجه الفتـى. ويحكى أن الجن قالوا: سنستخبرُ بني لِهْبٍ، فأخذوا شـخصين منهـم علـى صورة رجلين على جمل فأتياهم وقالا: نحن مـن بـني فـلان نطلـب لقاحـا، فابعثوا معنا من يدُلُّنا على انشادها في أنعامكم، فبعثوا معهما طِفلا فجعلاه بينهما، فلما انفصلا به طارت منهم عُقاب، فصاح الطفلُ وقال: يا ويلـه! رفعت جناحا، وخفضت جناحـا، وأراكـم الجـن نقاحـا، ولستم تطلبـون لقاحا!. قال الشاعر:

خبيرٌ بنو لِهْـــبٍ فلا تك ملغيا   مقالـــة لِهْـبي إذا الطير مرَّتِ

مِنْهُمْ سُــرَاقَةُ الَّذِي كَانَ عُمَرْ   حَــلاَّهُ تَصْدِيقًا لأَفْضَلِ الْبَشَرْ
حُلِيَّ كِسْرَى وَأَتَى فِي صُورَتِهْ   إِبْلِيــسُ إِذْ تَخَوَّفَتْ مِن فِئَتِهْ

فِهْرُ غَــدَاةَ خَرَجُوا لِبَــدْرِ   فَكَانَ خَافِــــراً لَّهُمْ مِّن بَكْرِ

منهم، أي من مدلج: **سراقةُ** بنُ مالك بن جُعشُم الذي **حلاه عمرُ** سواريْ **كِسْرَى**، **تصديقا** لما أخبر به صلى الله عليه وسلم: أن سراقةَ سيلبَسُ سواري كسرى؛ قال له يوما: «كيف بك يا سراقة إذا لبست سواريْ كسرى»[1].

سراقة بن مالك ولُبسه سواريْ كسرى

فلما فتح العراق في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأُتي بتاج كسرى ومنطقته وسواريه، دعا سراقةَ فألبسه السوارين وقال له: ارفع بهما يديك يا سراقةُ وقل الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كسرى الذي كان يقول: أنا ربُّ الناس وألبسهما سراقةَ بنَ مالك أعْرابيا من بني مُدلج. وأراد عمر بذلك **تصديق** النبي ﷺ وإظهار مُعجزَاتِهِ؛ لأن ذلك كان أبعدَ شيءٍ عند العرب، وحين أخبر به النبي ﷺ صدق به المؤمن أي التصديق وأنكره الكافر أي الإنكار لبعده عنه؛ فلما وقع وافق اعتقاد المؤمن وصدق به الكافر على رغم أنفه، وهو من المعجزات التي تأتي بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، كإخباره بالفتن والعلامات وخلفاء بني العباس وغير ذلك. والمكاشفة من المعجزات مما يوافق الكرامة إذا كانت عَن غير تحدٍّ، وتكون للأنبياء كبِشارتهم بالنبي ﷺ وإخبارهم بالخلفاء ونعتهم، وكل ما يأتي من

---

(1) قاله في *المواهب اللدنية*.

الوحي إليهم بذلك. وخصوصية النبي ﷺ ببقاء بعض المعجزات هو الإعجاز بالقرآن لا غير، لأن الإعجاز بالقرآن باق معه؛ فإن قلت وكذلك التوراة والإنجيل باقيان، فالجواب: هما ليسا للإعجاز وإنما فيهما الأحكام والقصصُ ونحوهما.

قصة إسلام سراقة

وسراقة هو صاحب القصة مع النبي ﷺ وأبي بكر في هجرتهما، وهي أن قريشا جعلوا ديتهما لمن يقتلهما أو يردهما عليهم، فسمعت الأعراب بذلك فرغبوا فيه.

فلما خرجوا عن أم معبد حادوا عن بني مدلج فرآهم رجل فأتى ناديهم - وفيه سراقة - وقال: إني رأيت أسْوِدَةً ما أراهم إلا محمدًا وأصحابه الذين جعلت فيهم قريش ما جعلت، فأومأ إليه سراقة بعينه أن اسكت، وقال: إنما رأيت بني فلان يطلبون ضالة لهم، فقال الرجل: لعله، وسكت. فمكث سراقة في ناديهم قليلا ثم دخل بيته، فأمر جاريته أن تقود فرسه إلى وراء أكمة وتسرجه، فلبس لامته وتسلح وجعل رمحه بين رجليه وجره إلى أن أتى فرسه فركب بعد أن استقسم بالأزلام فخرج الذي يكره، فشدَّ في أثر القوم.

قال أبو بكر: فلما دنا منا قلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت فقال ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾. فلما كان منا قدر رمحين أو ثلاثة قلت: هذا الطلب وبكيت، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما يبكيك»؟

فقلت: وا لله ما على نفسي أبكي ولكن أبكي عليك، فقال صلى ا لله عليه وسلم: «اللهم اكفناه بما شئت»[1] فساخت فرسُه إلى بطنها، فوثب عنها وقال: يا محمد هذه كنانتي فخذ منها سهما وإئت به إبلي وغنمي فإنك ستمر بهما وخذ منهما حاجتَك، فقال صلى ا لله عليه وسلم: «لا حاجة لنا في إبلك ولا في غنمك». وفي حديث سراقة أن فرسه ساخت به ثلاثا والأخيرة خرج في اثر يديها دُخان كأنه إعصار، فنادى بالأمان؛ وكان أبو بكر يكثر الالتفات والنبي ﷺ لا يلتفت. فأخذُوا عليه العهد أن يرد عنهم كل من بجهته، وطلب منهم كتابا فيه الأمان له لوثوقه بظهور أمر النبي ﷺ فكتب لَهُ عامر بن فهيرة في قطعة من جلد وضمها في كنانته، فلم يزل عنده إلى أن فرغ النبي ﷺ من حنين والطائف أتاه بالجعرَّانةِ؛ قال سراقةُ: فدخلت في كتيبة من الأنصار، فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون إليك إليك ما ذا تريد؟ ولا أبالي بهم.. حتى دنوت من رسول ا لله ﷺ وهو على ناقته، وا لله لكأني أنظر إلى ساقه في غرزها فرفعت يدي بالكتاب وقلت: يا رسول ا لله هذا كتابك لي أنا سراقة بن مالك بن جُعْشُم، فقال صلى ا لله عليه وسلم: «يوم بر ووفاء، ادنُ مني»[2] فدنوت منه وأسلمت ثم تذكرت شيئا أسأل عنه فما ذكرته، إلا أني قلت: الضالة من الإبل تغشى حياضي وقد ملأتها لإبلي هل لي من أجر في أن أسقيها؟ قال:

(1) متفق عليه.

(2) رواه ابن هشام في السيرة.

«نعم في كل ذي كبد حَرَّاءَ أجر»[1]. فرجعت إلى أهْلِي فسقت إلى رسول الله ﷺ صدقتي.

وكان سراقة شاعرا مجيدا وسمع أبياتا يخاطب بها أبو جهل بني مُدلج ويسفه فيها سراقةَ في خبره مع رسول الله ﷺ وركبه - وهم أبو بكر ومولاه عامرُ بن فهيرة وعبد الله بن الأريقط (وكان رسول الله ﷺ وأبو بكر على ناقة وعامر بن فهيرة وعبد الله بن الأريقط على ناقة) - فقال سراقة يجيب أبا جهل:

أبا حكم لو كنت والله شاهدا ... لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمهْ

شهدت ولم تشكك بأن محمدا ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومهْ؟

إليك فكف اللّوم عني فإنني ... أرى أمره يوما ستبدو معالِمُهْ

بأمر يود الناس فيه بأسرهم ... بأن جميع الناس طرا يسالمهْ

قوله: وأتى في صورته.. إلى آخره: يشير إلى أن قريشا لما أجمعوا على المسير إلى النبي ﷺ في خروجهم إلى بدر - وكانت بينهم وبين بني بكر بن كنانة عداوة - قالوا: كيف نخرج ونترك أرضَنا وأموالنا.. نخاف علَيها بني بكر، أتاهم إبليس في صورة سراقة بن مالك فقال لهم: أنا خفير لكم، أي جار لكم، من بني بكر فامضوا إلى شأنكم، فطابت نفوسهم لذلك وخرج معهم إبليس يزعُمون أنه سراقة إلى أن تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

أَخَافُ ٱللَّهَۚ﴾[1]، قال السهيلي: قوله "إني أخاف الله" يحتمل وجْهين: أحدُهما أنه كاذب في قوله - وهو أهل للكذب - والثاني أنه رأى الملائكة فظن أنه يوم القيامة الذي وعد فيه بالعذاب؛ إذ يرى أنَّ الملائكة لا ترى عيانا إلا فيه، فخاف حضور عذابه.

وكان ممن يليه حين قال هذا الحديثَ الحارث بن هشام فحدث به قريشًا، فكانت قريش كلما رَأَتْ سراقة قالوا: يا سراقة أنت خرقت الصف وفعلت الهزيمة.. فينكر عليهم، فلما أسلم وقرأ القرآن حقق الخبر. وذلك قول حسان:

سِرنا وساروا إلى بدر لحيْنهمُ لو يعلمون يقينَ الأَمر ما ساروا

دلاهمُ بِغرور ثم أسْلَمَهم إنَّ الخبيثَ لمن والاهُ غرَّارُ

يقول: من مدلج **سراقة** بن مالك **الذي حلاه**، أي ألبسه، **عمر** رضي الله عنه، لأجل **تصديق** قول النبي ﷺ في حياته، **حُليّ** (بضم الحاء وكسر اللام وشد الياء) جمع حَلْيٍ (بالفتح) وهو ما يتزين به من النقد والجواهر، وهو مفعول ثان **لحلاه**؛ وسراقة هذا أتى **إبليسُ في صورته** قريشا يوم **خروجهم** إلى **بدر فخفرهم من فئته**، أي أجارهم من قبيلتِه بني **بكر** بن كنانة.

ربيعة بن مكدم وقصته مع دريد

وَمِن كِنَانَةَ بَنُو فَرَاسِ رَهْطُ مُكَدَّمٍ وَكُلِّ قَاسِ

(1) الأنفال: 48.

بنو فراس (كسحاب): من بني الحارث بن مالك بن كنانة، وهم قبيلة **مكدم** (كمعظم) والد فارس العرب: ربيعة بن مكدم[1]، الذي يضرب به المثل في الفروسة والبأس، ويزعمون أنه يحمي الظعن حيًّا وميتًا؛ وذلك أنه حين مات كان مريضا من جدري، فوقعت بَنُو أَسَدٍ بحيه، ولم يكن فيه من الرجال غيره إلا القليل، فقاتلهم عن النِّساء حتى ركبن ووقف دُونهن على فَرسه، وعلم النساء أنه في آخر رَمَقٍ فسِرْنَ والفرس واقفٌ به حتى مات؛ ولم يزل الفرس على هيْئته حتى نجا الظعن فتحرَّك فسقط عنه ميتًا، فقالوا فيه: يحمي الظعن حيا وميتًا!. وقيل طَعنه رجل من بني سليم يقال له نبيشة بن حبيب، فلما أحس بالموت أوْقَفَ فرسه ومات فوقه، ولم يشعر به أحد حتى نجا الظعن[2].

---

(1) ابن عامر بن حرثان بن جذيمة بن علقمة - وهو جذل الطعان - بن فراس بن غنم بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة، الكناني.

(2) ومما رثي به، وهو لعمرو بن شقيق الفهري - من بني الحارث بن فهر -:

نفرتْ قلوصي من حجارة حَرَّةٍ ... نُصِبت على طلق اليدين وَهُوب

لا تنفري يا ناقُ منه فإنه ... شِرِّيبُ خَمرٍ مُسعِرِ لحروب

لولا السِّفار وبُعْد خَرقٍ مَهمَهٍ ... لتركتها تحبو على العُرقوب

فرَّ الفوارسُ عن ربيعة بعدما ... نجَّاهمُ من غمَّةِ المكروب

يدعو عليا حين أسلم ظهره ... فلقد دعوت هناك غير مجيب

إلى أن يقول:

نعم الفتى أدَّى نبيشة بزَّه ... يوم الكديد نبيشة بن حبيب

لا يبعدنَّ ربيعة بن مكدم ... وسقى الغوادي قبره بذَنوب

ومِمَّا يحكى عن ربيعة بن مُكدم أنه خرج دريد بن الصمة في فوارس من جشم يريدون الغارة على بني كنانة، فلما كانوا بوادٍ لهم يُقال له "الاخرم"[1] رفع لهم رجل في ناحية الوادي معه ظعينةٌ، فقال دريد لفارس من أصحابه: صحْ به أن خلِّ عن الظعينة وانج بنَفْسِك - وهم لا يعرفونه - فلما انتهى إليه الفارس صاح به وألح عليه، فألقى زمام الراحلة للمرأة وقال:

سيري على رسلك سير الآمن　　سير رداح[2] ذات جأش ساكن

إنَّ انثنائي دون قِرني شائني　　إبْلَيْ بلاء واخبُري وعايني

فحمل على الفارس وطعنه وأخذ فرسه وأعطاه الظعينة. فبعث دريد فارسا آخر لينظر ما صنع صاحبه؛ فلما انتهى إليه ووجده صريعا صاح به[3]، فتصامم عنه ربيعة فظن أنه لم يسمعه فغشيه، وألقى زمام الراحلة للمرأة ورجع وهو يقول:

خَلِّ سبيل الحرة المنيعةْ　　إنكَ لاقٍ دونَها ربيعةْ

في كفه خِطيةٌ[4] مطيعةْ　　أوْ لا فَخُذْها طعنة سريعةْ

والطعن مني في الوغَى شريعَةْ

ثم حمل عليه فطعنه. فلما أبطأ عن دريد، بعث فارسا ثالثا لينظر ما صنع

---

(1) يسمى وادي الأخرم (بالخاء المعجمة والراء)، والأخرم: جبل في طرف الدهناء.

(2) امرأة رداح: عجزاء تامة الخلق.

(3) أي بربيعة..

(4) الرماح الخطية: تنسب إلى الخط وهو مرفأ في بلاد البحرين.

صاحباه، فلما انتهى إليهما ورآهما صريعين ونظر إلى ربيعة يقود ظعينته ويجر رمحه قال له: خلِّ سبيل الظعينة؛ فقال ربيعة للظعينة: اقصدي قَصْدَ البيوت، ثم أقبل عليه فقال:

ما ذا تريد من شتيم عابسِ   أما ترى الفارس بعد الفارسِ

أرداهما عامل رمح يابسِ؟!

ثم حمل عليه فصرعه وانكسر رمحه. ثم إن دريدا ارتابَ وظنَّ أنهم قتلوا الرجل وأخذوا الظعينةَ، فلحق ربيعةَ وقد دنا من الحي ـ ووجد أصحابه قتلى ـ فقال: أيها الفارس إن مثلك لا يقتل ولا أرى معك رمحًا، والخيل ثائرة بأصحابها، فدونك هذا الرمح فإنّي منصرف إلى أصحابي فمثبطهم عنك. فانصرف دريْدٌ وقال لأصحابه: إن فارسَ الظعينة قد حماها وقتل فرسانَكم وانتزع رمحي ولا مطمع لكم فيه، فانصرفَ القَوْم. وفيه يقول دريدٌ:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله	**حامي الظعينة فارسا لم يُقتَلِ**
أردى فَوَارِسَ لم يكونوا نهزةً[1]	**ثم استمر كأنه لم يفعل**
متَهَلِّلا تبدُو أسِرَّةُ وجهه	**مثل الحسام جَلَتْه كفُّ الصَّيْقَلِ**
يزجي ظعينتَه ويسحب رمحه	**متوجها يمناه نحو المنزل**
وترى الفَوارس من مخافة رمحِهِ	**مثل البغاثِ خَشِينَ وَقْعَ الأجْدَلِ**
يا ليت شعري مَن أبوه وأمه؟	**يا صاح من يك مثله لم يجهل!**

وقال ربيعة:

---

(1) النهزة: الشيء هو لك معرَّض كالغنيمة، يقال: فلان نهزة المختلس أي صيد لكل أحد.

إن كان يَنْفعُـك اليقـين فسائلي	عـني الظعينة يوم وادي الأخْرَمِ
إذْ هِي لأوَّل من أتاها نهبـــة	لولا طعان ربيعـــة بن مكدَّم
إذ قال لي أدنى الفـوارس ميتة	خل الظعينـة طائعا لا تنـــدم
فصرفت راحلـــة الظعينة نحوه	عمدا ليعلم بعـــض ما لم يعلم
وهتكت بالرمـــح الطويل إهابه	فهـــوى صريعًا لليدين وللفم
ومنحـــــت آخرَ بعده جياشة	نجلاء فاغرة كَشدق الأضجمِ[1]
ولقد شفعتهما بآخـرَ ثالـــثٍ	وأبى الفـرار لِيَ الغداة تَكرُّمي

ثم لم يلبث بنو كنانة ـ رهط ربيعة بـن مكـدم ـ أن أغـاروا علـى بـني جشم ـ رهط دريد ـ فقتلـوا، وأسـروا دريـدًا فـأخفى نفسـه؛ فبينمـا هـو عندهم محبوس إذا جاءه نسـوة يتهـادين إليـه فصرخـت إحداهـن فقـالت: هلكتم وأهلكتم، ما ذا جر علينا قومنا! هذا وا لله الذي أعطى ربيعة رمحـه يوم الظعينة، ثم ألقت عليه ثوبها وقالت: يا لفراس إنـي جـارة لـه منكـم، هذا صاحبنا يوم وادي الأخرم. فسألوه من هو فقال: أنا دريد بـن الصمـة فمن صاحبي؟ فقالوا: ربيعة بن مكـــــدم، قال فمـا فعـل؟ قـالوا: قتلتـــه بنـــو سـليم[2]، قـال: فمـا فعلـت الظعينـة؟ قـالت المـرأة: أنـــا هـــي

---

(1) الضَّجم: عوج في الفم، ويشبه الجرح الواسع بفم الأضجم، وهو المصاب بالضجم.

(2) وفد عمرو بن معد يكرب يوما على أمير المؤمنين عمر رضـي ا لله عنـه، ففاوضـه في قبـائل اليمن وغنائها في الشدة ومآثرها في الرخاء وذاكره في الحرب والسلاح، إلى أن قال له: هل كععت يا أبا ثور عن فارس لقيته قط؟ قال نعم وا لله يـا أمير المؤمنـين مـا كنـت لأستحل الكذب في الجاهلية فكيف في الإسلام؛ ولقد قلت يوما لجماعة من خيلي ـ خيل بني زبيد ـ هل لكم في الغارة؟ قالوا: على مَن؟ قلت: بني البكّاء، فقالوا: مغار بعيد علـى شـدة كلـب وقلة سلبٍ، فقلت: على من؟ قالوا: على هذا الحي من كنانة فقد بلغنا أن رجالهم خلوف.

<<=

--- >>

قال: فسرنا حتى أشرفنا على سراة الحي؛ قال: فما أعلمك بأنهم سراة؟ قال: رأيت مذاود خيل وقدورا مبتناة وقبابا حمرًا من أدم ونعما كثيرا، فعلمت أن القوم سراة، قال: فأهويت إلى أعظمها قبة بعد ما حوينا السبي والمال وكان منتبذًا عن البيوت فلما انتهيت إلى القبة كشفتها فإذا جارية مثل المهاة، فلما نظرت إلي وإلى الخيل تجول في المراح أهوت إلى درعها فشققته وقالت: واثكلياه! فقلت: وما لك؟ فقالت: وا لله ما على نفسي أبكي وإنما أبكي على أتراب لي قد ألفتُهنَّ وألفْنَنِي فأُسبى من بينهن وها هنَّ بالوادي، وأشارت إلى واد هناك ـ وكان ذلك مكيدة منها ـ فقلت هذه غنيمة من وراء غنيمة.. وركضت فرسي حتى أوفيت على الوادي فإذا رجل أصهب أهلب يخصف نعله وإلى جانبه فرسه وسلاحه، فلما رأيته علمت أن الجارية كادتني بذلك، ولما نظر إلي رمى بالنعل من يده ثم استوى على فرسه وأخذ رمحه ومضى نحو الحي لا يحفل بشيء فتقدمت إليه وطفقت أشجره بالرمح خفقا وأقول له: يا هذا استأسر، فمضى غير مكترث حتى أشرف على الحي فإذا الخيل جائلة في أكنافه فعطف علي وهو يقول:

قد علمت إذ منحتني فاها　　وألحفتني بكرة رِدَاها

أني سأحوي اليوم من حواها　　يا ليت شعري ما الذي دهاها

قال: فتلقيته وأنا أقول:

عمرو على بعد المدى دهاها　　جاب المفاوز وقد فلاها

بالخيل يزجيها على وجاها　　حتى إذا حل بها احتواها

ثم حملت عليه وحمل علي فاشتبكنا، فكنت أضربه أحذر من غراب ويضربني أحذر من سنور، فوقع سيفه في قربوس سرجي فقطعه وما تحته حتى هجم على مسح الفرس، ثم ثَنَّى بضربة أخرى فأخطأني وقد رغت لها فوقع سيفه على مؤخر السرج فقطعه حتى وصل إلى فخذ الفرس وصرت راجلا، فقلت له: ويحك من أنت؟ فوا لله ما ظننت أحدا من العرب يجترئ علي قط إلا ثلاثة: الحارث بن ظالم للسِّنِّ والتجربة، وعامر بن الطفيل للعجب والخيلاء، وربيعة بن مكدَّم للحداثة والبأس.. فمن أنت ثكلتك أمك؟ فقال: بل أنت ثكلتك أمك من أنت؟ قلت: أنا عمرو بن معد يكرب، قال: وأنا ربيعة بن مكدم، قلت:

<<=

وأنا امرأته. فحبسه القوم ووامروا أنفسهم؛ فقال بعضهم: لا ينبغي لدُريد أن تكفر نعمته على صاحبنا، وقال آخرون وا لله لا يخرج من أيدينا إلا برضى المخارق الذي أسره، فانبعثت المرأة ـ وهي ريطة بنت جذل الطعان ـ تقول:

سَنجزي دريدا عن ربيعة نعمة   وكل امرئ يجزى بما كان قدما
فإن كان خيرًا كان خيرًا جزاؤه   وإن كان شرًّا كان شرا مذمما
سَنَجزيه نعمى لم تكن بصغيرة   بإعطائه الرُّمح الطويلَ المقوما
فقد أدركت كفاه فينا جزاءَه   وأهل لأن يُجزَى الذي كان أنعما
فلا تكفروه حق نعماه فيكمُ   ولا تركبوا تلك التي تملأ الفما
فلو كان حيًّا لم يضق بثوابه   ذراعًا غَنِيا كان أو كان معدما
ففكوا دريدا من إسار مخارق   ولا تجعلوا البؤسى إلى الشَّر سُلما

فلما أصبحوا أطلقوه، فكسته المرأة وجهزته ولحق بقومه؛ و لم يزل كافًّا عن غزو بَنِي فراس إلى أن هلك.

- - >>

يا هذا إني قد صرت راجلا فاختر مني إحدى ثلاث: إن شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الأعجل وإن شئت اصطرعنا فأينا صرع صاحبه حكم فيه وإن شئت فالسلم، وأنت يا ابن أخي حدث وبقومك إليك حاجة، قال: ذلك إليك فاختر لنفسك، فاخترت السلم وأخذت بيده حتى أتيت أصحابي وقد حازوا النعم والسبي، فقلت: هل تعلمون أني ما كععت قط؟ قالوا: نعيذك با لله من ذلك، قلت: فانظروا هذا النعم الذي حزتموه فخذوه مني غدا في زبيد فإنه لهذا الفتى، وا لله لا يوصل إليه بمكروه وأنا حي، فقالوا: لحاك ا لله من فارس أنسأتنا حتى إذا هجمنا على الغنيمة الباردة دافعتنا عنها؛ فقلت: لا بد أن تهبوها لي ولربيعة بن مكدم ـ وقد سميته ليعرفه القوم ـ فقالوا: وإنه لهو؟ قلت: نعم، فردوا جميع ما بأيديهم وسالمته فأمن حربي وأمنت حربه حتى هلك ـ [راجع الأصبهاني والمسعودي].

ومنهم بني فراس: أمُّ رُومان، واسمها زينبُ بنت عويمر بن الحارث، أم ابنيْ الصديق: أمنا عائشة وعبد الرحمن. هاجرت وتوفيت بالمدينة سنة ست، ونزل النبي ﷺ في قبْرها واضطجع فيه وأفرشها ثوبه في قبْرها وقال: «من أحب أن ينظر إلى امرأة من نساء الجنة - أو قال من الحور العين - فلينظر إلى أم رُومان»[1]، أو كما قال صلى ا لله عليه وسلم.

ومنهم عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن جذل الطعان، أمُّ أمِّنا أم سلمة، وهي إحدى عواتك أبي أمية اللاتي كنَّ تحته؛ وهن أربع: عاتكة هذه وعاتكة بنت عتبة بن ربيعة وعاتكة بنت عبد المطلب[2].

قوله: وكل **قاس**: يشير إلى نجدتهم وشدة بأسهم؛ قال علي لأصحابه: ليت لي بمائة منكم شيعةً من بني فراس، صرْف الدينار بالدِّرْهم!.

ومِن كِنَانَـةَ الأَحَابِيشُ، وَهُمْ إِخْـوَةُ بَكْرٍ حَارِثُ سُوقَتُهُمْ
وَالْهُونُ وَالْمُصْطَلِـقُ اللَّـذَانِ عَلَى بَنِـي بَكْـرٍ يُحَالِفَانِ
وعِندَ حُبْشِيٍّ قُـرَيْشًا حَالَفُوا عَلَى الْحُلَيْسِ كَبْشِهِمْ تَأَلَّفُوا

يقول **ومن كنانة الأحابيش، وهم** ثلاث قبائل: بنو **الحارث** بن عبد مناة

(1) رواه البخاري في تاريخه وابن سعد وابن منده.

(2) لم تذكر الرابعة في واحدة من النسخ التي وقفت عليها، وربما كان الشيخ بيَّض لها لعدم وقوفه عليها فيما بعدُ بالتعيين؛ لقوله في *روض النهاة*: "ولعل الرابعة من ثقيف أم ابنيه: هشام ومسعود الكافرين".

بن كنانة، وذلك قوله: **إخوة بكر**، أي بكر بن عبد مناة، وبنو **الهون** بن خزيمة، وبنو **المصطلق** من خزاعة.

وبنو الهون وبنو المصطلق كانا يحاربان **بني بكر ويحالفان** عليهم، ولذلك دخلت خزاعة في حلف النبي ﷺ، ودخلت بكر في حلف قريش؛ وسميت هذه القبائلُ **بالأحابيش** لأنهم حالفوا قريشا عند جبل بأسفل مكة يقال له "حُبْشِي"[1]، وتحالفوا على رجل من بني الحارث يقال له **الحليس** (كزبير) بن علقمة بن الريان، أي كأنهم سودوه عليهم؛ **وكبش** القوم: رئيسهم. **وسوقتهم**: جدهم[2].

وتحالفوا أنهم واحد على غيرهم ما سجا ليل ووضح نهار، وما رَيءَ حُبْشِيٌّ مكانه، فسموا بذلك **الأحابيش**، وانضمُّوا إلى كنانة لمحالفتهم بني الحارث، وهم من أشرف قبائل كنانة.

ومِن كِنَانَةَ الثَّمَانُونَ الأُلَى ... أيْدِيَهُمْ كَفَّ الْمُهَيْمِنُ عَلاَ
وَهُمْ لَفِيفٌ مِّن جَمِيعِ الْعَرَبِ ... تَمَالأُوا لِيَغْدِرُوا خَيْرَ نَبِي
فَأُخِذُوا وَأُعْتِقُوا، وَالْعُتَقِي ... لِهَؤُلاَءِ الْعُتَقَاءِ يَرْتَقِي

الألى (بوزن العُلا): أي الذين. **واللفيف**: الأخلاط. وقوله: **من جميع العرب**: فيه تسامح، لأن ظاهره أنهم من العرب كلها وليس كذلك، وإنما

(1) بضم الحاء المهملة وسكون الموحدة وكسر الشين المعجمة بعدها تحتانية.

(2) أي الذي يرجعون إليه في النسب، ولو قال "حارث جد لهم" لكان أوضح [سموط الذهب].

هم من ثلاث قبائل: حمير وسعد العشيرة من قحطان، وكنانة من مضر. **تمالأوا:** تجمَّعوا على غدر النبي ﷺ إذ كان بالحديبية؛ خرجوا من التنعيم يريدون ذلك، فاستشعر بهمُ المسلمون فأخذوهم وأتوا بهم النبيَّ ﷺ فأعتقهم. وقوله **أيديهم:** بالنصب مفعول **بكفَّ**. **وعلا:** صفة للمهيمن تبارك وتعالى. **والعُتقي** الذي يعني: هو عبد الرحمن بن القاسم العتقي، الفقيهُ المشهورُ، صاحب مالك بن أنس. وفي **القاموس:** العُتَقِيون (كَزُفَرَ): نِسبَة إلى العتقاء: عبد الله بن بشر الصحابي[1] والحارث بن سعيد، المحدث وعبد الرحمن بن الفضل، قاضي تدمر وعبد الرحمن بن القاسم، صاحب مالك[2]؛ وله مسجد العتقاء بمصر[3]. وكان أبوه في الديوان، وعنه ورث الأموال التي أنفق في كل رحلة له إلى مالك؛ قيل إنه خرج إليه اثنتا عشرة مرة أنفق في

---

(1) عبد الله (بالرفع): خبر مبتدأ محذوف، أي والعتقاء هم عبد الله بن بشر، وبشر هو في النسخ بالشين المعجمة، وليس في الصحابة من اسمه عبد الله بن بشر وإنما فيهم عبد الله بن بسر المازني، أحد من صلى إلى القبلتين، وعبد الله بن بسر النضري شامي - [قاله في تاج العروس وغيره].

(2) هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد الفقيه المصري، روى عن مالك بن أنس وبكر بن نصر وعبد الرحمن بن شريح، وروى عنه اصبغ وسحنون وعيسى بن شرود، وكان صدوقا مجاب الدعوة كثير التفكر، توفي سنة مائة وتسعين رحمه الله.

(3) وفي الحديث: «الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة»، فقد ميز قريشا بهذا الاسم لأنه أحسن من العتقاء، والعتقاء جُمَّاعٌ فيهم من حَجْرِ حمْيَرَ ومن سعد العشيرة ومن كنانة مضر ومن غيرهم – [القاموس والتاج]. ومن حجر حمير، منهم زبيد بن الحارث العتقي وأبو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العتقي صاحب تاريخ المغاربة.

كل مرة ألف دينار. وسئل أشهب عن ابن القاسم وابن وهب فقال: لو قطعت رِجل ابن القاسم لكانت أفقه من ابن وهب.

وكان ابن القاسم مع علمه في الرتبة العليا من الصلاح، كان يقول: ما كذبت منذ شددت مئزري. وكان سحنون يكتب عنه مروياته عن مالك ولا يكتب عنه شيئا حتى يحلفه على أخذه عن مالك؛ فبينما هما يوما كذلك وهما على البحر وابن القاسم يخيط إذ سقطت إبرة ابن القاسم في البحر، فبقي لا يخيط، إذا بسمكة ناولت ابن القاسم ابرتَه بفيها فأخذها، فلم يحلفه سحنون بعد ذلك. ورآه سحنون في النوم بعد موته فقال له: ما وجدت؟ فقال: وجدت عند ربي ما أحببت وما وجدت أفضل من تلاوة القرآن، وسأله عن مسائل الفقه فجعل يلاشيها، أي يقول إنها لا شيء.

وصية عبد الله بن شداد لابنه

هنا انتهى ما نظم الناظم من كنانة. ومما بقي عليه من قبائلهم قبيلةٌ من ليث يقال لهم بنو غزوان، منهم شداد بن الهادي الصحابي، سمي أبوه الهادي لأنه كان يوقد النار للأضياف ليهتدوا بها إليه، وهو حليف بني هاشم؛ وابنه عبد الله بن شداد ولد على عهد النبي ﷺ وروى عن أبيه وعن عمرَ وعن علي، رضي الله عنهم؛ وهو الذي تُعزى إليه وصية لابنه في النوادر؛ وهي أنه لما حضرته الوفاة دعا ابنا له يقال له محمد فقال له: يا بني إني أرى داعيَ الموت لا يقلع، ومن مضى لا يرجع، ومن بقي فإليه ينزع؛ وإني موصيك بوصية فاحفظها: عليك بتقوى الله العظيم وليكن أولى الأمور بك شكر الله وحسن النية، في السر والعلانية، فإن الشَّكُورَ

يزداد، والتَّقوى خير زاد، وكن - أي بني - كما قال الحطيئة:

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخرا ... وعند الله للأتقى مزيد
وما لابد أن يأتي قريبٌ ... ولكن الذي يمضي بعيد

ثم قال: أي بني لا تزهدنَّ في معروف، فإن الدهر ذو صروف، والأيام ذات نوائب، على الشاهدِ والغائب؛ فكم من راغب قد كان مرغوبا إليه، وطالب أصبح مطلوبا ما لديه؛ واعلم أن الزمان ذو ألوان، ومن صحب الزمان يرى الهوان، وكن - أي بني - كما قال أبو الأسود الدُّئليُّ:

وعُدَّ من الرحمن فضلا ونعمة ... عليك إذا ما جاء للعُرف طالبُ
وإن امرأً لا يُرتجى الخَيرُ عنده ... يكن هَيِّنًا ثِقْلاً على من يصاحب
فلا تمنعنْ ذا حاجةٍ جاء طالبا ... فإنك لا تدري متى أنت راغب
رأيت الْتِوا هذا الزمان بأهله ... وبَينَهُمُ فيه تكون النوائب

ثم قال: أي بني كن جوادا بالمال في موضع الحق، بخيلا بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر، وإن أحمد بخل الحُرِّ الضنُّ بمكتوم السر؛ وكن كما قال قيس بن الخطيم الأوسي:

أجود بمضنون التلاد وإنني ... بسرك عمن سَألَني لضنينُ
وعندي له يوما إذا ما ائتمنتني ... مكانٌ بسوداء الفؤاد مَكينُ
إذا جاوز الإثنين سرٌ فإنّه ... بنَثّ وإفشاءِ الوشاة قمين

ثم قال: أي بني وإن غلبت يوما على المال، فلا تدع الحيلة على حال، فإن الكريم محتال، والدني عيال، وكن أحسن ما تكون في الظاهر حالا، أقل ما تكون في الباطن مالا، فإن الكريم من كَرُمت طبيعتُه، وظهرت عند

الانفاد نعمتُه؛ وكن كما قال ابن حذَّاقٍ العبْدي:

وجـــدت أبي قدَ اَورثه أبـــوهُ ... خِـــلالا قد تعـــدُّ من المعالي
فأكـــرمُ ما تكون عَلَيَّ نفسِي ... إذا ما قـــلَّ في الأزماتِ مالي
فتحسنُ سِيرتي وأصون عرضي ... وتجمُل عند أهـــلِ الرأيِ حالي
وإن نلت الغـــنى لم أُغْلِ فيـــه ... ولم أَخْصُص بجفـــوَتيَ الموالِي

ثم قال: أي بني وإن سمعت كَلِمة من حاسد، فكن كأنك لسْت بشـاهد، فإنك إن أمْضَيْتها حِيَالها، رجع العيب إلى من قالها. وكان يُقـال: الأريـب العاقل هُو الفَطِنُ المتَغَافلُ، وكن كما قال حاتم طيءٍ:

وما من شيمـــتي شتمُ ابنِ عمي ... وما أنا مخلـــف من يرتجيـــني
وكِلْمَةِ حاسِـــد في غير جرم ... سمعـــت فقلت مري فانفُذيني
فعابـــــوها عليَّ ولم تَسؤْني ... ولم يعـــرَقْ لها يومًا جبيـــني
وذو لونـــين يلقانـــي طَلِيقًا ... وليس إذا تغيـــب يأتليني[1]
سمعتُ بعيبه[2] فصفَحْـــت عنه ... محافظـــةً على حسبي وديني

ثم قال: أي بني لا تُواخ امرأً حتى تعاشره وتَتَفَقَّد موارده ومصـادرَه، فـإذا استطَبْت العشرة، ورضيت الخُبْرة، فواخه علـى إقالـة العـثرة، والمواسـاة في العُسرة؛ وكن كما قال المقنع الكندي:

أُبْـلُ الرجال إذا أردتَّ إخاءَهم ... وتوسمـــنَّ فعالَهـــم وتفقـــدِ
فإذا ظفِرتَ بـذي اللَّبَابَةِ والتقى ... فَبِهِ اليدينِ ـ قريـرَ عين ـ فاشدُد

(1) قال أبو علي: ما ألوتُ: ما قصرت، وما لوت: ما استطعت.

(2) وفي رواية: سمعت بغيبه.

وإذا رأيـت ـ ولا محالة ـ زلــةً فعَلى أخيـك بفضل حلمك فارْدد

ثم قال: أي بني إذا أحببت فلا تفرطْ، وإذا أبغضت فلا تُشـطِطْ؛ فإنـه قـد كان يقال: أحبب حبيبك هونـا مـا، عسـى أن يكـون بغيضـك يومـا مـا، وأبغض بغيضك هونا ما، عسى أن يكون حبيبَك يوما ما؛ وكن كما قـال هُدبة بن الخشرم العذري:

وكن معدنا[1] للحلم واصفح عن الخنا فإنـــك راءٍ مًّا حييت وسامع

وأحبب إذا أحببت حبا مقاربا فإنك لا تـدري متى أنت نازعُ

وأبغض إذا أبغضـت بغضا مقاربا فإنك لا تدري متى أنت راجـعُ

(وقد قدمنا هذه الأبيات مثبتة لأبي الأسود الدئلي لكثرة مـن نقلهـا كذلـك).

ثم قال: وعليك بصحبة الأخيار وصدق الحديث، وإياك وصحبة الأشرار، فإنها عار؛ وكن كما قال الشاعر:

اصحـب الأخيار وارغب فيهمُ رب من صاحبته مثـل الجربْ

ودعِ الناس فـــلا تشتِمهُـمُ وإذا شاتمت فاشتِمْ ذا حسـبْ

إن من يشتـــمْ لئيما[2] كالذي يشتَري الصفر بأعيان الذهبْ[3]

واصـدُقِ الناس إذا حدثتهـــمْ ودع الناس فمن شاء كـذبْ[4]

---

(1) في رواية: معقِلاً.

(2) وفي رواية: إن من شاتم وغدًا..إلخ.

(3) الصفر: النحاس.

(4) ولما ذكر إخوة النضر بن كنانة المحط على عمود النسب، وهو النضر بن كنانـة، جـد قبيلـة قريش ـ أشرف قبائل العرب ـ وذكر الخلاف فيمن اسمه قريش هل هو النضر أو سبطه فهـر بن مالك بن النضر، فقال رحمه الله وعفا عنه:

نسب قريش

قُرَيْشُ النَّضْرُ وَقِيلَ فِهْرُ   وَبِالْبِطَاحِ كَعْبُ اسْتَقَرُّوا
وَبِالظَّوَاهِرِ سِوَاهُمُ ابْذَعَرْ   وَالْحُمْسُ كُلُّ مَنْ عَلَى الْحَمْسَاءِ قَرّ

قريش: علَم على هذه القبيلة المشرفة بسيدنا محمد ﷺ حتى شرفت بشرفهم جميع عدنان على قحطان، بعد أن كانوا كالموالي لهم.

القول في تسمية قريش

واختلف في من اسمه **قريش** هل هو **النضر** ـ وهو الأصح ـ ولذلك أتى الناظم رحمه الله في **فهر** بصيغة التمريض؛ وقيل لا يسمى قرشيا إلا مَن ولدَه فهر[1]. وكتب الأنساب يذكرون أن قريشا اسمُ فهر الذي يسمى به رأْسا، وإنما نبزته أمه بعد ذلك فهرا. ثم اختلف في سبب تسميتهم هذا الاسمَ. فعلى أنه النضر فقيل سمي بذلك لتقرشه على خَلاَّتِ الناس ليسدها؛ والتقريش التفتيش، قال الحارث بن حلزة في معلقته:

أيها الناطق المقَرِّش عنا   عند عمرو فَهل لذاك بقاء؟

---

(1) وللعراقي:

أما قريش فالأصح فهر   جماعُها، والأكثرون النّضر

وبطون قريش إنما تفرعت من فهر، سواء على القول بأن قريشا لقب للنضر أو على القول بأنه فهر؛ فقد ولد فهر أربعة نفر هم: غالب بن فهر ـ عمود النسب ـ ومحارب والحارث ابنا فهر، والثلاثة كلهم أبو بطن، وأسد بن فهر و لم يتفرع منه شيء.

وقيل سمي بذلك لأنه كان نائما في الحجر فرأى في منامه كأن شجرة خضراءَ خرجت في الهواء قد بلغ فرعها السماء وامتدت أغصانها شرقا وغربا وإذا هو أقرب الناس إليها وإذا برجال بيضِ الوجوه يتعلقون بها، وسمع قائلا يقول: هذه شجرة قريش لا سحق ولا طيش؛ فقصها على الكهنة فقالوا له: إن صدقت رُؤياك ليخرجن من صلبك أشراف الناس وليسمِّك الله اسما شريفا. فاتفق أن ركِبَ بحر الهند في سفينة فعرضت لهم دابة عظيمةٌ من دواب البحر يقال لها قريش، تأكل ما في البحر من حيتانه وغيرها، وتأكل السُّفُن وأهلَها؛ فجزع منها أهلُ السفينة وخافوا الهلاك فرماها بسهْمٍ فقتلها واحتزَّ رأسها وقدم به مكة فنصبه على أبي قبيس فسمي بذلك[1]. وقيل سموا قريشا لتقرشهم في البلاد، وهو التجارة؛ قال الشاعر:

وقريش هي التي تسكن البحـ ـر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تـ ـترك فيه لذي الجناحين ريشا
وكذا في البِلَادِ حَيُّ قريشٍ يأكلون البلاد أكلا كميشا
ولَهُمْ آخِرَ الزَّمَانِ نبيٌّ يكثر القتل فيهمُ والخموشا

وقيل سموا بذلك لتجمعهم إلى الحرم، أخذًا مِنَ التَّقريش؛ وهو الاجتماع.

(1) وقد سأل عمرو بن العاص عبد الله بن عباس: لم سميت قريش قريشا؟ فقال: بدابَّة في البحر تسمى قريشا لا تدع دابَّة إلا أكلتها، فدوابُّ البحر تخافها، قال المشمرخ بن عمرو الحميري:

وقريش هي التي تسكن.. إلخ.

قال السهيلي في روضه بعدما ذكر الأقوال: الأصح أنهم سموا باسم صاحب عيرهم: وهو قريش بن بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، كان يقدم بها على الشام فيقولون: قدمت عير قريش، وإذا قدمت على أهلها يقولون: قدمت عيرُ قريش ـ أي قريش بن بدر ـ وأبوه بدرُ سميت به البئر المشرَّفة، لأنه أول من فَطَرَهَا، ثم سميت القبيلة باسم عيرها المسماة بالرجل الذي كان يقدم بها ويسوسها.

ثم إن قريشا قسمان: قريش البطاح، وهم بنو كعب بن لؤي[1]، وقريش الظواهر وهم بنو عامر بن لؤي وسائر بني فهر وبني الحارث وبني محارب[2]؛ وذلك قول الناظم رحمه الله: **وبالبطاح**..إلخ. وأول من فرَّقَ بين قريش البطاح وقريش الظواهر ذكوانُ مولى عمر بن الخطاب بقوله:

تقاصرتُ للضحاك حتى رددته ... إلى حسَبٍ في قومه متقاصر

ولو شاهدتني من قريش عصابة ... قريش البطاح لا قريش الظواهر[3]

---

(1) البطاح: يُراد بها بطحاء مكة، جمعت بما حولها من الأرض، وقريش البطاح هم: بنو عبد مناف وبنو زهرة وبنو تيم بن مرة وبنو عبد العزى بن قصي وبنو عبد الدار وبنو مخزوم وبنو عدي وبنو جمح وبنو سهم.

(2) والظواهر: يراد بها نواحي مكة، وقريش الظواهر: بنو محارب والحارث ابني فهر وبنو الأدرم بن غالب بن فهر وغيرهم من بني عامر وفهر، إلا أن بني حسل بن عامر دخلوا بعدُ مكة فصاروا من قريش البطاح، ودخل مكة أيضا رهط أبي عبيدة بن الجراح.

(3) **لغطُّوكَ حتى لا تنفَّس بينهم ... كما غط في الدوَّارة المتزاور**

ولكنهم غابوا فأصبحت حاضرا ... فقبحت من حامي ذمار وناصر

فريقان منهم قَاطِنٌ بَطْنَ يثربٍ ... ومنهم فريق ساكن في المشاعر

<<=

يعني الضحاك بن قيس، وكان الضحاك بن قيس قصيرا؛ ضربه فلم ينله.

وقوله: **سواهم**: أي سِوَى بني كعب من قريش وممن سكن مكة غيرهم من خزاعة وكنانة وغيرهما. **وابذعر**: تفرق على ظواهر مكة من جبال وغيرها. قوله: **والحمس**..إلخ: أي اسم الحمس يطلقُ على سائر سكان مكة من بني كعب وغيرهم، لأنهم سموا باسم الأرض التي هم عليها وهي **الحمساءُ** وهي مكة، سميت بذلك لحمرة ترابها.

يقول قريش: مَن وَلَدَه النضرُ وقيل مَن ولَدَه فِهر ـ كما قدمنا ـ ثم ذكر منازلهم، فقال: أما كعب فاستقرُّوا: أي سكنوا بطحاءَ مكة، وغيرهم من قريش تفرق على **ظواهر** مكة؛ والجميع، من كعب وغيرِهم ممن **قَرَّ**: أي سكن مكة، يقال لهُ **الحُمْسُ**.

قُرَيْشُ ، الأَنصَارُ مَعْ مُزَيْنَهْ، أَسْلُمُ، أَشْجَعُ كَذَا جُهَيْنَهْ

--- >>

وقد روي في سبب هذا الشعر أن الضحاك هذا كان قد وَلّى ذكوانَ المذكورَ سوقَ الكوفة، أو عملا غير ذلك، فوَجدَ عليه فأمر به فقرب إليه والضحاك مرتفع على سريره فجعل يضرب ذكوان بقضيب أو سوط، وكان ذكوان قصيرا فقال له الضحاك: تطاول لا أم لك حتى أستمكن من ضربك! فقال ذكوان في ذلك:

تطاولت للضحاك حتى رددته إلى نسَبٍ في قومه متقاصر

قال في *نسب الأشراف*: معناه حتى ضربني فلؤم في ذلك وبعده. ويروى أنه لما بلغ شعره معاوية قال: "قاتله الله والله ما زلت أتوقع أن يفرق بعض شعر العرب بين قريش الظواهر من قريش البطاح". وكانت قريش الظواهر تُغِيرُ على جيرانها وتغزو غيرهم وتُعَيِّر قريش البطاح بترك الغزو - [سموط الذهب].

سَابِعُــــهَا غِفَارُ: لاَ يُسْتَـرَقُ سَبِيُّهَا لِفَضْلِــهِ بَــلْ يُعْتَـقُ

هذه القبائلُ السبع أربع منها عدنانية وهم: **قريش** و**غفارُ** بن ضَمـرة بـن بكر بن كنانة و**أشجع** بن رَيث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان و**مُزينة**، وهم بنو عمرو بن أُد بن طابخة بن إلياس بن مضر. واثنتان من الأزد وهما **الأنصار** و**أسلُمُ** (بضم اللام)، وواحدة من قضاعة وهي **جهينةُ**. ذكر الشيخ محمد اليدالي في ذهبه[1] أنه في الحديث[2] هكذا، وذكـر في كتـب الأنسـاب أنه في بعض الكتب القديمة.

قوله: **قريش**: مبتـدأٌ خـبره: **لا يسـترق**: أي لا يعَبـد[3]، ومـا بـين المبتـدأ والخبر متعاطفات بحذف العواطف، مرة بتعويض شيء عنها ومرة بغـيره[4].
وقوله: **لفضلها**: بتأنيث الضمير باعتبار القبائل، وبتذكيره عودا على **السبيِّ**.
وقيل كل العرب لا يسترق سبيهم لفضلهم على العجم بالنبي ﷺ.

قلت يستفاد ذلك من فعل النبي ﷺ بسبايا العرب الـتي سبى إذ لم يسترق أحدا منهم، بل يعتقه إما برده إلى أهله، كسـبايا هـوازن والسـرايا؛ وإما بالمباشرة بالعتق كبني المصطلق وسبي بـني حـاتم. و لم نقـف علـى من

---

(1) أي كتابه: *الذهب الإبريز في تفسير كتاب ا لله العزيز*.

(2) وهو حديث متفق عليه.

(3) يسترق: بتخفيف القاف للوزن، وأصله يسْترقُّ بتشديدها: من الاسترقاق، وفي نسـخة مـن النظم: **لا يسترقق**.

(4) فالمتعاطفات ست، وحذف العاطف مع تعويـض شـيء عنـه في ثـلاث هـي مزينـة وجهينـة وغفار، وحذفه من غير تعويض شيء عنه في ثلاث هي الأنصار وأسلم وأشجع.

استرقه إلا القول بأنه أعطى بنتَ أُمِّ قِرفة لخاله حزنِ بن وهب فأولدها، وأصح منه القول بأنه فدى بها أسيرين من المسلمين كانا بمكة. وا لله تعالى أعلم.

نسب فهر

وانسُبْ لِفِهْرٍ حَارِثًا، مُحَارِبَا   وانسُبْ إِلَى مُحَارِبٍ أَهَاضِبَا

كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ ضِرَارُ ذُو الدَّدِ   مُزَوِّجُ الْحُورِ مِنَ اَهْلِ أُحُدِ

يقول **وانسب لِفِهْر** أصالة: بَني الحارث وبني **محارب** بعد غالب ـ عمود النسب ـ ثم بدأ بذكر بعض مشاهير بني محارب وشبَّههم بالجبال تشبيه الأوصاف المعنوية بالذوات الحسية فقال: **وانسب إلى محارب أهاضبا**: أي رجالا كالأهاضب، وهي جمع هضبة أو جمع أهضاب؛ وهو جمع هضبة وهي الجبل الصغير. وحسْبُ الرجل تعظيما إذا شبه بالجبل، صغيرا أو كبيرا. ثم نص على المشبهين بالجبال فقال: **كرز بن جابر، ضرار**.. وحذف العاطف لجواز ذلك في السَّعة وأولى في النظم.

كرز بن جابر

أما **كرز** فهو ابن جابر بن حسيك (بالكاف أو باللام) بن الاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فِهر. أسلم بعد الهجرة، وبعدما أغار على سرح المدينة فتبعه النبي ﷺ حتى بلغ سفوان ـ واد بناحية بدر ـ ففاته؛ وهي "غزوة بدر الأولى"، ثم أسلم كرز وحسن إسلامه فاستعمله النبي ﷺ على الجيش الذي بعث في اثر العُرَنِيِّين الذين أغاروا على لقاحه صلى ا لله عليه وسلم وقتلوا راعيه، فأتى بهم مُرْدِفَهم

وباللقاح. ولم يزل كرز رضي الله عنه مع النبي ﷺ إلى يوم الفتح، فاستشهد سنة ثمان؛ لأنه أخطأ الطريق هو وخنيس بن خالدٍ الخزاعي ـ أخو أم معبد، صاحبةِ الشاة ـ فقتل الكفارُ خنيسا وكر عليه كرز فوقف عليه وهو يقول:

قد علمت صفراء من بني فِهِرْ نقية اللون نقية الصَّدِرْ

أني أذودُ اليوم عن أبي صخِرْ

حتى قتل عليه، (وأبو صخر كنية خنيس). قال السهيلي: انتزع القُرَّاءُ نَقل حركةِ المتحرك في الوقف للساكن قبله من قول كرز فِهِرْ و الصَّدِرْ وصَخِرْ في نحو والصبر ـ [اهـ].

ضرار بن الخطاب

وأما **ضرار** فهو بن الخطاب بن مرداس بن كبير بن عمرو ـ آكل سقب بكر الآتي ذكره ـ بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر، القرشي. وكان من مسلمة الفتح، ومن شعراء قريش وشجعانهم وفرسانهم وأشرافهم ومن الأربعة الذين وثبوا الخندق.

والدد: اللعب؛ وليس في العربية اسم على حرفين غيره، وثلثه الطرماح في قوله:

واستطربت ظعنهم لما احزألَّ بهم آل الضحى ناشط مِن لاَعِبٍ ددِ

قوله: **ذو الدد..** إلى آخره: يشير بهِ إلى قوله لأبي بكر: نحن خير منكم لقريش فقال أبو بكر: وبم؟ فقال: أدخلناهم الجنة وأوردتموهم النار، وإلى

قوله للأنصار، وقد اختلفت الأوس والخزرج في أيهم أشجع يوم أُحد[1] فتحاكموا إليه، فقال: لا أدري ولكني زوجت منكم أحدَ عشر رجلا من الحور العين.

أَغْرَى عَلَى شِدَّتِـهِ عُمَرُ مَنْ   يُنشِدُ أن يُنشِدَ شِعْرَهُ الْحَسَنْ

أغرى بمعنى أمر، أي أمر عمر رضي الله عنه ـ على شدته في الله ـ **مَن ينشد أن ينشد شعر** ضرار بن الخطاب **الحسن**. قوله: **مَن ينشد**: ليْست **مَن** هنا للعموم وإنما هي خاصة بقوم سمعهم عمر في الحج يغنيهم رباحُ بن المعترف بن عمرو المحاربي، فقال: ما هذا؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: لا بأس.. نلهو ونقصر علينا السفرَ؛ فقال عمر: "فعليكم إذن بشعر ضرار بن الخطاب[2].

---

(1) فمر بهم ضرار فقالوا: هذا شهدها وهو عالم بها..

(2) كان أبوه الخطاب بن مرداس رئيس بني فهر في زمانه وكان يأخذ المرباع على قومه، وكان ضرار هذا يوم الفجار على بني محارب بن فهر. ومن شعره يوم عكاظ في حرب الفجار:

ألم تسأل الناس عن شأننا   وما جاهل الأمر كالخابر

غداة عكاظٍ وقد أجفلت   هوازن في لفها الحاضر

ولما التقينا أذقناهمُ   طعاما بصُم القنا العاتر

ففرت سليم ولم يصبروا   وطارت شعاعا بنو عامر

وفرَّت ثقيف وأشياعها   بمنقلب الخائب الخاسر

واختلف في تاريخ وفاته فقيل استشهد يوم اليمامة وقيل عاش إلى أن حضر فتح المدائن ونزل الشام. ويحكى أنه كان مرة في الجاهلية بالسراة من بلاد دوس فوثبت عليه دوس ليقتلوه بأبي أزيهر الدوسي ـ الذي قتله هشام بن الوليد بن المغيرة ـ فمنعته امرأة منهم يقال

<<=

وكان عمر رضي الله عنه ينشد الشعر ويستنشده. وشدة عمر في الله لا تخفى؛ قال صلى الله عليه وسلم: «أبو بكر كإبراهيم وهو ألين في الله من اللبن - أو قال من اللين (بالياء المثناة) - وعمر كنوح وهو أقسى في الله من الحجر أو أشد»[1]، أو كما قال عليه السلام. والضمير في **شدته** عائد على متأخر لفظا لا رتبة، وهو سائغ؛ قال محمد بن مالك[2]:

وشاع نحو خاف ربَّه عمر ...

ومن شعر ضرار بن الخطاب قوله في بدر:

عجبتُ لِفخر الأوس والْحَيْنُ دَائِرُ عليهم غدا والدهرُ فيه بصائرُ

وفخر بني النجَّار ان كان معشر أصيبوا ببدر كلهم ثم صابر

إلى أن يقول:

فإن تظفَروا في يوم بدر فإنما بأحمدَ أمْسَى جدُّكم وهْو ظاهرُ

>> - -

لها أم جميل، وتكنى أيضا بأم غيلان، وأجارته منهم، فقال في ذلك:

جزى الله عنا أم غيلان صالحا ونسوتها إذ هنَّ شعث عواطل

فهنَّ صرفن الموت بعد اقترابه وقد برزت للثائرين المقاتل

دعت دعوة دوسا فسالت شعابُها بعز ولما يبد منهم تخاذل ..إلخ.

ولما بويع عمر بن الخطاب بالخلافة ظنت المرأة أن ضرارا أخوه، فأتت المدينة؛ فلما كلمت عمر عرف القصة فقال لها: لست أخاه إلا في الإسلام وهو غاز وقد عرفنا منتك عليه، وأعطاها على أنها ابنة سبيل - [سموط الذهب].

(1) أخرجه الإمام أحمد.

(2) في الألفية، وبقية البيت: ... **وشذَّ نحو زان نَورُه الشجر**

وبالنفــــر الأخيار هُم أوْلياؤه | يحامُون في اللأواءِ[1] والموتُ حاضرُ
يُعَد أبو بكر وحمـــزة فيهـمُ | ويُدعَى عليٌّ وسْطَ من أنت ذاكر
ويدعى أبو حفص وعثمان منهـمُ | وسعد إذا ما كان في الحرب حاضرُ
أولئك لا من نتّجت[2] في ديارهم | بنـو الأوس والنجارِ حين تفاخرُ
ولكن أبوهــم مِن لؤي بن غالـبٍ | إذا عُدتِ الأنساب كعبٌ وعامرُ

(القصيدة)

وقوله يوم الفتح يستعطف النبي ﷺ[3]:

يا نـبيَّ الهـــدى إليـك لجاَيْـ | ـيُ قريـش ولاَتَ حـين لِجَاءِ
حين ضاقـت عليهمُ سَعَةُ الأرْ | ض وعاداهـــمُ إلــهُ السماء
والتقـت حلقتا البطان على القوْ | م ونـــودوا بالصيلم الصلعاء
إن سعدًا يريدُ قاصمـــة الظَّهْـ | ـرِ بأهل الحَجُــونِ والبطْحَاء
خــزرجيٌّ لَوْ يستطيعُ من الغيـ | ـظ رَمانا بالنّسر والعــوَّاء
فانهَيَنْـــهُ فإنـه أَســـدُ الأسْـ | ـدِ لَدَى الغاب والِغٌ في الدماءِ
وغِرُ الصَّـــدر لا يهُم بشيْءٍ | غـيْرِ سفْك الدما وسبْيِ النساء
فلئــن أقحم اللــواء ونادى | يا حماة اللــواء أهل اللـــواء
ثُم ثابَـتْ إليه من بُهُــم الخــزْ | رج والأوس أنـجم الهيجـــاء
لتكونَـــنَّ في البطاحِ قريـــشٌ | فَقْعَـــةَ القاع في أكفِّ الإماءِ[4]

---

(1) اللأواء: الشدة.

(2) نتّجت: ولدت.

(3) وكان قد دفع اللواء يومئذٍ إلى سعد بن عبادة فجعل يهزه ويقول: "اليوم يـوم الملحمة يـوم تستحل الحرمة" ـ يعني الكعبة ـ فلما رأت قريش ذلك شق عليها وكبر في نفوسها، فقال ضرار:

(4) الفقعة: الكمأة البيضاء الرخوة، ويقال للذليل: أذل من فقع بقرقـرةٍ. ولما سمـع رسـول الله

<<=

وكان ضرار في جيوش الشام، فشرب هو وأبو جندل بن سُهيل بن عمرو وضرار بن الأزور الخمر متأولين بقوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾[1]، ثم اعترفوا لأبي عبيدةَ؛ فاهتم بجلدهم فقالوا: إنك لاق بنا العدو غدا.. فإن أصبنا كُفيتنا وإلا فشأنك بنا. فلما كان الغد أصيب ضرارانِ ونجا أبو جندل، فحدَّه أبو عبيدة بعد أن كتب إلى عمر بالمدينة بخبرِه، فأمره أن يحدَّه[2].

وانسُبْ حَبِيبَهُمْ وَذَا الْكُيُودِ آكِلَ سَقْبِ بَكْرٍ الْمَعْبُودِ

الضمير في **حبيبهم**: يعود إلى بني فِهر، لقول الشاعر فيه ـ وهو شريح بن الحارث ـ:

ألا كُل من يدعى حبيبا ولو بدت ... مروءتُه يَفدي حبيبَ بني فِهر
هُمامٌ يقودُ الخيلَ حتى كأنما ... يَطأن برضراض الحصا جاحِمَ الجمر[3]

وهو **حبيب** بن مسلمة بن مالك الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن

صلى الله عليه وسلم هذا الشعر دخلته رحمة لهم ورأفة بهم، وأخذ الراية من سعد ودفعها لابنه قيس بن سعد وقال: «بل هذا يوم المرحمة يوم تعظم فيه الكعبة». ومن شعر ضرار:

أحق بالمدح ممن كنت مادحه ... محمَّد ذو المعالي خاتم الرُسُل
به هدانا إلـه الخلقِ قاطبة ... من الضلال وأغنانا من العَيَل
خير البرية أتقاها وأعدلها ... وأفضل الناس من حاف ومنتعِل

(1) المائدة: 93.
(2) سبق ذكر الخلاف في أيهم حُدَّ وفي أيهم استُشهد ـ (راجع هامش ص539).
(3) الرضراض: الحصا أو صغارها. وجاحم الجمر: الشديد الاشتعال.

عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر، يكنى أبا عبد الرحمن ويقال له حبيب الروم لكثرة دخوله عليهم وما ينالُ منهم. ولاه عمر على الجزيرة وضم إليها اذربيجان وأرمينية، ثم عزله وولى مكانه عمير بن سعد الأنصاري الأوسي. وبعثه عثمان، هو وسلمان بن ربيعة الباهلي، إلى اذربيجان؛ كما روي أنَّ أحدهما مدد لصاحبه فاختلفا في الفيء، فتوعد بعضهم بعضا؛ فقال رجل من أصحاب سلمان:

فإن تقتلوا سلمان نقتل حبيبكم وإن ترحلوا نحوَ ابنِ عفّان نرحل

وكان حبيب فاضلا مجابَ الدعوة[1]؛ شهد صفين مع معاوية، وبعثه واليا إلى أرمينية، وبها مات سنة اثنتين وأربعين.

قوله: **وذا الكيود**: أي وانسب إلى بني محارب صاحب الكيود، وهو عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان. ومن كيوده أنه أغار على بني بكر - ولا أدري أبكر بن وائل أم بكر بن كنانة أو غيرهما؟[2] - فأصاب سقبا - أي حوارا - كانوا يعبدونه من دون الله، فأكله استهزاء بهم. وهو جد ضرار بن الخطاب، كما ذكرنا في نسب ضرار.

ومِنهُم ابْنُ قَيْسٍ الضَّحَّاكُ حُمَّ لَهُ بِالْوَزَغِ الْهَلَاكُ

أي ومن بني محارب بن فهر **الضحاك بن قيس** الصحابي. وحم: قدر.

---

(1) وكان من أعيان الصحابة، وكان مع معاوية وقد بعثه على جيش لنصر عثمان. فلما بلغ وادي القرى، بلغه قتل عثمان فرجع؛ ولم يزل معه في حروبه.

(2) قال في *سموط الذهب*: هم بكر بن كنانة كما في *نسب الأشراف*.

والوزغ: يعني مروان بن الحكم؛ قال فيه النبي ﷺ: «الوزغ بن الوزغ»، نص على ذلك صاحب الشهاب على الشفاء وأسنده لعبد الرحمن بن عوف[1]؛ وأما ما يزعم بعض الناس أنه خاصٌّ بالحكم فلا أصل له.

وقوله: **حم له بالوزغ الهلاك**: أشار بذلك إلى ما وقع يوم "مرج راهط". كان الضحاك وزفر بن الحارث الكلابي على جيش عبد الله بن الزبير، ومروان على جيشه، فهزم جيش ابن الزبير وقتل الضحاك ونجا زفر بن الحارث، وفي ذلك يقول:

ولما قرعنا النبع بالنبع بعضه	**ببعض أبت عيدانُه أن تكسرا**
ولما لقينا عصبة تغلبية	**يقودون جردا للمنية ضمرا**
سقيناهُمُ كأسًا سقونا بمثلها	**ولكنهم كانوا على الموت أصبرا**
وكنا حسبنا كل بيضاء شحْمةً	**عشيةَ لاقينا جُذام وحميرا**

والضحاك هو ابن قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن واثلة بن ثعلبة بن عمرو بن شيبان بن محارب؛ قيل إنه أبو فاطمة بنت الضحاك، ولا يصح وإنما هي أخته: فاطمة بنت قيس؛ وهي التي استشارت النبي ﷺ في تزويج معاوية وأبي جهم بن حذافة فقال: «أما معاوية فصعلوك وأما أبو جهم فلا يضع العَصَا عن عاتقه فانكحي أسامة بن زيد»[2].

---

(1) وذكره ابن الأثير.

(2) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وأحمد ومالك في *الموطأ*. والصعلوك (كعصفور): الفقير. وقوله: لا يضع العصا: كناية عن ضربه للنساء، وأخذ من هذا الحديث الكثير من الأحكام والفوائد. وكانت فاطمة هذه قبل استشارتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبي

<<=

وفيه جواز أن يقال في المسلم غير صفته المرضية عند التفتيش عن حاله، وجواز الغاية وليست بكذب إذ مرادُه بقوله: «لا يضع العصا عن عاتقه» كثرة الضرب، كقوله في فرس أبي طلحة: «إن وَجدناه لبحرًا»[1]. وهذا الحديث هو سبب اجتهاد الشافعي وانفراده عن مالك، وذلك أنّه أتى رجل يسأل عن من حلف بطلاق زوجته ان البلبل لا يسكت؟ فقال الشافعي: اذهب إلى الإمام مالك فاسأله ثم إئتني بجوابه لك، فسأل الرجل مالكا فقال له: تطلق، ثم أتى الشافعي فأخبره، فقال له: لا تطلق، فرجع الرجل إلى مالك وقال له: الغلامُ القُرَشي يزعُم أنها لا تطلُق، فدعاه مالك فقال له: لم تقول ما تقول؟ فقال: لقول النبي ﷺ: «أمَّا أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه»، وقد يضع أبو جهم العصا عن عاتقه وقد يسكت البلبل، فقال مالك: "اذهب فاجتهد فعليك حقُّ الأمة".

انتهى الكلام على بني محارب، ثم شرع يتكلم على بني الحارث بن فهر فقال رحمه الله:

وانسُبْ لِحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ الأَمِينْ ... أَبَا عُبَيْدَةَ الْمُؤَيَّدَ الْمَكِينْ

سَمَّى **أبا عبيدة "الأمين"** لأن النبي ﷺ سماه ذلك الاسم وقال: «لكل أمة

--- >>

عمر بن حفص بن المغيرة المخزومي فطلقها، وكانت أسن من الضحاك بعشر سنين وفي بيتها اجتمع أهل الشورى لما قتل عمر رضي الله عنه، وكانت ذات عقل وجمال وكمال — [سموط الذهب].

(1) (يعني فرس أبي طلحة) - رواه البخاري ومسلم.

أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة»[1]، وسماه **المؤيد** لقول النبي ﷺ لنصارى نجران حين امتنعوا من الإسلام والابتهال فقالوا: يا محمَّد قد رأينا أن لا نلاعنك وأن نرجع على ديننا ونتركك على دينـك، ولكــن ابعث معنا من يحكم بيننا في أمور بيننا فإنكم مرضيون عندنا، قال: «نعم أبعث معكم القوي الأمين[2] إئتوني العشية». قال عمرُ: ما أحببت الإمارة قط حبي إياها ذلك اليوم رجاء أن أكون صاحبَها، فرجعت إلى الظهر مهجرا، فلما صلى رسول الله ﷺ جعل ينظر يمينا وشمالا، فتشرفت إليه لعله يريدني، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة فدعاه فقال: «قم يا أبا عبيدة مع هؤلاء فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه»، قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة[3].

و**المكين**: أي ذو المكانة، أي المنزلة عند الله. ويعني أيضا **بالمؤيد** قولَ الله تعالى فيه وفي أصحابه الآتين قريبا إن شاء الله ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[4].

وَفِيهِ إِذْ أَهْلَكَ وَالِداً فَتُونْ   أُنزِلَ ﴿لا تجد قوما يؤمنون﴾[5]

---

(1) رواه البخاري والترمذي وابن ماجه وأحمد.

(2) رواه ابن ماجه.

(3) ذكره ابن هشام في سيرته: (205/2).

(4) المجادلة: 22.

(5) الضمير في **فيه** والمستتر في **أهْلَك** عائدان على أبي عبيدة المتقدم ذكره، **وفتون** بالنصب صفة **لوالدًا**؛ ووقف عليه بوقف ربيعة الذين يقفون على المنصوب المنوَّن بالسكون، ومعناه الذي يفتن الناس عن دينهم، أو بمعنى مفتون. **وأنزل**: بالبناء للمفعول، ونائب فاعله جملة: **لا تجدُ قوما**

=>>

أي وفي أبي عبيدة. إذ **أهلك**: قتَل. **والدا**: أي أباه الجراح ـ أو عبد الله بن الجراح، على الخلاف[1] ـ أنزل الله قوله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[2] إلى آخر السورة.

يقال إن هذه الآية نزلت في أبي عبيدة وأبي بكر ومصعب بن عمير والمبارزين يوم بدر. أما أبو عبيدة فلِقتله أَباهُ[3] ـ إن صح ـ هو المقصود بآبائهم، وأما أبناؤهم فأبو بكر أراد أن يبارز ابنَه عبد الرحمن يوم بدر، فقال له النبي ﷺ: «متعنا بك يا أبا بكر»، كأنه خاف عليه من عبد الرحمن، لأن عبد الرحمن كان من أرمى قريش ومن أبطالهم؛ وبعد ذلك قال لأبيه: استهدفت لي يوم بدر فصرفت عنك، فقال أبو بكر: وأنت والله يا بني لو استهدفت لي لقتلتك، وهذا بعد إسلام عبد الرحمن. وأما إخوانهم: فمصعب بن عمير يوم بدر مرَّ على الأنصار يأسرون أخاه لأبيه وأمه ـ أبا عزيز بن عمير ـ فقال لهم: شدوا أسره فإن له أمًّا بمكة ذات مال

>> - -

يؤمنون، وهو إشارة إلى قوله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية..

(1) قال في *الإصابة*: أبو عبيدة مشهور بكنيته وبالنسبة إلى جده ومنهم من لم يذكر بين عامر والجراح عبد الله وبذلك جزم مصعب الزبيري في *نسب قريش*، والأكثر على إثباته.

(2) المجادلة: 22.

(3) قال في *الإصابة*: جعل والد أبي عبيدة يتصدّى لأبي عبيدة يوم بدر فيحيد عنه فلما أكثر قصده فقتله، فنزل فيه قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ الآية.. وقيل بل عرقب به فرسه وقتله غيره.

تفديه منه. وأما عشيرتهم: فأهل البراز يوم بدر: عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلي، قتلوا بني عمهم من بني عبد مناف: عتبةَ وشيبة ابني ربيعة والوليدَ بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف - وبه يلتقون معهم - وفيهم أيضا نزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾[1]. قيل إنهم يوم القيامة يختصمون عند ربهم، يقول الكافر: يا رب هؤلاء قتلونا ونحن نطلب منهم دماءنا، فيقول المسلمون: نحن قتلناهم فيك يا ربنا، ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾[2]؛ يروى أن عليا كان يقول: الله أكبر أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصام.

وقوله: **لا تجد قوما يؤمنون:** محكي قول نائب **أنزل**، أي وفيه، لأجل أو حين أهلك أباه، أنزل قوله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية. **وفتون:** أي يفتن الناس عن دينهم، أو بمعنى مفتون.

أبو عبيدة بن الجراح

واسم أبي عبيدة: عامر بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر، أمه أميمة بنت غَنم بن جابر بن عبد العزى بن عامر بن عميرة بن الحارث بن فهر. وله من الولد يزيد وعمير[3]- وانقرضا - ولا

---

(1) الحج: 19.

(2) الحج: 19.

(3) أمهما هند بنت جابر بن أهيب - أو وهب - بن ضباب بن حُجَير من بني عامر بن لؤي.

عقب لأبي عبيدة غيرهما. وأخوه يزيد بن الجراح أول مسلم تزوج كتابية، تزوج نصرانية حين فتحت مصر.

وأبو عبيدة أحد السابقين إلى الإسلام[1] وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ولاه النبي ﷺ على سرية "الخبط" وعلى غيرها، وولاه عمر على جيوش الشام، وعزل خالد بن الوليد؛ وكتم أبو عبيدة ذلك عن خالد، فلما علم عاتب أبا عبيدة وقال له: تدعني أصلي أمامك وأنت أميري!. فلما قدم أبو عبيدة على أهل إيلياء قالوا له: لا نقاتلك ولا نصالحك حتى يأتينا إمامُكم الأعظم، فكتب أبو عبيدة بذلك إلى عمر. فلما قدم عمر على جُيُوشِ المسلمين بالشامِ جعلوا يُدخلونه بيوتهم يُرونه حسنَ حالهم وما هم فيه من السعة، فقال عمر لأبي عبيدة: ألا ترني دارك؟ فقال: أخاف أن تقصر عينك. فلم يزل عمر به إلى أن ذهب به إليها، فلما دخلها لم يجد فيها إلا ما كان في بيوت المهاجرين قبلُ : السرج والسيف ونحو ذلك مما يعد للجهاد، فجعل عمر يبكي أشد البكاء[2].

---

(1) أسلم هو وعثمان بن مظعون وعبيدة بن الحارث بن المطلب وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد في ساعة واحدة قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهاجر الهجرتين وشهد بدرا وجميع المشاهد بعدها.

(2) لتذكره عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له: كلنا غيرته الدنيا غيرك يا أبا عبيدة. وروي أن عمر قال له: لو اتخذت متاعا، قال: يا أمير المؤمنين إن هذا يبلغنا المقيل. وكان رضي الله عنه يلبس الصوف الجافي، فقيل له: إنك بالشام ووالي أمير المؤمنين وحولك الأعداء فغير من زيِّك وأصلح من شارتك، فقال: ما كنت بالذي أترك ما كنت عليه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم - [الإصابة ومروج الذهب وغيرهما].

و[كان] حين قدم عليهم لم يجد أبا عبيدة فقال لهم: أين أخي؟ فقالوا: الساعة يأتيك، فاستبطأه. فقدم أبو عبيدة على ناقة مخطومة بحبل من ليف فقام إليه عمر وهو يقول: مرحبا بأخي. ودخل معهم دارا واسعة فقال: ما تتمنون لهذه الدار؟ فقال بعضهم: أتمنى أن أملأها ذهبا وأنفقه في سبيل الله، وجعل كلهم يذكر منْيته.. فقال عمر: لكني أتمنى أن أملأها رجالا كلهم مثل أبي عبيدة.

وكان رضي الله عنه أهتمَ وما ريء أَهتمُ أحسن منه؛ وسبب هَتَمِه أنه انتزع الحَلقتين اللتين دخلتا في وجه النبي ﷺ من المغفر يوم أحد، انتزع إحداهما فسقطت معها ثنية وانتزع الأخرى فسقطت الأخرى[1]، لأنه تحامل عليها خوف إيلام النبي ﷺ. والهتم والثرم: سقوط الثنيتين أو كسرهما أو الثنية والرباعية، قال الشاعر:

هزئت زينبُ أن رات ثرمي   وأن انحنى لتقادم ظهري

وبَصَق أبُو عبيدة ليلةً في المسجد فلما أتى بيته تذكر تفلته في المسجد فأخذ شعلة نار فخرج بها يسعى حتى أتى المسجد فاستضاء بها على بُصاقه إلى أن وجده فدفنه، فلما دخل بيته قال: الحمد لله الذي لم يبتني متلبسا بخطيئة.

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد من أصحابي إلا لو شئت

---

(1) فحتنا فاه، فكان أهتم - [الاستيعاب].

وجدت عليه إلا أبا عبيدة»[1]..

ولا تعد مناقب أبي عبيدة رضي الله عنه. توفي بطاعون عَمَوَاسَ في خلافة عُمَرَ، قبيل معاذ بن جبل رضي الله عنهما[2].

سَهْلُ ابْنُ بَيْضَاءَ، عِيَاضُ ذُو الْحُرُوبْ   أَوَّلُ مَنْ جَازَ إِلَى الـرُّومِ الدُّرُوبْ

يعني ومن بني الحارث بن فِهر **سهلُ** بن وهب بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر. وأخواه سهيل وصفوان شهدا بدرا واستُشهِد بها صفوانُ، وسهيل من سرية ابن جحش الذين قَتلوا ابن الحضرمي. واشتهروا بالنسبة إلى أمهم **بيضاءَ** واسمها دعد بنت جحدم[3] من بني الحارث أيضا. وأما **سهل** فكتم إسلامَه بمكة

---

(1) أخرجه الحاكم في *المستدرك*. وقال فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه للأنصار يوم السقيفة: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين - يعني عمر وأبا عبيدة - فبايعوه، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين حضرته الوفاة: لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته وما شاورت، فإن سئلت عنه قلت إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»، وفي رواية: استخلفت أمين الله وأمين رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسئلت عائشة رضي الله عنها أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحبَّ إليه؟ فقالت: أبو بكر ثم عمر ثم أبو عبيدة. ولما مات أبو عبيدة خطب معاذ بن جبل ثم قال في خطبته: إنكم فجعتم برجل ما أزعم ـ والله ـ أني رأيت من عباد الله قط أقل حقدا ولا أبر صدرا ولا أبعد غائلة ولا أشد حياء ولا أنصح للعامة منه.

(2) روي أنه انطلق يريد الصلاة ببيت المقدس فأدركه أجله بفحل من أرض الأردن من الشام، فأوصى أن يدفن حيث قضى، فصلى عليه معاذ بن جبل ونزل في قبره هو وعمرو بن العاص والضحاك بن قيس سنة ثمان عشرة، فكان بها قبره، ويقال إنه دفن في غور بيسان.

(3) ابن أمية بن ضبة بن الحارث بن فهر.

وأسر ببدر فشهد له ابنُ مسعود بالإسلام، ومات هو وأخوه سهيل في حياة النبي ﷺ وصلى عليهما في المسجد، وقيل مات سهيل في حياة النبي ﷺ وصلى عليه في المسجد؛ وأما سهل فلم يمت إلا بعد النبي ﷺ.

قوله: **عياض ذو الحروب**: أي ومن بني الحارث أيضا عياضُ بن غنم بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة، صاحب حرُوبِ الروم؛ وهو أول من جاز إليهم الدربَ[1]. افتتح الجزيرة والرقة، وكان ربيب أبي عبيدة واستخلفه مكانه وأقره عمر[2]. وفيه يقول ابن قيس الرقيات، حين ذكر أشراف قريش:

[منهمُ ذو الندى سهيل بن عمرو	**عصمة الجار حين حُب الوفاء**
وعياضٌ منا عياض بن غنم	**كان من خير ما أجن النساء]**

وعمه عياض بن زهير هاجر الحبشة وشهد بدْرًا.

وَعُقْبَةُ بْنُ نَافِعِ اللَّذْ قَالاَ: يَا أَهْلَ ذَا الْوَادِي اظْعَنُوا فَسَالاَ
وَادِيهِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْمَنْكُورِ مِنْ كُلِّ مَا يَضُرُّ فِي الْعُصُورِ

أي ومن بني الحارث بن فهر: **عقبة بن نافع** بن عبد قيس[3]، ولد على

---

(1) الدرب: الطريق بين بلاد العرب والروم جمعه: دروب، وكان عياض هذا صالحا سمحا وهاجر الحبشة الثانية وشهد بدرا وأحدا وما بعدهما من المشاهد، قيل مات بالمدينة سنة عشرين، وقيل توفي بالشام.

(2) وقال: لا أُبْدِل أميرا أمَّره أبو عبيدة.

(3) ابن لقيط بن عامر بن أمية بن الظرب بن الحارث بن فهر القرشي الفهري.

عهد النبي ﷺ، وهو ابن خالة عمرو بن العاص[1]. وكان أميرا بالمغرب. وقيل لا تصح له صحبة وهو تابعي كبير.

وقصته مع **الوادي** كما ذكر السيوطي في **حسن المحاضرة** - وذكرها غيره حتى اشتهرت - أنه كان في رفقة فأتوا واديا بالقيروان فقالوا: هذا الوادي لا يكاد أحد ينزله ولا يهبط فيه لكثرة سباعه وهوَامِّهِ، فنزلوا، فأشرف على الوادي وقال: **اظعنوا يا أهل ذا الوادي** فإنا نازلون فيه. **فسال** الوادي بما فيه من كل ما يعرف من السباع والهوام وما لا يعرف، وجعل الدُّبُّ يجر ولده والأرنبُ وسائر السباع والهوام، كالحيات والعقارب وغير ذلك. ثم مكثت تلك البلادُ من القيروانِ وافريقيةَ أربعين سنة لو طُلبت حية أو عقرب بأربعين دينارا ما وُجدت.

قوله: **واديه**: أضاف له الواديَ لخطابه لما فيه، وسمْعِه وطاعته له. **والمعروف والمنكور**: أي ما يعرفه الناسُ وما لا يعرفونه. قوله: **من كل ما يضر**: يفهم منه أن ما لا يضر - كالوحْش غير العاديَةِ - لم تسر عن الوادي. وفي القصة: فجعل الأرنبُ يجر ولده.

---

(1) وشهد فتح مصر، ووجهه عمرو بن العاص إلى افريقية سنة اثنتين وأربعين واليا؛ فافتتح كثيرا من تخوم السُّودان وكورها في طريقه وعلا ذكره فولاه معاوية افريقية استقلالا سنة خمسين وأمده بجيوش كثيرة فأوغل في بلاد افريقية حتى أتى وادي القيروان، فأعجبه؛ فبنى فيه مسجدا لا يزال إلى اليوم يعرف *بجامع عقبة*، وأمر من معه فبنوا مساكنهم، ثم سار إلى "الزاب" و"تاهرت" وتقدم إلى المغرب الأقصى حتى بلغ البحر المحيط. ثم عاد، فلما كان في طريق العودة قدم جيشه أمامه وبقي في عدد قليل، فغدر بهم الفرنج وقتلوهم بالزاب رحمهم الله - [الزركلي].

وابنه عبد الرحمن بن عقبة بن نافع ولي إفريقية.

وَالْحَبَشِـيُّ بْنُ أَبِـي رَبَـاحِ ... مَوْلَاهُمُ الْمَشْهُـورُ بِالصَّلَاحِ

مِنْ عِلْمِهِ الْغَرِيبِ أَنَّ الْجُمُعَهْ ... وَظُهْـرَهَا، وَرَكْعَتَا الْعِيدِ مَعَـهْ

فِي الْيَوْمِ، يُوجِبُ صَلَاةَ الْعِيدِ ... وَيَكْتَفِي عَنْ ظُهْـرِهَا الْمَعْهُودِ

وَعِنْـدَهُ أَنَّ إِرَادَةَ السَّفَـرْ ... كَفِعْلِهِ، فَالْقَصْدَ وَحْدَهُ اعْتَبَرْ

يعني: ومن بني الحارث بن فهر بالولاء ـ ولا أدري لأيهم كان ولاؤه ـ الإمامُ عطاء **بن أبي رباح**[1] **المشهورُ بالصلاح** والعلم والورع وجميع الأوصاف الحميدة، ومنها ـ مع غرابة علمه ـ أنه يزيد على الناس في إكرام الضيف، بأنه يكرم الأضياف بالجواري، والظاهر أنه يُمتِّعُهم بهنَّ، ويرى ذلك مباحا؛ لأنهن مالٌ والاستمتاع بهن من المنافع كلبن الحلوبة وظهور المركوبات؛ وتأوَّل العلماءُ ذلك بأنه يزوجهن منهم أو يعطيهن لهم.

ومن غريب علمه ما ذكر الناظم رحمه الله بقوله: **من علمه الغريب**..إلخ.. يعني أنه إذا وافق العيدُ يومَ الجمعة، يُوجب ركعتي العيد المسنونة ـ أو المندوبة ـ وتسقط الجمعة عن أهلها، والظهر عن أهلها؛ أي من تجب عليهم الجمعة بشروطها تسقط عنهم، ومن لا تجب عليهم ـ كأهل البوادي

---

(1) اسم أبي رباح: أسلم بن صفوان الحبشي. ولد عطاء في جَنَد (باليمن) ونشأ بمكة، فكان من أجلاء الفقهاء بها ومفتي أهلها ومحدثهم. قدم ابن عمر مكة مرة فسألوه فقال: تسألوني وفيكم ابن أبي رباح؟، وتوفي بها سنة مائة وأربع عشرة عن عمر يناهز سبعا وثمانين سنة.

والقرى التي لم تستوف شروط الجمعة - بل فرضهم الظهر، يسقط عنهم، ولا تجب على الكل بعد ركعتي العيد صلاة إلى العصر[1]. قوله: **وركعتا العيد معه:** ذكّر الضمير لعوده على الظهر باعتبار لفظ الظهر. **ورَكْعَتا:** مبتدأٌ خبرُه: **في اليوم**، والجملة حالية، وخبر **أنَّ:** قوله **يوجب.**

ومن غريب علمه أيضا أن نية **السفر** لا يحتاج صاحبها إلى الشروع فيه في الفطر، وإنما يعتبر **القصد وحده**، أي النية الخالصة؛ فمن نوى مثلا السفر

---

(1) مذهب مالك والشافعي أنه إذا اجتمع عيد وجمعة يخاطب المرأ بهما معا: بالعيد على أنه سنة وبالجمعة على أنها فرض، ولا ينوب أي منهما عن الآخر؛ غير أن الشافعي رخص في تلك الحال لأهل القرى المجاورة للبلد الذي تقام فيه الجمعة في الرجوع إلى قراهم قبل أن يصلوا الجمعة وليس عليهم رجوع لأدائها. وقد اختلف العلماء في صلاة العيد، فعن أبي حنيفة أنها واجبة على الأعيان، وهو أحد أقوال الشافعي وأحد القولين في مذهب أحمد. وواظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بالخروج إليها. وذكروا أن من الأدلة على وجوبها أنها مسقطة للجمعة إذا اتفقتا في يوم واحدٍ وما ليس بواجب لا يُسقط ما كان واجبا، وفي حديث أبي هريرة عندما اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اجتمع في يومكم هذا عيدان فمن شاء أجزأه من الجمعة وإنا مجمعون». وسأل معاوية بن أبي سفيان زيد بن أرقم قال: هل شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيدين اجتمعا في يوم؟ قال: نعم، قال: فكيف صنع؟ قال: صلى العيد ثم رخص في الجمعة فقال: «من شاء أن يصلي فليصل» [رواه أبو داود وابن ماجه وغيرهما]. وفي *سنن أبي داود ومصنف عبد الرزاق* بسند صحيح عن ابن الزبير أنه قال: عيدان اجتمعا في يوم واحد فجمعهما جميعا بجعلهما واحدا وصلى يوم الجمعة ركعتين بكرة صلاة الفطر ثم لم يزد حتى صلى العصر. وقال الشوكاني في *نيل الأوطار* تعقيبا على هذه الرواية: ظاهره أنه لم يصل الظهر. وفيه أن الجمعة إذا سقطت بوجه من الوجوه المسوغة لم يجب على من سقطت عنه أن يصلي الظهر، وإليه ذهب عطاء.

غدا مع أنه قاصد أن يصبح في بيته يصبح مفطرا[1].

أَعْـوَرُ أَعْـرَجُ أَشَـلُّ أَفْطَسُ   أَسْـــوَدُ مِنْ أَنْـــوَارِهِ يُقْتَبَسُ

ذكر هذه الأوصافَ لسيدنا عطاء بن أبي رباح من غير تنقيص[2] له، بل استعظاما وتعجبا **ممَّن** هذه أوصافُه **ويقتبس**، أي يَستضيءُ **مِن أنوار** علومه وصلاحه وآدابه وعقله، أهلُ كمالِ الذوات وغيرُهم، لأن المرءَ بأصغريه: قلبه ولسانه[3]. **والفطس**: ميل الأرنبة، قال:

الميـل في أرنبـة الأنف: فطسْ ...

وكان الإمام عطاء رضي الله عنه من أكابر التابعين ومن أجلهم[4]، ويَروي عنه حازم، وكان أسودَ لأنه من الحبشة؛ وهم جيل سودٌ، منهم بلالُ بن حمامة المشهورُ بالسواد؛ وفيه قال عتاب بن أسيد إذ سمعه يؤذن يوم فتح مكة: أكرم الله أَسِيدا إذ لم يسمع صوت هذا الغراب! (والحبشة

---

(1) وافقه الإمام أحمد بن حنبل في ذلك، لأنه لا يشترط اقتران النية بالفعل وقت الوجوب خلافا لغيره، ومراعاة لعروِّ المخالفين من دليل صريح قالوا بسقوط الكفارة عمَّن أفطر في السفر قبل حصوله.. على خلافٍ مشهور في ذلك. والله أعلم.

(2) وقد تبع الناظم في ذكره هذه الأوصاف لعطاء بن أبي رباح صاحب *الحلة السيرا* والزرقاني، وغيرهما من مترجميه.

(3) وقد قال الشاعر الحكيم:

وما المرء إلاّ الأصغـران: لسانه   ومعقولـه، والجسم خَلْـقٌ مُصَوَّرُ

(4) أدرك مائتين من الصحابة ـ [الزرقاني].

هم بَنبَارَه بالحسانية)[1]، والدليل على ذلك قول الشاعر:

ولي حبشيـــة سلبت فـــؤادي ونفسي لا تتــوق إلى ســـواها
كأن شروطـــها طـرُقٌ ثلاثٌ[2] تسير بها النُفُـــوس إلى هواها

والشُّرَطُ لا تعرف لغير "بَنبَاره"، كما هو المشاهد.

ومن بني الحارث بن فهر: وهبُ وعمرو ابنا أبي سرح بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر. هاجرا إلى الحبشة وشهدَا بدْرًا معًا[3]. ومنهم الخُلُج[4]، ومن الخلج ابن هرْمة الشاعر وهو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرْمة[5]، من شعراء قريش؛ مدح أبا جعفر

(1) الحبشة: جنس من السودان، وسكان بلاد الحبشة، وهي "اثيوبيا" في افريقية الشرقية. وبنباره: قبيلة من قبائل الزنوج بغرب إفريقيا. والحسانية: لهجة عربية دارجة هي التي يجري بها التخاطب في البلاد الشنقيطية (الموريتانية) وهي من أقرب اللهجات إلى العربية الفصحى.

(2) الشروطُ: شقوق على الخدين يفعلها هذا النوع من الناس، من: شرَط الجلد: بضَعه لاستفراغ الدم ونحو ذلك، وهم يفعلونه لأسباب تجميلية وأخرى يعتقدون فيها.

(3) وشهد عمرو بعدها أحدا وجميع المشاهد بعدها ومات بالمدينة في خلافة عثمان، وكانت عنده أخت أبي عبيدة بن الجراح.

(4) الخلج: بضمتين وبتقديم الخاء المعجمة على الجيم، واسمه قيس بن الحارث بن فهر؛ وسموا بالخلج لأنهم اختلجوا من قريش، وقيل أصلهم من عدوان فألحقهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالحارث بن فهر؛ وقيل لقبوا بذلك لأنهم نزلوا بموضع فيه خلج من ماء فنسبوا إليه - [السهيلي].

(5) ابن الهزيل بن ربيع بن عامر بن صبيح بن عدي بن الخلج بن الحارث بن فهر الفهري، كان من مخضرمي الدولتين، مدح الوليد بن يزيد ثم أبا جعفر المنصور، وكان الأصمعي يقول: ساقة الشعراء ابن ميادة وابن هرمة ورؤبة. وله في آل البيت أشعار لطيفة منها قوله:

ومهمـــا أُلام على حُبِّهـــــم فإني أحـــبُّ بـــني فاطمه
بـــني بنـــت مَـــن جـاء بالمحكما تِ والدين والسنـــة القائمـــه

المنصور بقَصِيدة، فقال له: احتكم، فقال: تسقط عني حد الخمر، فأبى المنصورُ ذلك[1]، فقال له: تكتب إلى والي المدينة: من أتاك بابن هرمة سكرانا فاجلده مائة. فكتب المنصور إلى عامله: "من أتاك بابن هرمة سكران فاجلده مائة جلدة واجلد ابن هرمة ثمانين". فكان من مرَّ به سكران يقول: من يشتري مائة بثمانين؟! وهاب الناس السعي به إلى السلطان.

ومن بني الحارث أيضا عمرو بن شقيق[2]، من شعراء قريش في الجاهلية وهو القائل:

لا يبعدنّ ربيعةُ بن مكدم وسقى الغوادي قبره بِذَنوب

(الأبيات[3])

وسكت الناظم رحمه الله عن بني تيم الأدرم بن غالب بن فهر، وسمي الأدرم لأنه ناقص الذقن، ويقال لبنيه بنو الادرم دون ذكر تيم، وآخرهم ابن خطل الذي أسلم وهاجر ثم ارتد (نسأل الله العافية والموت على الإيمان) ورجع إلى مكة، وكانت له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ، فلما كان يوم الفتح أمر النبي ﷺ أصحابه بقتله، ولو وجد متعلقا بأستار الكعبة[4]؛ فوجد كذلك وقتل.

---

(1) وقال له: هذا حدٌّ من حدود الله وما كنت لأعطِّله.

(2) ابن عمرو بن فقيم الفهري.

(3) تقدمت في صفحة 614، وتنسب أيضا إلى أبيه شقيق وإلى حسان بن ثابت الأنصاري وإلى حفص بن الأحنف العامري - من بني عامر بن لؤي - وإلى ابنه كرز بن حفص وإلى ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهري من بني محارب بن فهر.

(4) رواه البخاري ومسلم.

نسب لؤي بن غالب

ولما فرغ من الكلام على بني محارب والحارث ابني فهر، شرع يتكلم على بني لؤي، فبدأ ببني عامر؛ وأخَّر عمود النَّسب بني كعب، لصنيعِهِ؛ فقال رحمه الله:

لِابْنِ لُـؤيٍّ عَامِرٍ الْحِسْـــلُ   وَمِنْـهُ الاَعْلَمُ سُهَيْـلُ الْعَدْلُ
مِن بِنتِ عُتْبَـةَ ابْنِهِ الشَّرِيـدَهْ   زَوْجِ الشَّرِيـــدِ أُمَّـةُ مَدِيـدَهْ

لُؤي بالهمز: تصغير اللآ ـ وهو الثور الوحشي ـ وبغير الهمز تصغير ما الْتوى من الرمل. **والحسل**: ولد الضب. **والأعلم**: مشقوق الشفة العليا. يقول إنَّ عامرَ بنَ لؤي له **الحِسلُ** بن عامر، والحسل منه **سهيل الأعلم** بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن الحِسل، كنيته أبو يزيد؛ قال حِماسُ بن البكير:

إذ فر صفوان وفر عِكرمه   وبُو يَـزيـدَ قائـمٌ كالمُؤتمه

(بتخفيف همزة *وأبو يزيد*، قال السهيلي: فيه حجة لورش في تخفيف أول الكلمة).

سهيل بن عمرو

وسهيل بن عمرو من أشراف قريش البارزين ورجالهم المشهورين، وصالح النبي ﷺ دون سائر قريش يوم الحديبية، فلما رآه النبي صلى الله

عليه وسلم قال: سهل لكم من أمركم[1]. قال السهيلي: مِن للتبعيض، لأنه صلى الله عليه وسلم رأى أنه يصلح بعضه لا كله، لأنهم لَمْ يَدْخُلُوا المسجدَ ذلك العام، ويردون من أتاهم مسلما، وغير ذلك مما لم تطِب به نفس عمر وغيره.

أسر سهيل يوم بدر، أسره مالك بن الدُّخْشُم السَّالِمِيُّ، فجاء مِكرز بن حفص فربَط نفسه مكان سهيل وأطلقه حتى أتى فداؤه؛ وقال عمر لرسول الله ﷺ: دَعْنِي أنتزع ثنيتيْ سُهيل فلا يقوم عليك خطيبا أبدا[2]، فقال صلى الله عليه وسلم: «دعه عنك فعسى أن يقوم مقاما تحمده». ولما مات النبي ﷺ وارتد من ارتد من العرب، قام في قريش خطيبا وقال: "إن هذا الدين سيمتد امتدادَ الشمس في طلوعها إلى غروبها فلا يغرنكم هذا من أنفسكم - يعني أبا سفيان - فإنه يعلم من هذا الأمر ما أعلم ولكنه جثم على صدره حسدُ بني هاشم". فكان ذلك تصديقا لقول النبي ﷺ لعمر: «فعسى أن يقوم مقاما تحمَده»[3]. وكان بعد إسلامه كثير الصوم

---

(1) رواه البخاري وأحمد.

(2) وذلك لأن الأعلم إذا نزعت ثنيتاه لم يستطع الكلام.

(3) فكان ذلك من جملة ما أخبر به عليه الصلاة والسلام من الأمور المغيبة فكان كما أخبر، ولما فتحت مكة قال صلى الله عليه وسلم لقريش: «يا معشر قريش ما ذا ترون أني صانع بكم»؟ فقال سهيل: نقول خيرا ونظن خيرا: أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت. فقال صلى الله عليه وسلم: «أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم».. ولما أسلم سهيل يوم الفتح قال: والله لا أدع موقفا وقفته مع المشركين إلا وقفت مع المسلمين مثله ولا نفقة أنفقتها مع المشركين إلا أنفقت على المسلمين مثلها، لعل أمري أن يتلو بعضه بعضا.

والصلاة والصدقة والجهاد في سبيل الله؛ خرج نحو الشام مهاجرا بأهله وماله، هو والحارث بن هشام وعِكرمة بن أبي جهل، لما سمعوا من النبي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية»[1] قالوا: إن فاتنا إخواننا بسابقة الإسلام وبالهجرة فنبذل أنفسنا وأهلنا في الجهاد فعسى أن نلحق بهم، فخرجوا بأهليهم إلى الشام، فاستشهدوا يوم اليرموك ثلاثُتهم[2]؛ قيل جاء آت بِشَراب إلى أحدهم ووجده يجود بنفسه فقال: اذهب به إلى فلان فجاء به إليه، فقال: اذهب به إلى فلان، فقال الثالث: اذهب به إلى فلان، فوجده قد مات، ورجع به إلى الثاني ثم إلى الثالث.. كل يجده قد مات، فرجع بشرابه و لم يشرب به واحد منهم.

و لم يبق منهم ولا من أهلهم إلا عبدُ الرحمن بن الحارث، وفاختةُ بنت عتبة بن سهَيْلٍ؛ فقدما المدينة، فقال عمرُ: "زوجوا **الشريد** من **الشريدة** عسى الله أن ينشر منهما **أمة مَدِيدَةً**" ـ فكان ذلك ـ وأقطعهما أرضا واسعة. **والشريد**: من لم يبق من أهله غيره.

وهاجر إلى الحبشة إخوة سهيل: السكران وسليط وحاطب ـ قيل وحطاب ـ بنو عمرو بن عبد شمس؛ وشهدوا بدرا، وكذلك ابنه عبد الله شهد بدرا؛ وكان محبوسا فخرج مع قريش إلى بدر، يزعمون على رأيهم،

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) قال في ***الاستيعاب***: قال المدائني: قتل سهيل بن عمرو باليرموك، وقال في ***الإصابة***: قال المدائني: استشهد الحارث بن هشام يوم اليرموك، وفي ***الإصابة*** أيضا: قال ابن إسحاق والزبير بن بكار: قتل عكرمة يوم اليرموك.

فلما رأى المسلمين هرب إليهم. وهاجر هو وأخته سهلةُ بنت سهيل إلى الحبشة مع زوجها أبي حذيفة بن عتبة في الهجرة الأولى.

وانْسُبْ لِحِسْلٍ الْخِرَاشَ الْقَاتِلاَ أَجِيرَهُ الْمُطَّلِبِيَّ الْبَاذِلاَ

حَبْلاً فَجَاءَ حَبْلُهُ بِأَحْبُلِ وانسُبْ أَبَا سَبْرَةَ أَيْضًا الْعَلِي

الخراش: هو ابن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل. **والمطلبي أجير** الخراش: هو عمرو بن علقمة بن المطلب. كان من خبره أنه استأجره في تجارة إلى الشام، فلما كانوا قافلين بينما هم ذات ليلة إذ نفرت إبل خراش فرأى بعيرا غيرَ معقول فقال لعمرو: أين عِقالُ هذا البعير؟ فقال: مَرَّ بي فلان وقد انقطعت عُروة جَوْلَقٍ لهُ فأعطيته إياه، فقام إليه فضربه على رأسه بهراوة فقتله، وارتحل عنه وبه رمق؛ فمرَّت به رفقة من أهل اليمن قاصدُون الحرم للحج أو العمرة، فصاح بهم فعطفوا عليه فقال: أتشهدون الموسم؟ قالوا: نعم، قال: إن وصلتم الحرم فنادوا في قريش ثم نادوا أبا طالب فقولوا له عمرُو بن علقمة يقرئك السلام ويقول لك إن خراشا قتله في حبل!.

فبلَّغت الرفقة ذلك لأبي طالب، فقال لخراش: ما فعلت بصاحبنا أجيرك؟ قال: مرض بالشام فأحسنت القيامَ عليه إلى أن مات. ثم تحاكموا إلى الوليد بن المغِيرة فقضى بينهم أن يحلف خمسون رجلا من بني عامر عند البيت ما قتله خراش، فقامت أمُّ حويطب بن عبد العزى فقالت لبني عبد مناف: إن ابني يلحقه من مائة ناقة على خمسين رجلا بعيران وأنا أفدي حلفه ببعيرين، فقبلوا منها ذلك؛ فحلفوا. و لم يحل الحول على واحد

منهم إلا حويطب بن عبد العزى. و لم يحُلفوا أبا سبرة، لأنه ابن بنتهم برة بنت عبد المطلب؛ فقال أبو طالب في ذلك[1]:

أفي فضل حبل لا اباك ضربته بمنسأة قد جر حبلُك أحبلا

قوله: **وانسب أبا سبرة:** أي وانسب أبا سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى بن قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل إلى بني الحسل بن عامر بن لؤي، أمه برة بنت عبد المطلب وأخوه لأمه أبو سلمة عبد ا لله بن عبد الأسد. ووصفه بـ**العلي** لأنه قديم الإسلام وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة وشهد بدرا، ثم رجع إلى مكة وسكنها إلى أن مات بها في خلافة عثمان رضي ا لله عنهما؛ و لم يُعلم أحد من المهاجرين رجع إلى مكة غيره. ومن ولده أبو بكر بن محمد بن عبد ا لله بن أبي سبرة، كان من علماء قريش وأشرافهم، أعان محمد بن عبد ا لله بن الحسن المثنى بالمال حين خرج على المنصور، فلما قتل عيسى بن موسى محمد بن عبد ا لله قيل لأبي بكر: اهرب، فقال: ليس مثلي يهرب، فطرح في حبس المدينة في الحديد، ثم حدث شيء في المدينة فأتاه أهلُها وقالوا لهُ: نكسر عنك الحديد، فقال لهم: ليس على هذا فوْت وقالوا له: اصعَد المنبر، فأبى وتكلم تحت المنبر، فأمرهم بالسَّمع والطاعة لأمير المؤمنين؛ فبلغ ذلك المنصورَ فبعث جعفر بن سليمان أميرًا على المدينة وأوصاه أن يطلقه ويحسن جوارَه ففعل.

---

(1) أي في قتل خراش أجيره المطلبي في حبل وما ترتب على ذلك.

وانسُبْ هِشَامًا نَّاقِضَ الصَّحِيفَهْ مَخْرَمَـةً ذَا الرُّتَـبِ الْمُنِيفَهْ

يقول **وانسب** لبني الحسل **هشاما** ذا **الرتبة المنيفة** على غيرها من الرتب، ومنها **نقض الصحيفة** المشهور في الجاهلية، واحرى في إنافة رتبه بعد أن أسلم وصحب رسول الله ﷺ. ووَصَفنا **هشاما** بذا الرتبة وصرفناها عن **مخرمة**، إذ لا يذكر له إسلام؛ اللهم إلا ان يكون الناظم وقفَ له على إسلام. ومن إنافة رتبة هشام ـ أي ارتفاعها ـ أن من هاجر من المسلمين يُودع داره لرجل من المشركين، فمنهم من وفى ومنهم من غدر، وممن وفى هشامُ، فقال حسان يمدحه:

أخنى بنو خلف وأخنى منقذ[1] وابن الربيع وطار ثوب هشام

من معشر لا يغدرون بجارهم للحارث بن حبيبٍ ابن شحام

(وشحام اسمُ جده جذيمةَ بن مالك بن حسل). وهو هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن شحام، وهو من المؤلفة قلوبُهم؛ أعطاه النبي ﷺ يوم حنين خمسين بعيرا.

نقض صحيفة قريش

وقصة الصحيفة أن قريشا[2] تمالأوا على مقاطعة بني هاشم، وأن لا

(1) الخنوة: الغدرة.

(2) لما رأوا أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا به أمْناً وقَرارا وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ورأوا إسلام حمزة وعُمر رضي الله عنهما وأن الإسلام يفشوا في القبائل.. اجتمعوا وتمالأوا..إلخ.

يناكحونهم ولا يتركون أحدا يبيع منهم، ويتعرضون للتجار يحبسونهم عنهم؛ ورئيسُهم في ذلك أبو جهل ومعهم في ذلك أبو لهب[1]، وأخرجوهم عن مكة إلى شِعب أبي طالب، وخرج معهم بنو المطلب - مسلمهم وكافرهم - وجميع من أسلم؛ وبلغوا في شعبهم غاية الجهد. ثم قام هشام هذا فقال لزهير بن أبي أمية مُسارًّا له: ويحك يا زهير ما يمنعك أن تسود قريشا آخر الدهر وأنت من بني مخزوم وأمك بنت عبد المطلِب من بني عبد مناف؟ قال: ما ذا تريد أن أفعل؟ قال: أخوالك بنو هاشم محصورون في غاية الجهد والجوع وأنت تقدر أن تنقِذَهم من ذلك، قال: فمن يقوم معي؟ قال: أنا معك - وكان هشامُ عزيزا في قومه لخؤُولةٍ له في بني هاشم - فقال زهير: أبغنا ثالثا؛ فجاء إلى المطعِم بنِ عديٍّ فقال له نحو ذلك، قال: ومن يقوم معي؟ قال: أنا وزهير بن أبي أمية، قال: أبغنا رابعًا؛ فجاء أبا البَختِرِي بن هشام فقال له ما قال للرهط قبله، فقال له: أبغنا خامسا؛ فجاء إلى زمعة بن الأسود بن المطلب فأجابه إلى ذلك. فتعاقدوا ليلا، فلما كان من الغد اجتمعت قريش في بعض أنديتها وحضرهم الرهط، فتكلم أبو جهل وقال: كان من أمر بني هاشم كذا وكذا.. فقال له: أحدُ الرهط كذبت، وقال آخرُ: كذبْت وتكلموا.. فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل! - وهو أول من قالها - فقام المطعم بن عدي إلى

---

(1) وكتبوا ذلك في صحيفة وتعاهدوا وتواثقوا عليه وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة تأكيدا على أنفسهم.

الصحيفة ليأخذها، فرأوا أبا طالب في رهط هابطين عليهم، فقالوا: هذا أبو طالب ما جاء إلا لأمر، انتظروه في شأنكم. فجاء أبو طالب فقال: يا معشر قريش إن ابني حدثني بشيء إن صدقني فهو صادق فيما يقول وإن كذبني فشأنكم به، قالوا: ما ذا أخبرك به؟ قال: أخبرني أن صحيفتكم التي كتبتم علينا بعث ربه عليها دابةً لَحِسَتْ منها كل ما فيها من قطيعة رحم[1] وغيرها ولم تُبق إلا ما فيها من اسم الله واسم نبيه[2]، فقالوا: أنصفت يا أبا طالب، فأخرجوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق صادقًا؛ فلم يزدهم ذلك إلا عنادا وكفرا![3].

أما **مخرمة** فهو ابن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسل، وهو أخو حويطب وأبي رهم؛ وابنه عبد الله بن مخرمة ممن هاجر الحبشة وشهد بدرا وما بعدها إلى أن استشهد يوم اليمامة رضي الله عنه.

حُوَيْطِبًا وَعَبْدَ وُدٍّ عُدَّهْ   وابْنَ أَبِي سَرْحٍ لَهُمْ وَسَوْدَهْ

حويطبا: عطف على هشام بحذف العاطف، أي وانسب هشاما ومخرمة وحويطبا للحِسل. وقوله: **وعبد ود**: اشتغال على اختيار النصب. **وابن أبي**

(1) وظلم وبهتان..

(2) كان فيها لفظ: "باسمك اللهم" على عادتهم، كما أن فيها اسمه صلى الله عليه وسلم؛ وإن كانوا لا يعتقدونه نبيا لشقوتهم.

(3) فمزَّقها الخمسة المذكورون ولم يعد بها عمل بعد ذلك.

سرح وسودة معطوفان عليه، ويحتمل أن يكون: **وابن أبي سرح** مبتدأ خبره **هم، وسودة**: عطف على ابن أبي سرح، ويحتمل أيضا أن يكون **وابن أبي سرح وسودة** معطوفين على **عبد ود، وهم**: متعلق **بعُدَّه**.

يعني أنَّ حويطب بن عبد العزى ـ أخا مخرمة المتقدم قريبا ـ وعبد ود وابن أبي سرح وسودة من بني حسل بن عامر بن لؤي، وقد أسلم حويطب يوم الفتح وألَّفَه النبيُّ ﷺ بمائة بعير، وابنه أبو سفيان أمه أُم حبيب بنت أبي سفيان، شقيقة أمِّنا أمِّ حبيبةَ؛ أمهُما صفيةُ بنت أبي العاص، عمة عثمان بن عفان رضي الله عنه. كان حويطب يقول: شهدت بدرا مع المشركين فرأيت الملائكة يقتلون ويأسرون بين السماء والأرض. وهو ممن بعثهم عمر يحدون الحرم، فنصب الأعلامَ على منتهاه. وشهد حنينا والطائف مسلما، واستقرضه النبي ﷺ أربعين ألف درهم فأقرضه إياها. وعاش مائة وعشرين عاما، وتوفي في آخر خلافة معاوية.

وهو سادس من عاش مائة وعشرين؛ وهم: حويطب هذا ومخرمة بن نوفل الزهري وسعيد بن يربوع المخزومي وحكيم بن حزام وحسان بن ثابت، وسادسهم: مِن الكتب مَن يعده حمنن بن عوف ـ أخا عبد الرحمن بن عوف ـ الزهري، ومنها من يعده لبيد بن ربيعة؛ ونظمتهم فقلت:

لقد عاش مِ الأصحاب ستّين: ستّةٌ	**ضلالا وعاشوها على خير مذهب**
سعيد بن يربوع، حكيم، حويطب	**ومخرمةُ الزُهري وحسان يعرب**
وفي العد خلفٌ في لبيد وحمنن	**بهم أتقي الأسوا وأغنم مطلبي**

قلت: ولا بد أن يكونوا سبعة، لأن هذين المختلف فيهما كلاهما

اشتهر أنه عاش كذلك بتاريخ إسلامه ووفاته؛ أما لبيد فيذكر ذلك في شعره، إن صح أنه له؛ ويروى عن لبيد أنه لم يقل من الشعر منذ أسلم إلا بيتا واحدا وهو قوله:

الحمد لله إذ لم يأتني أجَلي حتى اكتسيتُ من الإسلام سربالاَ

وعبد ود: هو جد عمرو بن عبد ودٍّ الذي بارز عليا كرم الله وجهه يوم الخندق فقتله علي؛ وكان فارسَ قريش، خلفته عن أحد جراحاتٌ أصابته ببدر. فلما كان يوم الخندق خرج مغضبا بفوات أحد له فاقتحم الخندق وطلب البراز من الصحابة، فقام إليه علي بعد لأي، وفيه يقول الشاعر:

عَمْرو بن عَبْدٍ[1] كانَ أولَ فارسٍ قطع المزادَ وكان فارسَ يَلْيَل

(والمزاد: موضع الخندق، ويليل: واد يَصُبُّ على بدر وسماه به[2]).

وابن أبي سرح: هو عبدُ الله بن سعْدٍ بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك بن الحسل، كان أخا عثمان من الرضاعة، ولذلك استأمن له عثمانُ النبي ﷺ ؛ وكان أمر الصحابة بقتله ولو وجدوه متعلقا بأستار الكعبة، لأنه كان أسلم وهاجَر وكتب الوحي للنبي ﷺ ثم ارتد ولحق بمكة، فلما دخل المسلمون مكة اختفى حتى اطمأنَّ الناس؛

---

(1) يريد عمرو بن عبد ودّ.

(2) أي أطلق الشاعر يليل على بدر، يريد أن عمْرا هذا كان من أبطال المشركين المذكورين يومي بدر والخندق.

فأتى عثمان فاستأمن له النبي ﷺ، وقد أتي به إليه، فسكت صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال: «نعم»، فذهب به عثمان، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما سكتُّ عن الرجل إلا ليقوم إليه أحدكم فيضرب عنقه»، فقال أحد القوم: هلا أومأت يا رسول الله؟ فقال: «لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين»[1]، ثم حسن إسلامه، وكان كريما نجيبا؛ واستعمله عمر ثم استعمله عثمان وولاه مصر وفتح افريقية، ولما بلغه حصارُ عثمان سأل الله أن يميته، وأن لا يميته إلا عقب الصلاة؛ فصلى الصبح بالناس ـ وكان يسلم تسليمتين ـ فسلم تسليمة التحليل فذهب ليسلم الأخرى، فقبضت روحهُ بين التسليمتين.

وبنت أخيه ـ أو بنت عمه ـ أروى بنت أويس بن سعد بن أبي سرح؛ وهي التي خاصمت سعيدَ بن زيد في أرض، فقالت للقاضي: قطعني أرضي، فقال سعيد: كيف وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اقتطع شبرا من أرض لمسلم طوَّقَهُ الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين»[2]، فتركها لها وقال: اللهم إن كانت كاذبة فأَدِمْ فَقْرَها وأَعْمِ بصرَها واجعل قبرها في بئرها، فأجيبت فيها دعوتُه كلها. وابن أخيها عبد الله بن عمرو بن أويس، أو هو ابن أبي أويس؛ وأبو أويس وأويس أخوان، وهو الذي

---

(1) رواه أبو داود والنسائي، وفي *فتح الباري* بلفظ: «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث كففت يدي عن بيعته»؟.

(2) رواه البخاري ومسلم.

قدم المدينة على الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ـ وهو أميرها ـ بنعي معاوية، فاستكتمه، وبعثـهُ ليلا إلى الحسين وعبد الله بن الزبير ـ لبيعة يزيد ـ فكلاهما اعتذر بالليل ووعده بالصباح، و لم يذكر لهما الرسول حاجته إليهما؛ فالتقيا وقال الحسين لابن الزبير: ما ترى حاجته إلينا في هذه الساعة؟ قال: أظن طاغيتهم قد مات ـ يعني معاوية ـ فخرج ابن الزبير إلى مكة فدعا لنفسه فبويع له، وخرج الحسين إلى العراق فقتل رضي الله عنه؛ وكان قد نهاه ابن عباس وابن عمر، وقال له ابن عمر: "استودعك الله من قتيل".

قوله: **وسَوْدَهْ**: يعني أمنا سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن الحسل، كانت عند السكران بن عمرو بن عبد شمس ـ أخي سهيل بن عمرو ـ فأسلما وهاجرا إلى الحبشة، فمات السكران وله منها عبدُ الله، فخلف عليها رسول الله ﷺ قبل الهجرة بثلاث سنين، وغَلِط صاحب قرة الأبصار في قوله: "وهاجرا.."إلخ[1]. وكانت رأتْ في منامها أن رسول الله ﷺ وطئ على ظهرها، فقصتها على زوجها السكران، فقال: إن صدقت رؤياك فأنا أموت ويتزوجك رسول

---

(1) تمامه: ... في الـدِّين هجرتين جزاهما الرحمن جنتين

وذلك لأن سودة إنما هاجرت مع السكران هجرة الحبشة الأولى فقط، و لم يكن في هجرة الحبشة الثانية منهما أحد، وأما الهجرة الكبرى إلى المدينة فقد هاجرتها وهي في عصمته صلى الله عليه وسلم، لأنه تزوجها بمكة بعد موت السكران.

ا الله ﷺ. فلما حلت أرسل إليها خولة بنت حكيم، امرأة عثمان بن مظعون، فبلغ ذلك أباها ـ وكان شيخا مشركا ـ فغضب. فتزوجها رسول ا الله ﷺ ثم قدم أخوها عبدُ بن زمعةَ ـ ولم يسلم ـ فغضب، فلما أسلم بعد ذلك ندم جدا على غَضَبه ذلك.

وعبْدُ بن زمعة هو الذي خاصمه سعدُ بن أبي وقاص في عبد الرحمن بن زمعة، وهو ابن وليدة لأبيه؛ وأوصى عتبةُ بن أبي وقاص سعدا أن يأخذه، فلما كان يوم الفتح أتى سعد ليأخذه وقال: إن أخي أوصاني وقال: إذا قدمتَ مكة فاقبض ابن وليدة زمعة فإنه ابني، فقال عبدٌ: هو أخي وولد على فراش أبي؛ فقضى به رسول ا الله ﷺ لعبد بن زمعة وقال: «الولدُ للفراش وللعاهر الحجر»[1]، ثم قال: «ولكن احتجبي عنه يا سودة». وهذا مُدرك جواز الجمع بين الشريعة والحقيقة؛ فالشريعة: الولد للفراش، والحقيقة: احتجابُ سودةَ عنه، لعلمه صلى ا الله عليه وسلم أنه ابنُ عتبة لشبهه به، ولكن حكم بالظاهر لأنه مبعوث به، بخلاف مَن قبله من الرسل، وذلك لفضله الذي منه الرفق بأمته وسهولة ملته، جازاه ا الله عنا أحسن ما جازى نبيا عن أمته.

ومن بني الحسل أيضا عالم المدينة ابن أبي ذؤيب، وهو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذؤيب[2].

---

(1) متفق عليه.

(2) ولما فرغ من بني الحسل بن عامر بن لؤي، أخذ يتكلم على بني عمهم بني معيص بن عامر بن لؤي؛ فقال رحمه ا الله وعفا عنه:

لِعَامِـرٍ أَيْضًا مَعِيصُ، الأَعْمَى   خَالُ خَدِيجَـةَ إِلَيْهِـمْ يُنْمَى

معيصُ (كأمير): مبتدأ خبره **لعامر**. **والأعمى**: مبتـدأ خـبره **ينمى إليهـم**. **وخال خديجة**: عطف بيان أو بدل من **الأعمى**. يقول: لعـامر بـن لـؤي مـن الولد أيضا غير الحسل: **معيصُ**. وفي القاموس: معيـص (كأمـير) قبيلـة مـن قريش.

عبد الله بن أم مكتوم

ويعني **بالأعمى** ابن أم مكتوم، واسمه عبد الله - وقيل عمرو - بـن قيـس بن زائدة بن الأصم بن هرم بن رواحة بن حجر بـن عبـد بـن معيـص بـن عامر بن لؤي[1]، أمـه أمُّ مكتـوم بنـت عبـد الله بـن عنكثـة بـن عـامر بـن مخزوم[2]، واستخلفه النبي ﷺ على المدينـة مـرارا[3]، وكـان يؤذّن لـه، قـال صلى الله عليه وسلم: «إذا سمعتم أذان بلال فكلوا وإذا سمعتم أذان ابـن أم مكتـوم فأمسـكوا فإنـه رجـل أعمـى لا يقـوم حتـى يقـال لـه أصبحـت

---

(1) كما في *الاستيعاب*.

(2) اسمها عاتكة بنت عبد الله، وعنكثة: بمهملة ثم نـون سـاكنة ثـم كـاف بعدهـا مثلثـة، قيـل ولدت ابنها عمْرا هذا أعمى فسمي مكتوما، لاكتتام نور بصـره فكنيـت بـه، وقيـل عمـي وهو صغير. وقد أسلم بن أم مكتوم هذا قديما بمكة، وكان مـن المهـاجرين الأولـين، هـاجر مع مصعب بن عمير، كما يأتي في النظم.

(3) في غزواته، فقد استخلفه في غـزوة الأبـواء وبـواط والعشـيرة وبـدر الأولى وغـزوة السـويق وغزوة غطفان وأحد وحمراء الأسد وبحران وذات الرقاع وفي حجة الوداع.

أصبحت»[1]. وكان ابن أم مكتوم يومًا مع رسول الله ﷺ فجاءه عتبة بن ربيعة، فأعرض صلى الله عليه وسلم عن ابن أم مكتوم إلى عتبة ـ طمعا في إسلامه ـ فعاتبه الله تعالى بقوله ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾[2]. نزل جبريل على النبي ﷺ ومعه ابن أم مكتوم فقال: يا هذا متى فقدت بصرك؟ فقال: فقدته وأنا صغير، فقال جبريل: ابشر فإن الله تعالى يقول "إذا أخذت كريميْ عبدي فلا أجازيه إلا بالجَنَّة"[3].

وَإِذْ شَكَا لِلْمُصْطَفَى أَنْ حَذَفَا ﴿غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ﴾ جَاءَ الْمُصْطَفَى

مِن ثِقَلِ الْوَحْيِ بِهِ مَا بَرَّحَا بِفَخِذِ ابْنِ ثَابِتٍ وَإِذْ صَحَا

أَمَرَهُ بِكَتْبِهَا فَأُدْخِلَتْ وَلَمْ تَكُن مِّن قَبْلِ ذَاكَ أُنزِلَتْ

غير أولي الضرر: نائب **حذف** على أنه مبني للمفعول، ومفعول به على أنه مبني للفاعل، أي حذف النبي ﷺ ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ في تلاوته إذ لم تكن أُنزلت قبل. **وجاء المصطفى**: جواب قوله **وإذ شكا**. **وما** من قوله: **ما برحا**: فاعل جاء[4]. **وابن ثابت**: هو زيدُ بن ثابت بن الضحاك الأنصاري

---

(1) رواه مسلم والدَّارمي.

(2) سورة عبس: 1-2.

(3) رواه الترمذي وأحمد.

(4) ومفعوله: **المصطفى** بعده، وفاعل كل من **صحا** و**أمره**: ضمير مستتر عائد على المصطفى صلى الله عليه وسلم.

النجاري، كاتب الوحي للنبي ﷺ، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله[1].

وصحا: أي النبي ﷺ ـ من ثقل الوحي ـ أَمَرَ صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت فكتب﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ فأدخلت بين ﴿**المؤمنين**﴾ و﴿**المجاهدون**﴾.

يعني أن عبد الله ابن أم مكتوم شكا إلى النبي ﷺ فضل المجاهدين على القاعدين حين نزلت هذه الآية بالمدينة؛ وكان النبي ﷺ واضعا فخذه على فخذ زيد بن ثابت وهو يكتب له، فنزل الوحي عليه. وكان زيد يقول: ما أظن فخذي إلا رُضَّتْ من ثِقل فخذِ النبي ﷺ[2]؛ وكذلك يكون إذا نزل عليه الوحي ولا يحمله إلا ناقته الجدعاء، وربما بركت به.

وكان نزولُ هذه الآية من بركة عبد الله ابن أم مكتوم ورفق النبي ﷺ بأمته. ثم لَمْ يقنع ابن أم مكتوم بهذا العذر الصريح النازل فيه، إلى أن استشهد بالقادسية ومعه لواءُ المسلمين[3].

تنبيه: لم يذكر الناظم رحمه الله من مشاهير بني معيص إلا ابن أم مكتوم، إذ لم يكثروا في الصحابة؛ وها نحن نذكر ما تيسر لنا منهم:

فمن مشاهيرهم مِكرزُ بن حفص بن الاخيف[4]، وهو الذي بعثته قريش يوم الحديبية ـ قَبل سهيل ـ يسترد النبي ﷺ، فلما رآه قال لأصحابه:

---

(1) في الكلام على الأنصار ـ انظر التكملة: 719/2.

(2) رواه البخاري. ورُضَّت: من رض الشيء يرضُّه رضًّا: دقَّه.

(3) وقيل رجع من القادسية إلى المدينة فمات بها.

(4) (بخاء معجمة وياء مثناة تحتية) ابن علقمة بن عبد الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي، القرشي العامري المعيصي.

«أتاكم رجل فاجر»[1]. وهو الذي قال للصحابة حين أسروا سهيلا: اجعلوني مكانه حتى يأتيكم فداؤه، وفي ذلك يقول:

فديت بأذواد ثِمان سِبَا فَتًى ... ينال الصَّمِيمَ عزها لا المواليا
فقلت: سهيل خيْرُنا فاذهبوا به ... لأبياتنا حتى نزيد الأمانيا

وكان شاعرا، ومن شعره:

ولما رأيت أنما هو عامر ... تذكرت أشلاء الحبيب الملحب[2]
فقلت لنفسي إنما هو عامرٌ ... فلا ترهبيه واركبي كلَّ مَرْكب
فألجمْته سيْفي وألقيت كَلكلي ... على بطل شاكي السلاح مُجَرَّبِ
وأيْقَنتُ أنّي إن أنَلْه بضربةٍ ... متى ما أجلّلْه "الفُرافِرَ" يَعْطَب

(والفرافر: اسم سيفه، وعامر رجل من بني الملوح ـ من بكر كنانة ـ يقال له عامر بن يزيد، قتل أخا مِكرز بن حفص ثم قتله مكرز، وفي ذلك يقول هذا الشعر). ولم يُذكر لمكرز إسلام، إلا ما في نور النبراس: أن ابن حبان ذكر له صحبة. والله أعلم.

ومن بني مَعيص أيضا حِبان ابن الْعَرِقَة[3]، والعرقة جدته لأبيه وهي قُلابة بنت سعيد بن سهم؛ وسميت *العرقة* لطيب ريحها. وهو الذي قتل عُمَيْرَ بن الحمام يوم بدر: رماه فأصاب حُنجُرَتَهُ، ثم قتل يوم الخندق سعدَ

---

(1) رواه أحمد.

(2) الأشلاء: الأعضاء بعد البلى والتفرق. والملحب: المقطع.

(3) هو حبان بن قيسٍ بن علقمة بن عبد مناف بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن مَعيصٍ.

بن معاذ[1]، رماه في أكحَله فقال: خذها وأنــا ابـن العرقـة؛ فقـال سـعد[2]: عَرَّق ا لله وجهك في النار. ومنهم أيضا شديد بن شداد، وهو الذي يقول، يحرض عبد الملك على خالد بن يزيد بـن معاويـة حـين تـزوج خـالدُ آمنـةَ بنت سعيد بن العاص:

وما يستوي الحبْلانِ: حبل تنكثت ... قُـــواهُ وحبـــل قد أُمرَّ شَديدُ

إذا ما نظـــرنا في مناكح خالد ... علِمنا الذي ينـــوي وأين يريد

عليك أمـــــير المؤمنين بخالـد ... ففي خالد عما تُريد صـــــدود

ومنهم العلاء بن وهب[3] مِن مسلمة الفتح، ولاه عثمان، وكانت عنده أختُه لأمه من بنات عقبة بن أبي معيط. ومنهـــم حميـد ابـن درة وهـو ابـن عمرو بن مساحق واشتهر بأمه درة بنت أبي هاشـم بـن عتبـة بـن ربيعـة، وهو ابن خالة خالد بن يزيد بن معاويــة. ومنهـم بسـر بـن أرطـاة، البطـلُ الذي قتل ابْني عبيد ا لله بن العباس[4].

---

(1) أي أصابه إصابة قاتلة مات منها شهيدا بعد غزوة بني قريظة.

(2) وقيل: قائله رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم.

(3) ابن محمد بن وهبان بن خبَّـاب بـن حجـير بـن عبـد بـن معيـص، المعيصـي شـهد القادسـية واستعمله عثمان على الجزيرة وأقام بالرقة أميرا وتزوج زينـب بنـت عقبـة بـن أبـي معيـط، أخت عثمان بن عفّان لأمه.

(4) كان بسر بن أرطاة هذا قد استعمله معاوية على اليمن أيام صفين وكان عليـه عبيـد ا لله بـن عباس لعلي رضي ا لله عنه فهرب عبيد ا لله حين أحس ببسر فنزلها بسر وارتكب فيها أمورا عظيمة وفعل فيها قضايا شنيعة فيما نقله أهل الأخبار، منها ذبحه طفلين صغيرين لعبيـد ا لله بن عباس بين يدي أمهما واسمهما عبد الرحمن، وقثم فنال أمهما عائشة بنت عبد المدان من

<<=

عبد الله بن قيس الرقيات

ومنهم الشاعر عبد الله بن قيس الرقيات؛ سمي بذلك لأنه تشبب بثلاث نسوة كلهن اسمها رقية[1] - فهو إذا وصفُ عبدِ الله لا قيس ـ وهو عبد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة بن أهيب بن ضِبَاب بن حُجيْر بن عَبد بن مَعِيص، وأمه من بني ليث بن بكر بن عبد مناةَ بن كنانة[2]. ومن شعره قوله حين أتاه نعيُ ابني أخيه (قتلا يوم الحرة):

إن المصائب بالمدينة قد	أوجعنني وقرعن مروتيهْ
وأتى كتاب من يزيد وقد	شد الحزام بسرج بغلتيه
يَنْعِي أسامةَ لي وإخوته	فظلِلت مستكا مسامعيهْ
كالشارب النشوان قطّره	سهل الزقاق تفيض عبرتيه

ويزيد الذي أتى منه الكتاب هو يزيد بن مالك بن ربيعة من بني مَعيص؛ كَتب إليه كتابا فيه مقتلُ ابني أخيه أسامة وسعد ابني عبدِ الله الأكبر بن قيس. وكان عبد الله بن قيس مع مُصعب بن الزبير في حروبه لعبد الملك

>> - - ذلك أمر عظيم فأنشأت تقول:

ها من أحسَّ بُنَيَّيَّ اللذين هما	كالدرتين تشظى عنهما الصدف
ها من أحس بُنَيَّيَّ اللذين هما	سمعي وعقلي فقلبي اليوم مختطف
حدثت بسرا وما صدقت ما زعموا	من قبلهم ومن الإثم الذي اقترفوا
انحى عَلَى وَدَجي ابني مرهفة	مشحوذة وكذاك الإثم يقترف

ثم وسوست فكانت تقف في الموسم تنشد هذا الشعر وتهيم على وجهها - [الاستيعاب].

(1) أو لأن له ثلاث جدات كلهن تسمى رقية.

(2) اسمها قتيلة بنت وهب بن عبد الله؛ كما في *تجريد الأغاني*.

بن مروان، ويكثر مدح مُصعب، ومنه قوله:

إنما مصعب شهاب من اللـ ـه تجلت عن وجهه الظلماء
ملكُه ملكُ رحمة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء
يتقي الله في الأمور وقد أفـ ـلح من كان هَمُّه الاتقاء

وقوله:

إن يعش مُصعب فنحن بخير قد أتانا من دهرنا ما نُرَجِّي
جلب الخيل من تهامة حتى بلغت خيله قصور الفرنج
يلبس الجيش بالجيوش ويَسقي لبن البُخت في عِسَاسِ الخلنج[1]

فلما قتل مُصعب اختفى ابن قيس، ولم يزل عبد الملك يجعل الأجعال لمن يأتيه به؛ وهو في دار امرأة من أهل الكوفة قد أخفته في بيت من دارها وهي تبالغ في إكرامه، فلما طال عليه ذلك قال لها: لا بد لي من لِقاء عبدِ الله بن جعفر بالمدينة، فقالت: أتانا آنفا رسولُ أمير المؤمنين يسأل عنك ولكن انزل عندَ صلاة المغرب، ففعل؛ ووجدها رحَّلَت له راحلة وعليها ما يَكْفِيه من الزاد والمتاع وكذا من المال. فقصد ابن جعفر فأتاه مستجيرا به، فسار ابن جعفر إلى عبد الملك ـ وكان صديقا له ـ فاستحيا أن يواجهه بابن قيس، فاستشفع بأمِّ البنين بنت عبد العزيز، وهي بنت أخي عبد الملك وزوج ابنِه الوليدِ، فاستأذنت عليه وقالت: يا عمُّ لي إليك أعظم حاجَة، فقال: كُلُّ حاجةٍ تسألينيها تقضى إلا ابْنَ قيس، فقالت: هو حاجتي يا

(1) العِساس: جمع عُسٍّ وهو القدح أو الإناء الكبير، والخلنج: شجر (معرب).

عم، فلطمَها على الأنف حتى أرعفها، فخرجت عنه تبكي، فرقَّ لها واستردها وأرضاها بابن قيس، وقال لعبد الله بن جعفر: ائتني بابن قيس؛ فأتاه به، فلما دخل عليه[1] أنشده قصيدته التي أولها:

عاد له من كبيرة الطربُ ... فعينه بالدموع تنسكب
كوفية نازح محلتها ... لا أَمَمٌ دارُها ولا صَقَبُ[2]

إلى أن قال في مدح عبد الملك:

إن الأغرَّ الذي أبوه ابو الـ ... ـعاصي عليه الوقار والحُجُبُ
خليفة الله في رعيته ... جفّت بذاك الاقلام والكتب
يعتدل التاج فوق مفْرِقه ... على جبين كأنه الذَّهب
ما نقموا من بني أمية إلْـ ... ـلا أنهم يحلُمون إن غَضِبوا
وأنهم سادة الملوك فما ... تصلح إلا عليهم العرب

(وقد غَنَّتْ جارية الرشيد فقالت: ما نقموا من بني أمية.. فرأت في وجههِ الغضبَ، فقالت:

---

(1) قال عبد الملك لأهل الشام: أتعرفون هذا؟ قالوا: لا، قال: هذا ابن قيس الرقيات الذي يقول:

كيف نومي على الفراش ولمَّا ... تشمل الشامَ غارةٌ شعواءُ
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي ... عن بُراها العقيلة العذراءُ

فقالوا: يا أمير المؤمنين: اسقنا دم هذا المنافق، قال: الآن قد أمنته وصار على بساطي وفي منزلي. فاستأذن ابن قيس الرقيات عبد الملك في الإنشاد فأذن له، فأنشده:

عاد له من كبيرة ..إلخ.

(2) يقال: داري من داره بصَقب وأَمَمٍ أي قريب ـ [لسان العرب].

... إلا أنهم يجهلون إن غضبوا

وأنهم معدن النفاق فما تفسد إلا عليهم العربُ

فسكن غضبُه).

فقال عبد الملك لعبد الله بن قيس: تمدحني بالتاج كأني من العجم وتمدح ابن الزبير بقولك: **إنما مصعب شهاب من الله!**.. اذهب فلك دمُك ولكن لا يصلك مني معروف أبدًا.

فجاء عبدَ الله بن جعفر فقال: عفا عني وكأنه قتلني، قال: بما ذا؟ قال: قطع عني العطاءَ، والشاعر إذا قطع عنه الملك العطاء بم يعيش وما حاجته في الحياة؟ فقال ابن جعفر: ما ذا كنت تؤمل منه؟ قال: كذا وكذا، قال: لك عندي ضِعفُه كلَّ سنة. فجعل ابنُ قيس ابنَ جعْفر مكان مصعب بن الزبير في المدح أو أكثر. ومن شعره فيه قصيدته:

تَقَدَّتْ بي الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها صحوها وغيارها[1]

---

(1) تقدَّت: أي سارت سَيرًا ليس بعجل ولا مبطئ. وبعده:

تزور امرأً قد يعلم الله أنه تجود له كفٌّ قليل غِرارها

أتيناك نُثني بالذي أنت أهله عليك كما أثنى على الأرض جارها

فوالله لولا أن تزور ابن جعفرٍ لكان قليلاً في دِمشق قرارُها

إذا متَّ لم يوصل صديق ولم تُقَم طريق من المعروف أنت منارُهَا

ذكرتك إن فاض الفرات بأرضنا وفاض بأعلى الرقَّتينِ بحارها

وحوليَّ مما خول..إلخ.

والغرار: أن تمنع الناقة درتها. والرقتان: بلدان على الفرات متصلا البناء.

إلى أن قال:

وحـولي مما خـــول الله هجمةٌ[1] عطاياكَ منـها شـــولها وعشـارها

مباركـــة كانـــت عطايا مباركٍ تمانـــح كبراها وتنمـو صغارها[2]

وسلم ابن قيس يومًا على ابن أبي عتيق، فقال لـه: وعليـك السـلام يـا فارس العمياء، فقال: ما هذه العمياء؟ قال: قولك:

تقـــدَّتْ بـيَ الشهباء نحو ابن جعفر سـوــاء عليها صحـــوها وغيارها

وهذه صفة العمياء، قال ابن قيس: أريدُ جدَّها في السير واقتحامَها الظلمة، قال: بيتُك إذن يحتاج إلى تُرجمان!. وتوفي عبـد الله بـن جعفـر رضـي الله عنه بالصُّداع فرثاه ابن قيس بمراثي منها قصيدة يقول فيها:

قال يشكو الصـداع وهْو سقيم بك لا بالذي نعيــت الصـداع

أَبْنَ أسمـــاء ـ لا أبا لك ـ تنعي؟ إنــــه خـــيرُ هالِكٍ نفّاع

---

(1) الهجمة: الأربعون من الإبل فما فوق أو ما بين السبعين إلى المائة.

(2) تمانح: تدر في الشتاء، والمانح أي التي يبقى لبنها بعد ذهاب ألبـان الإبـل، وأمنحـت الناقـة: دنا نتاجها.

ومن مدحه لابن جعفر قوله:

إذا زُرتُ عبدَ الله ـ نفسي فداؤه ـ رجعـــت بفضـل من نداه ونائل

وإن غبت عنه كان للود حافظا ولم يك عـــني في المغيـــب بغافل

تداركني عـبد الإله وقد بدت لذي الحقـد والشّنْآن مني مقاتلي

وأنقذني من غمرة الموت بعدما رأيت حياض المـوت جمَّ المناهل

حَبانـــيَ لما جئتـــه بعطيـــة وجارية حسناء ذات خـــلاخل

تتمة: لم يذكر الناظم رحمه الله للؤي إلا عامرًا وكعبا، إذ هما قريش مكة، وغيرهما من بنيه دخلوا في قبائل العرب؛ وهم سامة وخزيمة[1] والحارث[2] وسعد وعوف، على القول بأنه ابنه؛ وذكره الناظم في ذبيان وذكر تذبذبه بين لؤي وسعد بن ذبيان[3].

أما سعد بن لؤي فهم بُنَانَةُ (بضم الباء وتخفيف النون ـ كثمامة ـ) منهم المحدث الزاهدُ ثابت البُناني[4] نسبوا إلى حاضنة اسمها بنانة[5].

وأما سامة فكان بينه وبين أخيه عامر شيء ففقأ سامة عينَ عامر، فأخافه عامر؛ فخرج سامة إلى عُمان وسكنها، ثم سافر على ناقة فبينما هو يسير عليها إذ وضعت رأسها تَرْتَعُ فأخذت حَيةٌ بمشفرها فنهشتها فرفعت رأسها تحكه من الألمِ فوقعت الحيةُ على سامة فنهشته أيضا فوقعت

---

(1) ويقال لبني خزيمة بن لؤي هؤلاء عائذة باسم أمهم وهي امرأة من اليمن أم بني عبيد بن خزيمة بن لؤي، وقيل هي عائذة بنت الخمس بن قحافة من خثعم وبنو عائذة هؤلاء في شيبان بن ثعلبة.

(2) وبنو الحارث بن لؤي هؤلاء هم جشم بن الحارث، وهم في هِزان في ربيعة.

(3) قيل من وَلدِ لؤي: عوف، أمه الباردة بنت عوف بن غنم بن عبد الله بن غطفان. ولما مات لؤي خرجت بابنها عوف إلى قومها فتزوجها سعد بن ذبيان بن بغيض فتبنّى عوفا، والصحيح ما تقدم في النظم وهو قوله: **أو للؤي عوفهم**..إلخ، وعليه اقتصر ابن هشام.

(4) تابعي روى عن خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك. عاش بالبصرة ومات سنة 123 أو127هـ ـ [تهذيب التهذيب:2/2-4].

(5) وهم في شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وبنانة التي ينسبون إليها من بني القين بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة.

الناقة إلى جنبها، فلما أحس سامة بالموت قال:

عين فابكي لسامـــة بن لـؤي علقت ساقَ سامـــة العلاَّقه[1]

لا أرى مثل سامــــة بنِ لؤي يوم حلــوا به قتيـــلا لناقَــهْ

بلغا عامــــرا وكعبا رســولا إن نفســي إليهما مشتاقــــهْ

إن تكـــن في عُمان داري فإني غالِبِيٌّ خرجـــت من غير فاقهْ

رب كأس هَرقْــتَ يا ابن لؤي حـــذر الموت لم تكن مهراقه

رُمْــتَ دفعَ الحتوفِ يا بن لُؤَيٍّ ما لمن رام ذاك بالخـــرق طاقهْ

وخَـــروس السُّرى تركت رَذِيًا بعد جـــد وجدَّةٍ ورشاقــه[2]

وقد وفد رجل من بني سامة على النبي ﷺ فانتسب له إلى سامة، فقال عليه الصلاة والسلام: «آلشاعر؟» فقال له بعض الصحابة: كأنك يا رسول الله أردت قوله: رب كأس هــرقت يا ابن لؤي..إلخ؟ قال: «أجَل»[3].

نسب كعب بن لؤي

بِمَوْتِ كَعْـــبٍ أَرَّخُوا لِشُهْرَتِهْ رَدَّ إِلَى الــدِّينِ أَهَالِي مَكَّتِــهْ

يَدْعُــو إِلَى النَّبِيِّ كُلَّ جُمُعَهْ بِخُطَـــبٍ كُلَّ الرَّشَادِ مُودَعَهْ

يقول إن قريشا وغيرهم كانوا يؤرخون **بموت كعب** بن لؤي **لشهرته**،

---

(1) العلاقة (بتشديد اللام) المراد بها هنا: الحية التي تعلقت بالناقة.

(2) الرذيُّ: الضعيف المهزول.

(3) ولما فرغ الناظم من بني الحسل وبني معيص ابني عامر بن لؤي شرع يتكلم على بني كعب بن لؤي ـ عمود النسب ـ فقال رحمه الله وعفا عنه:

يقولون: كان كذا.. لكذا بعد موت كعب، كتاريخنا الآن بالهجرة النبوية ـ على صاحبها أفضلُ الصلاة والسلام ـ وداموا على ذلك إلى أن قدم عليهم الفيل فأرَّخوا به، وبينهما خمسمائة وعشرون عاما. وعام قدوم الفيل هو عامُ مولد النبي ﷺ، سبقه الفيل بخمسين ليْلة. وأضاف **مكة** إلى كعْب لأنه سيد أهلها غير مدافع. **وكل الرشاد**: مفعول ثان **لمودعه**. **والدين** الذي **رد** إليه كعبُ أهلَ مكة هو دينُ إبراهيم عليه السلام، وهو الحنيفية البيضاءُ السهلة التي جاء بها النبي ﷺ. قوله: **يدعو إلى النبي كل جُمعه**: يعني أنه كان كل جمعة يجمع أهل مكة، ولذلك سميت **الجمعة** لجمعه الناس فيها، وكان اسمها *العروبة*.

وكان يخطبهم؛ ومن خطبه إياهم: *أيها الناس اسمعوا، وعوا، وافهموا وتفهَّمُوا، ليل ساج، ونهار ضاح، والسماء بناء، والأرض مهاد، والنجوم أعلام، لم تخلق عبثا فتضربوا عن أمرها صفحا، الآخرون كالأولين، والدار أمامكم، واليقين غير ظنكم، صِلوا أرحامكم، واحفظوا أصهاركم، وأوفوا بعهدكم، وثمروا أموالكم، فإنها قِوامُ مروءتكم، ولا تَصُونوها عما يجب عليكم، وعظموا هذا الحرم وتمسكوا به، فسيكون له نبأٌ عظيم، وسيخرج منه نبي كريم*[1].. ثم ينشد أبياتا منها:

صروف وأنباءٌ تقلب أهلها ... لها عقدة ما يُستَحلُّ مَريرُها
على غفلة يأتي النبيُّ محمد ... فيخبر أخباراً صدوقا خَبيرُها

---

(1) ويأمرهم باتباعه والإيمان به ويخبرهم أنه من ولده.

ثم يقول:

يا ليتني شاهد فحواءَ دعوتِه   حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

أما والله لو كنت ذا سمع وذا بصر ويدٍ ورِجلٍ لَتنصَّبتُ فيها تنصب الفحل، ولأرقلت فيها إرقال الجمل، فرحا بدعوته جذلا بصرخته.

أَبُو عَـدِيٍّ وَهُصَيْصٍ مُـرَّهْ   فَمِنْ عَـدِيٍّ قُطْبُهُمْ ذُو الدِّرَّهْ

ذكر أولادَ كعب وعَدَّهُم، وبدأ **بعَدِي** على **هُصيص**، لأن منهم سيدَنا وإمامَنا عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، وأتبعه هُصيصا وأخر عمودَ النسب - وهو مُرةَ - لأن ذلك صنيعُه، اهتماما به، ولأنه الأصل؛ وتقديم الفرع على الأصل في مثل هذا أولى. **وقطب** القوم: سيدُهم الذي عليه مدارُهم؛ مأخوذ من قطب الرحى، وهو العود المنصوب فيها الذي تدور عليه، وقطب السماء نجمٌ ثابتٌ لا يغرُب ولا يتحرك عن مكانه ويدور عليه من النُّجوم بنات نعش وغيرها. **والدِّرة**: اسم عصا عمر رضي الله عنه التي اتخذ لتأديب الناس؛ يضرب بها العاصي. ثم اتخذت الملوك بعده السيف، وأول من اتخذه معاويةُ، مع سعة حلمه؛ لاستجابة دعوة النبي ﷺ له حين قال له: «ما يليني منك»؟ قال: بطني، قال: «ملأ الله بطنك حلما وعلما»[1]. **وهصيص** (كزبير): أبو قبيلتين عظيمتين من قريش هما سهمٌ وجمحُ ابنا عمرو بن هصيص.

---

(1) رواه الترمذي.

ثم قال رحمه الله:

سِرَاجُ أَهْـلِ الْجَنَّةِ الْبَرُّ الأَغَرّْ أَبُو الْفُتُـوحِ نُورُ الاِسْلاَمِ عُمَرْ

السـراج: المصباح. والبر (بالفتح): فاعل البرِّ (بالكسر). **والأغـر**: الكريم. ويكنى عمرُ أبا الفتوح لكثرة فتوحاته.

ترجمة عمر بن الخطاب وبعض مناقبه

وأشار في أول البيت وفي آخره إلى ما روي أن عمر أتاه يوما الحسن والحسين، فأمسكهما سائر ذلك اليوم فبالغ في إكرامهما ثم كساهما وأرسلهما، فأتيا عليا فأخبراه فَسُرَّ بذلك وقال: إني لأعرف في عمر خيرا من هذا: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عُمَرُ سِرَاجُ أهلِ الجنـةِ؛ عمر نورُ الإسلام»[1]، فرجعا إليه وأخبراه بما قال أبوهما، فدعا ابنه عبدَ الله فأمره بكتب هذه الكلمات وأوصاه إذا مات أن يدفنها معه. فلما توفي رضي الله عنه دفن عبدُ الله معه الورقةَ، فأصبح مكتوبا على ظهر القبر: "صدق سَيدا شباب أهلِ الجنة وصَدَقَ أبُوهما وصدق رسول الله ﷺ الصادقُ المصْدُوق: عمر سِراجُ أهلِ الجنة؛ عمر نورُ الإسلام".

قلت لا يستغرب مثلُ هذا في حق سيدنا أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إذ هو قطبُ المسلمين جميعهم لا بني عدي خصوصا، لقيامه بحقوقهم

---

(1) رواه البزار عن ابن عمر. وابن عساكر من حديث أبي هريرة والصعب بن جثامة. وضعفه السيوطي.

الدنيوية والأخروية ولاتفاق أهل السنة على أن أفضل الناس بعد الأنبياء أبو بكر ثم عمر.

ومن قيامه بحقوقهم أنه كان يتحسَّس الديار ليجد مَن به خَلَّةٌ فيسدها، فسمع ليلة امرأة تقول لابنتها: أوفي اللبنَ بالماء، فقالت البنتُ: نهى أمير المؤمنين عن غُشِّ اللَّبَنِ[1]، فقالت الأمُّ: مَن يُعلم أمير المؤمنين بفعلك؟ فقالت البنت: ما كنت لأطيعهُ شاهدا وأعصيَه غائبا.

فلما غدا قال لأحد بنيه: إني الآن لا أريدُ التزويج فتزوج هذه الجاريةَ.

وبينما هو ذات ليلة إذ سمع عجوزا تشكو فاقتَها وفاقةَ عيالها فأتاها فسألها فشكت له وجعلت تسُبُّ أميرَ المؤمنين، فقال لها: وما يدري أمير المؤمنين بحالك؟ فقالت: مِن أيْنَ لَهُ أن يغفُلَ عن حالنا؟ فذهب فأتى بدقِيقٍ فأوقد نارا ونفخها بفيه وطبخ لها ولصبيانها حتى شبِعوا، ثم جعل يلاعبهم ويُرْكِبُهم على ظهره على أنه كالدابة لهم.

ويوم قتل أصاب المدينة مثلُ ما أصابها يوم توفي رسول الله ﷺ حتى كان الصبي يقول لأبيه: يا أبت هل قامتِ القيامةُ؟ فيقول: لا ولكن قتل عمر. وخلافته عشرُ سنين، قدر مدة النبي ﷺ بالمدينة، وعمره ثلاث وستون سنة ـ مثل عمرِ النبي ﷺ ـ إلا أن خلافته زادت على المدةِ النبوية بستة أشهر، كأنه يبين ويقوِّي ويجددُ للناس ما شرعه لهم رسول الله ﷺ.

---

(1) أي خلطه بالماء، يقال: لَبنٌ مغشوش أي مخلوط بالماء غير خالص.

نسب عمر رضي الله عنه

وهو ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رِياح بن عبد الله بن قُرط بن رَزاح[1] بن عدي بن كعب بن لؤي وكنيته أبو حفص، والحفص ولد الأسد؛ كناه النبي ﷺ به يوم بدر لشدته في أمر الأسارى. وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة[2]، وغلط من قال إنها بنت هشام، وهي بنت عم أبي جهل وليست بأخته.

قتله أبو لؤلؤة ـ غلامُ المغيرة بن شعبة، وهو مجوسي، وقيل نصراني ـ فقال لابنه عبد الله: انظر من قتلني؟ فقال: غلام المغيرة بن شعبة، فقال: الحمد لله الذي لم يجعلْ منيتي بيد رجل[3] يحاجني بلا إله إلا الله.

ولما طعنه وهو في صلاة الصبح قال[4] للناس: قتلني الكلبُ ابنُ الكلب، فابتدرهُ الناسُ فجعل يضرب يمينًا وشمالاً فطعن اثني عشر رجلا، حتى أَلقى عليه رجل بُرنُسًا؛ فلما رأى أنه لا يستطيع النجاة نحر نفسه[5].

فأمر عمر أن يدعى له الطبيب[6]، فقال له: أي الشراب أحب إليك؟

---

(1) نفيل: بصيغة التصغير. ورياح: بكسر الراء، وقرط: بضم القاف، ورزاح: بفتح الراء والزاي.

(2) ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية.

(3) ..يدعي الإسلام، وفي رواية: بيد رجل سجد لله سجدة واحدة يحاجني..

(4) أفي الناس عبد الرحمن بن عوف؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين هو ذا. فتناوله بيده وقال له: تقدم صل بالناس، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة. وحمل عمر إلى منزله.

(5) ثم حمل عمر إلى منزله وقال لابنه عبد الله: ائذن للناس، فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلمون عليه ثم قيل له: لو دعوت الطبيب.

(6) فَدُعي له طبيب من بني الحارث بن كعب.

قال: النبيذ، فسقاه نبيذًا فخرج من الطعنة[1]، فقال له: لا أراك تصلي الظهر فما أنت فاعل فافعله، فجعل الشُّورَى[2]، وأمر صهيبا بالصلاة عليه وأوصى الناس أن يصلي بهم في ثلاثِ الشُّورَى. ولما احتضر قال لابنه عبد الله - ورأسُه في حجره -: اذهب إلى أم المؤمنين عائشة فاستأذنها لي أن أدفن مع صاحبَيَّ فإن أذنت فادفني معهما وإلا فادفني مع أصحابي بالبقيع، واقض عني ديوني[3] واستعن عليها ببني الخطاب ثم ببني عدي ثم بقريش ولا تجاوزهم إلى غيرهم، وجعل يقول:

ظلوم لنفسي غير أنيَ مسلم   أصلي صلاتي كلها وأصومُ[4]

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

---

(1) .. مُشكِلا فسقاه لبنا فخرج من جوفه أبيض، فعلم أنه ميت؛ فقال له: لا أراك..الخ.

(2) أي جعل الأمر شورى في ستة هم: عثمان وعلي وابن عوف وسعد وطلحة والزبير، وقال: ما أحد أحقُّ بهذا الأمر من الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ، وأجَّلهم ثلاثة أيام فاجتمعوا بعد دفن عمر ثم فوض خمستُهم الأمرَ إلى عبد الرحمن بن عوف ورضوا بحكمه فاختار عثمان وبايعه بمحضر من الصحابة فبايعوه بالخلافة وانقادوا له، وكان عثمان أسنهم.

(3) قيل إنهم حسبوها فوجدوها ستة وثمانين ألفا أو نحوها - [الخميس].

(4) ومضى ابن عمر إلى عائشة وسلم واستأذن ثم دخل فوجدها تبكي فقال: يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي. فلما أقبل قيل: هذا عبد الله قد جاء - وكان عمر متطلعا إليه - فقال: ارفعوني فأسندوه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين قد أذنت، فقال: الحمد لله ما كان شيء من الأمر أهم إلي من ذلك، فلما توفي خرجوا به وصلى عليه صهيب ودفن مع صاحبيه في الحجرة النبوية في بيت عائشة رضي الله عنها.

فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَفِي الشَّامِ لَهُ ... مَا لَمْ يَكُـنْ لِذِي الْخِلَالِ قَبْلَهُ

عَلَى زُهَاءِ أَرْبَعِينَ أَلْفَا ... فِي الْعَامِ يَحْمِلُ عَلَيْهَا الزَّحْفَا

عَلَى بَعِيرٍ رَجُلُ لِلشَّامِ ... وَرَجُلَانِ لِلعِرَاقِ السَّامِي

يعني بـ**الشرق** العراق وبـ**الغرب** مصر وما والاها من البلاد التي ليست من الشام. **وذو الخلال**: سيدُنا أبو بكر رضي الله عنه. وقوله: **ما لم يكن**: **ما**: مبتدأ خبره متعلق له **قبله**، أي الذي لم يكن قبله لأبي بكر كائن له في الشرق..إلخ. وزهاء: أي نحو، وتمييز العدد بعير محذوفٌ. **والزحف**: الجيش. **والسامي**: الرفيع، وصف به العراق لكثرة مياهه وأشجاره ولِمَا فيه أهله من نعيم الدنيا من لبسِ الحرير وكثرة الأموال؛ وهو من عبَّادانَ إلى المَوْصل طولا، ومن القادسية إلى حُلوان عرضا. **والشام**: تقدم.

يعني أن عمر رضي الله عنه كل عام يجهز الجُيُوش إلى العِراق والشام، أما الشامُ: فيحمل **على بعير** رجلا واحدا، لتباعد المياه في الطريق إليه ولوعر الأرض دونه وصلابتها، ومنها الدُّرُوبُ التي لا تسكن. وأما **العراق**: فيحمل على بعير **رجلين**، لتقارب المياه في الطريق وسهولة الأرض.

أما الشام فأهله الروم وملوكهم القياصرة، وأقر على جيوشه أمراء أبي بكر قبله إلا خالد بن الوليد ـ الذي هو أمير على الأمراء ـ عزله وجعل مكانه أبا عبيدة. وأما العراق فأهلها الفرس وملوكهم الأكاسرة، وأول أمرائه لها أبو عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي ـ والد صفية بنت أبي عبيد زوج عبد الله بن عمر، وهو أيضا والد المختار الكذاب ـ فكان منه يوم جسر أبي عبيد، استشهِد فيه هو وألف وثمانمائة من المسلمين، وقيل أربعة

آلاف، بين قتيل وغريق، ثـم أمَّـر المثنى بـن حارثـة وجرير بـن عبـد الله البجلي، وأصيب المثنى. ثم قدَّم سعدا ابن أبي وقَّاص وقال لـه: لا يغرنـك أنك خال رسول الله ﷺ وصاحبه؛ ففتح الله على يديـه في القـوادس، ولم يزل يتتبع فُلُولَهم حتـى لم يبـق منهـم إلا مـن بـأيدي المسـلمين بـالمُلك أو بالإسلام. وذلك من معجزاته صلى الله عليه وسـلم، لإخبـاره بـه بقولـه: «فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارسَ بعدهمـا ولا كسـرى»[1]، ولإجابـة دعائه عليهم: ـ حين مزق مَلِكُهم كسرى أبرويـز كتابـه ـ «مـزق كتـابي مزق الله مُلكَهُ»[2].

وَجَاءَ فِي الْحَـدِيثِ أَنَّ عُمَرَا ... مُحَـدَّثٌ وَأَنَّ ذَلِكَ يُـــرَى

لِخَيْـرِ أُمَّـــةٍ وَكُـلُّ الْخُلَفَا ... مُكَاشَفٌ لَهُ وَصَحْبُ الْمُصْطَفَى

لاَ يَتَشَوَّفُـونَ لِلكَرَامَـــهْ ... لِلكَشْـفِ بَل لِّنَيْلِ الاِسْتِقَامَهْ

وَقَلَّ مَن بِالْكَشْفِ مِنْهُمُ اشْتَهَرْ ... وَبَعْدَهُـمْ عَلَى الْخَلاَئِقِ ظَهَرْ!

أتى بمعنى **الحديث** دون لفظه، وهو: «كان فيمـن قبلكـم محدثـون فـإن كان فيكم فعمـر»[3] أو كمـا قـال صلـى الله عليـه وسـلم، **والمحدَّث**: مـن

(1) ذكره ابن الأثير.

(2) رواه أحمد.

(3) وفي رواية: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدّثون فإن يكن في أمَّتي أحد فإنه عمـر» ـ [رواه البخاري عن أبي هريرة].

تتكلم الملائكة على لسانه فيحدث هو بذلك[1].

قوله: **وكل الخلفا مكاشف له**: أما أبو بكر فمما ظهر من مكاشفاته قوله لعائشة: "ذو بطن بنت خارجة أُراهُ أُنثى" فكان كذلك. وأما عمر فمنه قصةُ سارية المتقدمةُ. وأما عثمان فمنه قوله لأنس بن مالك وقد دخل عليه، وكان ينظر في محاسن إحدى زوجات عثمان: يدخلِ علي أحدكم وفي عينيه أثر الزنى، فقال أنس: أَوَحْيٌ بعد رسول الله؟! فقال: لا ولكن فراسة المؤمن. وأما علي فمنه ما روي أن معاوية أمر عمرو بن العاص أن يحتال لعلي حتى يعلم من عنده أيهما ـ أي علي ومعاوية ـ الأول يموت، لِما يعلمان من مكاشفاته؛ فجاء عمرو وقال له: أحسن الله عزاءك في ابن عمك معاوية، فقال عليٌّ: ما كان معاوية ليموت قبلي.

والصحابة رضوان الله عليهم لا يرون الكشف دَليلاً على الكرامة ـ أي الوَلاية ـ وإنما يستدلون عليها بظهور الاستقامة، كسلمان وحذيفة وأبي ذر وأشباههم. **وقَلَّ** من الصحابة من **اشتهر بالكشف**، لكن لما ذهبوا ظهر على الأولياء، حتى كان في هذا الزمان أشرفَ من العلم المعمول به والصلاح والاستقامة، والخلق مشتغل بالغيب.. واعمراه!!

بعض موافقات عمر رضي الله عنه

ومن تحديث عمر: موافقاته للوحي مرارا وكذلك للصواب، قال رضي

---

(1) وقال الأبي: محدثون أي تكلمهم الملائكة لرواية "مكلمون"، وقيل معناه يجري الصواب على ألسنتهم.

الله عنه: وافقني ربي في ثلاث[1]: في أسارى بدر وفي نزول الحجاب وفي نساء النبي ﷺ. أما أسارى بدر فأشار إلى النبي صلى الله عليه وسلم في قتلهم وجدَّ في ذلك، بخلاف أبي بكر؛ فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2] موافقة لإشارة عمر. وأما نزول الحجاب فسببُه أن عمر دخل على النبي ﷺ فوجده مع عائشة يأكلان حيسًا فأمره أن يأكل معهما، فمس إصبع عائشة فقال: حَسٍّ[3] وددت لو أُطاعُ فِيكُنَّ، فنزلت آية الحجاب[4]. وأما نساء النبي ﷺ فدخل عليه حين آلى من نسائه فقال: يا رسول الله إن طلقتهن فالله معك وجبريل وأنا وأبو

---

(1) صحيح البخاري.

(2) الأنفال: 67.

(3) حس (بفتح الحاء المهملة وتشديد السين والبناء على الكسر): كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مضَّه وأحرقه غفلة، كالجمرة والضر بة ونحوها؛ وفي حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه حين قطعت أصابعه يوم أحد قال: "حَسٍّ" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون». وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ليلَةً يَسْري في مسيره إلى تبوك فسار بجنبه رجل من أصحابه ونعسا فأصاب قدمُه قدمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "حَسٍّ". فهي من أسماء الأصوات المبنية وتقال عند التوجع ـ [لسان العرب وغيره].

(4) وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ﴾ (الأحزاب: 53). وروى أبو داود الطيالسي عن أنس بن مالك قال: قال عمر: وافقت ربي في أربع ـ الحديث ـ وفيه: "قلت: يا رسول الله لو ضربت على نسائك الحجاب فإنه يدخل عليهن البر والفاجر، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ الآية.

بكـر[1]. ووافق الوحي والصواب في غير هذا، قال ﷺ: «إن الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبهِ»[2].

آخِـرُ مَنْ أَسْلَمَ عِندَ الأَرْقَمِ وأَخْـرَجَ الْقَـوْمَ وَلَمْ يُنتَقَـمِ
مِنْهُـمْ، كَمَا وَقَـعَ لِلْعَتِيـقِ وَالْقَوْمِ مِنْ أَذًى وَمِن تَمْزِيقِ

---

(1) فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ - الاية (التحريم: 4). وفي القرطبي عن عمر قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت في وجهه الغضب فقلت: يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء؛ فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقلما تكلمت - وأحمدُ الله - بكلام إلا رجوت أن يكون الله عز وجل يصدق قولي الذي أقول فنزلت آيةُ التخيير: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ..﴾ (التحريم: 5) ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ..﴾ - الآية.

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم قال: فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا فقال: لأقولن شيئا أضحك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «هنَّ حولي كما ترى يسألنني النفقة»، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول: تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده؟! فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ليس عنده. ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين ثم نـزل عليه قولـه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ حتى بلغ: ﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ - [القرطبي].

(2) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد والبزار عن أبي هريرة. وأخرجه الطبراني من حديث عمر بن الخطاب وبلال ومعاوية بن أبي سفيان وعائشة رضي الله عنهم. وأخرجه ابن عساكر من حديث ابن عمر.

وَعَـــزَّ الاِسْــلاَمُ بِهِ وَوَتَرَا   عُتْبَـةَ مِمَّا بِالْعَتِيـــقِ مَكَرَا

يعني أن عمر رضي الله عنه هو **آخر من أسلم** من الرجال والنساء في دار **الأرقم** بن أبي الأرقم، التي أسلم فيها أربعون ـ كما يأتي ـ قيل رجالا وقيل بين الرجال والنساء[1]، فلما أسلم أخرج من فيها من المسلمين من الاختفاء، وكانوا مختفين عن قريش خوف تعذيبهم بالأذى والضرب حتى يفتنوهم عن دينهم. **والقوم**: الصحابة، فلما أخرجهم لم يقدر أحد من قريش أن **ينتقم** منهم كما فعلوا بالسابقين، كأبي بكر وغيره، من الأذى وتمزيق الثياب والأعراض والأبدان، **لعز الإسلام** بعمر وحمزة، وكان أسلم قبله قريبا.

قوله: **ووترا عتبة**: أي انتقم منه، بسبب مكره بأبي بكر في اليوم الذي قبل إسلام عمر ـ أو إسلام حمزة ـ وهو أنهم أرادوا رسول الله ﷺ بالأذى فقام أبو بكر دونه فضربوه وصفعه **عتبة** بن ربيعة صفعة أغمي عليه منها يوما وليلة وقومه من بني تيم جلوس عنده، وحلفوا أنه إن مات ليقتلون عتبة. فلما أفاق كان أول كلامه أن سألهم عن النبي ﷺ، وأبى أن يطعم ذواقا أو شرابا حتى يلقى رسول الله ﷺ ليعلم ما ناله من أذى قريش.

فلما أسلم عمر تعرض لعتبة فصفعه على الوجه صفعة أشَدَّ مِن صَفْعَتِـه

---

(1) في *الاستيعاب والحلة السيرا* أنه أسلم بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة. وكان إسلامه في العام الخامس ـ وقيل السادس ـ من النبوة بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب بثلاثة أيام ـ [سموط الذهب].

لأبي بكر، فمن حينئذ لم تصل قريش إلى أذى النبي ﷺ وأصحابه، لعز الإسلام بعمر وحمزة. وكان خباب بن الأرَتّ يقول: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر(1).

قصة إسلام عمر رضي الله عنه

وكان بدء إسلامه فيما يروى عن ليلى بنت أبي حثمة العدوية، زوج عامر بن ربيعة العنزي حليف بني الخطاب، أنها قالت: إنا لنرتحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علي وهو على شركه، وكنا نلقى منه الشدة علينا والأذى والبلاءَ فقال: إنه الانطلاق يا أم عبد الله؟ قالت: فقلت: نعم؛ والله لنخرجن في أرض الله.. آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا مخرجا، فقال: صحبكم الله، ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وقد أحزنه ـ فيما أرى ـ

---

(1) وعن ابن عباس أنه لما أسلم عمر قال: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا؟ قال: «بلى» قال: ففيم الاختفاء؟ قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه في صَفَّيْن في أحدهما عمر وفي الآخر حمزة حتى دخلوا المسجد، فنظرت قريش إلى عمر وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة، فسمَّاهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق. وقال المشركون: قد انتصف القوم منا. وقال ابن مسعود: كان إسلام عمر فتحا وهجرته نصرا وإمارته رحمة، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصل إلى البيت، حتى أسلم فقاتلهم حتى تركونا وسبيلنا. وقال حذيفة: لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قوة، فلما قتل كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا ضعفا. وقال صهيب: لما أسلم عمر ظهر الإسلام ودُعي إليه علانية وجلسنا حول البيت حِلقا وطفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا ورددنا عليه بعض ما يأتي به.

خروجُنا. قالت: فجاء عامر بحاجته تلك فقلت له: يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورِقّته وحزنه علينا، قال: أطَمِعتِ في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم، قال: والله لا يُسْلمُ حتى يُسْلِمَ حمارُ الخطاب! يأْسًا منه لما كان يرى من غِلظته وقسوته عن الإسلام - (انتهى ما روي عن بنت أبي حثمة).

وكان إسلام عمر بعد خروج أهل الحبشة. وسبَبُه أن أخته فاطمةَ بنت الخطاب كانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيدُ بن زيد وهما مستخفيان بإسلامهما، وكان نعيم بن عبد الله النحام - من بني عويج بن عدي - قد أسلم وكان يستخفي بإسلامه فرَقا من قومه، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يُقرِئها القرآن؛ فخرج يوما عمر مُتَوشِّحًا سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطا من أصحابه، قد ذُكِر له أنهم اجتمعوا في بيت عند الصفا، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمُّه حمزة وأبو بكر وعلي في رجال من المسلمين؛ فلقيه نعيم فقال: أين تريد يا عمر؟ قال: أريد محمدا هذا الصابئ الذي فرّق أمر قريش وسفّه أحلامهم وعاب دينهم وسب آلهتهم فأقتله، فقال له نعيم: والله لقد غرَّتك نفسك من نفسك يا عمر! أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا، أفلا ترجع إلى أهل بيتك وتقيم أمرهم؟ قال: أي أهل بيتي؟ قال: ختَنُك وابنُ عمك سعيدُ بن زيد وأختك فاطمة، فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما. فرجع عامدا إلى أخته وختَنِه وعندهما خباب بن الأرَتِّ معه صحيفة فيها "طه" يقرئهما إياها، فلما سمعوا حِسَّ عمر تغيب خباب في مخدع في البيت، وأخذت فاطمة الصحيفة وجعلتها

تحت فخذها وقد سمع عُمَر هينمة خباب، فلما دخل قال: ما هـذه الهينمة التي سمعت عندكم؟ قالا: ما سمعت شيئا، قال: بلى وا لله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه؛ وبطش بختنه فقامت إليه أخته لتكفه عن زوجها فضربها فشجها. فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم قد أسلمنا وآمنا با لله ورسوله فاصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم وارْعوى وقال لها: اعطيني هذه الصحيفةَ التي سمعتكم تقرأونها آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد ـ وكان عمر كاتبا ـ فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي وحلف لها بآلهته ليردنها عليها إذا قرأها، فلما قال لها ذلك طمعت في إسلامه فقالت له: يا أخي إنك نجَس على شركك وإنه لا يَمَسُّه إلا المطهَّرون، فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها "طه" فقرأها، فلما قرأ منها صدراً قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه. فلما سمع خباب ذلك الكلام خرج إليه فقال: يا عمر وا لله إني لأرجو أن يكون ا لله قد قبل دعوة نبيه فيكَ فإني سمعت رسول ا لله ﷺ أمسِ يقول: «اللهم أيد هذا الدين بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب»[1] فا لله ا لله يا عمر، قال: دُلَّني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم، فقال له خباب هو في بيت عند الصَّفا معه رهط من أصحابه. فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول ا لله ﷺ وأصحابه، فضرب

---

(1) وفي رواية: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب» ـ [رواه الترمذي وذكره ابن سعد في طبقاته].

عليهم الباب؛ فلما سمعوا صوته قام رجل منهم فنظر من خِلالِ الباب فرآه متوشحا السيف فرجع وهو فزع فقال: يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف، فقال حمزة: فائذن له فإن كان جاء يريد خيرًا بذلناه له وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه، فقال رسول ﷺ: «ائذن له»، فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجْرة فأخذ مجمع ردائه وجذبه جذبة شديدة وقال: «ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله فيك قارعة؟»، فقال: يا رسول الله جئت لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عنده، فكبَّرَ رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عُمَرَ قد أسلم، فتفرقوا من مكانهم وقد عَزُّوا في أنفسهم بإسلام حمزة وعمر وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ.

أوْلَادُهُ: عَوَابِدُ الرَّحْمَانِ وَعَاصِمُ، زَيْدُ وَزَيْدُ ثَانِ
عَبْدُ الإِلَهِ وَعُبَيْدُ اللهِ عِيَاضُ تَاسِعُ بَنِي الأَوَّاهِ

عوابد: جمع عابد وقد يسمى به **عبدُ الرحمن**. قوله: **تاسع بني الأواه:** عدَّهم التسعة وترك عاشرهم وهو عبد الله الأصغر، أمه من بني عمرو بن عوف من الأوس، ذكره الزبيري في الجمهرة.

ذكر أبناء عمر رضي الله عنه

أما عبد **الرحمن الأكبر** فأمه زينبُ بنت مظعون بن حبيب، أخت بني مظعون المشهورين: عثمان وإخوته، وهي أم عبد الله وأمنا حفصة؛

هاجرت مع زوجها عمر وبنيها. ولعَبدِ الرَّحمنِ ابنٌ يقال له عبد الله ويلقبُ بَبَّةَ - مِثلُ ابن الحارث بن نوفل[1] - وانقرض.

وأما عبد **الرحمن الأوسط** فهو أبو شحمة، أمه أم ولد[2] وأخته لأمه وأبيه عائشة، وهو صاحب الحدِّ، الذي مات تحت سياط أبيه؛ وحديثُه مضطرب ولا يصح منه إلا أنه مات تحت سياط أبيه قيل في الخمر وقيل في الزنى وقيل فيهما.

وأما **عبد الرحمن الأصغر** فأمه أم ولد أيضا وأخته لأمه زينب[3]، وهو أبو المجبَّر (بصيغة اسم المفعول) لأنه كسر وأتي به إلى عمته أُمِّنَا حَفْصَةَ فقيل لها هذا ابن أخيك المكسر فقالت: بل المجبر فسمي به، وقيل بصيغة اسم الفاعل، لأن أباه مات عنه وهو حمل فلما ولد قالت عمته أمنا حفصة سَمُّوهُ عبد الرحمن لعله يجبر مصاب أبيه، فسمي المجبر؛ وابنه عبد الرحمن بن المجبر من أهل الحديث، قال العمدة في شرح الموطأ: وليس في أهل الحديث مَن اسمه عبدُ الرحمن إلا ثلاثة غيره (اهـ). وابنه داود بن المجبر من

---

(1) ابن عبد المطلب، أي فقد اتفقا في الاسم واللقب، لأن ابن الحارث هذا اسمه عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب ولقبته أمه في صغره بـ"بَبَّة" لكثرة لحمه، وكان والي البصرة - [اللسان].

(2) اسمها لُهيَّة، وهي امرأة من اليمن والأرجح أنها هي أم عبد الرحمن الأصغر أيضا فهما أخوان لأب وأم - [الطبري: تاريخ الأمم: 564/2، والمسعودي: مروج الذهب: 353/2].

(3) بنت عُمر، أي فهي أخته لأمه وأبيه كما في الزبيري وغيره، ويأتي التعريف بها قريبا (انظر صفحة: 706).

أهل الحديث أيضا، وذكر أيضا روايته بالحبر (بالحاء المهملة وتشديد الباء المفتوحة) لجماله.

وأما **عاصم** فأمه جَمِيلَةُ بنت ثابت[1] بن أبي الأقلح، وعاصم أخوها وليس بأبيها على الأصح، طلقها عمر فتزوجها يزيد بن حارثة الأنصاري. فركب عمر فوجد ابنه يلعب مع الصبيان فحمله فأدركته جدتُه الشموس بنت أبي عامر الفاسق فنازعته إياه حتى انتهيا إلى أبي بكر، فقال له أبو بكر: خل بينها وبين ابنها، فما راجعه وأسلمه لها. وكان عاصم من أطول الناس وأعظمهم، لحقه ابن الزبير يوما فضربه بمنكبه وقال له: لا يغرنك طولُك وعظمُك ادخل الزقاق حتى أصارعك، فجعل يضحك؛ وإنما يمازحه ابن الزبير بذلك. وكان عاصم من أحسن الناس خلقا ولا يساب أحدا، قال عبد الله: أنا وأخي عاصم لا نساب الناس؛ وكان عبد الله يحبه، ومات عاصم وعبد الله غائب، فما دخل منزله حتى سلم على قبره[2]. وخرج عاصم حاجا ـ أو معتمرا ـ فنزل قديدا[3] إلى خيمة يستظل بظلها، فأرسلت إليه ربةُ الخيمة وهي لا تعرفه: يا عبد الله إن لي زوجا

---

(1) كانت جميلة هذه تسمى عاصية فَغَيَّر النبي صلى الله عليه وسلم اسمها فقال: «لا بل أنت جميلة».

(2) وتمثل بقول متمم بن نويرة:

فليت المنايا كنَّ خلفن مالكا فعشنا جميعا أو ذهبن بنا معا

وقال: "**خَلَّفْنَ عاصما**"..

(3) قديد (كزبير) موضع بين مكة والمدينة.

غيورا يضربني في كل باطل وإن رآك لقيتُ منه شرا فتحول عنا رحمك الله، قال: ليس عليك مني عين وإنما أرتحل الساعة، وإن جاء زوجك فعرفني لم ينكر عليك منزلي، فألحت عليه تسأله أن يتحول عنها فتحول لما أكثرت عليه إلى ناحية. فمرت به عجوز تدخل على المرأة فناداها فسألها عن المرأة فأخبرته خبرها وقالت: اسمها جلدية بنت أكثم ولها ابن صغير اسمه أكثم، باسم أبيها، وزوجها ربيع بن أصرم وهو شديد الغيرة قد ضربها مرة فترك بها نُدوبا وكسر ثنيتها. فاستوفى خبرها ثم قال شعرا ـ وكان يقول الشعر ـ فلما دخل زوجها منزلها رفع صوته يتغنى بذلك الشعر فقال:

تعفّى قُديد كله فَقُراضِمُ[1] إلى النخل من جلدية ابنة أكثم

ألا إن أبهى الناس أم غُليِّم صغير عليه وَدْعُ جَزْعٍ منظم[2]

بها نَدَبٌ من زوجها وبنيها سمي أبيها وهي قصماء بالفم[3]

وما لي من علم بها غير أنها إذا وصلت قالت ربيع بن أصرم

فلما سمع زوجها الشعر وثب عليها يضربها، فلما بلغ من ضربها بعض ما شفى عاصمًا مشى إليه حتى صاحَ عند بابه، فخرج إليه فقال له

---

(1) قراضم (بضم القاف وكسر الضاد): موضع بالمدينة.

(2) الودع (بسكون ويحرك): نوع من الخرز يعلق لدفع العين. والجزع (بالفتح ويكسر): الخرز اليماني فيه سواد وبياض.

(3) الندب (جمع ندبة بالتحريك فيهما): وهو أثر الجرح الباقي على الجلد. والقصماء: مكسورة الثنيتين من النّصف.

عاصم: ويحك أنا عاصم بن عمر وأخبره قصته، فقال: غفر الله لك ما عرضتنا له يا ابن الفاروق لا آثمك الله، وأمسك عن ضرب زوجته.

وقد حفظ عاصم بن عمر عن أبيه وكان رجلا في زمانه، ويروى عنه أنه قال: زوجني أبي وأنفق علي شهرا ثم أرسل إلي بعدما صلى الظهر فدخلتُ عليه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إني ما كنت أرى هذا المال يحل لي وهو أمانة عندي إلا بحقه وما كان قط أحرم علي منه حين وليته فعاد أمانتي وقد أنفقت عليك شهرا من مال الله ولست زائدك عليه، وقد أعنتك بثُمن مالي فبعه ثم قم في السوق إلى جنب رجل من قومك فإذا أصفق بسلعة فاستشركه ثم بع وأنفق على أهلك.

وأما زيد **الأكبر** فأمُّه أم كلثوم بنت عليٍّ، أُمها فاطمةُ بنت رسول الله ﷺ خطبها عمر إلى عليٍّ فقال عليٌّ: إنها صغيرة وإن لها مالكين غيري، فقال عمر: زوجني يا أبا الحسن. وكان عمر سمع من رسول الله ﷺ: «كل نسب وصهر ينقطعان يوم القيامة إلا نسبي وصهري»[1]، فاستأذن علي ابنيْهِ فأشارا إليه بذلك، فقال عليٌّ لعمرَ: أبعَثُها إليك فإن رضيتها فقد زوجتكها. فبعثها بِبُرد، فقالت له: أبي يقرئك السلام ويقول لك هل رضيت الحُلَّة[2]؟ فقال: نعم ورضي الله عنك، ووضع يده على شيء من

---

(1) رواه أحمد.

(2) الحلة: بالحاء المهملة. وفي بعض النسخ بالمعجمة، ولعله تصحيف؛ ويدل على ذلك رواية ابن سعد (464/8) في ترجمة أم كلثوم: "ان رضيت البرد".

جسدها فقالت له: أتفعل هذا؟ لولا أنــك أمـير المؤمنـين لكسـرت أنفـك، فجاءت أباها فأخبرته الخبر وقالت: بعثتني إلى شيخ سوء! فقــال: مهـلا يـا بنيتي فإنه زوجك.

فولدت له زيدا ورقية، وكـان إذا شـكت إليـه مـن إدخالهـا في تَقَشُّفِه يقول لها: لا يضرك والناس يقولون بنتُ علي بـن أبـي طـالب وزوج أمـير المؤمنين. أما رقيـة فتزوجهـا إبراهيـمُ بـن نعيـم النحـام فولـدت لـه جاريـة وماتت تلك الجارية ثم توفيت رقية، فقال له عاصم بن عمر: إنـي أخـاف أن ينقطع صِهرنا منك، فأخذ بيده فخيره بين ابنتيْـهِ: حفصـة وأم عـاصم، فترك له أمَّ عاصم وهي أجمل لينال بها رغبـة مـن بعـض المُلوك؛ فتزوجهـا عبد العزيز بن مروان فاشترطوا عليه أن يكون جميعُ ما يعطيها مـن صـداق ونحوه من خالص مال آل مروان التليد لا مما نالوا في الْمُلْكِ. فولـدت لـه عمر ثم توفيت عنده. وتـوفي إبراهيـم بـن نعيـم عـن حفصـة ولم تلـد لـه، فتزوجها عبد العزيز بن مـروان فحُملـت إليـه ومـرت بدومـة، وكـان بهـا إنسان به خبل؛ وكانت أم عاصم قد أحسنت إليه، فتعرض لحفصةَ يطمـع فيما نال من أمِّ عاصم فلم تكترث به فقال: "ليست حفصةُ مـن رجـال أم عاصم"، فأرسلها مثلا.

وأمَّا **زيد** وهو زيد الأصغر فشبَّ وكان له ابن وانقرض، وأخـوه عبيـد الله صحابي. ويسمى الأصغر لشرف الثاني عليه بالخؤولة، وأما السن فـلا يصح أن يكون ولِدَ قبلـه لأن "الأصغـرَ" أمُّـهُ مليكــة بنـت جـرول بـن مالك الخزاعيــة، وتلك طلقها عمر في هدنة الحديبيـة حين نـزلـت:

﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾[1] (وخلف عليها بعد أن طلقها عمر أبو جهم وولدت له بنيه إخوة عبيد الله وزيد الأصغر لأمهما). ووقعت حرب بين بني عدي فخرج زيد الأكبر بالليل يحجز بينهم فقتل و لم يُدر قاتلُه، فقال عبد الله بن عامر بن ربيعة العنزي حليف آل الخطاب:

إن عـــديا ليلـــة البقيــــع　　تفرجـــوا عن رجـــل صريع

مقابل في الحـــسب الرفيـــع　　أدركه شــــؤم بني مطيــــع

وماتت أمه أم كلثوم تلك الليلة فالتقت عليهما الصارختان، و لم يُدْرَ أيهما مات قَبْلُ، فلم يتوارثا؛ وصلى عليهما عبد الله بن عمر والحسينُ وهُو الإمامُ، قدمه ابن عمر؛ وانتُزع منه: "وأفضَلُ وَلِيٍّ ولَو وَليَ امْرأةٍ"[2].

عبد الله بن عمر

وأما **عبدُ الله** فهو أكبر ولد عمر، وهاجر ـ مع أبيه وأمِّه ـ وهو ابن عشر سنين، فلما كان يومُ أحد ردَّهُ النبي ﷺ إذ لم يبلغ خمسَ عشرة سنة، وأول مشاهده الخندق بعد ذلك بسنة، و لم يتخلف بعد ذلك عن مشهد من مشاهد رسول الله ﷺ بل ولا عن سريـــة؛ قال: كنت في سريـــة بعثها

(1) الممتحنة: 10.

(2) أي أخذ منه قول خليل في *مختصره*: "ثم أقرب العصبة وأفضل ولي ولو ولي امرأة" يعني أنه يقدم أفضل ولي، ولو كان الأفضل ولي المرأة المجموعة مع الرَّجل في الصلاة عليهما فيقدم ولي المرأة الأفضل على ولي الرجل المفضول اعتبارا بفضل الولي لا بفضل الميت، وبهذا قال مالك رضي الله عنه؛ وقال ابن الماجشون أولياء الرَّجل أحق من أولياء المرأة ـ [جواهر الإكليل].

رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبل نجد فغنمنا وكانت سهامُنا أحدَ عشر ـ أو اثنيْ عشر ـ بعيرا لكل رجل، فنفلنا[1] لرسول الله ﷺ بعيرا من كل رجل. وقال: كنت جالسا مع رسول الله ﷺ في ناس فيهم أَبِي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخبروني عن شجرة مَثَلُها مَثَلُ المؤمن لا يسقط ورقها تؤتي أكلها كل حين»[2]، وكنت أصغرَ القوم فاستحييت أن أتكلم، فلما أكثروا الكلام ولم يصيبوا قالوا: أخبرنا يا رسول الله، قال: «هي النخلة»، فقلت لأبي: وقع في نفسي أنها النخلة، فقال عمر: وددت أنك قلتها وعلي كذا وكذا..

وكان عبد الله يتحفظ ما يسمع من رسول الله ﷺ ويسأل ـ إذا غاب ـ من حضر عما قال وفعل ويتتبع آثار رسول الله ﷺ ويصلي في كل مسجد صلى فيه رسولُ الله ﷺ، وكان يفعل كلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله، فرآه يبول إلى بيت المقدس[3] فكان يفعل ذلك؛ ومنه أخِذ جوازُ استقبال بيتِ المقدس لِقضاء الحاجة بخلاف الكعبة. وكان يتعرض براحلته في كل طريق مرَّ بها رسول الله ﷺ، فقيل له في ذلك فقال: أتحرى أن تقع أخفافُ راحلتي على بعض أخفافِ راحلة رسول الله ﷺ. وكان ـ مع سعة علمه ـ يتأنى في الفتوى وربما يقول لصاحبها: اذهب

(1) النفَلُ (محركة): الغنيمة، ونفله النفَل ونفَّله وأنفله: أعطاه إياه.

(2) أخرجه البخاري في *الأدب*، وأحمد.

(3) رواه البخاري ومسلم، وفي مسلم: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا على لبنتين متجها بيت المقدس.

بها إلى من قلدته أمورك.

لم يتخلف قط عن حجٍ، واعتزل الحرب بين الصحابة ثم نـدم علـى أن لم يكن مع علي. وكان وقف مع رسول الله ﷺ في حجة الـوداع، وكـان يقف ذلك الموقف كلما حج. وحج عام قتلِ ابـنِ الزبـير مَـع الحجـاج بـن يوسف؛ وكان عبدُ الملك كتب إلى الحجاج أن لا يخالف عبدَ الله بن عمر في الحج، فأتاه ابنُ عمر حين زالـتِ الشـمس يـوم عرفـة ومعـه ابنـه سـالم وصاح به عند سُرادقه: الرواحَ.. فخرج إليه الحجـاج في مِلْحفَـةٍ معصفـرة وقال: هذه الساعة؟ قال: نعم، قال: فأمهلْني أصب علـي مـاءً، فدخـل ثـم خرج؛ قال سالمٌ: فسارَ بيني وبين أَبي، فقلت: إن كنـت تحـب أن تصيـبَ السنة فعجِّل الصلاة وأوجز الخُطبةَ، فنظر إلى أبي ليسمع ذلك منـه، فقـال عبد الله: صدق. ثم انطلق حتى وقـف في موقفـه الـذي كـان يقـف فيـه، وكان ذلك الموقفُ بين يدي الحجاج فأمر من نخس به حتـى نفـرت ناقتُـه فسكنها ثم ردها إلى الموقف، فأمر الحجاج أيضا من نخسـها.. إلى ثـلاث، فثقُل على الحجاج ذلك فأمر رجلا معه حربة - يقال إنها مسمومة - فلمـا دفع الناس من عرفة لصِقَ به ذلك الرجل فأمَرَّ الحربةَ علـى رجلـه وهـي في غرز رحله، فمرض منها ابن عمر أياما؛ ودخل عليه الحجاج يعوده وقـال: مَن بك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: ما تصنع به؟ فقال: والله لو علمتُه لقتَلتُه، فقال: ما كنت تقدر على أن تفعل، أنت الذي أمرت بذلك! فخـرج عنـه يقول: لا تقل.. يا أبا عبد الرحمن.

ومات رضي الله عنه بمكة، وصلـى عليـه الحجـاج، وأوصـى أن يدفـن

بالحل فلم يقدروا على ذلك، لازدحام الحاج، فدفن بذي طُوى في مقبرة المهاجرين.

وسكتنا عن غير هذا من مناقب عبد الله بن عُمر وأخباره لشهرتها وكثرتها.

وأما **عبيد الله** فكان رجلا ذا شكيمة، وهو الذي قتل جفينة والهرمزان وابنةَ أبي لؤلؤة وأراد قتل العجم بالمدينة حتى حال المسلمون بينه وبين ذلك، بل منهم من أراد من عُثمان قتلَه قَوَداً فلم يجبهم عُثمان إلى ذلك؛ وكان عبيد الله اتهمهم في قتل عمرَ، وشهد عبد الرحمن بن أبي بكر على أنه اطَّلع على أبي لؤلؤة والهرمزان وجفينة وهم نَجيٌّ[1] ففزعوا منه وسقط منهم خنجر له رأسان مملكه[2] في وسطه، فَأُتي عبدُ الرحمن بالخنجر الذي قُتل به عمرُ فقال: هو هذا.

قيل: ولامتناع عثمان أن يقتصَّ من عبيد الله كان مع معاوية وشهد معه صفين، وكان من أنجاد قريش وفرسانهم؛ فجاء بصفين وعليه جبة خز وبيده سِواك وهو يقول: سيعْلم عليٌّ إذا التقينا، فقيل لعلي: هذا عبيد الله بن عمر، فقال: دمه دم عصفور، فحمل على الناس وهو يقول:

أنا عبيد الله ينميني عمر　　　خير قريش مَن مضى ومن غبر
حاشى رسول الله والشيخ الأغر[3]

---

(1) أي متسارُّون.

(2) أي المكان الذي يمسك منه ليكون ذلك أضمن لتشغيل طرفيه.

(3) يعني بالشيخ الأغر: خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه.

فلما برز بين الصفين قتله ربيعةُ. وسقط إلى جانب فسطاطٍ فشدوا طُنب الفسطاط برجله، وأقبلت امرأته حتى وقفت عليه وبكت فقيل لزياد بن حفصة: هذه بحيرة بنت هانئ بن قَبيصة، فقال: ما حاجتك يا بنت أخي، قالت: زوجي تدفعه إليَّ، فقال: خذيه، فجيء ببَغْل فحملته عليه؛ فقيل إن يديه ورجليه تَخُطان بالأرض. وفيه يقول كعب بن جعيل:

إلا إنما تبكي العيونُ لفارس ... بصفين أجلت خيله وهو واقف

تبدل من أسماء أسياف وائل ... وكان فتى لو أخطأته المتالف

تركن عبيد الله بالقاع مسندا ... تمجُّ دم الجوف العروقُ النوازف

أول مال وقع فيه القراض في الإسلام

وكان عبد الله وعبيد الله في غزوة فأعطاهما أمير العراق مالا من بيت المال، فلما قدما المدينة علم به عمرُ فغضب عليهما وعلى أمير العراق الذي أعطاهما المالَ وقال: حُق له أن يعطيَكما مال الله: ابنا أمير المؤمنين! أديا المال وربحه. أما عبد الله فلم يجبه، وأما عبيدُ الله فحاوره؛ فقال بعض الصحابة: اجعله يا أمير المؤمنين قِراضا، فقال: أما هذه فنعمْ قد جعلته قِراضا[1]، وهو أوّلُ مال وقع فيه القراضُ في الإسلام.

---

(1) في *الموطأ* أنهما خرجا في جيش إلى العراق فلما قفلا مرا على أبي موسى الأشعري وهو أمير البصرة فرحب بهما ثم قال لهما: هاهنا مال من مال الله أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين فأسلفكماه فتبتاعان به متاعا من متاع العراق ثم تبيعانه بالمدينة فتأديان رأس المال إلى أمير المؤمنين ويكون الربح لكما، فقالا: ودِدْنا ذالك، ففعل.. فلما قدما باعا فأربحا. فلما دفعا ذلك إلى عمر قال: أكُل الجيش أسلفه مثل ما أسلفكما؟ قالا: لا، فقال عمر: ابنا أمير

<<=

وأما **عياض** فدرج[1]، وأمه عاتكةُ بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية.

والأواه: كثير التأوه، أي التوجع، أي القائل: *أواه*، أي من خشية الله، وصف به عمر؛ وفيه إقامة الظاهر مقام المضمر.

وأما بناته فأكبرهن أمُّنا **حفصة**، وكانت عند خنيس بن حذافة السهميِّ فجرح يوم بدر فاندمل جرحه ثم انتقض فمات منه، فخلف عليها رسولُ الله ﷺ بعد أن عرضها عمرُ على أبي بكر فلم يرد عليه كلاما، ثم عرضها على عُثمان، بعد أن توفيت زوجه رُقيةُ فأعرض عنه؛ فشكا عمرُ ذلك إلى النبي ﷺ فقال: «يتزوج عثمانُ خيرا من حفصة وتتزوج حفصةُ خيرًا من عثمان»[2]؛ فتزوجها صلى الله عليه وسلم ثم طلقها، فنزل عليه جبريل فقال: راجع حفصةَ فإنها صوامة قوامة وإنها زوجك في الجنة، ففعل. وهي وعائشة تظاهرتا على النبي ﷺ، وسَبَبُ ذلك أنه وطئ أمَتَهُ مارية في بيتها وهي غائبة، فدخلت عليه بالفور فترضاها بتحريم مارية واستكتمها فلم تكتم عن عائشة، لأنهما كانتا متآخيتين، فنزلت سورة التحريم.

وأما **رُقية** فكانت عند إبراهيم بن نعيم كما قدمنا.

المؤمنين فأسلفكما! أديا المال وربحه. فأما عبد الله فسكت وأما عبيد الله فراجعه، فقال رجل من جلساء عمر: يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضا؟ فقال عمر: قد جعلته قراضا، فأخذ عمر رأس المال ونصف ربحه وأخذ عبد الله وعبيد الله نصف ربح المال.

(1) أي لم يخلف نسلا؛ ودرج القوم: انقرضوا.

(2) رواه أحمد.

وأما **زينب**[1] فكانت عند عبد الرحمن بن مَعمر بن عبد ا للهِ بن أبيّ ابن سلول الأنصاري ثم خلف عليها عبدُ ا لله بن عبد ا لله ابن سرُاقَةَ العدوي.

وأما **فاطمة** فكانت عند عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وأمُّها أمُّ حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومية، زوجُ عِكرمة بن أبي جهل؛ ثم قتل عنها يوم اليرموك، فلما حلت تزوجها أبان بن سعيد فلم يقم معها إلا ليلة واحدة وقتل بأجنادين، وكانت تقول: ما أغناني عن ليلة أبان، فخطبها معاوية فردته فتزوجها عمر فولدت له فاطمة و لم تلد غيرها.

وكل بني عمر له عقب إلا ثلاثة: عبد الرحمن الأوسط ـ وهو أبو شحمة صاحب الحدِّ ـ وعياض، وعبد ا لله الأصغر[2].

أما سيدُنا عبد ا لله الأكبر فأولاده الذكورُ أحدَ عشر، منهم سالِمُ، أحد الفقهاء السبعة، وحمل العلم عن غيره من أبناء عبد ا لله. وأما عاصم بن عمر فمن ولده حفص بن عاصم، حمل عنه العلم؛ وهو صاحب حديث النهي عن السُّبحَة للمسافر[3]، قال: "لو كنت مُسَبِّحا لأتْممت

---

(1) زينب بنت عمر هذه أمها لُهيَّةُ، وهي أم ولد، وكانت زينب هذه هي أصغر ولد عمر رضي ا لله عنهم. وقد روت عن أختها حفصة أم المؤمنين ـ [الرياض النضرة في مناقب العشرة، وغيرها].

(2) عبد ا لله الأصغر بن عمر أمه سعيدة بنت رافع بن عبيدٍ الأنصارية من بني عمرو بن عوف ـ [الزبيري].

(3) وفي صحيح البخاري عن ابن عمر أنه قال: صحبت النبي صلى ا لله عليه وسلم فلم أره يسبح في السفر، وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أنه صلى ا لله عليه وسلم رأى قوما يصلون بعد الفرض فقال: "لو كنت مسبحا"..إلخ.

صلاتي»[1]، يروي عن عمه يقول: سافرت مع النبي ﷺ ثم مع أبي بكر ثم مع عمر و لم يسبح أحد منهم قط في السفر. وهذا الحديث في مسلم بغير هذا اللفظ وتعارض مع ما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يتنفَّل على حماره في السفر[2]، فوفقا بأن تنفُّله على دابته في الليل والنهي خاص بالنهار، لأنه وقتُ اشتغال المسافر وتعبه - (قاله أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين). ومن بنات عاصم: أم مسكين تزوجها يزيد بن معاوية فحُملت إليه من المدينة إلى دمشق، وكانت عنده أم ابنه خالد بن يزيد - وهي أمُّ هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة - فقال يخاطبها:

ما لكِ أم هاشم تُبكّينْ ... باعت على بيعك أم مسكينْ

ميمونة من نسوة مَيامِينْ ... زارتك من يثرب في حُوَارينْ»[3]

---

(1) رواه البخاري ومسلم. والسُّبْحة: صلاة التطوع والنافلة، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومئ برأسه، وفيه أيضا: «اجعلوا صلاتكم معهم سبحة»، أي نافلة، ويقال: قضيت سبحتي. وروي أن عمر جلد رجلين سبحا بعد صلاة العصر أي صليا. وذكر بعضهم أن نفي التطوع في السفر محمول على ما بعد الصلاة خاصة فلا يتناول ما قبلها ولا ما لا تعلق له بها من النوافل المطلقة كالتهجُّد والوتر والضحى وغير ذلك، والفرق بين ما قبلها وما بعدها أن التطوع قبلها لا يظن أنه منها لأنه ينفصل عنها بالإقامة وانتظار الإمام غالبا ونحو ذلك، بخلاف ما بعدها فإنه في الغالب يتصل بها فيظن أنه منها - [الحافظ ابن حجر].

(2) متفق عليه.

(3) حُوارين: قرية شهيرة بالشام وهي التي يعنيها جرير بقوله:

أفخرا إذا رابت وطَابُ مجاشع ... وجاء بتمر من حــوارين عيرُها

لَوْ كَانَ بَعْـدَ الْمُصْطَـفَى نَبِيٌّ لَكَانَـهُ ...

قال صلى الله عليه وسلم: «لو كان نبي بعْـدي لكان عمر»[1]. ولَمَّـا أسلم ضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: «اللهم اذهـب مـا في صـدره مـن غـل وأبدلـه إيمانـا» ، وقـال: «إن الله جعـل الحق على لسـان عمـر وقلبه»[2]، وقال صلى الله عليه وسلم: «بينمـا أنـا نـائم أُتيتُ بقَـدَحٍ لـبن فشربت حتى رأيت الري يخرجُ من أظْفـاري ثـم أعطيت فضلـي عمـر»، قالوا: ما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: «العلم»[3]، وقال صلى الله عليـه وسلم: «بينما أنا نائم والناس يُعرضون علي وعليهم قُمُـصٌ منهـا مـا يبلـغ الثدي ومنها ما دون ذلك فعرض عليَّ عمرُ وعليه قميص يجره»، قالوا: ما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: «الديـن»[4]. وقـال ابـن مسعود: لَمجْلِسٌ كنت أجلسُه مع عمر أوثقُ في نفسي من عمل سَنة.

ولي الخلافة بعد أبي بكر فسار أحسن سيرة[5]، وكان لا يخـافُ في الله

---

(1) وفي رواية: «لو كان بعد النبي نبي لكان عمر» - [رواه البخاري في الأدب، والترمذي وابـن ماجه وأحمد].

(2) تقدم تخريجه.

(3) أخرجه الشيخان عن ابن عمر.

(4) أخرجه الشيخان عن أبي سعيد الخدري.

(5) توفي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضـي الله عنـه بـين المغـرب والعشاء ليلة الثلاثاء لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثـلاث عشـرة للهجـرة، فقـام بـأمر

<<=

لومةَ لائم. نقشُ خاتمه: "كفى بالموت واعظا يا عمرُ". أرَّخَ التاريخ من الهجرة، إذ لم يُتفق على سنة البعث فيُؤرخُ بها، وذكروا الوفاة فهابوها خوفَ هيجان الحزن فأرخوا بالهجرة. وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين[1] وكان يقال لأبي بكر خليفة رسول الله ﷺ، فإذا سَمَّوْا بذلك اقتضى طولا فيقال خليفةُ خليفةِ رسول الله ﷺ فيتسلسل ذلك، فسموه أمير المؤمنين[2].

قوله: **لكانه**: على اختيار ابن مالك[3]، فالضمير المتصل هو خبر كان

الإسلام والمسلمين بعده خليفته أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه حق القيام، حتى طعنه الغلام المجوسي أبو لؤلؤة في صلاة الصبح يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة، ودفن يوم الأحد هلال محرم سنة أربع وعشرين؛ فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح المشهور.

(1) وأول من اتخذ الدرة لتأديب الناس، وأول من جمع الناس على صلاة التراويح في رمضان، وأول من دوَّن الدواوين وفرض الأعطية، وأول من وضع الخراج، وأول من وضع المقام موضعه الآن؛ وكان ملصقا بالبيت.. وأوَّلِياته ومَنَاقِبُه ومُوافَقَاتُه كثيرة شهيرة.

(2) لما استخلف أبو بكر سُمِّيَ خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما توفي واستُخلِف عمر سمي خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال المسلمون من جاء بعد عمر قيل له خليفةُ خليفةِ خليفة رسول عليه الصلاة والسلام فيطول هذا.. ولكن اجمعوا على اسم تدعون به الخليفة يُدعى به من بعد الخلفاء. فقال بعض الصحابة: نحن المؤمنون وعمر أميرنا، فدعي عمر *أمير المؤمنين* فكان أول من سمي بذلك، والتحقيق أنه أول خليفة سمي أمير المؤمنين وليس أول من دعي بها، فقد دعي بها عبد الله بن جحشٍ الأسدي في السرية التي بعثه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نخلة - [محمد رضا: **عمر بن الخطاب**].

(3) تبعا لغيره في ترجيح اتصال الضمير الواقع خبرا عن كان وأخواتها على انفصاله، الذي أشار إليه في الخلاصة بقوله:

... ... في كنته الخُلف انتمى

كذاك خلتنيه، واتصالا أختار، غيري اختار الانفصالا

واسمها عمر أو ضميره.

... ... ومِنْهُـمُ الصَّفِـيُّ
سَعِيـدُ ابْنُ زَيْـدٍ الْمُبَشَّــرُ صَاهَـرَهُ. وَهْوَ كَذَاكَ. عُمَـرُ

قوله: **ومنهم** أي من عدي. **والصفي**: فعيل بمعنى مفعول، أي المصفّى. **والمبشر**: أي بالجنة، من العشرة الذين بشرهم النبي ﷺ بالجنة. وقوله: **صاهره**: أي صاهر عمر سعيدا على أخته عاتكة كما يأتي قريبا. وقوله: وهو **كذاك**: أي وكذا صاهر سعيدُ بن زيد **عُمـرَ** على أخته فاطمة بنت الخطاب.

العشرة المبشرون بالجنة

والعشرة المشهود لهم بالجنة هم: سعيدُ هذا والخلفاء الأربعة والزبير وطلحة بن عبيد الله وعبدُ الرحمن بن عوف وسعدُ بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح؛ اثنان منافيان: عثمان وعلي، وزهريان: عبدُ الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وتيميان: أبو بكر وطلحة بن عبيد الله، وعدويان: عمر وسعيد بن زيد، وحارثي: وهو أبو عبيدة من بني الحارث بن فهر، وأسدي: وهو الزبير بن العوام من بني أسد بن عبد العُزى.

فإن قلت ما معنى خصوصيتهم بالشهادة بالجنة، وقد شهد صلى الله عليه وسلم لغيرهم بالجنة؛ كقوله: لبلال: «سمعت خشخشة بلال في الجنة فقلت: بم يا بلالُ سبقْتني إلى الجنة؟ فقال: لا أدري ولكني ما أحدثت قط إلا توضأت وما توضأت إلا صليت ركعتين فقال: بذلك سبقتني إلى

الجنة»[1] وكقوله: «لَمناديلُ سعد في الجنة أحسنُ من هذا»[2] وكقوله للرُّبيع بنت النَّضر: «إنها لجنان وإن ابنك لفي الفردوس منها»[3] - يعني حارثة بن سراقة - وغير ذلك..؟ **قلت**: لعل ذلك أنه بشَّرهم بالجنة في يوم واحدٍ[4]، وذلك أنه كان في بيت فاستأذن عليه أبو بكر فقال: «ائذن له وبشِّره بالجنة»، فكذلك قال لجميعهم.. وفيها قال لعثمان: «وبشره بالجنة على بَلْوَى تُصِيبُه»[5].

---

(1) رواه مسلم والترمذي وأحمد.

(2) متفق عليه.

(3) رواه البخاري وأحمد.

(4) وفي الحديث كما في **الجامع الصغير**:[6/1]: "أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة" [اهـ]. ورواه الترمذي وأحمد في مسنده. وقد نظمهم مع تبيين نسبهم مَن قال:

أبناء عبد مناف سادة نجب ... منهم علي وذو النورين عثمان

وبابن عوف وسعد زهرة سعدت ... تيم بطلحة والصديق تزدان

أما سعيد، أبو حفص فقومهما ... بنو عدي الألى في الحرب فرسان

إنَّ الزُّبير به عَزَّت بنو أسَد ... ما نال عِزَّهمُ في الجوِّ عقبان

أبو عبيدة فهري. بجاههمُ ... يا رب يشملنا عفوٌ وغفران

وقال آخر:

لقد بُشِّرَتْ عند النبي محمد ... بجنات عدن زمرة سعداء

سعيد وسعد والزبير وعامر ... وطلحة والزهري والخلفاء

وعامر هو أبو عبيدة، والزهري هو عبد الرحمن بن عوف.

(5) رواه البخاري ومسلم.

وذكر القاضي عياض في الشفاء أنه حين أرجف به أحد وقال له: «اسكن أُحد إنما عليك نبي وصِدِّيقٌ ـ أو شهيد ـ»[1] أنهم العشرة معه حينئذ.

وسعيد هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل ـ وبنفيل يلتقي مع عمر بن الخطاب بن نفيل ـ أُمُّهُ فاطمة بنت بعْجَةَ بن مليح من خزاعة، يكنى أبا الأعور[2]. بعثه النبي ﷺ هو وطلحة بن عبيد الله يتجسسان أخْبار عيرِ قريش، فوقعت بدرٌ بعدهما فضرب لهما بِسَهْمَيْهِمَا وأجريْهما.

وله من الولد: عبد الرحمن الأكبر وعبد الرحمن الأصغر؛ وأم الأكبر فاطمةُ أم جميل بنت الخطاب. وكان عبد الرحمن الأكبر هذا شاعرا، وهو الذي يقول في يوم الحرة:

فإن تقتلونا يوم حرة واقمٍ ... فإنا على الإسلام أول من قتلْ
ونحن قتلناكم ببدر أذلّة ... وجئنا بأسلاب لّنا منكمُ نفلْ
فإن ينج منها عائذ البيت سالما ... فكل الذي نلقاه من دونه جلل

وتوفي سعيد بالعقيق في نيف وخمسين، وحُمل إلى البقيع ودفن به وهو

---

(1) رواهُ مسلم والترمذي وابن ماجه.

(2) كان قديم الإسلام وكان من المهاجرين الأولين، أسلم هو وزوجه فاطمة بنت الخطاب قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وهاجرا. وشهد سعيد أحدا وما بعدها من المشاهد وكان معدودا في أهل بدر، وشهد اليرموك وفتح دمشق وأقطعه عثمان أرضا بالكوفة فنزلها وسكنها بنوه بعده وكانت له أرض بالعقيق بالمدينة وبها توفي، وله أربعة أولاد: عبد الرحمن الأكبر، وعبد الرحمن الأصغر، وزيد، والأسْوَد؛ ولكلهم عقب.

ابن بضع وسبعين سنة رضي ا لله عنه.

وشُهَــداءُ أُخْتِــهِ غَيْرَ عُمَرْ   عَبْدُ الإِلَهِ ابْنُ أَبِي بَكْرِ الأَغَــرّ

أختُه: يعني سعيد بن زيد، وهي عاتكة **الشهداء**؛ أضيفت إلى الشهداء وأعلمت بذلك، لأن كل من تزوجها استُشهِد.. حتى قيل في ذلك: من أحب الشهادة فليتزوج عاتكة؛ وأمها فاطمة بنت سويد بن الصامت الأنصاريةُ، أخت الحارث والجلاس ابني سويد، وقيل إن أمها أم كريز بنت عبد ا لله بن عمار بن مالك الحضرمي.

تزوج عاتكةَ عبدُ ا لله بن أبي بكر فأصيب يوم الطائف بسهم فاستشهد منه في خلافة أبيه [كما سيأتي إن شاء ا لله].

والأغر: الكريم، ووصفه بالأغر: لكرمه أو لجماله، لما يقال إنه أجملُ قريش. وقوله **غير عمر**: لأنه قد ذكر أنه تزوجها بقوله:

...   صاهره ـ وهْو كذاك ـ عمر

ولما تزوجها عمر بالغت في استعمال الطيب وتضمخت بالعنبر وغيره، فقال علي لعمَر: ائذن لي أدخل على عاتكة في حاجة لي إليها، فقال: نعم، فأدخل عليها عليٌّ رأسَه من الستر وقال: أين قولك:

فآليت لا تنفك..   إلخ[1]،

---

(1) يشير به إلى قولها تبكي زوجها عبد ا لله بن أبي بكر الصديق:

فآليت لا تنفكُّ عيني حزينة   عليك ولا ينفكُّ جلدي أغبَرا ..إلخ.

فدفعه عمر بمنكبه وقال: أفسدت علي عرسي، فضحِكُوا[1]

كَذَا الْحَــوَارِيُّ وَرَدَّتْ حَيْدَرَهْ ضِنًّا بِهِ عَن نَهْــجِ تِلْكَ الْخِيَرَهْ

وَعُدَّ مِنْهُمُ الْحُسَيْــنُ بْنُ عَلِي وَعَــدُّهُ عَن بَعْضِهِم غَيْرُ جَلِي

الحواري: الناصر، وهو علم للزبير سماه بـه النبي ﷺ، ليلة الأحـزاب إذ قال صلى الله عليه وسـلم: «مـن يأتنـا بالخـبر عـن القـوم أضمنـه ويكـون رفيقي في الجنة» ـ أو كما قال صلى الله عليه وسلم ـ فقام الزبير وقال: أنا يا رسول الله، فقال له: «اجلس فداك أبي وأمي» ـ و لم يقلهـا لأحـد غـير سعد بن أبي وقاص يوم أحد إلا هذا ـ ثم قال صلى الله عليه وسلم ذلـك أيضا فقال الزبير: أنا يا رسـول الله، فقـال: «اجلـس» وقـال: «لكـل نـبي حواري وحواريي الزبير»[2]. **وحيدرة**: لقب عليٍّ بن أبـي طـالب، وهـو في

---

(1) ولما قتل عنها عمر قالت ترثيه:

عين جـودي بعـبرة ونحيب لا تملي على الإمـام النجيـب

فجعتـني المنـون بالفارس الـ ـمعروف يوم الهياج والتثويـب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا مذ سقته المنـون كأس شَعوب

(2) أخرجه البخاري ومسلم. ولما قتل الزبير رضي الله عنه عن عاتكة قالت ترثيه:

غـدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غـير معـرد

يا عمرو لو نبهتَـه لوجدتـه لا طائشًا رَعِشَ الجَنَان ولا اليـد

كم غمـرة قد خاضها لم يَثْنِه عنها طـرادك يا ابن فقع القردد

ثكلتـك أمك ان ظفرت بمثله فيما مضى ممن يـروح ويغتدي

شلت يمينـك إن قتلت لمسلما حلـت عليك عقوبة المتعمد

<<=

الأصل اسم الأسد، وسُمِّيَ به عَليٌّ لأن أمه سمته باسم أبيها أسَدٍ، وأبو طالب غائب؛ ولما قدم أبوه سماه عليا، ثم لما ظهرت شجاعة علِيّ سمي **حيدرة** لَمْحًا لتسمية أمه وتشبيها بالحيوان المفترس. وقوله: **ضنا**: بخلاً؛ أي بخلت بعلي عنِ الموت، وهو مفعول له أي ضنت به لأجل الخوف عليه، ويحتمل أنه مفعول مطلق؛ أي ضنت به ضنا، وناب عن فعله، ويحتمل أنه حال أي حال كونها في الردِّ ضانةً به **عن نهج**: أي طريقِ هؤلاء **الخيرة**. **والخيرة**: جمع خير، وهم كذلك. وأنث الإشارة باعتبار الجماعة. **وعدّ الحسين** من شهداء عاتكة **غيرُ جَلي**: أي غير ظاهر عند بعض العلماء، إذ يبعد أن يتزوجها لكبرها عنه وللقول إنها ماتت قبله.

فقوله: **كذا الحواريُّ**، أي كعمر وعبد الله بن أبي بكر في الاستشهاد عن عاتكة: حواري رسول الله ﷺ الزبير بن العوام رضي الله عنه.

يُبْعَثُ أمَّةً أَبُوهَا وخُبِعْ قَبْلَ النُّبُوءَةِ وَمِن وَأْدٍ مَنَعْ
يُحَكِّمُ الأُمَّ إذَا تَرَعْرَعَتْ فِي أَخْذِهَا وَتَرْكِهَا حَيْثُ وَعَتْ

خُبِعَ: دُفن. **والوأد**: قتل الولد في الجاهلية خوف الفقر. **وترعرع الصبي**: نشأ. يعني أن زيدَ بن عمرو بن نفيل ـ أبا عاتكة ـ قال فيه النبي ﷺ:

تشير بقولها: "عقوبة المتعمد" إلى قوله تعالى ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ - (النساء:93).
وذكر في *الإصابة والاستيعاب* أن ممن تزوجها زيد بن الخطاب فاستشهد عنها يوم اليمامة.

«يبعث يوم القيامة أمة وحده»[1]، وذلك حين سأله عنه ابنُه سعيد وعمر بن الخطاب.

وممن يبعث أمة وحده غَيْرُهُ: قُسُّ بنُ ساعدة الإياديُّ وخطرُ بن مالك اللِّهْبي؛ وذلك لأنهم أسلموا بلا نبي بُعِث إليهم لكن رأوا الحق حقا ففارقوا أدْيانَ أقوامهم فوجهوا وجوههم لله تعالى فعبدوه وحده.

زيد بن عمرو بن نفيل

وكان زيد شام دين النصارى[2] فلم يعجبه ودين اليهود كذلك[3]، وترك عبادة الأوثان وحرم أكل ما ذُبِحَ لغير الله والدم والميتة، ويقول: يا معشر قريش أرسل الله قطر السماء وأنبت بقل الأرض وخلق السائمة ورعت فيه وتذبحونها لغيره؟! والله ما أعلم أحدا على وجه الأرض على دين إبراهيم غيري، ويستقبل الكعبة ويقول:

لَبَّيكَ حقا حقا تعبُّدا ورقًّا

---

(1) رواه الطبراني، وأبو يعلى.

(2) شام الشيء: أي نظر إليه وتطلَّع.

(3) خرج زيد بن عمرو مرة في الجاهلية هو وورقة بن نوفل يطلبان الدين فمرا بيهود فعرضوا عليهما دينهم فتهود ورقة، ثم لقيا النصارى فعرضوا عليهما دينهم فترك ورقة اليهودية وتنصر وأبى زيد كل ذلك وقال: ما هذا إلا كدين قومنا تشركون ويشركون ولكنكم عندكم من الله ذكر وليس عندهم، فقال له راهب: إنك لتطلب دينا ما هو على وجه الأرض اليوم، قال: وما هو؟ قال: دين إبراهيم، قال: وما كان عليه إبراهيم؟ قال: كان يعبد الله ولا يشرك به شيئا ويصلي إلى الكعبة، فكان زيد على ذلك حتى مات.

عُذْتُ بما عاذ به إبراهيم..إلخ. ويقول الشعر في ذلك، ومنه:

أربا واحــدا أم ألــف رب ... أديـن إذا تُقُسِّمَـتِ الأمـورُ
عزلـت اللات والعزى جميعا ... كذلك يفعـل الجَلد الصبـورُ
فـلا العُزّى أدين ولا ابنتيها ... ولا صنمي بـني طسـم أزورُ
ولا هُبَـلاً أديـن وكان ربًّا ... لنا في الـدار إذ حلمي يسـيرُ
عجبـت وفي الليالي معجبات ... وفي الأيام يعـرفها البصـير
بأنَّ الله قـد أفـنى رجالا ... كثيرا كان شأنُهم الفجـور

وقال أيضا[1]

رضيت بك اللهم ربا فلن أُرى ... أديـن إلها غـيرَك الله ثانـيا
وأنت بفضل منك نجيْت يونُسا ... وقد بات في أصفاقِ حـوت لياليا
وإني وإن سبحـت باسمك ربنا ... لأُكثِرَ إلاَّ ما غفـرتَ خطائيا
أرب العباد امنن بسَيبٍ ورحمة ... عـلي وبارك في بَـنيَ ومـاليا

وقال أيضا:

وأسْلمـت وجهي لمن أسلمت ... له الأرض تحمـل حَملا ثقالا

---

(1) وبعضها ينسب لأمية بن أبي الصلتِ:

إلى الله أهـدي مدحتي وثنائيا ... وقـولا رصينا لا يني الدهر باقيا
إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه ... إلـه ولا رب يكـون مدانيا
الا أيها الإنسان إياك والـردى ... فإنـك لا تُخفِـي من الله خافـيا
وإياك لا تجعـل مع الله غيره ... فإن سبيل الرشـد أصبح باديا
حنانيك إن الجن كانت رَجاءهُمْ ... وأنـت إلهي ربـنا ورجائيا
رضيت بك اللهم ربا... إلخ.

دحاها فلما رآها استــــوت على الماء أرْسَى عليــها الجبالا

وأسلمــتُ وجهي لمن أسلمت له المـــزن تحمل عذبا زلالا

إذَا هِيَ سِيقَـــتْ إلى بلــدةٍ أطاعت فَصَبَّــتْ عليها سِجَالاَ

وكان الخطاب بن نفيل قد آذى زيدا حتى أخرجه إلى أعلى مكة، فنزل حراء مقابل مكة ـ وكان الخطاب عمه وأخاه لأمه[1] ـ ووكل به شُبَّان قريش وسفهاءَهم وقال لهم لا تتركوه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلا سرا. وكان زيد قد أجمع الخروج من مكة ليضرب في الأرضِ يطلب الحنيفيةَ، دِينَ إبراهيم؛ فكانت امرأته[2] كلما رأته تهيأ للخروج أو أراده آذنت به الخطاب، وكان وكلها به. ثم خرج يطلب دين إبراهيم ويسألُ الرهبان والأحْبار حتى انتهى إلى المَوصل والجزيرة، ثم أقبل فجال الشامَ كله حتى انتهى إلى راهب من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علمُ النصرانية فسألهُ عن الحنيفية فقال: إنك لتطلبُ دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه من القوم، ولكن قد أظلَّك زمانُ نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها يبعث بدين إبراهيم: الحنيفية، فالحقْ بها فإنه مبعوث الآن. فخرج مسرعًا، فلما توسط بلاد لخم عدَوْا عليه فقتلوه؛ فقال ورقةُ بن نوفل يَرثيه:

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما تجنبــت تَنُّورًا من النار حاميا

بدينك ربا ليس ربٌّ كمثلِــه وتركِك أوْثان الطواغي كما هِيا

وإدراكك الدين الذي قد طلبته ولم تك عن توحيد ربك ساهيا

(1) وذلك أنهم في الجاهلية كانوا يجيزون نكاح الرجل امرأة أبيه من بعده.

(2) امرأته: هي صفية بنت الحضرمي (عبد الله) بن عماد السكونية ثم من بني الصَّدفِ.

فأصبحت في دار كريم مقامُها تعلل فيــها بالكرامــة لاهيا
تلاقي خليلَ الله فيها ولم تكــن من الناس جبارا إلى النار هاويا
وقد تــدرك الإنسانَ رحمةُ ربِّه ولو كان تحت الأرض سَبْعِينَ واديا

ومات زيد كما قال الناظم قبيل البعث[1]، وكان من دينه أنه امتنع من وأد البنات ومنعَهن من الوأد، فكــان يغذيهـن إلى أن تبلـغ الواحـدة منهـن فيأتي بها أمَّها ويقول لها: هذه ابنتــك إن شئت خذيهـا إليـك وإن شئت دعيها عندي.

هنا انتهى الكلام على بني رزاح بن عديٍّ وشرع يتكلم على بني عويج بن عدي فقال رحمه الله:

ومِنْ عُوَيْجِ بْنِ عَــدِيٍّ النَّحَامْ وَهْوَ الذِي اعْتَنَقَهُ خَيْرُ الأَنَامْ
إِذْ جَاءَهُ فِي أَرْبَعِينَ مِنْهُــمُ وَحَبَسُوهُ وَهْــوَ قَبْلُ مُسْلِمُ

اسم **النَّحَّام**: نُعيم بن عبد الله بن أسيد بن عبد بن عوف بن عبيــد بـن عويـج[2]، ولقِّب النحـام لقـول النبي ﷺ: «دخلـت الجنـة فسـمعت نحمـة لنعيم»[3]، أي سعلة.

أسلم نعيمُ قديما قبل عمر بن الخطاب و لم يهاجر إلاَّ قبيلَ فتح مكة لأن أهله حبسوه؛ لأنه كان ينفق على أرامل بني عدي وأيتامهم فقالوا له حين

---

(1) مات زيد هذا قبل البعثة بخمس سنين.

(2) النحام: هو بفتح النون وتشديدها وتشديد الحاء المهملة، وخفّفها النـاظم ضـرورة. وضبـط بعضهم كلا من عبيد وعويج بصيغة التصغير كما ضبطها بعض بصيغة التكبير.

(3) ذكره ابن سعد مرسلا.

أراد الخروج من مكّة إلى المدينة: أقم معنا ودِنْ بأيٍّ دين شئت وتَشَبَّثُوا به، فأقام يعبُد الله في داره حتى تركوه، وقد أسلم كثيرٌ منهم؛ فخرج مهاجرا عام الحديبية **في أربعين** من قومه بين رجال ونساء. فلما قدم على النبي ﷺ قام إليه **فاعتنقه** وقال له: «قومُك يا نعيم خيرٌ لك من قَوْمِي»، فقال: بل قومُك خيرٌ من قومي يا رسولَ الله، فقال صلى الله عليه وسلم: «قومي أخرجوني وأقرَّك قومُك»[1]، فقال: يا رسول الله قومك أخرجوك إلى الهجرة وقومي حبسوني عنها؛ وكان قومه قالوا له: لا يتعرض لك أحدٌ إلا ذهبت أنفسُنا دونك واعبد ربك حيث شئت.

قوله **قبلُ**: أي قبل مجيئه للنبي ﷺ في أربعين منهم. قوله **وهو مسلم**: أي على أنه مسلم ـ على دينه ـ راضين بذلك منه. واستشهِد نُعيم باجنادين أو باليَرْموك.

عَبْدُ الإلَهِ بْن مُطِيعِ القَائِلُ وَهْوَ عَنَ اَهْلِ مَكَّةٍ يُنَاضِلُ:
«أَنا الذي فَرَرْتُ يَومَ الحَرَّهْ والحُرُّ لا يَفِرُّ إلاَّ مَرَّهْ»[2]

يناضل: يدافع. **والحَرَّة**: حَرَّة واقم: موضع بالمدينة[3] كانت به الوقعة المشهورة على المسلمين. **ومطيع** كان اسمه العاص فلما أسلم سماه النبي ﷺ

---

(1) ذكره ابن حجر في *الإصابة*، وذكره الزبيري أيضا.

(2) بعده: **لأجْزِيَنَّ فَرَّتِي بِكَرَّهْ يا حبذا الكرة بعد الفَرَّهْ**

(3) على ميلٍ من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في *الزبيري*.

مطيعًا[1]، وهو ابن الأسود بن حارثة بن نضلة بن عوف بن عبيد بن عويج، والأسود - أبو مطيع - هو أول من لعِقَ دم الجزور التي نحرت بنو عبد الدار وأحلافُهُم. أوصى مطيع الزبير على بنيه، فرد الزبير الوصية، فقال له مطيعُ: إني سمعت عمر يقول: "نعم موضع الوصية الزبيرُ لو كنت تاركا ضياعا لأوصيت الزبير" والله لقد سمعت هذا من عمر، فقبل الزبير وصيته.

وعبد الله بن مطيع كان من رجال قريش جلدا وشجاعة، وكان عليهم **يوم الحرة** ونجا وأتى ابن الزبير بمكة، فلما حاصَرَ ابنُ نمير[2] أهل مكة كان مِمَّن قاتله، وفي ذلك يقول:

أنا الذي فررت يوم الحرة .. إلخ.

هو ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف كلهما قتل ليلة ابن نمير من عسكره مائة رجل. واستعمله ابنُ الزبير على الكوفةِ، فأخرجهُ منها المختارُ بن أبي عبيد، ثم قُتلَ مع ابنِ الزبير رضي الله عنهما.

خَارِجَةُ الْقَائِلُ مَنْ أَصْمَاهُ: "أَرَدتُّ عَمْراً وأَرَادَ اللهُ.."

(1) وكان ابنه عبد الله يسمى العاصي بن العاصي فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وكان عبد الله بن عمرو بن العاص أيضا يسمى العاص بن عمرو فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله، وكان عبد الله بن عُمَر يسمى العاص بن عُمر فبدل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماءهم في يوم واحدٍ - [الجمهرة والإصابة].

(2) الحصين بن نمير قائد جيش يزيد إلى ابن الزبير، كما سيأتي.

أي من بني عويج بن عدي: عبدُ الله بن مطيع وخارجةُ؛ فعبد الله وخارجة معطوفان على النحام بتقدير العاطف، أو كلاهما مبتدأ خبره منهم قبلها واوٌ عاطِفة الجملةَ على أختِها.

وخارجة هو ابن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج. **وأصماه**: قتله. **ومَن أصماه**: هو الخارجي الذي تواعد مع صاحبيه ليلةً يغتالون فيها عليا ومعاويةَ وعمرو بن العاصِ؛ فكان من قَدر الله أن اشتكى عمرُو بن العاص في هذه الليلةِ وقدَّم خارجةَ للصلاة، فطعنه الخارجي يظنُّه عمرًا، لإمامته في مسجد مصر؛ فَأُخِذَ الخارجي، فلما سمع الناس يندبون خارجة قال: ومن خارجة؟ قيل: الذي قتلتَ، قال: *أردت عمرا وأراد الله خارجة*. وقيل إنَّ عمرو بن العاص هو قائل الكلمة.

وخارجة من فرسان قريش، كان يعدل بألف؛ كتب عمرو بن العاص إلى عمر يستمده بثلاثة آلاف فارس، فبعث إليه خارجةَ والزبير والمقداد وكتب إليه: قد أمددتك بثلاثة آلاف فارس! شهد خارجةُ فتح مصر، وكان قاضيا بها لعمرو بن العاص إلى أن قتله الخارجي، واسمه داذويه العنبري. وروى خارجة عن النبي ﷺ: «إن الله قد أمدَّكم بصلاة هي خيرٌ لكم من حمر النعم؛ وهي الوتر جعلها لكم بين صلاة العشاء إلى طلوع الفجر»[1].

---

(1) أخرجه الترمذي.

مُثلَّـــمُ أَخُـــوهُ مِـــنْ أُبَـــيٍّ أَجَـارَ قَاتِـلَ الْغَـوِي الغَبِيِّ[1]

أخوه: أي أخو خَارِجَةَ؛ ولا يُذكر **للمثلم** إسلام ولا أنه أدرك البعثة أم لا. **وأبيّ**: هو ابنُ خلف الصنديدُ الكافر الذي قتله النبي ﷺ يوم أحد. **والغوي**: الضال. **والغبي**: من لا يفطن لغباوته.

أشار إلى أنَّ رجلا من النمر بن قاسط شرب مع رهط من بني جمح فقال لما أخذ فيه الشراب: لا يسألني أحد شيئًا إلا أعطيته إيَّاه، فقال له أحدهم: إني أسألك أن تمكنني حتى أفعل بك كذا وكذا.. يعني الفاحشة، فقال له النمري ـ واسمُه أوسُ ـ قم معي حتى أعطيك ما سألت، فلما خلا به أوس قتله ثم هرب والتجأ إلى المثلم بن حذافة فمنعه، وطلبه أبيّ بن خلف فلم يقدر عليه، إذ منعه المثلم؛ وفي ذلك يقول المثلم:

من ذا يبلـغُ عني الناسَ معذرة   إنْ ردَّ جـار أبيّ وهو مقتـول
تنازع الطير بالبطحاء حُشـوتَه   يقال من جار هذا غاله غـول؟
ولست أسلم أوسا لامرئ أبدا   حـتى أُرَدَّ وثغر النحر مبْلول
أو أبلغ العُذر في أوسٍ فيعذِرُني   فيه الرجال إذا ما ينشـر القِيلُ

---

(1) قوله: **مثلم**: مبتدأ حذف خبره، **وأخوه**: عطف بيانٍ على مثلم، والضمير فيه عائد على خارجة في البيت قبله. وقوله: **من أبيّ**: متعلق بأجارَ. وأبيّ هو ابن خلف الجمحي، وفاعل **أجار** ضمير مستتر عائد على المثلم، **وقاتل**: مفعول به لأجار. والمراد به رجل من بني النمر بن قاسط اسمه أوس. **والغوي**: مضاف إليه ما قبله وهو صفة لمحذوف وكذلك **الغبي** والمراد بهما رجل من بني جمح. أي ومن بني عويج بن عدي المثلم بن حذافة أخو خارجة الذي أجار أوسا النمري قاتل أحد بني جمح من أبيّ بن خلف.

وَرَدَّ قَيْسُ بْنُ عَـدِيٍّ جُمَحَا بِالْغَيْـظِ إِذْ عَلَى عَدِيٍّ جَنَحَا

يعني أنه لما لم يقدر أبيّ بن خلف على جـار المثلـم اجتمعـت بنـو **جمح** على **عدي** فقام دونهم **قيسُ بن عدي** بْن سعد بن سهم السَّهمي - وهو مـن سادات قريش[1]؛ وهو الذي يعني عبد المطلب في ترقيصه لابنه عبد ا لله:

كأنه في العـــز قيس بن عدي   في دار سعد ينتدي أهـل الندي

- وقال لجمح: إن عديا أقلُّ منكم عددا، إن شئتم أخرجوا لهم مثلهم منكم ونخلـي بينكـم وبينهـم، وإن شـئتم وفينـاهم منـا حتـى يكونـوا مثلكـم. فتحاجزوا ورضيت جمح بالعقل، وقال في ذلك قيس بن عدي:

عَدِيُّ بنُ كعب إن سألت بِطانتي   فهَكًّا وهَكًّا عنهُـمُ فتنكـب

تنشَّبَ عِيصي ما بقيت بعيصِهم   تنشب عيصِ القشعـة المتنشِّبِ

(وقوله: فَهَكًّا وهَكًّا: أي ضربا وضربا. وقوله: عنهم: متعلق بهكا. وقوله: فتنكب: أي عنهم بالسيف. والعيصُ: الأصلُ. والقشعةُ: الفَرْوُ الخَلَقُ).

حُـــذَافَةُ أَبُــوهُمَا أَخَــذَهُ فِي ابْنٍ لَّهُـمْ جُذَامُ فَاسْتَنقَذَهُ

شَيْبَةُ مَكْفُــوفًا يَقُــودُهُ ابْنُهُ فَفَازَ بِالْمَــدْحِ الْجَمِيــلِ مِنْهُ

يشير إلى أن ركبا من **جُذام** خرجوا من مكة بعدمـا قضـوا مناسـكهم، وقد فقدوا صاحبا لهم، فمرُّوا **بحذافـة** بـن غـانم فـأخذوهُ مكـان صـاحبهم؛ فبينما هو في أيديهم إذ أبصر عبدَ المطلب **يقوده ابنُه** أبـو لهـب، وقـد كـف

(1) وهو الذي جمع الأحلاف على بني عبد مناف؛ والأحلاف: عدي ومخزوم وسهم وجمح.

بصره، فصاح به؛ فقال عبد المطلب لأبي لهب: اذهب فأت به، فأتاهم أبو لهب فقال لهم: قد علمتم مالي وتجارتي فاطلقوا لي الرجل وأنا ضامن لكم صاحبَكم، فأطلقوه له، فقال له عبدُ المطلب: أسمعني صوتك يا أبا المثلم، فقال يمدحه[1] ويمدح آباءَهُ وبنيه:

أعينيَّ جـودا بالدموع على النَّحرِ	ولا تسْأما أُسْقِيتُمَا سَبَـلَ القطر
وسُـحًّا وجُمَّا واسْجُمَا ما بَقيتـما	على ذي حياءٍ من قريش وذي سِتْر
على رجل جَلْدِ القوى ذي حفيظة	جميـلِ المحيا غير نِكس ولا هذر
على الماجد البُهلول ذي الباع والنَّدى	ربيـع لُؤيٍّ في القحوط وفي العُسْر
على خـير حافٍ من مَّعـدٍّ وناعلٍ	كريمِ المساعي طيـبِ الخِيمِ والنَّجْرِ
وخيرهمُ أصـلا وفرعا ومعـدِنا	وأَحظاهـمُ بالمكـرمات وبالذكر
وأولاهـمُ بالمجد والحلم والنهى	وبالفضل عِند المُجْحِفَاتِ من الغُبْرِ[2]
على شيبةِ الحمـدِ الذي كان وجهُه	يُضِيءُ سوادَ الليلِ كالقمر البـدر
وساقِي الحجيـج ثم للخير هاشم	وعبد مناف ذلك السيد الفهـري
طَـوَى زمزمًا عند المقام فأصْبحت	سقايتـه فخرا على كل ذي فخر
ليبْكِ عليـه كـلُّ عانٍ بكربـةٍ	وآلُ قصـي من مُّقـل وذي وفْرِ
بَنُوهم سَـراة كهلهم وشبابهم	تفلق عنهم بيضة الطائـر الصقر
قُصَـيُّ الذي عادى خزاعة كلَّـها	ورابط بيتَ ا لله في اليسْر والعُسـرِ
فإن تك غـالـتْـه المنايا وصـرفُها	فقد عاش ميمـونَ النقيبة والأمر
وأبقى رجالا سادة غـير عـزَّل	مصاليـتَ أمثال الرُّدينية السُّمْر

---

(1) والظاهر أنه في هذه القصيدة يرثيه.

(2) المجحفات: السنون التي تذهب الأموال، والغبر (بضم فسكون): السنون المقحطات.

أبو عتبـــــةَ المُلـــقَى إليَّ حِبَاؤهُ	أغرُّ هجانُ اللـــون[1] مِن نّفرٍ زُهرِ
وحمـــزة مثـــلُ البدر يهتز للنَّدى	نَقِي الثيـاب والذمام من الغَـــدْرِ
وعبد مناف ماجـــد ذو حفيظـــة	وصول لذي القربى رحيمٌ بِذِي الصِّهْرِ
كهولُهمُ خيرُ الكُهُـــول ونسلهـــم	كنســـل الملوكِ لا تَبُورُ ولا تحري[2]
متى ما تُلاقِ منهــــم الدَّهر ناشِئًا	تجِدْهُ بإجْــــرِيًّا أوائِلـــهِ يَجْري[3]
همُ مَــلأوا البطحاءَ مجْـدًا وعِـــزَّةً	إذِ اسْتُبِقَ الخيراتُ في سالـف العصر
وفيهـــم بُناةٌ لِلعُـــلى وعـــمارة	وعبد منافٍ جــــدهم جابر الكسرِ
وهمْ حضروا والناسُ باد فريقهـــم	وليس بها إلا شيــــوخُ بني عمرو
أبوهـــمْ قصـــي كان يدعى مجمعا	به جمـــع الله القبائـــــل من فِهر

إلى أن يقول:

أخارجُ إما أهلكـــنَّ فـلا تـــــزلْ	لهمْ شاكــــرًا حتّى تُغيَّـــبَ في القبر
ولا تنس ما أسْــــدَى ابْنُ لُبنَى فإنه	قَد اسْـدَى يدا مَحْقُوقَةً منك بالشكر

إلى آخرها.. (وابن لبنى هو أبو لهب الذي استنقذه مـن جـذام بـأمر عبـد المطلـب) والقصيدة هي المدح الذي فاز به عبدُ المطلب من حُذافة في قول الناظم.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

عَـزَّ رَزَاحُ بْنُ عَـدِيٍّ بِعُمَـرْ وَالْعِـزُّ قَبْلُ فِي عُوَيْجٍ الأَغَرّ

يعني أن بيت بني عـدي وعزهـم كـان في بـني عويـج إلى أن شـب عمـر

(1) هجان اللون: أبيضه.

(2) لا تبور: لا تهلك، ولا تحري: لا تنقص.

(3) الإجريًّا (بالقصر والمد): الوجه الذي تأخذ فيه وتجري عليه، والخلق والطبيعة.

وزيد ابنا الخطاب وابن عمهما سعيدُ بن زيد، فكان الشرف في **رزاح**[1] بهؤلاء الثلاثة؛ أما عمر وسعيد فتَقدَّما.

زيد بن الخطاب رضي الله عنه

وأما زيد فأمه من بني أسد بن خزيمة ثم من بني قعين واسمها أسماءُ بنت وهب، وأخوه لأمه عثمان بن حكيم بن حارثة بن الأوقص السُّلمي، أبو أُمِّ سعيد بن المسيب. أسلم زيد قديما وشهد بدرا وما بعدها؛ أعطاه عمر يوم أحد دِرْعَه يلبَسها فقال: يا أخي أنا أريد من الشهادة مثل ما تريد فتركاها جميعا. ثم استشهد زيدُ يوم اليمامة عن عاتكة الشهداء ـ و لم يَعُدَّه الناظمُ من شهدائها ـ فقال عمر: رحم الله أخي سبقني إلى الحسنيَيْن: إلى الإسلام وإلى الشهادة، وحَزِن عليه حزنا شديدا حتى قال لمُتَمِّمِ بْن نويرة حين أنشده مراثيه في أخيه مالك: لو كنت أحسن الشعر لقلت في أخي زيد مثلَ ما قلت في أخيك، فقال متمم: لو ذهب أخي إلى مثل ما ذهب إليه أخوك ما حَزِنت عليه، فقال عمر: ما عزاني أحَد بمثل ما عزيتني به. وكان يقول: ما هبت الصبا إلا أتتني بريح زيد.

و لم يكن لزيد من الولد إلا عبدُ الرحمن؛ أمه لبابةُ بنت أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري؛ وكان اسم عبدِ الرحمن هذا مُحمَّدًا، فسمع عمر يوما من ينادي مَن اسمه محمد فسبه، فقال له عمر: أتسمِّيه محمدا ثم تسبه؟

(1) رزاح: بفتح الراء والزاي كما في *الجمهرة*.

فدعا محمد بن زيد فسماه عبد الرحمن، فكان ذلك اسمه. وكان شبيها بأبيه حتى كان عمر إذا نظر إليه قال:

أخوكمْ غيرَ أشيب قد أتاكم بحمد الله عاد له الشبابُ!

وزوَّجه عمر بنته فاطمة فولدت له عبدَ الله بن عبد الرحمن.

ولعبد الرحمن تسعةُ أولاد: عبدُ الله هذا، وعمر؛ أمه من ثقيف، وعبد العزيز وعبد الحميد؛ أمهما من بني البكاء بن عامر بن صعصعة، وعبد الحميد؛ ولي الكوفة لعمر بن عبد العزيز، وهو الأعرج المحدِّث وكاتبه أبو الزناد المحدث أيضا؛ وكثيرا ما يكونان في السند الواحد فيقال: حدثنا أبو الزناد عن الأعرج (وأبو الزناد من ولد عبد الرحمن بن عوف)[1]، وأبو بكر ومحمد وإبراهيم وأسيد؛ أمهم سودةُ بنت عبد الله بن عمر؛ وخلف عليها عروة بن الزبير فولدت له أسماءَ. (ويحكى أن سودة هذه ابتدأتِ الطوافَ في زمنها تحت عروة حين فراغها من صلاة العشاء وما أتمتْه إلى أن أذن للصبح لشحمها!). والتاسع: عبدُ الملك بن عبد الرحمن؛ لأم ولد.

ومن بني عويج أبو جهم بن حذيفة (بالياء) ابن غانم، ابن عم خارجة والمثلم ابني حذافة (بالألف) بن غانم. أسلم أبو جهم عام الفتح وكان من رؤساء قريش وعلمائهم بالأنساب، حضر بناء الكعبة مرَّتيْن: حين بنتْها قريش في الجاهلية وحين بناها ابنُ الزبير، وكان يقول: أدركت أثر قدم

(1) اسمه عبد الله بن ذكوان. أخذ عن أنس بن مالك وخلقا من التابعين، لقبه سفيان بأمير المؤمنين في الحديث. توفي 121 هـ.

إبراهيم في المقام ولم أر شيئا أشبه به من قدم رسول الله ﷺ. وبنوه نجباء منهم محمد، وعبد الله أخو عبيد الله بن عُمر لأمه؛ أمهما مُليكة بنت جرول الخزاعية، وصخر، وصُخَير، وعبد الله، الأصغر، وسليمان؛ أمهم امرأة من غسَّان يقال لها زجاجة؛ وهي التي بسبَبِها كانت الحربُ بين بني عدي، التي قتل فيها زيد الأكبر بن عمر. وذلك أن خولة بنت القعقاع بن معبد بن زرارة التميمية ـ أم محمد بن أبي جهم ـ اشتكت فادعت أن سحرتْها زجاجةُ، ففر بزجاجة ابناها سليمان وعبد الله الأصغر، فدخلا على عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فمنعهما، واجتمعت إليه بنو رزاح، إلا بني عمر بن الخطاب لم يكن لهم إلا النهي؛ واجتمعت بنو عويج على بني أبي جهم الآخرين، فوقَعتْ بينهم حرب قُتل فيها زيدٌ حاجزاً بين الفريقين ـ كما قدمنا.

ومن عويج أيضا النعمان بن عدي بن نضلة؛ هاجر به أبوه إلى الحبشة ومات بها أبوه وورثه، وهو أول موروث في الإسلام. واستعمل عمر النعمان على بيسان فاستعفاه فلم يعفه، فقال:

فمَن مبلغُ الحسناء أن حليلها ... ببيسان يُسقى في زجاج وحنتم
إذا شئت غنّاني دهاقين قريةٍ ... وصناجة تجذُو على كل منسم
إذا كنت ندماني فبالأكبر اسقني ... ولا تسقني بالأصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه ... تنادمنا بالجوسق[1] المتهدم

(1) الجوسق: البناء العالي أو الحصن.

فلما سمع عمر الأبيات[1] قال: ما قالها إلا يريد أن أعزله، فعزله. ونزل البصرة فلم يزل يغزو مع المسلمين إلى أن مات.

ومن عويج أيضا عمرو وعروة ابنا أبي أثاثة، كانا قديمي الإسلام وهاجرا إلى الحبشة، أمهما النابغة بنت حرملة البلوية، أم عمرو بن العاص.

ومن عويج أيضا سليمان بن أبي حثمة بن غانم، ابن عَمِّ أبي جهم وخارجةَ والمثلم، وكان سليمان رجلا صالحا فاضلا استعمله عمر على سوق المدينة وجمع عليه الناس لصلاة التراويح، وجمعهم أيضا لصلاة التراويح على أُبيّ بن كعب. وأم سليمان: الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس من بني رزاح بن عدي؛ هاجرت مع ابنها سليمان إلى المدينة، ومرَّ بها عمر يوما فسألها عن سليمان، وكان فقده في صلاة الصبح، فقالت: باتَ يصلي وغلبه النوم عن الصلاة، فقال عمر: صلاة الصبح في الجماعة أفضلُ من قيام الليل كله. وأخت سليمان ليلى بنت أبي حثمة زوج عامر بن ربيعة العنزي، وهي أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة ـ ثم أم سلمة ـ بعد أن هاجرت مع زوجها إلى الحبشة الهجرة الأولى.

وممن هاجر إلى الحبشة وشهد بدرًا من بني عدي ثم من بني رزاح: عبدُ الله

---

(1) كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (غافر: 1-3)، أما بعد فقد بلغني قولك **لعل أمير المؤمنين**.. إلخ.. وأيم الله لقد ساءني ذلك. وعزله، فلما قدم عليه سأله فقال: والله ما كان من هذا شيء وما كان إلا فضل شعر وجدته وما شربتها قط، فقال عمر: أظن ذلك ولكن لا تعمل لي عملا أبدا. فنزل البصرة..إلخ

وعمرو ابنا سراقة بن المعتمر بن أنس بن أداة؛ وأداة ابنتُهُ قيلة أم أبي قحافة[1].

هنا انتهى الكلام على عدي فشرع يتكلم على بني هصيص وهم قبيلتان من قبائل قريش الاثني عشرة، فقال رحمه الله وعفا عنه:

نسب هصيص بن كعب

مِن صُلْبِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْصٍ جُمَحُ سَهْمُ، وَمِنْهُمُ الَّذِي لاَ يَبْرَحُ
يُدَاعِبُ الْهَوْزَ وَمِنْ دُعَابَتِهْ حَلُّ حِزَامِ رَحْلِ هَادِي أُمَّتِهْ

هصيص (كزبير). **ومنهم**: أي ومن **سهم**، وإنما يعود الضمير في الغالب على أقرب مذكور. قوله: **لا يبرح**: لا يزال. **ويداعب**: يمازح. **والهوز**: الخلق. **والدُّعابة** (بالضم): المُزاح. واسم **جمح تَيْمٌ**، قال عثمان بن مظعون رضي الله عنه:

أتيْم بن عمرو والذي جاء بِغْضَةً ومن دونه الشرْمَاءُ والبرك أكتع[2]

واسم **سهم**: زيد؛ سميا بهذين الاسمين لأنهما تناضلا فجمح تيم فسمي جُمحا وسهم زيد فسمي سهما[3].

---

(1) وفي كتاب *نسب قريش* لمصعب: وأمه قيلة بنت أداة بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب. وفي *أسد الغابة*: أمه آمنة بنت عبد العزيز بن حرثان بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب. وذكر في *الإصابة* الروايتين.

(2) الشرماء والبرك: موضعان، واكتع: من ألفاظ التوكيد بمعنى أجمع.

(3) وذلك أنهما تسابقا إلى غاية فجمح عنها تيم فسمي جمحا ووقف عليها زيد فقيل قد سهم زيد فسمي سهما، وقيل سمتهما أمهما الألُودُ بنت عدي بن كعب بذلك. ولعمير بن رئاب السهمي:

ونحن بنو زيد الأغر ومثلنا يحامي عن الأحساب عند الحقائق

يعني بزيد سهما جدهم الأعلى.

عبد الله بن حذافة رضي الله عنه

يقول[1] ومن **دعابة** عبد الله بن حذافة للخلق ـ وهي أكبرها ـ أنه يومًا **حل حزام راحلة** النبي ﷺ وهو عليها في بعض أسفاره، فقيل له في ذلك، فقال: قد علمت أنه نبي وأنَّ الناس لا يضرُّونَهُ.

وأَمْـــرُهُ قَوْمًا عَلَيْهِمْ أَمَّـــرَهْ أَمِيرُهُـــمْ أَن يَّدْخُلُوا مُسَعَّرَهْ

أي ومن دُعابته أيضا أنه **أمَّره** علقمة بن محرز، وكان أميرا على سرية، فتعجل بعضُهم بالرجوع فأمَّر عليهم علقمةُ عَبْدَ الله، فباتوا في أرض كثيرة الحطب فأمرهم أن يوقِدوا نارا عظيمة؛ فلما التهبت قال لهم: أليس لي عليكم السمعُ والطاعة؟ قالوا: بلى، قال: فاقتحموا إذا هذه النارَ وادخلوها؛ فتهيأوا لدخولها فقال لهم: مكانكم إنما كنت أمازحُكم! فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه فقال: «من أمركم بمعصية فلا تُطيعوه»، أو قال: «لا طاعةَ لمخلوق في مَعْصِيَةِ الخالقِ»[2].

---

(1) أما هصيص بن كعب بن لؤي فمن ولده جمح وسهم ابنا عمرو بن هصيص؛ ومن سهم منهم سيدنا عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي، يكنى أبا حذافة، أسلم قديما وكان من المهاجرين الأولين، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وكانت فيه دعابة أي ممازحة معروفة.

(2) أخرجه ابن ماجه وأحمد، وفي *الاستيعاب* وغيره أيضا أنه أمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية ثم لما أمرهم بالاقتحام في النار أبوا فقال لهم: ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعتي وقال: «من أطاع أميري فقد أطاعني»؟ فقالوا: ما آمنا بالله واتبعنا رسول الله إلا لننجوَ من النار، فصَوَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم فِعْلَهم وقال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

وَسُـــؤْلُـهُ النَّبِـيَّ مَنْ أَبُـوهُ   فِي مَـلاٍ وَهْـوَ إِذًا مَّعْتُـوهُ
عِندَ الْحَصَانِ أُمِّهِ وَذَا الفَكِـهْ   عَبْـدُ الإِلَهِ بْنُ حُـذَافَةَ النَّبِهْ

أي ومن دُعابته أيضا أنه سأل النبي ﷺ في جماعة[1] قال: يـا رسـول ا لله من أبي؟ فقال: «أبوك حذافة»[2]، فعاتبتْه أمُّه حين سمعت بسُـؤاله النبي ﷺ وقالت له: ويحك ما أحمقك لو نسبك رسول ا لله ﷺ إلى غير حذافـة بـين قريش فما كنت فاعلا؟[3]. والحَصان: العفيفةُ. وأمه: مـن بـني الحـارث بـن عبد مناة بن كنانة. والفكه: ذو الفكاهة الذي يُضحك بها أصحابه. والنَّبِه والنَّبِيه والنابه: بمعنىً، أي وذا الذي يمـازح النـاس ويفـاكههم عبدُ ا لله بـن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم.

وَهْـوَ الَّذِي أَرْسَلَـهُ لِكِسْرَى   نَبِيُّـنَا، وَعَمُّـهُ الزِّبَعْـرَى
سَلِيلُ قَيْسٍ الْعَزِيـزِ ابْنِ عَدِي   جَدٍّ بَنِي الْحَارِثِ أَشْرَافِ النَّدِي
وَحَارِثُ أَبُوهُمُ الْمُسْتَهْـزِئُ   بِالْقَـرْحِ جَمْرُ شَرِّهِ مُنطَفِئُ

---

(1) في الصحيح من حديث الزهري عن أنس أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم خـرج حين زاغت الشمس فصلّى الظهر فلما سلم قام على المنبر فقال: «من أحب أن يسأل عن شـيء فليسأل عنه فوا لله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به مـا دمـت في مقـامي هـذا»، قـال: فسأله عبد ا لله بن حذافة فقال: من أبي؟ فقال: أبوك حذافة.

(2) رواه البخاري ومسلم.

(3) وقالت له: أأمنت أن تكون أمك قارفت ما تقـارف نسـاء الجاهليـة فتفضحهـا علـى أعـين الناس؟. والمعتوه: ناقص العقل أو فاقده.

وهو: أي عبد الله بن حذافة **أرسله النبي** ﷺ إلى كسرى بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، فقال: أكون عبدا لعبدي! أوَليس بعبدي؟ ومزق الكتاب وقال لعبد الله: والله لوْلا أن الرُّسل عندنا لا تقتلُ لقتلتك، وبعث إلى وزيره[1] باليمن بَاذَانَ: أنه قد بلغني أن رجلا من العرب يزعم أنه نبي فابعث إليه أن يرجع وإلا فأتني برأسه. فلما قرأ باذانُ الكتابَ بعث به إلى النبي ﷺ مع رجلين من الفرس عظيمي الجسْمين قويين، تغطي شعورُهما شواربَهما قد حلقا لحيَتَيْهما يَهُول منظرهما، فقال صلى الله عليه وسلم: «أما نحن فنعفي اللحى ونحفي الشوارب»[2]، فأقامهما النبي ﷺ عنده يومين ثم سيرهما بكتاب إلى باذان يقول فيه: «أمَّا بعد فإن كسرى قتله ابنُه في الليلة الفلانية من شهر كذا»[3]، فلما قرأ باذان الكتاب قال: إن كان نبيا فسيكونُ ما قال. فلم يلبث أن أتاه رسول الابن بقتل أبيه، وأنه إنما قتله لإصلاح أمر الفُرس لأنَّه أفْسدَ أمرَهم وفعل بهم وفيهم.. فأرَّخَ باذانُ لليلة التي قتله فيها فإذا هي كما ذكر النبي ﷺ فأسلم وبعث بإسلامه وإسلام من معه إلى النبي ﷺ. ومكث شِيرَوَيْه بعد قتل أبيه ستة أشهر ومات؛ وذلك عادةُ من قتل أباه لا يمكث بعده أكثر من ستة أشهر. ثم تسافل ملكُ الفرس إلى أن انعدموا، وذلك لدعوة النبي ﷺ لما مزق كِسْرَى كتابَهُ

---

(1) أي واليه.

(2) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد وغيرهم..

(3) ذكره في *فتح الباري* (9/763)، *والبداية والنهاية* (3/420) *وتاريخ الطبري* (2/133).

قال: «مزق كتابي مزق ا لله ملكه»[1]، وممزق الكتاب ابرويز، وهو الذي غلبت فارسُ الرومَ في زمنه؛ وهو ابن ازدشير بن أُنوشَرْوَان، الملك العادل لم يكن قبله قطٌّ ملك أعدلَ منه؛ قال صلى ا لله عليه وسلم: «ولدت في زمن الملك العادل»[2] يعني أنوشروانَ. وبنى إيوانه الذي لما بناهُ أهدت إليه ملوك الأرض هيبةً له. وقال عبد ا لله بن حذافة في مسيره إلى كسرى شعرا. ثم أسَّرتْهُ الروم بعد ذلك ورَاودُوه عن دينه كل مراودة، فعصمه ا لله منهم[3] حتى مات على الإسلام بمصر في خلافة عثمان.

قوله: **وعمه الزبعرى**: أي عم عبد ا لله بن حذافة، لأن حذافة والزبعرى أخوان؛ والزِّبَعرَى في اللغة الناقةُ الوبراء والشيء الخَلَق، وسمي به ابن قيس بن عدي هذا، وهو والدُ عبد ا لله بن الزِّبعْرى الشاعر الذي يقال إنه أشعرُ قريش؛ وأم عبد ا لله عاتكة بنت عبد ا لله بن عمرو بن أهيب بن حذافة بن جمح. وهو القائل:

---

(1) أخرجه أحمد.

(2) ذكره البيهقي، وقال: باطل لا أصل له. [انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم: 997].

(3) وجه عمر جيشا إلى الروم فيهم عبد ا لله بن حذافة فأسروه فقال له ملك الروم: تنصَّر أشركك في ملكي فأبى، فأمر به فصلب وأمر برميه بالسهام فلم يجزع فأنزل وأمر بقدر فصب فيها ماء وأغلي وأمر بإلقاء أسير فيها فإذا عظامه تلوح، فأمر بإلقائه فيها إن لم يتنصر فلما ذهبوا به بكى فقال: ردوه، فقال له: لم بكيت؟ قال: تمنيت أن لي مائة نفس تلقى هكذا في ا لله، فعجب فقال له: قبل رأسي وأنا أخلي عنك، فقال: وعن جميع أسارى المسلمين، قال: نعم، فقبل رأسه فخلى عنهم، فقدم بهم على عمر فقام عمر فقبَّل رأسه ـ [الإصابة].

يا غـــراب البين أسمعـت فقلْ إنما تنطـــقُ شيئًا قد فُعِـــلْ

وكان أشدَّ قريش على النبي ﷺ وأصحابه بلسانه ونفسه وهجائه، فأسلم يوم الفتح وحسُن إسلامه، وقال حين أسلم:

منـــع الرقاد بلابل وهمـــومُ والليل معتلـــج الرواق بهيـمُ
مما أتاني أن أحمد لامَـــــني فيه فبتُّ كأنــــني محمُـــومُ
يا خير من حملت على أوصالها عيرانةٌ سُـــرحُ اليدين غشوم
إني لمعتـــــذر إليك من الذي أسْدَيْتُ إذ أنا في الضلال أهيم
أيام تأمـــــرني بأغوى خُطة سهم وتأمـــرني بها مخزوم
وأمُـــدُّ أسبابَ الردى ويقودني أمـــرُ الغواة وأمرُهم مشؤُوم
فاليـــوْم آمن بالنــــبي محمد قلـبي ومخطئُ هـــذه محرومُ
مضت العداوة وانقضت أسبابها وأتت أواصر بيننا وحلـــومُ
فاغفر - فِدّى لك والدِايَ كلاهما - زللي فإنك راحـــمٌ مرحـومُ
وعليْك من سِمـةِ المليك علامةٌ نـــور أغرُّ وخاتم مختـــوم
ا لله يعلـم أن أحمد مرســـلٌ مستقبل في الصالحـين كريم(1)

---

(1) وله من قصيدة:

يشهـد السمـع والفؤاد بما قُلْـ ـتُ ونفسي الشهيـد وهْيَ الخبير
أنَّ ما جئـــتَ به حق وصدقٌ ساطـــع نـــوره مضيء منير
جئتنا باليقـــين والصدق والبرْ ر وفي الصـــدق واليقين السرور
أذهــب ا لله ضلة الجهل عنا وأتانا الرخـــاء والميســـور

ويقول أيضا:

ســـرت الهموم بمنزل السَّهم إذْ كنَّ بـــين الجلد والعظـــم
ندمًا على ما كان مـــن زللٍ إذ كنـــت في فتنٍ من الإثم

<<=

ذكر في هذه الأبيات ثلاثةً من بني قيس بن عدي: حذافة وهو أبو عبد الله وخنيس زوج أمنا حفصة ـ كما قدمنا ـ و**الزبعرى** والد عبد الله بن الزبعرى والثالث **الحارث** وهو **المستهزئ** بالنبي ﷺ، كما قال، وانطفأ **جمرُ شره** عن النبي ﷺ بالموت بالقروح في رأسه وسائر بدنه، كما قال البُوصيري في ذكره ما مات به المستهزئون:

وعلى الحارث القيوح وقد سا ل بها رأسُه وساء الوعاءُ

وأُمُّ الحارث هذا وأخيه حُذافة: الغيطلة[1] من كنانة، ويقال لسهم من هذا: *الغياطيلُ* ، قال أبو طالب:

لقد سفِهت أحلام قوم تبدلوا بني خَلَفٍ غَيْظًا بنا والغياطل

ومدح بني الحارث بقوله: **أشراف النَّدِي** قبل ذكر أبيهم بالاستهزاء بالنبي ﷺ لاستحقاقهم المدح بصُحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهاجر منهم ستة الهجرة الحبشية، وهم عبد الله المبرقُ وأبُو قيس والسائب

>> - -

حَيران يَعْمَهُ في ضلالته مستوردا لشرائع الظلم
عَمَهٌ يُزَيِّنه بنو جمح وتوازرت فيه بنو سهم
فاليوم آمن بعد قسوته عظمي وآمن بعده لحمي
بمحمدٍ وبما يجيء به من سنة البرهان والحكم

صلى الله عليه وسلم.

(1) الغيطلة بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصَّعِق بن شنوق بن مرة بن عبد مناة بن كنانة - [الزبيري].

والحارث ومعمر وسعيد وبشر[1] وصحب تميمٌ والحجاج. وقد ذكرت أهل الحبشة منهم في نظمي لمهاجرة الحبشة فقُلتُ:

هم معمر وحارث سعيد وبشرهم والسائب الشهيد
كذا أبو قيس كذا سعيد أخ لهم من أمهم[2] سعيد

أي سعيد بن عمرو التميميُّ أخ لهم من أمهم وحليفٌ لبني سهم، أمهم بنت حرثان من بني سُواءة بن عامر بن صعصعة. وسُمِّي عبدُ ا لله المبرِق لقوله حين هاجر الحبشة:

---

(1) أما أبو قيس فاسمه كنيته؛ أمه أم ولد حضرمية، أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ثم قدم منها فشهد أحدا وما بعدها واستشهد باليمامة. وأما السائب فأمه كنانية من بني شنوق بن مرة بن عبد مناة،كان من السابقين إلى الإسلام؛ هاجر إلى الحبشة وجرح يوم الطائف وقتل بعد ذلك يوم فحل بالأردن سنة ثلاث عشرة في أول خلافة عمر. وأما الحارث بن الحارث فقيل ممن هاجر إلى الحبشة، واستشهد باجنادين وقيل باليرموك. وأما معمر فكان من مهاجرة الحبشة. وأما سعيد بن الحارث فأمُّه ضعيفة بنت عمرو بن عروة بن حذيم السهمية، كان ممن هاجر إلى الحبشة واستشهد بأجنادين، وقيل باليرموك، سنة خمس عشرة. وأما بشر فقيل اسمه سهم وكان من مهاجري الحبشة.

وللحارث المستهزئ من الولد أيضا عبد ا لله وتميم والحجاج، أما عبد ا لله فيلقب بالمبرق؛ أمه من بني نمير بن عامر، وكان أيضا ممن هاجر إلى الحبشة واستشهد بالطائف وقيل باليمامة. وأما تميم فأمه بنت حرثان بن حبيب من بني عامر بن صعصعة؛ هاجر الحبشة أيضا واستشهد باجنادين. وأما الحجاج فقد هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة بعد أحد، ولا عقب له، واستشهد بأجنادين، وقيل باليرموك وقيل لم يهاجر إلى الحبشة، وأسِّر يوم بدر.

(2) هو سعيد بن عمرو التميمي نسبا السهمي بالحلف، أمه بنت حرثان، أخو السائب وتميم والحجاج وغيرهم من بني الحارث من أمهم بنت حرثان، هاجر مع إخوته إلى الحبشة واستشهد باجنادين.

إذا أنا لمْ أبــرقْ فلا يسعَنَّــنِي من الأرض بَرٌّ ذو فضاء ولا بحر
بِأرض بها عبــد الإله محمــد يُبيِّنُ ما في الصدر إذ بلغ النقر[1]
فتلك قُرَيش تجحَــدُ الله ربَّها كما جحدت عادٌ ومدينُ والحجرُ

(والإبراق: الذهاب). واستشهد المبرِقُ بالطائف، وكلهم - أو جلهم - ماتوا شهداء، وأبو قيس كنية عبد الله وهو سيدُ قريش غير مدافَع - (قاله في الإصابة).

هُنَا انْتَهَى سَعْــدُ، وَمِن سُعَيْدِ أَخِيهِ عَمْرُو ذُو الدَّهَا والْكَيْدِ

سعد الذي **انتهى** هو سعد بن سهم. وشرع يتكلم في **سُعَيد** (بصيغة التصغير). **وأخيه**: أي أخي سعد، وهو عطفُ بيان أو بدل من سُعيد. **وعمرو**: مبتدأ خبره: **من سعيد**. **وذو الدها**: صفة لعمرو، وهو **عمرو** بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعَيْدٍ بن سهم، ويضرب به المثل في الدهاء[2]؛ والدهاء: جودة الرأي ومنه **الكيْد**.

عمرو بن العاص ودهاؤه

ومن دهائه ما وقع له مع عمارة بن الوليد بن المغيرة حين بعثْهما قريش إلى النجاشي لِيُسلِّمَ لهم أصحابَ النبي ﷺ، وسار عمرو مع زوجته ريطةَ بنت منبه بن الحجاج، وهي أم ابنه عبدِ الله بن عمرو، فلما كانوا في

---

(1) النقر (بالقاف): كنى به عن الدعوة والتنبيه إلى الحقِّ - [حاشية الزبيري].

(2) كان عُمر إذا استضعف رجلا في رأيه وعقله يقول: أشهد أن خالقك وخالق عمرو واحد!. وكان من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية وكان شاعرا مجيدا.

الطريق تعاشق عمارة مع ريطة، وكان عمارة في غاية الحسن محبَّبًا إلى النساء، ففطن لهما عمرو ولكن لم يظهر لهما ذلك، فأتوا إلى سفينةٍ في البحْر يريدونَ رُكوبها فقدَّموا المرأة فركبَت وركب معها عمارة، فأمر أهلَ السفينة أن يجروها بعدما شرع عمرو في الركوب ففعلوا، وبقي عمرو في الماء فكاد يغرق ولكن سبح وصاح بأهل السَّفينة حتى لحقها وركب، فرأى في عمارة والمرأة الخجل، وعزم عليها أن تقوم إلى عمارة وتكون معه في مكان من السفينة؛ قال: قومي إلى ابن عمك وقبِّليه. فلما ذهب ذلك وأتوا أرض الحبشة قال له عمرو: يا عمارة إن قريشا بلغهم عنا شيء؛ فالآن أكتبُ أنا إلى بني سهم أن يتبرأوا مني ومن دَمي واكتبْ أنت إلى بني مخزومَ مثلَ ذلك، ففعلا.

فلما وصل الكتاب إلى قريش قالوا: مات والله عمارة.. إنها لمكيدة من عمرو، فلما وصلوا إلى الحبشة قال له: يا عمارة إنك لجميل وذو مكانة عند النساء، والحبشة يطيعون نساءَهم، فتلطف في لقيا زوجة الملك حتى يكون بيْنك وبينها ما تشفع به فينا عنده.. فالتقط عمرو بعض ما كان بينهما وسعى به إلى الملك، فقال: لا أقتله ولكن أفعل به ما هو كالقتل أو أشرَّ منه؛ فأمر السَّواحر فنفخن في إحليله فطار منه فؤادُه وهام في الأرض مع الوحش يرعى معه ويرد معه المياهَ، فلما كان في خلافة عمر بن الخطاب استشاره عبدُ الله بن أبي ربيعة في أن يأخذه، فأذن له فسار إليه فكمن له على ماء يرده مع الوحش حتى أخذه فنفر منه وقال: أرسلني بُجير.. ولم يزل يقولها وعبد الله ممسك به حتى مات في يديه.

فلما لم يجد عمرو من النجاشي ما يريده من قومنا الذين عنده رجع إلى قريش. ثم بعث النبي ﷺ عمرَو بن أمية الضمري إلى النجاشي بكتابين أحدهما يدعوه فيه إلى الإسلام والآخر أن يُسَيِّرَ إليه القومَ، فقالت: قريش لعمْرو بن العاص: ارجع إليه بهدية هي أحب ما يهدى إليه، قال: أحب ما يهدى إليه الأدم فاجمعوا لي من الأدم.

إسلامه على يد النجاشي

فسار إليه، فلما دخل عليه قال: هذا صاحبي ما أهديت إلي؟ قال: قبةُ من أدم، قال: مرحبا بك ما حاجتُك؟ قال: هؤلاء القومُ الذين عندك تدفعهم لنا، فصفعه النجاشي صفعة عظيمة، فأطرق عمرو ساعة ثم قال له النجاشي: ويلك يا عمرو أسلم.. وا لله لتعلم أنه نبي. فلم يزل يدعوه إلى الإسلام ويحسنه له إلى أن أسلم على يد النجاشي. فخرج من عنده يريد النبي ﷺ، فلقي خالدَ بن الوليد وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري يريدان الإسلام فتكاتموا خبرَهم. و لم يزل عمرو يسأل خالدا إلى أن قال له: ويحك يا عمرو ظهر وا لله المنسم - يعني الأثر (لأن المنسم في القدم التي تؤثر في الأرض) وفي رواية: الميْسم يعني العلامة - إن الرجل وا لله إنَّه لنبي فاسلم تَسلم، فقال عمرو: ما جئت إلا لذلك[1].

---

(1) قال عمرو بن العاص وهو يحدث عن سبب إسلامه: كنت للإسلام مجانبا معاندا، حضرت بدرا مع المشركين فنجوت، ثم حضرت أحُدا فنجوت، ثم حضرت الخندق فنجوتُ، قال: فقلت في نفسي وا لله ليظهر محمد على قريش. فلحقت بمال لي بالرهط وأقللت من لقاءَ الناس، فلما حضر الحديبية وانصرف رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم في الصلح ورجعتْ

<<=

-- >>

قريش إلى مكة، جعلت أقول يدخل محمد قابلا مكة بأصحابه؛ ما مكة بمنزل ولا الطائف ولا شيء خير من الخروج.. وأنا بعدُ ناء عن الإسلام وأرى لو أسلمت قريش كلُّها لم أسلم. فقدمت مكةَ وجمعت رجالاً من قريشٍ كانوا يروْن رأيي ويسمعون منّي ويقدِّمونني فيما نابَهم، فقلت لهم: تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو عُلوا منكرا وإني قد رأيت رأيا فما ترون فيه؟ قالوا: وما هو؟ قال: رأيتُ أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن يظهر محمد على قريشٍ كنا عند النجاشي فإنا أن نكون تحتَ يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمدٍ، وإن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير، قالوا: هذا الرأي، قال: قلت فاجمِعوا ما نهديه لَهُ. وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدَمُ، فحملنا أدَما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشيِّ فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثَه بكتابٍ أن يزوِّجه أمَّ حبيبة بنت أبي سُفيان، قال: فقلت لأصحابي هذا عمرو بن أمية ولو دخلت على النجاشي فسألته إياهُ فأعطانيه فضربت عُنقَه فأكون قد قتلت رسول محمد، فدخلت على النجاشي فسجدت له كما كنت أصنعُ فقال: مرحباً بصديقي، فقلت: أيها الملك إني قد رأيت رجُلا خرج من عِندك وهو رسول عدونا الذي وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا فأعطنيه فأقتلَه، قال: فغضب من ذلك ورفع يده وضربَ بها أنفي ضربة ظننت أنه كسره، ثم قلت أيها الملك لو ظننت أنك تكره ما سألتك إياه.. قال فاستحيا وقال: يا عمرو تسألني أن أعطيَك رسولَ رسول الله، من يأتيه الناموسُ الأكبر الذي كان يأتي موسى والذي كان يأتي عيسى لتقتله؟! قال عمرو: فغيَّر الله قلبي عما كنت عليه وقلت: أتشهد أيها الملك بهذا؟ قال: نعم أشهد به عند الله يا عمرو فأطعني واتبعه فوالله إنه لعلى الحق وليظهرنَّ على من خالفَه، قال قلت: أتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم؛ فبسط يده فبايَعني على الإسلام، قال: فخرجت إلى موضع السُّفن فوجدت سفينة قد شحنت فركبتُ فيها حتى انتهيت إلى الشّعبة فنزلت منها ومعي نفقة، فابتعت بعيرا وخرجت أريد المدينة حتى مررت على "مر الظهران" ثم مضيت حتى إذا كنت "بالهدة" فإذا رجلان قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلا، واحد منهما داخل في الخيمة والآخر ممسكٌ الراحلتين، قال فنظرت فإذا خالد بن الوليد وعثمانُ بن طلحة، فرحَّبا بي، ونزلنا جميعا في المنزل.

<<=

فترافقوا حتى قدموا على النبي ﷺ، فلما رآهم قال لأصحابه: «رمتكم مكة بأفلاذ كبدها»[1]، قال عمرو: وكنت أسنَّ القوم فأردت أن أكيدَهُما فقدَّمتهما يُبايعان قبلي حتى أسمع ما يبايعان عليه لأزيد عليه، فبايعاه على غفران ما تقدم من ذنبهما، وأضمرت في قلبي أن أبايعه على غفران ما تقدم من ذنبي وما تأخر، فبايعت على غفران ما تقدم من ذنبي.. ونسيت ما تأخر، ولم أزد عليهما شيئا[2].

--->>

وفي رواية أنه سبقهما إلى "الهدة" فلما قدما عليه رحب بهما فقالا: وبك، فقال إلى أين مسيركم؟ فقلنا: وما أخرجك؟ فقال: وما أخرجكما؟ قالا: الدخول في الإسلام واتباع محمد صلى الله عليه وسلم، قال: وذاك الذي أقدمني؛ فاصطحبنا جميعا حتى دخلنا المدينة، فما أنسى قول رجلٍ لقيناه ببئر أبي عتبةَ يصيح: يا رباح يا رباح يا رباح.. فتفاءلنا بقوله وسرنا، ثم نظر إلينا فسمعتُه يقول: قد أعطت مكة المقادة بعد هذين - وظننت أنه يعنيني أنا وخالد بن الوليد - وولى مدبرا إلى المسجد سريعا، فظننت أنه بشَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومنا، فكان كما ظننت. وأنخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ثم نوديَ بالعصر فانطلقنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن لوجهه تهلُّلا والمسلمون حوله قد سُروا بإسلامنا، فتقدم خالدُ بن الوليد فبايع ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفي حياء منه، قال فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي - ولم يحضرني ما تأخر - فقال: «إن الإسلام يجب ما قبله»، قال: فوالله ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد أحدا من أصحابه في أمرٍ حَزبه منذ أسلمنا ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة، وكان عمر على خالد كالعاتب.

(1) ذكره في *الرحيق المختوم* عن ابن هشام. ويعني بأفلاذ كبدها أنهم وجوه أهل مكة.

(2) وإلى تاريخ إسلام هؤلاء وقدومهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسماء آبائهم وقبائلهم أشار الشيخ محمذفال بن متالِ رحمه الله فقال:

<<=

تولية النبي ﷺ والخلفاء له

وحسن إسلام عمرو وعمل للنبي ﷺ مرارًا، منها انه أمَّره على سرية ذات السلاسل؛ ثم بعث إليه يستمده فأمده بقوم فيهم أبو بكر وعمر، فأمَّر عليهم أبا عبيدة وقال له: «لا تخالف عمرا، فلما جاءهُ المَدَدُ أراد عمرو الإمامة فنازعه أبو عبيدة، فقال له عمرو: أنا أميرك، فقال له أبو عبيدة: أنت أمير من معك وأنا أمير من معي، فقال له عمرو: إنما أنت ومَن معك مدد لي؛ فقال أبو بكر وعمر لأبي عبيدة: إنَّ رسول الله ﷺ أوصاك أن لا تخالف عمرًا. وصار عمرو يؤم الجميع وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ـ وهو حديثُ عهد بالكفر ـ لإمارته عليهم[1]. ومنها أنه قال له رسول الله ﷺ مرةً: «أريدُ أن أوجهك لوجه وأرغب لك رغبة من المال»، قال: يا رسول الله وجهني إلى حيث شئتَ ولا حاجة لي في المال، فقال صلى الله عليه وسلم: «نعِمَّا بالمال الصالح للرجل الصالح»[2]، فبعثه

>> - -

بين الحديبيـة جا وخيـبرا	**عثمانُ عمرٌو خالـدٌ خيرَ الـورى**
لطلحـة العاصِ وليد الشُّومِ	**العبـدري والسَّهمي والمخزومي**

وإلى هذا المعنى أيضا أشار الشيخ محمد مولود بن محمد بن المختار (امرابط اغشممت) بقوله:

عمرو وخالـد وعثمان هـمُ	**أفـلاذ مكـة بوقـت أسلموا**
أبناء عاص والوليـد المدبـر	**وطلحة نجـل أبيه العبـدري**

(1) لأنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما في صفر سنة ثمان ـ قبل الفتح بستة ـ أشهر، وأمَّره صلى الله عليه وسلم على سرية ذات السلاسل المذكورة في جمادى الآخرة من نفس السنة، فكان بين إسلامه وتأميره نحو ثلاثة أشهر.

(2) أخرجه أحمد.

إلى عُمان يدعو ملكيْها إلى الإسلام؛ وهما عَبْدٌ وجَيْفَرُ ابنا الجُلَندَى فأسلما وأسلم أبوهما الجُلَندى[1].

ثم بعد النبي ﷺ أمَّره أبو بكر على بعض جيوش الشام. ثم بعد أبي بكر أمَّره عمر على جيش إلى مصر ففتحها[2]، وكان يطلب ذلك من عمر ويرغب فيه، لأنه في الجاهلية - في تجارة إلى الشام - قدموا إيلياء فمكثوا فيها يبيعون تجارتهم، وكانوا يتعاقبون سرح إبلهم؛ فسرح عمرو يوما؛ فبينما هو يرعى إبلَه وقد علَّق سقاءه في شجرة إذ جاءه شخص على غير هيئة أهل تلك الأرض عليْه عمامة وحلة جيدة، فجاءه وقد أجهده العطش؛ فسقاه عمرو من مائه ونام تحت الشجرة التي تحتها عمرو فجاءت حية عظيمة كأنها تقصدُ النائم فرماها عمرو وقتلها، فانتبه الرجل فإذا الحية عند رأسه مقتولة فسأل عنها عمرا فقال: أتتْ من هذه الجهة فقتلتها، فقال الرجل: يا هذا إنَّكَ أنقذتني من الموت مرتين: من موت

---

(1) ولم يزل عمرو على عُمان حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) وكان عمر قد ولاه قبل مصر على فلسطين والأردنّ، ولم يزل واليا لعمر على مصر حتى مات عمر فأقره عثمان عليها، ثم عزله وولى مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، فلما قتل عثمان لحق عمرو بمعاوية بن أبي سفيان فكان معه في قتاله لعلي رضي الله عنهم؛ ثم ولاه مصر، ولم يزل عليها إلى أن توفي في بضع وأربعين عن عمر يبلغ تسعين سنة ودفن بالمقطَّم، وفيه يقول ابن الزَّبير:

ألم تر أن الدهر أخنت صروفه ... على عمرو السهمي تُجبَى له مصر
فأضحى نبيذا بالعراء وضلّلت ... مكايده عنه وأمواله الدَّثْر
ولم يغن عنه جمعه وتلاده ... ولا كيده لما أتيح له الدهر

العطش ومن هذه الحية التي كانت تريدني فمن أنت؟ قال: رجُلٌ من العرب قدمت في تجارة ومعي أصحابي وهم في المدينة وأنا اليوم أسرحُ لهم إبلهم، فقال: وأنا قسِّيس من قسيسي الاسكندرية وقد نذرت الصلاة في بيت المقدس وجئت لذلك فأضللت الطريق حتى كاد يهلكني العطش فأنقذتني منه ومن الحية ولك علي دِيتان، فما الدية عندكم؟ فقال عمرو: مائة بعير، فقال القسيسُ: إنا أهل مصر لسنا بأهل إبل وإنما نحن أهل عين فما قيمة البعير عندكم من العين؟ قال: عشرة دنانير، فقال: تلك ألفا دينار فسرْ معي أعطيكَهُما، و لم يكترث عمرو بقوله حتى راح معه إلى أصحابه فاستشارهم وطلب منهم رجلا يسيرُ معه، فسار معه أحدهم واشترطا على القسيس أن يجيرهما إلى أرض العرب. فلما قدموا الاسكندرية أكرمهما وأعطاهما ألفي دينار وكساهما، فأرادا الخروج فقال لهما: إن لنا عيدا قد أقبل ولا عليكما أن تحضراهُ فتشهدا صنيعنا فيه، فانتظراه؛ وكانتْ لأهل مصر كرة يترامونْ بها فمن دخلت في لباسه يملك مصر، فتراموْا بها فطارت فدخلت في كُمِّ عمرو فقالوا: ما كذبتنا كرتُنا هذه قطٌّ قبل اليوم! فلما كانت المسلمون تفتح بلاد العجم طمع عمرو في ملك مصر، لدخول الكرة في كمِّه.

وأخو عمرو هشامُ بن العاص قديم الإسلام وهاجر الحبشةَ الهجرة الثانية واستشهد باجنادين أو اليرموك. وسئل عمرٌو: أيُّكما أفضل أنت أو أخوك هشام؟ قال: كان أحبَّ إلى أبيه مني وتعرفون فراسة الوالد في ولده واستبقنا إلى الله فسبقني، يعني الإسلام، وعرضنا أنفُسنا على الله فقبله

وردني، وا لله أسأل حسن المآب. وأم عمرو النابغةُ بنت حرملة[1].

ومن عقله وحلمه أنه مر يوما بجماعة ـ وهو أمير ـ فقالت الجماعة: من يسأل الأمير عن أُمِّه ولهُ كذا وكذا؟ فقام إليه رجل فقال: أصلح ا لله الأمير قد عرفنا العاص بن وائل فمن الأمُّ؟ فقال: امرأة أصابتْها رماحُ العرب فوطئتْها جماعة فولدتني وأعْطتني القافةُ للعاص، فارسِل لجامَ البغلة وخذ أجرتك. ويكنى عمرو أبا عبد ا لله، بابنه عبدِ ا لله الذي ولد على إحدى عشرةَ سنة[2]. وأَلغزَ عبدُ ا لله بن القاضي العلوي[3] لِزوايا القِبلة[4] في عمرو وابنه عبد ا لله فقال:

أتيناك نوْكى مُرملين فواسِنا ... بإسلام صحبي على يد تابع
وسبْقِ أب ميلادُه مولدَ ابنه ... بخمس وست أو عززن بسابع

(1) واسمها سلمى، سبيت من بني جلان بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار فبيعت بعكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها منه عبد ا لله بن جدعان ثم صارت إلى العاص بن وائل فولدت له عمرا، وإخوة عمرو بن العاص لأمه: عمرو بن أثاثة العدوي وعقبة بن نافع بن عبد القيس من بني الحارث بن فِهر وزينب بنت عفيف بن أبي العاص.. كل هؤلاء إخوة لأم.

(2) أي أن عبد ا لله هذا ولد وعُمْر أبيه عمرو بن العاص إحدى عشرة سنة.

(3) هو العلامة الأديب والشاعر المشهور سيدي عبد ا لله بن محم (محمد) بن عبد ا لله بن الطالب العلوي المشهور بابن رازگه، وهي أمه. وجده عبد ا لله بن الطالب هو القاضي ويعرف بالغاظي، وكانت لابن رازگه هذا وآبائه محظرة من أكبر المحاظر الشنقيطية يدرس فيها جل العلوم. وتوفي ابن رازگه سنة أربع وأربعين ومائةٍ وألف هجرية وقبره مشهور في مدينة شنقيط.

(4) الزوايا: مصطلح عند الشناقطة يطلقونه على الفئة المشتغلة بالعلم تعلما وتعليما وتدريسا وتصنيفا. والقبلة: يطلقونها على الناحية الجنوبية الغربية من البلاد الموريتانية.

فأجابه جدنا محمدا[1] رحمه الله فقال:

هما عمرٌو السهمي أسلم مخلصا	**بأصحمة المَلْكِ النجاشي المتابع**
معَ ابْنِهِ عبد الله قد جاء بعده	**بخمس وست ما عززن بسابع**

(قوله: على يد تابع: فيه نظر لأن التابعي خاص بمَن جاء بعد الصحابة وأما من كان في زمن النبي ﷺ ولم يره فإنما يقال له مخضرِم كالنجاشي وأمثاله).

قيل لعمرو بن العاص: ما أبطأ بك عن الإسلام وأنتَ أنتَ في عقلك؟ قال: "كنا مع قوم لهم علينا تقدم وسنٌّ حلومُهم توازي الجبالَ ما سلكوا فجا فسلكْناه معهم إلا وجدناه سهلا، فلما أنكروا أمْر النبي ﷺ أنكرنا معهم ولم نفكر في أمرنا وقلَّدْناهم، فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظرنا في أمر النبي ﷺ فإذا الأمر واضح فوقع في قلبي الإسلامُ، وعرفَت قريش ذلك في إبطائي عمَّا كنت أُسرع إليه في عونهم على أمورهم، فبعثوا إلي فتى منهم فقال: إن قومك قد ظنوا بك الميلَ إلى محمد، فقلت له: يا ابن أخي إن كنت تحب أن تعلم ما عندي فموْعدُك الوقتُ الفلاني؛ فالتقينا فيه فقلت: أنشدك الله الذي هو ربك ورب مَن قبلك ورب مَن بعدك أنحن أهدى أم فارس والروم؟ قال: بل نحنُ، قلت: فما ينفعنا الفضلُ عليهم في الهدى إن لم يكن إلا في هذه الدنيا وهم فيها أكثرُ منا أمرًا؟ قد وقع في

---

(1) هو العلامة محمدا بن أبي أحمد ـ والد الناظم ـ كان من العلماء البارزين وسادة عصره المعروفين وكان على علمه من أبرز الأدباء والشعراء، وكانت له محظرة من أُمَّهات المحاظر الشنقيطية وتوفي رحمه الله في صدر القرن الثاني عشر الهجري ودفن بموضع يعرف بـ"وَرَارَه" في الجنوب الشرقي من مدينة نواكشوط.

نفسي أن ما يقول محمد حق من البعث بعد الموت؛ ليجزى في الآخرة المسيء بإساءته والمحسن بإحسانه ولا خير في التمادي في الباطل".

وليس للعاص في الجاهلية من الولد إلا عمرو وهشام، أما عمرو فقدمنا أمه؛ وأما هشام فأمُّه أم حرملة بنت هشام بن المغيرة، أخت أبي جهلٍ. وليس له بعد أن أسلم ابناهُ ابنٌ، لأنه الأبتر كما قال تعالى[1]، لأن ابنيه صارا بالإسلام ابنين للنبي ﷺ لقوله تعالى ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾[2] وهو أب لهم في أول النزول[3]، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «أنا جدُّ كل تقي»[4] ولقوله: «من ترك دينا أو عيالا فعندي وإلي»[5]، قال محمد بن سعيد البوصيري:

خمسة طُهِّـرَتْ بقَطعِهِـمُ الأر ... ضُ فكَـفُّ الأذى بهم شـلاءُ

والقطع يدل على عدم النَّسل، إذ نسلهم انقطع عنهم بالإيمان؛ وهم:

---

(1) ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ - (الكوثر3).

(2) الأحزاب: 6.

(3) أي نزول القرآن الكريم، أي في صدر الإسلام قبل نزول قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ وقد جاء في تفسير النسفي: في قراءة بن مسعود: "النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم"، ومثله أيضا في تفسير الثعالبي؛ قال: وفي مصحف أبيّ بن كعب: "وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم". وفي النسفي: قال مجاهد: كل نبي أبو أمته ولذلك صار المؤمنون إخوة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أبوهم في الدين، وفيه أيضا: كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولاد النبي صلى الله عليه وسلم وأعقابه.

(4) في *الحاوي*: سئل عنه السيوطي فقال: لا أعرفه.

(5) رواه البخاري ومسلم.

العاص والوليد بن المغيرة والحارث بن الغيطلة والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث، فهؤلاء هم المستهزئون[1]. وانقطع عن العاص ابناه هذان؛ وسبب نزول الآية أنه قال حين مات القاسمُ بن رسول ﷺ: ذلك رجل أبتر، وإنما الأبتر هو لنفْيِ ابنيه عنه بالإيمان، وكذلك بنو المستهزئين غيره؛ كبني الحارث المتقدمين الكرام وخالد والوليد وهشام ـ بني الوليد بن المغيرة ـ وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وهبار بن الأسود وعكرمة بن أبي جهل، وكذلك كل من أسلم من بني الكفار الذين ماتوا على كفرهم.

ومِن استهزاء العاص بالنبي ﷺ أنه أتاه خباب بن الأَرَتِّ يتقاضاه دينا له عليه فقال: أنظرني إلى يوم القيامة الذي تزعُم أنت وصاحبُك أنه يكون لكم فيه كذا وكذا.. فإني لا أكون إلا أحسنَ منكم حالا فيه وتجدني فيه ذا ولد ومال أقضيك منهُ دينَك، فنزل فيه: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾[2]. وهو الذي أجار عُمَرَ بن الخطاب من قريش يوم أسْلم؛ رأى الناس يعدون بالبطحاء قال: أين تريدون؟ قيل: ابنُ الخطاب الذي صبأ، فأشار إليهم بثوبه وقال: لا سبيل لكم إليه إني أجرْته، فرجع عنه الناس بقوله. وفيه يقول ابن الزبعرى:

أصابَ ابن سلمى خَلة من صديقه ولولا ابنُ سَلمى لم يكن لك راتِقُ

---

(1) الذين نزل فيهم قوله تعالى﴿إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ - (الحجر:95-96).

(2) مريم: 77.

فـآوى وحيًا إذ أتاهُ بخلـــــــة	وأعرض عنه الأقربُون الأصادقُ
فإمَّا أُصِبْ يوما من الدهر نصرةً	أتتك وإني يا ابْن سَلمى لَصادِقُ
وإلا يكـــن إلا لساني فإنـــني	بحسن الذي أسْديت عني لناطِقُ
ثمال يعيـــش المقْتِرون بفضلـــه	وسيبُ ربيع ليس فيه صواعـِقُ

عُـدَّتْ لَهُ تِسْعُ أَرَادِبَّ ذَهَبْ خَلَّفَهَا غَـدَاةَ لِلرَّمْسِ ذَهَـبْ

الإردَبُّ (بالكسـر وشـد البـاء): جلـدُ العجـل أو عـنق الفحل. أي يوم مـات عمـرو بـن العـاص **وذُهـب** بـه إلى القبر وجدوا **تسعة أرادب** ذهبا في تركـته، لأن معاويـةَ خـلى له خـراج مصـر ست سنين. ولما حضرته الوفاة قـال له ابـنُه عـبد الله: يـا أبت كنت تتمنى أن تلقى رجلا عند الموت لبيبا ثابتَ الجأش يصفهُ لك وأنت ذلك الرجل، فصف لي الموت، فقال: يا بني كـأن السـماء على الأرض انطبقت وأنا أتنفس بينهما، وكأن غُصن شوك اهْلـيج يجـذب مـن قدمـي إلى هـامتي، ثـم قـال: الـلهم أمـرتني فـلم أئـتمر وزجـرتني فـلم أنزجرْ؛ ووضع يده على موضع الغِلّ[1] وقال: اللهم لا قوي فأنتصـر، ولا بـريء فأعتذر، ولا مُستكبر بل مستغفر، لا إله إلا أنت. ولم يزل يكررها حتى مات.

وكان مع معاويـــة في جميع حروبـــه مع علي رضـي الله عنهم ـ فولاه

(1) الغل (بالكسر): الضغن والعداوة والحقد الكامن وموضعه الصدرُ قال تعالى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ ـ (الأعراف:43/ الحجر:47). وقد ضرب صلى الله عليه وسلم صدر عمر حين أسلمَ وقال: «اللهم أذهب ما في صدره من غل وأبدله إيمانا».

مصر على ذلك ـ ومعه ابنُه عبدُ الله مكرها؛ ولم يضرب فيها بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بنبْلٍ، وكان يقول: ما لي ولصفين! وصلى على أبيه حين مات. وكان عبدُ الله يدمن الصيام ويقوم الليل، فقال له النبي ﷺ: «صُمْ وأفْطِرْ وصَلِّ ونَمْ»[1].

ومن نسله عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو المحدث، يروي عن أبيه شعيب وشعيب يروي عن جده عبد الله بن عمرو؛ والسند: *حدثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده*، أي جد شعيب.

ولما ذكر عمرو بن العاص لزم من ذكره وذكر أبيه العاص بن وائل استطرادُ ذكر حلف الفضول، لأنه سببُه؛ فقال رحمه الله وعفا عنه:

حِلْفُ الفُضُولِ وَدَّهُ خَيْرُ نَبِي ... مَنشَؤُهُ أَنَّ ابْنَ وَائِلِ الْغَبِي

لَطَّ لآتٍ مِن زُبَيْدٍ بِثَمَنْ ... بِضَاعَةٍ وَطَلَبَ الرَّجُلُ مَنْ

يُنصِفُهُ فَلَمْ يَجِدْهُ فِي النَّدِي ... إِلاَّ الزُّبَيْرُ وَهْوَ عَمُّ أَحْمَدِ

فَجَمَعَ الْمُطَيَّبِينَ وَحَضَرْ ... نَبِيُّنَا إِلَى ابْنِ جُدْعَانَ الأَغَرّ

وَعَقَدُوا: أَن لاَّ يُضَامَ أَحَدُ ... وَحُسِدُوا بَعْدُ عَلَى مَا عَقَدُوا

سمي بالفضول لأنهم تعاقدوا على أن يردوا فضول أموالِ الأغنياءِ على الفقراء، أو لأن هذا الحلف سبقهُم إليه رجال من جُرهم كلهم اسمُه الفضلُ فاقتدوا بهم.

---

(1) متفق عليه.

ووِدّه: أحبه، لأنه صلى ا لله عليه وسلم قال: «شهدت حِلفا في دار ابن جُدعان ما أُحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به اليوم لأجبت»[1]، أي لم يكن من دعاء الجاهلية الذي حَرَّمَهُ النبيُّ ﷺ بقوله: «دعوها فإنها منتنة»[2] وبقوله: «من تعزى عليكم بعزاء الجاهلية فأعضوه بهَنِ أبيه ولا تَكْنُوا»[3] (قالها في غزوة المريسيع في أمر الواردة؛ إذ قال الأنصاري: يا للأنصار وقال المهاجري: يا لَلْمهاجرين) وكانت العرب تقول في استصراخهم: يا لَفُلان ويا لَبَني فلان، فحرمها صلى ا لله عليه وسلم وجعل مكانها: يا لَله أو يا لَلمُسلمين، إلا دعاء حلف الفضول، لقوله صلى ا لله عليه وسلم: «ولو دعيت به اليوم لأجبت»؛ ولذلك لما توفي الحسن السِّبْط رضي ا لله عنه أراد الحسينُ أن يجعله مع جدِّه صلى ا لله عليه وسلم فمنعه مروانُ ومَن معه من بني أمية، وقال: لم يدفن معه عثمان ويدفن معه غيره؟ وا لله لا يكون ذلك أبدا. فدعا الحسين أهلَ حلف الفضول فأتوه مصلتي سيوفهم، وفيهم عبدُ ا لله بن الزبير يريدون القتال، فقام أبو هريرة إلى الحسين و لم يزل يُذَكِّرُهُ با لله والرَّحِم لئلا يقتتل الفريقان حتى قبل أن يدفن بالبقيع[4]. واستمر إلى اليوم جوازُ الدعاء بحلف الفضول، وهو

---

(1) رواه أحمد وأورده ابن هشام.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

(3) تقدم تخريجه.

(4) وكانت بين الحسين بن علي رضي ا لله عنهما وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان منازعة في

<<=

كدعاء "يا لله ويا لَلمسلمين". وقوله: «فأعضوه بهَنِ أبيه ولا تكنــوا» أي قولوا له: عض أيرَ أبيك ـ وهو سبُّ العرب ـ ولا تقولوا: هن أبيك، والنبي ﷺ لا يصرح بالقبيح من الكلام، ولم يأت في القرآن التصريـح بـه، ولكـن الصحابة يصرحون به بين يدي النبي ﷺ ولكن في الحرب، كقول أبي بكر لعروة بن مسعود: امصص بظر اللات أنحن نفر عنـه؟! وكقـول سـعد بـن عبادة لحويطب بن عبد العزى: يا عاضـا بظـر أمـه أهـي أرضـك أو أرض أبيك دونه[1]؟!.

--->>

مال كان بينهما بذي المروة بناحية وادي القرى، والوليد يومئذ أمير على المدينة من طـرف عمه معاوية، فتحامل الوليد على الحسين لسلطانه فقال له الحسين: أحلـف بـا لله لتنصفنّي من حقي أو لآخذنَّ سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم فـأدعونَّ بحلف الفضول، فقال عبد ا لله بن الزبير ـ وكان حاضرا عند الوليد ـ: وأنا أحلف با لله لئـن دعا به لآخذنَّ سيفي ثم لأقومنَّ معه حتى يُنصَف من حقه أو نموت جميعا، فبلغـت المسـور بن مخرمة الزهري فقال مثل ذلك، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبـد ا لله بـن جدعـان التيمي فقال مثل ذلك، فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضي.

(1) وذلك لما دخل رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم مكة عام عمـرة القضـاء وأقـام بهـا ثـلاث ليال وقضى نسكه وكان ذلك هو الأجل الذي اتفقوا عليه بالحديبية، فلما كان اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى في نفر من قريش ـ وكانت قريش قد وكلت سهيلا وحويطبا بإخراج رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ـ فوجدوا رسـول ا لله صلـى ا لله عليه وسلم في مجلس من الأنصار يتحدث مع سعد بـن عبـادة، فصـاح حويطـب: نناشـدك ا لله والعقد إلا خرجت من أرضنا فقد مضـت الثـلاث، فغضـب سـعد لمـا رأى مـن غلظـة كلام حويطب وقال له: يا عاضا..إلخ، ثم قال لـه: وا لله لا يخـرج منهـا إلا طائعـا راضيـا، فتبسم رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وقال: «يا سعد لا تؤذ قوما زارونا في رحالنا»، ثم أمر صلى ا لله عليه وسلم بالرحيل.

ومنشأ هذا الحلفِ، أي سببه، أن العاص **بن وائل** اشترى من رجل من **زُبيد**، وهم قبيلة من مَّذحج، **بضاعة** قدم بها وأتى بها الحرم، **فلَطَّ** له **بثمنها**: أي مطلهُ، وأبى أن يردها عليه ولا ثمنها. **فطلب** الزبيدي رجُلاً من قريش يأخذ له حقه من العاص، **فلم يجده** لعزِّ العاص، فأمهل حتى اجتمعت قريش في أنديتها، صعد أبا قبيس - أو على الحجر - وقال:

يا آل فِهر لمظلوم بضاعَته ... ببطن مكة نائي الدار والنفر

ومُحرِمٍ أشعَثٍ لم يقض عمرته ... بين الالاء وبين الحجْر والحجَر

إن الحرام لمن تَمَّت كرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقال الزبير بن عبد المطلب: ما يقول هذا؟ فأُخبر؛ فدعا المطيبين - غير بني عبد شمس - من بني عبد مناف وجمعهم في دار عبد الله بن جُدعان وتحالفوا على ما تقدم[1]، **وحضر النبي** ﷺ ذلك الحلفَ. ثم **حسدتهم** قريش - أي لعَقة الدم وغيرهم - على هذا الحلف، لأنه من مكارم الأخلاق. وكان عتبة بن ربيعة يقول: لو أن رجلا خرج من قومه لخرجت من بني عبد شمس ودخلت في حلف الفضول.

وبعد ذلك قدم رجل من اليمن حاجا معه ابنة له يقال لها القتول، ما رىء أجمل منها؛ فأخذها منه نبيه بنُ الحجاج السهمي، فأغلق عليها داره ومنعها من أبيها، فطلب الرجل من قريش من يأخذ له ابنته؛ فقيل له:

---

(1) فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو غيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته.

عليك بأهل حلف الفضول. فأتاهم وقاموا معه إلى دار نبيه فصاحوا به، فخرج إليهم، فقالوا له: قد علمتَ ما تعاقدنا عليه فأخرج المرأة، فقال: نعم ولكن متعوني بها الليلة، قالوا: لا، ولا شخْب لقحة! فأخرجها وقال:

صاح أهلُ القَتول حَيِّ القتولا   لم أودعهم وَدَاعًا جميلا
إذ أجدَّ الفُضُول أن يمنعوها   قد أراني ولا أخافُ الفُضُولا

ومن مشاهير بني سُعيد بن سهم أبو وداعة بن صبيرة بن سُعيد، أسر يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم: «تمسكوا به فإن له ابنًا كيسا تاجرا فسيأتي في فدائه»[1]، وكانت قريش قالت: لا تعجلوا في فداء أساراكم فيأرَبَ عليكم محمد وأصحابه[2]، فقال المطلبُ بن أبي وداعة: صدقتم؛ وانسلَّ من الليل ففدى أباه بثلاثة آلاف درهم أو أربعة آلاف ـ وكان ذلك فِداءَ الغني ـ فلامته قريش فقال: أأدَعُ أبي أسيرا؟! فشخص الناس في فداء أساراهم. ثم أسلم أبو وداعة يوم الفتح، وأسلم ابنُه المطلب؛ وأم المطلب: أروى بنت الحارث بن عبد المطلب. ومن ولد المطلب بن أبي وداعة: كثير بن كثير بن المطلب المحدث الشاعر، وهو القائل:

لَعَنَ الله من يَسُبُّ عليا   وحُسَيْناً من سوقة وإمام
أيسب المطيبين جدودا   والكرام الأخوال والأعمام

ومن ولد المطلب أيضا: إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن

---

(1) ذكره في *السيرة النبوية* (411/2)، *والبداية والنهاية* (87/3).

(2) أي يتشدَّدون عليكم فيه.

المطلب، المغني المشهور[1] ويقال لأبيه ذو مناجبَ؛ وكان أبوه قبيح المنظر جدا فشكته زوجته ـ وهي جميلة ـ إلى معن بن زائدة فأرسل إليه فأتاه فقال: ما هذه منك؟ فقال: زوجتي، قال: طلقها، ففعل؛ فقال معن:

لعمري لقد أصبحت غير محبب ... ولا حسن في عينها ذا مناجب

فما لمتها لما تبين وجهه ... وعينٌ له حَوصاءُ من تحت حاجب

وأنفٌ كأنف البَكر يقطُر دائما ... على لحية عَصْلاءَ[2] شابت وشارب

أتيت بها مثل المهاة تسومُها ... فيا حسن مجلوب ويا قبح جالب!

وكان إسماعيل حسن الغناء جدا، وأحسن ما يكون غناؤُه إذا فرح أو حزِن؛ وكان بارا بأُمه، فدخل يوما على المهدي فلم يطربه غناؤه، فدس إليه المهدي من نعى إليه أمَّه، فأمره أن يغني فاندفَع يغني، فكاد المهدي يطير طربا من حسن غِنائه فأحسن جائزتَه وأخبره بِكَذِب من نعى إليه أمه.

ومن ولد أبي وداعة ـ غير المطلب ـ: عبدُ الرحمن بن محيصنٍ القارئ، قارئ مكة؛ ومن قراءته: ﴿لمن أراد أن يُتمُّوا الرضاعة﴾[3].

ومن مشاهير بني سُعيد بن سهم: نبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن

---

(1) كان من أبرز المغنين في عصره وأشهرهم وله في الغناء حكايات كثيرة، ذكر منها أبو الفرج في كتاب **الأغاني** وابن مكرم في **مختاره**. وكان ابن جامع من أحفظ الخلق للقرآن الكريم وكان يخرج من منزله يوم الجمعة عند الفجر فيصلي الصبح ثم يصف قدميه حتى تطلع الشمس فيختم القرآن قبل صلاة الجمعة ثم ينصرف إلى منزله ـ [سموط الذهب].

(2) عصلاء: أي عوجاء.

(3) البقرة: 233.

حذيفة بن سُعيد بن سهم، وقتلا يوم بدر كافرين، وقتل معهما العاص بن منبه؛ ومنهم غُنِم "ذو الفقار" سيف رسول الله ﷺ الذي أعطاه يوم أحد لعلي، وسمع هاتف يقول:

لا سيف إلا ذو الفقا ر ولا فتى إلا علي

ورثَى نبيهًا ومنبهاً الأعشى بن النباش بن زرارة الأُسَيِّدي، حليف بني عبد الدار، فقال:

قذًى بعينك أمْ بالعين عُوار أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار

وقد أراها حديثا وهي آهلة لا يشتكي أهلَها ضيف ولا جار

ويل امِّ قومٍ بني الحجاج إن ندبوا لا بخلاء ولا بالخصم أنكار

إن يكسبوا يُطعِموا من فضل كَسبِهمُ وأولياء بعقد الجار أبرار

وكان الأعشى بن النباش مداحا لنبيه، وله يقول:

دع عنك ريطةَ واكْسُ الرحل ناجية ادما مخلقة كأنها فيل

هل تبلغني فتى محضا ضرائبُه مُؤمل وأبوه قبل مأمول

إن نبيها أبا الرَّزام أحلمهم حلما وأجودهم والجود تفضيل

ليس لقول نبيه إن مضى خُلُفٌ ولا لقول أبي الرَّزام تبديل

ثقف كلُقمان عاد في حكومته سيف إذا قام وسط القوم مسلول

فإن بيت نبيه منهج فلج محتضرا أبدا ما عاش مأهول

من لا يَغُرُّ ولا يؤذي عشيرتَه ولا نداه عن المعترِّ معدول

وكان نبيه شاعرا، وهو القائل يخاطب زوجتيه:

تسألان الطلاق إن رأتا ما لي قَليلا قد جئتماني بنكر

فلعلي أن يكثر المال عندي وتخلى من المغارم ظهري

وتُرى أعبدٌ لنا وأواق ومناصيفُ من ولائد عشر

من يكـــن خلتما له نشـبٌ يُخْـ ـبَب ومن يفتقر يعشْ عيشَ ضُرٌّ

وكان نبيه ومنبه مـن المطعمـين ببـدر، وأمهمـا أروى بنـت عميلـة بـن السباق بن عبد الدار، وانقرضا إلا إبراهيمَ بن أبي سلمة بـن عبـد ا لله بـن عفيف بن نبيه، أحد فقهاء مكة.

انتهى الكلام على سهم فشرع يتكلم على إخوتهم جمح، فقال رحمه ا لله:

مِن جُمَحٍ مَّظْعُونُ وَالِدُ الْمُطِيعْ عُثْمَانَ أَوَّلِ دَفِـينٍ بِالْبَقِيـعْ

يقول **من جُمح**: **مظعـون** بـن حبيـب بـن وهـب بـن حُذافـة بـن جمـح. ومظعون هذا هو **والد المطيع** لِربه **عثمان** بن مظعون، يكنى أبـا السـائب ــ بابنه السائب ـ أمه سخيلة بنت العنبس مـن بـني جمـح، وأم ابنـه السـائب: خولة بنت حكيم بـن أميـة بـن حارثـة بـن الأوقـص السُّلمية؛ وهـي الـتي خطَبت للنبي ﷺ أمَّنا سودة، وقيل خطبت له أيضا أمَّنا عائشةَ.

مظعون: مبتدأ خبره **من جمح**. **ووالد**: صفة لمظعون. **وعثمـان**: بـدل مـن **المطيع**. **وأول**: بالخفض: صفة لعثمان، أو بالرفع ـ على القطع ـ: خبر مبتـدأ محذوف؛ أي وهو أول من **دفـن بـالبقيع** مـن المهـاجرين (ومـن الأنصـار: أسْعدُ بن زُرارة، توفي بعيد بناءِ المسجد بيسير، وتوفي بعده عثمان في السنة الثانية بعد أن شهد بدرا)، وهاجر الحبشة هجرتها الأولى ثم إلى المدينة مـع ابْنه السائب. وإخوَتُه السائبُ، وعبدُ ا لله، وقُدامةُ؛ شهدوا بدرا.

وَإِذْ تَـوَى قَبَّلَــهُ الرَّسُــولُ وَهَكَــذَا فَلْيَكُـنِ الْوُصُــولُ

توى: مات. **والوصول**: أي إلى أعلى الدرجات. ويؤخذ من تقبيل النبي

ﷺ له بعد الموت طهارةُ المسلم الميــت، ومنـه: «سـبحان ا الله إن المؤمـنَ لا ينجُسُ»[1]. وبكى عليه النبي ﷺ وقال لما دفن: «نعم السلف لنا عُثمان بـن مظعون»[2]، وقال حين توفي ابنه إبراهيمُ: «الحقْ بسلفنا الصالح عثمـان بـن مظعون»[3]، وعَلَّم على قبره بحجَر، وكان يزورهُ[4].

مِمَّــنْ أَرَادَ الاِخْتِصَاءَ فَنَــزَلْ   فِيمَا أَرَادَ قَـوْلُهُ عَزَّ وَجَـــلّْ

﴿ليس على الذين آمنوا﴾ فَكَفّْ   إِذْ لَمْ يَكُـن فِي دِينِ هَادِينَا الْكُلَفْ

يعـني أن عثمـان هـذا مـن الصحابـة الذيـن اهتمـوا بـأن يختصُـوا، لئـلا يشغلهم النكاحُ عن العبادة، وأن لا يذوقـوا مـن الطعـام والشـراب إلا مـا يمسك حياتهم[5] ـ ومنهم أيضا سعد بن أبي وقاص وأبو ذر ـ فنهاهُم النـبي

---

(1) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة، ولفظه عند البخاري «سبحان ا الله يا أبا هريرة إن المؤمن لا ينجس».

(2) رواه أحمد.

(3) رواه أحمد.

(4) قاله في **الاستيعاب** وغيره، وقالت امرأته ترثيه:

يا عـين جودي بدمع غير ممنون	**على رزيـــــة عثمان بن مظعون**
على امرئ كان في رضوان خالقه	**طوبى له من فقيد الشخص مدفـون**
طاب البقيع له سكنى وغرقده	**وأشرقــــت أرضه من بعد تفتين**
وأورث القلب حزنا لا انقطاع له	**حـتى الممات وما ترقى له شوني**

(الأشؤن والشؤون: جمع شأن: مجرى الدمع إلى العين).

(5) ويروى أيضا أن عثمان بن مظعـون قـال: يـا رسـول ا الله إنـي رجـل تشـق علـيَّ العزبـة في المغازي أفتأذن لي في الخصاء فأختصي؟ فقال: «لا ولكن عليك يا ابن مظعون بالصوم».

ﷺ عن ذلك، ونزلت: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾[1] فكفوا عما اهتموا به، إذ تبين لهم بِنَهْيِ النبي ﷺ لهم وبالآية، أنَّ **دينه** صلى الله عليه وسلم لم يكن فيه الحرجُ ولا **الكُلف** التي في أديان الأنبياء قبله، بل هو الملة السهلةُ السَّمحة؛ وذلك من فضله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته.

وعثمان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وقال: لا أشرب شرابا يذهب عقلي ويضحك منِّي من هو دوني ويحملني على أن أنكح كريمتي. وكان عثمان من فُضلاء الصحابة، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا.

قُدَامَةُ أَخُوهُ خَالُ ابْنِ عُمَرْ وَحَفْصَةٍ فِي الْخَمْرِ حُدَّ وَحَضَرْ
بَدْرًا وَلَيْسَتْ لِسِوَاهُ تُعْرَفُ ...

أخوه: أي أخو عثمان بن مظعون. **خال ابن عمر وحفصة:** أي وهو خال سيدنا عبد الله وأمِّنا حفصة ابني عمر وعبد الرحمن الأكبر - كما قدمنا - أمهم زينب بنت مظعون[2]، وأمها ريطة بنت عبد عمرو السُّلمية

(1) المائدة: 169.

(2) وقد تبع الناظم في عبارته - أن قدامة خال ابن عمر وحفصة دون إخوته - صاحبَ *الاستيعاب*. وكان عمر قد ولّى قدامة البحرين ثم عزله؛ وسبب ذلك أنه قدم عليه الجارودُ العبديُّ سيد عبد القيس فقال له: يا أمير المؤمنين إن قدامة شرب فسكر وإني رأيت حدا من حدود الله حقا علي أن أرفعه إليك، فقال عمر: من يشهد معك؟ فقال: أبو هريرة. فدعا أبا هريرة فقال: بم تشهد؟ فقال: لم أره يشرب ولكني رأيته سكران يقيء، فقال عمر: لقد تَنَطَّعتَ في الشهادة - أي تغاليت وتعمَّقت - ثم كتب إلى قدامة أن يقدم عليه من

<<=

أخت ذي الشمالين الذي استُشهد ببدر.

يعني أن قدامة بن مظعون **حد في الخمر**، وهو ممن شهد **بدرًا**؛ و لم يشرب الخمر منذ حرمت بدري غيره. كان واليا لعمر على البحرين فشهد عليه أبو هريرة؛ و لم يجدوا عليه شاهدا غير أبي هريرة، فلم يحده عمر حتى قال له أبو هريرة كلامًا.. فاستنكهوه، فوجدوا فيه رائحة الخمر؛ فحده عمر حد الفرية قياسا عليها[1].

>> - -

البحرين فقدم، فقال الجارود لعمر: أقم على هذا كتاب ا لله، فقال عمر: أخصم أنت أم شهيد؟ فقال: شهيد، قال: قد أديت شهادتك، فسكت الجارود، فقال أبو هريرة: إن كنت تشك في شهادتنا فأرسل إلى ابنة الوليد ـ امرأة قدامة ـ فسلها. فأرسل عمر إلى هند بنت الوليد فأقامت الشهادة على زوجها، ثم أقبل عمر على الناس فقال: ما ترون في حَدِّ قُدامَةَ؟ فقالوا: ما نرى أن تجلده ما كان مريضا، فقال عمر: لأن يلقى ا لله تحت السياط أحبُّ إليَّ من أن ألقاه وهو في عنقي إئتوني بسياط تام فجلده الحد. فغاضب قدامةُ عمرَ وهجره. ثم إن عمر أتاه آت في المنام: أنْ سالم قدامة، فبعث إليه وصالحه واستغفر له، وكان عمر قد ولى على البحرين مكانه عثمان بن أبي العاصي الثقفي ـ [أسد الغابة والاستيعاب والإصابة].

(1) قال في *فقه السنة*: الفقهاء متفقون على وجوب حدِّ شارب الخمر وعلى أن حدَّه الجلدُ ولكنهم مختلفون في مقداره، فذهب مالك وأبو حنيفة والثوري وأحمد ـ في رواية عنه ـ إلى أنه ثمانون، وروي أن عُمر رضي ا لله عنه استشار الناس في حدِّ الخمر فقال عبد الرحمن بن عوف: اجعله كأخف الحدود ثمانين، فضرب عمر ثمانين وكتب به إلى خالد وأبي عبيدة بالشام. وروي أن عليا قال في المشورة: إذا سكر هذى وإذا هذى افترى فحدوه حدَّ المفتري. وذهب الشافعي إلى أنه أربعون وهو رواية أحمد الثانية، لأن عليا جلد الوليد بن عقبة أربعين ثم قال: جلد رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أربعين وأبو بكر أربعين وعمر ثمانين وكل سنة. واختلف الفقهاء في ثبوته بالرائحة فذهب المالكية إلى أنه يجب الحد إذا

=>>

... **وَمِن صَمِيمِهِمْ يُعَـدُّ خَلَـفُ**

أي **ومن صميم** جمح **يعد خلف** بن وهب بن حذافة بن جمح، والبيت من جمح في وهب ثم في خلف بن وهب. وفي خلف يقول الشاعر:

خَلَفُ بن وهـب كلَّ آخر ليلة يلفى يكثـــر أهلـــه بعيال

يعني كثرة تزويجه وكثرة ولده. ومنهم أبيّ وأمية ووهب وأحيحة وغيرهم ممن لم يعقب، والعقب في هؤلاء الأربعة.

صفوان بن أمية

أما أمية فهو الذي قتل مع ابنه علي يوم بدر، والعقب منه في ابنه صفوان بن أمية، ولم يحضر بدرا؛ فلما قدم النذير جعل يقص الخبر على الناس يقول: مات فلان وابنه وفلان وأخوه وفلان وفلان.. فقال صفوان: الرجل الذي تسألون طار فؤاده ولم يدر ما يقول، فاسألوه عني! فقيل له: ما فعل صفوان بن أمية؟ فقال: ها هو في الحجر.. ولقد شهدت أباه وأخاه حين قتلا. وكان صفوان بعد بدر من رُؤساء قريش ومن أشدهم عداوة للنبي ﷺ، قال يوم أحد حين صدر الناس: الآن طابت نفسي قتلتُ ابن أبي زهير وابن نوفل والأماثل من أصحاب محمد. وكان مع أبي سفيان يوما فرأيا ذئبا يطرد ظَبْيًا، فلما دخل الحرم رجع عنه فتعجبا، فقال

>> - - شهد بالرائحة عند الحاكم شاهدان عدلان لأنها تدل على الشرب كدلالة الصوت والخط، وذهب أبو حنيفة والشافعي إلى عدم ثبوته بالرائحة لوجود الشبهة والروائح تتشابه والحدود تدرأ بالشبهات ولاحتمال كونه مكرها على شربه - [اهـ].

لهما الذئب: أعجب من هذا أنكم هنا ومحمد بالمدينة يدعوكـم إلى النجـاة وتدعونه إلى النار، فقال أبو سُفيان لصفوان: وا لله إن حدثت بهذا لتبقـين مكة خلوفا!.

ولم يزل صفوان على شركه إلى يوم الفتح، فقام هو وعِكرمة بـن أبـي جهل وسهيل بن عمرو فحَزَّبوا جيشا وقـالوا: إن كـانت لهـؤلاء فهـي لنـا وإن انهزموا فسنرى، فلما هزم الجيش فرّ صفوان ولحقـه عمـير بـن وهـب بِبُرد رسول ا لله ﷺ وقد أخذ لـه الأمـان علـى أنـه يسـير شـهرين كسـائر الناس؛ وكان صلى ا لله عليه وسلم جعل لمن لم يسـلم ذلـك اليـوم: يسـير شهرين ثم يُسلم وإلا قتل، فأتى عمير بصفوان على ذلـك، فقـال لـه النبي ﷺ وهو راكب على فرسه: «انزل أبا وهب»، فقال: هذا عمير بن وهـب يزعُم أنك تؤمنني شهرين أسير فيهما، فقال: «انزل أبا وهـب»، فقـال: لا أنزل حتى تُبين لي، فقال: «انزل أبا وهب فلك أن تسير أربعـةَ أشـهر»[1]، فنزل؛ وغزا معه إلى حنين، فلما نفـرت الإبـل بالمسـلمين قـال أخـوه لأمـه كلدةُ بن الحنبل: الآن بطل السحر! فقال له صفوان ـ وهو مشرك ـ: فَـضَّ ا لله فاك، لأن يَرُبَّني رجل مـن قريـش أحـب إلي مـن أن يربَّـني رجـل مـن غيرهم. وقدمنا هذا من خبره على ذكره في النظم ليخفَّ علينا.

ومِنْهُ صَفْوَانُ الْمُوَلَّفُ افْتَرَضْ   لَـهُ النَّبِـيُّ وَدُرُوعَهُ اقْتَـرَضْ

أي ومن خلف **صفوان** بن أمية بن خلف، وأمه صفية بنـت معمـر بـن

---

(1) أخرجه مالك في الموطأ.

حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح. **المولف**: أي من المؤلفة قلوبُهم بالعطاء. **وافترض**: أي افترض له عطاء، وهو مائة ناقة وملء ما بين جبلين غنما - كما قال في نظم الغزوات[1] - **وافترض**: تفسير **للمؤلّف**. وقوله: **ودروعه اقترض**: يعني أنه استعار منه النبي ﷺ مائة درع حين أراد المسيرَ إلى حنين، فقال له صفوان: أغصبا يا محمد؟ فقال: «بل عارية مردودة»[2]، واستحمله إياها فأعطاه ما يحملها عليه. **واقترض** هنا بمعنى الإعارة: استعارة.

فلما أعطاه النبي ﷺ ذلك أسلم قبل تمام الأشهر التي أجلها له؛ قال: علمت أن لا تطيب بهذا إلا نفسُ نبي. فلما أسلم قيل له: لا إسلام لمن لا هجرة له، فقدم المدينة فنزل على العباس؛ فقال له النبي ﷺ: «على من نزلت»؟ قال: على العباس، قال: «أكابر قريش بأكابر قريش فمن لبطاح مكة[3]؟ ارجع أبا وهب فإنه لا هجرة بعد الفتح»، فرجع إلى مكة وأقام

---

(1) قال رحمه الله:

أعطى عطايا أخجلت دُلح الدِّيَم	إذ ملأتْ رحْبَ الفضا من النَّعَمْ
زُهاءَ ألفيْ ناقةٍ منها وما	ملأ بين جَبَلين غَنَما
لِرَجُلٍ، وبلْهَ ما لِحلَقِهْ	منها ومن رقيقِه ووَرِقهْ

(2) رواه أبو داود والبيهقي في السنن الكبرى والحاكم.

(3) رواه الطبراني في *الكبير* والبيهقي في *الاحكام* وذكره ابن هشام، وفي رواية: «نزلت على أشد قريش لقريش حبا»، وكان صفوان من المطعمين في الجاهلية، يقال إنه لم يجتمع لقوم أن يكون فيهم مطعمون خمسة إلا لعمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف، أطعم خلف ثم أمية ثم صفوان ثم عبد الله ثم عمرو، وقال معاوية يوما: من يطعم بمكة من قريش؟ فقالوا: عمرو بن عبد الله بن صفوان، فقال: بخ! تلك نار لا تطفأ؛ قيل لم يكن في العرب غيرهم إلا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري، فإن هؤلاء الأربعة مطعمون.

بها حتى مات سنة اثنتين وأربعين، أول خلافة معاوية. وأسلمت امرأته يوم الفتح[1]، فأقرهما النبي ﷺ على نكاحهما.

عبد الله بن صفوان

ومن ولده عبدُ الله الأكبر بن صفوان وعبد الرحمن الأكبر وعبد الله وعبد الرحمن الأصغران وحكيم وخالد وصفوان، بنو صفوان بن أمية، وأنجبهم عبد الله الأكبر؛ أمه برة بنت مسعود بن عمرو الثقفية، أخت عروة بن مسعود، وأم عبد الرحمن الأكبر أم حبيب بنت أبي سفيان بن حرب. وكان معاوية يقدم عبد الله على ابن أخته عبد الرحمن، فعاتبته أم حبيب على ذلك؛ فوفدا على معاوية فأدخلهما عليه وعنده أم حبيب، فقال لعبد الرحمن: ما حاجتك؟ فذكر له دينا وعيالا ونحو ذلك فقضاها له، ثم قال لعبد الله ما حوائجك يا أبا صفوان؟ قال: تخرج العطاء وتفرض للمنقطعين فإنه قد حدث في قومك نائبة ولا ديوان لهم، وقواعِدُ قريش لا تغفل عنهن فإنهن جلوسٌ على ذيولهن ينتظرن ما يأتيهنَّ من عندك، وحلفاؤكم من الأحابيش قد عرفت نصرتهم ومؤازرتهم، فاخلطهم بنفسك وقومك، فقال له معاوية: أفعل، فهلم حوائجك لنفسك؟ فغضب عبد الله وقال: ألي حوائج إليك إلا هذا وشبهه؟ إنك لتعلم أني أغنى قريش، ثم قام. فأقبل معاوية على أخته أم حبيب فقال:

---

(1) امرأته هي ناجية بنت الوليد بن المغيرة.

كيف ترين؟ قالت: أنت يا أميرَ المؤمنين أبصرُ مني بقومك. وكان عبد الله بن صفوان مع ابن الزبير، وكان ممن يقوي أمره، وعرض عليه الحجاج الأمانَ يوم تفرق الناس عن ابن الزبير؛ فقال له ابن الزبير: قد أذنت لك وأقلتك بيعتي، فقال: إني والله ما قاتلت معك إلا عن ديني، فأبى أن يقبل الأمان حتى قتل مع ابنِ الزبير في يوم واحد وهو متعلق بأستار الكعبة؛ وحمل رأساهما إلى عبد الملك بن مروان، وكانوا يدنون أحد الرأسين من الآخر ويقولون: تناجيا كما كنتما تفعلان!.

وفد المهلب على عبد الله بن الزبير فشغله عن أمور الناس جُلَّ يوم، فأتاهما عبد الله بن صفوان فقال: يا أمير المؤمنين من هذا الذي شغلك هذا اليوم؟ قال: هذا سيد أهل العراق، قال: هو إذا المهلب، فقال المهلب لابن الزبير من هذا؟ قال: هذا سيد أهل مكة، فقال: هو إذا عبدُ الله بن صفوان. وإياه يعني الشاعر:

كرهت كتيبة الجُمحي لما ... رأيت الموتَ سال به كَدَاءُ

وَإِذْ عُمَيْرُ ابْنُ وَهْبِ الْجُمَحِي ... أَغْرَاهُ صَفْوَانُ بِغَدْرِ الأَبْطَحِي
أَخْبَرَهُ بِكُلِّ مَا جَرَى لَهُ ... مَعَ الَّذِي لِغَدْرِهِ أَرْسَلَهُ

عمير بن وهب بن خلف: أعمامه أميةُ وأبيّ وأحيحة. **أغراه**: ذمره. **وصفوان**: هو الذي كنا في شأنه. **والأبطحي**: هو النبي ﷺ، ونسبه إلى بطحاء مكة؛ وتجب معرفة كونه أبطحي المولد والمبعث. **وأخبره**: جواب قوله: وإذ، وفاعله ضمير يعود على الأبطحي. **وجرى له**: وقع له. **والذي**

أرسله: هو صفوان بن أمية. كان معه في الحِجر يتذاكران أخبار بدر ويبكيان[1] إلى أن قال عمير: لولا بناتي لا أدع لهنَّ شيئا ودَينٌ علي لا أجد له قضاء لسرت حتى أفتك بمحمد فإن لي علة وهي وجودُ ابني الأسير عندهم، فقال له صفوان: دَينك علي أقضيه عنك وبناتك مع بناتي لا يصيبهن إلا ما أصاب بناتي وأعينك براحلة.. فسر حتى تفعل به بعض فتكاتك، فإن نجاك الله أغنيتُك وتكون ثأرت لقريش وإلا فما قلت لك أفي به، فقال عمير: اكتم عني، فقال: أفعل. فسار عمير؛ وكان صفوان واثقا منه بقتل النبي ﷺ ويقول لقريش: انتظروا وقعةً تنسيكم وقعة بدر! ويترقب ليلقى الركبان الآتية من قِبل المدينة ويسألهم عما حدث، طمعًا في أن يخبروه بقتل عمير النبيَّ ﷺ.. حتى لقي من أخبره بإسلام عمير، فسبه وحلف أن لا يكلمه أبدا.

وأما عمير فسار إلى المدينة، فبينما عمر مع رهط من الأنصار عند باب المسجد إذ رفع لهم راكب، فلما عرفه عمر قال: هذا عميرُ بن وهب الذي حزرنا يوم بدر، والله ما جاء إلا لشر فقوموا إلى النبي ﷺ فاجلسوا معه واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه ما جاء إلا لخديعة. فقام رهط من الأنصار، وتلقاه عمر فلبَّبه إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله هذا عدو الله عمير بن وهب الذي حزرنا يوم بدر، ما جاء إلا لغدر، فأمرني أضرب

(1) فقال صفوان: قبَّح الله العيش بعد قتلى بدر، فقال عمير بن وهب: أجل والله ما في العيش خير بعدهم..

عنقه، فقال رسول ا لله ﷺ: «أرسله عنك»، فأرسله[1] فقال له رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: «ما خبرك يا عمير» ؟ فقال: جئت في أسير لي عندكم - يعني وهب بن عمير - فقال صلى ا لله عليه وسلم: «ما بال السيف»؟ قال: قبحها ا لله وهل أغنت عنا من سيوف يوم بدر؟! قال: «كذبت يا عمير ولكنك كنت مع صفوان في الحجر فتذكرتما بدرا وقلتما كيت وكيت وسرتَ عنه تريد قتلي وا لله مانعي منكما»، فقال عمير: أشهد أن لا إله إلا ا لله وأنك رسول ا لله، وا لله ما علم بهذا أحد غيرنا؛ فأسلم وحسُن إسلامُه[2]، وقال لهم النبي ﷺ: «اذهبوا بأخيكم فأطلقوا له أسيره وعلموه الدين»[3]، وأسلم معه ابنه. فأقام مع النبي ﷺ إلى أن غزا معه إلى فتح مكة، وقيل إنه استأذن النبي ﷺ في أن يرجع إلى قريش يدعوهم إلى الإسلام فأذن له ورجع إليهم[4].

---

(1) فلما دنا عمير من رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال: أنعموا صباحا - وهي تحية أهل الجاهلية - فقال صلى ا لله عليه وسلم: «قد أكرمنا ا لله بتحية خير من تحيتك تحية أهل الجنة وهي السلام»، فقال عمير: إن عهدك بها لحديث.

(2) وصدق القائل:

رب شخص تسوقه الأقدار	للمعالي وما لديه اختيار
غافلا والسعادة احتضنته	وهو منها مستوحش نفّار

(3) ذكره ابن هشام في السيرة.

(4) فدعاهم إلى الإسلام ونصحهم بجهده، فأسلم بسببه بشر كثير ثم رجع إلى المدينة وشهد أحدا وفتح مكة وغيرهما، وكان قد تخلف أولا بتبوك ثم لحق برسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم صحبة أبي خيثمة في أثناء الطريق. ثم عاش إلى صدر من خلافة عثمان ومات مجاهدا بالشام.

وعمير يوم حَزَر المسلمين قال لقريش: هم ثلاثمائة أو يزيدون قليلا ودعوني أنظر هل لهم كمين، فركب فرسه وجال في الوادي، فقال لقومه: لا كمين لهم، ولكن يا معشر قريش لا تعرضوا وجوهكم التي كأنها المصابيح لوجوه كأنها وجوهُ الحيات، فقد رأيت قوما لا يموتون حتى يقتلوا أعدادهم، فقالت قريش: دع عنك هذا، ما نريده منك، وحرش بين الناس؛ فرمى بنفسه وفرسه أصحابَ رسول الله ﷺ، وهو أول من رماهم.

وأم عمير بن وهب: أم سخيلة بنت هشام بن سُعيد بن سهم، ولم يذكر لأبيه غيره، وأخواهُ لأُمه وهب وكلدة ابنا أسيد بن خلف؛ وهما ابنا عمه وانقرض عقب وهب وأسيد.

وأما أبيّ فأولاده عدة، ولم نجد فيهم من الصحابة إلا عبد الله الذي أسر يوم بدر ثم أسلم يوم الفتح. وأبيّ هو الذي قتله النبي ﷺ يوم أحد؛ وذلك أنه كان بمكة يقول: يا محمد إن لي العودَ - يعني فرسا له ذلك اسمه - أعلفه كل يوم فُرْقًا[1] من ذُرة أقتلكَ عليه، فيقول رسول الله ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله»[2]. فلما كان يوم أحد وانحاز المسلمون، أتى على فرسه ذلك يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا! فاجتمع المسلمون دونه، فقال صلى الله عليه وسلم: «خلوه»، قال الزبير: فتطايرنا عنه تطايرَ الشعراء عن ظهر البعير، فأخذَ حرْبةً من يد الزبير فرماه بها فأصاب لمعة

---

(1) الفُرق (بالضم): إناء يكتال به.

(2) رواه ابن كثير مرسلا، وابن هشام بلا سند.

من ترقوته بدت بين الدرع والمغفر، فسقط عن الفرس وله خوار كخوار العجل؛ فارتثّه[1] المشركون وقالوا له: ويحك ما بك من بأس ـ وكان جُرحه صلى الله عليه وسلم له لم يَدْمَ ـ فقال: والله لو بصق علي لقتلني، أوَما كان يقول إنه يقتلني وهو لم يكذب قط؟. فاحتمله أهْلُه وهو يقول: والله لو كان ما بي بِأهل الحجاز كلِّهم لوسعهم؛ ومات عدو الله بسرف.

وأما أحيحة بن وهب فمن ولده أبو دهبل الشاعر، واسمه وهب بن وهب بن زمعة بن أسيد بن أحيحة، وهو الذي يقول:

أنا أبو دهبل وهْب لوهبْ　　　من جمح في العز منها والحسب
درعي دلاص سردها سرد عجبْ　　　وبيضتي قونسُها من الذَّهبْ

ومن شعره:

صاح حيا الإلهُ أهلا ودورا　　　عند باب القناة من جيرون[2]

---

(1) ارتُث (بالبناء للمفعول): حمل من المعركة رثيثا أي جريحا وبه رمق، فهو مرتثٌّ.

(2) **عن يساري إذا دخلت على الدا　　　ر وإن كنت خارجا فيميني**
فبتلك اغتربت بالشام حتى　　　ظنَّ أهلي مرجمات الظنون ..إلخ.

وسبب هذه القصيدة أنه خرج مرة من مكة إلى الشام فنزل جيرون، فجاءته عجوز فقالت: إن ابنة لي وردها كتاب من حميم لها وليس عندها أحد يقرؤه فادخل عليها في هذا القصر واقرأه لها واحتسب الأجر فيها، ففعل؛ فلما دخل أُغلق الباب دونه وإذا امرأة في القصر فدعته إلى نفسها فأبى، فأمرت حشمها فسجنوه في منزل من الدار ومنع الطعام والشراب حتى كاد يهلك، ثم أمرت به فأخرج ودعته إلى نفسها فأبى وقال: أما الحرام فلا ولكن إن أردت أن أتزوجك فعلت، فقالت: نعم وأحسنت إليه حتى ردت له روحه، فتزوجته ومنعته من الخروج حتى طال ذلك عليه، ثم قال لها ذات يوم: قد أثمتِ في ولدي وأهلي

<<=

وهي قصيدة طويلة؛ وكان مداحا لعبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة الذي يقال له الهبرزي بن الأزرق.

وأبو دهبل عمه أبو ريحانة، واسمه علي بن زمعة بن أسيد بن أحيحة بن خلف؛ كان شديد الخلاف على ابن الزبير، فتوعده عبد الله بن صفوان؛ فلحق بعبد الملك فأمدَّ به الحجاج، فلما قدم به الحجاجُ مكة أشرف أبو ريحانة على أبي قبيس وصاحَ: هل أخزاكم الله يا أهل مكة.. أنا أبو ريحانة؛ قَدِمَتْ عليكم من أهل الشام أربعة آلاف! فأجابه أبو عتيق: نعم

فأذني لي في أن أطالعهم وأرجع إليك، فقالت: لا أستطيع فراقك؛ فعاهدها ألا يغيب عنها أكثر من ستة أشهر وأعطته مالا، فخرج حتى قدم على أهله بمكة فوجدهم قد نعي لهم وقسموا ماله وزوجوا بناته، فأقام عندهم حتى قربت المدة ثم مضى إلى الشام فوجد زوجته قد ماتت حزنا عليه وأسفا لفراقه، فقال فيها:

صاح حيا الإله أهلا ودورا ..إلخ.

ومن شعر أبي دهبل هذا قوله:

أأترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إني إذا لصبور
هبوني امرءا منكم أضل بعيره له ذمة إن الذمام كبير
وللصاحب المتروك أعظم حرمة على صاحب من أن يضل بعير
عفا الله عن ليلى الغداة فإنها إذا حكمت حكما علي تجور

ومن شعره أيضا:

أقول للركب إذ مالت عمائمهم وقد سَقَى القومَ كأسَ النّعسة السهرُ
يا ليت أني بأثوابي وراحلتي عبد لأهلك هذا الشهر مؤتجر

إلى أن يقول:

جنية أو لها جِنٌّ يعلمها رمي القلوب بقوس ما لها وتر

أخزانا الله، فقيل له [في ذلك]، فقال: لم نستطعهم عام أوَّل وهم سبعمائة فكيف بأربعة آلاف؟.

ومنهم وهب بن أبي وهب العالم الجواد، وفيه قيل:

إذا افترَّ وهْبٌ خِلتَه لمع بارق تبعَّق في الأرْضين يتبعُه السُّكب
وما ضر وهبا ذمُّ من خالف الهُدى كما لا يضر البدر ينبَحُهُ الكلب

ومن بني جمح بنو معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة، منهم جميل بن معمر الذي كانت قريش تقول له ذو *القَلبين* لعقله؛ ولما أسلم عمر وأراد إظهار إسلامه وإفشاءه بمكة أخبر به جميلا، فصاح بأعلى صوته: ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأَ. أسلم يوم الفتح وشهد حنينا مع النبي ﷺ وقتل زهيرَ بن الأغر الهوازني. وفيه نزل: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾[1] ردا على قريش في قولهم فيه. ودخل يوما عبد الرحمن بن عوف على عمر ـ ولم يشعر به ـ وهو ينشد:

فكيف ثوائي بالمدينة بعدما قضى وطرا منها جميل بن معمر

فقال له: كنا إذا خلونا صبونا. وقيل إن عمر هو الذي فَجَأَ عبدَ الرحمن ينشد، فقال عبد الرحمن المقالة كأنه يعتذر له. وأخو جميل سفيانُ بن معمر، هاجر إلى الحبشة.

ومن بني معمر بن حبيب: حاطبُ وحطاب ابنا الحارث بن معمر،

---

(1) الأحزاب: 4.

هاجرا إلى الحبشة؛ وولد بها لحاطب محمد بن حاطب، وأصابت النارُ يده فجاءت به أمُّه أم جميل بنت المُجَلَّلِ - من بني عامر بن لؤي - إلى رسول الله ﷺ فلمسَها فبرئت في الحين؛ وعدَّها القاضي عياض في الشفاء من المعجزات.

ومن بني وهب بن حذافة بن جُمَحٍ: عبدُ الرحمن بن ساباط الفقيه المحدث، وإخوته سبعة وهو ثامنهم لأم واحدة؛ وهي أم موسى بنت الأعور بن عمرو، بنت عم أبيهم.

ومن بني عمير بن وهب بن حذافة: أبو عزة الشاعر، واسمه عمرو بن عبد الله بن عمير، أسر يوم بدر فقال للنبي ﷺ: يا محمد دعني لبناتي يرحمك الله، فرحمه رسول الله ﷺ وأطلقه، وأخذ عليه أن لا يكثر عليه أحدا أبدا. فلما تجهزت قريش للمسير إلى أحُد كلمه صفوان بن أمية وقال له: اخرج إلى بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة — وهم حلفاء قريش — واسألهم النصرة وحرضهم على المسير، فأبى عليه وقال: إن محمدا منَّ عليَّ وأخذ علي أن لا أكثر عليه، فقال له صفوان: دعنا من هذا وقم وحرض بين الناس بشعرك وبكلامك وسر معنا، فإن سلمت أغنيتك وإن قُتِلت فبناتك مع بناتي لا يصيبهن إلا ما سبق في بناتي، فلما لم يجدْ بُدًّا من قول صفوان قام فخرج إلى بني الحارث يحرضهم ويقول لهم:

أنتم بنو الحارث والناس الهام   أنتم بنو عبد مناةٍ الرزام

أنتم حماة وأبوكُمُ حام   لا تعدوني نصركم بعد العام

لا تسلموني لا يحل الاسْلام

فسمعت له بنو الحارث وخرجوا مع قريش؛ فلما انصرفت قريش عن أُحُد وتبعهم النبي ﷺ وبلغ حمراء الأسد، وجدوا أبا عزة في بعض أحياء الأعراب فأخذوه، فقال: يا محمد عَفْوَك، فقال له رسول الله ﷺ: «والله لا تمسح عارضيك بمكة وتقول: خدعت محمدا مرتين»[1]. وكان أبو عزة هذا قد أصابه قبلُ برصٌ كسا جلدَه حتى كاد لا يواكله أحد من أهل مكة ولا يجالسه، لاستقذاره لفُحْشِ برصه، حتى ملَّ الحياة وملـه أقاربُه وباعدوه. فلما طال ذلك عليه أخذ سكينا فشحذها وخرج إلى شِعب من شِعاب مكة يريد قتل نفسِه ليستريح، فطعن بالسكين في مِعَدِّه ـ وهي اللحمة التي تحت إبطه ـ فمارت السِّكين فدخلت بين الجلد والأضلاع فخرج باثرها ماء أصفر فلم يزل يثعَبُ وينقص البرص، حتى ذهب كلُّه وصار جلده كلونه الأول؛ فأتى وقد برئ فقال:

لاهم رب وائل ونهدِ ومن على تهامة ونجدِ

أصبحت عبدا لك وابن عبدِ أبرأتني من وضح بجلدي

من بعد ما طعنت في معدي

(فسبحان من يبرئ ويسقم من شاء ويؤثر بالدنيا من شاء، من بَرٍّ وفاجر وسعيد وشقي).

ولم يكن لأبي عزة عقب إلا من قِبل النساء، وهن بنات محمد بن مسلم بن مرة بن أبي عزة، ولدت إحداهن لجعفر بن عبد الله بن الحسن

---

(1) ذكره ابن هشام ورواه العسكري.

المثنى، ويقال لهن بنات مرة، و لم ينسبن لأبي عزة.

ومنهم بني جمح أبو محذورة، مُؤذِّنُ النبي ﷺ بمكة؛ واسمه أوس بن مِعير بن لوذان بن سعد بن جمح، وأخوه أُنَيْسُ قتل يوم بدر كافرا.

وسبب اتخاذ النبي ﷺ له مؤذنا أنه يوم فتح مكة لما أذَّن بلال، أقبل أبو محذورة في غلمان من قريش يحكون أذان بلال استهزاء به، فسمعه النبي ﷺ أنداهم وأحسنهم صوتا فدعاه ومسح صدره[1]، فزال عنه الغِلُّ - وكان وغِرَ الصدر من قتْل أخيه يوم بدر - فأمَّره رسول الله ﷺ على أذان مكة[2]؛ ولحسن صوته يقول الشاعر:

أما ورب الكعبة المستورة والنغمات من أبي محذورة

---

(1) قال أبو محذورة: خرجت في نفر عشرة فكنا في بعض الطريق حين قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين فأذن مؤذنه بالصلاة، فلما سمعنا صوت المؤذن صرخنا نحكيه ونستهزئ به، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصوت فأرسل إلينا، إلى أن وقفنا بين يديه فقال: «أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع»؟ فأشار القوم كلهم إلي - وصدقوا - فأرسلهم وحبسني ثم قال: «قم فأذن بالصلاة» فقمت ولا شيء أكره إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مما يأمرني به. فقمت بين يديه فألقى عليَّ التأذين بنفسه فلما قضيت التأذين دعاني فأعطاني صرة فيها شيء من الفضة، ثم وضع يده على ناصيتي ثم مر بين ثدي ثم على كبدي.. حتى بلغت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم سرتي، ثم قال: «بارك الله فيك وبارك عليك»، قال: فذهب كل شيء كان في نفسي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كراهة، وعاد ذلك كله محبة - [الاستيعاب].

(2) أخرجه أحمد.

وما تـــــلا محمد من ســـورة لأفعلن فعلــة مشهـــــورة[1]

وكانت لأبي محذورة ناصيةٌ إذا جلس وأرسلها تصيب الأرض، فقيل له: لم لا تصيب منها؟ قال: ما كنت لأقطع شعرا مسَّته يد رسول الله ﷺ. واتخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا وهو ابن ثمان عشرة سنة[2]، ولم يزل على الأذان إلى أن مات[3]؛ وقد عمي بآخر عمره.

وانقرض بنو لوذان، فورث الأذان منهم بنو سلامان بن ربيعة بن سعد بن جمح؛ ومنهم عبد الله بن بجير المحدث، ومنهم سعيد بن عامر بن حديم بن سلامان بن ربيعة بن سعد بن جمح، ولاه عمر بعض أجناد الشام ثم بلغه أنه يصيبه لَمَمٌ فبعث إليه يأمره بالقدوم عليه، فقدم عليه - وكان زاهدا - فلم يرَ معه إلا مزودا وعُكازًا وقدحا، فقال له عمر: ما معك غير ما أرى؟ فقال له سعيد: وما أكثر من هذا: عكازا أتوكؤ عليه ومزودا أحمل فيه زادي وقدحا آكل فيه؟، فقال له عمرُ: أبك لمم؟ قال: لا، قال: ما بال غاشية بلغني أنها تصيبك؟ قال: حضرت خبيبَ بن عدي حين صُلب فدعا على قريش وأنا فيهم، فربما ذكرت ذلك فأجد فترة حتى يغشى عليَّ، فقال له عمر: ارجع إلى عملك، فناشده إلا أعفاه، فتركه.

---

(1) وسمعه عمر يوما يؤذن فقال له: كدت أن ينشق مريطاؤك. (المريطاء: عرقان يعتمد عليهما الصائح - [القاموس]).

(2) بمكة، منصرَفَه من حنين، وبقي مع أمير مكة عتاب بن أسيد.

(3) سنة تسع وسبعين، فأذن بها ولده ثم عبد الله بن محيريز ثم ولده، وأبو محذورة وابن محيريز ابنا عم، من ولد لوذان بن سعد بن جمح.

نسب مُرَّة بن كعب

مِن مُـــرَّةٍ يَقَظَـــةُ كِـــلاَبُ　　تَـيمُ، فَمِن يَقَظَـــةَ الهِضَابُ
مَخْزُومُ بَيْتَ العِزِّ قَد تَّوارَثُوهْ　　عَمْرُو وعَامِرُ وعِمْـــرَانُ بَنُوهْ

يقظة: بـالتحريك. و**كـلاب** ذكـر محمـد اليـدالي أن اسمـه غـيرُ كـلاب، ولقب كلابا لأنه كان يحب الصيد بالكلاب ويجمعها فيقـال هـذه كـلابُ ابنِ مرة. يعني أن **مرة** بن كعب ـ عمود النسب ـ بنوه ثلاثة: **كلاب** (عمود النسب) و**تيم** و**يقظة**. وقدَّم **مخزومـا** لكـثرتهم ولعزهـم علـى غـير بـني عبـد مناف من قريش[1]، وأم **مخزوم** كَلْبة بنت عامر بن لؤي، وأم يقظة[2] من بني بارق، قبيلة من الأزد من بني عمرو مزيقيا؛ سموا بذلك لأنهم سكنوا جبلا يقال له بارق. وأم **مرة** وحشية بنت شيبان بن محارب بن فِهر. وأم كعـب ماويةُ بنت كعب بن القين من قضاعـة. و**يقظـة** مبتـدأ خـبره المجـرورُ قبلـه. و**كلاب** و**تيم** معطوفان على يقظة. و**الهضاب**: جمع هضبـة للجبـل الصغـير، وتقدم. و**مخزوم**: بدل من الهضاب. و**بيـت العز**: اشـتغال مـن توارثـوه، أي توارثوا العز في قريش كابرا عن كابر؛ ولذلـك قـال أبـو جهـل: كنـا نحـن

---

(1) وفي عز بني مخزوم ومجد تيم يقول الشاعر:

إن تسألي فالمجـــد غير البديع　　قد حـــلَّ في تيم ومخـــزوم
قـــوم إذا صُوِّت يوم النزال　　قامـــوا إلى الجـــرد اللَّهاميم
من كل محبـــوك طُوال القَرَى　　مثـــل سـنان الرمـــح مسْهوم

(2) ..وأخيه تيمٍ: أسماءُ بنت عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر بن بارق البارقية.

وبنو عبد مناف كفرسيْ رِهان: نحروا ونحرنا وأطعموا وأطعمنا، فلما لم يسبقونا بشيء قالوا: منا نبي يوحى إليه، وا لله لا يكون ذلك أبدا!. ثم كان البيت والعدد من بني مخزوم في عمرو[1] ثم في ابنه عبدِ ا لله، ولذلك بدأ بهما الناظم رحمه ا لله فقال:

عَمْرُو أَبُو عَبْدِ الإِلَه وَوَلَدْ عَبْدُ الإِلَهِ عَائِذاً كَذَا أَسَدْ

مُغِيرَةً، هِلاَلاً، الْمُغِيرَهْ أَوْلاَدُهُ عَشَرَةٌ شَهِيرَهْ[2]

وولد عمرو أيضا عبيدا، ومنه المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد؛ ومن ولده المطلب بن عبد ا لله بن المطلب. كان للمطلب بن عبد ا لله ثلاثة أولاد: الحكم وعبد العزيز والحارث.

أما الحارث فمات في حياة أبيه، وكان أبوه مفرطا في حبه؛ فجاء يوما إلى موضع من الدار فاضطجع فيه وقال: كان الحارث مضطجعا هنا عام أوَّل فتنفس الصُّعَداء ومات!.

وكان عبد العزيز يشتكي عينيه، مُطْرَفٌ أبدًا[3]، ويقول: ما بعيني بأس ولكن كان أخي يشتكي عينيه، فإذا أرادوا أن يكحلوا عينيه قال: لا حتى

---

(1) في *الجمهرة* وبعض كتب التراجم والأنساب أنه عمرو بفتح العين وسكون الميم، وفي *نسب قريش* للزبيري وجمهور كتب السير أنه عُمَر بضم العين وفتح الميم، ونص بعضها على أن ضبطه بعمرو بفتح العين وسكون الميم خطأ.

(2) يعني أن عمرو بن مخزوم له من الولد عبد ا لله، وولد عبد ا لله بن عمرو المغيرةَ وعائذا وهلالا وأسدًا، أما عائذ وهلال وأسد فلم يكثروا، وكان الشرف والعدد في المغيرة؛ وأولاده عشرة.

(3) الطرفة (بالفتح): نقطة حمراء من الدَّم تحدث في العين من ضربة وغيرها.

تكحلوا معي عبدَ العزيز فيكحِّلني أبي ليرضيه، فأصاب عيني من ذلك ما أصابهما. وكان قاضيا للمنصور والمهدي، وكان محمود القضاء حليما محبا للعافية، فقدم عليه يوما محمد بن لوط بن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب في خصومة فقضى عليه، فقال محمد بن لوط: من استعملك على القضاء؟ فقال: أمير المؤمنين، فقال: لعنك الله ولعن من استعملك، فقال عبد العزيز: أتسبُّ أمير المؤمنين؟ فأخذه الحرس ليضربوهُ فقال محمد بن لوط: أنت تضربني؟ والله لئن جلدتني سوطا لأجلدنك سوطين، فقال عبد العزيز: اسْمَعُوا.. يخوفني لأجلده فتقول قريش جلاد قومه، والله لا جلدتك ولا حبا ولا كرامة، أرسلوه. فقال محمد: جازاك الله خيرا من ذي رحم فقد أحسنت وعفوت ولو ضربتَ كنتُ قد اجترمت ذلك منك وما لي عليك سبيل ولا أزال أشكرها لك، وأيم الله ما سمعت "ولا حبا ولا كرامة" في موضع قط أحسن منها في هذا الموضع. وانصرف محمد راضيا شاكرا.

الحكم بن المطلب

وأما الحكم فكان من الأجواد الكرام ومن وجوه قريش وساداتهم، وكان مُمَدَّحًا؛ وله يقول ابن هرمة قصيدة طويلة منها:

لا عيب فيك يعاب إلا أنني ... أمسي عليك من المنون شفيقا

ومن طرائف كرمه ما يحكى أنَّ رجلا من قريش من بني أمية له مال من نخل وزرع، فرهِقَه الدين فخاف أن يباع عليه مالُه في دَينه، فشخص من المدينة يريد خالد بن عبد الله القسري، وكان واليا لبني عبد الملك

على العراق وكان يَبرُّ من قدم عليه من قريش؛ فخرج الرجل يريده وأعد له هدايا من طُرفِ المدينة؛ فقدم الكوفة فأصبح بها، فنظر إلى فسطاط عنده جماعة فسأل عنه فقيل: للحكم بن المطلب؛ فلبس نعليه ثم خرج حتى دخل فيه، فلما رآه قام إليه فتلقاه وسلم عليه ثم أجلسه في صدر فراشه ثم سأله عن مخرجه، فأخبره بدَينه وما أراد من إتيان خالد بن عبد الله القسريِّ، فقال له الحكم: انطلق بنا إلى منزلك فلو علمت بقدومك لسبقتك إلى إتيانه، فمضى معه حتى أتى منزله فرأى الهدايا التي أعد لخالد فتحدث معه ساعة ثم قال له: إنَّ منزلنا أحْضَرُ عُـدَّةً وأنت مسافر ونحن مقيمون فأقسمت عليك لما قمتَ معي إلى المنزل وجعلت لنا من هذه الهدايا نصيبا. فقام وقال: خذ منها ما أحببت، وأمر بها إلى منزله وجعل الرجل يستحيي أن يمنعه منها شيئا، حتى صار معه إلى المنزل فدعا بالغداء فتغدوا وأمر بالهدايا ففتحت وأكل منها هو ومن حضره ثم أمر ببقيتها ترفع إلى خزانته وقام الناس، فأقبل على الرجل وقال: أنا أولى بك من خالد وأقرب إليك رحما ومنزلا وها هنا مال للغارمين أنت أولى الناس به ليس لأحد فيه مِنَّةٌ إلا الله، تقضي به دينك؛ ثم دعا بكيس فيه ثلاثة آلاف دينار فدفعه إليه وقال: قد قرب الله عليك الخطر فانصرف إلى أهلك مصاحبا محفوظا. فانصرف الرجل من عنده يدعو ويشكر فلم يكن له همة إلا الرجوع إلى أهله، وانطلق معه الحكم يشيعه فسار معه شيئا، ثم قال له: كأني بزوجتك قد قالت لك: أين طَرائف العراق: بزها وخزها.. أما كان لنا معك نصيب؟ ثم أخرج صرة قد حملها معه فيها خمسمائة

دينار فقال: أقسمت عليك إلا جعلت هذه عوضا لها من هدايا العراق، وودعه وانصرف.

ومنها أنَّه كانت بالمدينة جارية مشهورة بالجمال والفراهة فاشتراها الحكم بمال كثير، فقال له أهلها ـ وكانت مولدة عندهم ـ: دعها عندنا حتى نصلح من أمرها ثم نزففها إليك بما تستأهل الجارية مِنّا فإنما هي لنا ولد، فتركها عندهم حتى جَهَّزُوها وبوَّءُوها ثم نقلوها إليه كما تزف العروس إلى زوجها، وتهيأ الحكم بأجمل ثيابه وتطيب ثم انطلق فبدأ بأبيه ليدعو له ويتبرك بدعائه، فدخل عليه وعنده الحارث ابنه، فلما رآه في تلك الهيئة أقبل عليه وقال: إن لي إليك حاجة فما تقول؟ فقال: يا أبت إنما أنا عبدك فمر بما أحببت، قال: تهب هذه الجارية للحارث أخيك وتعطيه ثيابك هذه التي عليك وتطيبه من طيبك وتدعوه حتى يدخل على هذه الجارية؛ فإني لا أشك أن نفسه تاقت إليها، فقال الحارث: لمَ تكدر على أخي وتفسد قلبه علي؟ وذهب يريد ليحلف.. فبدره الحكم فقال: هي حرة إن لم تفعل ما أمرك به أبي، فإن قرة عينه أسَرُّ إلي من هذه الجارية؛ وخلع ثيابه وألبسه إياها وطيبه من طيبه وخلاه فذهب إليها.

وكان الحكم بعد حاله هذه قد تخلى من الدنيا ولزم الثغور حتى مات؛ ولما احتضر قال رجل ممن عنده: اللهم ارفق به، فأفاق وقالَ: من المتكلم؟ فقال: ملَك الموت يقول لك: أنا بكل سخي رفيق، فكأنما كانت فتيلة فطفئت. وسجن الحكم في حياته فقيل فيه:

خليلي إن الجود في السجن فابكيا ... على الجود إذ شدت عليه مرافقه

ومما رثي به:

سالوا عن الجود والمعروف ما فعلا — فقلت إنهما ماتا مع الحكَم
ماتا مع الرجُل الموفي بذمته — قبل السؤال إذا لم يوف بالذمم

وكان البيت والشرف من بني عمرو بن مخزوم في بني عبد الله بن عمرو، ولذلك قال أبو قحافة حين نعي إليه رسول الله ﷺ: من ولي الأمر بعده؟ قيل: ابْنُكَ، قال: أرضيت بذلك بنو عبد مناف؟ قيل: نعم، قال: أرضيت بذلك بنو عبد الله بن عمرو بن مخزوم؟ قيل: نعم، قال: الحمد لله لا مانع لما أعطيت.

ولم يذكر الناظم من بني عبد الله خالدا، وهو جد العطاف بن خالد بن عبد الله المحدث، كان من ذوي السن والعلم من قريش وهو العطاف بن خالد بن عبد الله بن عثمان بن العاص بن وابصَة بن خالد بن عبد الله بن عمرو.

ثم كان البيت في بني المغِيرة ـ ولذلك قدمهم ـ وأما عائذ وأسد وهلال فلم يكثروا. **وعائذ** بن عبد الله: بالهمزة والذال المعجمة وقيل بالياء والدال المهملة، وأما ابن عمران الآتي فهو بالمثناة من تحت وبالمعجمة.

قوله أولاده عشرة: وعدهم عشرة ولم يذكر منهم حفصا، وهو أيضا شهير بابنه أبي عمرو بن حفص الصحابي الذي طلق فاطمة بنت قيس الفهرية أخت الضحاك بن قيس؛ وكان غائبا فبعث إليها وكيلُه بشعير فسخطت فقال: ما لَكِ علينا نفقةٌ أنت طالقٌ البتة، فذكرت ذلك لرسول

ا لله ﷺ فقال: «صدق»[1]، فخطبها معاويةُ وأبو جهم فاستشارت النبي صلى ا لله عليه وسلم فيهما فقال: «أما معاوية فصعلوك وأما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه فانكحي أسامة»[2]، ففعلت.

وبعث النبيُّ ﷺ أبا عمرو بن حفْص مع عليٍّ حين بعثه أميرا على اليمن[3]. ومات أبو عمرو باليمن، وابنه عبد ا لله بن أبي عمرو هو أول من خلع يزيد بن معاوية، وقتل يوم الحرَّة. وحفص هو أول من تزوَّج هند بنت عتبة؛ وله منها أبانُ بن حفص، ولعله بكرُها الذي تعني بقولها:

ما كان عن عتبة لي من صبر ولا أخي وعمِّهِ وبِكْرِي

إن كان قتل يوم بدر. وعد الناظم مهشما وأبا حذيفة اثنين، والزبيري يقول: أبو حذيفة اسمه مهشم.

وَهُمْ هِشَامُ، مُهْشِمُ، وَهَاشِمُ وعَبْدُ شَمْسٍ، وَالْوَلِيدُ الآثِمُ

ذكر في هذا البيت خمسة من أولاد المغيرة بن عبد ا لله بن عمرو بن مخزوم، وبَدأ **بهشام** لأنه كان سيدا، وكانت قريش تؤرخ بموته، وفيه قيل:

---

(1) قاله الزبيري.

(2) أخرجه أحمد. والصعلوك (كعصفور): الفقير، وأبو جهم هو عامر بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد ا لله بن عبيد بن عويج بن عدي. وقوله: فلا يضع العصا..الخ يعني أنه ضرَّاب للنساء، وقيل هو كناية عن كثرة أسفاره؛ لأن المسافر يحمل عصاه في سفره.

(3) أخرجه أبو داود.

فأصبح بطـــنُ مكة مقشعِـــرا كأن الأرض ليـــس بها هشام!

وفيه يقول أبو بكر بن جعونة بن شعوب الليثي، حليف العباس بن عبد المطلب:

ذريـــني أصطبح يا بكـــر إني رأيـــت الموت نقب عن هشام
تخـــيَّره فلم يَعْدِل ســـــواه فنعم المرء من رجـــــل تهامي

وهاشـم هو أبو حنتمة بنت هاشم، أم عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه، و لم يعقـب غيرها و لم نجد لها إسلاما. **ومهشم** قدمنا قريبا أنه أبو حذيفة وإلا لم يذكـر له عقـب ولا خـبر. **وعـبد شمـس** هـو أبـو الولـيد بـن عـبد شمـس الصـحابي[1]، أسـلم يـوم الفـتح واستشـهد يـوم اليمامة تحت لواء ابن عمه خالد بن الوليد.

الوليد بن المغيرة

وقولــه: **الآثـم**: أي فـاعل الإثـم ومرتكـبُه، وصف الناظم به **الوليد** من بين إخوتـه؛ وإثمـه الشـركُ والإصـرارُ علـيه وعداوة النبي ﷺ، ويحتمل أنه قصد بذلـك تسـميته به كما سمي أبو جهل أثيما بقوله تعالى ﴿مُعْتَـدٍ أَثِيمٍ﴾[2]، فكـان علـما له، أو على أن الآية نزلت في الوليد وهو الأشبه، ولا خلاف

(1) الذي يكنى أبا عبد الرحمن وكان من أشراف قريش؛ أمه قيلة بنت جحش بن ربيعة من بني عامر بن لؤي وبنته فاطمة بنت الوليد صحابية تزوجها عثمان بن عفّان رضي الله عنه فولدت له ابنيه الوليد وسعيدا؛ وأمها أم حكيم بنت أبي جهل.

(2) القلم: 12.

أنه نزلت فيه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾..الآيات[1]، وسبب ذلك أنه سمع من النبي ﷺ القرآن فأعجبه، ثم سمعه مرارا وهو يعجبه ويمدحه حتى قارب الإسلام وقال: والله إني سمعت من محمد كلاما والله ما هو بقول الإنس ولا بقول الجن؛ إن له لَحَلاوةً، وإن عليه لَطَلاوَةً، وإن أعلاه لَمُثمِرٌ، وإن أسفلَه لَمُغدِقٌ، وإنه لَيعلو ولا يُعْلَى عليه. فقالت قريش: صبأ الوليد والله لتصبو قريش: صبأَت ريحانَتُهَا، فقال لهم أبو جهل: أنا أكفيكموه؛ فجاءه وجلس إليه كالحزين، فقال: ما بك يا ابن أخي؟ قال: وما يمنعني وقريش تحدَّثَتْ أنك تأتي محمدا وأصحابه فتطعم من طعامهم ويقودُك ذلك إلى الدخول في دينهم وكدت أن تفعل أو قد فعلت؟! فغضب الوليدُ فقال: وهل لأصحاب محمد من طعام؟ أو لست بأكثر قريش مالا وطعاما؟ ثم قال: ما تقولون يا معشر قريش في محمد تزعُمون أنه مجنون فهل جُنَّ قط؟ قالوا: لا، قال: تزعمون أنه شاعر فهل رأَيتموه ينطقُ بشعر قط؟ قالوا: لا، قال: تزعُمون أنه كذاب فهل جربتم عليه كذبا؟ قالوا: لا ـ وكانوا قبل النبوءة يسمونه الأمين لصدقه ـ قالوا: يا أبا عبد شمس فنحن يردُ علينا وفودُ العرب ما ذا تقول لهم في شأنه؟ فَفَكَّر وَقَدَّر ثُمَّ قُتِل ـ أي لعن ـ كيف قَدَّر ثم نظر ثم عبس وبسر ـ أي قطب ما بين عينيه ـ وارْبَدَّ وجهه، ثم أدْبر عن الله ـ بعد أن قارب الإسلام ـ واستكبر، فقال: إن هذا إلا سحر يؤثر ـ أي يروى ـ يرويه محمد عن غيره.

---

(1) المدثر: 11-26.

والوحيد: أي واحد في مكة عزا ومالا وولدا؛ من عزه أنَّه من بني مخزوم ثُمَّ من بني عبد الله بن عمرو وأخو عشرة وأبو عشرة ـ أو أكثر ـ وعم بني العشرة وجد بني بعض العشرة، وهم ـ أي بنوه وبنو بنيه ـ هم المرادُ بقوله ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾[1]، أي حاضرين لا يغيبون عنه لاستغنائهم عن الغيبة بالمال الممدود؛ قيل إن له بساتين بالطائف لا تنقطع فاكهتها صيفا ولا شتاءً مع ما عنده من الأموالِ.

وأسلم من بنيه: الوليدُ بن الوليد وخالد وهشام، وأسلم من بني ابنه عمارةَ: الوليدُ وأبو عبيدة، واستشهدا مع خالد. ولم يزل الوليد على كفره إلى أن مات عليه في السنة الأولى من الهجرة ـ قبل بدر ـ أو أول الثانية. ولما احتضر جزع وقال لقريش: ما بي الجزع من الموت، ولكن أخاف أن يُعبد إله ابن أبي كبشة بعدي بمكة، فقال له أبو جهل: والله لا يكون ذلك ما دامت فينا حياة. ثم قال لبنيه: "وعُقر عند أبي أزهر لا تتركوه فتسبكم العرب به" (والعقر: دية الفرج المغصوب)؛ وذلك أن أبا أزهر الدوسي زوَّجَ الوليد بن المغيرة وأبا سفيان بن حرب ابنتيه وأخذ صداقهما فدفع زوجة أبي سفيان إليه، ومطل الوليدَ بزوجته.

ثم قدم أبو أزْهر "ذا المجاز"[2]، فأتاهُ بنو الوليد يسألونه صداقَ أبيهم

---

(1) المدثر: 13.

(2) ذو المجاز: موضع بمنىً أو بعرفات؛ سمي بذلك لأن إجازة الحجيج كانت فيه، وكانت تقام فيه سوق من أسواق العرب المشهورة في الجاهلية.

ابنتَه، فقال: أما وأنا تحت ظلال سيوفكم فلا؛ فضربه هشام فقتله، وكانت في هشام عجلة؛ فقال حسان بن ثابت يحرض أبا سفيان ـ وكان أبو أزهر في جواره ـ:

غدا أهلُ حِضْني ذي المجاز بسُحرة	وجار ابن حرب بالمغمس ما يغدُو
كساك هشامُ بن الوليد ثيابه	فأبْلِ وأخلِفْ بعدها جُدَدًا بعدُ
قضى وطرا منه فأصبح غاديا	وأصبحتَ رخوا لا تخب ولا تعدو
ولو أن أشياخا ببدر تَشَاهدوا	لَبَلَّ نِعَالَ القوْم مُعْتَبَطٌ وَرْد
فما منع العَيْرُ الضروطُ ذمارَه	وما منعت صخرا وأولادَها هند

فعقد يزيدُ بن أبي سفيان لواءً وجمع جمعا يريد بني مخزوم، وبلغ الخبرُ أبا سفيان، فأدركه وحلَّ لواءه وفرق جمعَه وقال: أتريد أن تفرق قريشا وتقوِّي علينا محمدا؟ والله ما بدوْس عجزٌ عن طلب ثأرهم. وكان بعد ذلك سعيد بن صبيح الدوسيُّ ـ خال أبي هريرة ـ لا يرى قرشيا إلا قتله بأبي أزهرَ، أخذ يوما بُجير بن العوام وضرارَ بن الخطاب فقتل بجيرا، وأجارت امرأته ضرار بن الخطاب، أدخلته معها من تحت لِباسها؛ وكان يقول: إني لأجدُ مَسَّ رَكَبِهَا[1] بقدمي وقد حلقتْه.

وَالْفَاكِهُ اتَّهَمَ هِنْدَ فَأَبَتْ عَنْهُ عُقَيْبَ إِفْكِهِ وَأَنْجَبَتْ

الإفك: الكذب والافتراء. **وأنجبت** المرأة: ولدت نجيبا، أي كريما. أي ومن أولاد المغيرة أيضا **الفاكهُ**؛ وكانت عنده هند بنت عتبة، فوجدها

(1) الرَّكب (محركة): العانة ـ [القاموس].

يوما نائمةً مع ضَيْفٍ لهم؛ فحملته الغيرةُ على أنه اتهمها بذلك الضيف حتى أنه ادعى عليها أنها زنت به، فتحاكموا إلى كاهن بخيبر فبرأها الكاهن. فأبت عن الفاكه. **عقيبَ**: أي بعدَ. **إفكِه**: أي كذبه عليها. فلما تراضوا المحاكمة إلى الكاهن مضوا إليه، فلما كانوا دون خيبر بكت هندُ، فخلا بها أبوها فقال: أي بنية ما يُبكيك؟ إن كان الرجل صادقا فأخبريني أقتله وأرجع ولا يكون عليك ما يُكره، وإن كان كاذبا فسيبرئُكِ الكاهنُ، فقالت: يا أبت ما أبكاني إلا أني أعرف أن الكهان رُبما يكذبون وأخاف أن يكذب علي فأخزَى بعدها أبدا، قال: سأخبَأُ له وأُجربه بذلك؛ فصفر لفرسه حتى أدلى فألقى حبة في إحليله فصر عليها. فلما أتوا الكاهن قال عتبة: قد خَبَأْنا خبأً لك، فقال: حبةُ بُر في إحليل مُهر! قال: قد جئناك في أمر فأخبرنا عنه بالحق، قال: جئتموني في أمر هذه، وأشار إلى هند وقال: قومي غير زانية ولا فاجرة وستلدين سيدَ العرب، فقالت للفاكه ـ وقد أراد التمسُّك بعصمتها ـ: وا لله لا تكون له أبا ولا يكون لك ابنا، فطلقها.

فتزوجت لأبي سفيان فأنجبت ببنيها منه: معاوية وعتبة وجُويرية وأم الحكم، أم عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي ـ وزير معاوية الذي يقال له *ابن أم الحكم* ـ.

كَذَاكَ عَبْدُ اللهِ وَالِدُ الشَّقِي ... نَوْفَلٍ السَّاقِطِ وَسْطَ الْخَنْدَقِ
وَصِنْوِهِ عُثْمَانَ وَهْوَ الْمُوثَقُ ... وَالْحَضْرَمِيُّ فِي الثَّرَى مُمَزَّقُ

أي ومن أولاد المغيرة الشهيرة: **عبدُ الله** بن المغيرة، وهو أبو **الشقي**،

لموته على الكفر (نسأل ا لله العافية) بسقوطه في خندق النبي ﷺ، وهو نوفل بن عبد ا لله بن المغيرة؛ وذلك أنه حلف ليوثبن مهره **الخندق** فركضه فوقعا هو وفرسه فيه، فابتدره الصحابة فقتلوه في الخندق؛ فسأل بنو مخزوم النبي ﷺ جثته بديته ألف دينار ليدفنوه، فقال صلى ا لله عليه وسلم: «خذوه لا حاجة لنا في ديته فإنه خبيث الجيفة خبيثُ الدية»[1]. وقوله: **وصنوه**: بالجر عطف على **الشقي**. **والصنو**: الأخ الشقيق. **وعُثمانُ**: بدل من صنوه، أي وعبد ا لله هذا هو والد **الشقي** نوفل وشقيقه **عثمان**؛ أمهما كريمة بنت صيفي بن أسد بن عبد العزى بن قصي.

سرية عبد الله بن جحش

وعثمان هو **الموثق**، أي الأسير لعبد ا لله بن جحش وسريته. وجملة **والحضرمي في الثرى ممزق**: حالية، أي الموثق والحال أن الحضرمي ممزق في التراب أي مَقتول؛ وذلك أوَّلُ يوم جَرَّ إلينا - معشرَ الإسلام - العزَّ. بعث النبي ﷺ سيدَنا عبدَ ا لله بن جحش في سرية هم تسعة أمَّره عليهم (فمن ذلك استُحِبَّ للرفقة أن تكون تسعة تبركا بهؤلاء) وكتب لهم كتابا، وقال له «سر يوما - أو قال: يومين - فانظر في هذا الكتاب فاعمل بما فيه»[2]، فلما سار القدر الذي حدَّ له نظر فيه، فإذا فيه: «سر بمَن معك إلى نخلة وخذ لنا من خبر قريش ولعلك تلقى عِيرا لهم ولا تستكره أحدا ممَّن

---

(1) رواه أحمد.

(2) ذكره ابن سعد.

معك»[1]. ومن هذا الكتاب أخذ العلماءُ جواز المناولة في أهل الحديث، وهي أن يكتب الشيخ كتابه ويصححه ويناوله تلميذَه ويقول له خذ عني ما في هذا الكتاب فيكون التلميذ يقول ـ يعني ما في الكتاب ـ: حدثني فلان، ويؤخذ بذلك فيقال حدث فلان عن فلان.

وأصحاب عبد الله بن جحش في تلك السرية ثمانية هو تاسعهم، وقد نظمتهم فقلتُ:

أوّل وقعةٍ لنا في المشركين	سريةُ المجدع الندب المكين
ومعه فيها أبو حذيفَه	سُهيل بيضا أمّه الظريفهْ
سعْد بن مالك وعتبة السري	سليل غزوان وواقد الجري
عكّاشة وخالد وعامر	وكلهم من الذين هاجروا

أي لم يكن فيهم أحد من الأنصار وإنما هم من المهاجرين خصوصا، بين قريش وحلفائهم؛ فمن قريش أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وسعد بن أبي وقاص، وسهيل ابن بيضاء. وعبد الله بن جحش، وابن عمه عكاشة بن مِحصن، حليفا بني عبد شمس؛ وهما من بني أسد بن خزيمة، من غنم بن دودان. وعتبة بن غزوان المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف، وخالد بن البكير الليثي، وواقد بن عبد الله التميمي ثم اليربوعي حليفا بني عدي، وعامر بن ربيعة العنزي حليف آل الخطاب.

فلما قرأ عليهم عبدُ الله الكتاب قال: أمرني أن لا أستكره أحدا، فمن

---

(1) ذكره ابن سعد.

شاء منكم أن يرجع فليرجع؛ فلم يرجعْ منهم أحد ولكن لما كانوا في الطريق أضل سعدُ بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرًا لهما كانا يتعاقبانه فتخلفا في طلبه، فبقي القومُ سبعةً؛ فلما كانوا "بنخلة" - وهي موضع بين مكة والطائف - رأوا عيرا لقريش: وهم أربعة قدموا من الشام يحملون الادام كالعنب والفواكه؛ فخافهم أهلُ العير، فحلقَ عُكَّاشة رأسَه وترقب لهم، فقالوا: لا بأس عُمَّار. وهذا آخر يوم من الشهر الحرام، فإن وقعوا بهم فعلوا في الشهر الحرام، وإن أمهلوهم إلى أن يفوت النهار دخلوا في الحرم. ثم تشجعوا فحملوا عليهم؛ فرماهم واقــدُ بن عبد الله فقتل عمرَو بنَ الحضرمي حليفَ عتبةَ بن ربيعة، وأخذوا عُثمان هذا والحكم بن كيسان أسيرين، وأفلتهم نوفل بن عبد الله. وقدموا بالعير والأسيرين على رسول الله ﷺ، وعزل له عبدُ الله بن جحش الخُمُسَ - وهو أوَّل من خمس الغنيمة للإمام - فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا آخذه حتى أعلم ما ينزل الله في فعلكم، ما أمرتكم بالفتْكِ في الشهر الحرام»[1]، أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

وقالت قريش: محمد يحل القتال في الشهر الحرام! وأنَّب الصحابةُ القومَ بل هجروهُم حتى نزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾[2] ففرح القوم وفرح المسلمون، وأخذ رسول الله ﷺ الخُمس وقال في الأسيرين:

---

(1) ذكره ابن سعد.

(2) البقرة: 217.

«نمسكهما حتى يأتينا صاحبانا فإن قتلتهما قريش قتلناهما بهما وإلا فاديناهما»[1]؛ فقدم صاحباهُما ـ سعدُ بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان ـ ففادت قريش عثمان وأسلم الحكم بن كيسان، مولى أبي جهل، وأقام مع النبي ﷺ. وطمع القوم في أن يكون لهم أجر غــزوة فسألوا رســول الله ﷺ فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، فاستبشر المسلمون وفرحوا. وقال أبو بكر ـ وتروى لعبد الله بن جحش ـ:

تَعُدُّون قَتــلاً في الحرام عظيمةً ... وأعظمُ منها لو يرى الرشدَ راشد
صدودُكــمُ عما يقول محمـــد ... وكُفْـــرٌ به والله راءٍ وشاهدُ

إلى أن قال:

سقينا من ابن الحضرمي رماحنا ... بنخلـــة لما أوقد الحرب واقد
دَماً وابــنُ عبد الله عثمانُ بيننا ... ينازعه غِـــلٌّ من القِدِّ عانـــدُ

أَبُو حُـذَيْفَةَ، أَبُــو رَبِيعَــهْ ... أَبُــو أُمَيَّــةَ قَرِيــعُ الشِّيعَهْ
يُدْعَى وَيُدْعَى زَمْعَةُ بْنُ الأَسْوَدِ ... وَابْنُ أَبِي عَمْرٍو مُسَافِرُ النَّدِي
لِكَوْنِهِــمْ يَكْفُــونَ زَادَ رَكْبِهِمْ ... بِـــزَادِهِ، لِلَّهِ دَرُّ دَأْبِهِــمْ

---

(1) ذكره ابن سعد.

(2) البقرة: 218.

أي ومن بني المغيرة أيضا أبـو حذيفـة، وهـو ثـامنهم، وأبـو ربيعـة، وهـو تاسعهم؛ واسمهُ عمرو ويعرف *بذي الرمحين*[1]؛ وله يقول ابن الزبعرى يمدح ابنه عبدَ ا لله[2]:

---

(1) لقب بذلك لأنه قاتل في حرب الفجار برمحين؛ وقيل لطوله كأنـه يمشـي علـى رمحـين، ولـه يقول عبد ا لله بن الزبعرى:

ألا لله قـــــوم وُ	لّـــدَت أخت بني سهم
هشام وأبـــو عبـــدِ	مناف مِـــدْرهُ الخصـــم
وذو الرمحـــين اشباك	من القُـــــوَّة والحزم
فهـــذانِ يـــذودانِ	وذا عن كثـــب يرمي
أســـود تزدهي الأقـرا	انَ منّاعـــون للهضـــم
وهم يـــوم عكاظٍ مـ	ـنَعُـــوا الناس من الهَزْمِ ..إلخ.

وقوله: أخت بني سهم: يعني بها ريطة بنت سعيد بن سهم، أم هشام وهاشـم وأبـي ربيعـة ذي الرمحين والفاكه بني المغيرة. والمدره: المقـدم في اللسـان واليـد عنـد الخصومـة والقتـال. واشباك بفلان: بمعنى حسبك به. وتزدهي: أي تستخف وتتهاون بهم.

(2) كان اسم عبد ا لله بن أبي ربيعة هذا في الجاهلية بحيرًا، فلما أسلم سمَّاه النبي صلى ا لله عليـه وسلم عبد ا لله، ويكنى أبا عبد الرحمن. وكان من أشراف قريش في الجاهلية ومـن أجملهـم وأحسنهم وجها وكانت قريش تلقبه "العِدْلَ" لأنهم كانوا يكسون الكعبة سـنة ويكسـوها هو من ماله سنة، فكانوا يرونه وحده عدلا لهم جميعا في ذلك، وقيل إن العـدل هـو الوليـد بن المغيرة. وكان عبد ا لله هذا تاجرا كثير المال؛ وبعثتـه قريـش مـع عمـرو بـن العـاص إلى النجاشي في مطالبة الصحابة الذين عنده بأرض الحبشة، وكان هو والحارث بن هشـام ممـن استجار يوم الفتح بأم هانئ بنت أبي طـالب وأخـبرت رسـول ا لله صلـى ا لله عليـه وسـلم بذلك فقال لها: «أجرنا من أجرت يا أم هانئ» وأسلما يومئذ، وولاه رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم الجند من ولايات اليمن، ولم يزل واليا عليها إلى أن قتل عمر ثـم أقـره عثمـان، فلما حصر عثمان ذهب إليه لينصره فسقط عن راحلته بقرب مكة فمات. وفي *الحلة السـيرا*

<<=

بجير بن ذي الرمحين قرَّب مجلسي   وراح علينا فضلُه غـــير عاتم

ومنهم **أبو أمية** وهو عاشرهم. **والقريع**: السيد. **والشيعة**: يعـني بهـا بـني المغِيرة؛ وكان تحته أربعُ عواتك: عاتكة بنت عبـد المطلـب؛ أم بنيـه: زهـير وعبد الله وقريبة، وعاتكة بنت عامر بن ربيعة بن جـذل الطعـان مـن بـني فَراس؛ أم أمنا أم سلمة، وعاتكـة بنـت عتبـة بـن ربيعـة[1]. **وأبـو أميـة** اسمـه حُذيفَة، وقيل سهل ويلقب *زادَ الركـب*؛ وكذلـك زمعـة بـن الأسـود بـن المطلب بن أسد بن عبد العزى، وقتل يوم بدر.

وقوله: **بزاده**: **متعلق بيدعى الأول**، والضمـير فيـه يعـود إلى **زاد ركبهم** وهو المشبه بالاستخدام. و **يُدْعَى**، أي يسمى، كل من هؤلاء **زاد الركب**[2]، ولقبوا بذلك لأنهم إذا سافروا يكفـونَ مـن سـافر معهـم الـزاد ولا يَـتزود معهم أحد. **والندي**: الجواد، وخص به الناظم **مسـافرَ** بـن أبـي عمـرو بـن أمية بن عبد شمـس الأمـوي، لعـدم شـهرته، عـن صاحبيـه. وقولـه: **لله در**

--- >>

أن النبي صلى الله عليه وسلم استسلف منه حين غزا حنينا أربعين ألفا، فلما انصرف قضـاه وقال له: «بارك الله لك في أهلك ومالك إنما جزاء السـلف الوَفَـاءُ والحمـد»، وفي روايـة: «إنما جزاء القرض الحمد والوفاء». وهو والد الشاعر المشـهور عمـر بـن عبـد الله بـن أبـي ربيعة المخزومي، وأخو عبد الله هذا عياش بن أبي ربيعة الصحابي الجليل، أمهما أسماء بنت مخرمة من بني نهشل بن دارم وأخواهما لأمهما: ابنا عمهما الحارث وأبو جهل ابنا هشام.

(1) لم يذكر الشارح الرابعة حسب النسخ التي وقفت عليها، ولعلها من ثقيف أم ابنيه الكافرين مسعود وهشام.

(2) ومن أزواد الركب أيضا الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي فهم أربعة كما في *المحبَّر* لابن حبيب وغيره.

دأبهم: أي عادتهم من تزويدهم ركْبَهم؛ وهو مَثَلٌ سائرٌ في كلام العرب لا يحتاج إلى تفسير[1]. وفي أبي أُميَّة يقول أبو طالب يَرثيه ـ وكان ختنا له[2] ـ وكان موته بالشام غائبا:

يقولون زاد الركب غير مدافع	بسروِ سخيم غيبته المقابر
وقد أيقن الركبُ الذي أنت فيهمُ	إذا أرملوا يوْما بأنك عاقر
وإلا يكن لحم عبيطٌ فإنه	تكب على أفواهِهِنَّ الغرائر

وذكر الزبيري للمغيرة غيرَ هؤلاء العشرة: حفصا ـ وقدمناه ـ وزهيرا وخراشا وتميما؛ ويكنى أبا زهير، وعثمان.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

مِنَ الْوَلِيدِ خَالِدُ سَيْفُ الإِلَهْ	لِعِزِّ الاِسْلَامِ وَأَهْلِهِ انتَضَاهْ
بِشَعَرَاتٍ لِلنَّبِيِّ أَرْهَبَا	رُومًا وَفَارِسًا وَسَاسَ الْعَرَبَا
أَرْسَلَهُ إِلَى أُكَيْدِرِ النَّبِي	فَغَلَّهُ وَالْجِزْيَةَ اخْتَارَ الْغَبِي
وَهَدَمَ الْعُزَّى لَهُ وَالْهَيْلَلَهْ	أَرْجَى لَهُ مِن كُلِّ مَا سَلَفَ لَهْ
بِهَا تَتَرَّسَ لَدَى الْوَفَاةِ	لاَ بِالَّذِي فَعَلَ بِالْبُغَاةِ

---

(1) يقال لمن يمدح ويتعجب من عمله، قيل أصله أن رجلا رأى آخر يحلب إبلا فتعجب من كثرة لبنها فقال: لله دَرُّكَ. ويستعمل في الذم أيضا فيقال: لا دَرَّ دَرُّه أي لا زكا عمله.

(2) ختن الرجل: المتزوج بابنته أو بأخته أو كل من كان من قبل امرأته، وفي الحديث: عليٌّ ختَن رسول الله صلى الله عليه وسلم. والأختان من قِبَل المرأة والأحماءُ من قِبَل الزوج، والصهر يجمعُهما، وكان أبو أمية هذا ختنا لأبي طالب لأنه زوج أخته عاتكة بنت عبد المطلب.

بدأ **بخالد** لاستحقاق أبي سُليمان للتقديم. ولقبه صلى الله عليه وسلم **سيف الله**، في قوله لعمار بن ياسر، وقد وقع بينهما شيء.. حتى قال له عمَّار: لقد هممت أن لا أكلمك بعدها أبدا، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لخالد: «ما تريد إلى عمار رجل من أهل الجنة شهد بدرا»؟[1]، وقال لِعمار: «ما تريد إلى خالد سيف من أسياف الله سلَّه على الكفار»[2]؟ قال خالد: ما زلت أحب عمارا من ذلك اليوم[3]. وقال أبو بكر لعمر حين أراد منه أن يعزل خالدا: لا أُغْمد سَيفًا سلَّه الله ورسوله.

وانتضاه: سله، والضمير للاستخدام إن أسند الفعل إلى **خالد**، وإن أسند إلى ضمير يعود إلى **الإله** فليس للاستخدام. وأم خالد لبابةُ الكبرى، وقيل الصغرى ـ خلاف بينها وبين أم الفضل ـ وهما ابنتا الحارث بن حزن بن بجير من بني هلال بن عامر بن صعصعة، أختهما أمنا ميمونة بنت الحارث وعمتهن صفية بنت حزن أم أبي سفيان بن حرب.

ترجمة خالد بن الوليد

أسلم خالد عام الحديبية، بينها وبين خيبر، وهاجر إلى النبي ﷺ ومعه

---

(1) أخرجه الطبراني.

(2) ذكره ابن عبد البر.

(3) واشتكى عبد الرحمن بن عوف خالد بن الوليد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا خالد لِمَ تؤذي رجلا من أهل بدر لو أنفقت مثل أحُد ذَهَبًا لم تدرك عمله»، فقال خالد: يا رسول الله إنهم يقعون في فأرد عليهم، فقال: «لا تؤذوا خالدًا فإنه سيف من سيوف الله صبَّه الله على الكفار» ـ [رواه أبو يعلى وابن عساكر وله ألفاظ مختلفة].

عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة العبدري؛ فلما رآهم النبي ﷺ قال لأصحابه: «رمتكم مكة بأفلاذ كبدها»[1]. وبعثه النبي ﷺ إلى **العُزى**،

---

(1) ذكره ابن هشام في سيرته، وقد اختلف في وقت إسلامه، فقيل أسلم في صفر أول سنة سبع، وقيل ثمان. وكان سبب إسلامه كما حدَّث هو عن ذلك قال: لما أراد الله عز وجل بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الإسلام وحضر لي رشدي وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد، فليس موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أني مُوضِعٌ في غير شيء وأن محمدا يظهر. فلما جاء لعمرة القضية تغيبت ولم أشهد دخوله، وكان أخي الوليد بن الوليد، دخل معه فطلبني فلم يجدني فكتب إلي كتابا، فإذا فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك؛ أوَ مثل الإسلام يجهله أحد! قد سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك فقال: «أين خالد»؟ فقلت: يأتي الله به، فقال: «ما مثله يجهل الإسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره»، فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة".

قال خالد: فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام وسرَّتني مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأيت في المنام كأني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة. فلما أجمعت على الخروج لقيت صفوان بن أمية فقلت: يا أبا وهب أما ترى أن محمدا ظهر على العرب والعجم؟ فلو قدمنا عليه واتبعناه فإن شرفه شرف لنا؟ فقال: لو لم يبق غيري ما اتبعته أبدا، فقلت: هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر؛ فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان، فقال لي مثل الذي قال صفوان، قلت: فاكتم ذكر ما قلت لك؛ قال: لا أذكره. ثم لقيت عثمان بن طلحة العبدري، قلت هذا لي صديق فأردت أن أذكر له ثم ذكرت قتل أبيه طلحة وعمه عثمان وإخوته الأربعة: مسافع والجلاس والحارث وكلاب؛ فقد قتلوا كلهم يوم أحد، فكرهت أن أذكر له؛ ثم قلت وما علي وأنا راحل من ساعتي.. فقلت له: إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صب فيه ذنوب ماء لخرج، ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة فأسرع الإجابة، واتَّعدتُ أنا وهو بِيَأجُجٍ، إن سبقني إليه أقام به وإن سبقته إليه انتظرته. فلم يطلع الفجر حتى التقينا به

<<=

صنم سُليم وقريش المشهور، وبعثه إلى بني جذيمة ـ قبيلة من كنانة عند ماء يقال له الغُميصا ـ فقالوا: صبأنا وبنينا فيها المساجد وصلينا فيها، ولم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فاستباحهم خالد بالقتل؛ فوداهم النبي ﷺ وقال: «اللهم إني أبرأُ إليك مما صنع خالد»[1]. وكان النبي ﷺ يوليه أعنّة الخيل[2]، كان على مقدمته يوم الفتح ويوم حنين، وجرح فنفث رسول الله ﷺ على جراحه فانطلق منها ولم يَشْكُها؛ وكان يقول: اندقت في يدي يوم

فغدونا حتى انتهينا إلى الهدة (اسم محل) فوجدنا عمرو بن العاص بها، وكان عائدا من الحبشة بعد مقابلة النجاشي، فقال: مرحبا بالقوم فقلنا: وبك، قال: أين مسيركم يا أبا سليمان؟ فقال: لقد استقام الميسم (أي تبين الطريق وظهر الأمر) وإن الرجل لنبي، أذهبُ والله فأسلم، فحتى متى؟ فقال عمرو: وذلك الذي أقدمني والله ما جئت إلا لأسلم. فساروا حتى قدموا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآهم قال لأصحابه: «رمتكم مكة بأفلاذ كبدها»، وذلك لرفعة شأنهم في قريش. قال خالد: فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقيت أخي فقال: أسرع فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سُرَّ بِقُدُومِكُم وهو ينتظركم، فأسرعنا المشي فاطلعت عليه، فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى وقفْت عليه فسلمت عليه بالنبوة، فرد علي السلام بوجه طلق، فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال: «الحمد لله الذي هداك وقد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير»، قلت: يا رسول الله ادع الله لي يغفر تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك، فقال صلى الله عليه وسلم: «الإسلام يجب ما كان قبله». وتقدم عثمان بن طلحة وعمرو فبايعا وأسلما؛ ثم قال: والله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بي أحدا من أصحابه فيما حَزَبَه.

(1) رواه البخاري وأحمد.

(2) ذكره ابن سعد.

مؤتة تسعة أسياف فما صبر معي إلا صفحةٌ يمانية. ولما قتل الأمراء أخذ اللواء وانحازت إليه الناس فحاس بهم - أي انحاز - حتى نجوا من العدُو ولم يفروا، وحالَ الليلُ بين الفريقين[1].

قوله: **بشعرات**: من رأس النبي ﷺ جعلها في عمامته، فكلما رأى عِمامتَهُ جيشٌ انهزم، فبذلك **أرهب الروم والفرس وساس**، أي ساد، العرب لتقدمه على جيوشهم، وقتله المرتدين منهم؛ كأهل اليمامة وجيش طُليحة أهل بزاخة، وهدم للنبي ﷺ العُزّى إذ بعثه إليها، فلما أتاها قال:

يا عَزُّ كُفْرَانَكِ لا سُبحانَكِ   أني رأيتُ الله قد أهانكِ

فلما أتاه قال له رسول الله ﷺ: «هل رأيت شيئا»؟ قال: لا، قال: «فارجعْ إليها فلم تهدمها». فرجع فهدمها حتى خرجت منها عجوز ثائرة الرأسِ ناشرة الشعر تدعو بالويل والثبورِ[2]، فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: «تلك العزى لا تعبد العزى بعد اليوم»[3].

وأُكَيْدِرُ هو ابن عبد الملك الكندي ملك دومة، بعثه إليه النبي ﷺ في سرية في غزوة تبوك وقال له: «إنك ستجده يصيد البقر»[4]. فبينما أكيدر

(1) لما أخذ الراية قاتل قتالا شديدا وما زال يدافع القوم حتى انحازوا عنه بحيلة دبَّرها، ثم عاد بجيش المسلمين سالما إلى المدينة من غير هزيمة؛ فأنقذ الله المسلمين على يديه مع قلتهم، حيث كانوا نحو ثلاثة آلاف، والعدو من الروم والعرب المتنصرة نحو مائتي ألف وخمسين ألفا.

(2) الويل: حلول الشر. والثبور: الهلاك والخسرانُ.

(3) رواه البيهقي في *دلائل النبوة*، وذكره ابن سعد وغيرهما.

(4) ذكره ابن إسحاق في سيرته.

مع زوجته في ليلة صائفة على سطح دارهم إذ أتتهم بقر الوحش تنطح حِصنهم بقرونها، والليل مقمر؛ فدعا أكيدر أخاه حسانا وقال له: لا أصبر عن هذا؛ فركبوا خيلهم فطردوا البَقَرَ حتى دفعتهم في جيش خالد. فحملوا عليهم، فقتلوا حسانا وأسروا أكيدرَ؛ فبعث خالد بقَبائِهِ[1] إلى النبي ﷺ، فجعل الصحابَةُ يتعجبون من حُسْنِهِ، فقال لهم رسول الله ﷺ: «لَمناديلُ سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا»[2]. ثم قدم خالد بأكيدر، فخيره رسول الله ﷺ بين الإسلام وضرْب الجزية عليه فاختار الجزية[3].

وذلك قوله: **والجزية اختار الغبي**، وهو من لا فطنة له. **وغله**: أي أسره. وقوله: **الهيللة**: استئناف مبتدأ خبره: **أرجى له**. **وما سلف له**: أي ما قدمه من العبادة من طاعة الله ورسوله والجهاد في سبيل الله؛ ولذلك قال عند وفاته رضي الله عنه: جعلت لا إله ألا الله **تُرساً** بيني وبين النار، وهي **أرجى** لي من كل عمل قدمته.

وتوفي رضي الله عنه في سنة إحدى - أو اثنتين - وعشرين بالمدينة على المشهور، وقيل بحمْص[4] وأوصى إلى عمر، و لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا

---

(1) القباء: نوع من الثياب (فارسي معرب) - [لسان العرب]

(2) متفق عليه.

(3) رواه ابن سعد وابن هشام.

(4) ذكروا أن قبره مشهور يزار في ضمن مسجد واقع خارج السور إلى الجهة الشمالية من حمص، وقد اتصل به العمران وصار حوله حي يسمى "حي سيدي خالد" كما يسمى المسجد أيضا مسجد سيدي خالد - [محمد رضا: كتاب أبو بكر الصديق].

نشَرتْ شعرها على قبره، أي حلقت رأسها عليه، فقيل ذلك لعمر فقال: دعهن يندبْنَ أبا سليمان[1].

قلت: وفي هذا نظر، لرضا عُمَرَ بالحلْقِ بعد ما نهى عنه النبي ﷺ[2].

ولما احتضر رضي الله عنه قال: لقد شهدت مائة زحف وما في جسدي موضعُ شِبرٍ إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، وها أنا أمُوتُ على فراشي كما يموتُ العَيْرُ.. لا نامت عينُ الجبانِ[3]! وسمع عمر بعْد موت خالدٍ راجزًا ينشد:

إذا رأيت خالدا تخففا ... وهبت الريح شمالا حرجَفًا[4]

وكان بين الأعجمين منصفا ... فرد بعض القوم أن تخلفا

---

(1) وقال: قصرن في البكاء على أبي المسلمين رحمه الله إنه كان ليحب أن يذل الشرك وأهله وما عند الله خير له ممَّا كان فيه، ولقد مات فقيدا وعاش حميدا.

(2) النهي عن الحلق عند المصيبة ورد في الصحيحين.

(3) وقد دافع خالد عن الإسلام دفاعا مجيدا لم ير مثله في تاريخ الأمم، شهد له بذلك الصحابة رضوان الله عليهم كما شهد له به الأمم التي حاربها من عرب وفرس وروم واعترفوا له بالكفاءة الحربية النادرة، وصدق فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه سيف من سيوف الله»، فقد كرس حياته منذ أسلم إلى أن توفي للجهاد في سبيل الله في الغزوات والسرايا والفتوح ولم يهزم في موقعة من المواقع، بل كان رائده النصر على الدوام وكان العدو يخاف منه ويقع الرعب في قلبه بمجرد ذكر اسمه، أو اقتراب جيشه؛ لذلك كانوا يبادرون إلى عقد الصلح معه لئلا يداهمهم بما لا قبل لهم به. وكان قد تفنن في ضروب الحرب وأحوالها فكان أثبت الناس جأشا لا يرهب الموت ولا تهوله كثرة الجيوش، وقاد أعنة الخيل في الجاهلية والإسلام رضي الله عنه.

(4) الحرجف: الريح الباردة.

فقال عمر: رحم ا لله خالدا، فقال طلحة بن عبيد ا لله:

لا أَعْرِفَنَّكَ بعد الموت تندُبُني وفي حياتيَ ما زودتَّني زادا

فقال عمر: إني ما عتبت على خالد إلا لتقدمه وما كان يصنع بالمال. وكان خالد إذا أصاب غنيمةً لا يدفع إلى أبي بكر حِسابا، وكان فيه تقدم على رأيِ أبي بكر بفعل أشياءَ لا يراها أبو بكر؛ قَتل مالكا ابن نويرة ـ واختلف في إسلامه ـ ونكح امرأته، وصالح أهل اليمامة، ونكح بنت مجاعة بن مرارة.. فكره ذلك أبو بكر، وأمره بطلاق امرأة مالك وعرض الدية على متمم بن نويرة. ولكن لم يرَ أن يعزله. وكان عمر ينكر هذا وشبهَهُ على خالد.

ومما مُدِحَ به خالد قولُ حزن بن وهب بن عمران بن مخزوم، جد سعيد بن المسيب، في قتاله أهل الردة:

وقامت رجال من قريش كثيرةٌ ولم يك في القوم القيام كخالد

ترقى فلم ينزل به صدرُ نعله وكفَّ فلم يعرض لتلك الأوابد

أخالد لا تعدم لؤي بن غالب قيامك فيها عند قذف الجلامد

وكنت لمخزوم بن يقظة جُنَّةً كلا اسميك فيها ماجد وابن ماجد

إذا ناب أمر في قريش ملجلِجٌ تشيب له هامُ العذارى النواهد

توليت منه ما يُخاف وإن تَغِبْ يقولوا جميعا: حظنا غير شاهد

كساك الوليد بن المغِيرة مجده وعلَّمَكَ الشَّيخانِ ضَرْبَ القماحد

(جمع قَمَحْدُوَةٍ: وهي العظم الذي خلف الأذن).

ومن ولد خالد سليمانُ، الذي به يكنى، والوليد وعبد الرحمن والمهاجر

وعبد الله[1]. وفي عبد الرحمن بن خالد يقول كعب بن جعيل يرثيه:

ألا تبكي وما ظلمت قريش ... بإعوال البكاء على فتاها
ولو سئلت دمشق وبعلبكٌّ ... وحمص مَّن أباح لها حماها
فسيف الله أدخلها المنايا ... وهدَّم حصنها وحوى قراها
وأنزلها معاويةَ بن صخر ... وكانت أرضُه أرضا سواها

وفيه يقول أيضا:

أبوك الذي قاد الجنود مغرِّبًا ... إلى الروم لما أعطتِ الخَرْج فارسُ
وكم من فتى نبهته بعد هجعة ... بقرع اللجام وهْو أكتع قاعِسُ
وما يستوي الصفّان: صف لخالد ... وصف عليه من دمشق البرانس
ولم يبق تحت الخرم إلا أجنة ... ولا من هواديهن إلا الكرادس

ولا يحصل لمتتبِّع مناقبِ خالدٍ إلا التعبُ[2] وسيأتي بعضُها في الكلام على أبي بكر رضي الله عنهما[3].

وَمِنْ هِشَامٍ حَارِثُ الْمَجِيدُ ... وَحَارِثٌ مِّنْهُ ابْنُهُ الشَّرِيدُ
رَاهِبُ فِهْرٍ عَابِدُ الرَّحْمَنِ ... أَبُو الْحَظِيَّاتِ ذَوَاتِ الشَّانِ

---

(1) أما سليمان فأمه كبشة بنت هوذة بن عمرو من بني رزاح بن ربيعة، وأما عبد الرحمن والمهاجر وعبد الله فأمهم بنت أنس بن مدرك الخثعمية، قيل: وله عبد الله ثان أمه أم تميم الثقفية، وكان عبد الرحمن منهم مع معاوية على عليٍّ وشهد معه صفين وولي الجزيرة، وكان المهاجر مع عليٍّ وفقئت عينه في "الجمل" وقتل بصفين، وقتل عبد الله بالعراق.

(2) فقد كانت حياة خالد خالدة في القلوب والأسفار وكانت عبرة لأولي الأبصار.

(3) انظر صفحة 865 وما بعدها.

يقول ومن أولاد هشام بن المغيرة: **الحارث** بن هشام؛ وهم ستة: الحارث وسلمة وخالد وعثمان والعاص وأبو جهل. أسلم سلمة قديما والحارث وخالد يوم الفتح وقتل العاص وأبو جهل يوم بدر، و لم نجد لعُثْمَانَ خبرا[1]. أما الحارث وأبو جهل فأمهما أسماء بنت مخرمة بن جندل بن نهشل بن دارم من تميم. وأما سلمة فأمه ضُباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير القائلة في الجاهلية:

اليوم يبدو بعضه أو كله   وما بدا منه فلا أحله

ثم أسلمت. وأما العاص وخالد فأمهما الشفاء بنت خالد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. وكان الحارث كما قال الناظم **مجيدا**، أي صاحب مجد، أي فضل (فعيل بمعنى فاعل) أي ماجد في الجاهلية والإسلام، كما قال الشاعر:

أزعمت أن أباك حين تسبُّني   في المجد كان الحارثَ بنَ هشامِ
أَوْلى قريشٍ بالمكارم والندى   في الجاهلية كان والإسلام

وله يقول كعب بن الأشرف:

نبئت أن الحارث بن هشامهم   في الناس يبني المكرمات ويَجْمَعُ
ويزور يشربَ بالجُمُوعِ وإنما   يبني على الحَسَبِ القدِيمِ الأرْفَعُ[2]

---

(1) عثمان هذا هو أكبر أولاد هشام وبه كان يكنى وأمه بنت عثمان بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم وليس له عقب - [قاله الزبيري].

(2) الأرفع (بالرفع): صفة لفاعل يبني، وفيه إقامة الصفة مقام الموصوف وهو الحارث بن هشام الذي يبني المكرمات.

وكان يقال له الحويرث؛ قال حسان بن ثابت:

[وولّت عند ذاك جُموعُ فِهرٍ] وأسلمها الحويــــرث من بعيد

حضر بدرا مع المشركينَ وكان ممَّن فرَّ يومئذ، فقال حسان بن ثابت:

إن كنت كاذبــة الذي حدثتني فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبــةَ أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمــــــرة ولجام

وأجابه الحارث بقوله:

ا لله يعلـــم ما تركـــت قتالهم حـــتى رموا فرسي بأشقر مُزبد
وشممت ريحَ الموت من تِلقائهمْ في مـــأزقٍ والخيـــلُ لم تتبدَّدِ
وعلمت أني إن أقاتل واحـــدا أقتل ولا يضررْ عدوي مشهدي
فصددت عنهـــم والأحبة فيهمُ طمعا لهم بعقاب يوم مُفْسِـدِ[1]

ثم غزا أحُدًا مع المشركين، ولم يزل متمسكا بالشرك حتى أسلم يوم الفتح بعد ما أجارته أمُّ هانئ بنت أبي طالب؛ استْأمنت له رسـول ا لله ﷺ فأمَّنه، وفيه قيل:

الحارث بن هشـام قد أُجــير بما قد قال في أم هانئ من الغــزل

وحسن إسلامُه، وخرج في زمن عمر بأهله وماله إلى الشام فتبعـه أهـل مكة يبكون، عليه فرقَّ لهم وبكى ثم قال: "ما كنا نسـتبدل دارا بـدار ولا جارا بجار؛ ما أردنا بكـم بـدلا ولكنهـا النقلـة إلى ا لله، وا لله مـا خرجـت رغبةً بنفسي عن أنفسكم ولا اختيـارَ بلـدٍ عـن بلدكـم.. وقـد خـرج منـه

(1) يقال إن هذا من أحسن ما قيل في الاعتذار من الفرار.

رجال من قريش ما كانوا من ذوي أنسابها ولا من بيوتها ولو أن جبال مكة ذهبا أنفقناها في سبيل الله ما أدركنا يوما من أيامهم، ولئن فاتونا في الدنيا لنلتمس أن نشاركهم في الآخرة". ولم يزل مجاهدا بالشام حتى استُشهد باليرموك (وتقدم بعض هذا في الكلام على سهيل بن عمرو).

وقال الحارث للنبي ﷺ: أخبرني عن أمر أعتصم به، فقال: «أمسِكْ عليك هذا»، وأشار إلى لسانه[1]. ولم يرجع من أهل الحارث إلا ابنُه عبد الرحمن، وحَسْبُه مدحا قول أمنا عائشة فيه - وقد ذكر عندها يومُ الجمل - فقالت: والناس يقولون يوم الجمل؟! قالوا: نعم، قالت: وددت لو أني جلست كما جلس غيري، فكان أحب إلي من أن أكون ولدتُّ عشرة من رسول الله ﷺ كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث. وأما أبو سعيد وأم حكيم فلم يخرجا مع الحارث فيمن خرج معه من أهل بيته. وكان يقال لعبد الرحمن راهب قريش، توفي النبي ﷺ وهو ابن عشر سنين، (وتقدم في الكلام على سهيل بن عمرو وتسميته الشريدَ وخبره).

والحظيات[2]: اللواتي قيل فيهن المثلُ: *أنفقُ من بنات الحارث*، وهن بنات عبد الرحمن لا بنات الحارث، والمثَل نَسبهن إلى جدهن؛ خمس منهن أمُّهُن الشريدة فاختة بنت عتبة بن سهيل، وست أمهن أمُّ الحسن بنت

---

(1) رواه الترمذي وأخرجه الطبراني.

(2) الحظيات: جمع حظية وهي المحببة إلى زوجها، وقد ضرب المثل ببنات الحارث هذا في الشرف وغلاء المهور، وعددهن ثمان عشرة.

الزبير بن العوام، وأربع أمهن بنت عوف بن حارثة بن سـنان، بنـت أخـي هرم بن سنان، واثنتان أمهما بنت الحـارث بـن عبـد الله بـن ذي القُصـة، وواحدة أمُّها مريم بنت عُثمان بن عفّان؛ زعموا أن عثمان مَرَّ بمجلس لبني مخزوم فوقف وسلم ثم قال: إنه يعجبني ما أرى مـن جَمـالكم ونعمـة الله عليكم، فقال له بعضُهم: أفلا تزوجُ بعْضنا يا أمير المؤمنين؟ فنظر إلى عبـد الرحمن فقال: إن شاء هذا ذلك زوجتُه وأشار إليه؛ فقال عبدُ الرحمن: إنـي أشاء. فزوجه ابنته مريم وولدت له بنتا وماتت صغيرة، وهـي ثامنـة عشـر بناته الحظيات.

وأما أولاده فاثنا عشـر، ستة للشـريدة فاختـةَ، منهـم أبـو بكـر الفقيـه المحدث؛ روى عن أمهات المؤمنين وأبـي هريـرة وروى عنـه ابـنُ شـهاب، وكف بصره؛ وقدم عليه ـ بعدما كف بصره ـ رَهْطٌ من بني أسد بن خزيمة يستعينونه في ديات دماءٍ عليهم، فحمل عنهم أربع ديات، وقال لابنه عبـد الله: اذهب إلى عمك المُغيرة فأعلمْـه بما حملنـا مـن هـذه الديـات واسـأله المعونة، فذهب عبدُ الله إلى المغيرة فأعلمَـه، فقـال لـه: أكـثر علينـا أبـوك. وانصرف عنه، فأقام أياما لا يذكر شيئا لأبيه، وكان يقود أباه إلى المسـجد فقال له يوما: أذهبت إلى عمك؟ قـال: نعـم وسـكت، فعـرف أبـوه حـين سكت أنه لم يجد عنده ما يحب فقال له: يا بني لا تخبرني بما قال لـك فـإن لا يفعل أبو هشام فربما فعل، واغدُ غدا على السوق فاستسلف واشـتر ثـم ادفع الديات إلى الأسديين. وكان أبو بكر ذا منزلة عند عبد الملك وأوصى به حين حضرته الوفاة ابنَه الوليد، قال له: يا بـني إن لي بالمدينـة صديقـين

فاحفَظني فيهما: عبدُ الله بن جعفر بن أبي طالب وأبو بكر بن عبد الرحمن.

وكان المغيرة بن عبد الرحمن من الأجواد، وهو الأعور. وكان يطعم يوما والناس على طعامه وأعرابي حابس نفسه عن الطعام ويديمُ النظر إلى المغيرة، فقال له: يا أعرابي ألا تأكل من هذا الطعام.. ما لي أراك تديمُ النظر إليَّ؟ قال: إنه ليعجبني طعامك وتريبني عينُك! فقال وما يريبك من عيني؟ فقال: أراك أعورَ وتطعم الطعام، وهذه صفة الدجال!! فقال له المغيرة: إن الدجال لا يصاب بعينه في سبيل الله.

وفي المغيرة يقول الأقيشر الأسدي:

أتاك البحر طم على قريش	وقبلك ذاك قد راعَ ابْنَ بشر
وراع الجدي جدي التيم لما	رأى المعروف منه غير نزر
ومن أوتار عتبة قد شفاني	ورهط الحاطي ورهط صخر

أَبُو أَبِي بَكْرٍ الْفَقِيهِ الْفُقَهَا	بِطَيْبَةَ اتَّحَدَ وَقْتُ النُّبَهَا
هُوَ وَمَوْلَى أُمِّنَا مَيْمُونَهْ	وَهْوَ سُلَيْمَانُ وَذُو الْحُزُونَهْ
ابْنُ الْمُسَيِّبِ سَعِيدُ الْعَلَمْ	بِالْعِلْمِ وَالْوَرَعِ وَالزُّهْدِ اتَّسَمْ
وَسِبْطُ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودِ الْعَلِي	أَعْنِي عُبَيْدَ اللهِ وَهْوَ الْهُذَلِي
خَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ ابْنِ ثَابِتْ	وَعُرْوَةُ نَجْلُ الزُّبَيْرِ الْقَانِتْ
وَقَاسِمُ سَابِعُ ذِي اللآلِي	ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ ذِي الْخِلاَلِ

يعني أن عبد الرحمن الشريد بن الحارث هو أبو أبي بكر بن عبد الرحمن

الفقيهِ، والفقيه في اللغة: العالم بالشيء والفطن به، وفي الاصطلاح العالم بعلم الدين؛ وإنما يطلق في هذا الزمن على العالم بالحلال والحرام.

ذكر الفقهاء السبعة

ولما ذكر أبا بكر ووصفه بالفقه رأى أن يستطرد ذكر الفقهاء السبعةِ، لأنه أحدهم على قول، وقيل مكانه أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وقيل سالِمُ بن عبد الله بن عمر؛ قال الزين العراقي[1]:

اما أبو سلمة أو سالِمُ أو فأبو بكر، خلاف قائمُ

قوله **الفقهاءُ**: مبتدأ خبره جملة **اتحد وقت النبها**. **وبطيبة**: متعلق باتحد. **والنبها**: جمع نبيه للفطن، وفيه إقامة الظاهر مقام المضمر، أي اتحد وقتهم بطيبة، أي المدينة. ويلزم من قوله: **بطيبة اتحادُ** بلدهم أيضا، فهم السبعة متحدو الوقت والمكان؛ مكانهم المدينة ـ شرفها الله ـ وزمنهم زمنُ التابعين، وليس منهم إلا من أبوه صحابي. وهم من المهاجرين إلا خارجة[2].

---

(1) في ألفيته: **وفي الكبار الفقهاء السبعَةِ خارجة، القاسم، ثم عروة**
ثم سليمان، عبيد الله، سعيد، والسابع ذو اشتباهِ
اما أبو سلمة ...الخ

(2) وقد خصوا باسم الفقهاء السبعة لأن الفتيا صارت إليهم بعد الصحابة، وإن كان في عصرهم علماء كثيرون من التابعين، ونظمهم من قال:
ألا كل من لا يقتدي بأئمة فقسمته ضيزى عن الحقِّ خارجه
فخذهم: عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجةْ

أما **سليمان** فهو ابن يسار ـ ويسار صحابي ـ وهو **مولى أمنا ميمونة** بنت الحارث. وأخو سليمان: عطاءُ بن يسار عالم أيضا، وليس أخوهما إسماعيل بن يسار الشاعر المغني، لتأخره عنهما.

قوله **وذو الحزونة**: عطف على الضمير العائد على أبي بكر الذي به شرع في عد الفقهاء. **والحزونة**: الغلظ والصلابة، أي صاحب الحزونة؛ وأضافه[1] للحزونة لقوله: "لم تزل فينا تلك الحزونةُ" لإباء جده حزنٍ عن السهولة، حين قال له النبي ﷺ: «بل أنت سهل»، فقال: يا رسول الله إنما السهولة للحمار. **والعَلَمُ**: السيدُ. **واتسم بالعلم** الكثير: اتصف به وصار له سمةً، أي علامة؛ أما علمه فلا يحدث عنه وكذلك **ورعه وزهده**.

ومن ورعه أنه كان يشكو عينيه فقيل له: أزل عن عينيك الرمص، فقال: قال لي الطبيب: لا تمسهما، فقلت له: أفعلُ، فخاف أن يكذب. ومنه أنه لَمّا أخذه "مسرِف" بن عقبة المُرِّيُّ، حين أوقع بأهل الحرة، وكان من يأخذ من قريش يقولُ له بايعْ أمير المؤمنين ـ يعني يزيد بن معاوية ـ على أنك عبد قِنٌّ إن شاء أعتق وإن شاء استرق، فمن قال له أبايعه على أني ابن عم له قتله.. فلما قال ذلك لسعيد ـ وكان سعيد ممَّن خلع يزيد من العلماء ـ قال: لا أبايعه لا حرا ولا عبدا، فقال مروان بن الحكم وعبد

---

(1) أي سعيد بن المسيب، ولم يصرح باسمه هنا، لذكره في النظم ولشهرته وحضوره في ذهنه، وهذا صنيعه أحيانا؛ كأنه لا يتصور أن القارئ يجهل هؤلاء.. من مشاهير الصحابة والتابعين.

الله بن عمرَ: هذا مجنون، وشهدَا له على ذلك وحلفا عليه فخلى سبيلَه؛ ثم لحقا سعيدا فقالا: الحمد لله الذي نجاك يا أبا محمد، فقال: إليكما عني تشهدان بالزور وتحْلفان على الكذب، والله لا أكلمكما أبدا!.

أمُّه أم سعيد بنت عثمان بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال، عماتها عواتك النبي ﷺ من سليم. وتزوج فاطمة بنت أبي هريرة، وتزوج ابنتَه زينبَ شريحُ بن الحارث القاضي، فولد له منها ولد فقالت له أم زوجته: سمِّه سعيدا باسم جده فإني مكثت معه أربعين سنة وما عصى الله فيها قط.

والسبط: ولد الولد، وهو **عبيدُ الله** بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أبوه عبد الله صحابي وجدُّه عتبة أسلم قديما، قبل أخيه عبد الله بن مسعود، وهو أول من سمى المصحف مصحفا، وهو الذي قتل اليمان يوم أحد يظنه من المشركين؛ وليس عليه من ذلك شيءٌ، واستُشهد يوم اليمامة.

وكان عبيد الله الفقيهُ شاعرا جدا وكان إذا أتى سعيدا ابن المسيب يقول له: مرحبا بالفقيه الشاعر، ومن شعره:

كتمتَ الهوى حتى أضر بك الكتمُ ... ولامَك أقوام ولومُهُمُ ظلمُ

ونَمَّ عليك الكاشحُون وقبلَهم ... عليك الهوى قد نمَّ لو ينفع النم

تجنبت إتْيانَ الحبيب تَأثُّمًا ... ألا إنَّ هِجرانَ الحبيب هو الإثم

فأصبحت كالنَّهدي إذ مات حسرة ... على إثْر هندٍ أو كمن سُقيَ السِّم

فذقْ هَجْرها قد كنت تزعُمُ أنه ... رشاد ألا يا رُبَّما كذب الزعمُ

ومنه قوله:

غراب وظبي أعْضبُ القرن ناديا[1] بصـــــرم وصِرِدان العشي تصيحُ

لعمري لئن شطـــــتْ بعثمةَ دارُها لقد كنت من وشك الفراق أليحُ[2]

وخارجة: هـو ابـن زيـد بـن ثابـت بـن الضـحاك الخزرجي ثـم النجاري، وسيأتي إن شاء الله في الكلام على أبيه.

وعـروة: هـو ابن الزبير بن العوام هو ثالث أبناء أسماءَ بنت أبي بكر[3]، قيل إنـه ولـد يـوم موت عمر، وقيل بشر به أخوه عبدُ الله يوم جاء بشيرا بفتح إفريقـيةَ هـو وخُبيـب ابـنه. **والقانت:** الخاشع؛ كان كثيرَ البكاء، وكان إذا استلم الحجر يقول:

اللهـــــم لا إله إلا أنتا وأنــت تُحيي بعدما أمتَّا

ولما دخل معاوية المدينة ببغلاته الشاميةِ جعل الناس يتعجبون منها، فبادر هو داره وأغلقها عليه وقال لأهله: الصلاة الصلاة؛ امتثالا لقوله تعالى ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾[4]. ومن زوجاته: أم يحيى بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية. ووفد على عبد الملك بن مروان ـ بعدما قتل أخويه عبدَ الله ومُصعبا ـ يستردُّ منه سيفَ الزبير، فقال له: ما تريد؟ فقال: سيفَ أبي الزبير، فقال: بم تعرف سيف الزبير من بين السيوف؟ قال: بما لا تعرف به

---

(1) أي مكسور القرن.

(2) ألاح منه إلاحةً: خاف وحاذر.

(3) وكانت أسماء قد ولدت للزبير أربعة أبناء ونسوة (الأول عبد الله، والثاني المنذر، والثالث عروة، والرابع عاصم؛ وانقرض عاصم) - [الزبيري].

(4) طه: 131-132.

سيفَ أبيكَ: ثلمٌ أصابه يوم بدر، وأنشد:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفَهم بهن فلـولٌ من قِراع الكتائب

وقوله: **وقاسم سابع ذي اللآلي**: أي سابع الفقهاء، ولم يختلف فيه أنه منهـم. **واللآلئ**: جمع لؤلـؤة، شبه الفقهـاء مـن بـين النـاس بـاللؤلؤ بـين الجواهـر. وانقرض ولَدُ محمد بن أبي بكر إلا عبد الله بن عبد الرحمن بن محمـد، هـو وأبوه أيضا من العلماء. وابنة القاسم أم فروة، ولدت لجعفر الصادق موسى الكاظم.

سأل رجل القاسمَ بن محمد قال: حجَجْت مع زوجتي فلما أتْمَمنـا حجَّنـا ذهبت بها إلى شِعب من شعاب مكـة لأقـع عليهـا، فلمـا هممـت بذلـك قالت: إني لم أحلق بعد؛ فلم نجـد مـا نقطـع بـه شيئا فقطعـت مـن شَعَرِ رأسها بأسناني، فهل علي من ذلك شيء؟ فضحك القاسمُ وقال: لا ولكن مُرْهَا أن تحلقَ الآن.

ثم[1] قال رحمه الله وعفا عنه:

وَأُمُّـــهُ وَأُمُّ زَيْنِ الْعَابِـــدِينْ وَسَالِمٍ سِبْـطِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينْ:
بَنَاتُ يَزْدَجِــرْدَ آخِـرِ مَلِكْ مَلَكَ لِلْفُــرْسِ؛ وَأَنْجَبَ الْمَلِكْ

---

(1) استطرد الناظم بذكر القاسم بن محمد ذكرَ أمه بنت يزدجرد، وأنه هـو وزيـن العـابدين بـن الحسين وسالم بن عبد الله بـن عمـر أبنـاء خـالاتٍ، أمهـاتُهم بنـات يزدجـرد آخـر ملـوك الفرس..

وَقَدْ أَبَى عَلِيٌّ أَن يُبَعْنَا   كَسَائِرِ السَّبْيِ وَيُمْتَهَنَّا
وَقَوَّمُوهُنَّ فَجَادَتْ بِالثَّمَنْ   يَدُ الأُصَيْلِعِ فَفَازَ بِالرَّسَنْ

أي وأم القاسم بن محمد وأم زين العابدين بن الحسين وأم سالم بن عبد الله بن عمر: أمهات أولاد أخوات: بنات يزدجرد. ولم أقف على اسم واحدة منهن، إلا أن أم زين العابدين اسمُها سُلافة[1].

وفي كامل المبرد أن فتى من فتيان قريش قال: كنت أغدو على سعيد بن المسيب أطلب منه العلم فرأيتني أعجبْته حتى كاد يؤثرني على غيري، فسألني عن أمي فقلت له: فتاة؛ فرأيتني طحتُ من عينه. ثم دخل عليه القاسمُ بن محمد بن أبي بكر فسألته عنه، فقال: هو القاسم بن محمد بن أبي بكر، فقلت: من أمه؟ فقال: فتاة. ثم دخل عليه سالمُ بن عبد الله بن عمر فسألته عنه فقال: مثلُ هذا لا يجهل في قريش وجهلتَه كما جهلتَ مَن قبله! فقلت: من أمه؟ فقال: فتاة. ثم دخل عليه زين العابدين بنُ الحسين، فلما خرج قلت: من هذا؟ فغضب فقال: تجهل من لا يجهل؟! هذا زين العابدين بن الحسين، فقلت: من أمُّهُ؟ قال: فتاة؛ فقلت: يا أستاذ ما جهلت واحدا من القوم وأنا أعلم بهم، ولكني لما أخبرتك أن أمي فتاة رأيتني نزلت عندك من مكان كنت فيه فأردت أن أنبهَك بهؤلاء أن الإنجاب بالآباء لا بالأمهات.

ويزدجرد هو آخر مُلوكِ الفرس وهو ملكهم أيام حرب القادسية،

---

(1) ولعله اسم اطلق عليها بعد سبائها لعربيته الواضحة وبُعده عن الفارسية.

ووزيره على جيوشه رُستم. ففتح الله على المسلمين أرض الفرس وسبوهم وتملكوا أراضيهم وقُتل رستم وفرّ يزدجرد - واستولى المسلمون على القصرِ الأبيض، وهو دارُ مَمْلكةِ الأكاسرة - ثم وجده المسلمون في خلافة عثمان فقتلوه. وكانت بناته فيمن سبى المسلمون من الفرس، فقدِمُوا بهِنَّ على عُمَر بالمدينة؛ فأراد المسلمون بيعهن وامتهانهن بالخدمة وغيرها - كغيرهن من نساء الفرس - فأبى ذلك علي، وقال: قوموهن حتى تعرفوا أثمانهن وأدفعها إليكم تجعلونها في المغانم، ففعلوا؛ فملكهُنَّ علي وأعطاهن لهؤلاء، فأوْلَدُوهُنَّ هؤلاءِ الغلمانَ وذلك **إنجاب الملِك** الذي ذكر.

والأصيلع: من أسماء عليٍّ التي سماه بها رسولُ الله ﷺ؛ وهو من تصغير التعظيم والتوددِ، لأنه أصلعُ؛ قال عمرُ: إن وليها - أي الخلافة - الأصيلع الاجلحُ يسلك بهم الطريق المستقيم، ولعلها من مكاشفاته. **والرسن**: أي رسن بناتِ يزدجرد فجعلَهُنَّ حيثُ شاءَ.

ولم يذكر الناظم أبا جهل لشهرته بالكفر، ولا ابنَه عِكرمة لشهرته بالكرم؛ وأم عكرمة اسمها أم مجالد من بني هلال. خرج عِكرمة يوم الفتح هاربا واستأمنت له زوجته أمُّ حيكم بنت الحارث بن هشام من رسول الله ﷺ فأدركته باليمن فردته، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرِح به وقام إليه حتى اعتنقه[1]، وقال: «مرحبا

(1) اشتهر عكرمة بالشرف والعز في الجاهلية والإسلام، وكان من أبطال قريش وفرسانهم. أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: علّمني خير شيء

<<=

بالمهاجر»[1]؛ وتأول العلماءُ قيام النبي ﷺ وفرحَـه بـه بـأن النبي صلـى ا لله عليه وسلم رأى في منامه عِذْقا في الجنة فقـال: «لمـن هـذا»؟ فقيـل: لأبـي جهـل، فقـال صلـى ا لله عليـه وسـلم: «مـا لأبـي جهـل والجنـة؟ وا لله لا يدخلها أبدا»[2]، وشق ذلك عليه، فلما رآه تأول ذلك العِـذقَ بـه. فهـاجر عِكرمة إلى المدينة، فجعل كلما مر بمجلس من مجالس الأنصار سَـبَّ أهلُـه أبا جهل؛ فشكا ذلك عِكرمةُ إلى رسول ا لله ﷺ فقال: «لا تؤذوا الأحيـاء بسبِّ الأموات»[3]. ولما ندب أبو بكر الناس لغـزو الـروم وعسـكروا علـى ميلين من المدينة خرج يطوف في معسكرهم ويقوي الضعيف منهم، فبصر بخباء عظيم حوله مرابطُ أفراس ثمانية ورماحٌ وعُدة ظاهرة فانتهى إليه فـإذا هو خباء عِكرمة، فسـلم عليـه وجَـزَّاه خـيرا وعـرض عليـه المعونـة، فقـال عكرمةُ: إنـي في غنـى فاصرفهـا إلى غـيري، فدعـا لـه أبـو بكـر بخير. ثـم استشهد عكرمة يوم أجنادين وقيل يوم اليرموك و لم يترك ولدا، ووُجـد في

تعلمه حتى أقوله؛ فقال: «شهادة أن لا إله إلا ا لله وحـده لا شـريك لـه وأن محمـدا عبـده ورسوله»، فقال عكرمة: أنا أشهد بهذا وأشهد بذلك من حضرني وأسألك يا رسـول ا لله أن تستغفر لي، فاستغفر له رسول ا لله صلى ا لله عليه وسـلم، فقـال عكرمـة: وا لله لا أدع نفقة كنت أنفقتها في صَدٍّ عن سبيل ا لله إلا أنفقت ضعفها في سبيل ا لله ولا قتالا قاتلته إلا قاتلت ضعفه، وأشهدك يا رسول ا لله. ثم اجتهد في العبادة والجهاد في سبيل ا لله حتى قتل شهيدا بأجنادين، وقيل باليرموك؛ قيل كان له ابن اسمه عمرو واستشهد معه و لم يترك عقبا.

(1) أخرجه الحاكم.

(2) ذكره الزبيري في *نسب قريش*.

(3) رواه الترمذي والنسائي وأحمد.

جسده يوم مات بضع وسبعون جراحة بين ضربة وطعنة ورمية.

ولأبي جهل أربعةُ أولاد لم يذكر منهم غير عكرمة[1]، وله أربع بنات أسلمن كلهُنَّ، وسيأتي ـ إن شاء الله ـ ذكرهن في بني أمية[2].

وابن أخي أبي جهل خالدُ بن العاص بن هشام؛ قتل العاص بن هشام يوم بدر كافرا[3] ـ قتله عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه ـ وأما خالد فأسلم واستعمله عمر على مكة، وابنه الحارث بن خالد بن العاص المشهور بالشعر، حتى كان قومه يسامون بشعره شعرَ عُمَرَ بن عبد الله بن أبي ربيعة ويُنكر ذلك عليهم ابنُ أبي عتيق، وقال: ما عُصِي الله بشعر أكثر مما عُصي به في شعر ابن أبي ربيعة[4]؛ ومن شعر الحارث:

---

(1) كان لأبي جهل من الولد الذكور غير عكرمة المذكور: زرارة وتميم؛ أمهما بنت عمير بن معبد بن زرارة التميمية، وعلقمة؛ أمه بنت الحارث بن الربيع بن زياد العبسية. وانقرض عقب أبي جهل كما في **الجمهرة** لابن حزم وغيرها..

(2) راجع الجزء الأول من تكملة هذا الشرح: (رياض السيرة والأدب في إكمال شرح عمود النسب: ص 176، 182–183).

(3) ومن ولد العاص بن هشام الصحابيان: خالد المذكور وهشام وصحب أيضا، ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «اللهم اذهب عنه الغل والحسد»، فكان بنوه يقولون: نحن أقل الناس حسدا.

(4) وكان الحارث هذا معدودا في شعراء قريش المجيدين، وكانت العرب تفضل قريشا في كل شيء إلا في الشعر، فلما نجم فيهم عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد هذا والعرجي وأبو دهبل وعبد الله بن قيس الرقيات أقرت لهم العرب بالشعر أيضا.

من كان يسأل عنا أين منـــزِلُنا بالأقحوانـــة منا منزل قمن[1]

ومنه قوله أيضا:

كأني إذا مـــت لم أضطـــرب تزين المخيلـــة أعطافيـــــهْ
ولم أسلـــــب البيض أبدانها ولم يكـــن اللّهـــو من ماليه

ومنه:

إيـــل جـــودي على المتيم إيلا لا تزيـــدي فـؤداه إيل خبـــلا
إيل إني والراقصـــــات بجَمْعٍ يتبارين في الأزمـــــة نبـــلا
لا أخون الصديق في السِّر حتى ينقـــل الماء في الغرابيل نقلا[2]

وقدم الحارث الشام وخطب عمرة بنت النعمان بن بشير فقالت:

---

(1) إذ نلبس العيش صفوا لا يكدره خـوف الوشاة ولا ينبو بنا الزمن
ليت الهـوى لم يُقرِّبْني إليكِ ولم أعرفك إذ كان حظي منكـم الحزن

ومن شعره أيضا:

إنـــي وما نحـــروا غداة مِنًى عند الجمار تـــؤدها العُقْـــلُ
لو بُـــدِّلت أعلى مساكنـــها سِفـــــلاً وأصبح سفلـــها يعلُو
فيكاد يعرفها الخـــــبير بها فيرده الإقـــواء والمَحْـــــلُ
لعرفـــت مغناها لِما ضمنت مني الضلـــــوع لأهلها قَبْـــلُ

(2) وللحارث أخ يقال له عبد الرحمن بن خالد شاعر أيضا، ومن شعره:

رحـــل الشباب وليته لم يرحل وغـــدا لِطِيَّة ذاهـــب متحمِّل
ولّى بــــلا ذمٍّ وغادر بعـــده شيبا أقام مكانـــه في المنـــزل
ليت الشباب ثوى لدينا حقبـة قبل المشيـــب وليته لم يعجـــل
فنصيـــب من لذاتـــه ونعيمه كالعهـــد إذ هو في الزمان الأول

كهـــول دمشـــق وشبانها   أحـــب إلينا من الجاليـــةْ
لهم نســـم كصنان التيـــو   س أعيا على المسك والغاليـــةْ!

فأجابها بقوله:

ساكنات العقيق أشهى إلى النفـ   ـسِ منَ السَّاكنات دور دمشقِ
يتضوعْـــن إن تَطيـــبن بالمسـ   ـك نسيما كأنـه ريـــح مرْقِ

وأم الحارث: فاطمة بنت أبي سعيد بن الحارث بن هشام، أمها صخرة بنت أبي جهل. وكان الحارث استعمله يزيد بن معاوية على مكة ـ قبل أن ينصب الحرب لابن الزبير ـ وابن الزبير بمكـة، فمنعه من ذلك؛ ولم يزل الحارث يصلي في داره بأهله ومواليه إلى أن ولي عبدُ الملك، فولاه مكة ثم عزله، فقدم عليه دمشق فلم يجد عنده ما يحب، فانصرف عنه يقول:

عطفـــت عليك النفسَ حتى كأنما   بكفيـــك بُؤسا أو لديـــك نعيمها
وما بي إنْ أقصيتني من ضَراعـــة   ولا افتقرت نفسي إلى من يسومُها

ومن ولد الحارث بن خالد: عبدُ الملك بنُ الحارث، وهو أبو عاتكة بنت عبد الملك؛ تزوجها عبد الله المحض بن الحسن المثنى فولدت له إدريسَ الذي سار إلى أرض المغرب فبنى فاسَ.

وسكت أيضا عن بني الفاكه وأبي حذيفة وأبي أمية وأبي ربيعة، أما الفاكه فلم يترك إلا أبا قيْس، قتل يوم بدر؛ وهو من القوم الذين توفتهم الملائكة ظالمي أنفسهم. وأما أبو حذيفة فابنُه هشام هاجر الحبشة الهجرة الثانية، وابنه أبو أمية أسر يوم بدر وقتل يوم أُحد كافرا. وأما أبو أُمية فمن بنيه: أمنا أمُّ سلمة وزهير، الذي قام في نقض الصحيفة، وعبدُ الله الذي

قال لرسول الله ﷺ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾[1]. ثم خرج مع أبي سفيان بن الحارث يريدان النبي ﷺ فلقياه يريد مكة، فأعرض عنهما فقالت له أم سلمة: لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك، وقال لهما عليٌّ: اذهبا إلى أمام النبي ﷺ فقولا له مثل ما قالت إخوة يوسف ليوسف: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾[2]. فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه جوابا؛ ففعلا فقال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[3]، فقبل منهما وحَسُنَ إسلامُهُما. وقد قال أبو سفيان: والله لتقبلنَّ مني أو لآخُذَنَّ بيد ابني هذا ونذهبُ في الأرض ولا يسمع لنا خبر، يعني ابنه جعفرا وقد كان معه. وشهد عبد الله بن أبي أمية الفتح وحنينا واستشهد بالطائف.

ومن بني أبي أمية أيضا: المهاجرُ، وهو شقيق أمنا أم سلمة؛ أمهما عاتكةُ بنت عامر بن ربيعة بن جذل الطعان وقد أسلم. ومسعود بن أبي أمية قتل يوم بدر كافرا. وهشام قتل يوم أحد كافرا؛ وأمهما من ثقيف. وأما عبد الله وزهير وقريبةُ - أمُّ ولدِ زمعة بن الأسود - فأمهم عاتكة بنت عبد المطلب.

---

(1) الإسراء: 90.

(2) يوسف: 91.

(3) يوسف: 92.

وأما أبو ربيعة فابناه عياش وعبد الله، أما عياشُ فأسلم قديما وهاجر مع عمر، فتبعه أخواه لأمه: أبو جهل والحارث ابنا هشام؛ أمهم ــ وعبد الله ـ أسماءُ بنت مخرمة بن جندل من بني دارم من تميم، كانت تحت هشام فطلقها بعد أن ولدت له، فتزوجها أخوه أبو ربيعة، فولدت له عياشا وعبدَ الله. فلما قدم أبو جهل والحارثُ على عياش قالا له: إن أمك حلفت لا تستظل بشجر ولا تذوق طعاما حتى تراك فأتِها واعبد ربَّكَ حيث شئتَ لا يَتعرض لك أحد؛ فرجع معهما، وقال له عمرُ: إن كنت فاعلا فاركب ناقتي فإنها لا تسبق. فلما دنوا من مكة أوثقاه ربطاً ودخلا به مكة، وقالوا: يا أهل مكة افعلوا بسفهائكم ما فعلنا بسفيهنا، وكان عندهم مربوطا معذبا هو وأخوهما لأبيهما سلمةُ بن هشام. وكان صلى الله عليه وسلم يقنت في صلاة الصبح بالدعاء لهما وللوليد بن الوليد، يقول: «اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة»[1]. وولد عياشُ عبد الله بن عياش، العالم العابد؛ قيل لنافع مولى ابن عمر: أكان عبد الله بن عمر ينهى عن الصوم في السفر؟ فقال: كان يصحبه عبد الله بن عياش وهو يصوم في السفر.

وأما عبد الله بن أبي ربيعة فكان شديد الخلاف أيضا على المسلمين، مثل عبد الله بن أبي أمية، وهو أول من استنفر قريشا لأُحُد، فلما أسلم كان من وجوه الصحابة، وعمل لعمر وعثمان؛ وبنوه: عبد الرحمن

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

الأحول؛ خلف على أم كلثوم بنت أبي بكر بعد طلحة بن عبيد الله، والحارث القُباع؛ وكان صالحا استعمله ابن الزبير على البصرة، فمر يوما بسوق البصرة فرأى مكيالا فيه فقال: إن مكيالكم لقباع[1]، فسماه أهلُ البصرة "القباع"، وكانت أمه نصرانية ولم يعلم الناس بذلك، فلما ماتت حضر الناس جنازتها، فقال لهم: انصرفوا يرحمكُم الله فإن لها أهلَ دين هم أولى بها منا، فزاده ذلك عند الناس. وأخوهما عمر الشاعر، ولد يوم موت عمر فقيل: أي خير رفع وأي شر وضع! ـ وليس عمر بذي شر إذ لم يهج قط مسلما ولا مدح قط رجلا ـ أمُّه أم ولد تسمى مجدا، وكنيته أبو الخطاب؛ ويذكرها في شعره كقوله[2]:

فأنت أبا الخطاب [غير مدافع علَيَّ أمير ما مكثت مؤمَّرُ]

وقوله:

قالت أبو الخطاب [أعرف زيه ولباسه لا شك غير خفاء]

وعَائِذٌ مِّنْهُ عَتِيقُ السَّابِقُ لأُمِّنَا وَهِندُ بَعْدُ لاَحِقُ

يقول: **وعائذ** بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم **منه عتيق** الذي هو أول

(1) القباع: مكيال ضخم ـ [القاموس].

(2) من قصيدته المشهورة:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ..إلخ.

وقوله من قصيدة أخرى:

فقالت لأتراب لها ابرَزْنَ إنّني أظنُّ أبا الخطابِ مِنّا بمحضرِ ..إلخ.

من تزوج **أمَّنا** خديجة، ثم تزوجها بعده أبو هالة[1] - واسمه **هند** - وعتيق بن عائذ لصلبه. وقتل عتيق يوم بدر كافرا، وكانت خديجة ولدت له بنتاً هي **هندُ** بنت عتيق، وتزوجها ابن أخيه صيفي بن أمية بن عائذ فولدت له محمدا الذي يقال له محمد ابن الطاهرة، وهو محمد بن صيفي بن أمية بن عائذ. وتقدم نسب أبي هالة والكلام عليه وعلى ابْنَيْه، وهو حليف بني عبد الدار، وقيل اسمه هند وقيل مالك وقيل الأعشى.. وكان شاعرا.

مِنْ أَسَدٍ ذُو الدَّارِ فِيهَا خَيَّمُوا وأَسْلَمُوا "مِيمًا" وهُوَ الأَرْقَمُ

يقول: **من أسد** بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم: صاحبُ **الدار** التي **خيم فيها** النبي ﷺ وأصحابه. **وخيم** بالمكان: أقام به. وأعاد الضمير[2] على غير مذكور للعلم به؛ وذلك سائغ لقوله تعالى ﴿إنا أنزلناه﴾. **وأسلموا فيها** حال كونهم **ميما**، أي أربعين[3]، أي أسلم فيها من قريش أربعون رجلا آخرهم حمزةُ بن عبد المطلب وعمر رضي الله عنهما. **وهو**: أي المخيم في داره: **الأرقمُ** بن أبي الأرقم، واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. أسلم الأرقم قديما وشهد بدرا – على رواية – وقيل

---

(1) وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **وهند بعد لاحق**، وما ذكره من أن عتيقا هو السابق لأمنا خديجة تبع فيه *الحلة السيرا*، والذي في *الإصابة* - في ترجمة هند بنت عتيق – أن عتيقا هو الذي خلف على خديجة بعد أبي هالة.

(2) أي في **أسلموا**، و**خيموا**.

(3) فالميم في حساب الجمَّل عبارة عن أربعين، والرمز إلى الأعداد بالحروف شائع ومستعمل.

بإسلام أبيه، وقيل إن الأرقم توفي مع أبي بكر في يوم، وقيل عُمِّر إلى خلافة معاوية، قيل إنه أسلم بعد سبعة وقيل بعد عشرة[1].. وداره التي اختفوا فيها على الصفا. وليس لأسد غيرُ الأرقم.

ومِنْ هِلَالٍ اللَّذَانِ مَا اتَّحَدْ أَخْذُهُمَا السِّجِلَّ مِنْ عَبْدِ الأَسَدْ
عَبْدُ الإِلَه بِاليَمِينِ قَدْ أَخَذْ بِالْعَكْسِ الاَسْوَدُ أَخُوهُ الْمُنتَبَذْ
حَوْلَ الْقَلِيبِ سَاقُهُ ثُمَّ رَمَى بِنَفْسِهِ فِيهِ يَبَرُّ قَسَمَا

أي **ومن هلال** بن عبد الله: الأخوان **اللذان** لم يكن **أخذهما** يوم القيامة كتابيهما بواحد. **والسجل**: الكتاب. أما **عبد الله** فهو أوَّلُ من يأخذ كتابه **بيمينه**، وقيل يأخذهُ عمر قبله. وأما **الأسود** فهو أول من يأخذه بشماله. **والمنتبذُ**: المرمي **حول قليب** المسلمين يوم بدر. قوله: **يَبَرُّ قسما**: يعني أنه أقسَمَ لَيَكسِرنَّ قليبَ النبي ﷺ فقصد نحوه، فأدركه حمزةُ فأطنَّ قدمَه بنصف **ساقه** وهو يكرع في الماء، فاختلط دمه بالماء. وأخوهما سفيان بن عبد الأسد قيل بصحبته؛ وأما بنوه فهاجر منهم إلى الحبشة عمرو وهبار، وصحب عبد الله والأسود ابنا سفيان بن عبد الأسد. والأسود بن سفيان: زوجُ أم حبيب بنت العباس التي قال فيها رسول الله ﷺ: «لو بلغت هذه

---

(1) يكنى الأرقم هذا أبا عبد الله وأمه تماضر بنت حذيم، ويقال: اسمها أميمة بنت عبد الحارث من بني سهم بن عمرو بن هصيص؛ وكان من السابقين الأولين، وفي *الإصابة* أنه شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها وأقطعه النبي صلى الله عليه وسلم دارا بالمدينة، وأوصى أن يصلي عليه سعد بن أبي وقاص ففعل.

وأنا حي لتزوجتها»[1].

وأما **عبد الله** فهو أبو سلمة زوجُ أمِّنا هندَ بنت أبي أمية، هاجر بها إلى الحبشة ثم هاجرا إلى المدينة؛ قيل إنها أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة، والأصح أنها دخلتها قبلها ليلى بنت أبي حَثمة، زوج عامر بن ربيعة العنزي حليف آل الخطاب، وهاجرتا مع زوجيْهما إلى الحبشة الهجرة الأولى. وكان أبو سلمة رضي الله عنه جرح ببدر فاندمل جرحه فمات منه في السنة الثالثة عن أم سلمة، وله منها عُمَر وسلمة ودرة وزينب، فخلف عليها رسول الله ﷺ؛ قالت: أتاني أبو سلمة ليلة فقلت له: ما حبسك عنا؟ قال: كنت مع رسول الله ﷺ وسمعت منه حديثا ما أحب أن لي به شيئا، قالت قلت: وما هو؟ قال: قال: «من أصيب بمصيبة فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم إني أحتسب إليك مصيبتي هذه فاخلفني خيرا منها أخلفه الله خيرا منها»[2] ـ أو كما قال صلى الله عليه وسلم ـ قالت: فلما أصبت بأبي سلمة تذكرت الحديث وقلت لا أحد خيرا من أبي سلمة، ثم قلت الحديث؛ فلما حللت خطبني رسول الله ﷺ فقلت له: يمنعني ثلاث، فقال لي: «ما هن»؟ قلت: إن أوليائي لم يحضروا، وأنا غيور، وأمُّ عيال؛ فقال: «أما أولياؤك فأنا وليك دونهم، وأما العيال فعيال الله ورسوله، وأما الغيرة فأدعو الله أن يذهبها

---

(1) رواه ابن عبد البر كما في **الإصابة** وابن منده وأبو موسى كما في **أسد الغابة**.

(2) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وأحمد.

عنك»[1]، فتزوجها وكانت زيْنب في حجرها لم يتم رضاعها بعد، وكانت أُمُّ سلمة تُجْلسها في حجرها فأتى عمار بن ياسر يوما مع رسول الله ﷺ فوجدَها في حجرها، فقال عمار لأم سلمة: هذه المقبوحةُ المشقوحة[2] التي آذيتِ بها رسول الله ﷺ اصرفيها عنه. وكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل ليلا يصيحون به: زيْنَبُ أمامك.. فقال لهم: «أخروا عني زيانبكم»، ودخلت عليه يوما وهو يغتسل فرش وجهها بالماء ليصرفها، عنه فأسنّت وعُمِّرَتْ طويلا وماءُ الشباب في وجهها لم يتغير. فلما شبت قيل لرسول الله ﷺ: بلغنا أنك تريد تزويج زينب بنتِ أبي سلمة؟ فقال: «لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي أرضعتني وأباها ثويبةُ»[3]، فزوجها صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن زمعة بن الأسود.

هُنَا انتهَى عَمْرُو بْنُ مَخْزُومٍ وَمَا جَرَّ إِلَيْهِ مِن كِبَارِ الْعُلَمَا

أجرى "**ما**" هنا على العاقل، على غير الغالب، كقوله

---

(1) رواه أحمد.

(2) المقبوح: المبعد المقصى والمشقوح: المكسور أو المبعد، والعرب تقول قبحا له وشقحا: اتباع أو بمعنى واحد، وقال أبو زيد: شقح الله فلانا فهو مشقوح مثل قبحه فهو مقبوح، ويقال منبوح مقبوح مشقوح، وفي حديث عمار أيضا ـ وكان قد نال رجل من عائشة بحضرته ـ فقال له بعدما لكزه لكزات: أأنت تسب حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اسكت منبوحا مقبوحا مشقوحا. فالمنبوح الذي يضرب له مثل الكلب والمقبوح الذي يرد ويخسأ والمشقوح المبعد المقصى ـ [لسان العرب وغيره].

(3) متفق عليه.

تعالى[1] ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾، و«سبحان ما سخركن لنا»؛ ويحتمل أنها موصولٌ حَرْفِيٌّ، أي انتهى الكلام على بني **عمرو** وانتهى **ما جر إليه من** ذكر الفقهاء، وبني بناتِ يزدجرد على سبيل الاستطراد.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

مِنْ عَامِـــرٍ شَمَّاسُ الْمَلْحُودُ   بِأُحُـــدٍ مِن طَيْبَـــةٍ مَّـرْدُودُ

أي **من عامر** بن مخزوم **شماسُ**، واسمه عثمانُ بن عثمان بن الشريد بن هرم بن عامر بن مخزوم[2]، وشماس مبتدأ خبره المجرورُ قبله. **والملحودُ**: صفة لشماس. **وبأحد**: متعلق **بالملحود**. وجملة: **من طيبة مردود**: حالية لأنها صفة لمعرفة. أي من عامر شماسُ الملحود بأحد **المردود** من طيبة إلى أحد. وكان يوم أحد يقي النبيَّ ﷺ حتى أُثْخن بالجراحات، فحمل إلى المدينة وبه رمق، فأدخل على عائشة، فقالت أمُّ سلمة: ابن عمي ويحمل إلى غيري![3] فحمل إليها؛ ومكَثَ يوما وليلةً و لم يأكل و لم يشرب.

فأمر النبي ﷺ مَن ينادي: ردوا الشهداءَ إلى مصارعهم[4]، فلم يدرك

---

(1) ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [سورة ص: 75]. وكما تقع "ما" على العاقل، على غير الغالب، فكذلك تأتي لِلعَالِمِ، وهو ما لا يوصف بعقل ولا بغيره، كقوله تعالى ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:3].

(2) كان قديم الإسلام من مهاجرة الحبشة ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدرا واستشهد يوم أحد.

(3) فقال صلى الله عليه وسلم: «احملوه إلى أم سلمة».

(4) رواه ابن ماجه والنسائي وأحمد.

مناديه مَن لم يدفنْ غيره، فردوه من المدينة إلى أُحد فدفنوه من غير غَسْل ولا صلاة، لأنه المغمور؛ وهو الذي لم يمت في المعترك ولكنه لم يأكل و لم يشرب.

و لم ينظر النبي ﷺ ذلك اليوم يمينا ولا شمالا إلا رآه يقيه فقال: «ما شبهت الجُنّة إلا بعثمان»[1]. ولما قدم المدينة مهاجرا أعجب الناسُ من جماله. ويوم استشهد هو ابن أربع وثلاثين سنة؛ ورَثته زوجته بأبيات[2]. وأم شماس: صفية بنت ربيعةَ بن عبد شمس.

ومن عامر أيضا سعيد بن يربوع بن عنكثة بن عامر بن مخزوم، وهو من مسلمة الفتح ومن الستة المعمرين بستين سنة في الجاهلية وستين في

---

(1) والجُنّة (بالضم): كل ما وقى من سلاح وغيره. وفي رواية: «ما وجدت لشماس شبها إلا الْجُنّة»، وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم كان لا يرمي ببصره يمينا ولا شمالا إلا رأى شماسا في ذلك الوجه يذب عنه بسيفه ويترس بنفسه دونه حتى أثخن بالجراحات ـ [الزبيري وغيره].

(2) زوجته اسمها نُعْم بنت سعيد بن يربوع، وقد قالت في رثائه:

يا عين جودي بدمع غير إبساس	على كريم من الفتيان لَبَّاس
صعب البديهة ميمون نقيبته	حمّال ألوية ركّاب أفراسِ
أقول لما أتى الناعي به جزعا	أودى الجواد وأودى المطعم الكاسي
وقلت لما خلت منه مجالسه	لا يُبعد الله عنا قرب شماس

فأجابها أخوها أبو الحكم بن سعيد يعزيها:

اقني حياءك في ستر وفي كرم	فإنما كان شماس من الناس
لا تقتُلي النفس إذ حانت منيته	في طاعة الله يوم الروع والباس
قد كان حمزة ليثَ الله فاصطبري	فذاق يومئذ من كأس شمّاس

الإسلام، وقال له النبي ﷺ: «أينا أكبر؛ أنا أم أنت»؟ فقال: ولـدتُّ قبلك وأنت أكبر مني وأخيَرُ[1].

حَـزْنًا ـ أَبَى سُهُولَةً خَيْرُ نَبِي أَتْحَفَــهُ بِهَا ـ لِعِمْـرَانَ انْسُبِ

وَلَمْ تَـزَلْ فِي نَسْلِهِ الْحُزُونَهْ وَابْنُ الْمُسَيِّــبِ لِحَزْنٍ زِينَهْ[2]

يقول وانسب **لعمران حزنا** الذي **أبى سـهولة إذ أتحفه**، أي أكرمه، بها **النبي ﷺ** ، قال له: «أنت سهل»[3] ـ يريد صلى الله عليه وسلم أن يبدله السهولة بالحزونة، وهي الصعوبة ـ فقال: يا رسول الله إنما السهولة للحمار؛ فترك له اسمه الذي يختار. وهو حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم؛ وابنه **المسيب** بن حزن صحابي، أبو سعيد بن المسيب[4]

---

(1) وكان من المؤلفة قلوبهم، أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين خمسين بعيرا. وتوفي بالمدينة، وقيل بمكة، في خلافة معاوية سنة أربع وخمسين. ثم أخذ الناظم في الكلام على عمران أخي عمرو وعامر بني مخزوم، فقال رحمه الله وعفا عنه:

(2) قوله: **حزنا**: هو بالنصب مفعول به **لانسب** آخر البيت. **وسهولة**: مفعول **أبى** وفاعله ضمير مستتر عائد على حزن. **وخير نبي**: بالرفع: مبتدأ خبره جملة قوله: **أتحفه بها**. وضمير **بها**: عائد على **السهولة**. **ولعمران**: متعلق بانسب. والضمير في **نسله**: عائد على حزن. **وابن المسيب**: مبتدأ خبره جملة **لحزن زينه**. **والحزونة**: ضد السهولة. **والزينة**: ما يتزين به.

(3) رواه أبو داود وأحمد والطبراني.

(4) كان سعيد بن المسيب من سادات التابعين من الطراز الأول؛ كان رأسا في العلم والعمل جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع؛ روي أنه مكث أكثر من خمسين سنة لم تفته تكبيرة الاحرام لمحافظته على الصف الأول، وحج أربعين حجة. وكان حُجَّة ثقة فقيها رفيع الذكر.

القائل: لم تزل فينا تلك الحزونة[1]. وأخو حزن هبيرة بن أبي وهب، وكان في الجاهلية من فُرسان قريش وشعرائهم؛ وهو القائل معتذرا عن فراره يوم بدر:

لعمرك ما وليت ظهري محمدا ... وأصحابه جبنا ولا خيفة القتْلِ

ولكنني قلّبْت أمـري فلم أجد ... مساغا لسيْفي إن ضربت ولا نبلي

وقفت فلما خفت ضَيْعَةَ مَوْقفي ... رجعت لعودي كالهِزبر أبي الشبل

ويقال إن هذا أحسن ما قيل في الاعتذار. وحزن وهبيرة عمتهما فاطمة بنت عمرو بن عايذ (بالياء المثناة والذال المعجمة قيده السهيلي)، وهي أم أكابر بني عبد المطلب وبناته غيرَ صفية. وتحت هبيرة أمُّ هانئ بنتُ أبي طالب، ولما فتحت مكة فرَّ من الإسلام ولحق بنجران ومات على كفره؛ وقال حين بلغه إسلامُ أُمِّ هانئ:

أشاقتك هند أم شجاك سُؤالها ... كذاك النّوى أسبابها وانفتالها

وقد أرّقت في رأس حِصن ممنع ... بنجران يسري بعد نوم خيالها

فإن كنتِ قد تابعت دين محمد ... وقطعتِ الأرحامَ منكِ حبالُها

فكوني على أعلى سحوق بهضبة ... ممنعةٍ لا يُسْتطاع قِلالها

وإن كلام المرء في غير كُنهه ... لكالنّبل تهوي ليْس فيها نِصالُها

وولدت له أُمُّ هانئ: جعدة وعمرا وهانئا ويوسُفا؛ وجعدةُ ولاه عليٌّ خُراسان، وهو القائل:

---

(1) وربما أنشد:

وعمران بن مخزوم فدعهم ... هناك السرُّ والحسب اللُّبابُ

أبي من بني مخزومٍ ان كنت جاهلا ومن هاشــــم أمي لخير قبيـــل
فمن ذا الــذي يأى علي بخاله كخالي علي ذي الندى وعقيـل

وقيل إنما أخواه اثنان: يوسف وهانئ[1].

أبو بكر الصديق وبعض مناقبه رضي الله عنه

مِن تَيْمٍ الْعَتِيــقُ ذُو الْمَسَاعِي عَنْ عَدِّهَا يَضِيــقُ ذَرْعُ بَاعِي

العتيق: من أسماء أبي بكر، قيل سمي به لقول النبي ﷺ: «من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى هذا»، وأشار إلى أبي بكر[2]. وقيل سمي به لجماله وعتاقة وجهه، وقيل غير ذلك[3]. **والمساعي**: ضد المساوئ.

---

(1) ولما أنهى الكلام على بني مخزوم بن يقظة، شرع يتكلم على بني عمهم بني تيم بن مرة، وبدأهم بذكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقال رحمه الله وعفا عنه:

(2) رواه الترمذي.

(3) قيل لقب به لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به، وقيل: كان له أخ اسمه عتيق مات قبل مولده فلقب بلقبه، وقيل كانت أمه لا يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت به البيت فقالت: اللهم إن هذا عتيقك من الموت فهبه لي. وكني بأبي بكر لابتكاره الخصال الحميدة، واسمه رضي الله عنه عبد الله بن أبي قحافة (عثمان) بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي، قيل: كان اسمه عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله، وقيل: بل سماه أهله عبد الله؛ وكانت التسمية بعبد الله موجودة قبل الإسلام. وكان من رؤساء قريش في الجاهلية وكان وجيها محببا فيهم مؤلفا لهم وكانوا يألفونه، وكان سهلا ذا خلق ومعروف، وكان إذا تحمل دية في الجاهلية صدقته قريش وأمضت حمالته و لم تخذله، وكان أعلم العرب بأنساب قريش وما كان فيها من خير وشر.

<<=

>> - -

وكان تاجرا ذا ثروة طائلة، وكان كريما حسن المجالسة؛ وصحب النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، ولما جاء الإسلام سبق إليه فكان أول من أسلم من الرجال؛ روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ما عتم عنه حين ذكرته له»، أي انه بادر إليه.

ولما أسلم جعل يدعو الناس إلى الإسلام فأسلم على يده جماعة لمحبتهم له وميلهم إليه منهم خمسة من العشرة المشهود لهم بالجنة، هم: عثمان والزبير وعبد الرحمن وسعد وطلحة رضي الله عنهم. وآزر النبي صلى الله عليه وسلم في نصر دين الله تعالى بنفسه وماله ولازمه واستمر معه إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم، وكان له بمنزلة الوزير يشاوره في أموره. ولما اشتد أذى قريش للمسلمين وهاجروا إلى الحبشة لم يهاجر معهم بل بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى هاجر إلى المدينة فهاجر معه إليها، تاركا أهله وعياله، وأقام معه في الغار ثلاثة أيام؛ فكان مؤنسه في الغار ورفيقه في هجرته وشهد معه جميع مشاهده وثبت معه في جميع تلك المواطن. وأنفق ماله في سبيل الله وأعتق سبعة كانوا يعذبون في الله، منهم بلال وعامر بن فهيرة. وبذل الجهد في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدين الإسلامي، وكان غاية في الوفاء ومنتهى الإخلاص، وكان شجاعا لا يبالي بالأهوال وتحمل المشاق، وكان غاية في العلم والفهم ووفور العقل والزهد والتواضع. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويجله ويعرف أصحابه مكانه ويثني عليه، واستخلفه في الصلاة.

وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم الاثنين. وكان أثبت الناس عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وخطب الناس خطبة ردت عليهم عقولهم، ثم بويع البيعة العامة يوم الثلاثاء من غد ذلك اليوم، فصار يدعى بخليفة رسول الله. وقاتل أهل الردة وظهر من فضل رأيه في ذلك وشدته مع لينه ما لم يحتسب، فأظهر الله به دينه وقاتل على يديه من ارتد حتى ظهر أمر الله وهم كارهون، ولولا هو لم يجتمع للمسلمين شمل. وقد أجمع أهل السنة على أنه هو أفضل الصحابة، فهو أفضل الناس بعد الأنبياء، وكان إذا مُدِح يقول: اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيرا مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون. ونزل فيه قوله تعالى:

<<=

وعدها: أي عد مساعيه، أي محامده. واعتذر عن عدها بأنه لو رام عدها **بالباع** لقصر عنها باعُه وضعُف، وأولى لو رامه بالذراع الذي عادة الناس **الذرعُ** به.

ومن أسمائه رضي الله عنه الصديق - وهو وزن مبالغةٍ - لمبادرته رضي الله عنه بتصديق النبي ﷺ، وقيل بتصديق خبر الإسراء؛ كلما حدث النبي صلى الله عليه وسلم بشيء منه كذبته قريش وصدقه أبو بكر الصديق. وقيل سماه الصديقَ جبريلُ حين نزل على النبي ﷺ بالإذن في الهجرة بقوله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾[1] قال صلى الله عليه وسلم:

-->>

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ - الآيات (الليل 17-20). وتوفي رضي الله عنه يوم الجمعة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة عن ثلاث وستين سنة وأوصى أن تغسله زوجه أسماء بنت عميس الخثعمية، وصلى عليه عمر، ونزل في قبره عمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن أبي بكر، ودفن ليلا في بيت أمنا عائشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومما رثي به قول حسان رضي الله عنه:

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبي وأوفاها بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهده ... وأول الناس ممن صدق الرسلا

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدو به إذ صعدوا الجبلا

وكان حبَّ رسول الله قد علموا ... خير البرية لم يعدل به رجلا

وهذه بعض الإشارات إلى بعض تلك الخصال التي لا تنحصر وكيف تنحصر.. ولقد أحسن الناظم حيث يقول: ... **عن عدها يضيق ذرع باعي.**

(1) الإسراء: 80.

«مـن يخـرج معـي»؟[1] فقـال: أبـو بكـر الصديـق ـ (قالـه القسـطلاني في المواهب). ومن أسمائه رضي الله عنه: خليفةُ رسول الله ﷺ.

أَنفَـقَ أَرْبَعِـينَ أَلْفَ دِرهَـمِ عَلَى النَّبِيِّ غَيْـرَ ذِي تَلَعْثُـمِ
لَمَّا دَعَاهُ لِلْهُـدَى خَيْرُ مُضَرْ وَيَوْمَ مَاتَ كَانَ أَثْبَتَ الْبَشَـرْ

تلعثم عن الشيء: تأخر ونكص عنه. أشـار إلى الحديـث: «مـا دعـوت أحدا إلى هذا الأمر إلا وفيه عنه كبوةٌ إلا أبا بكر»[2] ـ أو كمـا قـال صلـى الله عليه وسلم. **لما دعاه:** متعلق بتلعثم؛ وفي البيتـين تضمـين[3]. **ويـوم مـات** النبي ﷺ كان أبو بكر **أثبتَ** الناس، بل لم يثبت من الصحابة غيره، دهشـوا كلهم؛ منهم من مات ـ قيل هو عبدُ الله بن أنيس، والمشهور أنـه غـيره ـ ومنهم من أُقعِدَ ومنهم من خبل، وأما عمر فحلف أنه لم يمت وإنمـا غـاب كما غاب موسى عن قومه ثم يرجع كما رجع موسـى.. حتـى جـاء أبـو

(1) أخرجه الحاكم.

(2) ذكره ابن هشام عن ابن إسحاق، وأسد الغابة.

(3) التضمين: تعليق آخر البيت بأول التالي. وقـد أشـار النـاظم رحمـه الله إلى مـا أخرجـه ابـن عساكر من طرق عن عائشة رضي الله عنها وعروة بن الزبير أن أبـا بكـر رضـي الله عنـه أسلم يوم أسلم وله أربعون ألف درهم ـ وفي لفظ أربعون ألف دينار ـ فأنفقها على رسـول الله صلى الله عليه وسلم، وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بـن الحصين التميمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة وتردد ونظرٌ إلا أبا بكر ما عتم عنه حين ذكرته وما تردد فيـه» (وعتـم أي لبث).

بكر، وكانت تلك الليلة ليلةَ بنتِ خارجة فبات عندها، فجاء فوجد النبي ﷺ مسجى بثيابه قد تُوُفي، فقبله وبكى وقال: بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا، ثم خطب الناس بخطبة ردت عليهم عقولهم، منها: "من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت"، وقال لعمر: أين عنك قوله تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1]؟ قال عمر: والله لكأني لم أسمع بها. ثم جمع الناس في سقيفة بني ساعدة - وهي عندهم كدار النَّدوة لقريش - فتماروا في الخلافة، وطمع الأنصار؛ فقالوا ما قالوا.. حتى ذكَّرهم أبو بكر بقول النبي ﷺ: «الأئمة من قريش»[2] فانقادوا ورضوا إلا سعدَ بن عبادة. فنظر الصحابةُ فإذا الدين رأسُه الصلاةُ وإذا أبو بكر أفقهُهُم بالصلاة، فبايعوه بعد أن قدم لها عمرَ وأبا عبيدة فامتنعا، وامتنع غيرهما من الصحابة، والنبي صلى الله عليه وسلم مسجىًّ لم يدفن حتى فرغوا من شأنهم، لأن الإسراعَ بالجنازة إنما شُرع لخوف التغيُّر وهو صلى الله عليه وسلم لا يتغير؛ وكذلك الأنبياء كلهم والشهداء وخواصُّ السُّعداءِ.

وَأُهْدِيَتْ لَـهُ وَلابْنِ كَلَدَهْ خَزِيرَةٌ وسَمَّهَا مَن رَفَدَهْ

ابن كلدة اسمه الحارثُ الثقفي، اختلف في صحبته؛ ويُذكر في **الإصابة**[3].

---

(1) الزمر: 30.

(2) رواه أحمد والنسائي والحاكم.

(3) وفي ***الاستيعاب***: الحارث بن الحارث بن كلدة الثقفي كان أبوه طبيبا في العرب حكيما وهو

<<=

والخزيرةُ: طعام يصنع من اللحم ونخالةِ الشعير، فإذا ذُرَّ عليه الدقيق يسمى عصيدة. ورفده: أعطاه. أي سَمَّ الخزيرة من أعطاها أبا بكر،

فَأَخْبَرَ الْحَارِثُ ذَا بِالْعَطَبِ لِسَنَةٍ وَهْوَ "طَبِيبُ الْعَرَبِ"

أي فلما أكلا فطن الحارث بأن الخزيرة فيها سمٌّ سَنة جعله فيها مَن أهداها؛ فقال لأبي بكر: إنا سنموت بعد سنة من هذا اليوم، فكان ما قال: ماتا في يوم واحد[1] بعد سنة، بعد أن مكث الصديق في الخلافة سنتين وثلاثة أشهر أتم بها سِنَّ رسول الله ﷺ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل ـ بعد قدومِهِ بخمسين يوما ـ وولد أبو بكر بعده بسنتين. وكذلك مات على سِنِّ رسول الله ﷺ عمرُ وعلي وطلحة والزبير وبلال.

والحارث بن كلدة هو سيدُ سمية، أُمِّ أبي بكرة وزياد ونافع بني سمية، وهو طبيب العرب؛ ولما احتُضِر قيل له: أوصنا بشيء من الطِّب، فقال: لا

--- >>

من المؤلفة قلوبهم، معدود فيهم؛ وكان من أشراف قومه. وأما أبوه الحارث بن كلدة فمات في أول الإسلام و لم يصح إسلامه. روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن أبي وقاص أن يأتيه يستوصفه في مرض نزل به فدل ذلك على أنه جائز أن يشاور أهل الكفر في الطب إذا كانوا من أهله. وفي **الإصابة**: وهذا الحديث يدل على جواز الاستعانة بأهل الذمة في الطب.

(1) اختلف في السبب الذي مات منه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، قيل سمه يهودي في شيء من الطعام أكله معه الحارث بن كلدة ـ كما ذكر ـ وقيل إنه اغتسل في يوم بارد فحم ومرض خمسة عشر يوما، وقيل إنه مات كمدًا أي من حزن مكتوم أصابه من أجل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يزل يذيب جسمه حتى مات.

أدري؟ لكن من تعشى فليمش ولو أربعين خطوة[1].

وَبِنتُ صَخْـــرٍ أُمُّــهُ الْمُبَايِعَهْ   سَلْمَى بِأُمِّ الْخَيْرِ تُكْنَى الرَّائِعَهْ

المبايعة: أي ممن بايعْن النبي ﷺ. **والرائعة:** الجميلة أو التي تروع، أي تفزع بجمالها، واسمُها سلمى وكنيتها أم الخير، بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم؛ وهي بنت عم أبي قحافة، والد ابنها أبي بكر بن أبي قحافة ـ واسم ابي قحافة عثمانُ ـ بن عامر بن عمرو بن كعب[2]. أسلمت يوم ضرب عتبةُ بن ربيعة ابنَها أبا بكر ـ وهو يوم إسلام حمزة وقبل إسلام عمر بيومين ـ فلما أسلم عمر انتقم من عتبة لأبي بكر (وقدمنا ذلك). وحسُن إسلامُ سلمى ولم تذكر لها هجرة، ولعلها ماتت بمكة قبل الهجرة[3]، ولما أسلمت أتى بها أبو بكر إلى النبي ﷺ فبايعته على الإسلام ودعا لها.

---

(1) وفي *الإصابة* أنه قال لهم: لا تتزوجوا إلا شابة، ولا تأكلوا الفاكهة إلا نضيجة، ولا يتعالجنَّ أحدكم ما احتمل بدنه الداء وعليكم بالنؤرة في كل شهر فإنها مذهبة للبلغم ومن تغدى فلينم بعده ومن تعشى فليمش أربعين خطوة.

(2) وأم أبي قحافة آمنة وقيل قيلة بنت عبد العزى العدوية، وأم والده عامر بن عمرو زهرية، ولم يعش لأبي قحافة من الذكور إلا أبو بكر، ولا من الإناث إلا أم فروة وقريبة؛ أمهما هند بنت عتيك بن بجير بن عبد بن قصي.

(3) اختلف في وقت وفاة سلمى بنت صخر هذه، فذكر الواقدي أنها توفيت قبل وفاة أبي بكر ومثله في *الإصابة* وغيرها، وفي *الإصابة* أيضا *وتاريخ السيوطي* وغيرهما أنها ماتت بعده وأنها هي وأبا قحافة ورثاه، رضي الله عنهم؛ وقال الهيثم بن عدي: أخبرني هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر لما توفي ورثه أبواه.

مُسَافِـعُ ابْنُ خَالِـهِ تَهَـدَّدَهْ   حَسَّانُ إذْ فِهْرُ سِـوَاهُ مَجَّـدَهْ

ابن خاله: أي خال أبي بكر، وهو **مسافع** بن عياض بن صخر. **وتهدده:** أي بالهجو حين **مجد**، أي مدح، غيرَه من قريش بقوله:

يا آل تيم ألا تنهـون جاهلكـم	**قبل القـذاف بصُمٍّ كالجـلاميد**
فنهنهـوه فإني غـير تارككـم	**إن عاد ما اهتز ماء في ثرى العـود**
لو كنتَ من هاشم أو من بني أسد	**أو عبد شمس أو اَصحابِ اللِّوى الصِّيد**
أو من بني نوفـل أو آل مطَّلِـبٍ	**أو من بني جمح الخضـر الجلاعِيد**
أو من بني زهـرة الأبطال قد عرفوا	**أو من بـني الحارث البيض المناجيد**
أو في الذؤابة من تيم إذا انتسبوا..	**لله درك لم تهمـم بتهديـدي[1]**

ومن ولد مسافع: طلحةُ بن عبيد الله بن مسافع بن عياض بن صخر، وهو طلحة التيمي، الذي يعني طلحةُ بن عبد الرحمن بن الأسود بقوله[2]:

...	**... وطلحـة التيمي والأسـود**

وهو القائل: لو قد مات رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة، فنزلت:

---

(1)

لولا الرسول وأني لست عاصيه	حتى يغيبني في الرمس ملحودي
وصاحب الغار إني سوف أحفظه	وطلحةُ بنُ عبيد الله ذُو الجود
لقد رميت بها شنعاء فاضحةً	يظل منها صحيح القوم كَالْمُودِي
لكن سأصرفها جهدي وأعدلها	عنكم بقول رصين غير تهديد
إلى الزبعرى فإن اللؤم حالفه	أو الأخابيث من أولادِ عبُّود

(2)

جَـدِّي علي وأبـو البختري	"وطلحـةُ التيميُّ والأسـودُ"
وجَدِّيَ الصـديق أكرم به	جـدا وخَالي المصطفى أحمـدُ

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾[1]، ثم تزوج أم كلثوم بنت عبد الرحمن بن أبي بكر.

كِلاَ الْعَتِيـقِ وَخَدِيجَةَ السَّلاَمْ يُقْــرِئـهُ جَلَّ جَلاَلُهُ السَّلاَمْ

كِـلا: مبـتدأ. **والعتـيق**: مضـاف إلـيه مـا قـبله، و**خديجة**: معطوف عليه. و**السـلام** الأول: مبـتدأ خبره جملة **يقرئه**، والجملة الاسمية خبر **كِلا**. و**السلام** الأخـير: مفعـول **يقرئه** الثاني. و**جلّ جلاله** مقصود به **السلام** الأول وهو الله عز وجل، وأما الثاني فالتحية.

ومعنى البيت أن أبا بكر حين أنفق ماله في سبيل الله أربعين ألف درهم على النبي ﷺ واشترى سبعةً يعذَّبون في الله فأعتقهم، منهم بلالُ وعامر بن فهيرة، فبقي متخللا في نصف عباءة، نزل جبريل على النبي ﷺ وقال له: قل لأبي بكر الله تعالى **يقرئك السلام** ويقول لك هل أنت راض عني في فقرك هذا؟[2]، فبلغَ النبي ﷺ لأبي بكر، فبكى وقال: أعلى ربي أسخط؟. وبتخلله في العباءة سمي *ذا الخلال*. وأما **خديجة** فلما صدقت النبي ﷺ وحدبت عليه مع عمه أبي طالب وأنفقت مالَها في نصرته، أرسل الله تعالى لها مع جبريل إلى النبي ﷺ بالسلام؛ واستَدل بذلك مُفضلوها على عائشة، لأن عائشة أقْرأها جبريلُ من نفسه، وخديجة من الله تعالى.

---

(1) الأحزاب: 53.

(2) ذكره في *أسد الغابة* وغيره.

أَوَّلُ فَتْـــحٍ جَاءَ ذَا الْخِـلاَلِ   إِمَاتَــةُ الْعَنسِيِّ ذِي الضَّـلاَلِ

يعني **أول فتح جاءه** وهو خليفة. وتقدم قريبا سبب تسميته **ذا الخلال**.

والعنسي: نسبة إلى عنس، قبيلةٍ من مَذْحِج - يأتي ذكرها إن شاء الله في مذحج[1] - واسمه الأسود أو عبهلة؛ وكان له حمار يقول له: ابرك فيبرك واسجد فيسجد.. تَنَبَّأَ بأرض اليمن، فبعث النبي ﷺ إلى باذان أن يقتله؛ وكانت امرأته مسلمة فدلت الناس على موضعه وهو سكران من شرب الخمر، فدخل عليه قيسُ بن مكشوح وفيروز الدَّيلمي، من غير باب الدار، فقتلاه؛ وجعل يخور خوارا منكرا، فقال أصحابه: ما هذا؟ فقالت امرأتُه: ذلك النبي يوحى إليه!. وقتل وهو سكران، قال:

ضـل نـبي مات وهْوَ سكران

وكان سمع بمرض النبي ﷺ مرجعَه من حجة الوداع، الذي شفي منه، فادعى النبوءة فرأى النبيُّ صلى الله عليه وسلم موتَه في المنام؛ قال: «رأيت كأن في يَدِي سوارين من ذهب فنفختهما فطارا»، قيل: ما أولته يا رسول الله؟ قال: «هذان الكذابان»[2]. وقتل الأسود قبل وفاة رسول الله ﷺ ولم يأت الخبر عنه إلى أن استخلف أبو بكر.

وَبَعْـدَهُ قَتْلُ أُسَامَــةَ النَّبِيهْ   حُمَاةَ الاَصْفَـرِ وَقَاتِـلَ أَبِيهْ

---

(1) انظر: التكملة (2/993).

(2) رواه مسلم.

والْجَيْشُ ذَا جَهَّزَهُ خَيْرُ نَبِي   وَكَعَّ عِندَمَا اشْتَكَى بِيَثْرِبِ
ثُمَّتَ أَمْضَاهُ الْعَتِيقُ وطَلَبْ   رُجُوعَهُ الأَصْحَابُ خِيفَةَ الْعَرَبْ

وبعده: أي بعد أول فتح جاء أبا بكر وهو قتلُ العنسي. **والنبيه**: العاقل، ويقال النبه والنابه. **وحماة**: جمع حام للذي يحمي أهلَه وذماره، **وحماة الأصفر**: أي حماة الروم، ويقال لهم بنو الأصفر؛ وهو الأصفر بن روم بن عيصو بن إسحاق على نبينا وعليه السلام؛ وقيل سُمُّوا بذلك لأن جندا غزاهُم فغلب على نسائهم فوطئوهن فجئن بأولاد صفر فسموا بني الأصفر. قوله: **وقاتل أبيه**: أي يوم مؤتة، وهو من الروم أو من العرب الذين مع الروم؛ وهم غسان ولخم وجذام وعاملة بنو سبأ الذين تشاءموا[1] فما زالوا في حكم قيصر إلى الإسلام. قوله: **والجيش ذا**: أي وهذا الجيشُ الذي عليه أسامةُ، حين قَتل قاتلَ أبيه وحماةَ الروم، جهزه النبي ﷺ قبل مرضه، فلما مرض **كَعَّ**: أي نكص وتأخر، قال:

لست ممن يكِعُّ أو يستكنُّو   نَ إذا كافحته خيلُ الأعادي

فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم **أمضاه**، أي سيره، أبو بكر بعد وفاة النبي ﷺ، وبعد أن تأخر لمرضه صلى الله عليه وسلم **بيثرب**، ولم يخرج بعدُ، وإنما تأهب وتجهز للمسير. **ويثرب**: اسم المدينة، قيل سميت برجل بناها من اليهود أو من العمالق؛ وقال بعض العلماء إنه لا ينبغي تسميتُها

(1) أي قصدوا الشام.

بذلك الاسم بعد أن سميت المدينة وسكنها رسول الله ﷺ، واحتج على ذلك البعضِ غيرُه بقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَهۡـلَ يَثۡـرِبَ﴾[1]، فأجاب بأن ذلك من قول المنافقين المذموم قولُهم وفعلهم. ومن أسماء المدينة: طيبة وطابة والقرية والنجر والدرع وآكلة القرى.. وغير ذلك مما لا يحصره إلا من أطال. وفي **خلاصة الوفاء** أن من كَتب أسماء المدينة وغسلها بماءٍ فشربه برئ من حُمَّى الرِّبع[2].

يعني أن ثاني فتح جاء أبا بكر فتحُ أسامة الذي فتح بجيشه الذي جهزه النبي ﷺ، فلما جهزه **اشتكى**، أي مرض مرضه صلى الله عليه وسلم الذي توفي منه؛ فتثبط الجيشُ لذلك. ثم بعد وفاة رسول الله ﷺ سيره أبو بكر، **وطلب** الصحابة منه أن لا يفعل خوف أن تغزوهم **العرب** الذين ارتدوا.

أسامة بن زيد

وأسامة هو ابن زيد بن حارثة بن شُرحْبيل الكلبي مولى النبي ﷺ وابن مولاه، أمُّه أم أيمنَ مولاته التي حضنته، واسمها بركةُ؛ قال صلى الله عليه وسلم: «أم أيمن أمي بعد أمِّي»[3]، ورثها من أبيه وقيل من أمه. وسَمَّى النبيُّ ﷺ أسامةَ «الحِبَّ» وكذلك زيد أبوه «الحِب»[4]؛ فكان يقال لأُسامة

---

(1) الأحزاب: 13.

(2) حُمَّى الرِّبع هي التي تنوب كل رابع يوم.

(3) ذكره السيوطي في *الجامع الصغير*، وجاء في *كنز العمال*.

(4) رواه البخاري ومسلم.

الحِبُّ ابن الحِبِّ، وقال صلى الله عليه وسلم: «أسامة أحب الناس إلي ما حاشى فاطمة»[1]، وقيل "ما حاشى فاطمة" مدرج، أي ما حاشى فاطمة ولا غيرها؛ أي ما استثناها.

وقد فرض عمرُ لأُسامة خمسة آلاف ولابنه عبد الله ألفين وخمسمائة، فقال له ابنه: أكثرت عني أسامة وشهدتُ ما لم يشهد، فقال: أسامة أحب إلى رسول الله ﷺ منك وأبوه أحب إليه من أبيك. ورأى عبد الله بن عمر يعقوبَ بنَ محمد بن أسامة يجرُّ ثيابه في مشيته فنهرهُ وقال: من هذا؟ فعرف به فطأطأ رأسه وقال: لو رأى رسول الله ﷺ هذا لأحبه. ولما أمَّرَ رسول الله ﷺ أسامةَ على هذا الجيش قال بعض الناس: غلام يُؤمَّرُ على أجِلَّة الرجال؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «إن قلتم فيه فلقد قلتم في أبيه قبله والله إنه لخليقٌ بالإمارة وابنُ خليق بها»[2]، وسنه يومئذ تسعَ عشرة وقيل عشرون، وهو الذي قتل مرداسَ بن نهيك الجُهني، قال: طردته أنا ورجل من الأنصار فلما لحقناه قال: لا إله إلا الله، فصرف عنه الأنصاري ونظمته بالرمح، فنزلت: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[3]

---

(1) أخرجه أحمد والطبراني.

(2) رواه أحمد وذكره ابن هشام.

(3) النساء: 94، وقيل نزلت في محلم، كما سبق (انظر: ص 410)

فقال صلى الله عليه وسلم: «يا أسامة كيف أنت بلا إله إلا الله»؟ قلت: يا رسول الله إنما قالها متعوذا، قال: «فهلا شققت عن قبله»؟[1]، قال أسامة: فوالله ما زال يقولها لي حتى تمنيت أن أكون لم أُسلم قبل ذلك؛ فحلف أسامةُ لا يقتل بعدها من يقول لا إله إلا الله، فلذلك اعتزل قتالَ الصحابة لم يَسُل فيه سيفا ولا أعد رمحا ولا نبلا. وقال فيه رسول الله ﷺ: «أرجو أن يكون من صالحيكم فاستوصُوا به خيرا»[2]. وتوفي في خلافة معاوية وسنّه قريب من سن رسول الله ﷺ.

وَإِذْ أَتَى أُمِدَّ خَالِدُ بِهِ وَأَرْجَلَ الْبَرَاءَ سَيْفُ رَبِّهِ

وَجَعَلَ الْحِبَّ عَلَى الْخَيْلِ فَلَمْ يُغْنِ غَنَاءَهُ وَرَاجَعَ الْحُطَمْ

قوله: **وإذ أتى**: أي جيش أسامة هذا الذي جهزه النبي ﷺ ثم أمضاه أبو بكر. **وأمد**: جعل له مددا أي زيادة جيوشه. **وأرجل**: أي جعله راجلا، أي أميرا على الرجالة. **والغَناء** (بالفتح والمد): المنابُ والمجزأ. **والحطم** والحطمة: الراعي الغشوم للماشية يحطم - أي يكسر - بعضها ببعض، ومنه الحديث: «شر الرعاة الحطمة»[3]، والمراد بالحطم البراءُ بن مالك بن النضر النجاري، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله في ترجمته[4]؛ شبه فعلَه بالعدو بفعل

---

(1) رواه مسلم وابن ماجه وأبو داود وأحمد.

(2) رواه أحمد.

(3) أخرجه مسلم وأحمد.

(4) انظر: التكملة (682/2)

الراعي الحطمة بماشيته.

يقول لما قدم جيش أسامة من وجهه الذي كان عليه، بعثه أبو بكر مددًا لخالد بن الوليد حين كان يقاتِل أهلَ الرِّدَّةِ، فلما قدم عليه جعل أسامةَ على الخيل وأمَّر البراءَ على الرجالة، وكان على الخيل؛ فلما رأى أسامةَ **لم يغن غناء** البراء، أي لم ينبْ منابَه ولم يجْزِ مَجزاهُ، **راجع** البراء، أي أمره أن يرجع أميرا على الخيل.

ثم رجع الناظم إلى ذكر أبي بكر بالأوصاف الحميدة فقال:

مِمَّنْ عَلَيْهِ مَنَّ بِالشِّرَاءِ وَالْعِتْقِ فَارْتُثَّ مِنَ السَّوْآءِ

بِلَالُ السَّابِقُ جِيلَ الْحَبَشَهْ وَمَن لَّهُ وَسْطَ الْجِنَانِ خَشْخَشَهْ

مَنَّ: تفضل. **وارتُثَّ**: قال في القاموس: ارتُثَّ - على المجهول - حمل من المعركة رثيثًا أي جريحا وبه رمق؛ واستعاره هنا لبلال، لأنه رفع من معركة الكفر ورقِّ أمية وتعذيبه فبرئ من **السوآء**: أي السوء الذي ذكرنا. **والجيل** (بالكسر): الصنف من الناس، وهو هنا الحبشة جيل النجاشي. **والخشخشة**: صوت في الصدْر من النخامة.

بلال بن رباح رضي الله عنه

يقول في مَدْح أبي بكر: أي **ممن منَّ عليه بالشراء** ثم منَّ عليه أيضا **بالعتق** - وإنما اشتراهُ ليعتقه - بلالُ بن رباح وحمامة - أمه - ويكنَّى أبا عبد الكريم وأبا عبد الله؛ آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي رويحة الخثعميِّ، فلما دوَّن عمرُ الدَّوَاوينَ بعث إلى بلال وهو بالشام يسأله إلى من يجعله؟

فبعث إليه: إني لا أرغب عن مكان جعلني فيه النبي ﷺ، يعني خثعما؛ فجعله عمر فيهم، وكلٌّ من أتى من الحبشة يجعل في خثعم لذلك. ولبلال أخ اسمه خالد بن رباح صحابي وأخت تسمى غُفَيْرَةَ، وكان بلالٌ قديم الإسلام. وفي مسلم من حديث إسلام عمرو بن عنبسة أنه قال للنبي ﷺ: مَن مَّعك على هذا الأمر؟ قال: «حران وعبد»[1]، يعني أبا بكر وزيدَ بن حارثة ويعني بالعبد بلالا. أسلم وهو في رِقِّ أمية بن خلف، فما زال يعذبه أيَّ العذاب ويضجعه في الرمضاءِ على ظهره ويلقي عليه صخرةً ويقول: لن تزال كذلك أو تكفر بإله محمد، وبلال يقول: أحد أحد، ويُغري به الصبيانَ يقودونه في سكك مكة يعذبونه[2]، ولا يزال يقول أحد أحد.. إلى أن اشتراه أبو بكر، قيل اشتراهُ بالمال وقيل بِعبد لأبي بكر كثير الخراج لكن امتنع من الإسلام لأبي بكر؛ فقال أمية لأبي بكر لما سأله أن يبيعه له: لا أبيعُكه إلا بفُلان ـ يعني ذلك العبدَ ـ فقال أبو بكر: هو لك مكانه؛ فأعتقه. وقيل إن ذلك العبدَ هو نَسْطاس الذي أعتق أميةُ. وأسر نسطاسُ

---

(1) مسلم وابن ماجه والنسائي وأحمد.

(2) قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمَّار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر فمنعه بقومه، وأما الباقون فأخذهم المشركون فالبسوهم أدراع الحديد وأصهروهم بالشمس فما منهم إنسان إلا وقد أتاهم على ما أرادوا إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه؛ فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد.. إلى أن اشتراه أبو بكر وأعتقه ـ [الاستيعاب].

يوم بدر ـ بعد أن أعتقه أميةُ ـ ثم أسلم بعد ذلك وكان يحدث بعد ذلك بهروب رجال من قريش يوم بدرٍ ويُضحك منهم الناس.

ولما ارتث ـ أي برئ ـ بلال من سوء ملك أمية بن خلف تصدر بصُحبته النبي ﷺ والتأذين له. وشهد بدرا، وكان هو السبب في قتل أمية؛ رآه مع عبد الرحمن بن عوف هو وابنه علي، وكان عبد الرحمن أجارَهما؛ وكان يحمل أدراعا من أسلاب القتلى فقال له أمية: أنا خيرٌ لك من تلك الأدراع فأجرني، قال عبد الرحمن: فجعلته تحت جناحي وجعلت ابنه تحت جناحي الآخر، فرآهما بلال فصاح فخرج في الناس يقول: هذا أميةُ بن خلف رأس الكفر.. لا نجوتُ إن نجا، فقال عبدُ الرحمن: يا ابن السوداء تخفرني في أسيري؟ فأجابته الأنصارُ مصلتي سيوفهم فهبروهما[1] من تحتي، وكان عبد الرحمن يقول: رحم الله بلالا فجعني بأدراعي وبأسيري. وفي ذلك يقول بلال شعرا، فقال له أبو بكر أبياتا منها:

هنيئاً زادك الرحمن خيرا لقد أدركت ثأرك يا بلال

وفي بلال وردت أحاديث منها: «بلال سابقُ الحبشة وسلمان سابقُ فارسَ وصهيب سابق الروم»[2] وقوله: «دخلت الجنة فسمعت خشخشة بلال فقلت: بم سبقتني يا بلال إلى الجنة؟ فقال: لا أدري ولكني ما

(1) هَبَرَ اللحم يهبُره هبرا: قطعه قطعا كبارا.

(2) تقدم تخريجه (ص: 168/1).

أحدثت قط إلا توضأت ولا توضأت إلا صليت ركعتين؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «بذلك سبقتني»[1]. ونزل النبي ﷺ مرجعَه من خيبر ومعه بعض أصحابه بواد بعدما أدلجوا فناموا، وكان قال لبلال: «احرس لنا الفجر»، فغلبت بلالا عينُه فما استيقظوا حتى علتهم الشمسُ، فقال صلى الله عليه وسلم: «مالك يا بلال»؟ فقال: يا رسولَ الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «إن هذا الوادي به شيطان»[2]، فرحلوا رواحلَهُم وقادوها إلى أن قطعوا الواديَ فصلوا، وفي رواية فأذنوا وصلوا، (وفيه متعلق لمن يرى الأذان للفائتة)[3].

أَذَّنَ لِلنَّبِيِّ وَالْعَتِيقِ وَمَرَّةً أَذَّنَ لِلْفَارُوقِ
فَذَكَّرَ النَّبِيَّ فَانْهَلَّتْ لَهُ دُمُوعُهُمْ لِذَاكَ مَا اسْتَعْمَلَهُ

يعني أن النبي ﷺ اتخذ بلالا مؤذنا مُدة حياته، واتخذه أبو بكر خازنا،

(1) تقدم تخريجه (ص:711).

(2) أخرجه في *الموطأ*.

(3) وقد اختلف في مشروعية الأذان والإقامة للفوائت، فذهب مالك والأوزاعي إلى استحباب الإقامة للمقضية دون الأذان لها وبذلك رواية عن الشافعي، وقال أبو حنيفة وأحمد وأبو ثور باستحبابهما لها. وقيل إن رُجي اجتماع الناس أُذِّن لها وإلا فلا، أما من عليه فوائت فأراد قضاءها فقال مالك: يقيم لكل واحدة ولا يؤذن، وهو أحد قولي الشافعي، وذهب أبو حنيفة إلى أنه يؤذن لكل صلاة ويقيم، وقال أحمد يؤذن ويقيم مرة واحدة ويصليها كلها، وقيل يؤذن للأولى ثم يقيم لكل صلاة إقامة وإن لم يؤذن فلا بأس، ولكل هذه المذاهب والأقوال دليل من السنة.

فلما توفي رسول الله ﷺ صار مؤذنا لأبي بكر، فلما جهز الجيوش إلى الشام استأذنه بلال في المسير معهم ليجاهد في سبيل الله فقال له أبو بكر: أقم معي تؤذن للصلاة وتفعل كذا وكذا.. فقال له بلال: إن كنت أعتقتني لله فخلِّ سبيلي أذهب حيثُ شئتُ، فغضب أبو بكر وقال: ما أعتقتك إلا لله فاذهبْ حيث شئتَ. فسار في الجيوش إلى الشام[1]، فلما قدم عمر الشام لمصالحة إيلياء أمره أن يؤذن، فأذن فذكر عمر النبي ﷺ فبكى وبكى الصحابة لتذكير أذان بلال إياهم النبي ﷺ، ولذلك **ما استعمله** عمر مُؤذنا. وكانت في لسانه عجمةٌ يبدل الشين سينا، فقال صلى الله عليه وسلم: «سينُ بلال عند الله شين» [2]. وكان عمر لم يَقسم البلاد التي أخذت عنوة قال: حتى يقاتل فيها حبل الحبلة، واستشار على ذلك الصحابةَ، فِممَّن وافقه على ذلك معاذُ بن جبل، وامتنع بلال ومن معه من ذلك، فقدم المدينة على عُمَر فألح عليه في قَسمها، فقال عمر: اللهم أرحني من بلال وحزبه؛ فما حال عليهم الحولُ (اهـ من **الروض الأنف**)، وقيل مات بالشام سنة عشرين رضي الله عنه.

---

(1) وقيل أيضا إنه أذن لأبي بكر مدة خلافته، ففي **الاستيعاب**: أذن بلال حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثم أذن لأبي بكر حياته ولم يؤذن لعمر، فقال له عمر: ما منعك أن تؤذن لي؟ قال: إني أذنت للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قبض وأذنت لأبي بكر حتى قبض لأنه ولي نعمتي، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يا بلال ليس عمل أفضل من الجهاد في سبيل الله». فخرج مجاهدا رضي الله عنه.

(2) ذكره العجلوني في ***كشف الخفاء*** وقال: قال ابن كثير: ليس له أصل ولا يصح، وذكر ابن قدامة في ***المغني*** أن بلالا كان يقول: أسهد مكان أشهد، يعني أنه يبدل الشين المعجمة بالسين المهملة.

القول في كيفية الأذان

ثم استطرد الناظم بذكر بلال وتأذينِهِ ذِكـرَ اختـلافِ الأئمـة في كيفيـة الأذان في البلاد، فقال رحمه الله:

أَذَانُ مَالِـكٍ أَذَانُ طَيْبَتِــهْ وَالشَّافِعِـيُّ ذُو أَذَانِ مَكَّتِــهْ

يُرَبِّــعُ التَّكْبِــيرَ أَوَّلاً وَلَمْ يَخْتَلِفَا فِي غَيْرِ تَرْبِيعِ الْحَكَمْ

وَرَبَّعَتْــهُ بَصْرَةٌ وَالْكُوفَــهْ أَيْضًا وَشَيْخُـهَا أَبُــو حَنِيفَهْ

وَثَنَّتِ الْبَاقِــيَ أَمَّا الْبَصْــرَهْ فَثَلَّثَــتْ وَسَطَــهُ وَالْمَــرَّهْ

فِي كُلِّ شَــوْطٍ لِلْفَلاَحِ يَنتَهِي وَالْحَسَــنُ الْبَصْرِيُّ آخِذٌ بِهِ

يقول: **أذان مالك** هو **أذانُ** أهلِ المدينة، يثني التكبير الأول لا غير؛ وهـو أذان من على مذهبه اليوم. وأضاف المدينـة إليـه لأنهـا دارُه الـتي وُلـد بهـا وسكنها إلى أن قُبر بها رحمهُ الله، ولِنسبَة النبي ﷺ إياه إليهـا في الحديـث: «يوشـك أن تضـرب أكبـاد الإبـل شـرقا وغربـا ولا يجـدون عالمـا كعـالِم المدينة»[1] على القول الأصح إنـه مـالك. وأمـا **الشـافعي فهـو صـاحب أذان مكته**، وأضافها إليه لأنه ولـد بهـا ونشـأ بهـا ولكـن قـبره بمصـر، وسـيأتي الكلام على الإمامين إن شاء الله في ذكرهما في النظم[2]. وقوله: **ولم يختلفا:**

(1) رواه الترمذي وأحمد.

(2) انظر التكملة (146/1 و881/2).

أي مالك والشافعي، إلا أن الشافعي يربع التكبير الأول ومالك يثنّيه كما قلنا. **والحكم** يعني به الشافعي رحمه الله، ومعناه ذو القدْرِ والمنزلة. قوله: **وربعته:** أي التكبير الأول، **بصرة** وربَّعته أيضا **الكوفة**، أي أهلُهُما. **وشيخ** الكوفة الذي اقتدوا به في ذلك التربيع الإمام **أبو حنيفة**، وهو تابعي لقي ستة من الصحابة، واسمه النعمان بن ثابت مولى بني أسد بن خزيمة، قيل بالعتاقة وقيل بالحلف، وهو قول إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة؛ كان يقول: لم يتقدم علينا رقٌّ وإنما أسلم جدي على يد رجل من بني أسد بن خزيمة.

الإمام أبو حنيفة

وكان أبو حنيفة[1] رضي الله عنه بالمقام الأوفى من العلم والصلاح،

---

(1) هو الإمام فقيه الملة عالم العراق أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زُوطَى بن ماه التيمي مولاهم، قيل كان جده زُوطَى مملوكا لبني تيم الله بن ثعلبة بن بكر بن وائل فأعتقوه فنسب إليهم بالولاء، وقد قال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: نحن من أبناء فارس الأحرار والله ما وقع علينا رق قط وقد ذهب جدي ثابت وهو صغير إلى علي رضي الله عنه فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته ونحن نرجو من الله أن يكون قد استجاب دعاءه فينا.

ولد أبو حنيفة سنة ثمانين في حياة صغار الصحابة واشتغل بطلب الفقه والآثار وارتحل في ذلك وأخذ عن خلق كثير من أكابر التابعين، منهم عطاء بن أبي رباح وقتادة وعكرمة والزهري ونافع مولى ابن عمر ومحمد بن المنكدر وهشام بن عروة. وجَدَّ واجتهد في ذلك حتى كان إليه المنتهى في الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه فأصبح إمام الحنفية وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة عند أهل السنة وشهد له الجم الغفير بالعلم والفضل، فعن أحمد بن الصباح قال: سمعت الشافعي يقول: قيل لمالك هل رأيت أبا حنيفة؟ فقال: نعم.. رأيت رجلا

<<=

ويقول بالرأي، وكان جعفر بن محمد ـ وهو جعفر الصادق ـ ينهاه عن

>> - -

لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته. وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة، وقال علي بن عاصم: لو وزن علم الإمام أبي حنيفة بعلم أهل زمانه لرجح عليهم، وقال سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك ومكي: كان أبو حنيفة أفقه أهل الأرض في زمانه، وقال يحيى بن سعيد القطان: لا نكذب الله ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة وقد أخذنا بأكثر أقواله، وقال يحيى بن معين: كان أبو حنيفة ثقة في الحديث صدوقا لا يحدث من الحديث إلا بما يحفظه ولا يحدث بما لا يحفظ، وقال ابن المبارك: لولا أنَّ الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان الثوري كنت كسائر الناس.

وكان رحمه الله زاهدا عابدا تقيا ورعا منفقا كثير الصمت لا يتكلم إلا جوابا ولا يخوض فيما لا يعنيه، وكان يقوم الليل بالصلاة وتلاوة القرآن والدعاء والتضرع، ومكث أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء وانقطع للتدريس والإفتاء ثم أراده عمر بن هبيرة ـ أمير العراقين ـ للقضاء فامتنع ورعاً، ثم دعاه الخليفة المنصور للقضاء ببغداد فأبى فقال له أترغب عما نحن فيه؟ فقال: لا أصلح له، فقال: كذبت بل تصلح له، فقال: قد حكم أمير المؤمنين بأني لا أصلح، فإن كنت كاذبا فلا أصلح وإن كنت صادقا فقد أخبرتكم أني لا أصلح، فحلف له ليلينه، فحلف أبو حنيفة لا يفعل، فقيل له يحلف عليك أمير المؤمنين وتحلف؟ فقال: أمير المؤمنين على كفارة يمينه أقدر مني، فضرب وأمر به إلى السجن وحبس.

وكان رحمه الله ربعة من أحسن الناس صورة حسن الهيئة كثير التعطر هيوبا وقورا حليما وكان أبلغ الناس نطقا وأعذبهم نغمة وأبينهم عما في نفسه، وكان كريما في أخلاقه جوادا، وقد حدث عنه خلق كثير منهم ابنه حماد بن أبي حنيفة والقارئ حمزة الزيات وهو من أقرانه، ومنهم إبراهيم بن طهمان عالم خراسان والقاضي أبو يوسف والقاضي حفص بن عبد الرحمن والقاضي سعد بن الصلت والقاضي علي بن ظبيان والقاضي علي بن مسهر والقاضي نوح بن دارج والفقيه زفر بن الهذيل التميمي وعبد الله بن المبارك وعبيد الله بن الزبير القرشي..

وتوفي رحمه الله ببغداد في رجب ـ أو شعبان ـ سنة مائة وخمسين عن سبعين سنة وصلى عليه خلق لا يحصى في ازدحام شديد ـ [هـ من سير أعلام النبلاء والبداية والنهاية وغيرهما].

ذلك؛ وقال له يوما: إن على من كسر ثنية ظبي[1] وهو محرم كذا، فأخبرني مِن رأيك ما على من كسر رباعيتهُ؟ فقال له أبو حنيفة: لا أدري، قال جعفر: الظبي لا يربع وإنما هو ثني أبدا. وقال: أخبرني لِمَ يكفي في شهادة القتل اثنان ولا يكفي في شهادة الزنى إلا أربعة والقتل أشدُّ من الزنى؟ قال: لا أدري، قال: و لم كانت الصلاةُ لا تقضى في الحيض والصوم يقضى والصلاة أعظم من الصوم؟ قال: لا أدري[2]، قال جعفر: فارجع عن

---

(1) الظبي: الغزال والأنثى ظبية، وتنقسم الظباء إلى ثلاثة أنواع: الآرام وهي الخالصة البياض ومساكنها الرمال، ويقال إنها ضأن الظباء لأنها أكثر لحوما وشحوما. والعُفر وواحدها الأعفر، وهي حمر الألوان قصار الأعناق وهي أضعف الظباء عدْوا، تألف المواضع المرتفعة والأماكن الصلبة. والأرم وهي طوال الأعناق والقوائم بيض البطون. وتوصف الظباء بحدة البصر وهي أشد الحيوان نفورا، وولد الظبية أول السنة طَلاً وخِشف، ولذا تكنى الظبية أم الطلا وأم الخِشف، ثم في السنة الثانية جذع ثم في الثالثة ثني ثم لا يزال ثنيا حتى يموت، قال الشاعر في وصف إبل:

فجاءت كسن الظبي لم أر مثلها　　　شفاء عليل أو حَلُوبة جائع

(2) قال ابن شَبرمة: دخلت أنا وأبو حنيفة يوما على جعفر الصادق فقلت له: هذا فقيه من العراق، فقال: لعله الذي يقيس الدِّين برأيه هو النعمان بن ثابت، قال: و لم أعلم باسمه إلا ذلك اليوم، فقال له أبو حنيفة: نعم أنا هو أصلحك الله، فقال جعفر: اتق الله ولا تقس الدين برأيك فإن أول من قاس برأيه إبليس إذ قال أنا خير منه فأخطأ بقياسه فضلَّ، ثم قال له أتحسن أن تقيس رأسك من جسدك؟ قال: لا، قال جعفر: فأخبرني لم جعل الله الملوحة في العينين والمرارة في الأذنين والماء في المنخرين والعذوبة في الشفتين؟ قال: لا أدري، فقال جعفر: إن الله خلق العينين فجعلهما شحمتين وخلق الملوحة فيهما مَنًّا منه على ابن آدم ولولا ذلك لذابتا فذهبتا، وجعل المرارة في الأذنين مَنًّا منه عليه ولولا ذلك لأسرعت الدوابُّ إلى دماغه فأكلته وجعل الماء في المنخرين ليصعد منه النفس وينزل ويجد منه الريح الطيبة من الخبيثة وجعل العذوبة في الشفتين ليجد لذة المطعم والمشرب. ثم قال له: أخبرني

<<=

الرأي إلى السُّنة، أما الشهادة في الزنى فغلظها الستر على الأمَّةِ وأما سقوط الصلاة عن الحائض فلكثرة تكرر الصلاة. و لم يرجع أبو حنيفة عن الرأي، ورأي الأئمة إنما هو الاستنباطُ من الأصلين لا أنهم يقولون بما وافق ما يرونَ من أنفُسهم وحاشاهم من ذلك.

وكان صلى الله عليه وسلم بين ثلاث: أما خبر السماء والغيب فلا يقول فيه إلا بوحي وأما الأحكام الشرعية فكان يَتَلَبَّثُ بها الوحيَ فإذا لم يأته أَفْتَى فيها برأيه الموافقِ للصواب وأما في خبر الدنيا فيجتهد، كحديث تلقيح النخل[1] ونزوله على ماء بدْر فتحول لِرأيِ الحباب وكإعطائه لغطفان ثُلُثَ تمرِ المدينة لينصرفوا ثم رجع لِقول السَّعدين[2]؛ وقال صلى الله عليه وسلم: «إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته» ـ الحديث[3].

عن كلمة أولها شرك وآخرها إيمان؟ قال: لا أدري، فقال جعفر: هي لا إله إلا الله فلو قال: لا إله ثم سكت كان شركا، ثم قال له: ويحك أيما أعظم عند الله إثما: قتل النفس التي حرم الله بدون حق أو الزنى؟ قال: بل قتل النفس قال جعفر: إن الله تعالى قد قبل في قتل النفس شهادة شاهدين و لم يقبل في الزنى إلا أربعة فأنى يقوم لك القياس؟ ثم قال: أيما أعظم عند الله الصلاة أم الصوم؟ قال: الصلاة، قال: فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقال: لا أدري، فقال: اتق الله يا عبد الله ولا تقس الدين برأيك وارجع عن الرأي إلى السنة..إلخ.

(1) رواه مسلم.

(2) رواه ابن هشام عن ابن إسحاق وقاله في زاد المعاد.

(3) متفق عليه.

ومن ورع أبي حنيفة أنه كان يوما بمسجد الكوفة، وابن أبي ليلى هو القاضي عليها، إذْ مرت امرأة فسمعها ابن أبي ليلى تقول: يا ابن الزانيين، فأمر بها فجلدت في المسجد حدين مجردة، فقال أبو حنيفة: أخطأ هذا القاضي في حدِّ هذه المرأة ست مراتٍ[1]: في حدها مرَّتين بكلمة واحدة وفي حدها في المسجد وفي تجريدها وفي حدها قبل أن يقوم المقذوفُ بحقه. فبعث ابنُ أبي ليلى إلى أمير الكوفة: إما أن تنهى هذا فلا يتكلم بفتوى ما دُمت هنا وإما أن تخرجني عنه؛ فنهى الأميرُ أبا حنيفة عن الفتوى، ثم قالت له ابنته يوما إني خرج دم من سني فتفلته حتى لم يبقَ منه شيء فابتلعت ريقي أَعلي قضاءُ يومي أم لا؟ قال: سلي أخاك حمادا إني نهاني الأميرُ عن الفتوى. فقد تحرَّج من عصيان الأمير بفتوى لابنته في قعْرِ بيته. وكان له جار كل ليلة يسمعه يغنّي بقول العرجي:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسِدَادِ ثغر

---

(1) في كتاب *الانتقاء* لابن عبد البر: عن الحسن بن زياد قال: كانت عندنا امرأة مجنونة يقال لها أم عمران مر بها إنسان فقال لها شيئا فقالت: يا ابن الزانيين، وابن أبي ليلى قائم يسمع فأمر أن يؤتى بها فأدخلها المسجد وهو فيه فضربها حدين، حدا لأبيه وحدا لأمه، فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال: أخطأ فيها من ستة مواضع: المجنونة لا حد عليها، وأقام الحد عليها في المسجد ولا تقام الحدود في المساجد، وضربها قائمة والنساء يضربن قعودا، وأقام عليها حدين ولو أن رجلا قذف قوما ما كان عليه إلا حد واحد، وضربها والأبوان غائبان ولا يكون ذلك إلا بمحضرهما لأن الحد لا يكون إلا لمن يطلبه، وجمع بين الحدين في مقام واحد ومن وجب عليه حدان لم يقم عليه أحدهما حتى يجف الآخر ثم يضرب الحد الثاني.. فبعث ابن أبي ليلى إلى الأمير.. إلخ - [اهـ منه].

فأخذه حرسُ الأمير، فركب أبو حنيفة إلى الأمير فقال لـه: ما جـاء بـك؟ قال له: جارٌ لنا أخذه الحرَسُ البارحةَ، فأمر الأميرُ بـإطلاقِ كُـلٍّ مـن أخـذ البارحة، فذهب أبو حنيفة بجاره فلما أتوا قال له: أيها الجار أضعناك بماذا؟ قال: و لم؟ قال: بغنائك كل ليلة وأنا أسمعُ:

أضاعوني وأي فـــتى أضاعوا

فجعل الجار يعتذر، فقال أبو حنيفة: إما أن تتحول عن جواري أو نتحـول عنك، فما زال به حتى تحول عنه.

وكان أكره على القضاءِ فشكا أمره إلى الله تعالى فمنعه الله تعالى مـن أن يترافَع عليه إلا مرتين، إحداهما أتاه إنسانان يدعي أحدُهما ثـورًا علـى الآخر فقال لصاحب الثور: يرضيك عن ثورك كذا من الدراهـم؟ فقـال: نعم، فحلها له من كمه، والثانية تمارض وأجَّل للخصمين أجـلا فصرفهمـا الله عنه. وأعطاه الفضلُ بن الربيع مالا فأخذه وجعلـه في خزانـة مـن داره فلما احتضر قال لبنيه: هذا المال أودعنيه الفضلُ بن الربيـع، فلمـا تـوفي ردَّ بنوه المال إلى ورثةِ الفضل، وكان قد مـات. ويذكـر عـن أبـي حنيفـة أنـه يلحن في العربية؛ وأنكر بعض الناس ذلك، قال: بُنِيَ ذلـك علـى أنـه قـال يوما: بعْنِيه *باثنا* عشر، وليس ذلك بلحن وإنما ذهب إلى لغة العرب الذيـن يُلزمون المثنى الألفَ.

ومعنى الأبيـات أنَّ المـدنَ الأربـع: مكـة والمدينـة والعراقـين: الكوفـة والبصرة، كيفية الأذان فيها أن الشافعي ـ وتمذهب بمذهبه أهلُ مكة ـ وأبـا حنيفة ـ وتمذهب بمذهبه أهل كوفته ـ متفقان يربعان التكبير الأوَّل ويثنيـان

سائرَهُ إلا لا إله إلا الله الأخيرة يوحدانها. وأما مالك ـ وتمذهب بمذهبه أهلُ مدينته ـ فيثنيه كله. وأما الحسن بن أبي الحسن البصري ـ وتمذهب بمذهبه أهل بصرته ـ فيربع التكبير الأول، كالشافعي وأبي حنيفة، ويثلث ما قبل التكبير الأخير لكن يوحد كل كلمة إلى أن ينتهي إلى الفلاح فيرجع إلى مبدأ الشهادتين.

والشوط: السلك، وصورته بعد التكبير المربع: "أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح.. وهكذا إلى ثلاثٍ.

والحسن بن أبي الحسن، أبوه سبي من وقعة "المذار" لخالد بن الوليد في الفُرس، وكان أبوه تزوج أمَةً لأمنا أُمِّ سلمة فجاءت منه بالحسن، وكانت أم سلمة تبعث أمَّه في حوائجها فتتركه عندها، فإذا بكى أسكتته بثديها حتى صار في الثدي لبن من مص الصبي له، فنال الحسنُ من ذلك اللبنِ الخيرَ والخيرات، وروى العلم عن عليٍّ، وأخذ عنه علم الحقيقة، وإليه تنتهي الطريقةُ الشاذلية، وتنتهي القادرية إلى أبي بكر. وسيأتي الكلام إن شاء الله على الحسن في ذكره في نظم الفتوحات[1].

---

(1) نظم الفتوحات: مراده به النظم المعروف *بنظم الخاتمة* وبخاتمة الأنساب وهو نظم تناول فيه الناظم بعض فتوحات الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وانشغال علي رضي الله عنه عن مواصلة الفتوح بما جرى بينه وبين معاوية، وذكر فيه العشرة الأوائل من ملوك بني أمية.
ثم عاد الناظم إلى ذكر بعض مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال رحمه الله:

فِي صَـدْرِهِ وَقَـــرَ مَا كَـفَاهُ   عَن كَثْـرَةِ الْعَمَـــلِ وَاجْتَبَاهُ

الضمائر الثلاثة في البيت تعود إلى أبي بكر، وإن كان غير الأقرب كقوله تعالى ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ ـ الآية[1]ـ فالضمير عائد على إبراهيم وهو غير الأقرب، لأنه المحدَّث عنه. وكذلك أبو بكر هنا هو المحدث عنه، وإنما ذكر مَن بعده على سبيل الاستطراد. ويشير في البيت إلى الحديث: «ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صوم ولكن بشيء وقر في صدره»[2]، وقال أبو حامد الغزالي في **إحياء علوم الدين** «بسرٍّ» مكانَ «بشيء»[3]، ولا يقتضي الحديث أنه ليس بأكثرهم عملا صالحا، لكن إنما فضلهم بالموقر في صدره لا بأكثرية عمله، وإن كان أكثرهم عملا، وقد سألهم النبي صلى الله عليه وسلم: «من أصبح منكم اليوم صائما»؟ قال أبو بكر: أنا، وقال:

---

(1) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (الأنعام: 84).

(2) رواه الترمذي وأبو يعلى عن عائشة، وأحمد بن منيع عن أبي بكر المزنيٍّ، وقيل هو من قول أبي بكر بن عبد الله المزني ـ [كشف الخفاء: 190/2]. ووقر (كوعد): سكن وثبت.

(3) قال العراقي: أخرجه الترمذي الحكيم في النوادر من قول أبي بكر بن عبد الله المزني، ولم أجده مرفوعا، قال الغزالي ولا شك في أن ذلك السر كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها، راجع الإحياء:(100/1). وفي *تاج العروس* في مادة "وقر": رجل متوقر ذو حلم ورزانة ومنه الحديث: «لم يسبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكنه بشيء وقر في القلب» وفي رواية: «لسر وقرَ في صدره»، أي سكن فيه وثبت من الوقار والحلم والرزانة ـ (اهـ منه وفي *اللسان* أيضا مثله). وفي الحديث أيضا: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح» ـ [رواه ابن عدي من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف، ورواه البيهقي في الشعب موقوفا على عمر بإسناد صحيح].

«من صلى منكم اليوم كذا»؟ قال أبو بكر: أنا، قال: «من عاد منكم اليوم مريضا»؟ قال أبو بكر: أنا، قال: «من شيع منكم اليوم جنازةً»؟ قال أبو بكر: أنا[1].. ولعل النبي ﷺ يريد أن يعلم أصحابه أن أبا بكر أكثرُهُم عملا. وذكر النبي ﷺ يوما باب الريان[2] فقالوا: وما هو يا رسول الله؟ فقال: «باب في الجنة لا يدخل منه إلا الصائمون» فقال أبو بكر: وما ذا على أحدنا أن يدعى من تلك الأبواب كلها، يعني باب الصائمين وباب المصلين وغيرهما من أبواب الأعمال الصالحة؟، فقال صلى الله عليه وسلم: «إني لأرجو أن تدعى أنت من كلها» ـ أو كما قال صلى الله عليه وسلم[3] ـ وفي هذا الحديث دليل لأهل السُّنة باتفاقهم على أن أبا بكر أفضلُ الناس بعد الأنبياء.

---

(1) فقال صلى الله عليه وسلم: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» رواه مسلم، قال الأبي في شرحه: فيه تفقده صلى الله عليه وسلم لأصحابه وإرشاده إياهم إلى الخير على اختلاف أنواعه، وفيه ما كان عليه أبو بكر من الحرص على تحصيل أنواع الخير، وقوله رضي الله عنه: "أنا" ليس من تزكية الإنسان نفسه ولا من إظهار عمل السر، وإنما لأن إجابته صلى الله عليه وسلم واجبة.

(2) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب ـ يعني الجنة ـ يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهادِ دُعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام وباب الريان» .. الحديث ـ [البخاري].

(3) أخرجه البخاري ومسلم. والحاصل أنه تفتح له أبوابها كلها ويدعى إلى الدخول منها تكرمة له وإن كان لا يدخل إلا من أحدها؛ فيدخل من باب العمل الذي يكون أغلب عليه.

يقول وقر في صدر أبي بكر ما **كفاه عن كثرة العمل** لو لم يكثره. **واجتباه:** اختاره، ومنه المجتبى من أسمائه عليه الصلاة والسلام، أي جعله مختارا.

فِي سِلْكِ الاِسْلاَمِ مَنِ ارْتَدَّ نَظَمْ   ثُمَّ انتَحَى وَمَا وَنَى إِلَى الْعَجَمْ

نظم: أي جمع وأدخل. **وانتحى:** مال عن قصده إلى قَصْدٍ آخرَ. **وونى:** فَتُر. يعني أن أبا بكر نظم في سلك الإسلام كل من ارتد من العرب، أي رده إلى طريق الإسلام المستقيم، ثم انتحى - أي مال - عن العرب، وما به فتور، إلى العجم[1]، وهم هنا الروم والفرس؛ وذلك قوله:

وَنَطْحَةٌ أَوْ نَطْحَتَانِ فَارِسُ   وَلَيْسَ فِيهِمْ بَعْدَهَا مُدَاعِسُ

وَالرُّومُ كُلَّمَا مَضَى قَرْنٌ لَّهَا   يَخْلُفُهُ قَرْنٌ يَرُمُّ مَا وَهَى

فارسُ يقال لهم الفرس وهم الجيل المعروف، بنو فارس بن كيومرت بن أُميم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام؛ وهم مجوس لا كتاب لهم، ومن ملك منهم يقال له كِسرى (بكسر الكاف وفتحها، والكسر أشهر).

(1) وذلك أنه لما فرغ من قتال أهل الردة واستقامت له العرب حدث نفسه بغزو الرُّوم فدعا عمر وعثمان وعليا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وأبا عبيدة بن الجراح ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم وشاورهم وكلهم استصوب رأي أبي بكر وقالوا: ما رأيتَ من الرأي فامضه فإنا سامعون لك مطيعون لا نخالف أمرك، فقام في الناس خطيبا ورغّبَ في الجهاد وأمر بلالا فأذن في الناس انفروا أيها الناس إلى جهاد عدوكم الروم بالشام، وكتب إلى اليمن يستنفرهم ويدعوهم للجهاد ويرغبهم في ثوابه، فقدموا عليه في جموع كثيرة ففرح بهم - [الخميس وغيره].

والمداعس: المدافعُ. **والروم**: الجيل المعروف أيضا، وهم بنو روم بن عيصو بن إسحاق عليه السلام. **ويرم**: يصلح. **ووَهَى**: تخرَّقَ وانشق، أي يصلح ما فسد من قُوَّتهم وضَعْف. قال صلى الله عليه وسلم: «فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس ولا كِسرى، وإنما أخاف عليكم الروم ذوات القرون كلما مضى قرن يخلُفه قرن»[1]، فكان ما قال رسول الله ﷺ إلى اليوم. أما فارس فلم تبق منهم بقية بعد أيام القادسية على يد سعد بن أبي وقاص في خلافة عمر، وأما الروم فكانت فيهم الوقائع العظامُ الآتيةُ قريبا، ولم يزدهم ذلك إلا استمرارَ القوة. واسم كل من ملك منهم قيصرُ؛ وأصله قيشر من القشر لأنه قشر عنه ـ أي بقر عنه ـ بطن أمه، أي عن أول من ملك منهم؛ فسمي قيشر، وكان يفتخر على الرجال بأنه لم تلده النساء.

لِشَوْكَةِ الرُّومِ بِسَوْرَةِ الْعَرَبْ ۝ سَاوَرَهُمْ إِذْ هُمْ بَنُو أُمٍّ وَأَبْ

الشوكة: الحدة وشدة البأس. **والسَّورة**: أول ما تحلب به الناقة إذا أنتجت، وأراد به الحدة. **وساورهم**: فاعَلَهُمْ بالسَّوْرة، أي حاصرهم بِسَوْرة ـ أي شدة ـ حدة العرب حين تآخوا بالدخول في الإسلام طائعين أو مكرهين فطاعوا بعد الإكراه إلى أن صاروا إخوةً أشقاء[2]، أبوهم توحيدُ

---

(1) انظر *الجامع الصغير*، وذكره ابن الأثير.

(2) يريد به لازِمَه الذي هو مؤاخاة الإسلام، لأنهم لما أسلموا صاروا إخوانا متظاهري الجهود في الجهاد في سبيل الله، وكانت مؤاخاة الإسلام أعظم عندهم وأشد من أخوَّة النسب وأبوته وسائر قراباته.

الله وتصديق رسوله وأمهم أداءُ الفرائض؛ **فالأب** هو الأصلُ **والأم** الفرْع، لأنه صلى الله عليه وسلم مكث عشرَ سنين بمكة يدعو إلى مجرَّد التوحيد ثم فرضت الشرائعُ، فبذلك كان التوحيد هو الإيمان والفرائض الإسلام، كما قال صلى الله عليه وسلم لجبريل حين قال له: أخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا»، ثم قال: أخبرني عن الإسلام؟ فقال: «أن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة..» إلى آخر الحديث[1]. وقال صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس» ـ الحديث[2] ـ فكأنَّ الإيمان هو أبو العرب، وهو التوحيد، والإسلام ـ وهو أداء الفرائض ـ هو أمهم. وأعرضنا عن التوافق والتداخل والترادف بين الإيمان والإسلام، إذ ليْس هذا محله.

يقول: لأجل كثرة الروم وقوتهم وشدة بأسهم خاطرهم أبو بكر بنجدة العرب حين تآخوا، فكانت كلمتُهم واحدةً في إعلاء كلمة الله، والروم إذ ذاك أقوى كلِّ جيل من أجيال الناس ولا يناوئهم إلا الفرسُ، وذلك بعد أن غلبوهم الغلبَ الذي ذكر الله تعالى[3].

فَاسْتَنفَرَ النَّاسَ لَهُمْ مِّن يَثْرِبِ وَعَسْكَرَتْ جُيُوشُهُ عَن كَثَبِ

---

(1) رواه مسلم وأصحاب السنن.

(2) متفق عليه.

(3) بقوله سبحانه ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ - (الروم:1-4)

ثُمَّ اسْتَقَلَّهُمْ وَأَرْسَلَ أَنَسْ لِعَرَبِ الْيَمَنِ وَالْجَيْشَ حَبَسْ

حَتَّى أَتَى بِذِي الْكَلاَعِ الْحِمْيَرِي ثُمَّ بِقَيْسِ بْنِ هُبَيْرَةَ السَّرِي

كِلاَهُمَا فِي عَسْكَرٍ. وَقَدِمَتْ قَيْسُ وَطَيِّئُ وَأَزْدُ وحَمَتْ

وَغَيْرُهُمْ وأَعْرَقَتْ تَمِيمُ وَأَسَدُ، رَبِيعَةُ الْقُرُومُ

استنفر أبو بكر **الناس** للروم **من يثرب**، وهي المدينة، ومن مكة ومَن حولهما من الأعراب ممن بالحجاز؛ فلما استنفرهم **عسكروا**، أي جَيَّشوا، **عن كثب**، أي عن قرب، من المدينة. **فاستقلهم** لمناطحة الروم، فحبسهم وجعل كلَّ يوم يطوف في العساكر يتفقد أحوالهم ويعين من يحتاج منهم للمعونة بالسلاح والزادِ ونحوهما، **وأرسل أنسَ** بن مالك **لعرب اليمن**، من قبائل سبأ وكهلان؛ **فأتى بذي الكَلاع**: رُويفع بن ناكورا وقيس بن مكشوح المرادي بالحلف البجلي ثم الأحمسي نسبا، وسيأتي الكلام عليهما إن شاء الله في ذكر نسبهما[1]، وكلاهما قدم في جيش؛ قدم ذو الكلاع في عسكر من مواليه وعبيده ومَن تبعه من حمير، وقدم قيس بن مكشوح المرادي فيمن تبعه من مراد ومَذْحِج. وقدمت أيضا على أبي بكر في جهاده للروم قبائلُ **قيس** عيلان من العدنانية **وطَيِّئٌ وأَزْدٌ** وغيرُهما من القحطانية. **وحمت**: أي منعت هذه القبائل، وغيرهم من قبائل العرب، الدين بقتال الروم والكفار.

---

(1) راجع: التكملة ـ *رياض السيرة والأدب*ـ (2/887-995).

فلما قدمت قبائل العرب كلُّها جعلت كلُّ قبيلة تختار الجهةَ التي تَقصِد؛ فاختارت **تميم** و**أسد** بن خزيمة و**ربيعةُ** كلُّهم جهةَ العراقِ. **والقروم**: جمع قرم للسيد، وصف به ربيعة لأن منهم المشهورين. وقصد غيرُهم من القبائل ـ بأمرِ أبي بكر ـ الشامَ؛ فكان اليمانيون يختارون الشام والعدنانيون يختارون العراقَ.

وَبِأَبِي عُبَيْدَةَ اسْتَعَانَا وَبِيَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَا
وابْنِ سَعِيدٍ خَالِدٍ وشُرْحَبِيلْ ثُمَّ بِعَمْرٍو بَعْدَ لأَيٍ النَّبِيلْ

استعان بهم أي بتوليتهم؛ كل يوليه على جيش ويبعثه إلى الشام. أما **أبو عبيدة** بن الجراح و**شرحبيل** بن حسنة و**عمرو** بن العاص ـ وهو الموصوفُ **بالنبيل**، أي العاقل؛ لأنه يضرب به المثل في العقل ـ فتقدم الكلام عليهم. وأما **يزيد بن أبي سفيان** و**خالد** بن سعيد بن العاص فسيذكران في النظم[1].

وَمَا كَفَوْا، فَسَلَّ سَيْفَ اللَّهِ فَأَصْبَحَ الدِّينُ بِهِ يُبَاهِي

قوله: **وما كفوا**: أي ما كفوا أبا بكر قتال الروم، لكثرة استمدادهم إياه وطلب المعونة والمشاورة فيما يفعلون؛ فلما أكثروا عليه من ذلك قال: لأزيلنَّ عن الروم وساوسَ الشيطان بخالد بن الوليد، فكتب إليه ـ وهو إذ

(1) انظر: *رياض السيرة والأدب*: (1/192-255).

ذاك على جيْش العراق ــ: أن استخلف على الجيش مكانك المثنى بنَ حارثة وسر على بركة الله إلى الشام وأنت أمير على من ثَمَّ من الأمراء، فقال: أما إذا كان ذلك فنعم.

فتجهز للمسير وقال: من لنا بدليل على أسفل الشام حتى نَبْهَتَهُم[1] ونفتح قبل قدومنا على الجيوش؟ فقام إليه رافع بن عميرة الطائي وقال: أنا؛ فقال خذ عشرين شارفًا[2] وعطِّشْها جدا ثم جَوِّدْ شِربها واقطع مشافِرَها. فساروا فلما فني سقاؤُهم جعلوا ينحرون كل يوم خمسا من الشوارف يشربون فرثها ويسقون خيلهم إلى أن نحروا آخرها، فقال لهم بعد أن ساروا شيئًا من النهار: انظُرُوا هلْ ترون شجرة عوسج؟[3] قالوا: لا، ثم قال: بعد ساعة انظروا هل ترونها؟ قالوا: لم نَرَ شيئا، قال: خِبتُ إذن وخسرت وهلكتُم! ثم قال: انظروا هل ترون شجرة عوسج؟ فنظروا فرأوها فأتوها، قال: احفروا تحتها، فحفروا عن صخرة مُغَطًّى بها الماءُ، فقال: وردت هذا الماءَ مع أبي وعليَّ ذُؤابَتِي وما رأيته قبل ذلك ولا بعده.

فدخل خالد الشام من أسْفله، ولم يزل يفتح فيها إلى أن وصل إلى جيوش المسلمين فتأمَّر عليهم، فجعل يفتح فتحا بعد فتح وأرضا بعد أرض.

وقوله: **فأصبح الدين به يباهي**: أي دين الإسلام، **ويباهي**: يفاخر غيره

---

(1) بهته يَبهته: أخذَه بغتة، وبهَتَهُ الشيءُ: أدهشه وحيره.

(2) الشارف من النوق: المسنة الهرمة ـ [القاموس].

(3) العوسج: واحدته عوسجة: جنس من الشجر أغصانه شائكة وأزهاره مختلفة الألوان.

من الأديان. والضمير في **به**: يحتمل أن يعود على فعل أبي بكر، وهو السَّل؛ أي أصبح الدين يباهي الأديانَ بسلِّ أبي بكر **سيفَ الله**، ويحتمل أن يعود على خالد، أي كأنَّ دين الإسلام يقول لغيره من الأديان: هل فيك من رجل مثلِ خالد بن الوليد؟ أدخل جميعَ من ارتد من العرب في الإسلام بالغلبة والقَهر ولم يزل يدخل في الإسلام غُلْبَ العجم من المجوس وأهل الكتاب، وكان ذلك مَبْدأ أمره منذُ أسلم في العام السابع؛ ولاه النبي ﷺ أعنةَ الخيل، ولم يزل عليها إما بأمرٍ من النبي ﷺ أو من خليفتِه أو من نجْدته.. إلى أن توفي رضي الله عنه في خلافة عمر، وله أربعة بنين نجباء لكل واحد منهم شرف وشأن وذكرٌ؛ وهم: سليمانُ وعبد الرحمن والمهاجرُ وعبد الله، ثم بعد ذلك انقرض عقبُ خالدٍ كله وورثهم أيوبُ بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن الوليد[1]، عم أم سلمة بنت يعقوب زوج أبي العباس السَّفاح، وعبد الله بن الوليد بن الوليد، سماه أهلُه الوليد لأنه ولد بعد موت أبيه، فسمع النبي ﷺ أمَّ سلمة تبكي الوليد وتقول:

يا عين بكّي للوليد بن الوليد بن المغيرهْ
قد كان غيثًا في السنين ورحمة فينا وميره

---

(1) وكان ميراثه لهم بالقعدد، وقد كان للمهاجر ولد اسمه خالد ولعبد الله ابنٌ اسمه سلمة، وقيل إن ولد خالد بن الوليد كثروا حتى بلغوا نحو الأربعين رجلا وكانوا كلهم بالشام، ثم انقرضوا كلهم بالطاعون ولم يبق لأحد منهم عقب، وقد قال ابن قدامة المقدسي في **أنساب القرشيين**: لم يبق لخالد عقب. وقال الزبيري: انقرض ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم أحد وورثهم أيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن الوليد ـ [سموط الذهب وغيره].

ضخـــم الدسيعـــة ماجدا يسمو إلى طلـــب الوتـيره
مثـــل الوليـــد بن الوليـــد أبي الوليد[1] كفى العشِيره

فقال صلى ا لله عليه وسلم: «ما اتخذتم الوليد إلا خانـا، سمـوه عبـدَ ا لله»؛ فكان ذلك اسمه، (والخان الحانوت، لأن حانوت التـاجر لا يـزالُ يـنزِلُ بـه كلما قدم)[2].

وَإِذْ أَتَى واسْتَنصَـرَتْ بِهِ الْعَرَبْ أَلْقَى لَهَا اللهُ عَلَى الرُّومِ الرَّهَبْ

يعني **وإذ أتى** خالدٌ جُيوشَ المسـلمين المحـاصِرين الـرومَ بالشـام **وطلبت العربُ** ـ أي جيوشُها ـ **بـه**، أي بخـالد، النصـرَ مـن ا لله، **ألقـى ا لله** لجيـوش

---

(1) وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة ـ أخو خالد وإخوته ـ قد أسر يـوم بـدر فقـدم في فدائـه أخواه خالد وهشام، فتمنَّع عبد ا لله بن جحش حتى افتكاه بأربعة آلاف درهـم، وقيـل إن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال لابـن جحـش: «لا تقبـل في فدائـه إلا شـكة أبيـه الوليـد»، وكانت درعا فضفاضة وسيفا وبيضة، فأبى خالد ذلـك وأطـاع هشـام لأنـه شقيقه وقـال لخالد: إنه ليس بابن أمك؛ فلما افتكاه أسلم فقيل له: هلا أسلمت قبل أن تفتدى وأنت مع المسلمين؟ فقال: كرهت أن تظنوا بي أني جزعت من الأسر، فحبسوه بمكـة، فكـان صلـى ا لله عليه وسلم يدعو له فيمن يدعو له بمكـة مـن المستضعفين، فـأفلت مـن أسـرهم ولحـق برسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، وجاء معه إلى مكـة في عمـرة القضيـة وكتـب إلى أخيـه خالد بن الوليد، فوقع الإسلام في قلب خالد فكان ذلك سبب هجرته. ومات الوليـد هـذا في حياة النبي صلى ا لله عليه وسلم.

(2) فهو محل نزول المسافرين ويسـمى الفنـدق (فارسية)، وفي الزبيري: «ما اتخـذتم الوليـد إلا حناناً فَسَمُّوهُ عبد ا لله»، ومعنى حنانا أي تتعطّفون على اسمه فتحبُّونه. وفي رواية أن الوليد من أسماء الفراعنة فكره أن يسمى به.

العرب على الروم الرهبَ: أي الخوف والفزع، حتى صاروا كلما رأوهم ألقوا إليهم السلم وطلبوا منهم الصلح بلا قتال أو قاتلوهم معتقدين الغلب وموقنين به فَيجرُّهُم ذلك إلى الفشل، فيفتحونهم.

فَفَلَّ "أَجْنَادِينَ" رُكْنَ الأَصْفَرِ وَ"مَرْجَ رَاهِطَ وَمَرْجَ الصُّفَّرِ"

فلَّ: هدم. **وأجنادين**: أرض بالشام[1] بها هذه الوقعةُ، واشتشهد بها كثير من قريش؛ منهم: عبدُ الله بن الزبير بن عبد المطلب والفضل بن العباس وأبان وخالد ابنا سعيد بن العاص؛ وقيل قتلا يوم مرج الصفر بعد أجنادين بعام أو قريب منه. **وركن الأصفر**: منعته. **والأصفر**: يعني بني الأصفر، أي الروم، وتقدم ذلك. **ومرج راهط ومرج الصفر**: موضعان أيضا بكل منهما وقعةٌ فتحتْهُ. وبمرج راهط ـ بعد أن كان للمسلمين ـ وقعةٌ بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس وزفر بن الحارث الكلابي ـ وزفر والضحاك على جيش عبد الله بن الزبير ـ فقُتل الضحاكُ وهُزِم زُفرُ. وفي ذلك يقول:

ولما قرعنا النبع بالنبع بعضه ... ببعض أبت عيدانه أن تكسرا

إلى آخر الأبيات [كما تقدم].

---

(1) **وركن الأصفر** (بالنصب): بدل من أجنادين. **ومرج راهط ومرج الصفر**: معطوفان على أجنادين. **والصُفَّر**: بضم وتشديد الصاد المهملة وفتح وتشديد الفاء أيضا، والثلاثة مواضع بالشام كانت بها وقائع عظيمة بين المسلمين والروم في خلافة أبي بكر بقيادة خالد بن الوليد كان النصر فيها حليف المسلمين.

وبَعْـدَهَا تُـوُفِّيَ الْعَتِيـــقُ وَمَا ائْتَلَى فِي عَزْلِــهِ الْفَارُوقُ
فَأَمَّـــرَ النَّــدْبَ أَبَا عُبَيْـدَهْ وَأَمَّـرَتْ سَيْفَ الإِلَهِ النَّجْدَهْ[1]

أي **وبعد** هذه الوقائع **توفي العتيق** أبـو بكـر رضـي الله عنـه. ولما تـوفي واستخلف عمر **ما ائتلى**: أي ما أبطأ في **عزل** خالد. **والفاروق**: لقب عمـر لأنه فرق بين الحق والباطل في خلافته وفي حياة النبي ﷺ وسمَّاه بهذا الاسم، أو لأنه فرق بين الإيمان والكفر لإظهاره الإسلام بمكة.

فلما عزل خالداً قدَّم أبا عبيدة بن الجراح على الجيوش، فأتى كتابُه أبا عبيدة بذلك و لم يُخْبِر خالدا حتى علم بذلك من غير أبي عبيدة، فعاتبه وقال: تدعني أصلي أمامك وأنت أميري؟ فصار أبو عبيدة أمير الجيوش ولكن بقيت لخالد **النجدةُ**، أي الشجاعة والعلم بالحروب. وقال عمر: ما عزلت خالدا لشيء انتقمه عليه ولكن لتقدمه وما كان يفعل بالمال، وكان إذا أصاب قسمة في أهل قتال لم يدفعْ لأبي بكر حسابا.. [كما تقدم في ترجمته].

---

(1) قوله: **وأمرت سيف الإله النجده**: هو تعليق من الناظم رحمه الله على عزل عمر لخالد رضي الله عنهما مضمن من كلام عمر؛ ففي *تاريخ ابن خلدون* في حديثه عن وقعة مرج الروم وفتوح مدائن الشام قال: أرسل أبو عبيدة خالدَ بنَ الوليد إلى قنسرين فاعترضه بعض عظماء الروم في جيش فهزمهم وأثخن فيهم ونازل قنسرين حتى فتحها عنوة وخربها وأَدْرَبَ إلى هرقل من ناحيته فارتحل هرقل إلى القسطنطينية، فلما بلغ عُمرَ صنيعُ خالد قال: "أمَّر خالد نفسَه، يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم مني بالرجال".

وَكَانَ مِن فُـتُوحِـهِ الْعِظَـامِ   فَحْلُ وحِمْصُ ودِمَشْقُ الشَّامِ

يقول **وكان فحل وحمص ودمشق الشام من فتوح** خالد **العظام**[1]؛ **وفحل** ومعطوفاه: اسمُ **كان**، وخبرها: **من فتوحه**. **وفحل** أرض بالشام، من أرضها المنيعة؛ وما فتحت حتى وقعت فيها وقائع. **وحمص**: كورة أيضا بالشام سكانها في الإسلام يمانيون، وكان عليها النعمان بن بشير فأتاه أعشى بني همدان يسأله، فجمع أهلَ حمص وقال لهم: إن شئتم أن تُواسوا أخاكم، ثم قال لهم: أسْلِفُوني عطاءَكم في القابل أعطيه إياه، فقالوا رضينا؛ فأعطاه وخرج عنه يقول:

ولم أر للحاجات عند التماسها   كنعمان نعمانِ الندى ابنِ بشير
إذا أنا لم أشكرهُ يوما كفرته   ولا خيرَ فيمن لم يكن بشكور

وأهل حمص: باقرةٌ؛ هُمُ الذين يضرب بهم المثل في الحمق؛ ومن حمقهم

---

(1) **تنبيه**: كانت هذه الفتوح في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان خالد بن الوليد إذ ذاك قد عزل عن القيادة العامة للجيوش وأسندت إلى أبي عبيدة. ولعل المؤلف رحمه الله أسندها إلى خالد لِغَنائه فيها وحسن بلائه، أو لتوليه قيادة الجيوش فيها تحت إمارة أبي عبيدة، ويدل لذلك قول كعب بن جعيل:

ولو سئلت دمشق وبعلبك   وحمص من أباح لها حماها
فسيف الله أدخلها المنايا   وهدَّم ركنها وحَوى قراها ..إلخ.

وفي ***الاستيعاب***: لما ولَّى عمر أبا عبيدة وعزل خالدًا ولَّى أبو عبيدة حين فتح الشام يزيد بن أبي سفيان على فلسطين وشرحبيل بن حسنة على الأردن وخالد بن الوليد على دمشق وحبيب بن حسنة على حمص.

ما روي أن أحدهم اشترى شاة فأخذها يوما ليحلبها فبعرت على عينه ففقأها البعرُ. فترافع مع المشتراة منه فألزمه القاضي القود، فقيل له: و لم ذلك؟ فقال: لم يخبره أن باسْتِ شاته مِنجنيقا!. ومنها أن اثنين تبايعا في علية[1] واشترط المشتري على البائع أنها بكرٌ، فواضعاها عند رجل من أهل حمص يزعُمان أمانَتَه ـ كما يفعل بأمثالها ـ فباتت عنده فأتى المسجد سحرا، فلما اجتمع الناسُ للصلاة قال: يا أهل حمص أما تنتهون عن الغشِّ في البيع فإن الغشَّ في البيع حرام ومؤد للخراب، فقالوا: ما ذاك؟ فقال: جارية فلان التي اشتراها على شرط البكارة ثيب، فقالوا: وما يدريك؟ فقال: واضعاها عندي فوطئتها فوجدتها ثيبا.

ودمشق مدينة الشام التي هي أم مدنه وقراه، سميت ببانيها دمشق ـ أو دمشاق ـ بن النمرود، بناها لإبراهيم على نبينا وعليه السلام حين نجا من نار أبيه النمرود وفر بدينه من العراق إلى الشام، وخرج دمشق معه مؤمنا به. ويقال لها جلّق (بكسر الجيم واللام المشددة)، قال حسان بن ثابت:

لله درُّ عصابة نادمتهم دهراً بجلق في الزمان الأول

يعني ملوك غسان بني شِمْرٍ؛ وكان لهم ملكها من قيصر، ثم كانت في الإسلام دارَ مملكة بني أُمية، من معاوية الذي هو الأول منهم، إلى مروان الحمار الذي هو الأخير منهم. وإضافتها إلى الشام علَم لها، كما أن بغدادَ دارُ مملكة بني العباس ويقال لها بغدادُ العراق وكذلك صنعاء اليمن، قال:

---

(1) العلية: الرفيعة ضد الوخش.

أقام ببغـــدادِ العـــراق وشَوقُهُ لأهـل دِمشقِ الشام شَوقٌ مُبرِّحُ

وبغداد بناها المنصور أبو جعفر[1].

وَثَلَّ بِالْيَرْمُــوكِ عَرْشَ مُلْكِهِمْ فَارْفَضَّ فِي الآفَاقِ نَظْمُ سِلْكِهِمْ

ثل: أهلك وأمات. و**العرش**: الملك والعز.

يعني أن أبا عبيدة أو خالدا، على حسب ما تقدم، أذهــب **ملـك** الـروم وعزهم **باليرموك**، وهو وادٍ بناحية الشام بـه الوقعـةُ العظيمـة بـين المسـلمين والروم[2]؛ فهزِم الرومُ حتى **ارفض**: أي تفـرق في **الآفـاق**، أي الجهـات (أي النواحي) **نظمُ سلكهم**: أي جمعهم؛ شبَّه الجموع بالخرز المنظوم في السلك، فكما أن السلك يحوي الخـرز المنظـومَ فيـه فكذلـك جمـوع الجنـد يجمعهـا الملك، وهو المشبَّهُ بالسلك لأنه يجمـع القبـائل مـن الجُنـود بتدبـير أمورهـا وإصلاحها، وهذا التشبيه سائغ في كلام العرب.

يعني أن المسلمين باليرموك أذهبوا عزَّ الروم لكثرة من أهلكوا منهم إلا الشارد القليل، وكانوا أربع مائة ألف، وقتلـوا أمـيرَ الجيـوش وكـلَّ رئيـس

---

(1) ومعنى بغداد: عطية الإله، وفصاحتها ـ بالفارسية ــ بغـذاذ (بذالـين معجمتـين) ومنـه قـول المتنبي: ... **فانصاع لا حلبا ولا بغذاذا**

(2) وهو قريب من "الجولان" ويقع في منطقـة الحـدود الحاليـة بـين سـوريا والأردن وفلسـطين المحتلة، وبه سمي "نهر اليرموك" الذي يصب في نهر الأردن والبحر الميت. وكان مبـدأ هـذه الوقعة في خلافة أبي بكـر الصديـق، وتمـت في عهـد عمـر رضـي الله عنهمـا، والأكـثرون يعدونهـا في فتـوح أبي بكـر، وانتصـر فيهـا المسـلمون كمـا عودهـم الله تعـالى في تلـك الفتوحات العظيمة لتضافر جهودهم وإخلاصهم العمل لله تعالى.

وبطل.. وبقي قيصرُ ملكُهم في أقل الفريقين؛ وقدم عليه فارس فقال له: ما وراءك؟ فقال: الظفر أيها الملك، فقال: وا لله إنك لكاذب ولو كان ذلك لقدمت البشائر ولكِنَّكَ رجل أذهب عقلَه الفزعُ، ثم قدم رجل من العرب (عرب الروم) فقال: هذا رجل مشؤوم من قوم أهل شؤم، فسأله فلم يذكر له شيئا، حتى قدم رجل من البطارقة فأصدقه الخبر، فقال له: قد منعتني من اتباع نبيهم يوم جاءني كتابُه وقلت كيتَ وكيتَ.. فأمر بضرب عنقه فقتل.

وَعَاذَ فَلُّهُمْ بِكُلِّ مُرْهَقِ مُصَالِحٍ قَبْلُ وَلَمْ يُمَزَّقِ

قوله: **عاذ** (بالذال المعجمة): أي التجأ. **وفلُّهم**: منهزمهم. **والمرهق**: المحمل ما لا يُطيق. **وقبل**: أي قبل زحْفهم إلى اليرموك. **ولم يمزقهم** المسلمون، لأنهم رضوا وأقروا لهم بالجزية فتركوهم ولم يمزقوهم؛ لأنهم يدعون أولا إلى الإسلام ثم إلى إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن أبوْا هذين فالمنابذة والمناجزة حتى يحكم ا لله بينهما.

فلاذ هؤلاء المنهزمون بمن صُولح على إعطاء الجزية، كدمشق والأنبار وغيرهما من مُدُن الشامِ وقراها.

فَكَفَّ عَنْهُ خَالِدُ وَقَتَلاَ مِنْهُمْ عَرَمْرَمًا لَهُ تَسَلْسَلاَ

أي **فكفَّ خالد** بن الوليد **عن** هؤلاء المنهزمين لما وجدهم التجأوا إلى من صُولح قبلُ فتشفَّعوا إليه فيهم وقالوا: إن هؤلاء قد دَخلوا علينا فكانوا منا: لهم ما لنا وعليهم ما علينا فهم داخلون في صلحنا معكم. وذكر

خالدا لأنه الذي تتبعهم **وقتل عرمرما:** أي جيشا من روم اليرموك **تسلْسلوا:** أي طرحوا أنفسَهم في السلاسل لئلا يفــروا، ثقــةً منهــم بهزيمــة المسـلمين، لكثرتهم؛ لأنهم ينيفون على أربعمائة ألف، فتسلسل منهم ثلاثون ألفا كل عشرة في سلسلة، فقتل خالدُ جميعَهم حتى لم يُبق منهم أحدا.

وَهَلَكَــتْ مائَــةُ أَلْفٍ سَقَطَتْ فِي هُــوَّةٍ وَمَا دَرَى أَن هَبَطَتْ
آخِرُهُمْ حَتَّى انجَلَى الضَّبَابُ فَعَدَلُوا عَن صَوْبِهِمْ وانسَابُــوا

الهوة: الوهدة من الأرض الغامضةُ. يعني أن الأربع المائة الألف هلكـت منها **مائــة ألــف ســقطت في هــوة** مــن جبــل، لأن اليــومَ فيــه ضَبــاب كثيــفٌ واختلط به غبارُ القتال حتى أظلــم الزمــنُ فكــان الهــارب لا يُبصــر أمامــه، فوقع المنهزمون في هذه الهوة وكل من وقع فيها يموت، ولا يشعر تابعه بمــا وقع له فيموت بموته.. حتى وقعت منهم مائة ألــف في تلــك الهــوة. حتــى صحا النهــارُ وبــان الضــوءُ لآخرهــم **فعدلــوا:** أي حــادوا عــن **صوبهــم:** أي جهتِهم التي كــان أولُهــم قاصدَهــا فســقط في الهــوة، **وانســابوا:** أي ســاروا هاربين. فعثر المسلمون على من سقط في الهوة؛ فأرســل إليهــم أبــو عبيــدة أوسَ بــن ثــابت يعدهــم فمــا عدهــم إلا بــالقصب فوجدهــم مائــة ألــف؛ للمسلمين الأجْرُ والرَّاحَةُ في موتهم بغير مباشرة قتل.

وَبَعْــدَهَا أُمِــدَّ مَــن بِفَارِسِ يَكَادُ يُحْطَمُ لَدَى الْقَــوَادِسِ
بِجُندِ خَالِــدٍ وَخَالِــدُ بِــــهِ ضُــنَّ وَأُمِّــــرَ مَكَانَ النَّبِــهِ

عَلَيْهِ هَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ السَّرِي   وَفِيهِمُ الْقَعْقَاعُ أَيْضًا الْجَرِي
عَزَّ بِهِ الدِّينُ وَعَزَّ أَهْلُهُ   لاَ يُهْزَمُ الْجَيْشُ وَفِيهِ مِثْلُهُ

أي **بعد** غزوة اليرموك بعث عمر إلى خالد أن **يمد** سعد بن أبي وقاص بنفسه وبجنده الذي قدم به على الشام، وسعد محاصر الفُرسَ بالقادسية؛ وجمعها على **القوادس** وهي مفردة[1]، وذلك كقول ورقة:

ببطن المكتين على رجاء ..إلخ (يريد مكة).

ومَن: نائب **أُمِدَّ**. **وبفارس**: متعلق **بيحطم**. **ولدى**: عند القادسية، وهو موضع بالعراق به الوقعةُ المشهورة التي ماتَ فيها رُستُمُ واستؤصلتِ الفرس. **وبجند خالد**: متعلق بأمد. **وخالد**: مبتدأ وخبره **ضن** ونائبه الجار والمجرور المحذوف الدال عليه **به** قبله، أي **ضَنَّ** بخالد عن المسير إلى العراق[2] المسلمون المجاهدون ـ أهلَ الشام ـــ لكثرة غَنائه، لشجاعته وإصابة رأيه ويمن نقيبته، ولأن الرومَ عنده كالكلاب لا يبالي بكثرتهم؛ سمع يوما رجلا يقول: ما أكثر جيش العدو وأقل جيش المسلمين، فقال له خالد: لا تقل

---

(1) يحتمل أنه جمعها باعتبار ما حولها، أو بأن جمعه لها من باب قول ابن بونا:

ومظهر الجمع لغيره وقع

على حد قولهم: "شابت مفارقه"، وكلاهما شائع وسائغ.

(2) يعني أن عمر بعث إلى خالد بعد وقعة اليرموك أن يمد سعد بن أبي وقاص بنفسه وبجنده الذي قدم به على الشام، ثم بعث إليه أن يسير جنده إلى سعد ويؤمر عليه مكانه هاشم بن عتبة، وأمره هو أن يقيم مع المجاهدين بالشام لكثرة غَنائه..

ذلك بل ما أكثر جيش المسلمين وأقل جيش الكافرين.. وددت وا لله أن الأشقر برئ من الحفا وكانوا أضعافَهم (يعني بالأشقر فرسه).

وقوله: **وأمر مكان النبه**: أي العاقل، يعني خالدا. **عليه**: أي على جيشه. **هاشم بن عتبة** بن أبي وقاص، وسيأتي الكلام عليه إن شاء ا لله في محله. **والسري**: السيدُ. **وفيهم**: أي في جُندِ خالد، **القعقاعُ** بن عمرو التميمي، الذي قال: شهدت وفاة النبي ﷺ، ولم يذكر له من الصحبة غير ذلك[1]، وأما أخوه عاصم فذكره صاحب الإصابة في الصحابة جزْمًا. **والجري**: أي الجريء على الأعداءِ. قوله: **عز به الدين**: أي بالقعقاع. **وعز أهله**: أي أهل الدين. وقوله: **لا يهزم الجيش**: من كلام عمر بن الخطاب، قال: لا يهزم جيش **فيه مثلُ** القعقاع[2].

---

(1) وكان القعقاع هذا أحد فرسان العرب وشجعانهم وشعرائهم، وقد قال فيه أبو بكر: لَصَوْتُ القعقاع في الجيش خير من ألف رجل، ولما حاصر خالد الحيرة استمد أبا بكر فأمده بالقعقاع بن عمرو وقال: لا يهزم جيش فيه مثله، وكان على كردوس يوم اليرموك وهو القائل (من أبيات):

يدعـــون قعقاعا لكل كريهة فيجيـــب قعقاع دعاء الهاتف

وشهد فتح دمشق وأكثر فتوح العراق، وله في ذلك أشعار مشهورة، وله في قتال الفرس بالقادسية وغيرها بلاء عظيم. وذكر أنه حمل في يوم ثلاثين حملة يقتل في كل حملة بطلا، وهو الذي غنم في فتح المدائن أدراع كسرى، وكان فيها درع لهرقل ودرع لخاقان ودرع للنعمان وسيفه وسيف كسرى.. فأرسلها سعد إلى عمر.

(2) ولما ذكر أن من ضمن أبطال هذا الجيش القعقاع بن عمرو وذكر كلام عمر فيه، أو كلام

<<=

وَكَمْ لَهُ مِـــنْ حَمْلَةٍ مِّنْهَا الَّتِي   أَغْرَتْ حُمَاةَ الْحَــقِّ بِالْفِيَلَــةِ
إِذِ اشْتَكَى سَعْـدٌ إِلَى الأَبْطَالِ   مَا لَقِيَ الْجَيْـــشُ مِنَ الأَفْيَالِ

كم للتكثير أو للتعجب. **والحمْلة**: الكَرَّة في الحرب. **والحق**: الإسلام، **وحماته**: مانعوه؛ يعني الصحابة وتابعيهم بإحسان، أي جيوش المسلمين.

يقول وكم للقعقاع من كرة في الحرب يُتعجب منها. ومن كراته كرتُه التي **أغرت** المسلمين **بفيلة** الفرس في القادسية، حين قدم في جيش خالد الذي عليه هاشمُ بن عتبة، فكان المسلمون لا يكادون يقربون جيوش فارسَ لأنهم يقدمون إليهم الفيلة فتنفر منها الخيل وتعلو ركَّابُها[1] على الرجال ولا يوصل إليها. فهال المسلمين **وسعدا** أمرُ الفيلة فجمع إليه ليلةً الشجعانَ **والأبطال** فقال: من يكفينا هذه الفيلة فقد لقينا منها ما ترون؟ فقام إليه القعقاعُ وقال له: أصلح الله الأمير إنا لا خِبْرة لنا بالفيلة إذ ليست بأرضنا فاسأل أهل الخبرة بها، إن كان لها مقتل فقد كفيتها وإلا فأشر إلينا بما نفعل من أمرها، فسأل سعد عنها هل لها مقتل؟ فقيل له: عينُ الفيل مقتل له وكذلك مِشفرهُ ويده التي يتناول بها. فلما أصبحوا غدوا على قتال فارس.

<< - -

أبي بكر ـ كما في *الإصابة* ـ وهو: "لا يهزم جيش فيه مثل القعقاع"، استطرد ذكر بعض حملاته العظيمة الدالة على شجاعته؛ وأتى بـ"كم" الدالة على التكثير والتعجب، فقال رحمه الله وعفا عنه:

(1) أي تعلو رُكابُ الفيلة على الرجال فلا يوصل إليها، مع تحطيمها لكل ما مرت به.

فَقَامَ هُــوَ وَأَخُــوهُ عَاصِــمُ وَكَاسْمِهِ كَانَ: شُجَاعُ عَاصِــمُ

لِلْفِيلِ الاَبْيَضِ فَجَـزَّا مِشْفَرَهْ وَفَقَآ مُقْلَتَــهُ فَنَفَّـــرَهْ

وَكُلَّ الاَفْيَالِ الَّـــذِي دَهَاهُ فَانهَــزَمَ الْجَيْــشُ لِمَا رَآهُ

كاسمه: خَبَر كان مقدم. **وشجاع**: شديد القلب عند البأس، وفيه سبع لغات (كغُراب وسحاب وأمير وكتف وكتاب وعِنَبَة وأحمد). **وعاصم**: مانع. **وشجاع عاصم** يحتملان أن يكونا بدلا من **كاسمه** مراعاة للمحل الأول، أو يكونا خبري مبتدأ محذوف، أي هو شجاع عاصم، أي شديد الغلبة مانع لما حمى[1]. **والفيل الابيض**: هو عظيم الفيلة وقائدها ومقدمها. **وجزا مشفره**: قطعا شاربه؛ وكانا قد اختبآ له في طريقه حتى مرَّ بهما فقاما إليه فضربه القعقاع بالسيف فقطع شاربه، وطعنه عاصم في عينه؛ فأدبر يهرول والقعقاع يقول:

يا أيها الخلــق الكبير نَفَّـرَكْ أنّي قطعــتُ بالحُسام مِشفَرَكْ

---

(1) وفي البيت رواية أخرى بسكون الروي ونصب **شجاعا**، فيكون ضمير "هو" مؤكدا للضمير المستتر في قام العائد على القعقاع، وأخوه عطف عليه، **وعاصم** الأول بدل من **أخوه**، **وكاسمه** متعلق **بكان** بعده، **وشجاعا** (بالنصب): خبر كان، واسمها ضمير مستتر عائد على عاصم، **وعاصم** الأخير معطوف على شجاعا بحذف العاطف أو خبر ثان لكان، ومعناه مانع لما حمى شديد الغلبة؛ ووقف عليه بوقف ربيعة ـ يقفون على المنصوب المنون بالسكون ـ أي فقام للفيل الأبيض القعقاع بن عمرو وأخوه عاصم، الذي كان شجاعا مانعا لما حمى، فجزَّا مشفره وفقآ عينه فولّى يهرول وسقط ميتا، فكان نفوره نفورا لجيمع الفيلة فانهزم جيش الفرس للداهية التي أصابته بقتل كبير فيلته ونفور بقيتها.

فهرول غير بعيد فسقط ميتًا، فبنُفُوره نفر جميعُ الفيلة وهي سبعة.
ودهاه: أصابه بداهية، وهي هنا القتلُ للفيل؛ وأي داهية أعظمُ من القتل؟.
ولما قتل الفيلُ الأبيض ونفرت الأفيالُ من قتله **انهزَم** جيش الفرس للذي رآه من الداهية، أي الأمر العظيم من قتل الفيل الأبيض ونفور سائر الأفيال[1].

والْحَمْلَـةُ الَّتِي بِهَا عَنْ خَالِدِ مَـزَّقَ كُـلَّ مَارِدٍ مُّجَالِـدِ

يعني ومن كَرَّات القعقاع المحمودة أنه رأى يوما **خالدَ** بن الوليد احْرَنْجَمَتْ عليه مقانب[2] العجم حتى كادت تُدهشه ـ لو كان يدهش ـ وضيقت عليه، فحمل عليهم القعقاعُ حتى فرقهم عنه وأزالهم. وفي ذلك يقول بعد ذلك، وقد وقع بينه وبين خالد شيء:

منعْتُك من قَرْنَيْ قباذ وليتني تركتُك فاستولتْ عليك المقانِب

وصَالَحَ الْفَارُوقُ إِيلِيَاءَ بِنَفْسِهِ وَإِذْ لَهُمْ تَرَاءَى
عَلَى بَعِيرٍ رَوَّعَتْهُمْ رُؤْيَتُهْ إِذْ عِندَهُمْ كَمَا رَأَوْهُ صِفَتُهْ
وَأَنَّهُ يَفْتَحُهُمْ، وَجَاءَهُ مُؤَمَّنٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَهُ

إيلياء: مدينة الشام التي بها بيت المقدس. وأول من بنى مسجدَ بيت المقدس: داود عليه السلام ورفعه قامة رجل، فكمَّله سليمانُ، فبناه بناءً لم

---

(1) ثم ذكر الناظم حملة أخرى من حملات القعقاع العظيمة، فقال رحمه الله:
(2) احرنجم القوم: اجتمعوا وازدحموا، والمِقْنَبُ: جماعة الخيل تجتمع للغارة؛ جمعه مقانب.

يُر مثلُه قط، وكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلةَ البدر، واتخذ اليومَ الذي فرغ فيه من بنائه عيدًا. ولم يزل على ما بناه سليمان إلى أن غزاه بخت نصَّر فخربه وأخذ ما كان في سقفه وحيطانه إلى دار مملكته، ولم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقيل أول من بناه آدمُ، وبين بنائه وبناء المسجد الحرام أربعون سنة، وإنما كان داود وسليمان مجدديْن له (اهـ من القسطلاني).

وتراءى لهم: ظهر لهم حتى رأوه. **وصفته**: مبتدأ خبره **عندهم**. **وأنه يفتحهم**: عطف على صفته.

صلح أهل بيت المقدس

يعني أن المسلمين لما فرغوا من اليرموك دَلفوا على إيلياء فتحصن أهلُها منهم بالحصون وامتنعوا من مصالحتهم ومناجزتهم، حتى يصالحوا الإمام الأعظم، يعنون عمر بنَ الخطاب رضي الله عنه؛ وذلك منهم مَكيدة يريدون بها رُؤية عمر إذ كانت عندهم صفة من يفتحهم، وإذا رأوه ووجدوه كَمَن عندهم صفته صالحوه على ما يريد منهم وإن لم يكن ذلك امتنعوا من صُلحه. فبعث أبو عبيدة بذلك إلى عمر، فاستشار عثمان فأشار عليه أن لا يقدم عليهم واستشار عليا فأشار عليه بأن يقدم عليهم، وكان إذا اختلفا عليه تبع رأي علي لقرابته من الوحي. فسار إليهم في جيش، فلما قرب منهم قال له المسلمون: يا أمير المؤمنين هؤلاء الذين أنت قادم عليهم العجمُ ويعرفون ملوكهم بِلُبْسِ التيجان ومفاخر اللباس وركوب البراذين فالبس لهم لباسا حسنا وعمامة واركب برذونا، ففعل؛

فلما هرول به البرذون ونظر إلى اللباس عليه قال: هذا شيطان! فنزل عنه وركب ناقته[1] مخطومة بحبل من ليفٍ ولبس مسوحهُ، وتلك صفته التي عند أهلِ إيلياء؛ فلما رأوه عليها صالحوه بما أرادَ.

وجاءه الرجل الذي كتب له الأمان في الجاهلية؛ وذلك أنه كان قد سافر في الجاهلية في تجارة من قريش إلى الشام، فأتاه يوما علجٌ من مدينةٍ من مدُن الشام كان يبيع فيها فوضع ثوبا في عنقه فاستقاده به، وجاذبه عمر فقال له من معه: لا بد لك من ذلك، فطاوعه، وأدخله في خربة فيها كثيبٌ من تراب وقال له: احفر لي بئرا تحت هذا الكثيب! وخرج عنه، فلم يزل عمر جالسا و لم يصنع شيئا إلى أن أتاه العلج بعد طول، و لم يجده صنع شيئا، فقال له إلى كم لا تفعل ما أمرتك به؟ ولكمه لكمة شديدة، فقال عمر في نفسه وا ذلا لأمك يا عمر! ما بلغ بك حب الحياة.. فعقد

---

(1) ورد في النظم أن عمر تراءى لأهل إيلياء على بعير، وذكر في الشرح أنه على ناقة مخطومة بحبل من ليف؛ وكل هذا قد ورد في كتب السير، ففي **الكامل** في حوادث سنة خمس عشرة أن عمر رضي الله عنه قدم الشام أربع مرات الأولى على فرس والثانية على بعير.. إلى أن قال: فركب فرسه فرأى به عرجا فنزل عنه وأتي ببرذون فركبه فجعل يتجلجل به أي يزهو في مشيه فنزل عنه ثم ركب ناقته. ولكن الخطب في هذا سهل لأنَّ البعير في اللغة يطلق على جنس الإبل فتستوي فيه الناقة والجمل والصغير والكبير؛ ففي **الدميري** في مادة البعير: هو اسم يقع على الذكر والأنثى وهو من الإبل بمنزلة الإنسان من الناس، وحكى عن بعض العرب: "صرعتني بعيري" أي ناقتي وشربت من لبن بعير، ثم قال: ولو أوصى (الميت) ببعير لتناول الناقة على الأصح ـ [اهـ من الدميري باختصار:119/1 و133 ومثله في فقه اللغة للثعالبي].

أصابعه وضربه على اليافوخ حتى تناثر دماغه. فخرج عمر خائفا مختفيا حتى أجهده العطش، فرُفع له دير فدخله وأوى إلى ظل جدار، وهو مجهود بالعطش والإعياء؛ فأتاه ربُّ الدار فسأله عن خبره؟ فقال: رجل من العرب كنت في تجارة ففارقت أصحابي فأضللت الطريق فأجهدني العطش، فأتاه الرجل بالشراب، فلما شرب قال له الرجل بعدما صعَّد فيه النظر وصوبه: إنك الذي تفتحُ أرضنا هذه فإن كان معك غيرك وأنت طليعة فعسى أن يكون ذلك حضَر وإن كنت وحدك كما زعمت فلعل ذلك إلى أجلٍ متأخر، وسل حاجتك واكتب لي الأمان منك إذ ذَّاك، فأتاه بالطعام والشراب الجيدين، فامتنع عمر أولا من الكتْب له، فقال: اكتب لي ولا يضرك إن كتبت حروفا في رَقٍّ يكون هذا أو لا يكون، فكتب له عمر وكساه الرجل وعرض عليه المالَ، فلم يقبل عُمَرُ إلا الكسوةَ والشراب والطعام، فأوقف له أتانا وقال له: اركب عليها فإنها تقدم بك على أصحابك فإذا قدمت عليهم فالطم وجهها فإنها تأتيني.

فلما قدم عمر على إيلياء أتاه الرجل بكتابه، فاستشار الصحابة فقبِلوا له ذلك.

ولما رجع عمر من إيلياء إلى المدينة تَلَقَّتْهُ الصبيان من أهل المدينة فخيَّرهم بين أن يكسوَهُم كلهم أو يسرحهم يومين بليلتيهما لا خطاب للمعلم عليهم، فاختاروا التسريحَ فكان ذلك شرعا أبدا، ودعا عمر بالبركة لمن لا يخاطبهم في ذينِك اليومين وهما يوم الخميس ويوم الجمعة والليلتان ليلة الجمعة اتفاقا وهل الثانية ليلة الخميس أو ليلة السبت؟ ودعا

على من خاطبهم فيها بعدم البركة فيما يأخذ منهم[1].

(كِلاَ الْعَتِيقِ وَخَدِيجَةَ السَّلاَمْ   يُقْرِئُـهُ جَلَّ جَلاَلُهُ السَّلاَمْ)

تقدم هذا البيت في ذكر أبي بكر، وإنما أعاده لطول العهد بالكلام على أبي بكر حتى لا يدري القارئ فيمن كان الكلام، فأعاد البيت ليرتِّبَ عليه ذكرَ أولاد أبي بكر وما بقي مما يذكر من خبره، وقصد به أيضا التلذذ بذكر مدح أبي بكر، لاسيما بهذه الْخَصْلَة.

ذكر بعض مناقب أبي بكر رضي الله عنه

وأبو بكر أهل لذلك، وكفاه مدحا إردافُ الله تعالى له بالنبي ﷺ في هذه الآية[2]: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ هما النبي ﷺ وأبو بكر، وجمعهما في الضمير بقوله ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ وأضافه إليه بالصحبة في قوله ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ وجمعهما أيضا في ضمير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، وأثنى عليه ووعده في قوله جل وعلا: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ إلى آخر السورة[3]، ولا يخلف الله وعده، ووصفه عز وجل بالفضل في قوله تعالى:

(1) ولما فرغ الناظم من استطراد بعض فتوحات الخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما رجع إلى الكلام على أبي بكر الذي كان بصدده، فقال رحمه الله وعفا عنه:

(2) التوبة: 40.

(3) سورة الليل: 17 ـ 21.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾[1]، ووجده يوما عليٌّ مع رسول الله ﷺ فتنحى عن علي حتى جلس بينهما فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «إنك يا أبا بكر من أهل الفضل إنما يعرف الفضل لأهل الفضل أولو الفضل»[2]، ونزل جبريل على النبي ﷺ بالإذن في الهجرة بقوله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ - الآية[3] - فقال: «من يخرج معي»؟ فقال جبريل: "أبو بكر الصديق"؛ إما أن يكون أتى به من عند الله أو سماه به جبريل.

ومن أسمائه *ذو الخلال*، لأنه أنفق ماله على رسول الله ﷺ حتى لم يبق معه إلا عباءة تخلل بها، فسمي *ذا الخلال*، فنزل جبريل على النبي ﷺ فقال له: قل لأبي بكر ربك يُقْرِئُكَ السلام ويقول لك أراض أنت علي في فقرك هذا أم ساخط؟، فبكى أبو بكر وقال: أعلى ربي أسخط؟. ومن أسمائه أمير الشاكرين لقوله تعالى ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[4]، وهم مقاتلو أهل الردة حتى ردوهم إلى الإسلام وأميرهم أبو بكر. قالوا: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر في قتال

---

(1) النور: 22.

(2) ذكره في *اللآلي المصنوعة*، *والجامع الصغير*. وعزاه الخطيب لابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها، وله لفظان قال فيهما السخاوي: "الحديثان ضعيفان ولكن المعنى صحيح".

(3) الإسراء: 80.

(4) آل عمران: 144.

أهل الردة، وعمر بن عبد العزيز في رد مظالم بني أمية، والمتوكل في حسم البدعة بالقول بخلق القرآن. ويكفي أبا بكر شرفا وفضلا تسميتُه بخليفةِ رسول الله ﷺ. ولنثن العِنان عن مناقب أبي بكر وفضائله إلى ما كنا فيه.

مِن نَّسْلِ ثَانِي اثْنَيْنِ جَاحَ اثْنَانِ مُحَمَّدُ وَمُشْبِهُ الْجُمَانِ
جَرِيحُ "وَجٍّ" وَتَوَى بَعْدَ النَّبِي ...

وج: وادٍ بالطائف به وقعة الشَّدْخة بين النبي ﷺ وثقيف، استشهد فيها رجال من أجلّة قريش. **وتوى**: مات. يعني **بمشبه الجمان**: عبدَ الله، لما يقال عنه إنه من أجمل قريش. يقول **جاح من نسل** أبي بكر عبدُ الله ومحمد. **وجاح**: هلك وانقطع.

أما عبد الله فلم يترك ولدا، وقيل ترك أولادا و لم يبق منهم أحد[1]، وكان قديمَ الإسلام. وكان يأتي النبي ﷺ في الغار بأخبار قريش ثم يصبح بمكة حتى لا تظن قريش أنه خرج عنهم[2]، ثم هاجر، وقيل إنه لم يشهد

(1) من ولده إبراهيم بن عبد الله، ولإبراهيم من الولد إسماعيل وهو آخر ولد عبد الله وانقرض عنده عقب عبد الله - [قاله ابن حزم]. وقال ابن قدامة: انقرض عقب عبد الله بن أبي بكر وآخرهم إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله - [اهـ منه]. وقال الزبيري في *نسب قريش*: انقرض ولد عبد الله بن أبي بكر الصديق وكان له ولد فلم يبق منهم أحد. وفي كتاب *أنساب الأشراف* للبلاذري: ولد عبد الله بن أبي بكر الصديق إسماعيل فهلك ولا عقب لعبد الله.

(2) وهو إذ ذاك غلام شاب فطن، ولما بلغه وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر المدينة خرج بعيال أبي بكر وصحبهم طلحة بن عبيد الله - [قاله في الإصابة].

إلا الفتح وحنينا والطائف؛ ويبعد عندي هذا القولُ. وجرح بالطائف فاندمل جرحه ثم انتقض بعد وفاة النبي ﷺ ومات منه في السنة الأولى من خلافه أبيه[1]، وكانت عنده عاتكة الشهداء بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وكان بها معجبا حتى شغلته عن أبيه[2] فأمره بطلاقها فطلقها، فتبعتها نفسه؛ وفيها يقول:

يقولون طلقها وأصبحْ مكانها	مقيما تمني النفس أحلام نائم
وإن فراقي أهل بيت جمعتهم	على كبرٍ مِني لإحدَى العظائم
وإني وأهلي كالعَجول تروَّحت	إلى بَوِّها قبلَ العشار الروائم

وفيها يقول:

أعاتكُ لا أنساك ما ذر شارق	وما ناح قُمري الحمام المطوقُ
ولم أر مثلي طلق اليوم مثلها	ولا مثلها في غير جرم يُطلق

فأمره بارتجاعها فارتجعها ومات عنها، ورثته بقولها[3]:

(1) كان ذلك في شوال سنة إحدى عشرة وصلى عليه أبو بكر ونزل في قبره عمر وطلحة وأخوه عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهم، والسهم الذي رمي به رماه به أبو محجن الثقفي - [ابن قدامة في نسب القرشيين]. وعن أبي محجن قال: السهم الذي رمي به عبد الله أنا بريته ورِشته ورميته به ثم رزق الله الإسلام - [أنساب الأشراف].

(2) وكانت عاتكة هذه حسناء جميلة ذات خلق بارع.

(3)

رزئت بخير الناس بعد نبيهم	وبعد أبي بكر وما كان قصرا

فآليت.. ألخ.. وبعده:

فلله عينا من رأى مثله فتى	أكرَّ وأحمى في الهياج وأصبرا
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها	إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

فآليـــت لا تنفك عيني حزينةً عليك ولا ينفك جلـديَ أغـبرا

وعبد الله شقيقُ أسماء؛ أمهما قتيلة بنت الحارث بن فورك من بني عامر بن لؤي[1]، وفدت على ابنتها أسماء بالمدينة فقالت أسماء للنبي ﷺ: إن أمـي وفدت علي وهي مشركة أفأصلها؟ قال: «نعم»[2].

وأما **محمد** فأمه أسماء بنت عميس، ولدته بذي الحليفة حين أحـرم النبي ﷺ بحجة الوداع فمنعها النفاس من الطـواف، كمـا منـع الحيـضُ عائشـة؛ وكانت مضطجعة مـع النبي ﷺ فأحسـت بـالحيض فجعلـت تضـم عليهـا ثيابها فقال: «أَنُفِسْتِ»؟ قـالت: نعـم، فقـال: «حَلْقَـى عَقْـرَى»[3]، وهـي كلمة تقولها العرب لفاعل الشر، ومعناها الدعاء بالذبح والعقر، لأن الحلـق موضع الذبح؛ ولا يريد بها النبي ﷺ الدعـاء عليهـا[4] ولكـن كـإيراد المثل

---

(1) وللزبيري في *نسب قريش*: أم عبد الله وأسماء ابني أبي بكر: قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي. ومثله أيضا في كتاب *أنساب الأشراف* *وتاريخ الطبري* وغيرهما..

(2) رواه مسلم.

(3) رواه البخاري والنسائي وابن ماجه.

(4) بل هو على مذهب العرب في الدعاء على الشيء من غير إرادة لوقوعه. ومعنى عقرى: أي تعقر قومها أو عقر الله جسدها، ومعنى حلقى: حلقها الله أي أصابها بوجع في حلقها أو حلق شعرها، وقيل: معناه تعقر قومها وتحلقهم بشؤمها وتستأصلهم. والمعروف أنه صلى الله عليه وسلم إنما قال هذا لأمنا صفية رضي الله عنها يوم النفر حين قيل له إنها حائض فقال: «عقرى حلقى ما أراها إلا حابستنا». فقد أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا نُرى إلا أنه الحج فلما قدمنا تطوَّفنا

<<=

كقوله: «تربت يداك»[1] ونحوها.. ولو أراد الدعاء عليها لكان دعاء لها، لقوله صلى الله عليه وسلّم: «اللهم اجعل دعائي عليهم دعاء لهم»[2]. فلما أتم النبي ﷺ حجه وطهُرت عائشة من الحيض أمر أخاها عبدَ الرحمن أن يردفها على جمل إلى التنعيم، وهو أقرب مواضع الحل، فأحرمت بعمرة.

ثم تزوجت أسماء بنت عميس بعد أبي بكر بعلي وولدت له يحيى

>> --

بالبيت فأمر النبي صلى الله عليه وسلم من لم يكن ساق الهدي أن يحل فحل من لم يكن ساق الهدي، ونساؤه لم يسقن فأحللن، قالت عائشة: فحضت فلم أطف بالبيت، فلما كانت ليلة الحصبة قُلتُ: يا رسول الله يرجع الناس بعمرة وحجة وأرجع أنا بحجة؟ قال: «وما طفت ليالي قدمنا مكة»؟ قلت: لا، قال: «فاذهبي مع أخيك إلى التنعيم فأهلّي بعمرة ثم موعدك كذا وكذا». قالت صفية: ما أراني إلا حابستهم قال: «عقرى حلقى أوَما طفت يوم النحر»؟ قالت: قلت: بلى، قال: «لا بأس انفري»، قالت عائشة: فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مصعد من مكة وأنا منهبطة عليها ــ أو أنا مصعدة وهو منهبط منها ـ وفي رواية قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال: «ما يبكيك يا هنتاه»؟ قلت: سمعت قولك لأصحابك فمنعت العمرة، قال: «وما شأنك»؟ قلت: لا أصلّي، قال: «فلا يضيرك إنما أنت امرأة من بنات آدم كتب الله عليك ما كتب عليهن فكوني في حجتك فعسى الله أن يرزقكيها ــ وفي رواية ــ: فاقضي ما يقضي الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت» ـ [رواه النسائي] ـ قالت: فخرجنا في حجة حتى قدمنا منى فطهرت ثم خرجت من منى فأفضت بالبيت، قالت: ثم خرجت معه في النفر الآخر ـ تعني رابع أيام منى ـ حتى نزل المحصب ونزلنا معه فدعا عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: «اخرج بأختك من الحرم فلتهل بعمرة».. إلى آخر الحديث ـ [البخاري].

(1) متفق عليه.

(2) ذكره عياض في *الشفاء*، ومعناه في صحيح مسلم.

ويزيد، فكان محمد بن أبي بكر في حجره وشهد معه الجمل وصفين واستعمله على مصر وقتله بها معاوية بن حديج (تصغير حدج بالمهملة) الكندي السكوني، بأمر عمرو بن العاص[1]. وإخوة محمد لأمه أسماءَ، غير ابني علي، بنو جعفر بن أبي طالب: محمد وعونٌ وعبد الله، ولدوا بالحبشة.

ولمحمد بن أبي بكر الصديق: القاسمُ الفقيه[2] وعبد الله، أمهما بنت يزدجرد؛ أعطاها علي لمحمد بن أبي بكر. وللقاسم: عبدُ الرحمن بن القاسم وأم فروة بنت القاسم[3]، وهي أم موسى الكاظم بن جعفر الصادق. ولعبد الرحمن بن القاسم: عبد الله[4] بن عبد الرحمن بن القاسم. ولعبد الله: محمد[5] بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر

---

(1) وكان لمحمد بن أبي بكر هذا عبادة واجتهاد، ولما بلغ عائشة قتله حزنت عليه جدًّا وتولت تربية ولده القاسم، فنشأ في حجرها فكان من أفضل أهل زمانه، وكان موت محمد في حياة أمه أسماء فكظمت الغيظ حتى شخب ثديها دما.

(2) والقاسم بن محمد هذا كان أحد الفقهاء السبعة الذين مر ذكرهم، وكان أفضل أهل زمانه واتفق على جلالته وإمامته وثقته وورعه وكثرة علمه، وحُمل عنه العلمُ. روى عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من خيارالتابعين. وتوفي سنة مائة وست وعشرين، وقتل أخوه عبد الله بن محمد بالحرة، كما في الزبيري.

(3) أمهما قريبة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان عبد الرحمن بن القاسم من أفضل أهل زمانه ومن الفقهاء الأجلاء وحُمل عنه العلمُ، كما في الزبيري.

(4) ولي عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم قضاء المدينة في عهد المنصور. كما في الزبيري *وأنساب الأشراف*.وفي الزبيري أنه قضى للحسن بن علي بن أبي طالب، إذ كان الحسن واليا للمنصور على المدينة.

(5) ولي محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم هذا قضاء المدينة في عهد المأمون ـ [قاله ابن حزم وغيره].

الصديق، علماء كلهم[1]؛ ثم انقرضوا في خلافة بني العباس زمن المأمون بن هارون الرشيد.

... وَعَابِدُ الرَّحْمَنِ سلْكُ النَّسَبِ
أَعْقَبَ نَسْلاً رَائِقًا وَكَمْ كَمِي عَفَّرَهُ كَابْنِ الطُّفَيْلِ مُحْكَمِ

يعني أن **عبدَ الرحمن** بن أبي بكر سلك عمود نسب آل أبي بكر. **أعقب**: أي خلّف. **نسلا رائقا**: معجبا لكرمه وكثرة العلماء فيه. **وكم كمي**: **كم** هنا خبرية كقولهم: كم رجل كريم جاءني، **والكمي**: الشجاعُ؛ وهو مرفوع لأن كم للخبر وهو مبتدأ خبره كم. **وعفره**: ضربه بالعفراءِ أي الأرض، أي قتله. وممن قتله من الكماة **محكم بن الطفيل** اليمامي، سيد بني حنيفة[2]، قتله عبد الرحمن يوم اليمامة على الأصح.

عبد الرحمن بن أبي بكر

وعبد الرحمن شقيق أمنا عائشة؛ أمهما أم رُومان - واسمها زينب - بنت عامر بن عويمر من بني الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة[3]، إخوة بني فراس بن مالك؛ ولذلك قال لها أبو بكر: ما هذا الطعام يا أخت بني

---

(1) ولعبد الرحمن بن القاسم من الولد أيضا إسماعيل بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنهم.

(2) وكان أحد أبطالهم الموصوفين بالبأس والشدة في قوله تعالى ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ - الفتح:16 - وقال فيهم خالد بن الوليد: ما لقيت قوما أشد منهم.

(3) وجدُّها عويمر هو ابن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم.

فَراس؟. أسلمت قديما وهاجرت وتوفيت سنة ثمان بالمدينة، ونزل النبي ﷺ في قبرها وصلى عليها ودعا لها وأثنى عليها كثيرا[1]. شهد عبدُ الرحمن بدرا مع المشركين، ثم أسلم في هُدنة الحديبية[2]، وكان في جاهليته يختلف إلى الشام في تجارة فرأى امرأة من غسَّان يقال لها ليلى بنتُ الجودي فهَوِيَها وكان يذكرها في شعره، وفيها يقول:

تذكرت ليلى والسماوة دونها فما لابنة الجودي ليلى وما ليا؟

وأنى تعاطي ذكرها حارثية تَدَيَّرُ بُصرَى أو تَحُلُّ الجوابيا[3]

وأنى تلاقينا بلى ولعلها إذا الناس حجوا قابلا أن توافيا

فلما غزا المسلمون الروم ظفروا بليلى بنت الجودي في السبايا فبعثوها إلى عبد الرحمن لما كان يذكرها، فكانت عنده إلى أن فارقها، و لم تلد له.

نَهْنَهَ عَنْهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَالِدَهْ نَبِيُّنَا إِذْ رَامَ أَن يُجَالِدَهْ

نهنهه عن الأمر: كفه عنه وزجره. **ووالده** (بالنصب): مفعول به لنهنه، وهو أبو بكر. **ونبينا**: فاعل نهنه. **ويجالده**: يضاربه.

---

(1) واستغفر لها وقال: «من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان» — [راجع البخاري في تاريخه وابن سعد وابن منده].

(2) وحسن إسلامه وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فتية من قريش قبل الفتح، وكان من أشجع قريش وأرماهم؛ ورمى محكم بن الطفيل بسهم في نحره، وكان محكم قد سد ثلمة من الحصن، فدخل المسلمون من تلك الثلمة، وشهد الجمل مع أخته عائشة وكان أخوهما محمد مع علي بن أبي طالب.

(3) تَديَّر المكان: اتخذه دارا، وفي رواية: تحل بِبُصرى..

يشير إلى أن عبد الرحمن يوم بدر دعا المسلمين إلى البراز، وهو إذ ذاك مع المشركين - قبل إسلامه - فقام أبو بكر يريد أن يبارزه، فقال له رسول الله ﷺ: «متّعنا بنفسك يا أبا بكر» ناهيا له عن برازه، لأن عبد الرحمن من أشجع قريش وأرماهم (قَتل يوم اليمامة سبعة من أكابر بني حنيفة مع محكم بن الطفيل وهو سابعهم). وبعد ذلك قال عبد الرحمن لأبي بكر - بعد أن أسلم -: استهدفتَ لي يوم بدر فصرفت عنك، فقال أبو بكر: وأنت يا بني لو استهدفت لي ما صرفت عنك. ومات عبد الرحمن سنة خمس وخمسين على أميال من مكة وحمل إليها على أعناق الرجال فدفن بها، وجاءت عائشة إلى قبره فبكتْ عليه[1].

عَن دِينِـهِ بِبَيْعَـةِ الْفُوَيْسِـقِ بِالْكُثْـرِ سِيـمَ وَأَبَاهَا الْمُتَّقِي

الفويسق: يعني به يزيد بن معاوية. و**المتقي**: عبد الرحمن بن أبي بكر. يعني أن عبد الرحمن أراد منه معاويةُ أن يبايع ليزيد - في حياة معاوية - فامتنع، ثم بعث إليه مع مروان بن الحكم مائة ألف درهم، وهي **الكثْرُ** الذي ذكر الناظم، وسيم بالأمر كلفه وطلب منه؛ فردها وأنف منها، فقال

---

(1) وتمثلت بقول متمم بن نويرة في أخيه مالك:

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقالت: والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت مكانك ولو حضرتك ما بكيتك.

ثم قال رحمه الله:

له مروان كلاما خشنا لا يليق بعبد الرحمن، منه: أيها الناس هذا الذي قال لوالديه أفٍّ لكما. وأعرض عنه عبد الرحمن أي الإعراض[1] ولم يزده كلامُ مروان عند الناس إلا إجلالا.

مِن نَّسْلِهِ الرَّائِــقِ جِداًّ سَيِّدِي أَحْمَدُ قُطْبُ سِجْلِمَاسَ الْمُهْتَدِي

سِجلماس: "تافلالت"، ضبطها مجد الدين في القاموس بكسرتين، ولكن العامة يقولونها بكسر السين فقط كما قال النـاظم. يريـد: **مـن نسـل** عبـد الرحمن: **القطبُ سيدي أحمد** الحبيب، وأضافه إلى **سـجلماس** لكونهـا أرضَـه، وأما هو فقطبانيته شاملة لأهل زمانه[2] ـ كما قال ـ كان ممن جال في جميع البلاد يطلب من هو أعلم منه ليزداد منه علمـا، فلـم يجـده (يعـني نفسـه)، وفيه دليل على المنكِر كون القطب لا يكون إلا بمكة.

ومن ولايته أن أهل سجلماس كلهم أتوه قبيل يوم العيد كل يسـأله أن يصلي بهم في قصرهم، فوعدهم كلَّهم فصلى بجميعهم؛ كل يزعم أنه فـاز بذلك عن جميع سجلماس، وقصورهم بعـدد أيـام السـنة ــ وهـي ثلاثمائـة وأربعة وخمسونَ ــ وقصرُ الشيخ منهـا "آبُغَـامْ"، وهـو الـذي فيـه سـوقُ

---

(1) وقال: لا أبيع ديني بدنياي؛ وخرج إلى مكة ومات بها قبل أن تتم البيعة ليزيد.

(2) جاء في *فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور*: أحمد الحبيب هو أبو العباس سـيدي أحمـد الحبيب اللمطي السجلماسي، قطب زمانه وولي الله تعالى كان شيخا عارفا تقيا عالما. وكان حيا عام أربعة ومائة وألف رحمه الله تعالى ـ [راجع ص: 37 ـ38ـ 186] وفيـه أيضـا: هـو القطب الصالح المقرئ المتفنن: ص/ 208 ـ 209.

تافلالت العظيم، وعند رأس الشيخ منقوش نسبةُ إلى أبي بكر: بينهما أربعة وعشرون جدا. ومن كراماته أن أحد تلامِذته حج مسكينا بلا راحلة وبلا زاد، بل في جملة الركب يسأل ويتطفل، فنام ليلة ـ وغلبه النوم ـ حتى فاته الركب، فاستيقظ ولا أحد؛ فسار غير بعيد فأجهده العطش والإعياء، فنادى: يا شيخ! فأتاه بزلافة ـ وهي إناءٌ من جيرٍ يتخذها أهلُ بلدهم ـ مملوءةً لبنا أحلى من العسل فشرب حتى روى ومدها فوق، فأعطاها له مملوءة ثريدا بلحم أطيب ما يكون فأكل حتى شبع؛ فتركها عنده وقال له: كلما احتجت إلى شراب أو طعام فارفع بها يدك، ثم جعل يده من وراء رأسه وقال له: غمض عينيك.. فقال: افتح عينيك، فإذا هو بالركب يضربون أخبيتَهم وتركه. ولم تزل عند التلميذ الزلافةُ وهي قدر ما يرويه أو يشبعه، إلى أن سُرِقَ مال لأمير الركب؛ فقيل له: في الركب مسكين كان يتطفل ويسأل ومنذ كثير ما سأل وما تطفل ـ وكان الشيخ عهِد إليه أن لا يُخْبِرَ أحدا بشأنه ـ فأخذه أمير الركب ولم يزل يعذبه إلى أن أخرج له الزلافة فأخبره بشأنها، فلم يرها بعد ذلك.

ومنها أن مات ملك المغرب فتنازع أهله في الملك، وكان بنوه يحبون ملك فلان منهم ويهابون أن يرفعوا ذلك إليه، فأخذوا المُصحف ودفعوه إلى غلام لهم وقالوا له: افتح هذا بين يدي الشيخ وقل له: بحق هذا ملك لنا فلانا، ففعل الغلام وسار غير بعيد، فقال له: قِفْ هناك! ثم قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾[1] وركز قدمه في

(1) آل عمران: 26.

الأرض، وملك الذي يحبون أن يملك، و لم يزل العبد واقفا حيث أمره بالوقوف لا يقدر أن يذهب ولا أن يرجع.. إلى أن أشار له أن يذهب، فلما ذهب سقط حائط كان يعلوه، لو لم يسر لسقط عليه[1]. ومن تلامذة الشيخ سيدي أحمد الحبيب: الشيخ عمر الخطاط[2] أدركنا آخر عمره.

ومن نسل عبد الرحمن بن أبي بكر: مجدُ الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي صاحب القاموس.

مُحَمَّدُ بْنُ عَابِدِ الرَّحْمَنِ إِلَى أَبِي قُحَافَةٍ عُثْمَانِ
صَحَابَةٌ وَابْنُ أَبِي عَتِيقِ سَلِيلُهُ أَشْهَى مِنَ الرَّحِيقِ
ذُو أَدَبٍ مُوَرَّثٍ عَنْ حَسَبِهْ وَأَدَبٍ مُكْتَسَبٍ مِّن كُتُبِهْ

---

(1) **تنبيه**: لقد دأب جل علماء الشناقطة ومؤلفوهم في الفترة ما بين القرن الحادي عشر والرابع عشر الهجريين في مجال ترجمة علمائهم وصلحائهم على ذكر الكثير من الحكايات الغريبة والروايات النادرة في نطاق سرد كراماتهم الكثيرة وبركاتهم الشهيرة، ومن أراد الوقوف على بعض ذلك فليراجع ما كتبه العلامة الكبير والمؤلف الشهير أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق في كتابه *فتح الشكور في أعيان علماء التكرور* وغيره من مؤلفاتهم التاريخية وغيرها.. رحم الله الجميع وأسكنه فسيح جناته.

(2) هو أبو حفص عمر بن محمد بن عمر بن أوبك البرتلي الملقب بالخطاط؛ كان أحد العلماء العاملين والفقهاء المشهورين، وكان مدرسا يقرئ الرسالة ومختصر خليل قراءة تحقيق، وكان كثير التلاميذ رفيقا بهم ورحيما لهم حاملا كَلهم. توفي رحمه الله في شعبان سنة ألف ومائة وست وتسعين للهجرة ـ [راجع: فتح الشكور]، وقد أدرك الشيخ حماد بن ألمين ـ صاحب هذا الشرح ـ حوالي ست وعشرين سنة من حياته. ومن تلامذة سيد أحمد الحبيب السجلماسي أيضا العالم العلامة، حامل لواء السبع، أبو محمد سيدي عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي. وتوفي سنة خمس وأربعين ومائة وألف رحمه الله.

وَالشَّيْءُ لاَ يَنبُـــتُ دُونَ أَصْلِ   والأَصْـــلُ لاَ يُثْمِرُ دُونَ فِعْلِ

يعني أن **محمد بن عبد الرحمن** بن أبي بكر بن **أبي قحافة**، هؤلاء الأربعة، توارثوا صُحْبَةَ النبي ﷺ كابرا عن كابر، ومثلهم في ذلك آلُ زيد بن حارثة صحب منهم أربعة أيضا، وهم محمد بن أسامة بن زيد بن حارثة. ومثل ذلك أيضا آل الطفيل بن عمرو، صحب منهم عبدُ الله بن عمرو بن الطفيل بن عمرو ـ الأربعة ـ الدوسيون.

يعني أن محمدَ بن عبد الرحمن يكنى أبا عتيق بابنه عتيق، وابنه عتيق غلبت عليه تسميتُه **ابن أبي عتيق** واسمه عبد الله؛ وأمه من بني فَراس.

ثم شرع يمدح ابن أبي عتيق فقال: **أشهى من الرحيق:** وهو أطيب الخمر وأفضلها، يعني لعلمه وأدبه وفكاهته ومجونه؛ وكان يصاحب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميَّ ويروي شعره. ومن مجونه أنه بعثت إليه زوجته بورقة فيها هجوُه تقول فيها:

أنفقــت مالَك في كـــ   ـــل زانية وفي الخمـــر

فأتى عبد الله بن عمر بالورقة فلما قرأها ابن عمر قال له: يا ابن أمير المؤمنين ما الرأيُ عندك فيمن هجاني هذا الهجو؟ قال: إن قدرت أن تعفو عنه، فقال: والله إن ظفرت به لأَنِيكَنَّه، فأعرض عنه ابن عمر. فكانَ كلما لقيه يقول له ذلك: ويزيد ابن عمر في الإعراض عنه حتى هجره؛ فلما رأى ابنُ أبي عتيق ذلك منه استغفله حتى ساره بأنها زوجتُه، فضحك ابن عمر وقال: زده من ذلك!.

وكان كثيرا ما يتمازح مع ابن أبي ربيعة ويلقى معه الثريا ويزورانها؛

ولما قال عمر:

من رســـــول إلى الثريا بـــأني ضقــت ذرعا بهجرها والكتاب

سار إليها ابنُ أبي عتيق فقال لها: إنَّ ابن عمك يزعُم أنه يحبك وأنه ضـاق ذرعًا بهجرك وحلف على ذلك، فسمع ذلك عمرُ منَ الثريا، فقال له: و لم ذلك؟ فقال: سمعتك تستغيث بمن ترسله إليها وعلمت أنك لا تجد رسـولا أنصح مني فبلغت عنك، فضحك عمرُ والثريا. ولـه يقـول عمـر في بعـض محبوباته:

لا تلمـني عتيق حسبي الذي بي إن بي يا عتيـــق ما قد كفاني

لا تلمني وأنـــت زينتـــها لي أنـــت مثلُ الشيطان للإنسان

وقال له يوما: أين ما تذكر من عفافك من قولك:

كلانا من الثـوب المورَّس لابسُ؟

قال: أصابتنا السماء يومًا ونحن في مكان كذا فأمرت غلمـاني أن يضربـوا علينا ثوبا عندهم مورسًا، فقال: بيتك يا عاهِرُ يحتاجُ إلى حاضنة!.

قوله: **ذو أدب**.. البيت: يعني أنه ورث الأدب، ومـن أدبـه العلـمُ؛ رواه من أجداده الذين هم أهله وهم **حسبه** الذي **ورث** عنه الأدب، ثم زاد على ما ورث من أدبِ حسبِه أدبَ تعلم العلـم، فصـار ذا أدبـين أدب الحسـب وأدب الكسب، **والأصل** إذا كان طيبا ثم أثمر فرعه طيبـا اجتمـع الطيبـان، وإذا انتفى الطيب عن الفـرع أو عـن الأصـل لم ينتفـع المنفـي عنـه بطيـب صاحبه بل **الأصـلُ لا يثمـر دون** أن يمطـر أو يسـقى، والثمـر لا يتـأتى دون أصل؛ والأكثر أن يأتي على صفة الأصل، طيبا كان أو خبيثـا، وابـن أبي

عتيق طاب ثمرهُ بعد طيب أصلِهِ[1].

وَعَمُّــــهُ عَبْــدُ الإِلَهِ تَحْتَهُ   عَائِشَـــةُ أوْلَـدَهَا طَلْحَتَـــهُ

أي **وعم** ابن أبي عتيق: **عبدُ الله** بن عبد الرحمن بن أبي بكر، كانت تحته **عائشة** بنت طلحة، وهو أبو عذرها، **وأولدها** أربعةً ذكورًا: أبا بكر **وطلحة** وعمران وعبد الرحمن، وكلهم أبو قبيلة إلا عبد الرحمن، ولم تلد له من النِّساء إلا نفيسةَ زوج الوليد بن عبد الملك. وكانت **عائشةُ** بنت طلحة تسكن عند خالتها أُمِّنا عائشة، وكان عبد الله بن عبد الرحمن يزُورُ عمَّتَهُ وهي عندها، وربما كان ذلك في رمضان، فتقول له: يا ابن أخي هذه زوجتُك قبلها فقد كان رسول الله ﷺ يقبلُني وهو صائم[2].

وكانت عائشة بنت طلحة من أجمل النساء وتسمى *الموصولة*، لأن كل عضو منها متصل بالآخر في الحُسن؛ وهي إحدى عقيلتي قريش اللتين سأل مُصعب بن الزبير الله - وهو متعلق بأستار الكعبة - الجمع بينهما ومُلكَ العراق فقدر له ذلك، والثانية سكينةُ بنت الحسين، وكانت تساميها ما دامتا تحت مصعب؛ وتحاكمتا يومًا إلى خالد بن صفوان فقال: أما أنت يا عائشة فأجمل وأما أنت يا سكينة فأملح، فقالت له عائشة: قضيت لها علي! وأرسلت إليها عائشة ذات ليلة والقمر منير: أيتنا تشبه هذا البدر؟

---

(1) وفي المثل: "من طاب أصله طاب فرعه" ومن كلام بعض الحكماء: أربعة تحتاج إلى أربعة؛ الحسب إلى الأدب والسرور إلى الأمن والقرابة إلى المودَّة والعقل إلى التجربة.

(2) متفق عليه.

فسكتت عنها حتى قام المؤذن آخر الليل فأرسلت إليها سكينة: هذا الداعي يشهد لجدي أم لجدِّك؟ وتزوجت عائشة بعد مصعب لعمر بن عبيد الله بن معمر، ولم تلد لأحد بعد عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر.

و**طلحة** الذي يقول الناظم هو طلحة الدراهم، سمي بذلك لجوده، وله يقول الحزينُ الدئلي، وكان قال له: ادخل السوق واختر عشر قلائص ويأتيني أهلها فأوفيهم أثمانها ففعل، وخرج يقول:

فإن تك يا طلحُ أعطيتني	**عُذافرة تستخف الضبارا**
فما كان نفعك لي مرة	**ولا مرتين، ولكن مرارا**
أبوك الذي صدق المصطفى	**وسار مع المصطفى حيث سارا**
وأمك بيضاء تيميةٌ	**إذا انتسب الناس كانت نُضارا**

وَهْيَ حَظِيَةُ وَبِنتُ أُخْرَى بِنتَا اللَّذَيْنِ بُشِّرَا بِالأُخْرَى

قوله **وهي**: يعني عائشة بنت طلحة. و**حظية** (كغنية): المحببة إلى الأزواج. وقوله **وبنت أخرى**: أي بنت حظية أخرى وهي أم كلثوم بنت أبي بكر، كانت حظية عند طلحة بن عبيد الله فأولدها زكرياء بن طلحة وعائشة ثم خلف عليها بعده عبدُ الرحمن الأحول بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، أخو عُمَرَ والقُبَاعِ، فولدت له عثمان وإبراهيم وموسى.

بعض مناقب طلحة بن عبيد الله

قوله: **بنتا اللذين بشرا بالأخرى**: أي وهما بنتا أبي بكر وطلحة بن عبيد

ا لله، اللذين بشرهما النبي ﷺ بالدار **الأخرى**، أي الجنة، يوم يقـول لبوابـه: «ائذن له وبشره بالجنة»[1]، وبشرهما أيضا بالجنة في غير ذلـك اليـوم؛ أمـا أبو بكر فلا يحتاج ذلك منه إلى ذكر لكثرة وقوعـه، وأمـا طلحـة فكذلـك أيضا؛ ومنه إسهامه له ببدر في الأجر[2]، ولقوله صلـى ا لله عليـه وسـلم لـه يوم أحد وهو يقاتل عنه: «أوجـب طلحـة الجنـة»[3] وقولـه: «مـن أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة»[4] وقوله: «لو لم يقل حسٍّ لدخل الجنة والناس ينظرون»[5] وقوله لأحُد حينَ أرجـف بهـم: «اثبت أُحد فإنما عليك نبي وصدِّيق وشهيد»[6] وفيهم طلحة[7] وغير ذلـك.

---

(1) متفق عليه.

(2) رواه ابن سعد.

(3) ابن حبان والطيالسي وابن سعد.

(4) الترمذي وابن ماجه والطيالسي.

(5) ذكره ابن الأثير.

(6) رواه الترمذي.

(7) وأبلى رضي ا لله عنه يوم أحد بلاء حسنا ووقى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم بنفسه واتقى النبل عنه بيده حتى شلت، وقال فيه رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يومئـذ: «لقـد رأيتني يوم أحد وما في الأرض قربي مخلوق غير جـبريل عـن يميـني وطلحـة عـن يساري».
وكان أبو بكر إذا حدث عن أُحُدٍ يقول: ذلك اليوم كله لطلحة، وقال فيه:

حمى نبي الهـــدى والخيل تتبعه ... حتى إذا ما التقـوا حامى عن الدين

صبرا على الطعن إذ ولت جماعتهم ... والناس ما بين مهـــزوم ومفتون

يا طلحـــة بن عبيد ا لله قد وجبت ... لك الجنان وكـم زوجت من عين

وقال فيه عمر:

<<=

وأمُّ أمِّ كلثوم: حبيبةُ بنت خارجة بن زيد بن أبي زهـير الخزرجيـةُ، وكـان أبو بكر عندها ليلة وفاة رسول الله ﷺ، أذن له في ذلك رسول الله صلـى الله عليه وسلم لَمَّا قال له: يا رسول الله هذه ليلـة بنـت خارجـة؛ فبـات عندها بالسُّنح، وهو موضع أهلها من المدينة.

بِنِحْلَـةٍ عَنِ الْقِيَاسِ خَارِجَهْ　　خَصَّ السَّخِيُّ بِنتَ بِنتِ خَارِجَهْ

النحلة (بالكسر ويضم): الصداق. **والخارج عن القياس:** هـو مـا جـاوز

>> - -

حمى نبي الهدى بالسيف منصلتا　　لما تولى جميـع الناس وانكشفوا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «صدقت»، وقال فيه حسان بن ثابت:

وطلحة يوم الشعب واسى محمدًا　　على ساعـة ضاقت عليه وجلت

وكان امام الناس إلا محمـــدا　　أقام رحى الإسلام حتى استقلت

وسمع عليٌّ رجلا ينشد:

فتى كان يدنيـه الغنى من صديقه　　إذا ما هو استغنى ويبعـده الفقر

فقال: ذلك أبو محمد طلحة بن عبيد الله، وقال فيه قبيصة بن جـابر: صحبـت طلحـة فما رأيت رجلا أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه. وكان رضي الله عنه أحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، وأحد الستة أهل الشورى، وأحد الثمانية السـابقين إلى الإسـلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الذين تـوفي النبـي صلـى الله عليـه وسـلم وهـو عنهـم راض، وكان معدودا في أهل بدر، وشهد جميع المشاهد بعدها وبايع بيعة الرضوان، وتزوج أربع نسوة عند النبي صلى الله عليه وسلم أخت كل واحدة منهن، هن: أم كلثوم بنت أبي بكر أخت عائشة، وحمنة بنت جحش أخت زينب، والفارعة بنـت أبـي سفيان، أخـت أم حبيبة ورقية بنت أبي أمية أخت أم سلمة، وقتل رضي الله عنه يوم الجمل هو وابنه محمـد. ومناقب طلحة رضي الله عنه لا تحصى..

الحدَّ لكثرته؛ وذلك أنه أصدقها ألف دينار، وذلك في غاية الكثرة في زمن الصحابة، لقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبي حدردٍ حين استعانه على صداق امرأة تزوجها: «كم أصدقتها»؟ قال: مائتا درهم، قال: «لو أنكم تجدون الدراهم في الجبال ما زدتم على مائتي درهم»، ومائتا درهم قيمتها من الذهب عشرون دينارا. وأصدق عمرُ عن ابنهِ عبد الله صفية بنت أبي عبيد خمسمائة درهم بعد ما كثرت الأموال عند الصحابة، فدس إليهم عبدُ الله مائتين من غير علم من عُمر فتم الصداقُ سبعمائة درهم وذلك سبعون دينارا. **والسخي**: يعني طلحة بن عبيد الله لشهرته بالسخاء. **وبنت بنت خارجة** هي أم كلثوم بنت أبي بكر. **وبنت خارجة**: هي حبيبة بنت خارجة بن زيد الأنصارية.

وَعَنْ أَبِي حَفْصٍ أَبَتْ كُلَّ الإِبَا ... وَبَعْضَ مَهْرِهَا اسْتَرَدَّ وَأَبَى
بَعْضُ النِّسَاءِ وبِهَا أَوْصَى الشَّفِيقْ ... . وَهْيَ جَنِينُ. أُمَّنَا بِنتَ الْعَتِيقْ

أبو حفص: عمر؛ كناه النبي ﷺ بذلك يوم بدر، وهي كنية الأسد (والحفص ولده)، وإنما كناه به النبي ﷺ لشدته. **وعن أبي حفص**: متعلق **بأبتْ**. **وكل الإبا**: مفعول مطلق معنوي. **وبعض مهرها**: مفعول به **لاسترد**. **وبعض النساء**: فاعل أبى الأخير من البيت. **وبها**: متعلق بأوصى. **والشفيق**: أبو بكر، لقوله صلى الله عليه وسلم: «أبو بكر كإبراهيم وهو ألين في الله من اللبن ـ ويروى بكسر اللام وبالمثناة من تحت ـ وعمر كنوح وهو أقسى

في ا لله من الحجر»[1] وذلك حين اختلفا في شأن أسارى بدر؛ عمــر يشـير بقتلهم وأبو بكر يشير بإبقائهم وأخـذ الفديـة. وجملـة **وهـي جنـين**: حاليـة وقعت بين الفعل ومفعوله.

يقول: لما حضرت الوفاةُ أبا بكر **أوصى** ابنته **أمَّنا** عائشةَ على بنيه فقــال لها: إنما هم أخواك وأختاك، فقالت: إنما هذه أسماء فمن الأخرى؟ قال: ذو بطن بنــت خارجـة أراه أنثـى، وفي روايـة: ألقـي في خلـدي أنهـا أنثـى[2]؛

---

(1) رواه أحمد.

(2) فولدت بنت خارجة بنتا بعد وفاة أبي بكر فسمتها عائشةُ بأم كلثوم، وحفظت فيها وصية أبي بكر رضي ا لله عنه. أما عائشة فهي الصِّدِّيقَةُ بنـت الصديـق حبيبـة حبيـب ا لله البريئـة المبرأة بالوحي النازل من السماء، تزوجها رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم بمكـة في شـوال قبل الهجرة بثلاث سنين ولها ست سنوات وعرس بها في المدينة في شوال مُنصَرَفَه مـن بـدر على رأس ثمانية عشر شهرا من مهاجره إلى المدينة وهي بنـت تسـع سـنين، ومكثـت عنـده تسع سنوات وعاشت بعده أربعين سنة، وكانت أحبَّ نسائه إليه بعد خديجـة، و لم يـتزوج بكرا غيرهـا ولا امـرأة هـاجرت وهـاجر أبواهـا غيرهـا. وكـانت آيـة في العلـم، وجـاء في الحديث: «خذوا شطر دينكم من هـذه الحمـيراء»، فكـانت أفقـه النـاس وأعلمهـم رأيـا في العامة، وكان أكابر الصحابة والتابعين يسألونها عـن الفرائـض وغيرهـا، وروى هشـام بـن عروة عن أبيه: ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا طب ولا بشعر من عائشـة. وكـانت لا يـنزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرا. وهي من الستة المكثرين عن النـبي صلـى ا لله عليـه وسـلم، وكانت ذات كرم وسخاء وزهد، فكانت لا يهدى لها شيء إلا قسمته في الحـين، ولهـا في الكرم والجود حكايات نادرة، وكانت غاية في العبادة. وتوفي رسـول ا لله صلـى ا لله عليـه وسلم بين حاقنتها وذاقنتها في بيتها وفي ليلتها، ودفن في بيتهـا. وتوفيـت هـي ليلـة الثلاثـاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ثمـان وخمسـين، وصلـى عليهـا أبـو هريـرة ودفنـت بالبقيع ليلا بوصية منها، ونزل في قبرها القاسم وعبد ا لله ابنا محمد بن أبي بكـر وعبـد ا لله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد ا لله وعروة ابنا الزبير.

<<=

والخلَد (بالتحريك): القلب. ويؤخذ من هذا الإيصاءُ على الكبير[1]، لأن عبد الرحمن وأسماء كلاهما أكبرُ من عائشة بكثير.

قوله: **وعن أبي حفص أبت**: يشير إلى أن عمر خطب أم كلثوم بنت أبي بكر فكرهت ذلك عائشة، فشكته إلى المغيرة بن شعبة لدهائه، وقيل إلى عمرو بن العاص، فقال لها: أكفيك ذلك؛ فجاء إلى عمر فحادثه ثم قال له: هلا تزوجت يا أميرَ المؤمنين؟ فقال له: أريد ذلك، قال: بمن؟ قال: أم كلثوم بنت أبي بكر، قال: نعمَ هي ولكن أريد لك غيرها، قال: و لم؟ قال: إنها جارية حديثةُ السن تُجيعُها وتعريها فتأتي إلى رأس أبيها فتصيح بذلك فيؤذي أبا بكر ثم يؤذي رسولَ ا لله ﷺ، قال عمر: متى كنت عند

--->>

وأما أسماء بنت أبي بكر فأسلمت قديما بمكة وكانت، تلقب ذات النطاقين لأنها صنعت سفرة للنبي صلى ا لله عليه وسلم في بيت أبي بكر حين أراد الهجرة إلى المدينة فلم تجد لسفرته ولا لسقائه ما تربطهما به، فشقت نطاقها نصفين فربطت السفرة بأحدهما والسقاء بالآخر، وقيل لما عسر عليها ما تشد به السفرة، شقت خمارها فشدت السفرة بنصفه وانتطقت بالنصف الثاني، فسماها رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ذات النطاقين وقال لها: «أبدلك ا لله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة»، فمن ذلك قيل لها *ذات النطاقين*. تزوجها الزبير بن العوام وهاجرت إلى المدينة وهي حامل بولده عبد ا لله. وكانت فاضلة عارفة بتعبير الرؤيا، وعنها أخذه محمد بن سيرين وابن المسيب، وكانت توصي بناتها وتقول: "تصدقن ولا تنتظرن الفضل فإنكن إن انتظرتن الفضل لن تجدنه وإن تصدقتن لن تجدن فقرا". وتوفيت بمكة في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، بعد قتل ابنها عبد ا لله بن الزبير بيسير، عن مائة سنة لم تسقط لها سن ولم ينكر لها عقل.

(1) وفيه أيضا إيصاء الأنثى على الذكر.

عائشة؟! فتركها، ثم تزوجها طلحةُ وأصدقها ألف دينار، فقال عمر: هذا غلاء.. ردوا بعضَ هذا إلى بيت المال، فقالت له عائشة - وقيل أم سليم -: يا أمير المؤمنين أنأخذ بقولك أم بقول الله تعالى حيث يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾[1]؟ فقال عمر: بل بقول الله تعالى، ثم قال: امرأة أصابت ورجل أخطأ. وذلك معنى قوله: **وبعض مهرها استرد..**

وَخَلَّفَ الْفَيَاضُ ذَا إذ ذَّهَبَا ... أَلْفَ بَهَارٍ فِضَّةً وذَهَبَا

الفياض: البحر، وسمى به النبي ﷺ طلحةَ بن عبيد الله حين اشترى بئر نعمان وتصدق بها على أهل المدينة ونحر لهم جزورا وذلك في يوم واحد، فقال له: «أنت الفياض»[2]، ويسمى أيضا طلحة الخير، قال البوصيري:

طلحة الخير المرتضيه رفيقا ... واحدا يوم فرَّت الرُّفقاءُ

والبهار: الظرف الصغير. يقول إن طلحة بن عبيد الله يوم توفي **خلف ألفَ بهار بين الذهب والفضة.**

قلت يحارُ العقل من هذا كيف يوجد ألف بهار في الدنيا وأحرى أن تكون لشخص واحد وأحرى أن يكون ذلك الشخصُ طلحةَ بن عبيد الله

---

(1) النساء: 20.

(2) أخرجه الطبراني: 7/1، وكان رضي الله عنه يكفي ضعفاء قومه، وقوم أبي بكر - بني تيم - ويقضي ديونهم وكان يرسل إلى عائشة كل سنة عشرة آلاف درهم، وتصدق في يوم بمائة ألف وجاءه بعض رحمه يسأله برحمه فأعطاه ثلاثمائة ألف، وإنفاقه رضي الله عنه مشهور.

مع جوده وكثرة عطاياه لأهل المدينة وغيرهم؟![1].

وَمِن بَنِي طَلْحَــةَ أَيْضًا النَّبِيهْ   مُحَمَّــدُ الْبَرُّ تَوَى مَعَ أَبِــيهْ
وَهْوَ أَبُــو الأَعْرَجِ إِبْرَاهَـامِ[2]   عَلَى بَنِي الْحَسَــنِ ذُو إِنْعَامِ

---

(1) وكان طلحة كثير المال وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار وقيل أكثر، وبناحية السراة أكثر من ذلك. وقد قال سفيان بن عيينة: كانت غلة طلحة بن عبيد الله ألفا وافيا كل يوم قال: والوافي وزنه وزن الدينار، وعلى ذلك وزن دراهم فارس التي تعرف بالبغلية. وشيد دارا بالمدينة وأخرى بالكوفة بالكناسة لم ير مثلها؛ فيها الجص والآجر والساج.

وقد كان لجماعة من الصحابة غير طلحة هذا ثروة عظيمة مثل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص، وكل هؤلاء من العشرة المشهود لهم بالجنة، وكذلك المقداد بن عمرو ويعلى بن منية وغيرهم مع ما كانوا عليه جميعا من الجود والإنفاق. أما عثمان فيوم قتل كان عند خازنه مائة وخمسون ألف دينار وألفُ ألفِ درهم وضياع كثيرة بوادي القرى وحنين وغيرهما وخلف كثيرا من الخيل والإبل. وأما عبد الرحمن فكان في مربطه ألف فرس وألف بعير وعشرة آلاف شاة بالإضافة إلى ما سيذكره الشارح. وأما الزبير فابتنى دارا بالبصرة تنزلها التجار وأرباب الأموال وأصحاب الجهاز من البحرين وغيرهم وابتنى أيضا دارا بالكوفة والاسكندرية، وكانت له ضياع وخلف خمسين ألف دينار والف فرين وألف عبد وألْف أمة وخططا. وأما سعد فقد ابتنى دارا ووسع فضاءها وجعل أعلاها شرفات. وأما المقداد فابتنى دارا بالجرف على أميال من المدينة وجعل أعلاها شرفات وجصص ظاهرها وباطنها. وأما يعلى فقد خلف خمسمائة ألف دينار وديونا على الناس وعقارات وغير ذلك - [راجع سموط الذهب والمسعودي].

(2) بألِف بعد الراء وأخرى بعد الهاء؛ لغة في إبراهيم كما في *القاموس*، وقرأ هشام في روايته عن ابن عامر لفظَ "إبراهيم" في ثلاثة وثلاثين موضعا: "إبراهام"؛ منها خصوصا جميع ما في سورة البقرة. وقد استعملها الناظم هنا وفي نظم الخاتمة حيث قال:

وبمقام حبس إبراهام   ذكّرهم بدول الأيام

أَن كَانَ أَوْصَاهُ بِهِـمْ إِذْ أُمُّهُـمْ   خَوْلَـــةُ أُمُّهُ الَّتِي تَحْضُنُهُمْ

يقول ومن بني **طلحة** بن عبيد الله **أيضا**، أي بعد عائشة وأخيها زكرياء، **محمد** بن طلحة، ويلقب السجاد؛ ووصفه الناظم **بالبر**: أي ذو البِرِّ. **والنبيه**: العاقل. **وتوى**: مات، مع أبيه طلحة يوم الجمل؛ وكان أبوه أكرهه على الخروج وأمره أن يتقدم باللواء(1)، فقال علي لأصحابه: إياكم وصاحِبَ البرنُس الأحمرِ إنما أخرجه بِرُّ أبيه. فنثر درعه وجعلها بين رجليه وجعل كلما حمل عليه رجل يقول له: أنشدك بـ"حم"، فينصرف عنه، حتى حمل عليه رجل من بني أسد، فنَشَده ولم يكترث به فطعنه؛ وفي ذلك يقول الرجل الأسدي:

وأشعـــثَ قـــوامٍ بآيات ربه	قليل الأذى فيما ترى العينُ مسلم
ضممت إليه بالسِّنان قميصَـــه	فَخَـــرَّ صريعا لليدين وللفم
على غير شيء غير أن ليْسَ تابعا	عليا ومن لا يتبـــع الحق يندم
يُذَكِّرني "حاميمَ" والرمح شاجر	فَهلاَّ تلا "حاميم" قبل التقدم(2)؟

ومـرَّ به عليٌّ في القتلى فقال: السجاد ورب الكعبة؛ هذا الذي قتله بِـرُّ

---

(1) للقتال وكان هواه مع علي.

(2) قوله: يذكرني **حم** أي يذكرني قوله تعالى في سورة حمٓ عٓسٓقٓ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ـ الشورى:23 ـ وذلك أنه يُذكر قاتله، الذي هو شريح بن أبي أوفى العبسي، بقرابته ليكفه ذلك عن قتله، وقد قيل إن قاتله الأشتر النخعي وهو قائل الأبيات، وقيل بل غيره. وقد قيل إنه لم يتوارث هو وطلحة إذ لم يعلم آخرهما موتا.

أبيه، ووجده واضعا يده على عورته فقال: "لئن سترتها وأنـت ميـت فقـد أحصنتها وأنت حي". وأمه وأم عمران أخيه حمنةُ بنـت جحـش؛ أختهمـا لأمهما زينب بنت مُصعب بن عمير. وهو ـ أي محمد بن طلحة ـ هـو **أبـو** إبراهيم **الأعرج** الذي كان يحسن وينعم **على بني الحسن** بن الحسن بن علي، لأن الحسن **أوصاه بهم**، ولأنـه أخـوه لأمـه؛ **أمهمـا خولـة** بنـت منظـور بـن زبان. وكان يلبسهم الخز ويركبهم البراذين ويوسع عليهم في النفقة، فلمـا بَلَغوا رد عليهم أموالهم مختومةً لم يحركها، وقـال لهـم: مـا أنفقـت عليكـم صلةٌ لأرحامكم. وكان يقال لإبراهيم الأعرج بن محمد بن طلحة هذا *أسدُ الحجاز* لجراءته على الأمراء، وبقي إلى أن لقي هشام بن عبد الملكِ، فتكلم له كلامـا غليظـا أغضـب هشـاما حتـى بـدت حُؤُولَتُـهُ ودخلـت عينُـه في حاجبه. وقول الناظم: **إذ أمهم**.. إلخ: فيه نظر لأنه إن أراد الحسن بن علـي فليس هو الموصي وإنما الموصي الحسن المثنى، وهو أخـو إبراهيـم الأعـرج، ولذلك أوصاه على بنيه (لأنهم بنو أخيه لأمه)، وأما الحسن بن علي فليس له من **خولة** إلا الحسن المثنى وحـده فـلا يتناولـه الجمـع. وقولـه: **إذ أمهـم**: يدل على أنه الحسن بن علي، لأن إبراهيم ربيبه، اللهـم إلا أن يكـون أراد بأمهم أم أبيهم، لأن أم الأب أم، والصواب أن يقول:

"أن كان أوصاه بهـم إذ أمهمْ خـولة" فهـو من هناك عمهمْ

وضمير **أمهـم** يعـود علـى الحسـن المثنـى وإبراهيـم الأعـرج، ويجـوز

ذلك[1] كقول الكعبي:

وهاشم في ضريـح وسط بلقعة　　تسفي الرياح عليـه بين غزّاتِ

أراد بين غزتين.

وَمِن بَنِي طَلْحَةَ عِمْرَانُ وَهَبْ　　لَهُ عَلِيٌّ الَّذِي مِنْهُمْ نُهِـبْ

عمران بن طلحة أمه أم محمد السجاد، وقدمناها قريبا. يذكر أن عمران بن **طلحة** قدم على عَلِيٍّ بعد وقعة الجمل فسأله أن يرد عليهم أموالَ أبيهم التي **نهبت** منهم، فرحب به علي وقربه وأجلسه معه وترحم على أبيه وقال: ما أخذنا أموالكم إلا لنحفَظَها عليكم، فردها عليه بغلاتها.

وَمِنْهُمُ ابْنَا خَالَةِ الْعَدْلِ الْحَلِيمْ　　أُمِّ أَبَانٍ بِنتِ عُتْبَـةَ الزَّعِيـمْ

عِيسَى وَإِسْحَاقُ الْحَلِيمُ خَطَبَا　　عِنـدَهُمَا لِنَجْلِـهِ أُخْتًا أَبَى

بِهَا الأَخِـيرُ وَلَـهُ عَقَـدَهَا　　بِالشَّامِ الاوَّلُ وَمَا أَرْشَـدَهَا

وَبِالْمَدِينَـةِ لِسِبْطِ الْمُصْطَفَى　　عَقَـدَهَا إِسْحَاقُ أَيْضًا وَنَفَى

عَنْهَا ابْنَهُ الْحَلِيمُ ثُمَّ خَلَصَتْ　　لِلْحَسَنَيْنِ وَ"الْفَرَا تَقَنَّصَتْ"

قوله: **ومنهم**: أي من بني طلحة **ابنا خالة**..إلخ: والصـواب "بنو" لأنهـم

---

(1) قال في الخلاصة: "**ومضمر الجمع لغيره وقع**..."، قال تعالى﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟﴾- الحج:19 - على تأويل الخصمين باثنين. وكما يقع مضمر الجمع للاثنين فكذلك يأتي مظهر الجمع للاثنين كقول الكعبي.. إلخ.

ثلاثة: إسحاق وإسماعيل ويعقوب؛ وقتل يوم الحرة ورثاه عبدُ الله بن الزَّبير الأسدي بقوله:

لعمري لقد جاء الكروسي كاظما	على خبر للمسلمين فظيع
شباب كيعقوب بن طلحة أقفرت	منازلُهم من رومة فبقيع
فوا لله ما هذا بعيش فيشتهى	هنيءٍ ولا موت يريح سريع

(والكروسي الذي يعني هو الكروسي بن زيد الطائي هو أول من قدم مكة بخبر الحرة).

والعدل الحليم: يعني معاوية؛ كان في غاية الحلم لدعوة النبي ﷺ له: «ملأ الله بطنك حلما وعلما»[1]. **والزعيم**: سيد القوم ورئيسهم، وكان عتبة بن ربيعة سيدَ قريش في الجاهلية ورئيسهم. ثم استطرد عند ذكر **إسحاق** خبر أم إسحاق، الذي كان مُدركا لحكم ذات الوليين. **ونجل الحليم**: يعني به يزيد بن معاوية. **وأخت ابنيْ طلحة** هي أمُّ إسحاق. **والأخير**: إسحاق. **والأول**: عيسى في قوله. **وسبط المصطفى** ﷺ: الحسنُ رضي الله عنه. **وخلصت**: وصلت. **والفرا**: حمار الوحش. **وتقنصت**: اصطادت، أي لخلوصها من يزيد لسبطيْ رسول الله ﷺ. **والفرا** يضرب به المثل في عظم الصيد؛ لقوله ﷺ لأبي سفيان: «الصيد كله في جوف الفرا»[2]

---

(1) رواه الترمذي.

(2) *المواهب اللدنية* للقسطلاني:(23/2). وأصل هذا المثل أن ثلاثة رجال خرجوا يصطادون فاصطاد أحدهم أرنبا والآخر ظبيا والثالث حمار وحشٍ فاستبشر الأولان وتطاولا فقال الثالث: "كل الصيد في جوف الفرا"، أي أنه أعظم الصيد فمن ظفر به أغناه عن كل صيدٍ - [فرائد الأدب].

وهي من الكلمات التي لم يُسبقْ إليها صلى الله عليه وسلم، ثم صار يضرب لمن ظفِرَ بالأعلى من المطلوب.

وخبر أم إسحاق أن أخاها إسحاق قدم على معاوية بالشام فخطبها منه على ابنه يزيد، فقال له إسحاق: نعم.. إذا وصلتُ المدينة يأتيني رسولُك وأزوجه. فلما شخص من عند معاوية وقدم المدينة زوجها من الحسن بن علي رضي الله عنهما. وقدم عيسى على معاوية بإثر إسحاق فذكر له معاوية ما قال لإسحاق، فقال عيسى: أنا أزوجه؛ فزوج عيسى أمَّ إسحاق ليزيد بالشام. و لم يُدر أيهما قبل الآخر، فقال معاوية لابنه: أعرض عن هذا؛ ففعل وبقيت في نفسه على إسحاق. وإسحاق وعيسى متساويان في الولاية عليها لأن كلا منهما أخوها لأبيها وليست شقيقةً لواحد منهما؛ أما إسحاق فقدمنا قريبا أمه، وأما عيسى فشقيق يحيى؛ أمهما سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان المرية، وأما أم إسحاق فأمها أم الحارث، واسمها الحرباء بنت قسامة بن حنظلةَ الطائي.

قوله: **ثم خلصت للحسنين**: وذلك أنها لما خلصت للحسن ولدت له طلحة بن الحسن، المذكور في الأجواد، و لم يعقب؛ ثم طلقها الحسن فتزوجها الحسين فولدت له فاطمةَ، أم عبد الله المحض بن الحسن المثنى ومحمد الديباج بن عبد الله المِطْرف.

لِفِسْقِهِ عَنْ أُمِّ إِسْحَاقَ قُدِعْ وَبِنتِ آلِ جَعْفَرٍ قَدْعًا بَشُعْ
أَمْهَرَهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ سَرَفَا وَأُمُّ كُلْثُومٍ أَبَتْ مَا وَصَفَا

لفسقه: يعني يزيد الفويسق. وقُدع: كُف. **وبنت آل جعفر**: هي أم

كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لزينب بنت علي من فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ. **وقدعا بشعا**: أي كريها خبيثا. وكيفيته أن معاوية كتب إلى مروان بن الحكم ـ وهو عامله على المدينة ـ أن يخطبها على يزيد، على حكم أبيها في الصداق بالغا ما بلغ وعلى قضاء ديونه وعلى كذا وكذا.. "ولعلها أن تكون صُلحا بين هذين الحيين من بني هاشم وبني عبد شمس". فلما وصل إليه الكتاب تكلم لأبيها فقال له: إني كنت جعلت أمرها إلى خالها الحسين بن علي، فلما اجتمع الناس في المسجد خطب مروان ووصل الخطبة بما فيها من التغليظ والشروط والهبات إلى الحسين، فخطب الحسين وجعل يَرُدُّ كل كلام مروان؛ فقال: أما قولك حكم أبيها بالغا ما بلغ فلا حاجة لنا في تحكيمكم ولا في أموالكم، وأما قولك قضاء ديون أبيها فمتى وجدتم أباها موثقا في ديونه؟ وأما قولك لعلها أن تكون صلحا بين هذين الحيين فنحن قوم عاديناكم في الله ولا نصالحكم على الدنيا، وأما قولك كذا وكذا.. إلى أن أتى على جميع ما قال، ثم قال: وأشهدكم أني زوجت هذه الجاريةَ من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر. فبقي مروانُ خجلا لا يتكلم.

وَآلَ أَمْرُهَا إِلَى الْمُبِيرِ وَبَتَّهَا بِسَطْوَةِ الأَمِيرِ

آل: صار. **والمبير**: الحجاج بن يوسف. **وبتّها**: قطعها. **والسطوة**: القهر. **والأمير**: عبد الملك بن مروان.

يعني أن أم كلثوم هذه آخر أمرها تزوجها الحجاجُ بغير طيب النفس من أبيها عبد الله بن جعفر، فاشتكى إلى خالد بن يزيد بن معاوية، فأتى

خالد عبدَ الملك فقال له: أتيتك في أمر فيه لك ما لم يكن لي، قال: وما هو؟ قال: كلبك الذي سلطت على الناس مهتم بتقوية بني هاشم علينا، قال: بماذا؟ قال: فعل كذا وكذا وتزوج بنت عبد الله بن جعفر. فكتب إليه عبدُ الملك أن يبتها أو يفعل به ويفعل.. وكان عبد الله بن جعفر صديق عبدِ الملك جدا لا يأتيه في أمر إلا أجابه إليه، ولكن استحيا أن يأتيه بمثل هذه. فبتَّ الحجاج أم كلثوم، (ولم أدر ما فعلت بعد ذلك).

وكان رجل رأى رؤيا فيها أن طائرا وقع على دار ففعل كذا وكذا.. فقصَّها على ابنِ سيرين فقال: إن صدقت الرؤيا يتزوج المبيرُ بنت الطيار.

وبَعْدَ ذَلِكَ الْفُوَيْسِقُ أَمَرْ جَرَّاءَهَا مُجْرِمَهُ شَرَّ الْبَشَرْ
بِقَتْلِ إِسْحَاقَ فَلَمْ يَجِدْهُ وَهَدَّ دُورَهُ وَلَمْ يُبِدْهُ

يعني أن يزيد بن معاوية بعد هذا بعث مسلم بن عقبة المري أميرا على جيش الحرة وأمره **بقتل إسحاق** أول ما يفعل، جراء، أي لأجل، أم إسحاق التي زوج الحسن بعد أن وعده تزويجها. **ومجرمه**: أي مجرم يزيد وهو مسلم بن عقبة، ويقال له ـ لِما فعل بأهل المدينة ـ: مجرم ومسرف. وفات إسحاقُ مسرفا؛ وجده هربَ في أول الناس، **فهدم دوره ولم يبده**: أي لم يقتله.

تنبيه بنو طلحة بن عبيد الله عَشَرَةٌ ذُكُورًا، ولم يكن منهم صحابيا إلا محمد السجاد وعمران، وإنما ولدوا بعد النبي ﷺ، وهم محمد السجاد وعمران؛ أمهما حمنةُ بنت جحش، وإسحاق وإسماعيل ويعقوب؛ أمهم أم أبان بنت عتبة بن ربيعة، وموسى؛ أمه خولة بنت القعقاع بن معبد بن زرارة، وعيسى ويحيى؛

أمهما سُعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان، وزكرياء؛ أمه أم كلثوم بنت أبي بكر، ولم نقف له من البنات على غير أم إسحاق وعائشة، وذكرنا أمَّيْهما. وعاشر بنيه: إبراهيم ولم يذكره الزبيري وذكره السهيلي وقال: بنو طلحة عشرة أسماؤهم كلهم أسماء الأنبياء. وللزبير عشرة كلهم يسمى باسم شهيد، فقال له طلحة: أنا أسميهم بأسماء الأنبياء وأنت تسميهم بأسماء الشهداء؛ فقال الزبير: نعم أنا أرجو أن يقتلوا كلهم شهداء وأنت لا ترجو أن يكون واحد منهم نبيا. ولم يزل بنو طلحة يسمون بأسماء الأنبياء؛ ولد إبراهيم الأعرج أربعةَ عشر أسماؤهم أسماء الأنبياء، وهم: إسماعيل الأكبر وإسماعيل الأصغر ونوح وإسحاق ويوسف وموسى - لأمهات أولاد ـ ويعقوب وصالح وسليمان ويونس وداود واليسع وشُعيب وهارون؛ أمهم بنت إسماعيل بن طلحة وأمها لبابة بنت عبد الله بن العباس، وهي التي يقول فيها ابن أبي ربيعة:

ودع لبابة قبل أن تَتَرَحَّلا واسأل فإن قلالة أن تسألا[1]

كَعْبُ بْنُ سَعْدٍ ابْنِ تَيْمٍ يُنسَبُ إِلَيْهِ هَؤُلاءِ وَهْوَ الْحَسَبُ

---

(1) بعده: امكث بعَمرك ليلة وتَهنّها فلعلَّ ما بخلت به أن يُبْذَلا

إلى أن يقول:

خرجَتْ تأطُر في الثياب كأنها ريح تسنّتْ عن كثيب أهْيَلا

فجلا القِنَاعُ سحابة مشهورة غراء تُغْشي الطرف أن يتأملا

سلمتُ حين لقيتُها فتهلّلتْ لتحيتي لما رأتني مقبلا ..إلخ.

ويحكى أن عمر بن أبي ربيعة رآها تطوف بالبيت الحرام وهي أحسن خلق الله، فكاد يذهب عقله فسأل عنها فأخبر بحقيقتها، فأنشأ قصيدته هذه.

لِصُلْبِ عَمْرٍو ابْنِـهِ الأَكَابِـــرُ   عُثْمَانُ جُدْعانُ وَصَخْرٌ عَامِرُ

هؤلاء: يحتمل أنه أشار بها إلى المذكورين قبل من آل أبي بكر وآل طلحة بن عبيد الله، ويحتمل أنه أشار بها إلى المذكورين بعد في آخر البيت الثاني؛ وهم بنو عمرو بن كعب، وهم **عامر وعثمان وجُدعان وصخر**.

قوله: **وهو الحسب**: يريد أن بيت بني تيم وحسبَهم في بني كعب هؤلاء. **والحسب**: ما يُعَدُّ من مفاخر الآباء. **وعامر** هو أبو أبي قحافة، وليس له غيره؛ ولا لأبي قحافة غير أبي بكر، ولكن ـ والحمد لله ـ كثرت قبائلهم بعد ذلك من نسل عبد الرحمن بن أبي بكر وحده. **وعثمان** جد طلحة بن عبيد الله بن عثمان وأبو معمر بن عثمان الذي منه آل معمر. **وصخر** هو أبو سلمى أم الخير، أم أبي بكر؛ أسلمت وبايعت وماتت قبل الهجرة[1]. ومنه مسافع بن عياض بن صخر، الذي يعني حسان بقوله: **يا آل تيم**.. إلى آخر الأبيات، وتقدمت.

وجدعان هو أبو الجواد عبد الله بن جُدعان، ومات قبل الإسلام، وأدركه النبي ﷺ ولم يدركه الإسلامُ؛ وقالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: يا رسول الله إن ابن جُدعان كان يُطعم الطعام ويقري الأضياف هل ينفعه ذلك؟ فقال: «لا، إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي»[2]. وصحب ابنه أبو مليكة واسمه زهير.

---

(1) تقدمت الإشارة إلى الخلاف في وقت وفاتها هل كانت قبل ابنها أبي بكر أم بعده وورثت منه هي وأبوه أبو قحافة.

(2) رواه مسلم وأحمد.

عبد الله بن جدعان ومائدته المشهورة

كان عبد الله بن جدعان أول أمره صُعلوكا جوادا وكثرت عليه الديون وتبرأ منه أبوه حتى بقي لا يُداينُهُ أحد، فتكدر من ذلك حتى اختار الموت. فخرج يوما يدور في جبال مكة لعله يرى ما يقتُله فيستريح؛ فبينما هو يدور إذ أبصر ثعبانًا أسوَدَ فتعرض له ليلدغه فيقتله، فلما دنا منه لم يتحرك؛ فإذا هو مصنوع من ذهب وإذا عيناه ياقوتتان! فكسره وأخذ الياقوتتين وإذا معه كَنز عظيم، فحمل منه ما قدر على حمْله وعلَّم على الباقي؛ فاشتهر بالمال والجود واتخذ مائدتَه المشهورةَ التي يضرب بها المثل: يستوي فيها الراكب والماشي والمضطجع. وكان مع الإطعام يسقي الناسَ اللبن، فقال أمية بن أبي الصلت يَمدَح آل المدان ما آخره:

... لا ما يعللنا بنو جُدعان[1]

فسير ألف ناقة إلى الشام جاءته حاملةً من خالص البُرِّ والعسل والسمن، فجعل يطعم الناس البُرَّ ويسقيهم العسل[2]، قال أمية بن أبي الصلت:

---

(1) كان ابن جدعان أولا يطعم التمر والسويق ويسقي اللبن، وكان أمية بن أبي الصلت قبل أن يمدحه قد أتى بني الديان، من بني الحارث بن كعب، فرأى طعام بني عبد المدان منه لباب البر والشهد والسمن فقال:

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم ... فرأيت أكرمهم بني الديان

البُرُّ يلبك بالشِّهاد طعامهم ... "لا ما يعللنا بنو جدعان"

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فسير ألف ناقة..إلخ.

(2) وجعل مناديين بأعلى مكة وبأسفلها أحدهما يقول: ألا من أراد الشحم واللحم فليأت دار ابن جدعان؛ والآخر يقول: ألا من أراد الفالوذج فليأت دار ابن جدعان ألا هلموا إلى جفنة عبد الله بن جدعان.. فعند ذلك قال أمية..إلخ.

لـه داع بمكـــة مشمعـــلٌّ وآخـــر فـوق دارته ينادي
إلى رُدَحٍ من الشيزى مـــلاءٍ لبابَ البُرِّ يُلبـكُ بالشِّهاد[1]

(المشمعل: الخفيف الشهير، والرُّدَحُ: الجفان، والشيزى: شجر تتخذ منه الجفان).

وَمِن بَنِي عُثْمَانَ آلُ مَعْمَـرِ رَهْطُ السَّخِيِّ طَلْحَةِ الْجُودِ السَّرِي

يقول **ومن بني عثمان** بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم: بنو **معمر** بن عثمان؛ وجدّهم معمر عم طلحة بن عبيد ا لله، وهـو صحـابي أسـلم يـوم

---

(1) لكـــل قبيلـة هاد ورأس وأنـــت الرأس يقدم كل هاد

وقد قيل إن سبب إطعام ابن جدعان لباب البر أنـه كـان يفـد على كسـرى فيأكل عنـده الفالوذج فسأل عنه؟ فقيل: الفالوذج، فقال: وما الفالوذج؟ فقيل له: لبـاب الـبر يلبـك مـع عسل النحل، قال: ابغوني غلاما يصنعه؛ فأتوه بغلام يصنعه، فابتاعه ثم قدم به مكة فجعـل يصنع له الفالوذج فوضع الموائد بالأبطح إلى باب المسجد ثم نـادى مناديـه عليهـا فحضـر الناس، وكان من بينهم أمية فقال فيه: **له داع بمكة**..إلخ.

ومن مدح أمية لعبد ا لله قصيدته التي منها:

كريـــم لا يُغيِّـــره صباحٌ عن الخلـــق الجميل ولا مساء
فَبرَّزَ فضلـــه حقا عليهـــم كما بَـــرَزَت لناظرها السماء
فهـــل تخفى السماء على بصير وهل بالشمس طالعـــة خفاء

ومنه قوله فيه:

بـــذَّ المَعاشِـــر كلـــها بالفضـــل قد علم المعاشـــرْ
وعـــلا علوَّ الشمس حـــتْـ ـتى ما يفاخـــره مفاخـــرْ
دانـــت لـــه أبنـــاء فهـ ـر من بـــني كعـــب وعامرْ
أنـــت الجـــواد ابن الجوا د بكـــم ينافر مـــن ينافـــر ..إلخ.

وأخبار ابن جدعان في الجود والكرم كثيرة ومشهورة.

الفتح هو وابنه عبيد ا لله بن معمر؛ وهم رهط، أي قوم، **السخي**: أي الجواد المسمى - من الطلحات الستة[1] - **طلحة الجود. والسري**: الشريف ذو المروءة؛ وهو ابن عُمَر بن عبيد ا لله بن معمر، وأمه رملة بنت عبد ا لله بن خلف بن بياضة الخزاعية، أخت طلحة الطلحات؛ أمهما صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة العبدري، الذي قتل يوم أحد وبيده لواءُ قريش. وأم عمر بن عبيد ا لله أيضا فاطمة بنت طلحة بن أبي طلحة، فكان طلحة هذا جد طلحة الجود لأبيه وأمه. وأبوه عمر بن عبيد ا لله مشهور بالجود والشجاعة، ولي الولايات وممادحه كثيرة، وهو الذي قيل فيه:

عليكِ سلام لا زيارة بيننا ... ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

وهو من أبيات في قصة ظريفة، منعني أن أذكرها أني نسيتُ أصلها عندي[2] أهو **بغية الأمل** أو **المستطرف**، ولا أحب النقل من **المستطرف**.

---

(1) الذين ذكرهم الناظم في *نظم الغزوات* بقوله: **فالطلحات خمسة سوى العلم** ... الخ
[راجع: روض النهاة على شرح نظم الغزوات للمؤلف ص: 324].

(2) ذكرها ابن كثير في *البداية والنهاية* قال: كان عُمر بن عبيد ا لله بن معمر بن عثمان القرشي التيمي أحد الأجواد والأمراء الأمجاد، فتحت على يديه بلدان كثيرة، وكان نائبا لابن الزبير على البصرة؛ وهو الذي قتل قطري بن الفجاءة. ومن مكارمه أن رجلا اشترى جارية كانت تحسن القرآن والشعر وغيره فأحبها حبا شديدا وأنفق عليها ماله كله حتى أفلس ولم يبق له سوى هذه الجارية، فقالت له: قد أرى ما بك من قلة الشيء فلو بعتني وانتفعت بثمني صلح حالك؛ فباعها لعمر بن عبيد ا لله هذا - وهو يومئذ أمير البصرة - بمائة ألف درهم، فلما قبض المال ندم وندمت الجارية، فتوجعت على فراق سيدها، وقالت تخاطب مولاها الذي باعها:

<<=

ومِن سِوَى كَعْبٍ لِّسَعْدٍ اشْتَهَرْ بِالْعِلْمِ وَالْوَرَعِ آلُ الْمُنكَدِرْ

يقول من تيم - من غير بني **كعب** الذين فيهم البيت والحسب ـ آل **المنكدر** بن عبد الله بن الهدير بن عبد الله بن عبد العزى بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم. والمنكدِرُ صحابي صغير؛ دخل على

>> - -

هنيئا لكَ المال الذي قد أخذته	ولم يبق في كَفّيَّ إلا تفكري
أقول لنفسي وهْي في كرب عيشة	أقلّي فقد بان الخليط أو اكثري
إذا لم يكن في الأمر عندكِ حيلة	ولم تجدي بدا من الصبر فاصبري

فأجابها سيدها ذلك وقال:

ولولا قُعودُ الدَّهر بي عنكِ لم يكن	لفرقتنا شيء سِوى الموتِ فاعذُري
أؤوبُ بحُزنٍ من فراقكِ مُوجِعٍ	أناجي به قلبا طويل التذكُّر
عليكِ سلام لا زيارة بيننا	..إلخ.

فقال ابن معمر: خذها وثمنها، ثم قال والله لا فرقت بين محبين أبدا؛ وأعطاه المال ـ وهو مائة ألف ـ والجارية لما رأى من توجعهما على فراق كل منهما صاحبه، فأخذ الرجل الجارية وثمنها وانطلق ـ [البداية والنهاية: 165/6].

ومما مدح به عمر بن عبيد الله هذا قول نصيب:

فوالله ما يدري امرؤ ذو جنابة	ولا جار بيت أي يوميك أجود
أيومًا إذا ألفيته ذا يسارة	فأعطيتَ عفوًا منك أم يوم تُجهَدُ
وإن خليليك السماحةَ والنّدى	مقيمان بالمعروف ما دمت توجدُ
مقيمانِ ليسا تاركَيْكِ لخَلّةٍ	من الدهر حتى يفقدا حين تُفقدُ

ومنه قول زياد الأعجم فيه:

أخ لك ليس خُلّته بمَذقٍ	إذا ما عاد فقر أخيه عادا
أخ لك لا تراه الدَّهر إلا	على العِلاّتِ بسّاما جوادا ..إلخ.

أمنا عائشة واشتكى إليها الحاجة، فقالت: أول شيء يأتيني أبعث إليك به، فلما خرج عنها أهدى إليها خالدُ بن أَسيد عشرة آلاف درهم فبعثت بها بصرتها إلى المنكدر، فدخل بها السوقَ واشترى منها جارية فأولدها بنيه الثلاثةَ العلماءَ: محمدا وعمرا وأبا بكر، كلُّهم حملَ عنه العلمَ. أما محمد فهو عالمُ المدينة في زمنه وزاهدُها مشهور **بالعلم** والزهد.

حَجَّ ثَــلاثًا وَثَلاثِــينَ ابْنُــهُ   وبِســوَى الْفَرْضِ اسْتَبَدَّ مِنْهُ

لأَبَوَيْــهِ ولأَهْــلِ عَرَفَــهْ   فَجَاءَهُ مِنْ عَلُ صُوتُ عَرَّفَهْ

أَن جَــاوَدَ اللَّهَ وأَنَّ اللهَ قَــدْ   رَحِمَهُم مِّن قَبْلِ خَلْقِهِ الْبَلَدْ

يشير إلى أن محمد بن المنكدر **حج ثلاثا وثلاثين** حجة، فلما أكملها أضمر في نفسه، أو أشهد على ذلك (لا أدري أيهما فَعَلَ) أنه أمسك لنفسه ثواب الفريضة منها وأعطى ثواب الباقي بين أبويه وأهل عرفة، فسمع صوتا من فوقِه: "جاودتَّ الله.. أما علمت أن الله غفر لأهل عرفة قبل أن يخلق عرفة بألْف سنة أو كذا..".

قلت: يؤخذ من هذا أن ثوابَ العبادة يصل للمعطى له كثوابِ الصدقة، لأن محمد بن المنكدر قُدوةٌ ومن السلف الصالح المأمورِ باتباعهم، لأنه من كبار التابعين وعلمائهم؛ قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾[1] ومن القرن الذين يلون قرنه صلى الله عليه وسلم.

---

(1) التوبة: 100.

نسب كلاب بن مرة

وَمِن كِـلَابٍ زُهْـرَةٌ مُجَمِّـعُ شَتِيتَـهُمْ قُصَـيٌّ السَّمَيْـذَعُ

لما فرغ الناظم من تيم بعد بني مخزوم نزل على عمودِ النسب، وذلك صنيعه، فقال: **ومن كلاب**..الخ. وكلاب اسم عمود النسب من بني مرة، وهو السادسُ من أجداد رسول الله ﷺ. وذكر اليدالي في كتابه على الأنساب أن اسمه غير كلاب[1]، ولكن كان يحب الصيد ويتخذ له الكلاب؛ وكان الناس يقولون: هذه كلاب ابن مرة فغلب ذلك على اسمه.

وزهرة (بضم الزاي): أصله مفرد الزَّهر وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. **ومجمع**: عطف على زهرة بحذف العاطف. **وشتيتهم**: مفعول مجمع. **وقصي**: عطف بيان أو بدل من مجمع. **والسميذع**: السيد الشريف الكريم السخي الموطأ الأكناف، وتلك أوصاف قصي **ومجمع** اسمه، قال حذافة:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

يعني قريشا لأنه جمعهم حين انتزع المفاتيح من خزاعة واستولى على مكة.

وأُمُّ سَعْـدٍ وسُعَيْـدٍ ابْـنَا سَهْمٍ فَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ الأَسْنَى

ومن كلاب أيضا، بعد ابنيه قصي وزُهرة، نُعْمُ بنت كلاب؛ تزوجها سهم بن عمرو بن هصيص فولدت له ابنيه **سعدا وسُعيدا** اللذين منهما

---

(1) تقدم الخلاف في اسمه فقيل اسمه المهذب وقيل حكيم وقيل عروة.

قبيلتا **سهم**. يعني: فمن نعم بنت كلاب هذه: **قبيل** سهم هذا **الأسنى** أي الأرفع.[1]

مِن زُهْـرَةٍ عَبْدُ مَنَافٍ حَارِثُ وَمِنْ أَبِي كَبْشَـةَ كُـلٌّ حَارِثُ

يقول ولد **زهرة عبد مناف والحارث** وكلاهما **حارث** بنيه **من أبي كبشة**، وذلك أن عبد مناف بن زهرة تزوج قيلة بنت أبي كبشة، واسمه وَجْزُ بن غالب من خزاعة وكان سيدهم؛ ولذلك لم تُرِدْ قريش سَبَّ النبي ﷺ بتسميته به، ولكن أرادوا تشبيهه به لما خالف دينَهم، لأن أبا كبشة خالف العرب بعبادة الشعرى العبور؛ قال: لا أرى شيئا في السماء ـ لا شمسا ولا قمرا ولا نجمًا ـ يقطع السماء عرضا إلا الشعرى، فعبدها وخالف بذلك قومه فشبهت قريش به النبي ﷺ؛ وكانت العرب تقول: لا يخالف أحد إلا لِعِرقٍ نَزعه. فولدت قيلة لعبد مناف وهبا وأُهيبا وقيسا وأبا قيس، وهو راكب البريد، ثم مات عنها فخلف عليها الحارث فولدت له عبدا وعبد الله. وهذا يخالف ما في غير الزبيري من أن وهبا أمه عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال[2] بن فالج بن ذكوان من سليم، وهي من العواتك التي

---

(1) وكان زهرة أسن من قصي، وبدأ الناظم ببني زهرة أخوال النبي صلى الله عليه وسلم على عمود النسب كما هو صنيعه، فقال رحمه الله وعفا عنه:

(2) والذي مشى عليه الناظم حيث قال: **عواتك النبي أم وهب**..إلخ، هذا وقد ذكر الزرقاني في *شرحه على المواهب* أن ما جرى عليه عرف المؤلفين من المشي على أحد القولين مرة وعلى الآخر مرة من غير تنبيه عليه، لا يسمى تناقضا.

افتخر بها صلى ا لله عليه وسلم يوم حنين قال: «أنا ابن العواتك من سليم»[1]، وتقدم الكلام عليهن.

لِصُلْبِهِ أَيْضًا سَوادُ الْكَاهِنَهْ تَكَهَّنَتْ بِالْمُصْطَفَى لآمِنَهْ
أَرَادَ وَأْدَهَا فَعَاقَ الدَّافِنَهْ صَوْتٌ حَمَاهَا أَن تَكُونَ حَائِنَهْ

ومن ولد زُهرة أيضا لصلبه ـ أي بلا واسطة بينهما ـ بنتُه **سوادُ** بنت زُهرة وكانت **كاهنةً**. ومن كهانتها أنها قالت يوما لقومها: اعرضوا علي جوارِيَكُم أنظر فيهن؛ فعرضوهن عليها، فنظرت إلى **آمنةَ** وصعَّدت فيها النظرَ وصوبته ثم قالت: ستلدُ هذه الجاريةُ نبيًّا من شأنه كذا وكذا.

قوله: **أراد وأدها**: يعني أنَّ زهرة لما ولدت بنته هذه أراد وأدها فأمر به النساءَ، **فعاق**، أي صرف، التي تريد دفنها **صوْتٌ** ناداها: لا تفعلي، فإن لها لَشأنًا[2]، **فحماها**: أي منعها ذلك الصوتُ **أن تكون حائنة**: أي هالكة. وهي جدة أبي لهب لأمه؛ هي أم هندَ بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم،

---

(1) رواه الطبراني: 301/7.

(2) ذكر السهيلي في قصة سواد بن قارب خبر سواد بنت زهرة بن كلاب، قال: لما ولدت له رآها أبوها ورقاء أمر بوأدها وأرسلها إلى الحجون لتدفن هناك، فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفا يقول: لا تدفن الصبية وخلها بالبرية، فالتفت فلم ير شيئا فعاد لدفنها فسمع الهاتف، فعاد إلى أبيها وأخبره بما سمع فتركها فكانت كاهنة قريش. قالت يوما: يا بني زهرة إن فيكم نذيرة تلد نذيرا فاعرضوا علي بناتكم، فَعُرِضن عليها فقالت: في كل واحدة منهن قولا ظهر عليها بعد حين.. حتى عرضت عليها آمنة بنت وهب، فقالت: هذه النذيرة وستلد نذيرا.

وهند أمُّ لُبنى بنتِ هاجر الخزاعية أم أبي لهب.

عَبْدُ مَنَافٍ مِّنْهُ الاَسْـوَدُ الأَبِي   خَالُ النَّبِيِّ مِن كِبَارِ الصُّحُـبِ

الأسود بن وهب، أخو آمنة، ذكره صاحب الإصابة[1] وذكر أن حديثه: «في الربا سبعون حوبا»[2]، وذكر له أيضا في الإصابة ابنـا اسمه وهـب. و لم يشتهر في غير الإصابة، ولذلك أنكره بعض أهل العلم قـال: لـو كـان للنبي ﷺ خال صحابي لاشتهر فوق هذا.

قلت: ولا حجة في هذا، وإنما الحجـة في نفيه بمخالفة نص أو تاريخ أو قاعدة.. وا لله تعالى أعلم.

ثم قال رحمه ا لله:

والأَسْوَدُ ابْنُ خَالِهِ عَبْدِ يَغُوثْ   أَبَى النَّبِيَّ جَبْرَئِيلُ أَن يَغُـوثْ

فَـدَقَّ صُلْبَـهُ وَكَانَ اسْتَهْـزَآ   وَقِيلَ بِالسَّمُومِ الاَسْـوَدُ انفَأَى

---

(1) وقال إنه استأذن على رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم فقال له: يا خال ادخل فدخل عليـه فبسط له رداءه وقال: «ألا أعلمك كلمات من يرد ا لله به خيرا يعلمهـن إيـاه ثـم لا ينسـه أبدا»؟ قال: بلى يا رسول ا لله، قال: «قل اللهـم إني ضعيف فقوِّ في رضاك ضعفي وخذ إلى الخير بناصيتي واجعل الإسلام منتهى رضاي»، وعنه أيضا انـه قـال لـه: «ألا أُنَبِّـئك بشـيء عسى ا لله أن ينفعك به»؟ قال: بلى يا رسول ا لله، قال: «إن الربا أبوابٌ الباب منـه عـدل سبعين حوبا أدناها فجرة كاضطجاع الرجل مع أُمِّه وإن أربى الربا استطالة المرء في عـرض أخيه بغير حقٍّ».

(2) رواه ابن ماجه وذكره في الزوائد وهو ضعيف.

وَقَدْ تَبَنَّى الأَسْوَدُ الْمِقْدَادَا وَلِبَنِي بَهْرَاءَ عَنْهُ حَادَا

وأما **الأسود ابن خال** النبي ﷺ **عبدِ يغوث** بن وهب، فقد اشتهر بالكفر لأنه من المستهزئين بالنبي ﷺ[1]، واشتهر ابنُه عبدُ الرحمن بالصحبة والصلاح والعز في قريش، وكانت عائشة لا ترده في شفاعة لمكانته عندها، وشفَّعته في ابن الزبير حين حلفت لا تكلمه وضاقت الأرض بابن الزبير وخضع لها كل الخضوع واستشفع إليها ببني هاشم.. حتى استشفع لها بعبد الرحمن والمسور بن مخرمة، وكانت عائشة تكرم بني زُهرة لخؤولة النبي ﷺ. وعبد الرحمن ممن ذكره أبو موسى وعمرو بن العاص في الحكومة أن يولوه ويخلعوا عليا ومعاوية.

وأشار الناظم إلى سبب موت الأسود بقوله: **أبى النبي**.. إلى آخره. كان الأسود مِن المستهزئين فحنى **جبريل** ظهره والنبي ﷺ ينظر، فقال: «يا جبريلُ خالي خالي»! فقال: دعْه عنك، **فدق صلبه:** أي كسر ظهره. قوله: **وقيل بالسَّموم**.. إلى آخره: روي أن سبب موته أنه خرج في حاجة له فأصابته **السَّموم** - وهي الريح الحارَّةُ - حتى غيرت لونَه، فأتى أهله فلم يعرفوه لتغيره بتلك الريح، فلم يزلْ يستسْقيهم وهم لا يعرفونه ولا يفهمون ما يُريد حتى **انفأى:** أي انصدع، أي مات؛ وذلك قول البوصيري:

---

(1) الذين نزل فيهم قوله تعالى ﴿إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ الآية - [الحجر: 95].

المقداد بن عمرو

قوله: **وقد تبنى الأسود المقدادا:** يعني المقداد بن عمرو البهراوي؛ كان حليفَ بني زهرة في الجاهلية وتبناه الأسود هذا حتى كان يقال له المقداد بن الأسود إلى أن نزلت ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾[1] فقال: اسم أبي: عمرو فانسبوني إليه. ونزل به وفد **بني بهراء** بالمدينة، فأضافهم وأتحفهم أول يوم بمائدة حيْس أصابوا منها ما أصابوا وأسأروا ما أسأروا، فبعث المقدادُ سؤرهم إلى رسول الله ﷺ مع سِدرةَ، مولاة ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ـ وكانت ضباعة تحت المقداد ـ فقال ﷺ: «أَهُنَاكَ أبو معبد يا سدرةُ»؟ يعني المقداد، وهي كنية من غير ابن ـ وكان لا يولد له ـ فقالت: نعم. فأكل صلى الله عليه وسلم مع إحدى نسائه من المائدة، فارتفع الطعام في المائدة فقال: «احملي يا سدرة إلى أبي معبد»، فأكل المقداد وضباعة ولم ينقصاها شيئا، ففطن المقداد للبركة التي نزلت في الطعام بأكل النبي ﷺ، فأمسك المائدة وصار كل يوم يبعث بها إلى ضيفانه، وفدِ بني بهراء، فيشبَعون منها فتعود كما كانت.. إلى أن ارتحلوا عنه، فقالوا له: يا مقداد كنا نسمع عن بلدكم قلة الطعام وقلة الزرع وأنت تأتينا كل يوم بهذه المائدة من الحيس! فأخبرهم خبر المائدة وأكْل النبي ﷺ منها، فتعجبوا

---

(1) الأحزاب: 5.

وازدادوا إيمانا.

شهد المقداد بدرا وما بعدها وحروب القادسية وفتح مصر، وهو الذي يقرأ على الصحابة إذا تهيأوا للقتال في الفتوحات سورة الفتح[1]. ومات في خلافة عثمان سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة وصلى عليه عثمان ودفن بالمدينة. وقولي: "لا يولد له" وجدنا ذلك في عدة كتب وسمعناه من أهل العلم.

وَمِنْهُ وَهْبُ وَأُهَيْبُ وَالِدَا آمِنَةٍ وَهَالَةٍ وَسُوِّدَا

أي ومن عبد مناف بن زهرة: **وهب وأهيب** ابنا عبد مناف، وهما **والدا آمنة** أم رسول الله ﷺ **وهالة** أم حمزة رضي الله عنه. أما **وهب** فساد بآمنة، وأما **أهيب** فساد بهالة؛ تزوجها عبدُ المطلب يوم زَوَّج عبدَ الله

(1) وقد أسلم المقداد هذا قديما، وكان من أول من أظهر إسلامه وهاجر الهجرتين، وكان من أكابر الصحابة ومن خيارهم وفضلائهم ونجبائهم وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة من أصحابي وأخبرني أنه يحبهم» فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «علي والمقداد وسلمان وأبو ذر». وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرأ ويرفع صوته بالقرآن فقال: «أوَّاب» فنظروا فإذا هو المقداد بن عمرو. وكان له ببدر المشهد المحمود؛ فعن ابن مسعود: لقد شهدت من المقداد مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، وذلك أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يذكر المشركين فقال: "يا رسول الله إنا والله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ - [المائدة: 24] ولكنا نقاتل بين يديك وعن يمينك وعن شمالك"، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرق وجهه لذلك وسره وأعجبه.

آمنة، فحملت بحمزة أوان حمل آمنة بالنبي ﷺ، وكان حمزةُ تِربَ النبي صلى الله عليه وسلم وابنَ خالته وعَمَّهُ ورَضيعَه ـ أرضعتهما حليمة أو ثويبة ـ وصاحِبَه ونَقيبَه ووَزيرَه؛ قال صلى الله عليه وسلم: «لم يكن نبي قط إلا أعطي سبعة رفقاء ووزراء ونجباء وأعطيت أربعة عشر..» وذكَرهم[1]، ونظمتهم بقولي:

لكل واحد من الرسل يُرى	سبْعةُ رهط رُفقا ووُزَرا
ولرسولنا العظيم القدر	أربعَةَ عْشَر شموسُ الظهر
علي، حمزة ، أبو بكر، عمر	والحسنان، جعفرٌ بدرُ الزمرْ
سلمان، مقدادُ، أبو ذر، بلال،	حذيفَ، عمارُ، ابنُ مسعود الجبال[2]

وَأُمُّ أُمِّ الْمُصْطَفَى إِذْ تُعْزَى	**بَرَّةُ بِنتُ الْقَرْمِ عَبْدِ الْعُزَّى**
سَلِيلِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ	**أُخْتُ أَبِي طَلْحَةَ ذِي الفَخَارِ**
وَأُمُّهَا أُمُّ حَبِيبٍ تُعْزَى	**لأَسَدٍ سَلِيلِ عَبْدِ الْعُزَّى**
وأُمُّ ذِي بَرَّةُ بِنتُ عَوْفِ	**ابْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُوَيجِ الصِّرْفِ**

وأم **برة بنت عوف**: أميمة بنت مالك بن غنم من بني لحيان ابن هذيل، وأم أميمة هذه قلابة بنت أبي قلابة ـ واسمه الحارث ـ بن صعصعة بن

---

(1) الترمذي وأحمد.

(2) ولما ذكر الناظم آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم في محل ذكرها من بني زهرة، استطرد ذكر ثلاث من أمهاتها، فقال رحمه الله وعفا عنه:

طابخة بن لحيان بن هذيل[1]. وأبو قلابة من أقدم من قال الشعر، وهو القائل:

إن الـــرشادَ وإن الغي في قرن	بكـــل ذلك يأتيك الجديـــدان
لا تأمنـنَّ وإن أصبحت في حرم	إن المنايا بجنـــبي كــــل إنسان

ومِنْهُ سَعْـــدُ بْنُ أَبِـــي وَقَّاصِ	أَوْصَاهُ عَتْبَـــةُ أَخُـــوهُ الْقَاصِي
أَن يَأْخُـــذَ ابْنَ أَمَةٍ لِزَمْعَـــهْ	وَالِـدِ سَـــوْدَةَ وَرَامَ مَنْعَـــهْ
عَبْدُ بنُ زَمْعَـــةَ وحَكَّمَا النَّبِي	فَقَالَ يَا سَـــوْدَةُ عَنْهُ احْتَجِبِي
فَاحْتَجَبَـــتْ لِشِبْهِهِ بِمَن دَعَاهْ	وَظَاهِـــرُ الشَّرْعِ لِزَمْعَةَ نَمَاهْ

أي ومن عبد مناف سيدُنا **سعد بن أبي وقاص**، واسم أبي وقاص: مالكُ بن أهيب بن عبد مناف.

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

و**سعد** من النفر الذين أسلموا على يد أبي بكر، أي بعد خديجة وأبي بكر وزيد بن حارثة وعلي؛ ونظمهم الشيخ[2]، وهم: عثمان وطلحة

---

(1) وأم قلابة هذه دَبَّة بنت الحارث بن تميم، وأم دبة هذه لبنى بنت الحارث بن النمر بن جرأة بن أسيد بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار.

(2) يعني أحمد البدوي رحمه الله، ونظمه لهم هو قوله:

أول الناس بالنـــبي اقتـــداءً	أم أبنائـــه الكـــرام الجـــدودِ
فعليٌّ ثم ابن حارثـــة الكلـ	ـبيُّ زَيْـــدٌ مولى النـــبيِّ المجيدِ

<<=

والزبير وسعد وابن عوف. ولما شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عثمان وقالوا فيه إنه لا يسري بالسرية ولا يُعطي بالسوية، وقال فيه عمرو بن سعدانة الأسدي: إنه لا يحسن الصلاة، قال: أما أنا فأركد في الأوليين وأخف في الأخريَيْن - فقيل: تلك صلاةُ رسول الله ﷺ - وقال: قد أراني ثالثَ ثلاثة في الإسلام، وكنت في الشِّعب مع النبي ﷺ، وبينما أنا ذات ليلة أمشي إذ وطئت على شيء فأخذته فإذا هو رطب فابتلعته، ووالله ما أدري ما هو إلى الآن من شدة ما لقيت من الجُوع! وجلست ليلة أبول فسمعت صلصلة تحت البول فاستخرجت من تحت البول شيئا يابسا من جلد بعير فغسلته وطحنته واقتتُّ به ثلاثا؛ وكنت أوَّلَ من رمى بسهم في سبيل الله، وفَدَّاني رسول الله ﷺ بأبيه وأمه[1] ولم يقلها لأحد غيري؛ ثم أصبحت بنو أسد تعيرني في الدين! - يعني قول ابن سعدانة - ثم قال: اللهم إن كان كاذبا فأطل عمره وأدم فقره وأكثر عياله وعَرِّضْه للفتن؛ فكان كذلك، وكان يغمز الجواري في الطريق وهو شيخ فيقلن: من هذا؟! فيقول: شيخ أصابته دعوةُ سعد. وكان النبي ﷺ قال في سعد: «اللهم سدد رميته وأجب دعوته»[2]، فكان مجاب الدعوة.

>> - -

ثم إذ آمن العتيــــق دعا النا	س فجاءت عصابــة كالفــريدِ
وهْي عثمان والزبـير وسعد	وابن عــوف وطلحة بن عبيدِ

أي ابن عبيد الله التيمي.

(1) متفق عليه.

(2) رواه الترمذي وأحمد.

شهد بدرا وجميع المشاهد بعدها. وهو أحَدُ الستة الذين جعل فيهم عمر الشورى وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وقال عمر لأهل الشورى: إن أصابت الإمارة سعدا فذاك وإن أصابت غيره فليْستعن به من أصابت، فإني ما عزلته عن ضُعف ولا خيانة؛ وكان عمر قد ولاَّهُ على فارس وقال له: لا يغرنك أنك صاحب رسول الله ﷺ وخال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ففتح الله على يديه القادسية، واعتزل حروب الفتنة ولزم بيته وقال لأهله: لا تخبروني بشيء من أمر الناس حتى يصطلحوا على إمام. ثم مات بالعقيق، على عشرة أميال من المدينة وحمل إليها على رقاب الرجال ودفن بالبقيع وصلى عليه مروان في ولايته على المدينة وذلك سنة خمس وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة وقيل ثلاث وثمانين. ولما حضرته الوفاة دعا بخَلَقٍ جبة من صوف وقال: كفنوني في هذه فإني لقيت بها المشركين يوم بدر؛ وهذا مدرك[1]: "وكفن بملبوسه لكجمعة".

ولو تتبعنا ما اتصل إلينا من أوصاف سعد الحميدة لأفرغنا الدوايات وأفنينا الآلات، وأولى ما لم نسمع به.

والقاصي: البعيدُ، يقال له[2] ذلك لأنه قبل الهجرة أصاب دماءً في قريش فأقصاه ذلك إلى المدينة، ثم رجع إلى مكة وغزا مع قريش في أحُد وفعل ما

---

(1) ما ذكره خليل بن إسحاق في مختصره بقوله: "وكفن.."إلخ.. أي وكفن الميت بملبوسه لجمعة، ندبا، رجاء بركته؛ إن اتفق الورثة عليه ولا يقضى به إن تنازعوا.

(2) أي عتبة بن أبي وقاص.

فعل بالنبي ﷺ ثم أسلم على المشهور. وأوصى أخاه سعدا أن يأخذ ابن[1] وليدة لزمعة بن قيس بن عبد ودٍّ، فأراد سعد أخذه فمنعه عبدُ بن زمعة أخو أمنا سودة بنت زمعة، فتحاكما إلى النبي ﷺ، فقال سعد: هو ابن أخي وأوصاني أن آخذه، وقال عبد: أخي وولد على فراش أبي، فقال النبي ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر[2] ولكن يا سودة احتجبي عنه»، لِما يرى

(1) اسم هذا الابن عبد الرحمن، وكان تخاصمهما فيه عام الفتح.

(2) تقدم تخريجه. وقوله: للفراش أي لصاحب الفراش لا ينتفي عنه أبدا إلا باللعان، وقد قال العلماء: الحرة فراش بالعقد عليها مع إمكان الوطء وإمكان الحمل، والأمة إذا أقر بوطئها صارت فراشا أيضا إن لم يدع استبراء وحلف عليه. والمراد بالعاهر الزاني، ومعنى له الحجر أي الخيبة والحرمان ولا حظ له في الولد. وقوله: «احتجبي عنه» قال البدر العيني: أشكل معناه قديما على العلماء؛ فذهب أكثر القائلين بأن الحرام لا يحرم الحلال وأن الزنى لا تأثير له في التحريم، وهو قول عبد الملك بن الماجشون إلا أن قوله كان ذلك منه على وجه الاختيار والتنزه، وأن للرجل أن يمنع امرأته من رؤية أخيها، هذا قول الشافعي؛ وقالت طائفة: كان ذلك منه لقطع الذريعة بعد حكمه بالظاهر فكأنه حكم بحكمين حكم ظاهر وهو «الولد للفراش» وحكم باطن وهو «الاحتجاب» من أجل الشبه، كأنه قال: ليس بأخ لك يا سودة إلا في حكم الله تعالى، فأمرها بالاحتجاب منه. وفي العيني أيضا فيما يستفاد من هذا الحديث: قال أبو عمر: والحكم للظاهر لأنه صلى الله عليه وسلم حكم بالولَدِ للفراش ولم يلتفت إلى الشبه، وكذلك حكم في اللعان بظاهر الحكم ولم يلتفت إلى ما جاءت به على النعت المكروه، وحكم الحاكم لا يحل الأمر الباطل، لأمره سودة بالاحتجاب - [اهـ منه:168/11 - 169]. وهذا هو ما أشار إليه الشارح بقوله: وما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مدرك الجمع..إلخ. والواقع الحقيقي أن التفريق بين الحقيقة والشريعة مجرد اصطلاح جرى عليه العلماء العارفون من الصوفية، ولا مشاحة في الاصطلاح. ولكل فن من الفنون وعلم من العلوم اصطلاحات خاصة به لا يعلمها على الحقيقة إلا من درس ذلك العلم، وقد أخذوا أصل اصطلاحهم هذا من حديث جبريل

<<=

صلى ا لله عليه وسلم من شَبَهه بعتبة بن أبي وقاص. وما فعل رسول ا لله ﷺ هو مُدرك الجمع بين ظاهر الشريعة والحقيقة؛ راعى **ظاهرَ الشريعة** بإعطائه للفِراش، ولا يصح نفي الأب ابنَه من موطوءته ـ أمَة كانت أو حرة ـ إلا بسبب، وراعى الحقيقة بأمره لسودة بالاحتجاب عن أخيها لولا **شبهُه** بمدَّعيه؛ فكان أخاها بالشريعة وغير أخيها بالحقيقة. وإنما **نماه**، أي نسبه، **لزمعة**: كونُه ولد على فراشه من وليدته.

أَسْلَمَ عُتْبَــةُ عَلَى رَأْيٍ وقَــــدْ صَحِبَ هَاشِمُ ابْنُهُ الْقَرْمُ الأَسَدْ

بَزَّ جَلَــوْلاَءَ وَفِي صِفِّــــينِ بِرِجْلِـــهِ ذَبَّ عَنِ الْمَكِـــينِ

وَشَهِدَ الْجَمَــلَ وَالْيَرْمُوكُ فِيهْ أَعْمَتْ بَنُو الأَصْفَرِ إِحْدَى مُقْلَتَيهْ

عتبة هو ابن أبي وقاص. وقوله: **على رأي**: أورده بصيغة التمريض، وقدمنا أنه على المشهور، لأن بعض الكتب يَجزم به كالإصابة والزبيري وغيرهما. وأما **هاشم** ابنه فهو من أكابر الصحابة. **والقرم**: السيد[1].

المشهور الذي يرويه عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه في تقسيم الدين إلى ثلاثة أركان، وقد اصطلح العلماء على تسمية ركن الإسلام الذي هو الجانب العملي *بالشريعة*، وعلى ركن الإحسان وهو الجانب الروحي *بالحقيقة*، ولهذا كانوا يصفون العالم العامل والمؤمن الكامل بأنه: الجامع بين الشريعة والحقيقة. وفي قواعدهم المشهورة: كل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقة؛ وكيف تخالف الحقيقة الشريعة وهي إنما نتجت من تطبيقها؟. وا لله تعالى أعلم.

(1) **والأسد**: أي الشجاع، شبه بالحيوان المفترس في القوة والجراءة وهو تشبيه شائع. وبزَّ: أي سلب وفتح.

وجلولاء: بلدة ببغداد، **بزها**: أي فتحها هاشم بن عتبة[1] بعد أن شهد القادسية، وأبلى فيها بلاء حسنا. ويسمى فتحُ **جلولاء** "فتح الفتوح": بلغت غنائمُها ثمانية عشر ألفَ ألفٍ. ثم **شهد الجمل وصفين** مع علي رضي الله عنهما ـ وهذا كله بعد أن أبلى بلاءً حسنا في **اليرموك** وفقئت فيه **إحدى** عينيه ـ وقتل يوم صفين، وقطعت **رجله** يومئذ فجعل يقاتل وهو بارك ويقول:

الفحل يحمي شوله معقولا

والمكين: يعني نفسه، وفيه إقامة الظاهر مقام المضمر، أي **ذب** عنه، لأنه قاتل بها ورمى بها رَجُلا فصرعه، ولم يزل يقاتل ويقول:

أعور يبغي أهله محلا قد عالج الحياة حتى ملاً
لا بد أن يَفُلَّ أو يُفَلاَّ

حتى قتل رحمه الله[2].

وَأُمُّ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصِ بَنتُ أَبِي سُفْيَانٍ الْمُصَاصِ
مِنَ الْعَنَابِسِ وَحِينَ أَسْلَمَا آلَتْ عَنِ الْمَذَاقِ بِنتُ الْعُظَمَا
أَوْ يَرْفُضَ الدِّينَ لَهَا فَاسْتَعْصَمَا فَأَنزَلَ اللَّهُ ﴿فَلاَ تُطِعْهُمَا﴾

---

(1) أي تحت القيادة العامة لسعد بن أبي وقاص.

(2) ولما ذكر عتبة بن أبي وقاص وابنه هاشما، وكان ذكره لهما أثناء ترجمة سعد بن أبي وقاص استطرادا، رجع إلى ذكر سعد، فقال رحمه الله وعفا عنه:

أمُّ سعدٍ: اسمها حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس، وهي أيضا أم أخويه: عامر المهاجر للحبشة، وعمير الذي غزا بدرا مع رسول الله ﷺ فأراد أن يرده فبكى فأجازه فاستشهد ببدر وهو ابن ثمانَ عشرة سنة. **والمصاص**: الخالص. **والعنابس**: بنو أمية غير الأعياص؛ وهم: حرب وأبو حرب وعمرو وأبو عمرو وسفيان وأبو سفيان.

يعني أن حمنة هذه لما **أسلم** سعد **آلت**، أي حلفت، لا تذوق ذواقا حتى **يرفُض** لها سعد **دين** محمد ـ **وأو**: بمعنى حتى ـ **فاستعصم** سعد، أي امتنع مما أرادت منه، **فأنزل الله** القرآن موافقا لسعد وهو قوله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]. ويفهم من هذه الآية تعظيمُ شأن الوالدين لأنه تعالى إنما قال ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ﴾ ولم يقل فجاهدهما ولا فاقتلهما بعد أن قدم الإيصاءَ بالإحسان، ثم قال: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾[2] تأكيدا للإيصاء بالإحسان؛ هذا في حق

---

(1) العنكبوت: 8.

(2) لقمان: 15. وذكر الشارح رحمه الله هنا خلطا بين آيتي العنكبوت ولقمان لأن قوله: ﴿بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ﴾ من سورة العنكبوت، وقوله: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ من سورة لقمان. فقد قال عز وجل في سورة العنكبوت: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الآية: 8)، وقال سبحانه في سورة لقمان: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾

<<=

المشرك فكيف بالمسلم!. وحمنة إذ ذاك مشركة، ثم أسلمت فكانت صحابيةً.

عَمْرُو بْنُ سَعْدٍ غَالَهُ الْمُخْتَارُ نَجْـلُ أَبِـي عُبَيْدٍ الْجَبَّارُ
أَن كَانَ أَغْرَى بِالْحُسَيْنِ ابْنَ زِيَادْ وَابْـنُ زِيَادٍ كَانَ أَغْـرَاهُ وزَادْ

غاله: قتله. **والجبار:** صفة للمختار. **والحسين:** هو السبط رضي الله عنه. **وابن زياد:** هو عبيد الله بن زياد بن أبيه.

يعني أن **عمرو بن سعد** بن أبي وقاص ـ وأمه من كندة ـ قتله **المختار** بن **أبي عبيد** بن مسعود الثقفي، صاحبِ الجسر[1]. وكان المختار ينتصِر لآل رسول الله ﷺ مع كفره؛ يدعي أُمُورا لا تكون إلا للأنبياء، منها أن الملائكة تطاوعه في أمرٍ همَّ به ويقاتلون معه[2]؛ وقال صلى الله عليه وسلم: «يخرج من ثقيف كذاب ومبير»[3]، وقالت أسماء للحجاج: أما الكذاب فالمختار بن أبي عبيد وأما المبير فلا أراه إلا أنت.

وكان أبو عبيد صحابيا وكان من الصالحين واستشهد يوم جسره؛ برك عليه الفيل فقتله، بعد أن أوجع في المشركين. ولكن ابنه المختار يذكر

>> -- وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (14- 15).

(1) قوله صاحب الجسر: هو بالجر صفة لأبي عبيد بن مسعود.

(2) روي أن عليا رضي الله عنه قال فيه: قاتله الله لو شق عن قلبه الآن لوجد ملآن من حبِّ اللات والعزى.

(3) رواه مسلم والترمذي.

بالكفر والسحر، مع دعواه حب آل رسول الله ﷺ وانتصاره لهم.

ثم غزاه مُصعب بن الزبير لكفره فقتله. وهو من الذين خالفوا آباءهم كعمْرو بن سعد هذا وعمرو بن سعيد بن العاص وعمرو بن الزبير.

وإغراء عمرو بن سعد **لابن زياد** أن **الحسين** رضي الله عنه وعده أهل الكوفة بالبيعة، فسار إليهم في ثلاثين من أهل البيت؛ فلما قرب منهم تثبط وبعث إليهم مسلمَ بن عقيل بن أبي طالب ليأخذ له البيعة عليهم.

فقدم عليهم **ابن زياد** متلثما متنكرا فكلما مر بناد وسلم عليه يقولون: وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد، فصعد المنبر وبايعوه؛ فحسر لثامه فإذا هو ابن زياد، فاستمرُّوا على بيعته ليزيد بن معاوية. واختفى مسلم بن عقيل فدُلَّ عليه ابن زياد فقدمه للقتل، فنظر مسلم إلى عمرو بن سعد فَسَارَّهُ وقال له: ليس في القوم قرشي غيرك فاذهب إلى الحسين بمكان كذا، في ثلاثين من أهل البيت، فاخبره الخبر. فلما قتل مسلم قال عمرو بن سعد لابن زياد: أتدري ما سارني به؟ قال: اكتم على ابن عمك، قال: الأمر أجل من ذلك، فأخبره؛ فقال له ابن زياد: أما إن لم تكتم عليه فلا يتولى قتال ابن عَمِّكَ غيرك.. فبعثه على جيش الشقاوة الذي قتل الحسين وأصحابه؛ منهم علي الأكبر بن الحسين والعباس أبو قربة وعبد الله وعثمان وجعفر بنو علي، وأمهم من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[1].

---

(1) انظر تفاصيل ذلك في تكملة هذا الشرح: (رياض السيرة والأدب في إكمال شرح عمود النسب: 101/1) عند قول الناظم : **واستشهدت من آل خير مرسل**... الخ.

قوله: **وزاد**: أي زاده على الإغراء، بأن وعده أن يوليَه على الرَّي[1].

رِيئَتْ بِدَيْرٍ أَرْؤُسُ: رَأْسُ الْحُسَيْنْ بَيْنَ يَـدَيْ نَجْـلِ زَيَادٍ اللَّعِينْ

وَرَأْسُ ذَا بَيْنَ يَـدَيْ مُنْتَصِـرِ .مَعْ كُفْـرِهِ. لآلِ خَيْرِ مُضَرِ

وَرَأْسُ هَذَا السَّاحِـرِ الْمَرِيدِ وَهْوَ الْكَـذُوبُ ابْنُ أَبِي عُبَيْـدِ

بَيْنَ يَدَيْ مُصْعَبٍ النَّدْبِ الأَغَرّ وَرَأْسُ ذَا بَيْنَ يَدَيْ رَشْحِ الْحَجَرْ

فَاسْتَشْأَمَ الدَّيْرَ وَهَـدَّهُ الْمَلِكْ خَوْفًا مِّنَ ان يَكُونَ خَامِسًا نُّهِكْ

يشير إلى أن عبد الملك بن مروان حين قتل مصعب بن الزبير كان جالسا **بدير** بالكوفة فأتي برأس مصعب فأتاه ـ رجل لم يسم ـ فقال له: يا أمير المؤمنين رأيت بهذا الدير **رأسَ الحسين بين يدي** ابن **زياد** في إمارة يزيد بن معاوية، ثم رأيت **رأس** ابن زياد بين يدي المختار **بن أبي عبيد**، ثم رأيت **رأس ابن أبي عبيد بين يدي مُصعب**، ورأيت **رأسَ** مصعب بين يديك! فالتفَت إليه وقال له: لا أراك الله **خامسا**، وأمر بهدم الدير من أصله **خوف** أن يرى رأسُه فيه بين يدي أحد من بعده.

وقوله: **نُهك** أي غُلب، أي غلبه سلطان آخر. **واللعين**: المبعد من رحمة الله، أو من يلعنه الناس، وصف به نجل زياد لقتله الحسين رضي الله عنه. **والندب**: الظريف. **والأغر**: السخي الكريم. **ورشح الحجر**: عبد الملك، سمي

---

(1) ولما ذكر عمرو بن سعد والمختار بن أبي عبيد وعبيد الله بن زياد، استطرد حكاية تناسب المقام الذي ذكروا فيه، فقال رحمه الله وعفا عنه:

به لبُخله؛ على أنه يُعطي قليلا إعطاءً مثل رشحِ الحجر[1].

تنبيه الذي أتى عبدَ الملك برأس مُصعب: عبيد الله بن زياد بن ظبيان التيميُّ من بني تيم الله بن ثعلبة[2]، ولما وضعه بين يديه خر ساجدا شكرا لله، وكان عبيد الله يقول: ما ندِمت على شيء أكبر من ندامتي على أني حين سجد عبدُ الملك لم أقتله فأكون قد قتلت مِلكَي العرب في يوم واحدٍ؛ وفي ذلك يقول:

وألحقت من قد خر شكرا بصاحبهْ

وَهَكَذَا مَخْرَمَةُ بْنُ نَوْفَلِ وَإِذْ إِلَى الْمِسْوَرِ نَجْلِهِ الْعَلِي

---

(1) ولقد أحسن الناظم ـ كعادته ـ في العبارة حيث وصف كلا من الأربعة بأوصاف مناسبة له ووصف المختار بن أبي عبيد بالكفر والسحر والتمرد والكذب، رغم انتصاره لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان أبو عبيد بن مسعود الثقفي قد قدم من الطائف لما ندب عمر الناس إلى العراق فخرج فاستشهد بالجسر، وبقي ابنه المختار المذكور هنا بالمدينة منقطعا إلى بني هاشم، ثم كان مع علي بالعراق، وسكن البصرة بعد عليٍّ. وكان في أول أمره خارجيا ثم صار زيديا ثم صار رافضيا. وكان يدعي حب أهل البيت ويسر طلب الدنيا فيأتي بالكذب والجنون، وكان يتظاهر بالخير والفضل يرائي بذلك كله ويكتم الفسق، إلى أن ظهر منه ما كان يضمر. وقد شهد عليه جماعة من أهل البيت وغيرهم بدعوى النبوءة والكذب الصريح وادِّعاء أن جبريل يأتيه وأن الملائكة تقاتل معه، وكان قد طلب الإمارة وتغلب على الكوفة ومكث في الإمارة ستة عشر شهرا، وكان يتظاهر بطلب دم الحسين فاجتمع عليه بشر كثير من الشيعة، وطلب قتلتهُ حتى قتلهم وأبلى في ذلك بلاء حسنا أحبه لأجله كثير من المسلمين، ثم سار إليه مصعب بن الزبير من البصرة، وكان واليا عليها من قبل أخيه عبد الله، فظفر به فقتله. ولما انتهى خبر المختار بن أبي عبيد، سار عبد الملك بن مروان بجيوش الشام إلى مصعب بن الزبير فقتله واستولى على البصرة والكوفة.

(2) ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

أَرْسَـلَ يَخْطُـبُ الْمُثَنَّى رَدَّهُ   إِذْ بِنتُ عَمِّـهِ الْحُسَيْنِ عِنـدَهُ

وهكذا: إشارة إلى قوله: ***ومنه سعد بن أبي وقاص***؛ أي ومن بني عبد مناف بن زهرة **مخرمةُ بن نوفل** بن أهيب بن عبد مناف بن زُهرة، أسلم يوم الفتح وشهد حنينا وكان من المؤلفة قلوبهم بخمسين بعيرا. وكان من أكابر قريش وعلمائهم بالأنساب، وممن بعثهم عمرُ يحدُّون الحرم وينصِبون فيه أنصابه[1]، وممن عاش في الجاهلية ستينَ وفي الإسلام ستين؛ وابنه **المسورُ** كان من أفاضل الصحابة؛ أمه عاتكة بنت عوف، أختُ عبد الرحمن بن عوف لأبيه وأمه[2]؛ أسلمت وهاجرت. وكان **المسور** ممن يلزم عمر بن الخطاب يحفظ عنه، وكان ذا مكانة عند عائشةَ ومن أهل الفضل والدين، ولم يزل مع خاله عبد الرحمن، مقبلا ومدبرا في أمر الشورى، حتى خلع عبدُ الرحمن نفسه.

قوله: **وإذ إلى المسور**: يعني أنه خطب عنده الحسن **المثّنى** إحدى بناته **فرده** اتقاءً لما تكره فاطمةُ **بنت الحسين** لأنها حينئذ تحت الحسن المثنى[3].

---

(1) وهم مخرمة هذا وسعيد بن يربوع وأزهر بن عبد عوف، عم عبد الرحمن بن عوف، والرابع حويطب بن عبد العزّى. وعن ابن عباس: أن الله تعالى أرى إبراهيم عليه السلام أنصاب الحرم فنصبها، ثم جددها إسماعيل، ثم جددها قصي، ثم جددها النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بعث عمر الأربعة المذكورين فجددوها - [سموط الذهب].

(2) كذا في *الإصابة* ولم يذكر غيره، وصدر ابن عبد البر بأن أمه الشفاء بنت عوف، قال: ويقال بل عاتكَة بنت عوف.

(3) قيل لما خطب إليه الحسن المثنى بنته قال له: والله ما من نسب ولا صهر أحبُّ إليَّ من

<<=

وخطب يوما عَلِيٌّ علَى المنبر فقال: أيُّها الناس إن الحسن يخطُب عندكم ولياتِكم، ألا فاعلموا أن الحسن مطلاقٌ، فقال المسور: يا أمير المؤمنين وا لله لو أرادهن الحسن للوأد ما رددْناه، فسر عليٌّ بقوله.

وكان المسورُ بالمدينة إلى أن توفي معاوية فكره بيعةَ يزيد فانحاز إلى مكة، فلم يزل بها إلى حصار ابن نُمير؛ فأصابه حجر من حجارة المنجنيق الذي رَمَى به الحصينُ الكعبة فقتله[1].

قوله: **إلى المسور** متعلق **بأرسل**، وضمير النصب في **رده** يعود على **المثنى**، وفاعله ضمير يعود على **المسور**[2].

وبِنتُ عَوْفٍ أُمُّهُ الشِّفَاءُ   قَابِلَةٌ فِي قَوْلِهَا شِفَاءُ

تبع في بيته هذا غَلَطَ بعضِ الكتب، لأنهم يقولون إن **قابلةَ** النبي ﷺ

نسبكم وصهركم ولكن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال: «فاطمة بضعة مني يغيظني ما يغيظها ويبسطني ما يبسطها»، وعندك ابنتها ولو زوجتك لغاظها ذلك. قال المحب الطبري: في هذا دليل أن الميت يراعى فيه ما يراعى في الحي.

(1) ومن ذريته أبو بكر بن عبد الرحمن بن المسور، شاعر إسلامي مقل. يحكى أنه خرج ذات يوم إلى الشام فلما كان ببعض الطريق ذكر امرأته صالحة بنت أبي عبيدة بن المنذر بن الزبير، وكان شديد الحب لها، فضرب وجوه رواحله راجعا إلى المدينة وأنشد:

بينما نحن من "بلاكث" بالقا   ع والعيس تهوي هويا
خطرت خطرة على القلب من ذكـ   ـراك وهْناً فما استطعت مضيا
قلت لبيك إذ دعاني لك الشو   ق وللحادِيَيْن حثا المطيا

(2) ثم استطرد ذكر أم المسور وأم أبيه مخرمة، وبدأ بأم المسور، فقال رحمه ا لله:

أختُ عبد الرحمن بن عوف؛ وذلك لا يصِحُّ لأنها إذا لم تكن أصغر من النبي ﷺ كانت معاصرةً له، ولا يصح أن تكون أسنَّ منه بما يمكن به أن تكون قابلة له؛ فجرَّهم ذلك الغلط إلى نسبتها لعوف؛ وليس عوفها بعوف عبد الرحمن وإنما هو عمُّ أبيه؛ فعبدُ الرحمن هو ابن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث، وهي **الشِّفاءُ بنت عوف** بن عبد بن الحارث، بنت عم أبيه، وأيضا هي التي يصح أن تكون قابلةً للنبي ﷺ. وأما أم المسور فاسمُها عاتكة بنت عوف كما قدمنا، وقيل الشفاء كما في النظم.

وَأُمُّ مَخْرَمَةٍ الْعَلِيِّ رُقَيْقَةُ بِنْتُ أَبِي صَيْفِيِّ
وَهْيَ الَّتِي رَأَتْ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبْ رُؤْيَا بِهَا الْجَدْبُ عَنِ النَّاسِ سُلِبْ

رُقَيْقة (بقافين وبصيغة التصغير): **بنت أبي صيفي** بن هاشم، بنت أخي **عبد المطلب**. وهذه **الرؤيا** مشهورة في الكتب، حتى أجاب بعض العلماء عنها من سأله عن قول أبي طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عِصْمة للأرامل

كيف قال هذا أبو طالب واستسقاءات النبي ﷺ كلها بالمدينة بعد موت أبي طالب وبعد الهجرة، التي بعد موته بثلاث سنين أو أكثر على قول؟ فقال المسؤول: يعني أن أهل مكة أقحطوا فرأت رقيقة بنت أبي صيفي في المنام قائلا يقول: ألا هلموا للحيا والخِصْب، فقام إليه الناس؛ قالوا: وما تقول؟ قال: "فلْيَقم رجل طوال فضفاض له شرف يكظم عليه[1] ألا

(1) فضفاض: أي واسع الصدر. ويكظم عليه: أي لا يبديه ولا يظهره.

فليعتضد ابن ابنه وليمسّ من الطيب وليطُف بالبيت وليخرج إلى أبي قبيس وليأتِ مع البطحاء وهو يدعو والناس يؤمنون على دعائه". فكل من قَصَّت عليه رؤياها يقول: هذا شيبةُ الحمد. فخرج شيبةُ معتضدا النبي ﷺ، وهو غلام، ففعل ما في الرؤيا؛ فما أتموا أمرَهم حتى مُطِرُوا مطرا عجيبا، فقالوا في ذلك:

بشيبة الحمد أسقى الله بلدَتنا وقد فقدنا الحيا واجلوَّذ المطر[1]

وذلك الذي يعني أبو طالب.

هُنَا انتَهَى عَبْدُ مَنَافٍ الَّذِي يَبْأَى بِأَنَّ مِنْهُ أَحْمَدَ احْتُذِي

يبأى: يفتخر، قال جعدة بن هُبيْرة:

ومن ذا الذي يبأى علي بخاله كخالي علي ذي الندى وعقيل

واحتذي: قُطِع، أي خرج منه. يعني أن **عبدَ مناف** بن زُهرة، أي القبيل، يفتخر ـ وحق له ـ بأن **أحمد** ﷺ خرج منهم؛ لأن آمنة: بنتُ وهب ابن عبد مناف[2].

وَمِن بَنِي الْحَارِثِ عَبْدُ عَوْفِ جَدُّ ابْنِ عَوْفٍ الأَمِينِ الصِّرْفِ

ومِن بَنِيهِ السَّادَةِ: الصَّفِيُّ سَلَمَةُ ومُصْعَبُ الأَبِيُّ

---

(1) الاجلواذ: ذهاب المطر.

(2) ولما أنهى الكلام على البطن الأول من بني زهرة، وهو بنو عبد مناف، أخذ يتكلم على البطن الثاني منه وهو بنو الحارث بن زهرة، فقال رحمه الله وعفا عنه:

فَـــرَّ إِلَى أَبِي خُبَيْبٍ بِالْحَرَمْ   إِذِ اللَّطِيـــمُ بِالْمَدِينَـــةِ أَلَمّ
وَرَامَ مِنْـــهُ أَن يَـهُـــدَّ دُورَا   آلِ النَّبِـــيِّ فَأَبَى الْمَحْظُـــورَا
ومَـــاتَ فِي حِصَـــارِهِ وكَانَا   يَثْـــبُ وَثْبًا لَّمْ يَكُـــن يُـــدَانَى
أَوْصَى ابْنُ عَوْفٍ العَظِيمُ الْقَدْرِ   لِكُلِّ وَاحِـــدٍ مِّنَ اَهْلِ بَـــدْرِ
- وَهُـــمْ زُهَاءُ مِائَـــةٍ - بِأَرْبَعِ   مِائَـــةِ دِينَـــارٍ، وَمَالُ الأَلْمَعِي
لِكَثْرَةٍ أَيْدِي الرِّجَالِ مَجِلَـــتْ   فِي قَلْعِهِ وَبِالْفُـــؤُوسِ عَمِلَتْ
أَوْصَى بِأَلْـــفِ فَرَسٍ تَصَدَّقَا   وَضِعْفَ ذَا.. وَبِنَـــوَاةٍ أَصْدَقَا
لِفَقْـــرِهِ عِنْـــدَ نُـــزُولِ يَثْرِبِ   وَخَلْفَـــهُ لِفَضْلِـــهِ صَلَّى النَّبِي
وتَحْتَـــهُ غَزَالِ بِنتُ كِسْـــرَى   وذَاتُ نَعْـــشٍ حَجَبُوهُ سَتْرَا
لِشَحْمِهَا وَقَـــدْ تَأَذَّى عُمَـــرُ   بِـــهِ، وَمِنْ هُنَا النِّسَاءُ تُسْتَرُ
وَحَمْنَـــةٌ وَأُمُّ كُلْثُومٍ نَّـــزَلْ   أَن لاَّ تُعَادَ لِقُرَيْـــشٍ وَقَفَـــلْ
عَنْهَا الْوَلِيـــدُ وعُمَارَةُ فَـــمَا   بِهَا إِلَيْهِـــمْ رَجَـــعَا إِذْ قَدِمَا

أي ومن بني **الحارث** بن زهرة: **عبدُ عوف** بن عبد بن الحارث بن زهرة، وهو **جد** عبد الرحمن **بن عوف** بن عبد عوف؛ كان اسمه عبدَ عمرو فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن[1].

---

(1) ذكره ابن سعد والزبيري وغيرهما.

ترجمة عبد الرحمن بن عوف

أسلم قديما على يد أبي بكر مع الرهط الذين دعاهم أبو بكر إلى الإسلام فأجابوا. ووصفه **بالأمين** لقول النبي ﷺ: «عبد الرحمن بن عوف أمين في السماء أمين في الأرض»[1]. **والصِّرف** (بالكسر): الخالص؛ لأنه خالص النسب من الهجنة، وخالص الإيمان من النفاق، وخالص الأعمال من الرياء.. ومن كل ما يذم. شهد بدرا وجرح فيها في رجله، وكان يعرُجُ منها، ثم شهد أحدا وجرح فيها إحدى وعشرين جراحة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وبعثه إلى كَلْبٍ بدومة الجندل، وعمَّمه زيدُ بن حارثة فحلها رسول الله ﷺ وعممه بيده، وأسدلَ منها ذراعا بين كتفيه وقال له: «سر باسم الله إن فتح الله عليك فتزوج ابنةَ ملكِهم»[2]؛ فأسلم الحي وتزوج عبد الرحمن ابنة ملكهم تماضرَ بنت أصْبَغَ - وهي أول كلبية تزوجت في قريش في الإسلام - فولدت له سلمةَ بن عبد الرحمن، الذي ذكره بقوله: **ومن بنيه السادة**..إلى آخره. **والسادة:** جمع سيد وهي صفة لبنيه. **والصفي:** مبتدأٌ خبره: **من بنيه، وسلمة** بدل منه؛ ويقال له أبو سلمة وهو أحد فقهاءِ المدينة السبعة، على قول - بدل أبي بكر بن عبد الرحمن - قال زين الدين العراقي[3]:

---

(1) أخرجه الحاكم ورواه ابن عبد البر في *الاستيعاب*.

(2) ذكره في *زاد المعاد* وذكره ابن سعد، ورواه ابن عساكر في *تهذيب تاريخ دمشق*.

(3) في ألفيته: **وفي الكبار الفقهاءُ السَّبعةُ خارجةٌ، القاسمُ ثم عروة**

ثم سليمان، عبيد الله سعيدُ والسَّابعُ ..إلخ.

... ... والسابــع ذو اشتبــاه

إمــا أبو سلمــة أو ســالــمُ أو فأبو بكــر خــلاف قائم

(يعني[1] أنه اختلف في سابع الفقهاء هل هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أو سالمُ بن عبد الله بن عمر أو أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي)[2].

ثم خلف على تماضرَ بعد عبد الرحمن: خالدُ بن عقبة بن أبي معيط فولدت له.

والأبي: الذي يأبى الضيم ويقال: آبي الضَّيم من أباة؛ قال الشاعر:

رئمت لسلمى بَوَّ ضَيْمٍ وإنــي قديما لآبِي الضَّيْــم وابن أباة[3]

---

(1) أنَّ ممن يُعَدُّ من كبار التابعين الفُقَهاءُ السبعةُ من أهل المدينة، وهم: خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وعروة بن الزبير الأسدي وسليمان بن يسار الهلالي وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وسعيد بن المسيب، وأنه اختلف..إلخ.

(2) وقوله: "خلاف قائم": أي قديم، أي قوي، وذكر بعضهم أن عددهم اثني عشر فقيها؛ فزاد في المذكورين ونقص.

(3) وفي المثل: "رئمت له بَوَّ ضَيْم" قال في مجمع الأمثال: البوُّ جلد الحُوار المحشوُّ تبناً، وأصله أن الناقة إذا ألقت سَقطها فخيف انقطاع لبنها أخذوا جلد حُوارها فيحشى ويلطخ بشيء من سلاها فترأمه وتدرُّ عليه، يقال: ناقة رائم ورؤوم إذا رئمت بوَّها أو ولدها، فإن رئمته و لم تدر عليه فتلك العلوق وأنشد:

أنى جزوا عامرا سوأى بفعلهمُ أم كيف يجزونني السّوْأى من الحسن

أم كيف ينفع ما تعطي العلوق به رِئمَانَ أنــف إذا ما ضنَّ باللَّبن

وأنشد المبرد:

<<=

ومن إبائه[1] ما ذكر أنه **فر إلى** ابن الزبير بمكةَ، وهو أميرُها، لما **أَلَـمَّ**، أي نزل، **اللطيم بالمدينة** أميرا من جهـة يزيـد بـن معاويـة. **واللطيـم**: عمـرٌو بـن سعيد بن العاص؛ سمي بذلك لأن الجن لطمتـه فصـارت في شـدقه رخـوة، ويقال له أيضا الأشدق. فلما قدم عمرو المدينة ولي مصعبا شرطتـهُ، وكان قبل ذلك والِيَ شـرطة مـروان، إذ كـان واليـا لمعاويـة علـى المدينـة. فـأمر الأشدق مُصعبا أن يهدم **دورَ** بـني هاشـم وأن يشـدد عليهـم، فقـال: أيهـا الأمير إنه لا ذنب لهؤلاء ولسـت أفعـل، فقـال: انتفـخ سَـحَرُك يـا ابـن أم حريث ـ وكانت أمُّهُ سبية[2] ـ فألق عنـك سيفَنا، فرمـى بالسـيف وخـرج ولحق بعبد الله بن الزبـير، فقتـل في حصـار الحصـين بـن نمـير؛ خـرج هـو ومصعب بن الزبير والمختار بن أبي عبيد إلى عسـكر الحصـين ليـلا، فبـاتوا يقاتلونه فأصبحوا وقد قتلوا مائة رجل من أهل الشـام، وأصيـب ابـن عبـد الرحمن، وكان معهم عبدُ الله بن مطيع فقُتِل أيضا. وكان مُصعب **يَثِبُ** في القتال **وثبا** عجيبا بين كـل وثبتـين اثنـا عشـر ذراعـا، وكـان جـرْحُ سـيفه يعرف بين الجراحات لأنه كان أشدَّ الناس بطشا وأشجعَهم قلبـا، وأصابـهُ

-- >>

رئمتُ بسلمى بوَّ ضيـــم ... إلخ. وبعده:

فقد وقفـــتني بين شك وشبهة وما كنـــت وقافا على الشبهات

ويضرب هذا المثل لمن ألف الضيم ورضي بالخسف طلبا لرضا غيره ـ [اهـ منه].

(1) أي مصعب بن عبد الرحمن بن عوف.

(2) من بهراء ـ [الزبيري].

تلك الليلة سهمٌ قتله، فرثاه رجل من جذام فقال:

فلِلّهِ عينا من رأى مثلَ مصعب أعفَّ وأقضى بالكتاب وأفهما
وقالوا أصابت مُصعبًا بعضُ نبلهِم فعــز علينا من أُصيبَ وعزَّما
وشد أبو بكر لنا الرُّكن شــدة أبت للحصين أن يطاعَ فيعزما

قوله في **حصاره**: فيه التفات عن ضمائر **اللطيم** إلى **أبي خبيب** المتقدم ذكره، وذلك جائز إن علم؛ ومعلوم أن الحصار كان لابن الزبير.

ولم يذكر من بني عبد الرحمن إلا هذين، وهم ثلاثة عشرة، ومات الرابع عشر في الجاهلية، واسمه سالم الأكبر؛ أمه أم كلثوم بنت عتبة بن ربيعة. وأما بنوه الإسلاميون فأكبرهم بنو أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهم: محمد وإبراهيم وحميد وإسماعيل - صحابة كلهم وُلِدُوا على عهدِ النبي ﷺ، أو منهم من ولد بعده، وكلهم حمل عنه العلم - وعروة بن عبد الرحمن؛ أمه بنت هانئ بن قبيصة[1]، وسالم الأصغر؛ أمه سهلة بنت سهيل بن عمرو - وأخوه لأمه محمدُ بن أبي حذيفة بن عتبة - وأبو بكر بن عبد الرحمن؛ أمه من بني كنانة[2]، وعبد الله الأكبر؛ أمه من بني عبد الأشهل، وعبد الله الأصغر (هو أبو سلمة[3])، وعبد الرحمن بن عبد

(1) ابن مسعود الشيبانية واسمها بحرية. وكان عروة ابنها قد قتل بافريقية؛ وقتل بها أيضا أخوه عبد الله الأكبر.

(2) اسمها أم حكيم بنت قارظ بن خالد بن عبيد بن سويد من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة - [الزبيري].

(3) أمه تماضر بنت الأصبغ، كما مرَّ قريبا.

الرحمن؛ أمه أسماء بنت سلامة بن مخرمة التميميةُ (عمتها أسماء بنت مخرمة أم عياش وأبي جهل والحارث بن هشام)؛ وأخوه لأمِّه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وعثمانُ بن عبد الرحمن؛ أمه غزالِ بنتُ كسرى؛ من سبي سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن، وسهيل بن عبد الرحمن؛ أمه حميرية[1] وهو الذي يعني ابن أبي ربيعة بقوله ـ حين تزوج سهيل الثريا بنتَ عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وكان ابنُ أبي ربيعة يتشبَّب قدما بالثريا ـ:

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان؟

هي شاميةٌ إذا ما استهلت وسُهيل إذا استهلَّ يمانِ!

قوله: **وهم زهاءُ**، أي نحو. **والألمعي**: المتوقد الذكاء. **ومجِلت** يده: نَفِطَت من العمل، أو صارت فيها جلدة رقيقة فيها ماءٌ (وهي "الدواحيس" بالحسانية[2]). **وتصدقا**: منصوب بـ"أن" محذوفة، أي أوصى بأن تصدق عنه **ألف فرس**، وأوصى وتصدق **بضعف** هذا المذكور، لأنه رضي الله عنه كثيرُ الأموال جدا وهو جواد بها في سبيل الله. وقدمت عليه يوما عير سبعمائة ناقة حاملة المِيْرة فلم يدخل عليه منها شيء؛ تصدق بها وبأحمالها وأحلاسها وأقتابها. ولم تنقص كثرةُ صدقاته كثرةَ أمواله؛ قال عمر حين حمى الحمى لإبل الصدقة: "وإياي وأنعام ابنِ عوف وابن عفان"!.

---

(1) اسمها مجد بنت زيد بن سلامة الحميرية. والرابع عشر من أبناء عبد الرحمن عمرو بن عبد الرحمن بن عوف، قال الشارح: لم أذكره في عددهم ولا في تسميتهم إذ لم أقف على أمه.

(2) الحسانية تطلق على اللهجة العربية الدارجة بالبلاد الموريتانية وما جاورها.

ودخل يوما على أمِّ سلمة فقال لها: يا أماه هلكت! كيف أصنع.. أنا أكثرُ قريش مالا؟[1] فقالت: يا بني انفق، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه»[2]، فلقي عمر فأخبره بالحديث فجاء أمَّ سلمة فقال لها: أنشدك بالله هل ذكرني منهم رسول الله ﷺ؟ فقالت: لا ولكن والله لا أبرئ أحدا بعدك.

وكان عبد الرحمن يزرع بالجرف على عشرين ناضحا[3] فيدخر منه قوت أهله سنة ويتصدق بالباقي، وأعتق في يوم واحد ثلاثين عبدا. ولا يُعِدُّ أمواله إلا للآخرة كسدِّ الثغور وتجهيز الجيوش المجاهدين في سبيل الله وغير ذلك من أنواع البر. وكذلك عثمان وغيرهما من ذوي الأموال الكثيرة من الصحابة، لا لمجرَّد جمع الأموال للدنيا حاشاهم من ذلك رضوان الله عنهم.

قوله: **وبنواة أصدقا**: أي وزن نواة من ذهب؛ وكان النبي ﷺ آخى بينه وبين سعد بن الربيع، فقاسمه سعد ماله حتى نعليه وخيره بين زوجتيه لينزل له عن أجملهما؛ فقال له: بارك الله لك في مالك وأهلك ولكن دُلَّني على السوق، فلم يأخذ منه شيئا. فاشتغل بالتكسب مع الجهاد في سبيل الله حتى كثرت أمواله. قوله: **وخَلْفَه لفضله صلى النبي**: وهي صلاة الصبح،

---

(1) وفي رواية أنه قال لها: يا أماه قد خفت أن يهلكني كثرة مالي فقالت.. الخ

(2) رواه أحمد.

(3) الناضح: الدابة يستقى عليها - [المعجم الوسيط].

وذلـك في السـفر في غـزوة تبـوكَ؛ خـرج صلـى ا لله عليـه وسـلم عنهـم فاستبطأوه وقدَّموا عبدَ الرحمن، فلما صلى بهم ركعة أتـى رسـول ا لله ﷺ فأدرك الركعةَ الثانية، فلما سلم قال: «ما مات نبي قط حتى يصلي خلـف رجل من أمثلِ أمته»[1]. قوله: **وتحته..إلخ**: إنمـا ذكـر أزواجـه اللواتـي جمـع بينهن، وأما من تزوج وطلق فنساء كثيرة. أما **غزالِ** فقدمنا قريبـا خبرهـا؛ أم ابنه عثمان و لم يذكر لها غيره. وأما **ذات النعش** فهي باديةُ بنـت غيـلان أم سلمة الثقفية؛ وهي التي وصف المخنث هيـت[2] أو هنـب (بكسـر الهـاء فيهما وبالياء التحتية ثم الفوقانية أو النون والباء) لمـولاه عبـد ا لله بـن أبـي أمية بن المغيرة، والنبي ﷺ حاضر وهو يتجهز لغزو الطائف؛ قال لمولاه: إن فتح ا لله عليكم الطائف غدا فعليك ببادية َ(بالياء أو بـالنون) بنـت غيـلان الثقفية فإنها[3] تقبل بأربع وتدبر بثمان وبين رجليها كالقعب المكفـوءِ، إذا جلست تبنّتْ، وإذا مشت تثنت، وإذا تكلّمت تغنت[4].. فقـال صلـى ا لله

---

(1) ذكره ابن عبد البر في *التمهيد*.

(2) المخنّث: الذي لا هم له إلى النساء أو من فيه تكسر وتثن كالنساء، وهيت: قيل اسمـه مـاتع (بالتاء المثناة أو النون) ولقب هيت أو بالعكس، وقيل هما اثنان. وقيل كـان بالمدينـة ثلاثـة من المخنثين: هيت وهرم وماتع؛ فسار المثل من بينهم بهيت، وكان المخنثون يدخلون على النساء فلا يحجبون.

(3) ..مبتّلة هيفاء شموع نجلاء تنـاصَف وجههـا في القسـامة وتجـزّأ معتـدِلاً في الوسَـامَة أعلاهـا قضيب وأسفلها كثيب مع ثغـر كالأقحوان وثدي كالرمان تقبل بأربع..إلخ.

(4) .. وإذا اضطجعت تمنت. قوله: مُبَتَّلَة: أي جميلة كأنها بُتِّل حسنها على أعضائها أي قُطِّـع، والتي لم يركب بعض لحمها بعضـا. وهيفـاء: أي ضـامرة البطـن رقيقـة الخـاصرة. وشمـوع

<<=

عليه وسلم لنسائه: «لا يدخل عليكن هيت أبدا ما كنت أحسبه إلا من غير أولي الإربة»[1]. فلم يؤذن في فتح الطائف فتزوجها عبدُ الرحمن بعد ذلك، فولدت جويرية بنت عبد الرحمن، زوج المسور بن مخرمة.

(كصبور): مزاحة لعوب. ونجلاء: أي واسعة العين. والقسامة: الجمال والحسن. والوسامة: أثر الحسن. والقضيب: الغصنُ، شبه أعلاها به في اللين والاعتدال. والكثيب: التل من الرمل؛ شبه أسفلها به في عِظَم العجيزة. والأقحوان: نبات له زهر أبيض وأوراق زهره مفلجة صغيرة يشبهون بها الأسنان. والرمان: ثمر شجر يشبهون به الثُّدي. وقوله: تُقبِل بأربع أي من العُكَن وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا، وتُدبِر بثمان: أي بأطراف هذه العكن الأربع، يعني أن أعكانها ينعطف بعضها على بعض وهي في بطنها أربع طرائق وتبلغ أطرافها إلى خاصرتها، في كل جانب أربع. قال الخطابي: يريد أن لها في بطنها أربع عكن فإذا أقبلت رئيت مواضعها بارزة متكسرا بعضها على بعض وإذا أدبرت كانت أطراف هذه العكن الأربع عند منقطع جنبيها ثمانية. والقعب: الإناء. وتبنت: أي صارت كالبيت المبني، شبهها بالبنيان لعظمها. وتغنت: أي كأن في كلامها غنة وهي صوت يخرج من الخيشوم أي رخيم.

وقد وقع في حديث سعد بن أبي وقاص أنه خطب امرأة بمكة فقال: من يخبرني عنها؟ فقال هيت: أنا أنعتها لك: إذا أقبلت قلت تمشي بست وإذا أدبرت قلت تمشي بأربع؛ كأنه يعني يديها وثدييها ورجليها مقبلة، وردفيها مدبرة؛ وإنما نقص إذا أدبرت لأن الثديين يحتجبان حينئذ ـ [عمدة القارئ وفتح الباري وسبل الهدى والرشاد ومجمع الأمثال للميداني وغيرها].

(1) رواه البخاري والطبراني. وغير أولي الإربة: هو الأبله العنين الذي لا يفطن بمحاسن النساء ولا أرب له فيهن. والإرْب (بالكسر): الحاجة إلى النكاح. وكان هيت هذا يدخل على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم متى أراد فدخل يوما حجرة أم سلمة رضي الله عنها ورسول الله صلى الله عليه وسلم عندها، فأقبل على أخي أم سلمة عبد الله بن أبي أمية وقال له: إن فتح الله عليكم الطائف.. إلخ، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل عليكن هيت»..إلخ.

وتوفيت بادية في خلافة **عمر**، فخرج في جنازتها فلما رآها آذاه **شحمُها** فأمر بضرب قبة عليها، فكان ذلك مُدرك شرع القبة على جنائز النساء[1]. وأشار بـ **هنا**: إلى ذكره هذا الحكم، لأنه القريب، وأما فعل عمر فالإشارة إليه هناك لبُعْدِه، وقد يراد بهناك الزمان كقوله:

وإذا الأمور تشابهت وتعاظمت فهناك يعترفون أين المفزع

وحمنة التي هي من زوجات عبد الرحمن: هي بنت جحش، وهي التي كانت تستحاض في زمن النبي ﷺ وهي التي قتل عنها مصعب بن عمير وله منها زينب؛ ولم يترك مصعب من الولد غيرها، وهي أيضا التي قال فيها النبي ﷺ: «إن زوج المرأة لبمكانة عندها»[2]، وذلك أنه نعي لها أخوها عبدُ الله المجدعُ فاسترجعت ونعي إليها خالها حمزةُ بن عبدِ المطلب فاسترجعت، فلما نعي لها زوجها مصعب بن عمير ولولت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن زوج المرأة..» ـ الحديث.

وأما **أم كلثوم** فهي بنت عقبة بن أبي معيط؛ أمها أروى بنت كريز، أخوها لأمها عثمان بن عفان رضي الله عنه. لما رجع النبي ﷺ من الحديبية بعدما أبرم الصلح بينه وبين قريش على أن من جاءه منهم مسلما يرده عليهم، لحقت به أمُّ كلثوم في الطريق مؤمنة، وتبِعها أخواها الوليدُ وعمارةُ

---

(1) قال خليل بن إسحاق في مختصره: "وتَأَخُّرُ رَاكِبٍ وامْرأةٍ وسَتْرُهَا بِقُبَّة.."، أي وندب ستر المرأة الميتة حال حملها للصلاة والدفن بقبة على النعش؛ مبالغة في سترها.

(2) ذكره ابن هشام.

يستردانها من النبي ﷺ، فأراد ردَّها معهما فقالت: يا رسول الله أتردني إلى الكفار يفتنوني عن ديني ويستحلون مني ما حرم الله؟ فنزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1]، فاستحلفها رسول الله ﷺ ما هاجرت فرارًا عن زوج ولا رغبة في دنيا وإنما هاجرت لله؛ وذلك هو الامتحانُ الذي أمر الله به.

قوله: **وقفل**: أي رجع، وما **رجع** بأم كلثوم أخواها إلى قريش **إذ قدما** عليهم. فتزوجها زيدُ بن حارثة ثم الزبير بن العوام؛ وولدت له زينب بنت الزبير بن العوام، ثم تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له بنيه الذين ذكرتهم[2]. ومن ذرية عبد الرحمن: المحدث المشهور الأعرج، واسمه عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمرو بن عبد الرحمن ولم أقف على [اسم] أم عمرو بن عبد الرحمن ولذلك لم أذكره في عددهم ولا في تسميتهم. ومن ذريته أيضا رجل يقال له عاصم، وكان يذكر بالبخل؛

(1) الممتحنة: 10.

(2) وكان زيد بن حارثة قد قتل عنها يوم مؤتة، وأما الزبير فطلقها، وأما عبد الرحمن فتوفي عنها، فتزوجها بعده عمرو بن العاص فمكثت عنده شهرا فماتت. وكانت وفاة عبد الرحمن بن عوف سنة إحدى وثلاثين عن نيف وسبعين سنة بالمدينة؛ وصلى عليه عثمان بن عفان ودفن بالبقيع.

ونزل به أضياف يوما فلم يكترث بهم، فقال فيه أحدهم أبياتا منها:

فسيرا فقد جـــنَّ الظـلامُ عليكما فيا يأس من يرجو القِرى عند عاصم

وما لي مـــن ذنـــب إليه علمته ســـوى أنني قَدْ زُرته غيرَ صائم!

وسأل رجلٌ رجلاً من ذرية عبد الرحمن بن عوف عن أمـوال جدِّهـم؟ فقال: بليتْ وبقي منها رقيق، فقال له: أفيدُك كلمتين خير لك مـن المـال: إحداهما: الرقيق جمال وليس بمال، الثانية: عليك من مالك ما يعولُـك ولا تعوله.

ومن ذريته أيضا العتيدُ بن سهيل بن عبد الرحمن، أمُّه من بـني الحـارث بن كعب، وله يقول الشاعر:

إذا أنــت نادَيْت العتيدَ وذا الندى جـــبيرا ونازعت الزجاجة خالــدا

أمنـت ـ بإذن الله ـ أن تقرع العصا وأن يوقظوا من نومة السكـر راقدا

ولما أنهى الكلام على صميم بني زُهرة ألحق بهم حليفَهـم خبـاب بـن الأرتِّ، لاستحقاقه أن يذكر وللتبرك بذكره، فقال:

ومِن بَنِي زُهْرَةَ أَيْضًا بِالْحَلِفْ خَبَّابُ الْقَيْنُ الَّذِي لَمْ يَنْحَـرِفْ

بِالطَّــرْدِ عَنْ أَحْمَدَ لَكِنِ انْحَرَفْ عَن دَارِهِ لِقَبْــرِهِ وَهْوَ السَّلَفْ

يُدْفَنُ بِالــدُّورِ وبِالأُظْرُوفَــهْ أَوْصَى وَسَنَّهَا لأَهْـــلِ الْكُوفَهْ

يعني من حلفاءِ بني **زُهرة** سيدُنا **خباب** بن الأرتِّ بـن جندلـة بـن سعد الخزاعي **القين**، وقيل التميمي، وهو الأصح.

خباب بن الأرتّ رضي الله عنه

كان في الجاهلية يعمل السيوفَ ويبيعها، فسمي بذلك **القين**؛ وباع سيفا من العاصِ بن وائل وأتاه يتقاضاه، فقال له: إن كفرت بدين محمد أقضيك، ثم قال إن أبيت فامض إلى اليوم الذي تذكرون فإنكم لا تكونون أحسن مني إذا حالا.. ستجدني ذا مال وولدٍ أقضيك منه دينَك، فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾[1]. قوله **الذي لم ينحرف**.. إلى آخره: يشير إلى أن الأقرع بن حابس أتى النبي ﷺ مع قوم من العرب فوجده مع خباب وصهيب وعمار وبلال، فقالوا: إن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا مع هؤلاء الأعبدِ فإذا جئناك فأقمهم عنا، قال: «نعم»، قالوا: اكتب لنا كتابا، فدعا بصحيفة، فنزل جبريلُ بقوله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[2]، فرمى بالصحيفة وقال: «سلام عليكم»، قال خباب: فدنونا ووضعنا رُكبنا على ركبتيه؛ فكان النبي ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن نقوم قام وتركنا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[3]، فكان بعد ذلك يقعد

---

(1) مريم: 77.

(2) الأنعام: 52.

(3) الكهف: 28.

معنا؛ فإذا بلغ الساعة التي كان يقوم فيها قمنا وتركناه وإلا صبر أبدا حتى نقوم. وكان خباب أصابه سباء في الجاهلية فاشترته بمكة امرأة من خزاعة فأعتقته فحالف بني زُهرة، وقيل إن المرأة التي اشترته ـ وهي أم أنمار بنت سباع ـ أمه؛ فهو إذا خزاعي ولم يلحقه سباء قط. وكان فاضلا ومن المهاجرين الأولين؛ أسلم بعد تسعةَ عشر رجلا، وهو أوَّل من أظهر الإسلام بمكة، وشهد بدرا وما بعدها. يكنى أبا عبد الله وقيل أبا محمد، وكان ممن عُذِّب في الله وصبر، آخى النبي ﷺ بينه وبين تميم مولى خراش الأنصاري البدري.

وقوله: **لكن الحرف**..إلى آخره: يعني أن أهل الكوفة كانوا يدفنون موتاهم في أبنيتهم وعلى أبواب دورهم، وكان خباب نزل الكوفة لما نزلها علي، فلما حضرته الوفاة أوصى أهله أن يدفنوه بظهر الكوفة؛ فلما رأى أهلُ الكوفة قبر خباب بالظهر دفنوا موتاهم بظهر الكوفة[1]. وتوفي سنة سبع وثلاثين مُنصَرَف عليٍّ من صفين، وقيل مات سنة تسع وثلاثين بعد أن شهد مع علي صفين والنهروان، وصلى عليه علي[2] وله ثلاث وستون سنة، وقيل مات سنة تسع عشرة وصلى عليه عمر رضي الله عنهما.

---

(1) فكان خباب أول من دفن بظهر الكوفة. **والأظروفة**: أفعولة من الظرافة والمراد بها هذه المسألة التي هي الدفن خارج الدور ورحابها والتي أوصى بها خباب وسنها لأهل الكوفة فاقتدوا به فيها، وكان سلفهم يدفن بالدور.

(2) وقال فيه: رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وابتلي في جسمه احوالا ولن يضيع الله أجره.

نسب قصي بن كلاب

عَبْدُ وعَبْدُ الدَّارِ، عَبْدُ الْعُزَّى، عَبْدُ مَنَافٍ لِّقُصَيٍّ تُعْزَى
وانسُبْ لِعَبْدٍ ابْنَ عَمَّةِ الرَّسُولْ أَرْوَى طُلَيْبًا الصَّحَابِيَّ الْوَصُولْ

تعزى: تنسب. يعني أن قصيا ـ عمودَ النسب ـ بنوهُ لصلبه أربعة أكبرُهم **عبدُ الدار**، ومنهم **عبدُ قصي**[1] ويقال له **عبد** ـ بلا إضافة لِقُصيٍّ ـ وهو الذي يعني بقوله: **وانسب لعبد**[2]. **وعمةُ الرسول**: هي أروى بنت عبد المطلب، واختلف في إسلامها. **وطليب** هو ابن عمير بن وهب بن كبير بن عبد؛ أسلم قديما في دار الأرقم[3]، وله تقول أمه أروى:

إن طليبا نصر ابن خاله واساه في ذي دمه وماله

وهو من خيار الصحابة ومن المهاجرين الأولين؛ هاجر الحبشة وشهد بدرا

---

(1) والثالث عبد مناف والرابع عبد العزى، وكان قصي يقول: ولد لي أربعة فسميت اثنين بصنمي وواحداً بداري وواحدا بنفسي، وولد أيضا امرأتين: تَخمُرُ وبرة، أمهم حُبّى بنت حُليل بن حبشية بن سلول.

(2) وقوله: ابنَ عمة (بالنصب): مفعول به **لانسب**. **وأروى**: بدل من **عمة**. **وطليبا** (بالنصب): بدل من ابنَ. **والصحابي والوصول**: صفتان لطليبا، أي وانسب لعبد بن قصي الصحابي الوصول طليبا ابن عمة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أروى بنت عبد المطلب.

(3) ولما أسلم دخل على أمه أروى وقال لها: اتبعتُ محمدا وأسلمتُ لله عز وجلّ، فقالت له: إن أحق من وازرت وعضدت ابن خالك، والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لمنعناه وذببنا عنه، ثم قالت: إن طليبا..إلخ. ولعل الناظم أشار إلى ذلك بقوله: "الوصول"، ويروى أنه قال لها: فما يمنعك من الإسلام؟ فأسلمت، وإن كان قد ذكر الخلاف في إسلامها. واستشهد طليب هذا باليرموك وقيل بأجنادين.

وما بعدها واستشهد يوم اليرموك، قيل إنهُ أول من أهْرَاق دما في سبيل الله. وانقرض بنو عبد قصي؛ آخرهم رجل هلك ولم يترك ولدا فورثه كلالةً عبدُ الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وعبيد الله بن عروة بن الزبير بالقُعْدد.

ومن بني عبد بن قصي أيضا الحارثُ بن النقيذ بن وهب، الذي أهدر النبي ﷺ دمَه يوم الفتح؛ وكان ممن أمر بقتلهم ولو وُجدوا متعلقين بأستار الكعبة، فقتله عليٌّ، وكان يؤذي رسول الله ﷺ، وهو أيضا ممن نخس البعير بزينب بنت رسول الله ﷺ(1).

وانسُبْ لِعَبْدِ الدَّارِ هَذِهِ الزُّمَرْ: النَّضْرُ وَالنَّضِيرُ صِنْوُهُ الأَبَــــرّ

الزمر: جمعُ زمرة، وهي الجماعة؛ أي هذه الزمر التي شرع في ذكرها. **والصنو**: الأخ الشقيق والابن والعم، والمراد به هنا الأخ. **والأبر**: الكثير فعل البر، وهو صفة **للنضير** بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار، كان ممن أسلم يوم الفتح، وأعطاه النبي ﷺ مائة بعير وأخلص الإسلامَ وقتل يوم اليرموك شهيدا. وأما **النضر** أخوه فكان شديدَ العداوة لله ولرسوله، وكان يأتي قريشا بأخبار القُدماءِ من النصارى وغيرِهم ويقول لهم: محمد محدثكم من عند نفسه وأنا أخبركم بأخبار القُدماء

(1) ثم أخذ في ذكر عبد الدار بن قصي، وبنوه ثلاثة: عبد مناف، جد النضر والنضير وبغيض ومصعب. والثاني السباق، جد سويبط. والثالث عثمان جد بني أبي طلحة حملة اللواء يوم أحد؛ وذكرهم الناظم وبدأ ببني عبد مناف منهم فقال رحمه الله:

الصادقةِ، فنزلت فيه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[1]؛ وكان له قينة تغني قريشا بهجوِ رسول الله ﷺ، فأُسر يوم بدر، فلما كانوا بالصفراءِ قتله النبي ﷺ صبرا؛ أمر عليا بضرب عنقه، فقالت ابنته - أو أخته - قتيلة تَرثيه:

يا راكبا إن الأُثيْلَ مَظِنَّةٌ	**من صبح خامسة وأنت مُوفَّقُ[2]**
أبلغ به مَيْتًا بأن تحيةً	**ما إن تزال بها النجائبُ تَخفِق**
مني إليه وعبرة مسفوحة	**جادت لِمائِحها وأخرى تَخْنُقُ**
هل يسمَعَنَّ النضرُ إن ناديته	**أم كيف يسمَعُ مَيِّتٌ لا يَنطِق**
ظلت سيوف بني أبيه تنوشُه	**لله أرحام هناك تشقق**
قسرا يقاد إلى المنية مُتْعَباً	**رَسْفَ الْمُقيَّد وهْو عان موثق[3]**
أَمحمد يا خير ضِنْءٍ كريمَةٍ	**في قَوْمها والفحل فحل معرق[4]**
ما كان ضَرَّك لو مننت وربما	**مَنَّ الفتى وهو المغيظ المُحْنق**
أو كنت قابل فدية فلْيُنفَقن	**بأعز ما يَغلُو به ما يُنفق**
فالنضرُ أقربُ من أسرت قرابة	**وأحقهم إن كان عتقٌ يُعتَق**

ويُرْوَى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو بلغني هذا الشعر قبل

---

(1) لقمان: 6.

(2) الأثيل في الأصل: تصغير أثل، والأثل: هو شجر الطرفاء، ثم سمي به موضع قرب المدينة بين بدر ووادي الصفراء، ويقال له أيضا "ذو أثيل". ومظنة: موضعٌ لحصول الظنِّ.

(3) قسرا: أي قهرا. ورسف المقيد: أي يمشي مشيا يشبه رسف المقيد؛ والرسف المشي الثقيل. والعاني: الأسير. والموثق المكتوف المشدود وثاقه.

(4) الضنء: الولد والنسل. والمعرق: الكريم الذي يأتي بنسل كرام.

أن أقتله ما قتلته»[1].

بَغِيضُ شُلَّتْ يَدُهُ لِكَتْبِهِ سِجِلَّ قَطْعِ الْمُصْطَفَى وَحِزْبِهِ

بغيض (كأمير): هو ابنُ عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وهو ابنُ عم مصعب بن عمير بن هاشم. **وشلت** (بالبناء للفاعل والمفعول): يبست أو ذهبت. **والسجل**: الكتاب، منصوب **بكَتْبه** على المفعولية. **وكَتْبُه**: مصدر مضاف إلى فاعله. **وقطع**: مضاف إلى مفعوله. **وحزبه**: أي حزب **المصطفى** ﷺ، وهم بنو هاشم وبنو المطلب. يعني الصحيفة التي فيها مقاطعتُهم حتى لا يناكحون ولا يبايعون، وأخرجُوهُم إلى الشِّعب حتى جهدوا جدا، ومع قريش على ذلك أبو لهب. إلى أن قام في نقضها الخمسة ولَحِستها الأرضة.

يعني من الزمر التي تنسبُ لبني عبد الدار: بَغيضُ بن عامر الذي كتب الصحيفة، فشلت يده لذلك[2].

سُوَيْبِطُ وَمُصْعَبُ قَدْ شَهِدُوا بَدْرًا بِهَا عَن قَوْمِهِمْ تَفَرَّدُوا

يعني ومن الزمر: **سويطُ** بن سعد بن حرملة بن مالك بن عميلة بن

---

(1) ذكره ابن هشام بلا سند.

(2) ومات بغيض كافرا ـ والعياذ با لله تعالى ـ وقيل: كاتبها هو منصور بن عِكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار العبدري. وقيل: بل أبوه عكرمة وقيل كاتبها النضر بن الحارث، فدعا رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم على كاتبها فشلت يده ـ [سيرة ابن هشام].

السباق بن عبد الدار. ومنها **مصعب** بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار؛ وهذان من بني عبد الدار **شهدا** بدرا وتفردا بشهوده عن غيرهما من بني عبد الدار.

أما **مصعب** فأسلم قديما بمكة[1] وقاسى من الجوع والشدة من الكفار ما أصاب غيره من المسلمين، وكان النبي ﷺ يَرِقُّ له لما يعرف من تنعُّمِه في الجاهلية، وكانت أمه ـ وهي الخناس بنت مالك بن الظرب من بني مَعيص بن عامر بن لؤي ـ تَضَعُ إناءَ حَيْسٍ عند رأسِه إذا نامَ ليستيقظ عليه. وهو أول من هاجر إلى المدينة؛ بعثه النبي ﷺ هو وابنَ أم مكتوم مع الأنصار لِيُعلمهم القراءة ويفقههم في الدين، فأسلم على يديه كثير من الأنصار. وهو أول من صلى الجمعة، وكان معه اللواءُ يوم بدر ويوم أحد، وقتله ابن قميئة يظنه رسول الله ﷺ فقال: قتلت محمدا، ففرح المشركون وجزِع المسلمون؛ وكان مصعب إذا لبس لأمَتَهُ يشبه رسول الله ﷺ. ولم يوجد ما يكفن فيه إلا نَمِـرَة إذا غطي بها رأسـه بـدت رجــلاه وإذا غطـيت بها

(1) في دار الأرقم، وكان قد بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام فيها، فدخلها وأسلم وكتم إسلامه خوفا من أمه وقومه. فكان يختلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سِرًّا، فبصر به عثمان بن طلحة يصلِّي فأخبر به أمه وقومه فأخذوه وحبسوه ولم يزل محبوسا إلى أن هاجر إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة، ولم يزل بها إلى أن بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مع الأنصار. وكان رضي الله عنه فتى مكة شبابا وجمالا وتيها، وكان أبواه يحبانه، وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب، وكان أعطر أهل مكة ويلبس الحضرمي من النعال. وله يوم قتل بأحد أربعون سنة، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ ـ الاية ـ [الأحزاب:23].

رجلاه بدا رأسُه، فقال صلى الله عليه وسلم: «غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليْه من الاذخر»[1]، وقدمنا أنه توفي عن حمنة بنت جحش.

وأما **سويبط** فأمه من خزاعة، واسمها هنيدة، أسلم قديما وهاجر الحبشة ثم المدينة وشهد بدرا، وهو الذي باعه نعيمان من الأعراب. وذلك أنهم خرجوا في تجارة وأميرُهم أبو بكر، فجعل سويبطا على الزاد، فأتاه يوما نعيمان فقال له: أطعمني، فقال: لا حتى يأتي أبو بكر، فألح عليه فامتنع، ثم نزلوا بحي من الأعراب فأتاهم نعيمان فذكر لهم أنه يبيعُ عبدا، فقالوا له: أرنا عبدَك فقال لهم: لا تُفسدوا علي عبدي هو ذلك، ولكن لا تخبروه فإن أرضاكم فخذوه واذهبوا به وإلا فاتركوه ولا تخبروه بالبيع.. وسيقول لكم إنه حر، وكان سويبط رضي الله عنه أسودَ، فاشتروه بعشر قلائصَ وأتوه وجعلوا في عنقه حبلا ليقودوه، فقال: ما هذا؟! قالوا: قد ابتعناك من سيِّدك، فقال: ويحكم أنا حر! قالوا: قد قال لنا سيدك إنك تقول ذلك، فلم يجد بدا من أن يسير معهم. وكان أبو بكر غائبًا عنهم فلما جاء قال: أين سويبط؟ فقال نعيمان: بعْتُه بهذه القلائص، فضحك أبو بكر واستاق الإبل إلى أهلها. فلما قدموا على النبي ﷺ وأخبروه بالقصة أضحكتْهُم سنةً.

وجمع ضمير **سويبط** **ومُصعبٍ** تعظيما لشأنهما، وعلى القول بأن أقل الجمع اثنان.

---

(1) رواه البخاري وأبو داود والترمذي وأحمد.

وانسُبْ لَـهُ أَهْلَ اللِّـوَا بِأُحُـــدِ   بَنِي أَبِي طَلْحَـــةَ سَيِّدِ النَّدِي
طَلْحَةُ عُثْمَانُ أَبُو سَعْدِ السَّرِي   ومِثْـلُـهَا لِطَلْحَـــةَ الْمُعَــفَّـرِ
بِعَاصِـــمٍ كُلُّ الثَّلاثَـــةِ مُصَابْ   شُرَيْحُ أَرْطَاةُ غُلامُهُـمْ صُؤَابْ
وبَعْـــدَهُ اللِّـــوَاءُ فِي التُّرَابِ   مُلْقًى لِمَا لاقَـوْهُ لِلأَصْحَابِ

أي وانسب لعبد الدار **أهلَ اللواء بأحد** الذين قتلوا وبأيديهم لواءُ قريش، واحدا بعد واحد؛ وهم: **طلحة بن أبي طلحة**[1]؛ أمه سُلافة الكبرى بنت شهيد من بني عمرو بن عوف؛ قتله عليٌّ بن أبي طالب؛ وهو كبش الكتيبة الذي رأى النبي ﷺ في نومه أنه مردفُه. ثم أخذ اللواء بعده أخوه عثمان فقتله حمزةُ، ثم أخذه أخوهما أبُو سَعْدٍ فَقَتَلَهُ سعدُ بن أبي وقاص، ثم أخذه ابن أخيهما مسافعُ بن طلحة فقتله عاصمُ بن ثابت بن أبي الأقلح، ثم أخذه أخوه الجلاسُ بن طلحة فقتله عاصمُ بن ثابت أيضا، ثم أخذه أخوهما كلابُ بن طلحة فقيل قتله الزبير وقيل قتله عاصم؛ وأم بني طلحة هؤلاء سُلافة الصُّغرى بنت سعد بن شهيد، بنت أخي سلافة الكبرى أم طلحة؛ قالت لأحد بنيها: من قتلك يا بني؟ فقال: لا أدري ولكني سمعته حين رماني يقول: خذها وأنا ابن أبي الأقلح، فنذرت إن ظفرت برأس عاصم لتشربن فيه الخمر وجعلت مائة ناقة لمن يأتيها برأسِ عاصم، ولذلك أرادت بنو لحيان أن يأخذوا رأسَ عاصم ليأتوها به فمنعه

(1) واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي.

منهم الدَّبْرُ (أي النحل).

والندي: ندي[1] بني عبد الدار، كان **سيدهم** في الجاهلية. **ومثلها**: أي ومثل بني طلحة هؤلاء في أنهم قتلوا حاملين اللواء، ثلاثةٌ آخرون لطلحة هذا **المعفر**، أي المضروب بالعفراء وهي الأرض ــ تسمَّى بذلك للونها ــ والمعنى: المقتول فطرح على الأرض أو دفن فيها. قوله: **بعاصم كل الثلاثة مصاب**: يعني بني طلحة؛ أما مسافع والجلاس فبالاتفاق وأما كلاب فعلى غير القول بأن قاتله الزبيرُ. ثم أخذ اللواء بعد بني طلحة **شريح** بن قارظ بن شريح بن عثمان بن عبد الدار فقتله حمزة[2]، ثم أخذه **أرطاة** بن شرحبيل بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، فقال له حمزة: هلم إلي يا ابن مقطِّعة البُظور - وكانت أمه ختانة بمكة - فقتله حمزةُ. ثم أخذه عبد لبني عبد الدار يقال له **صُؤاب** فقيل قتله قُزمان بن الحارث وقيل غيره؛ أخذ اللواء بيمينه فقُطعت فأخذه بشِماله فقطعت فبرك عليه فقتل ــ ثم لم يجد اللواءُ من يأخذه وصار مطروحا في الأرض حتى أخذته عمرةُ بنت علقمة الحارثية فنصبته فلم يلتفت إليه. وإنما حمل بني عبد الدار على المحافظة على اللواء أنهم حين دنوا للقتال قام أبو سفيان يحرض الناس وقال: يا بني عبد الدار إنما يؤتى الناس من قبل راياتهم وما أصابنا ما أصابنا يوم بدر إلا من جهتكم.. فاليوم إما أن تكفونا لواءنا وإما أن تدفعوه لنا، فسبوه وقالوا له:

---

(1) الندي: مجلس القوم الذي يتحدثون فيه، جمعه أندية ويقال فيه ناد أيضا.

(2) وقيل قتله قزمان بن الحارث، وقيل لا يدرى من قتله.

أنحن ندفع إليك لواءنا! ستعلمُ، وذلك الذي يريد أبو سفيان. وقال حسان[1]:

تسعة تحمل اللواء وطارت في رَعَاعٍ مِّنَ القنا مخزومُ
لم تُطق حمله العواتِقُ منهم إنما يحمل اللواءَ النجومُ

وانسُبْ لِطَلْحَةَ ابْنَهُ عُثْمَانَا رَفِيقَ خَالِدٍ وعَمْرٍو كَانَا
لَهُ وَلابْنِ عَمِّهِ شَيْبَةَ رَدْ نَبِيُّنَا أَمَانَةً طُولَ الأَبَدْ

يعني ومن **طلحة** بن أبي طلحة المقتولِ الأول من أصحاب اللواءِ. **وعثمان**: بدل من ابنه. **ورفيقَ**: خبرُ **كان** المتأخرة.

وكان عثمان بن طلحة بن أبي طلحة من الأشراف في الجاهلية والإسلام؛ لما هاجر المهاجرون خرجت أمُّ سلمة مهاجرة وحدها فرآها فخرج معها كالمشيع لها، وكان يسير أمامها ليهديَها الطريقَ فإذا نزلت نزل وحده، إلى أن وافى على قُباء، فقال لها: زوجُك بهذه القرية، فرجع عنها. وكانت تقول: ما رأيتُ رفيقا أكرمَ من عثمان بن طلحة. ثم لم يزل

---

(1) من قصيدته التي أولها:

منع النوم بالعشاء الهمومُ وخيال إذا تغور النجومُ
وليَ البأس منكمُ إذ رحلتُم أسرة من بني قصيٍّ صميم
تسعة تحمل اللواء.. إلخ.
وأقاموا حتى أبيحوا جميعا في مقام وكلهم مذموم
لم تطق حمله العواتق .. إلخ.

بمكة على شركه إلى زمن هُدنة الحديبية فخرج مع **خالدٍ** إلى رسول ا لله ﷺ بالمدينة يريد الإسلام والهجرة، فلقيا عمرو بن العاص بموضع يقال له "الهدءة" مُقبلا من عند النجاشي يريد ما يريدان؛ فاصطحبوا، وكتم كل خبرَه عن الآخر أوّلا، ثم قال لهما عمرو: أخبراني عن شأنكما أخبركما عن شأني، فقال خالدُ: يا عمرو ظهر وا لله الميسم (بالمثناة التحتية أو بالنون) - أي العلامة أو الأثر - إنَّ الرجل وا لله لنبيٌّ فأسلم تسلم، فقال عمرو: وا لله ما جئت إلا لذلك.. (كما مرَّ).

ولم يزل عثمان مقيما بالمدينة إلى وفاة النبي ﷺ فانتقل إلى مكة واستشهد يوم أجْنادين، وقيل عاش إلى سنة اثنتين واربعين، أوَّل خلافة معاوية.

وشيبةُ: هو ابن عثمان بن أبي طلحة، كان من خيار المسلمين؛ خرج مع رسول ا لله ﷺ إلى حنين وهو مشرك، وإنما خرج يريد الفتكَ به؛ فلما ولَّى المسلمون رأى غِرة من النبي ﷺ فَسَلَّ سيفَه يريده فحالت بينه وبينه شبهُ شعلة من نار كادت تذهب ببصره، فأدركهُ رُعْبٌ وفزع فقال له رسول ا لله ﷺ: «ادنُ يا شيب لا أم لك» فوضع يده على صدره[1]. وكان شيبةُ يقول: هو وا لله حين وضع يده على صدري أبغض الخلق إلي وما رفعها حتى كان أحبَّ الخلق إلي ولو وجدت أبي دونه لقتلته، وكان ممن صبر معه يومئذ. وأقام شيبة بمكة إلى أن توفي آخر خلافة معاوية، وقيل أيام يزيد.

---

(1) أخرجه الطبراني وفيه ضعيف [ابن هشام].

إعطاء النبي ﷺ مفاتيح الكعبة لبني عبد الدار

ولما فتح النبي ﷺ مكةَ أخذ المِفْتَاح ففتح الكعبة ودخلها، وفيها ستمائةِ صنم لقريش أثبتها لهم إبليسُ بالرصاص، فجعل النبي ﷺ يُشير إليها بعود ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1]، فكلما أشار إلى واحدٍ سقط لرأسه، ثم خرج على ملأ من قريش وبيده المفتاحُ، فاشرأبت بنو هاشم إليه ليدفَعه إليهم وقال له العباس وعلي: اجعل لنا الحجابة مع السقاية، فقال: «أين عثمان ابن طلحة أين شيبة بن عثمان»؟ فدفعها إليهم وقال: «خذوها يا بني عبد الدار - أو قال يا بني أبي طلحة - خالدة تالدةً لا ينزعها منكم إلا ظالم»[2]، لأنه نزل عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[3]، وهي المفاتيح؛ ثم عمَّت كل أمانة حتى دخلت فيها الشهادةُ. فلما ذهب عثمان بالمفاتيح قال له رسول الله ﷺ: «يا عثمان أتذكر يوم قلتُ لك كذا وكذا»؟ فقال: نعم يا رسولَ الله وأشهد أنك رسول الله. وذلك أن عثمان فتح للناس يوما فدخلوا فلما خرجوا جاء رسول الله ﷺ وقال لعثمان: «افتح لي حتى أدخل» فأبى عثمان، فقال له رسول الله ﷺ: «يا عثمان أرأيت إن كان هذا المفتاحُ بيدي أضعُه حيث شئت ما تقول»؟ قال: لقد ذلت قريش

---

(1) الإسراء: 81.

(2) ذكره ابن سعد وابن هشام.

(3) النساء: 58.

يومئذٍ وخلت، فقال: «بل عزت وعمُرت»[1]. ولعثمان وخالد يقول عبدُ الله بن الزبعرى في هجرتهما:

لقد شدَّ عثمانُ بن طلحة حلفَنَا ... وملقى النعال عن يميـن المقبّل

وما عقد الآباءُ من كل حـلْفة ... وما خالـدٌ من مِّثلها بمحلل[2]

لأَسَدٍ سَلِيـلِ عَبْدِ الْعُـزَّى: مُطَّلِبُ،عَمْرُو،خُوَيْلِدُ اعْتَزَى
وَنَوْفَـلُ وحَارِثُ، فَالْمُطَّلِبْ إِلَيْهِ زَمْعَةُ بْنُ الاَسْوَدِ انتَسَبْ[3]

وأمُّ حبيب جدة رسول الله ﷺ، ورجال آخرون لم يعقبوا.

أما **الحارث** و**المطلب** وأم حبيب فأمهم خالدةُ بنت هاشم بن عبد مناف، ويقال لها بنت الديباج، وأختهم أيضا من الأب والأم رقية، جدة الحكم بن أبي العاص، و لم يعقب أيضا من المذكورين **عمرو**؛ وهو الذي تولى عقد أمِّنا خديجةَ لرسول الله ﷺ لأن أباها خويلدا مات قبل ذلك، وقيل بل كان حينئذ سكرانَ.

فبدأ **بالمطلب**، لسيادة بنيه في الجاهلية: **الأسود** وابنه **زمعة**؛ أما **الأسود**

---

(1) ذكره ابن سعد وابن هشام.

(2) ولما فرغ من الكلام على بني عبد الدار بن قصي أخذ يتكلم على بني عبد العزى بن قصي وهم بطنان: بنو أسد بن عبد العزى وبنو تويت بن حبيب بن عبد العُزَّى، وبدأ بني أسد فقال رحمه الله وعفا عنه:

(3) يقول لأسد بن عبد العزَّى من الأولاد خمسة هم: الحارث وهو أكبرهم، وبه يكنَّى، وعمرو وخويلد ونوفل والمطلب وأختاهم أم حبيب، جدة النبي صلى الله عليه وسلم المتقدمة في قوله: **وأم ذي أم حبيب تعزى، لأسدٍ**..إلخ، ورقية.

فقال فيه النبي ﷺ حين ذكر ناقة صالح: «انبعث لها رجل عزيز منيع في رهطه مثلَ أبي زمعة هذا»[1]، وكان من المستهزئين الذين ذكرهم الله في كتابه: ﴿إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[2]، رماه جبريل بورقة في جبْهته فعمي ثم مات، قال البوصيري:

ودهى الأسـود بن مطلب أيْـ ـيُ عميً ميـت بـه الأحياء

وابنُـه **زمعة** كان أيضا من أكابر قريش، وكان إذا سافر يكفي ركبَه الزادَ ولا يتزود معه أحد حتى كان يسمى *زاد الركب*، وهو ممن قام في نقض الصحيفة؛ ولكن بقي على كفره إلى أن قتل عليه يوم بدر وهو يقول لابنه الحارث ـ وهو من الرهط الذين زعموا أنهم مُستضعفون فتوفاهم الملائكةُ ـ: "أقدم حارِ[3] اذفر عني هبار"، فقتل هو وابنه الحارث هذا وأخوه عُقيل بن الأسود، ونجا هبار وأسلم، بعد أن نَخَسَ البعير بزينبَ بنتِ رسول الله ﷺ. وقال الأسود يبكي من قتل من بنيه يوم بدر، وهم: زمعة وعقيل ابنا الأسود والحارث بن زمعة:

أتبكـي أن يضـلَّ لها بعـير ويمنعها من النـوم السُّهـود
وما تبكي على بدر ولكـن على بدر تقاصـرتِ الجدود
على بدر سَـراة بني هُصيص ومخـزوم ورهـط أبي الوليد
وبكّي إن بكيت على عُقيـل وبكي حارثا أسـدَ الأسـود

---

(1) رواه مسلم.

(2) الحجر: 95.

(3) أقدم: بمعنى تقدم. وحَارِ: ترخيم الحارث.

وبكي إن بكيتهم جميعا وما لأبي حكيمةَ من نديد
ألا قد ساد بعدَهم رجالٌ ولولا يوم بدر لم يسودوا

وكانت قريش تواصوا على عدم البكاء على قتلاهم باديَ بدْء، فسمع الأسود امرأة تبكي، فقال لغلام له: اذهب فانظر هل أُحِلَّ النحيبُ لعلي أبكي على أبي حكيمة فقد احترق جوفي، فجاء الغلام فقال له: إنها امرأة تبكي على بعير أضلته! (وأبو حكيمة هو زمعة).

وولد هبارُ في الإسلام إسماعيلَ بن هبار؛ من فتيان المدينة مشهور بالجلادة والفتوة؛ أتاه ذات ليلة مصعبُ بن عبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن عبيد الله بن معمر وعتبة بن جعونة بن شعوب الليثي، حليف العباس بن عبد المطلب، فصاحوا به فخرج إليهم فاستتبعوه في حاجة فمضى معهم، فقتلوه فأصبح في خراب لبني زُهرة أدبار مسجد رسول الله ﷺ، فقامت بنو أسد بن عبد العزى فاستعدوا عليهم السلطان فحبس لهم مصعبا وصاحبيه في السجن، وركبوا إلى معاوية - وفيهم عبد الله بن الزبير - فقال لهم معاوية: احلفوا لي على واحد من الثلاثة، فقال ابن الزبير: بل نحلف عليهم كلهم، فأبى معاوية وأبت بنو أسد أن يحلفوا عليهم، فحملهم معاوية إلى مكة فاستحلف كل واحد منهم خمسين يمينا عن نفسه ثم جلد كل واحد منهم مائة سوط وسجنهم سنة ثم خلى سبيلهم. ذكر هذا المصعب الزبيري مرتين في كتابه **جمهرة قريش**[1]، وذكر أيضا أنه بعد

(1) بل ذكره ثلاث مرات: الأولى في ترجمة إسماعيل بن هبَّار (ص: 220)، والثانية في ترجمة

<<=

ذلك فسد ما بين مصعب بن عبد الرحمن ومعاذ بن عبيد الله، فولي مصعب الشرطة لمروان بن الحكم في ولايته على المدينة من قبل معاوية، فكان يتمنّى أن يجد على معاذ سبيلا، فأتاه رجل من أهل المشرق أيام الحج يستعديه على معاذ؛ فقال له: إني رجل من الحاج قدمت بمتاع لي فبعتُه لرجل من قريش يقال له معاذ بن عبيد الله فقال لي: اتبعني إلى منزلي فذهبتُ معه فحبسني بحقي ثم خرج فكسر أنفي - وإذا أنفُه يدمي - فقال مصعب للحرس: علي بمعاذ فأتوه به - وكان قد هجره - فلما رآه استحى منه ونكس رأسه، ثم قال وهو منكسٌ رأسه: أي معاذ أفي حق الله أن تبتاع من رجل غريب بضاعته فتمطُله بثمنها وتكسرُ أنفه؟ فنكس معاذ رأسه ثم قال: أفي حق الله أن أنطلق به إلى منزلي لأفيه حقه فيناديني من وراء الباب: أتريد أن تقتلني كما قتلت ابن هبار؟. فغضب مصعب وقال للحاج - ورفع إليه رأسه -: أقلتها له؟ قال: نعم، قال: قم لا أقام الله رجليك.. أتعمد إلى رجل من قريش فتأتيه بالباطل ثم تنكر أن ينالك بخدْشٍ؟ قد أهدرت ما أصابك بإذايتك له، ثم أقبل على معاذ فأخذ بيده وقال: ارتفع إلى ههُنا، فرفعه إلى جانبه على مجلسه، فكان سببَ الصلح بينهما.

وفي قتلهم لابن هبار يقول الشاعر:

--->>

مصعب بن عبد الرحمن بن عوف (ص: 267)، والثالثة في ترجمة معاذ بن عبيد الله بن معمر (ص: 288)، ولم يذكر في واحدة منها سبب قتلهم له.

فلن أجيب بليل داعيا أبدًا   أخشى الغرور كما غُرَّ ابنُ هبار
قد بات جارُهمُ في الحِفْش مُنعفرا   بيس الهديةُ لابن العم والجار

وَالِدُ عَبْدِ اللَّهِ وَالِدِ يَزِيدْ   قَتِيلِ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ الْمَرِيدْ
وَصَلَبَتْ مَوْلاَتُهُ المَرِيدَا   وبِالْحُصَيْنِ بْنِ نُمَيْرٍ شِيدَا
مَا هَدَّ فَقْدُ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَهْ   وَحَاصَرَ الحُصَيْنُ أَهْلَ الكَعْبَهْ
فَأَوْهَنَ الْبَيْتَ بِمِنجَنِيقِ   فَوْقَ أَبِي قُبَيْسٍ الوَثِيقِ
وَقَبَسًا عَلَى قَنَاةٍ جَعَلاَ   وَطَيَّرَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى اشْتَعَلاَ
فِي الْبَيْتِ وَالْقَرْنِ المُعَلَّقِ بِهِ   وَكَعَّ إِذْ مَاتَ مِحَشُّ حَرْبِهِ[1]

يعني أن زمعة بن الأسود بن المطلب ولد عبدَ الله بن زمعة الصحابي؛ أُمُّه قريبةُ الكُبرى بنت أبي أمية أخت أمنا أم سلمة. كان عبد الله بن زمعة من أكابر قريش وأفاضل المسلمين، روى عن النبي ﷺ: «لا يضرب أحدكم المرأة ثم يضاجعها في آخر يومه»[2]، وروى عنه عروةُ بن الزبير.

---

(1) المريد: الشديد العتوّ والخبيث الشرير. وشِيد: أي بني وأصلح. وهدَّ: أي كسر. وأوهن البيت: أي أضعفه. والمنجنيق (بكسر الميم وفتحها، ويقال فيه: المنجليق باللام): آلة من آلات الحصار ترمى بها الحجارة. وأبو قبيس: جبل بمكة. والوثيق: من وَثُقَ (ككرم) وثاقة: قوي وثبت وصار محكما. والقبس: شعلة النار. والقناة: الرمح الأجوف وكل عصى مستوية أو مُعْوجة. وكع: تأخر ونكص. ومحش حربه: أي موقد ناره ومؤجِّجُها. يعني أن زمعة بن الأسود..إلخ.

(2) رواه مسلم.

ثم ولد عبدُ الله بن زمعة **يزيدَ** بن عبد الله، قتله "مُسرف" **بن عقبة** يوم الحرة صبرا؛ قال له: بايع أمير المؤمنين يزيدَ بن معاوية على أنك عبد قن إن شاء أعتق وإن شاء استرق، فقال له: أبايعه على أني ابن عم حر كريم، فضرب عنقه. وكان مسرف يفعل ذلك بمن أخذ من أهل المدينة من الصحابة وأبناء الصحابة.

وولد عبد الله بن زمعة أيضا كبيرا ابن عبد الله؛ أمه زينب بنت أبي سلمة، ربيبةُ رسول الله ﷺ، التي وجدته يوما يغتسل فكشفت السِّتر وهي لا تشعر به فرش وجهها بالماء، فأسنت وماء الشباب لم يذهب من وجهها [كما مر]. وقتل مسلم بن عقبة يوم الحرة ابنين لزينب، وكانت تبكي أحدهما ولا تبكي الآخر، فقيل لها في ذلك فقالت: مات شاهرا سيفه والآخر وضع السيف.

ومن ولد عبد الله بن زمعةَ: وكيع، العالم المشهور واسمه عبدُ الله بن أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة. ومن ولده وهبُ بن وهْب، القاضي الجواد.

ولما مات "مسرف" بن عقبة **وشيد**، أي بنى وأصلح؛ **ما هدَّ**، أي كسر، **فقدُهُ بالحصين بن نمير** السكوني[1]، خرجت أم ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعة إلى قبر مسلم بن عقبة فنبشته وأخرجت جثتَهُ فصلبتها. **والمريد**: يعني

(1) يعني أن تولي الحصين قيادة الجيش أنقذه مما قد يحدث له من تصدع بسبب موت مسرف (مسلم) بن عقبة.

به مسرفا، وكان حين بعثه يزيد على الجيش يشتكي بطنه، فقال: إن أُصيب **مسلم** فالحصين بن نمير مكانَه، وهو من سكون ـ قبيلةٍ من كندة ـ فمات مسلم بين مكة والمدينة قاصدا ابن الزبير، فولي الحصين بن نمير؛ فقدم مكة وحاصر أهلها حصارا مشهورا، وضرب على **أبي قبيس منجنيقا** ورمى به **البيت فأوهنه**، وقتل به رجالا من أهل مكة منهم المسورُ بن مخرمة.

ويحكَى من شجاعة عبد الله بن الزبير أنه كان يصلي في المسجد حين رمي البيت بالمنجنيق، وكانت حجارةُ المنجنيق تمر حول أذنيه ولا يلتفت إليها كأنه كعب راتب[1].

وأوهن البيت أيضا **بقبسٍ**، أي شعلة نار، جعلها على رأس رمح فرمى به البيت **فطيرته ريح إلى البيت فاشتعلت** فيه **وفي قرن** كبش إسماعيل الذي فدي به، وكان **معلقا** بالكعبة منذ ذلك إلى أن احترق في حصار الحصين. ثم لم يزل الحصين محاصرا أهل مكة إلى أن بلغه موتُ **مِحَشٍّ حربه** وهو يزيد بن معاوية، **فكع**، أي نكص، عن محاربة أهل مكة، وسارَّ ابنَ الزبير بكلام يشير فيه إلى موت يزيد، قبل أن يبلغ موتُه أهل مكة، ويريد منه أن يوليَه إن هو بايعه؛ فلم يكترث به ابن الزبير، فقال له: سبحان الله أسارُّك وتجاهِرُني وأُكَلِّمُك بكلام الملوك وتجيبني بكلام السُّوقَة، فارتحل الحصين

(1) أي منتصب ثابت، يقال: رتب الشيء: ثبت فلم يتحرك ورتب الكعب أي انتصب ـ [لسان العرب].

راجعا إلى الشام.

وَلِأَبِي حُبَيْشٍ ابْنِ الْمُطَّلِبْ يَنْتَسِبُ السَّائِبُ نُخْبَةُ النَّسَبْ
بِنْتُ ابْنِهِ عَبْدِ الإِلَهِ الدَّاهِي طَلَّقَهَا المِطْرَفُ عَبْدُ اللَّهِ
عَلَى الْمِنَصَّةِ وَزَوَّجَ ابْنَتَهْ عَبْدُ الإِلَهِ مُصْعَبًا فَأَسْكَتَهْ

يعني ومن ولد المطلب **أبو حبيش**، أخو الأسود. **وينتسب** إلى أبي حبيش **السائبُ** وهو ابنُه لصلبه. **ونخبة النسب**: خيرته[1]. وأشار في البيتين إلى أن عبد الله بن السائب بن أبي حبيش **داهيةٌ**، أي عاقل، وإلى أنه **زوَّج بنته** فاطمةَ من **المِطرف** (كمنبر) وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، سمي بذلك لجماله، فلما جلست **على المِنصَّة** (بالكسر) ــ وهو شيء يهيأ للعروس وهو أول ما تجلس عليه ـ **طلقها المطرف**، فأتى أبوها عبد الله إلى حلقة من قريش في المسجد فقال: إني زوجت ابنتي فاطمةَ عبدَ الله بن عمرو ثم طلقها على منصتها، وإني أخاف أن يظن الناس أنه رأى سوءًا، وأنتم عمومتها فاقدموا حتى تنظروا إليها، فقال له عبدُ الله بن الزبير ــ وكان في الحلقة ــ: اجلس، فجلس، فحمد الله ثم خطبها على أخيه

(1) وكان السائب بن أبي حبيش هذا شريفا وسيطا، وأمه أم جميل بنت الفاكه بن المغيرة المخزومية. أسلم يوم الفتح، وكانت تحته بنت عمِّه عاتكة بنت الأسود بن المطلب، وقيل هي عاتكة بنت عبد المطلب، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولد له عبد الله بن السائب الصحابي الجليل. وكان السائب خيرا، قال فيه عمر: ذلك رجل لا أعلم فيه عيبا فما من أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا أقدر أن أعيبه غيره، وقيل بل قال ذلك في ابنه عبد الله، وكانت للسائب سن عالية ومات بالمدينة في زمن معاوية رضي الله عنه.

مصعب، ومصعب في الحلقة جالسا، فزوجها إياه أبوها؛ ثم قال عبدُ الله بن الزبير لمصعب انطلق فادخل على أهلك، فدخل مصعب في الحين عليها.

فولدت له عيسى بن مصعب ـ المقتول مع أبيه ـ وعكاشة بن مصعب، وكلاهما سيدٌ. وقد افتخرت ربيعة بقتل عيسى فقالت:

نحن قتلنا مصعبا وعيسى وكم قتلنا قبله رئيسا
عمدًا أذقنا مُضر التّاسيسا

ولما أنهى الكلام على ولد المطلب شرع يتكلم على ولد خويلد بن أسد، فقال رحمه الله:

خُوَيْلِدٌ مِّنْهُ حِكِيمٌ عَتَقَا مِائَةَ عَبْدٍ كُلُّهَا تَطَوَّقَا
بِعُتَقَاءِ اللَّهِ عَنْ حَكِيمِ يُنقَشُ فَوْقَ طَوْقِهَا الوَسِيمِ

يعني أن **خويلد** بن أسد بن عبد العزى منه **حكيمٌ** بن حزام بن خويلد، ابن أخي أمنا خديجة[1] بنتِ خويلد.

---

(1) هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم العامرية ثم المعيصية، وأم فاطمة هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص، وأم هالة قلابة بنت سُعَيد بن سعد بن سهم السهمية. وكانت خديجة رضي الله عنها ـ مع ما أراد الله بها من كرامته ـ امرأة عاقلة لبيبة حازمة ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر، وكانت تسمى في الجاهلية الطاهرة لشدة صيانتها وعفافها، وتسمى أيضا سيدة نساء قريش. وكانت ذات تجارة تبعثها إلى الشام فتكون

<<=

--- >>

عيرها كعامة عير قومها وتستأجر رجال قريش؛ وقد استأجرت مرة رسـول ا لله صلـى ا لله عليه وسلم في تجارة لها إلى الشام وبعثت معه غلاما لها يدعى ميسرة، فلما قدم وأخبرها بما رأى فيه من الأمانة والبركة وإظلال الغمام له وما سمع من أهل الكتاب وغير ذلـك، بعثت إليه نفيسة بنت منية ـ أخت يعلى بن منية ـ تخطبه ثم دعته إلى الزواج بها ـ *وما أحسن ما يبلغ المنى الأذكياء* ـ فتزوجها صلى ا لله عليه وسلم، وقـد قيـل إنـه أصدقهـا اثنـتي عشـرة أوقية ذهبا ونصف أوقية. فكانت أول امرأة يتزوجها و لم يتزوج عليها حـتى ماتت إكرامـا لها. وكان حين زواجه بها ابن خمس وعشرين سنة وهي بنـت أربعـين سـنة، وكـل أولاده منها إلا إبراهيم؛ فقد ولد له منها القاسم ـ وبه يكنى ـ وزينب ورقيـة وأم كلثـوم وفاطمـة وعبد ا لله ـ ويلقب بالطاهر والطيب ـ ومات كل أبنائـه قبـل البلـوغ، وأمـا بناتـه فأسـلمن وهاجرن. ولما بُعث النبي صلى ا لله عليه وسلم آمنت به فكانت أول من آمن به من الرجال والنساء، وآزرته على أمره؛ فكانت له مثال الزوجة الصالحة الوفية فبذلت له نفسها ومالها وكانت تهدئ روعه بعد نزول الوحي وتقول لـه: وا لله لا يخزيـك ا لله أبـدا: إنـك لتصـل الرحم وتحمل الكلَّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعـين علـى نوائـب الحـق. وكـان لا يسمع من المشركين شيئا يكرهه مـن رد عليـه وتكذيـب لـه إلا فرج ا لله عنـه بهـا؛ تثبتـه وتصدقه وتخفف عنه وتهون عليه ما يلقى من قومه، وقد قال لها رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: «يا خديجة إن جبريل يقرئك السلام من ربك»، فقالت: "هو السـلام ومنـه السـلام وعلى جبريل السلام". ومكثت معه صلى ا لله عليه وسلم أربعا وعشرين سنة وستة أشـهر، وتوفيت في شهر رمضان سنة عشر مـن البعثـة، أي قبـل الهجـرة بثـلاث سـنين عـن خمـس وستين سنة، ودفنت بالحجون ونزل النبي صلى ا لله عليه وسـلم في قبرهـا. و لم ينـس صلـى ا لله عليه وسلم محبته إياها بعد وفاتها، فكان دائما يثني عليها ويهـدي إلى صديقاتهـا؛ فعـن عائشة رضي ا لله عنها قالت: ما غـرت على امـرأة ما غـرت علـى خديجـة وما بـي أنـي أدركتها ولكن لكثرة ذكر رسول ا لله صلـى ا لله عليـه وسـلم لهـا وإن كـان ليذبـح الشـاة فيتتبع صدائق خديجة يهديها لهنَّ، وقالت: كان رسول ا لله صلى ا لله عليـه وسـلم لا يكـاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسـن الثنـاء عليهـا، فذكرهـا يومـا فـأدركتني الغـيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزا وقد أبدلك ا لله خيرا منها، فغضب حتـى اهـتز مقـدم شـعره

<<=

حكيم بن حزام

وكان حكيم في الجاهلية من أشرافِ قريش وذوي الرأي منهم[1]، وأشار إليهم يوم بدر بالرجوع عن النبي ﷺ وألَحَّ عليهم في ذلك، فامتنع أبو جهل، ونجا حكيم فيمن نجا ولحق بابني العوام على جمل، فنزل له عبد الرحمن واستنزل عبد ا لله، فقال: أنا أعرج وأخاف أن يدركني الطَّلبُ؛ وكان عبد ا لله يعرُج، فقال له: ألا تنزل لرجل إن قتلت كفاك وإن أسرت فداك؟ فنزل له وأُدرك فقُتِل، ونجا عبد الرحمن فأسلم؛ وكان اسمه عبدَ الكعبة بن العوام فسماه النبي ﷺ عبدَ الرحمن، وقال حسان في حكيم:

وفرَّ بها حكيمٌ يوم جالت ... بنو النجار تخطُر كالأسودِ

وقال فيه أيضا:

نجَّى حكيما يوم بدر شدةٌ ... كنجاءِ مُهر من بناتِ الأعوج

ثم أسلم يوم الفتح هو وبنوه: هشام وخالد وعبد ا لله ويحيى، وحسن إسلامهم. وكان حكيم إذا اجتهد في الحلف يقول: "والذي نَجَّاني يوم بدر". وشهد حنينا مع رسول ا لله ﷺ وأعطاه، فيمن أعطى من المؤلفة، مائة ناقة من غنائم حنين. وكانت بيده دارُ الندوة؛ اشتراها من بني عبد

<< - -

من الغضب، ثم قال: «لا وا لله ما أبدلني ا لله خيرا منها؛ آمنت بي حين كفر الناس وصدقتني حين كذبني الناس وأعطتني مالها حين حرمني الناس ورزقني ا لله منها الأولاد حين حرمني أولاد النساء»، قالت فقلت في نفسي: لا أذكرها بشيء أبدا.

(1) قيل لم يدخل دار الندوة للمشورة من قريش لخمس عشرة سنة إلا حكيم بن حزام.

الدار في الجاهلية ثم باعها في الإسلام من معاوية بمائة ألفٍ فتصدق بجميع ثمنها، فقال له عبد الله بن الزبير: بعت مكرمةَ قريش، فقال: ذهبت المكارمُ إلا التقوى. ووقف يوم عرفة بمائة عبد في عُنُق كل واحدٍ منهم طوقٌ منقوش عليه نحن **عتقاءُ الله عن حكيم**. **والوسيم**: الحسنُ، أي طوقها الحسن. وكان اشترى في الجاهلية زيدَ بن حارثة فأعطاه لعمَّته أمنا خديجة فأعطته لرسول الله ﷺ.. ولا تعدُّ محامده في الجاهلية وأولى في الإسلام؛ قال له رسول الله ﷺ حين أسلم: «أسلمت على ما سلَف لك من خير»[1]. أمه فاختة بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى، وقد ولدته في الكعبة في الطواف[2]، وتركت ثيابها التي نفست فيها ثَمَّ يطؤها الطائفُون حتى تَبلى، وذلك شرعهم؛ وكذلك ثياب من طاف بالبيت في ثيابه من غير أهلِ مكة، وتسمى تلك الثياب اللَّقَى، قال الشاعر:

فوا حزنا كَرِّي عليه كأنه   لَقًى بين أيدي الطائفين حريمُ[3]

ومولده قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة، وهو أسنُّ من النبي ﷺ بذلك، وتوفي سنة أربع وخمسين في خلافة معاويةَ، عاش مائة وعشرين

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) وقيل هي صفية، وقيل زينب، وكانت قد ولدته في جوف الكعبة؛ دخلت مع نسوة وهي حامل فضربها المخاض فأتيت بنطع فولدته عليه، قتل عنه والده في حرب الفجار. وكان حكيم عاقلا سريا فاضلا تقيا سيدا غنيا، وكانت وفاته بداره بالمدينة حول البلاط.

(3) الحريم: ما كان المحرمون يلقونه من الثياب فلا يلبسونه ـ كما مر.

سنة؛ ستون في الجاهلية وستون في الإسلام - كما مر.

ومات هشام بن حكيم قبله[1] وورث ابن ابنه عثمان بن عبد الله بن حكيم. وأم عبد الله بن حكيم زينبُ بنت العوام، وقالت تبكيه - وقد قتل يوم الجمل - وذكرت أخاها الزبير:

أعيني جودا بالدموع فأسرعا	على رجل طَلق اليدين كريم
فقد كان عبد الله يدعى لحادث	وذي خلة منا وحمل يتيم
قتلتم حواريَ النبي وصهره	وصاحبه فاستبشروا بجحيم
وقد هدني قتلُ ابن عفان قبله	فجادت عليه عبرتي بسجوم
وأيقنت أن الدين أصبح مدبرًا	فكيف نصلي بعده ونصوم
وكيف بنا أم كيف بالدين بعدما	أصيب ابنُ أروى وابنُ أمِّ حكيم

وأَلْفَ شَاةٍ وَمِنَ الْبُدْنِ مِائَهْ	أَهْدَى إِلَى الْبَيْتِ وَفَارِسُ الْفِئَهْ
أَبُو خُبَيْبٍ الأَبِيُّ ابْنُ الأَبِي	إِلْفُ الْمَحَامِدِ لِتَحْنِيكِ النَّبِي
وَشِرْبِهِ مِن دَمِهِ وَأَخْبَرَا	بِالشِّرْبِ جَبْرَئِيلُ أَشْرَفَ الْوَرَى

يعني أن حكيما حج بمائة بدنة أهداها إلى البيت قد جلَّلها بالحِبَرَة وكفَّها عن أعجازها[2]، وأهدى إليه أيضا ألفَ شاة.

---

(1) أي قبل حكيم فكان ممن استشهد بأجنادين، وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم وممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويمشي في إصلاح ذات البين، وأما أخوه عبد الله بن حكيم فَقُتِلَ يوم الجمل مع عائشة ومعه لواء طلحة والزبير يومئذ.

(2) جلَّلها: أي وضع عليها الجلال وهو ثوب يغطى به ظهر البدنة وهو مستحب حسب وسع المُهدِي ويندب أن يكون أبيض كما يندب شقه عن السنام ليظهر الإشعار ويمسك بالسنام

<<=

ثم شرع في الكلام - في البيت - على عبد الله بن الزبير بقوله: **وفارس الفئة**: يعني بالفئة بني أسد بن عبد العزى أو جميع قريش، لأنه من فُرسانهم وشجعانهم؛ ومن ذلك فعلُه بجرجير ملك افريقية الآتي قريبا. **وإلفُ المحامد**: صاحبُها الذي يألفها وتألفه، واكتسب المحامد **لتحنيك** النبي ﷺ له بريقه، وكانت أمه أسماءُ أبت أن ترضعَه حتى يسبق ريقُ النبي ﷺ في جوفه، فحنكه بريقه وجعل ينظر في وجهه، ثم قال لها: «ارضعيه ولو بماء عينيك فليمنعن البيت أو يقتل دونه». قوله: **وشربِه** (بالخفض): عطفٌ على لِتَحنيكِ، وذلك أنه [صلى الله عليه وسلم] احتجم فأمره بإراقة **دمه** فلما غاب عليه شربه، فأخبر جبريل النبي ﷺ ، فقال له: «ما فعلت بالدم؟ ويل لك من الناس وويل للناس منك»[1]. **وأبو خبيب** بيان **لفارس الفئة**؛ وهي كنية عبد الله بن الزبير - كني بابنه خبيب - ويكنى أيضا أبا بكر، وهي أحبُّ إليه من أبي خبيب؛ ومَن يتنقَّصُه - كبني أمية وغيرهم - لا يسمونه إلا أبا خبيب. وفد عليه عبدُ الله بن الزَّبير الأسديُّ فلم يعطه شيئا فاستحمله فقال له: ما بال ناقتِك؟ قال: نقبت، قال: رقعها وانعلها.. فتكلما إلى أن قال الأسدي: لعن الله ناقةً حملتني إليك، فقال له القرشي:

مخافة سقوطه. والحبرة (بسكر المهملة وفتح الموحدة): ثوب يمانٍ من قطن أو كتان مخطط. وكفها: أي ردها عن أعجازها أي مؤخرها. وكما يندب تحليلُ البدنة فإنه يسن تقليدها وإشعارها، وتقليدها هو تعليق قلادة - أي حبل - في عنقها، وإشعارها هو شق سنامها من الجانب الأيسر من ناحية الرقبة إلى ناحية الذنب..

(1) رواه الطبراني وابن حبان والحاكم.

إنَّ وراكبها، فخرج الأسدي يهجوه بقوله:

أرى الحاجات عند أبي خبيب — نكبن ولا أميةَ في البلاد

(من قصيدة[1]).

وخبيب هو أكبر بني عبد الله، أمه تماضرُ بنت منظور بن زبان، وهي التي يعني الفرزدق بقوله:

[أما البنون فلم تقبل شفاعتهم] — وشُفِّعتْ بنتُ منظور بن زبانا

وذلك أن النوار، زوج الفرزدق، فرت منه إلى عبد الله بن الزبير في خلافتِهِ بمكة، فاستجارت بزوجته تماضر؛ فتبعها الفرزدق فاستجار ببني عبد الله، فكل ما أصلحه البنون نهارًا أفسدته تماضرُ ليلا، فقال الفرزدق الأبيات، وتقدمت.

وسبب تزويج عبد الله بن الزبير تماضرَ أنه بعثه الزبير إلى العباس يستعير منه رحلا، فصادف العباس قد أطعم فأمره أن يأكل من المائدة، فنظر العباس إلى أكله فاستضعفه فقال له: ذهب بك لين آل أبي بكر، فاقرأ أباك السلام وقل له إن آل أبي بكر قد غلبوا على ابنك هذا فزوجه

---

(1) ومنها:

من الأعياص أو من آل حرب — أغر كغُرَّة الفرسِ الجواد

ومنها:

فقلتُ لصحبتي أدنوا ركابي — أُفارِقْ بطنَ مكة في سواد

ومالي حين أقطع ذاتَ عرقٍ — إلى ابن الكاهلية من معاد ..إلخ.

والكاهلية إحدى جداته.

في الأعــراب. فزوجــه تماضر بنت منظـــور بـن زبـان فولـدت لـه خبيبـا وحمزة[1] وعبادا وثابتا. أما خبيب فهو الذي مـات تحـت ضـربِ عمـر بـن عبد العزيز، حين كان أميرا للوليد بن عبد الملك على المدينة؛ وكـان عمـر بعد ذلك إذا قيل له: أبشــر فقـد صنعـت خـيرا، يقـول: فكيـف بخبيـب؟. وحمزة هو الذي يقول فيه موسى شهوات[2]:

حــمـزة المبتــاع بالمـــال الثنا ويــرى في بيعــه أن قد غبن[3]

---

(1) أما خبيب (بوزن زبير) فهو أكبر ولده وبه يكنى وكـان أبـوه بشـر بـه مرجعـه مـن فتـح افريقية. ويلقب خبيب هذا بكعب الأحبار والعلماء، وكان من ذوي العلم والنسك؛ كثـير الصلاة قليل الكلام. وأما حمزة فكان من فتيان عصره غنيا جوادا. ولعبد ا لله بن الزبير ابـن خامس اسمه عامر أمه خيثمة بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومية.

(2) موسى شهوات شاعر معروف، من الموالي نشأ وعاش بالمدينة ونـزل بالشام في أيام سليمان بن عبد الملك فكان من شعرائه. واختلف في سبب تلقيبه "شهوات"؛ قيل لقوله في يزيد بن معاوية:

لســـت منا وليــس خالك منا يا مُضيع الصـــلاة بالشهـوات

وقيل كان يتاجر بالسكر والقند فقالت امرأة: ما زال موسى يأتينا بالشهوات، فغلب عليه - [الأعلام للزركلي].

(3) وبعده: وإذا ما سَنَـــة مجدبـــــة بـــــرت المال كبري بالسَّفَـن

أسفـــرت عنه نقيا عرضــــه طاهر الأثـــواب ما فيــه درن

قوله: كَبري: من برى العود والقلم وغيرهمـا بريـا: نحتـه. والسـفن (محركـة): الفـأس الـتي ينحت بها النجار، قال الشاعر:

ضربا كنحتِ جذوع الأثل بالسَّفَنِ

والدرن: الوسخ.

وهو الذي وضع الحجر في البيت حين تنازع الناس فيمن يضعه، فبينما هم كذلك إذ حانت الصلاة فأقاموها؛ فلما استمكنوا فيها قطع صلاتَه ووضع الحجرَ والناس في الصلاة. وكان ذا مال كثير بعد ذلك وذا جود، وكانت له بـ"الفرع" - وهو موضع بين مكة والمدينة - ألف نخلة تسقيها عينان.

ترجمة الزبير بن العوام

وقوله: **الأبي بن الأبي**: أراد عبد الله والزبير، **والأبيّ**: الآبي عن الضيم، وهو أيضا من أسماء الأسد، يقال رجل آب من أباة، وأبيّ من أبيين، قال أعرابي من بني الحارث بن كعب:

رئمْتُ لسلمى بوَّ ضيمٍ وإنني قديما لآبي الضيم وابن أباة[1]

أيا بعل سلمى كم وكم بأذاتها - عَدِمْتُكَ - من بعْلٍ تطيل أذاتي

بنفسي حبيب حال بابُك دونه تقطع نفسي دونه حسراتي

فوا لله لولا أن تراع لرُعته بما ليس بالمأمون من فتكاتي

وحق للزبير أن يوصف بالإباء وبالصِّفات المحمودة لأنه ممن يعدل بألف

---

(1) يعني أنه رضي بالضيم وألِفَه طلبا لرضاها رغم أنه كان أبي ضيم وابن أباة. والضيم: الظلم، واستضامه فهو مَضيم ومُستضام أي مظلوم، وقد جمع المصدر منه فقيل ضيوم، قال المثقب العبدي:

ونحمي على الثغر المخوف ونتّقي بغارتنا كيد العدى وضيومها

فارس، وقال فيه حسان بن ثابت يمدحه[1]:

فكم كربــة ذب الزبـير بنفسه	عن المصطفى وا لله يُعطي ويُجزل
وكم كــربةٍ ذبَّ الزبير بصارم	بأبيض سبَّاقٍ إلى المــوت يرْفُل
فما مثلُه فيهــــمْ ولا كان قبله	وليس يكون الدهر ما دام يذبل

قيل إن الملائكة يوم بدر نزلت على سيما الزبير، لأنه ذلك اليوم معتجرٌ بعمامة صفراء وكذلك الملائكة سيماهم يومئذ عمائم صفر. وهو حـواري النبي ﷺ؛ سماه بذلك ليلـة الأحـزاب قـال: «لكـل نـبي حـواري وحـواريَّ الزبير»[2] (والحواري الناصر والخليل). وسمع ابن عمر رجلا يقول: أنا ابـن الحواري فقال له: إن كنت ابنَ الزبير وإلا فلا.

وأم الزبـير صفيـة بنـت عبـد المطلـب[3]، وهـي أيضـا أم السـائب أخيـه

---

(1)

أقام على هــدي النبي وعهـده	حواريــــه والقَـوْلُ بالفِعْل يُعدَلُ
أقام على منهاجـــــه وطريقه	يوالي ولي الحـــــق والحقُّ أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي	يصـــــول إذا ما كان يوم محجل
وإن امـرأً كانت صفية أمـــــه	ومن أسَـــــد في بيتـــــها لمرَفَّل
له من رســـول ا لله قربى قريبة	ومن نصرة الإســـــلام مجد مؤثل

فكم كربة ذب الزبير ..إلخ.

(2) رواه البخاري وابن ماجه وأحمد.

(3) شقيقة حمزة وعمة النبي صلى ا لله عليه وسلم، وكانت تكنيه بكنيـة أخيهـا الزبـير بـن عبـد المطلب: *أبا الطاهر* ثم اكتنى بابنه عبد ا لله وغلبـت عليـه، وكـانت بينـه وبـين رسـول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قرابات وروابط متعددة؛ فبالإضافة إلى أن أمـه عمـة النـبي صلـى ا لله عليه وسلم فإن عمة الزبير أمنا خديجة رضي ا لله عنها وعمة أبيه العوام أم حبيب بنت أسد

<<=

الصحابي الذي استشهد يوم اليمامة؛ وله تقول صفية قبل:

يَسُبُّني السائبُ من خَلْفِ الجُدُرْ   لكن أبـو الطاهـر زبّـارٌ أَمِـر[1]

لمالـــــه مبـــــذر بَرٌّ غفـــرْ

(وأبو الطاهر كنية الزبير قبلُ) وكانت تضربه وهو صغير، فقـال لها نوفـل بن خويلد، إنها تبغضُه فقالت:

مَـن خالَــني أبغضـه فقد كذب   وإنما أضـــربه لكــــــي يَلَبْ

ويَهــزِمَ الجيشَ ويأتي بالسلب   ولا يكـــن لماله جـــــدًّا محب

فقال نوفل: كفوا عنا شاعرتكم هذه يا بني هاشم!.

أسلم الزبير وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وقيل عشـر سنين؛ و لم يـزل في طاعة الله وطاعة رسوله، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وجعله عمـر في الستة أصحاب الشورى؛ ثم جعل حظـه إلى علـي. وفي عيون الأثر للإمـام اليعمري: أن النبي ﷺ بعث جيشا إلى اليمن فلما قاربَ قبائل زبيـد ومـراد قـال عمـرو بـن معـد يكـرب لقومـه: دعونـي ألقهـم وأنتمـي لهـم لعلهـم يرجعون، فركب فرسه بسلاحه فتلقاهم يقول: أنا أبو ثور أنـا أبـو ثـور.. فابتدره علي والزبير كلاهما يقول: خل بيني وبينه فـداك أبـي وأمـي، ففـر عمرو وأتى قومه، فقال لقومه: أعطوا هؤلاء ما سألوكم فوالله ما انتسبت

بن عبد العزى جدة النبي صلى الله عليه وسلم من قِبل الأم، وجدة الزبير من أمه هالة بنـت أهيب بنت عم أم النبي صلى الله عليه وسلم. وكان الزبير أيضا سلف النبي صلى الله عليـه وسلم، لأن عنده أسماء بنت أبي بكر، أخت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(1) الزبار: القوي الشديد. والأمِر (كفرحٍ): الكامل والميمون.

قط لجيش إلا انهزم، إلا هؤلاء.. وا لله لكأني أدعوهم إلى لحم شاة مشوي!.

قلت: ولعل هذه الحكاية هي التي نشأ منها «لا تحدث عن الأحياء»، لأن ابنَ سيد الناس يسندُها لابن عبد الحكم عن الشافعي حكاية. وأصل المثل أن ابن عبد الحكم حكى عن الشافعي حكاية، ثم سئل عنها الشافعي فقال: ما سمعت بها قط ولا حدثت بها ابنَ عبد الحكم؛ فترك الناسُ ابنَ عبد الحكم حتى لا يسأله أحد، ثم أتى بنُ عبد الحكم الشافعيَّ فلم يزل يذكِّره حتى تذكَّر الحكاية وتذكر حين حدثهُ بها فقال: "لا تحدثْ عن الأحياء"؛ خاف الشافعيُّ على العلم الضيعةَ لأنَّ المحدِّث إذا حدث عن الحي قد ينسى الحيُّ المحدَّثُ عنه فيكون المحدث كاذبا فيُترك علمه.

وولد الزبير رضي ا لله عنه عشرة أولاد ذكورا ونسوة: عبد ا لله، وهو أسنهم، والمنذرُ وعروة وعاصم - مات صغيرا ـ وأم الحسن؛ أمهم أسماءُ بنت أبي بكر، وخالد وعمرو؛ أمهما أمُّ خالد بنتُ سعيد بن العاص ـ ولدت بأرض الحبشة وهي التي كساها رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وهي صغيرة فقال لها: «سناهْ سناهْ يا أمَّ خالد»[1] أي حسن حسن ـ بلُغة الحبشة -، ومصعب وحمزة ورملة؛ أمهم الرباب بنت أنيف بن خباب الكلبيةُ، وجعفر وعبيدة؛ أمهما زينب بنت بشر من بني قيس بن ثعلبة.

ثم توفي الزبير رضي ا لله عنه وهو ابن نيف وستين سنة؛ قتله يوم

---

(1) رواه البخاري وأبو داوود وأحمد والطبراني.

الجمل عمرو بن جرموز التميمي. كان مع عائشة وطلحة على قتال علي طلباً لدم عثمان، فناداه علي وخلا به فقال له: أنشدك الله أتذكر يوم قال لك النبي ﷺ: «أما إنك ستُقاتِلُ عليًّا وأنت له ظالم»[1]؟ فتذكر الزبير ورجع، فرآه ابن جرموز راجعًا فقال: أضرمها ابنُ صفية وأراد أن يخرج.. والله لا كان ذلك، فتبعه ووجده نائما بواد يقال له "وادي السباع" وسيفُه معلق بشجرة فاخترطَ السيفَ وقتله وحمل رأسه إلى علي وقال لبوابه: بشر عليا برأس الزبير، فقال له علي: بشره بالنار؛ لأن عليا سمع من رسول الله ﷺ: «القاتل والمقتول في الجنة إلا قاتلَ الزبير»؛ وقال ابن جرموز:

أتيت عليا برأس الزبَيْـ ـر وقد كنت أحسبُه زُلفه
فبشر بالنار قبل العيا ن فبيس البِشارة والتحفه
وسيان عنديَ قتل الزبَيْـ ـر وضرطةُ عير بذي الجُحفَهْ!

ودعا رضي الله عنه ابنَه عبد الله ـ يوم مات ـ وقال له: يا بني هذا اليوم لا يقتل فيه إلا ظالم أو مظلوم وأراني أقتل فيه مظلوما فاقض عني دُيوني من مالي، فإن ثقُل عليك فقل: يا مولى الزبير أعني على قضاء دين الزبير؛ قال عبد الله: فكلما قلتها أعانني الله، وبعْتُ الغابةَ من معاويةَ بن أبي سفيان. فلما قضى عبدُ الله ديونه أتاه ورثته يطلبون قسم الميراث فقال: لا والله حتى تمضي أربعُ سنين لئلا يأتي أحد من أهل دين الزبير

(1) رواه الحاكم في المستدرك.

فيجد المال وقد تفرق بينكم. ومات رضي الله عنه عن كثير من الدُّيون وكثير من الأموال اكتسبهُ بالغنائم والتجارات، ولم يعمل قط لأحد، وكانت له ألفُ مملوك يؤدون إليه الخراج كلَّ سنة، ولم يدخل عليه قط منه درهم.. يتصدق بجميع ذلك. ومات عن عاتكةَ الشهداءِ، وقالت تبكيه:

غدر ابنُ جرموز بفارس بُهمة ... يوم اللقاء وكان غير معرِّد

يا عمرو لو نبَّهته لوجدتَّه ... لا طائشًا رعش الجنان ولا اليد

شُلت يمينك إن قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبةُ المتعمد

إن الزبير لذو بلاءٍ صادق ... سمحٌ سجيتُه كريمُ المحتد

ترجمة عبد الله بن الزبير وبعض أخباره

أَوَّلُ مَن وُلِدَ لِلْمُهَاجِرينْ ... وتَلَّ جِرْجِيراً عَلَى حُرِّ الْجَبِينْ

وقَالَ سَابِي ابْنَتِهِ وَقَدْ فَتَكْ: ... "يَا بِنتَ جِرْجِيرٍ تَمَشَّيْ عُقْبَتَكْ"

وفرح المسلمون بمولده لأن المنافقين كانوا يزعمون أن اليهود سحرتهم فلا يولد لهم، وأوَّلُ من ولد للأنصار النعمانُ بن بشير بعد قدوم رسول الله ﷺ عليهم. ويزعم كثير من الكتب أن مولدَ عبد الله في السنة الثانية، وكيف يصح ذلك والزبيرُ هاجر قبل النبي ﷺ ولم يبق معه بمكة ينتظر الإذن في الهجرة إلا أبو بكر وعلي سوى العيالات؟ اللهم إلا أن يكونوا أرخوا برأس السنة الذي هو المحرم، وأما إن أرخوا بهجرته صلى الله عليه وسلم وأبي بكر في غُرة ربيع فلا، لِقول أسماءَ في حديث الهجرة: "وأنا

متم"، أي أتممت أشهرَ الحمل، ولقول عبد الله: هاجرت أمي وأنا حمل.. فما أصابها من ظمأ ومخمصة ونصَب أصابني[1].

وتلّه: صرعه على خدِّه وجبينه، قال تعالى ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾[2] أي صرعه على جبينه، والجبينان: العظمان المكتنفان الجبهة. **وجرجير**: اسم ملكِ افريقية. يشير إلى قتل عبد الله بن الزبير جرجيرا، وهو أن عثمان بعث جيشا إلى افريقية أميرُه عبد الله بن سعد بن أبي سرح من بني عامر بن لؤي. قال عبد الله بن الزبير: هجم علينا جرجير ملك افريقية في عشرين ومائة ألف فأحاطوا بنا، والمسلمون في عشرين ألفا، فاختلف الناسُ على ابن أبي سرح، فدخل فسطاطا له فخلا فيه. ورأيت غِرَّةً من جرجير؛ بصُرت به خلف عساكره على برذون أشهبَ معه جاريتان له تُظلانِ عليه بريش الطَّواويس، بينه وبين جنده أرض بيضاءُ ليس فيها أحد، فخرجت أطلب الإذن على ابن أبي سرح لأخبره بغِرَّته، فأتيت حاجبه

---

(1) وحَنَّكَهُ صلى الله عليه وسلم بريقه ويده. وله يقول العقيلي:

بَرٌّ يُبيِّن ما قال الرسولُ له ... من الصلاة بضاحي وجهه عَلَمُ

حمامة من حمام البيت قاطنة ... لا يتبعُ الناسَ إن جاروا وإن ظَلَموا

وقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: اكنني، قال: «تَكَنَّيْ بابنكِ عبد الله ابن الزبير» ـ وهي خالته، أخت أمه ـ وكانت كنيتها أم عبد الله. وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جمع المهاجرين والأنصار الذين ولدوا في الإسلام حين ترعرعوا فبايعهم فكان منهم عبد الله بن الزبير، وسمع من النبي صلى الله عليه وسلم شيئا حدَّث به. وكان ابن عشر سنين حين وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ـ [الزبيري].

(2) الصافات: 103.

فأبى أن يأذن لي عليه، فدرت من كَسْر الفسطاط فدخلت عليه فوجدته مستلقيا على ظهره يفكر؛ ففزِع واستوى جالسا فقلت: إيه.. كلُّ أزب نفور[1]! فقال: ما أدخلك علي يا ابن الزبير بغير إذنٍ؟ قلت: رأيت غرة من العدو فاندب الناس، قال: وما هي؟ فأخبرته، فخرج معي سريعًا فقال: أيها الناس انتدبوا مع عبدِ الله بن الزبير، فاخترت ثلاثين فارسا فقلت: احملوا في ظهري. وحملت في الوجه الذي رأيت فيه جرجيرا، فما كان إلا أن خرقت الصَّف إليه فخرجت صامدا له، ما يحسب هو وأصحابه إلا أني رسول إليه، حتى دنوت منه، فعرف الشر فَفَتَلَ برذونَهُ موليا فأدركته فطعنته فسقط وسقطت الجاريتان عليه وأهويت إليه وضربته بالسيف فأصبت يد إحدى الجاريتين فقطعتها وذففتُ عليه ثم احتززت رأسه وجعلته في رمحي ورفعت الرمح، وحمل المسلمون في الوجه الذي كنت فيه، وارفضَّ العدو من كل وجه فمنح الله أكتافهم. ووجهني ابنُ أبي سرح بشيرًا إلى عثمان بن عفان، فقدمت عليه فأخبرته بفتح الله ونصره ووصفت أمرنا كيف كان، فلما فرغت من ذلك قال: هل تستطيع أن تؤدي هذا إلى الناس؟ قلت: وما يمنعني من ذلك.. أنت أهيبُ عندي

(1) الزَّبَبُ في الناس: كثرة الشَّعَر وطولُه، وفي الإبل: كثرة شَعَر الأذنين والعينين ولا يكون الأزبُّ إلا نفورا لأنه تنبت على حاجبيه شعيرات فإذا ضربتها الريح نفر، قال الشاعر:

رَجَائيَ بالعطف عطفَ الحلوم ... ورجعةَ حيران إن كان حارا

وخوفِيَ بالظنِّ أن لا ائتلا ... ف أو يتناسى الأزبُّ النفورا

منهم، قال: فاخرج إلى المسجد فأخبرهم، فخرجت حتى أتيت المِنبر فاستقبلت الناس فتلقاني وجهُ أبي الزبير فدخلتني هيبتُهُ فعرفها مني فقبض قبضةً من حصى وجمع وجْهه في وجهي وهمَّ أن يَحصِبَني، فاعتزمت فتكلمت. وقال أبي الزبير حين فرغت: "كأني سمعت كلام أبي بكر الصديق، فمن أراد أن يتزوج امرأة فلينظر إلى أبيها وأخيها فإنها تأتيه بأحدهما". قال المصعب الزبيري في جمهرته: بُشر عبدُ الله بن الزبير مَقْدَمَه من افريقية بابنه خبيب وهو أكبر ولده وبأخيه عروة. وفي غيره: أن عروة ولد في خلافة عمر يوم مات أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ.

قوله: **وقال سابي ابنته**: أي بنت جرجير، ولم نقف على تعيينه لكن يدُل قوله على أنه من بني عمرو بن عوف، لأنهم أهلُ قباء[1]، وكان مردفَها فجعل يقول:

يا بنت جرجير تمشيْ عقبتكْ إن عليك بالحجاز ربتكْ
لتحملن من قُبَاءَ قربتكْ

فسألت عما يقول؟ ففُسر لها، فرمت نفسها من فوق البعير مصوبة رأسها فهلكت.

أَلْقَى الْحِجَازُ والْعِرَاقُ وَالْيَمَنْ . وَكَادَ مَرْوَانُ . إِلَيْهِ بِالرَّسَنْ[2]

(1) وفي *كامل* ابن الأثير أنه أنصاري ولكنه لم يسمه ولم يذكر من أيهم.

(2) **ألقى إليه** الشيء: طرحه له. **وبالرسن**: متعلق بألقى. **والرسن**: الحبل الذي يشد على رأس الدابة فتقاد به. يعني أن أهل الحجاز وأهل العراق وأهل اليمن بايعوا عبد الله بن الزبير وأن مروان بن الحكم اهتم أن يبايعه ولكنه لم يفعل. وقوله: **كاد مروان**: أي أن يلقي إليه بالرسن أيضا.

يعني أن عبد الله بن الزبير لما مات معاويةُ، وكان عَقَد الأمرَ من بعده لابنه يزيدَ، أبى هو والحسينُ أن يبايعا ليزيد؛ وكان بعث إلى الوليد بن عتْبة بن أبي سفيان ـ وهو أمير على المدينة ـ أن يأخذ له البيعة على أهلها، فبعث الوليدُ إلى الحسين وعبدِ الله بن الزبير ليلا؛ فالتقيا فقال له الحسين: ما ظنك بحاجته إلينا في هذا الوقتِ؟ فقال له ابن الزبير: أظن طاغيتَهم قد مات ـ يعني بني أمية، ويعني بالطاغية معاويةَ ـ فلما أتياه سألهما أن يبايعا فقالا له: إنا لا نبايعُ ليلا، فخرجا و لم يبايعا.

أما الحسين فقصد العراق، وكان أهله وعَدُوه بالبيعة؛ فنهاه ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وودَّعَه ابن عمر وعانقه وقال له: "استودعتك الله من قتيل". وقال له ابنُ عباس ـ وقيل ابن الزبير ـ: أتخرج إلى قوم قتلوا أباك وأخرجوا أخاك؟ فقال له الحسين: أتتنا بيعةُ أربعين ألف رجل من أهل الكوفة، وأقل من أهل العراق.

وأما ابن الزبير فقدم مكة يقول إنه عائذ بالبيت من القتل والقتال، ولذلك يقال له *عائذ البيت*[1] ويقال له المُحِل أيضا ـ زعموا أنه أحلَّ القتال بمكة ـ قال ابن أبي ربيعة يتغزل برملة بنت الزبير:

---

(1) في *سير أعلام النبلاء*: 467/4 قال مصعب بن عبد الله وغيره: كان يقال لابن الزبير عائذ بيت الله، وقال ابن الزبير عن نفسه: اللهم إني عائذ بيتك، فقيل له عائذ البيت، وبقي لا يعرض له أحد. وفي *البداية والنهاية*: 653/5 أن الحسين وابن الزبير قدما مكة فوجدا بها عمرو بن سعيد بن العاص فخافاه وقالا: إنا جئنا عواذا بهذا البيت. وفي *الإصابة*: 311/2 انه عاذ بالحرم.. وسمى نفسه عائذ الله.

فلما قدم ابن الزبير دعا لنفسه، فبايعه أهلُ مكة ثم سـائرُ أهـل الحجـاز ثـم أهل اليمن؛ وولى عليهم الهبرزي بن الأزرق، الجوادَ ممدوح أبـي دِهبـل (قالوا إنما عزله عَبدُ الله حسدا). ثم بايعَه أهـلُ العـراق وولى عليهـم أخـاه مصعبا.

قوله: **وكاد مروان:** يعني أهل الشام، لأنهم بايعوا بعد يزيد بـن معاويـة مروانَ بن الحكم؛ فلما رأى أمرَ ابنِ الزبير طالعا اهتمَّ بـأن يخلـع لـه الأمـر فيبايعه، حتى التقى جيشـاهما بمـرج راهـط؛ مـروانُ علـى جيشـه، وعلـى جيش ابن الزبير: الضحاكُ بن قيس وزفر بن الحـارث بـن قيـس الكلابـي، فقتل الضحاك وانهزم زفر بن الحارث. ثم مات مروان و لم تبلغ إمارتُه سنةً فبويع لعبد الملك، فنازع ابني الزبير حتى قتلهما.

ويروى أنه اجتمع يوما عبدُ الله بن عمـر وعبـد الله بـن الزبـير وأخـوه مصعب وعبد الملك بن مروان بالحجر فقالوا: هلم فليستلم كلٌّ واحد منـا الرُّكن وليَدعُ بما شاء، فقام عبـدُ الله بـن الزبـير ودعـا أن لا يمـوت حتـى يملك الحجازَ بأسره، ودعا مصعب أن لا يموت حتى يملك العـراق ويجمـع بين عقيلتي قريش: سكينةَ بنتِ الحسين وعائشـةَ بنـت طلحـة، ودعـا عبـدُ الملك أن يملك الأرض شرقها وغربها وأن لا ينازعه أحـد إلا أُتـيَ برأسـه، ودعا ابن عمر أن لا يموت حتى يرى مقعده من الجنة.. فاستجيب لكلهم.

عَلَيْهِ إِذْ آثَـرَ أَفْخَاذَ أَسَـــدْ مِثْلَ التُّوَيْتَاتِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجدْ

حَتَّى جَرَتْ بَيْنَهُمَا مُشَاجَرَهْ أَدْخَلَـتِ الأَشْرَارَ بَيْنَ الْبَرَرَهْ

عليه الأولُ من البيت: متعلقٌ **بوجِد** الأخير منه، أي وجد (أي غاظ) عبدَ ا لله **بن عباس** على عبدِ ا لله بن الزبير أن **آثر أفخاذ** بني **أسد** بن عبد العزى[1]؛ فقال في ذلك عبدُ ا لله بن عباس: آثر بي ابنُ الزبير الحميدات **والتويتات** والأسيميات.

أما الحميدات فسيأتي ذكرهم إن شاء ا لله في بني الحارث بن أسد، وأما **التويْتاتُ** فهم بنو تُوَيتٍ بن حبيب بن أسد؛ منهم الحولاءُ بنت التوَيْتِ التي سمعها رسول ا لله ﷺ تقرأ بالليل فقال: «ما هذا» ؟ فقيل: تلك الحولاء لا تنام الليل، فكره ذلك فقال: «اكلِفُوا من العمل ما تطيقون»[2]، وقال: «إن هذا الدين مَتِينٌ لا يُشادُّه أحدٌ إلا غلبه»[3]. ومنهم عطاءُ بن ذؤيب بن تويت. ثم انقرضوا.

---

(1) يروى أنه لما بايع الناس عبد ا لله بن الزبير قال ابن عباس: أين المذهب عن ابن الزبير: أبوه حواري رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وجدته عمة رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ـ صفية بنت عبد المطلب ـ وعمته خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى ا لله عليه وسلم وخالته أم المؤمنين عائشة رضي ا لله عنها وجدُّه صدِّيق رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ـ أبو بكر رضي ا لله عنه ـ وأمه ذات النطاقين؟ قال ابن عباس: فشددت على يده وعضده، ثم آثر علي الحميدات والأسيمات فَبَأوْتُ نفسي و لم أرض بالهوان، وإن ابن أبي العاص مشى اليقدمية وإن ابن الزبير مشى القهقرى، ثم قال لعلي بن عبد ا لله بن عباس: الحق بابن عمك "فَغَثُّكَ خير من سَمِين غيرك" ومنك أنفك وإن كان أجدع!. فلحق ابنه عَلِيٌّ بعبد الملك بن مروان فكان آثر الناس عنده. (قوله: فبأوت نفسي: أي علوت بها وفخرت. وقوله: مشى اليقدمية: أي تقدم بهمته وأفعاله).

(2) رواه مسلم وابن ماجه.

(3) رواه أحمد.

وأما الأسيميات فهم مِن الحُميْدَاتِ؛ وهم بنو سامة بن عبد الله بن حميد[1]؛ منهم عبيدُ الله بن أسامة قتل مع ابن الزبير.

قوله: **حتى جرت بينهما**: أي بين عبدِ الله بن عباس وعبد الله بن الزبير. **والمشاجرة**: أنه لما وجِد عليه ابنُ عباس سمعها يزيدُ بن معاوية فأرسل إلى ابن عباس يستميله، فشمت به ابنُ الزبير، فقال له ابن عباس: لأن يربَّني رجل من بني عمي أحب إلي من أن يربني رجل من غيرهم، فغاظ ذلك ابن الزبير حتى حبس عبدَ الله بن عباس ومحمد بن الحنفية في سجن بالكوفة يقال له عارم؛ أوَّلُ من بناه سيدُنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. **والأشرار**: يعني يزيد بن معاوية ورهطه. **والبررة**: ابن عباس وابن الزبير.

مِنْ حَرَمٍ لِّحَرَمٍ يَصُومُ   وَكُلُّ هَيْأةٍ بِهَا يَقُومُ

يعني أن عبد الله بن الزبير عادته أنه إذا خرج من المدينة إلى مكة أو من مكة إلى المدينة لا يُفطر فيما بينهما **ويقوم** الليل، حتى أنه قامه على **كل هيأة** من قيام وقعود وركوع وسجود[2].

---

(1) ابن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وحميد هذا قتله عليٌّ يوم بدر مبارزة وإليه كان حلف حاطب بن أبي بلتعة. ومن الحميدات: أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي شيخ البخاري.

(2) وفي *الإصابة* من طريق مجاهد: ما كان باب من العبادة إلا جاء به عبد الله بن الزبير، ولقد جاء سيل إلى البيت فرأيت ابن الزبير يطوف سباحة. وفي *الاستيعاب*: كان عبد الله بن الزبير كثير الصلاة كثير الصوم شديد البأس كريم الجدات والأمهات والخالات، وكانت له لسانة وفصاحة.

وَيَوْمَ مَاتَ اشْتَغَلُوا عَنِ الطَّوَافْ   إِلاَّ بَعِيرًا حَفَّ بِالْبَيْتِ وَطَافْ

يعني أنه يوم قتل عبد الله بن الزبير **اشتغل** الناس **عن الطواف** بالقتال؛ ويروى أنه رِيءَ **بعير** جاء إلى البيت **فطاف** به، وذلك لأن مكّة لا تخلو من طائف. و**حف** به: طاف بأحفّته أي جوانبه، ومنه ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾[1] أي محدقين بأحفّته أي جوانبه.

وكان يوم موت عبد الله بن الزبير يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى سنة ثلاث وسبعين، وذلك مدة حياته، قتله الحجاج بن يوسف لعبد الملك؛ لما قَتل مُصعبا أخاه قال: من لابن الزبير؟ قال الحجاج: أنا يا أمير المؤمنين، فإني رأيت في المنام أني أسلخه كالشاة! فبعثه إليه في أربعة آلاف وسبعمائة فقتله وقتل معه مائتين وأربعين رجلا، وإن منهم من سال دمُه في جوف الكعبة، وصلبه فمكث مصلوبا ثلاثة أيام، فجاءت أمُّه أسماءُ بنت أبي بكر فقالت: أما آن لهذا الراكب أن ينزل؟ فقال لها الحجاج: المنافق! فقالت له: والله ما كان منافقا ولكن كان صواما قواما، فقال: إنك عجوز قد خَرفت! فقالت: والله ما خرفت.. ولقد سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يخرج من ثقيف كذاب ومبير»؛ أما الكذاب فالمختار بن أبي عبيد وأما المبير فأنت. فأنزل وغسل وكفن عضوا عضوا.. فكلما غسل عضو وضعوه في أكفانه، فصلّت عليه وكانت تقول: اللهم لا

---

(1) الزمر: 75.

تَقْتُلني حتى تقَر عيني بجثته، فما أتت عليهــا جمعةٌ حتـى مـاتت. ولمـا قتـل حاضت وقطر اللبن من ثدييْها وهي عجوز قد كف بصرها.

هذا وقد قَتل عبد ا لله بنُ الزبير جرجـيرًا في سـبيل ا لله وقَتـل الحجـاج عبدَ ا لله بن الزبير في سبيل عبـد الملـك بـن مـروان! فسـبحان مـن يعـامل بفضله وعدله..

وَإِذْ بِنَاءَهُ ابْنُ مَـــرْوَانَ نَقَضْ   نَدَّمَـــهُ الْقُبَاعُ جِـــداًّ وعَرَضْ

لِمَا بَـنَى مُبِـــيرُهُ الْمَنصُـــورُ   وَرَدَّهُ إِمَامُـــنَا الْمَشْهُـــــورُ

قوله: **وإذ بناءه**: يعــني عبـد ا لله بـن الزبـير. **وابـن مـروان**: عبـد الملـك. **والقُباع**: هو الحارث بــن عبـد ا لله بـن أبـي ربيعـة بـن المغـيرة المخزومـي. **ومُبيره**: أي مبير عبد الملك، وهو الحجاج بن يوسف، كما قالت لـه أسمـاء بنت أبي بكر. **والمنصور**: هو أبو جعفر المنصور بن محمد بن علي بـن عبـد ا لله بن عباس ثاني خلفاء بني العباس. **وإمامنا المشهور**: مالكُ بن أنس.

يقول لما قَتَل الحجاجُ ابنَ الزبير بعث إلى عبد الملك: ان هذا الرجل غيَّر الهيأة التي ترك عليها النـبي ﷺ البيـت فهـل تـأمرني أن أرده إليهـا؟، فـأمره بذلك، ونقض بناء ابـنِ الزبـير فبنـاه علـى مـا بنتـه عليـه قريـش؛ وقريـش قصُرتْ بهم النفقةُ أن يبنوه على قواعد إبراهيمَ عليه السلام. فلما فتح النبي ﷺ مكة قال لعائشة: «لولا أن قومـك حديثـو عهـد بكفـر لبنيـت الكعبـة على قواعد إبراهيم»[1]. وكــان رسـول ا لله ﷺ يرغـب النـاس في الإسـلام

(1) رواه البخاري ومسلم.

ويؤلفهم بالمال والصفح عن العِصم والعوائد التي تخالف الشرع الواجبَ، فلما استحكم الإسلامُ في قريش بعد تأسيس الخلفاء لهم، وولي ابن الزبير مكة اهتم بأن يُمضي ما منع منه رسولَ الله ﷺ حدثانُ قريش بالكفر، فجمع أصحابه على صحة الحديث ثم شاور أكابر قريش، فجعل يهدم البناء الأولَ ولا ينقض حجرا إلا بحضرة قريش.. ويقول: أخاف أن يقولوا إني غيرت قِبلتَهم، حتى بناها على قواعدِ إبراهيمَ. وحضر أبو جهم بن حذيفة العدوي بناءَ قريش للبيت وبناءَ ابن الزبير وكان يقول: أدركت مقام إبراهيم وفيه أثرُ قدمه وما رأيت أشبه شيء بشيء من قدم نبيكم بها، ويقول: أعرف هذا الحجر وفيه بقية بياض.

ودخل الحارث القُباع على عبد الملك فذكر له صوابَ ابن الزبير من تصحيحه الحديثَ ومشاورته لأجلة قريش وكذا وكذا.. حتى ندِم على إذنه للحجاج، واهتم أن يرده على بناء ابن الزبير ولكنه لم يفعل.

فلما ولي المنصور الخلافة عزم على نقض بناء بني أمية، فنهاه الإمام مالك وقال له: لئلا يكون بيتُ الله لُعبة للملوك؛ كلما ملك واحد منهم ينقضه ويبنيه، فتركه وبقي على بناء الحجاج إلى الآن.

وعَمُّهُ نَوْفَلُ صِنْوُ أُمِّنَا ... طَلْحَةَ والصِّدِّيقَ قَهْرًا قَرَنَا

الضمير يعود إلى حكيم بن حزام في قوله: **خويلد منه حكيم**.. لأنه المحدث عنه والمبوب له، فدخل في ذلك ذكرُ عبدِ الله بن الزبير وإن طال الكلام عليه. **ونوفل**: هو ابن خويلد. **والصنو**: الأخ. يعني أن نوفلا هذا أخو **أمنا** خديجة، وكان شديدا على من أسلمَ، ولم يزل على ذلك حتى

قتل يوم بدر على شركه. وابنه الأسود بن نوفل من أكابر الصحابة وممن هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وهو جدُّ يتيم عُروة بن الزبير الذي يحدث عنه، واسمه محمد بن عبد الرحمن بن الأسود بن نوفل. ومن شدة نوفل على من أسلم من قريش أنه **قرن** أبا بكر و**طلحة** بن عبيد الله بمكة في حبل، حتى كان يقال لهُما القرينان، وإنما قرنهما **قهرا** لأن مَن أسلم قلما ينتصر له قومُه إذا أُوذي على الإسلام.

مِن نَّوْفَـلٍ وَرَقَـةُ وَالْحَارِثُ   مِنْهُ سَعِيـدُ الشُّجَاعُ الْعَابِـثُ

بِالْمُتَجَـرِّدِ غَـدَاةَ الْحَـرَّهْ   وَمَا دَرَى مِن ذُعْـرِهِ بِالْعَـرَّهْ

يعني أن من **نوفل** بن أسَدٍ **ورقة**، الذي كره عبادة الأوثان وطلب الدين في الآفاق وقرأ الكتب وقال فيه النبي ﷺ: «لا تسبُّوا ورقة فإني رأيته في ثياب بيض»[1]، وكانت خديجةُ تسأله عن خبر النبي ﷺ ويقول لها: والله

(1) رواه الترمذي. وفي رواية: «فإني قد رأيت له جنة أو جنتين» - رواه الحافظ أبو بكر البزار عن عائشة، وابن عساكر بإسناد جيد وروي مرسلا وهو أشبه، ورواه في الجامع الصغير ثم قال الحافظ العراقي: هذا شاهد لما ذهب إليه جمع من أن ورقة أسلم عند ابتداء الوحي ويؤيده خبر البزار وغيره عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال: «أبصرته في بطنان الجنة على السندس»، قال: والظاهر أنه لم يكن متمسكا بالمبدل من النصرانية بل بالصحيح منها الذي هو الحق - [راجع فتح القدير].

وروى الإمام أحمد عن عائشة أن خديجة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال: «قد رأيته فرأيت عليه ثيابَ بَياضٍ فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض».

وروى الحافظ أبو يعلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال: «رأيته فرأيت عليه ثياب بياض أبصرته في بطنان الجنة وعليه السندس» - [سيرة ابن كثير: 398/1].

لهذا الناموسُ الذي كان يأتي موسى عليه السلام[1]، وتوفي في ذلك قبل أن يصرح بالإسلام فيكون صحابيا، وذكره ابن حجر في الصحابة، لقول ابن إسحاق في حديث ذكره، منه: «رأيته في ثياب الحرير لأنه أولُ من آمن بي وصدقني»، وقال ابن منده: والأظهر أنه مات قبل الرسالة وبعد النبوءة. (انتهى كلام ابن حجر)[2]. ومر ببلال يعذب برمضاء مكة ويقول: أحد أحد.. فقال: أحد أحد والله يا بلال؛ ونهاهم عنه ولم ينتهوا، فقال: والله لئن قتلتموه لأتخِذنَّ قبره حنانا[3]. ومن شعر ورقة بن نوفل قوله:

ارفعْ ضعيفك لا يَحُن بك ضعفه … يوما فتدركه العواقب قد نما

يَجْزيك أو يُثني عليك فإن من … أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

وقوله:

---

(1) روي أن خديجة لما أخبرت ورقة بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سبوح قدوس.. والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وإنه لنبي هذه الأمة فقولي له ليثبت. ثم لقي ورقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة فقال له: يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وبما سمعت، فأخبره فقال ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتُكذَّبنَّهْ ولتُؤذَينَّهْ ولتخرجنَّهْ ولتُقاتلنَّهْ ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرنَّ الله نصرا يعلمه، ثم قبل رأسه وانصرف ثم لم ينشب ورقة أن مات. والناموس: في الأصل صاحب السرِّ، وعبَّر به عن الملَك الذي يأتي بالوحي.

(2) قال الزبيدي في *تاج العروس*: اختلف في إسلامه والأظهر أنه مات قبل الرسالة وبعد النبوة – [اهـ منه]. وروي أنه توفي سنة ثلاث وأربعين وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أعلن الدعوة سنة أربع وأربعين. والله تعالى أعلم.

(3) الحنان: الرحمة والعطف، أي لأجعلن قبره موضع حنان يُتمسح به كقبور الصالحين الأولين.

لقد نصحــــت لأقــوام وقلت لهم	أنا النــــذيرُ فــــلا يغرركمُ أحد
لا تعبدون إلها غــــيرَ خالـقِكـــم	فإن أبيتم فقولــــوا بيننا جُــدَدُ
سبحان ذي العـرش لا شَيْءٌ يُعادِلهُ	وقَبْلُ سبَّحَهُ الجــوديُّ والجمـــدُ
مسخّر كــــل ما تحت السماء له	لا ينبغي أن يساوي ملكَه أحـــدُ
لم تغن عن هرمُزٍ يــوما خزائنُـــه	والخُلدَ قد حاولـت عادٌ فما خلدوا
ولا سليمان إذ دَانَ الشعــوب له	والإنس والجـن تجري بينها البُـرُدُ
لا شـــيء مما ترى تبقى بشاشتُـــه	يبقى الإلـــه ويودي المال والولد

ولا عقب لورقة ولا لأخيه صفوان إلا من ابنته بسرة بنت صفوان؛ هي أمُّ معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، أبو عائشة بنت معاوية، أم عبد الملك بن مروان وأخيه المحمق معاوية؛ فمروانُ صهرُ بسرة على بنت ابنها عائشةَ، وهي التي حدث عنها قال: حدثتني بسرةُ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مسَّ الذكر فليُعِد الوْضوء»[1] وأخذ به مالك، لأن مروان لا يتهم في حديثه لصدقِ لهجته وضبط فؤادِه. وكانت بسرة من المبايعات.

ولنوفل أيضا: عدي[2] وفيه العقب من نوفل، ومنه فاطمة بنتُ عديٍّ؛ القائلة لعبد الله بن عبد المطلب: قعْ علي ولك مثلُ الإبل التي نحرت عنك، فقال: **أما الحرام.. إلخ.**

ولم يذكر الناظم لنوفل إلا ورقة لقلة نسله، فقال: **من نوفل ورقة..**

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) فهو أخو ورقة لأبيه، فأم ورقة بن نوفل هند بنت أبي كبير بن عبد بن قصي، وأم عدي آمنة بنت جابر أخت تأبط شرا المشهور - [سموط الذهب].

قوله: **والحارث**: أي وأما الحارث، يعني الحارث بن أسد بن عبد العزى. فشرع في الكلام عليه فقال: **منه سعيد**.. الخ؛ وهو **سعيدُ** بن الأسود بن أبي البختري بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى المشهورُ بالشجاعة والجمال، وهو لأم ولد، وفيه قيل:

ألا ليتني أشري وشاحي ودُمْلُجي بِنظرة عين من سعيد بن الاسود

كان يختال في مشيه وكانت سجية منه، ونظر إليه ابن الزبير وهو يقاتل بمكة في حصاره ويتبَختر فقال: كنت أمقت هذا الفتى على هذه المشيةِ حتى علمت أنها سجيةٌ منه. قوله: **العابث بالمتجرد**: يشير إلى أن رجلا ممن شهد **الحرة** كان يحدث يقول: انهزمت فيمن انهزم من الناس فلحقت بِسَعيد بن الأسود يمشي مترسلا ويتبختر، والدماء تسيل منه، قد باشر القتال فتنفست به وخشيت أن يقتل، فقلت له: بأبي أنت وأمي انج فقد لحقك الطلب، فنظر نحوي وتبسم؛ ولحق بنا فارس من أهل الشام فكر عليه سعيدُ فقتله، فخرجت إليه وقلت: الحمد لله الذي أظفرك به، فالتفت نحوي ثم تبسم، فجعلت أتعجب من ضحكه، وافترقت بنا الطريقُ، فلما ضربني البرد من الليل إذا أنا عريان! فعلمت أنه إنما ضحك من عريي. **وما درى**: أي ما علم **المتجرد** من أجل **ذُعره**، أي فزعه، **بالعرة** التي لحقته وهي عُرّيه والناس ينظرون إليه. **وغداة الحرة**: يعني يوم حرة واقم، وهو يوم أوقعه يزيد بن معاوية بأهل المدينة، لم يتقدم مثلُه في الإسلام.

يوم الحرة بالمدينة

لما قُتل الحسين رضي الله عنه علِم يزيد أنه لا مُنازع له بعد، فاشتغل

بالانهماك في ملكه بشرب الخمر وجميع المحرمات، فبلغ ذلـك أهـلَ المدينـة بعد أن حَنِقُوا عليه بِقتل الحسين؛ فوفَدوا عليه ينظرون ما هو عليه فأحسن جوائزهم ولكن رأوا فيــه مـن ارتكـاب المحرمـات مـا زادهـم عليـه حنَقًـا، فقدِموا على أهلهم فخلعوه؛ وجعلـوا علـى الأنصـار عبـدَ ا لله بـن حنظلـة الغسيل وجعلـوا علـى قريـش عبـدَ ا لله بـن مطيـع العـدويَّ وعلـى ســائر المهاجرين غيرِ قريش معقلَ بن سنان الأشجعيَّ.

فبعث إليهم يزيد اثني عشر ألفا من أهل الشام وأمَّر عليهــم مسـلم بـن عقبة المرِّيَّ[1]، وخرج إليه أهل المدينة فالتقوا بالحرة فانهزم أهلُ المدينة وقُتِل معقلُ بن سنان وعبدُ ا لله بن حنظلة ونجا عبدُ ا لله بن مطيع.

وقتل من الصحابة ثمانُون أو أكـثر ومـن أبنـاء الصحابـة وسـائر النـاس والصبيان أثنا عشر ألفا، و لم يبق بعدها أحد شهد بدرا. وممن قتل من أبناء الصحابة يعقوب بن طلحة بن عبيد ا لله [كما مر].

وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثا ـ ولذلك سمي *مسرفا* و*مجرما* ـ وكـان أوصاه يزيدُ بذلك ـ ومكثت أسبوعا لم يدخلها إلا عوافي السباع تلدُ فيهـا الضباعُ والذئاب. وكان بعض العلماء أبى خلع يزيـدَ منهـم عبـدُ ا لله بـن عمر وأبو سعيد الخدري وجابر بن عبد ا لله، فنهى يزيدُ عن قتلهـم [كمـا تقدم].

وخرج جابر وهو مكفوف البصر وجعل يعْثُر في جُثَثِ القتلى ويقـول:

---

(1) هو أحد بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان.

"ويل لمن أخاف الله"[1]، فقيل له: ما تقول؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخاف المدينة أخافه الله»[2]، فضربوه وكادوا يقتلونه فاستنقذه منهم مروانُ بن الحكم، وكان قبل ذلك أميرا على المدينة.

ولما فرغ مسرف بن عقبة من المدينة خرج إلى مكة يريد عبدَ الله بن الزبير، وكان يزيد أمره بذلك. فلما كان في الطريق مات من داء ببطنه، وكان يزيد قال للجيش: إن أصيب مسلم فأميركُم الحصينُ بن نمير السكوني ـ وسكون قبيلة من كندة ـ فقدم الحصين على ابن الزبير بمكة وحاصره حتى سمع بموت يزيد، فأراد من ابن الزبير أن يجعل له شيئا ويبايعه فامتنع ابن الزبير، فارتحل الحصين بجيشه إلى الشام.

وبايع ابنَ الزبير أهلُ الحجاز وأهلُ اليمن وأهل العراق، واهتم مروان أن يبايعه فمات قبل ذلك؛ وقام عبد الملك بالأمر.

وهْوَ ابْنُ الاَسْــوَدِ إِمَامِ يَثْرِبِ   ابْنِ أَبِي الْبَخْتِرِي مُتْحِفِ النَّبِي

أي وهو سعيد بن **الأسود**؛ والأسود من مسلمة الفتح واصطلح عليه أهلُ المدينة يصلون به زمان اختلاف علي ومعاوية، وأمَّهُم إلى أن اصطلح الناسُ. **وأبو البختري** اسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى؛ قيده النووي في شرح مسلم بفتح الباء الموحَّدة وسكون الخاء

---

(1) في نسخة: "قد خاب من أخافه الله"، فسمعه مروان فقال: ما تقول؟

(2) رواه الطبراني في *الكبير*، وأحمد.

المعجمة وكسر التاء. وقوله: **متحف النبي**: أي مكرمه في الشِّعب؛ وكان يُدخل الطعام على بني هاشم ما داموا في الشعب وتبرأ من الصحيفة وقام في نقضها، وأمه أروى بنت الحارث بن عبد العزى بن عبد الدار؛ وأم آمنةَ عمتُها وهي برة بنت عبد العزى.

ولأفعال **أبي البختري** هذه نهى النبي ﷺ الصحابة عن قتله يوم بدر[1]، ثم لقيه المجذر بن ذِياد ومعه زميلٌ له، فقال له المجذّر: يا أبا البختري نهانا رسول الله ﷺ عن قتلك، فقال: وزميلي؟ فقال الْمُجَذَّر: ما نهانا عن قتله، فقال أبو البختري: والله لا تتحدث نساء قريش أني تركت زميلي حرصا على الحياة، فسل سيفه وحمل على المجذر فسبقه المجذر بأن طعنه فقتله، وارتجز أبو البختري قبل الموت بقوله:

لا يُسلم ابنُ حرة زميلَهْ　　حتى يموتَ أو يرى سبيلهْ

وارتجز المجذر بقوله:

بَشِّرْ بِيُتْمٍ مَن أبوه البختري　　و بَشِّرَنْ بمثلها مِني بني
أنا الذي أزعم أصلي من بلي　　أضرب بالحربة حتى تنثني

فقال المجذر: يا رسول الله لقد أجهدت في أن يستأسر فأبى إلا القتال.

ومن ولد أبي البختري طلحةُ بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الأسود بن أبي البختري؛ أمه برة بنت سعيد بن الأسود وأمها فاطمة بنت علي بن أبي طالب ـ لأم ولد ـ وأم أبيه عبد الرحمن: حميدة بنت طلحة بن عبيد

---

(1) ذكره ابن هشام عن ابن إسحاق.

الله بن مسافع بن عياض، الذي قال: لو قد مات رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾الآية[1]، وأم حميدة بنتِ طلحة: أم كلثوم بنت عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما، ولهذه الولادة يقول طلحة بن عبد الرحمن:

جــدي علي وأبو البخـــتري وطلحـــة التيمي والأســـوَدُ
وجــديَ الصديـق أكـــرم به جــدا وخالي المصطــفى أحمد

يعني بطلحة التيمي طلحة بن عبيد الله بن مسافع[2].

وهَكَذَا الْبِطْرِيقُ عُثْمَانُ الَّذِي لَوْلاَ أَبُو زَمْعَـةَالاَسْوَدُ الْبَذِي
لأَخَذَ الْبَيْعَـــةَ لِلْقَيَاصِـــرَهْ عَلَى قُرَيْـــشٍ اللَّقَاحِ الْوَاتِرَهْ

وهكذا: أي في النسب إلى بَني الحارث بن أسد بن عبد العزى. **والبطريقُ:** من قواد الروم؛ وتحته عشرة آلاف رجل، والرجل المختال؛ ولا أدري بأيهما سمي هــذا القرشي[3] **عثمان** بن الحويرث. وكان عنـد قيصـر

(1) الأحزاب: 53.

(2) ابن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم التيمي، وطلحة هذا يقال له طلحة الخير وليس بطلحة أحد العشرة المبشرين كما قد يتوهم.

(3) **وعثمان** (بالرفع): بدل من **البطريق**. **والأسود** (بالرفع): بدل من **أبو زمعة**. **والبذي**: صفة للأسود، وهو الفاحش؛ ووصفه بالفحش لأنه من المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم. **والقياصرة**: جمع قيصر وهو لقب مَن ملكَ الرُّومَ. **واللقاح والواترة**: صفتان لقريش. يعني أن من بني أسد بن عبد العزى بن قصي عثمان بن الحويرث بن أسد الملقب بالبطريق الذي

<<=

فسأله أن يملكه على قريش وقال له: احمِلهم على دينك فيدخلون في طاعتك، ففعل وكتب له كتابا وختمه بالذهب، فعظم ذلك على قريش وهابوا قيصر وهَمُّوا أن يدينوا له، فقام أبو زمعة ـ وهو الأسود بن المطلب ـ فصاح والناس في الطواف فقال: ألا إن قريشا لَقاحٌ لا تَملِك ولا تُملَك، فاتسعت قريش على كلامه ومنعوا البطريق مما جاء به. **واللقاح**: القوم الذين لا يدينون للملك[1]. **والواترة**: الذين يأخذون بأوتارهم من عدوهم. ومن بذاءة الأسود أنه كان من المستهزئين كما قدمنا.

ومن بني الحارث بن المطلب: عبدُ الله بن حميد بن الحارث؛ بارز عليا يوم أحد فقتله عليٌّ، وله ولاءُ حاطبِ بن أبي بلتعة وقيل للزبير بن العوام، والصحيح الأوَّلُ[2].

>> كاد أن يأخذ على قريش البيعة لقيصر لولا أبو زمعة الأسود بن المطلب الذي صاح في الناس وقال: ألا إن قريشا لَقاح لا تَمِلكُ ولا تُمْلَك، فلم يتم لعثمان مراده.

(1) ولا يُملَكُون و لم يُصبهم في الجاهلية سِباء، قال ابن الأعرابي:

لعمرُ أبيك ـ والأنباءُ تنمى ـ	**لنعم الحيُّ في الجُلّى رياحُ**
أبوا دين الملوك فهم لَقَاحٌ	**إذا هِيجُوا إلى حربٍ أشاحوا**

قال ثعلب: هو مشتق من لَقاح الناقة لأنها إذا لقحت لم تطاوع الفحل.

(2) ولما أنهى الكلام على بني عبد العزَّى بن قصي أخذ يتكلم على بني عبد مناف بن قصي، وبدأ ببني هاشم ـ عمود النسب ـ وخالف في ذلك صنيعه الذي هو تقديم ما تفرع من سلك عمود النسب ثم ينزل على عمود النسب لأنه الأصل، فقال رحمه الله وعفا عنه:

نسب عبد مناف بن قصي

عَبْدُ مَـنَافٍ قَمَــرُ الْبَطْحَاءِ   أَرْبَعَـــةٌ بَنُــوهُ هَــؤُلاَءِ:
مُطَّلِبُ وَهَاشِــمٌ وَنَوْفَــــلُ   وَعَبْدُ شَمْسٍ، هَاشِمٌ لاَ يُجْهَلُ

عبد منـاف[1]: مبتـدأ خـبره قمرُ البحطـاء. وبنـوه: مبتـدأٌ خـبره أربعـةٌ.

---

(1) سمي عبد مناف لأن أمه أخدمته مناة، وهو من أكبر أصنامهم، فرآه قصي يوافق اسم عبد مناة بن كنانة فحوله إلى عبد مناف واسمه الأصلي المغيرة وكنيته أبو عبد شمس، وكان أشرف أولاد قصي، وكانت قريش تسميه الفياض لجوده ويلقب **قمر البطحاء** لحسنه وجماله؛ والبطحاء مكة؛ فهو لمكة وأهلها كالقمر لظهوره وفضله، وكان قد ذهب شرفه كل مذهب في حياة أبيه وكان مطاعا في قريش، كما ساد بنوه هؤلاء الأربعة بالنسب والحسب والمجد والكرم وعلو الهمة وقوة العزيمة، فكان لهم الشرف والشوكة في قريش وانتهت إليهم السيادة، حتى أصبحوا يلقبون بأقداح النضار - أي الذهب - ويقال لهم أيضا المجيرون، لأنهم أخذوا لعير قريش الأمان من ملك كل جهة؛ فهاشم للشام وعبد شمس لليمن والمطلب للبحرين ونوفل للعراق، حتى أصبحت عير قريش آمنة مطمئنة لا يتعرض لها في أي ناحية من هذه الأقطار. وكانت لبني هاشم وبني عبد شمس من بني عبد مناف مكانة خاصة وعظمة لا يشاركهم فيها أحد من سائر بني عبد مناف فضلا عن سائر قريش والعرب جميعا. وأول بني عبد مناف موتا هاشم؛ توفي بغزة من الشام، ثم عبد شمس؛ بمكة ودفن مع أبيه قصي بالحجون، ثم المطلب؛ بردمان من أرض اليمن، ثم نوفل؛ بسلمان من ناحية العراق.

ولمطرود بن كعب الخزاعي من قصيدة له:

أربعـــة كلُّهـــمُ سيـــد   أبنـــاء ســـادات لسادات
ميْـــت بردمان وميْت بسلـ   ـمان وميْــت عند غـــزات
وميِّت أسكـــن لحدا لدى الـ   ـحجون شـــرقي البنيـات

<<=

--- >>

أخلصهــــــم عبد مناف فهم — من لـــــوم من لام بمنجـــــاة
إن المغـــــيرة وأبنـــــاءَه — من خـــــير أحياء وأمـــوات

وقال أيضا يبكيهم:

يا عين جودي وأذري الدمع وانهمري — وابكي على السر من كعب المغيرات
يا عين واسحنفري بالدمع واحتفلي — وابكي خبيئـة نفسي في الملمَّات
وابكي على كـل فياض أخي ثقة — ضخم الدسيعة وهَّاب الجزيلات
صعب البديهة لا نِكسٍ ولا وكِلٍ — ماضي العزيمـة مِتلافِ الكريمات
صقر توسـط من كعب إذا نسبوا — بحُبوحَـــةَ المجد والشمِّ الرفيعاتِ
ثم اندبـي الفيض والفياض مُطَّلبا — واستخرطي بعد فيـضات بجمَّات
أمسى بردمان عنا اليـــوم مغتربًا — يا لهـف نفسي عليــه بين أموات
وابكي لك الويـل إمَّا كنت باكية — لعبد شمــــس بشـــرقيِّ البنيات
وهاشم في ضريـــح وسط بلقعة — تسفي الرياح عليــــه بين غزات
ونوفـل كان دون القوم خالصتي — أمسى بسلمان في رمسٍ بمومــــاة
لم ألق بعـــــدهمُ عجما ولا عربا — إذ استقلـــــت بهم أدم المطيات
أمســــــت ديارهمُ منهم معطلةً — وقد يكونـــون زينا في السريات
أصبحت أرضى من الأقوام بعدهمُ — بســـــط الوجوه وإلقاء التحيات

إلى أن يقول:

ما في القـروم لهم عِدْلٌ ولا خطر — ولا لمن تركـــــوا شروى بقيات
أبناؤهـــــم خير أبناء وأنفسهمْ — خير النفـوس لدى جهد الاليات
كم وهَبُوا من طمِرٍّ سابـــح أرِنٍ — ومن طِمِرَّةٍ نهــــبٍ في طِمِرَّات
ومن سيـــوف من الهندِيِّ مخلصةٍ — ومـــن رماحٍ كأشطان الرَّكيات
ومن توابــــع مِمَّا يُفضِلُون بها — عند المسائـــل من بذل العطيات
فلو حسبتُ وأحصى الحاسبون معي — لم أقض أفعالهم تلــــك الهنيات

<<=

وهؤلاء: مبتدأ خبرُه **مطلب** ومعطوفاته[1]. وهاشم **لا يجهل**: مبتدأ وخبره. فالبيتان بنيا على أربع جُمَل اسميات، وبدأ بهاشم لشرفه عليهم بعد أن نبَّه على ذلك الشرف بقوله: **هاشم لا يجهل** أي لشرفه وعلو ذكره ومَن خرج منه، فقال رحمه الله وعفا عنه:

مِنْهُ ضَعِيفَةُ رَبِيبَةُ أَبِيهْ   وَأَسَدُ جَدُّ عَلِيٍّ الْوَجِيهْ

أي من هاشم ابنتُه **ضعيفةُ** بنت هاشم، وهي ربيبة عبد مناف ـ أبي هاشم ـ لأن هاشما خلف على أمها؛ وهي أم نوفل بن عبد مناف؛ وهي واقدة بنت عدي من بني مازن بن صعصعة، فلم تَلِدْ له غيرها. وذلك كان

>>

هم المدلــون إما معشر فخروا   عنــد الفخــار بأنساب نقيات

زين البيــوت التي حَلُّوا مساكنها   فأصبحــت منهمُ وحشا خليات

أقــول والعَين لا ترقى مدامعها   لا يُبعــدِ الله أصحاب الرَّزِياتِ

(السر: الخالص من النسب. اسحنفري: أي أديمي. احتفلي: أي اجمعيه؛ من احتفال الضرع: وهو اجتماع اللبن فيه. الخبيئة: الشيء المخبوء؛ يريد انه كان ذخيرته عند نزول الشدائد. صخم الدسيعة: أي كثير العطاء. النكس: الدني من الرجال. الوكل: الضعيف الذي يتكل على غيره. استخرطي: أي استكثري. الجمَّات: المجتمع من الماء؛ واستعاره هنا للدمع. السريات: جمع سرية: القطعة من الجيش؛ يريد أنهم خلاصة الجيش وخياره. القروم: سادات الناس. العدل: المثل. الخطر: القدر والرفعة. شرواه: مثله. الاليات: الشدائد التي يقصر الإنسان بسببها).

(1) ووَلَدَ عبدُ مناف غير هؤلاء الأربعة: أبا عمرو وتماضر وقِلابة وحيَّة وريطة وأم الاخثم وأم سفيان. أما أبو عمرو فأمه ريطة الثقفية، وأما النساء جميعا فأمهنَّ عاتكة بنت مرة بن هلال؛ أم بنيه هاشم وعبد شمس والمطلب، وأم ريطة هذه صفية بنت حَوْزَةَ بن عمرو ابن سلول بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وأم صفية هذه بنت عائذ الله، من بني سعد العشيرة المذحجية.

نكاحا صحيحا قَبْلُ حتى نزل القرآن. **والربيبة**: بنت الزوجة.

ومن هاشم أيضا **أسدُ جد علي** بن أبي طالب ـ لأمه ـ وإخوتِه الثلاثةِ وأختيه أم هانئ وجمانةَ. وكان بنو أبي طالب كلهم محضا، لأنهم أول هاشمي ولدته هاشمية لهاشمي. **وضعيفة** بنت هاشم تزوجها وهب بن عبد مناف بن زهرة وولدت له أولادًا ليست منهم آمنةُ.

وَجَدَّةُ السَّائِبِ مُشْبِهِ النَّبِي ثُمَّ أَبُو صَيْفِيٍّ الْمُهَذَّبِ
وَنَضْلَةُ وانقَرَضَا وَالْعَقِبُ فِي شَيْبَةٍ أَخِيهِمَا وَالْحَسَبُ

أي ومن هاشم أيضا **جدة السائب** بن عبد الله الذي كان **يشبه بالنبي** ﷺ، وهو جد الإمام الشافعي؛ ويأتي ذكرهُ في نسبه[1] إن شاء الله، وهي شقيقة عبد المطلب واسمها الشفاء. ومنه **أبو صيفي**، وليس له إلا صيفي ورُقَيْقَةُ، أم مخرمةَ بن نوفل الزهريِّ، **وصيفي** درج بعد أن كان له ذكر. **والمهذب**: صفة لصيفي ومعناه الصفي النسب الطاهره. ومنه **نضلة وانقرض** هو وأخوه أبو صيفي، أي انقطع نسْلهما، وبقي **العقب**: أي النسل، **والحسب**: أي الشرف، في **أخيهما** عبدِ المطلِب والحمد لله.

وَإِذْ بَنِي شَيْبَةَ أَشْبَعَ النَّبِي بِمَا لَوَ انَّ كُلَّ وَاحِدٍ حُبِي
بِمِثْلِهِ اسْتَعْمَلَهُ زَبَرَهُمْ مَارِدُهُمْ زَاعِمًا اَن سَحَرَهُمْ
فَصَدَّهُمْ وَهُمْ زُهَاءُ الاربَعِينْ وَقَد دَّعَاهُمْ لِلدِّيَانَةِ الأَمِينْ

---

(1) انظر: التكملة (رياض السيرة والأدب): 146/1.

يشير إلى أن النبي ﷺ لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1] ذبح شاة وملأ ركوة ماء فجمع بني عبد المطلب، وهم يومئذ نحو الأربعينَ، **فشبعوا** كلهم من الشاة ورووْا من الركوة؛ وكان واحدٌ منهم يأكل شاة ويشرب ركوة، ثم قال لهم: «يا بني أمي أرأيتم أن قد وقفت على الصفا وأشرت لكم بفضل ردائي وأنا أقول لكم واصباحاهْ إني نذير لكم من عدوٍّ أقبل إليكم أمصدقوني أنتم»؟[2] فقالوا: كيف لا نصدقك وما جَرَّبنا عليك كذبة قط وقد سميناك الأمين لصدقك؟ قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقام أبو لهب وقال: تبًّا لك أَلهذا جمعتنا؟ فقال للقوم: سحركم الساحرُ فقُوموا إلى أهْليكم وأموالكم. ثم نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ـ السورة[3]، جزاءً لقوله: تبا لك. **وحُبِي**: أعطي. **واستعمله**: أكله وشربه. **وزبرهم**: زجرهم. **وماردهم**: أبو لهب؛ وهي من صفات الشيطان واستعاره لأبي لهب.

أُمُّ حَكِيمٍ بِنــتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ   تَحْتَ كُرَيْزٍ وَأُمَيْمَــةَ انتَخَبْ

جَحْــشُ وَعَاتِكَةُ زَوْجَةُ أَبِي   أُمَيَّـــةٍ أُمُّ الْكِـــرَامِ النُّجُبِ

شرع يذكر عمَّاته وأزواجهن، فبدأ **بأُمِّ حكيم**، لأنها توأمة عبد الله ويقال لها البيضاء ويقال لها الحَصَان أيضا؛ وكانت تقول:

---

(1) الشعراء: 214.

(2) رواه البخاري ومسلم.

(3) المسد.

أنا الحَصَانُ فما أُكَلَّمْ   وأنا الصَّناعُ فما أُعَلَّم

وتزوجها **كريز** (بصيغة التصغير) ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس فولدت له[1]. و**أميمةُ** بنتُ عبد المطلب[2] **انتخبها**، أي اختارها، **جحش** بن رئاب[3] الأسدي حليفُ بني عبد شمس فولدت له: عبدَ الله المجدع وأبا أحمد الأعمى الشاعر، وعبيد الله ـ الذي تنصر بأرض الحبشة بعد أن هاجر إليها مع المسلمين ومات على نصرانيته عن أمنا أُمِّ حبيبة؛ وهو أبو بنتها حبيبة ـ وأُمَّنا زينبَ، وحمنةَ بنتيْ جحْش[4]. **وعاتكةُ** تزوجها أبو أميةَ بن المغيرة الذي يقال له *زادُ الركب*، فولدت له **الكرامَ النُّجُبَ** الذين قال؛

(1) عامرا وأم طلحة ـ واسمها أرنب ـ وأروى؛ وولدت أروى هذه عثمان بن عفان والوليد وعمارة وخالدا وأم كلثوم وهندا بني عقبة بن أبي معيطٍ. وولدت أم طلحة خالدا وعمرا وعامرا بني الحضرمي؛ وعامر هو المقتول يوم نخلة وبه كانت بدر، وهم حلفاء لبني عبد شمس ـ [الزبيري].

(2) هي التي ترثي أباها عبد المطلب بقولها:

ألا هلك الراعي العشيرة ذو الفقد	وساقي الحجيج والمحامي عن المجد
ومن يألفُ الضَّيفُ الغريبُ بُيوتَه	إذا ما سماء الناس تبخل بالرعد
كسبت وليدًا خير ما يكسب الفتى	فلم تنفكك تزداد يا شيبة الحمد
أبو الحارث الفياض خَلَّى مكانه	فلا تبعدن فكل حي إلى بُعدِ
سقاك ولِي الناس في القبر ممطِرًا	فسوف أبكِّيه وإن كان في اللَّحدِ
فقد كان زينا للعشيرة كلها	وكان حميدًا حيثما كان من حمدِ

(3) ابن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة.

(4) وأختهم أيضا حبيبة بنت حجش، وهي المستحاضة، كانت عند عبد الرحمن بن عوف، وليس لها ولد.

وهم: عبد الله بن أبي أمية الذي كان شديدا على النبي ﷺ بمكة، ثم خرج مع أبي سفيان بن الحارث فلقياه يريدُ مكة فأعرض عنهما.. ثم قبل منهما الإسلام بعد لأيٍ، فكانا نعم الصَّحْبيان؛ فاستُشهد عبدُ الله بالطائف.

وزهير وقُريبَةُ الكبرى بنت أبي أمية، أم بني زَمْعَة بن الأسود.

واختُلِف في إسلام عاتكة، وهِيَ صاحبةُ الرؤيا التي قال فيها أبو جهل للعباس: متى قامت فيكم هذه النبية؟! وهي القائلةُ تصف سلاح أهلِ حرْب الفجار[1]:

بعُكاظ يَعشي الناظرينَ ... إذا هُمُ لمحوا شُعَاعَهْ

وَبَرَّةُ تَحْتَ أَبِي رُهْمٍ ثَوَتْ ... وَبِأَبِي سَبْرَةٍ النَّدْبِ أَتَتْ
وهِيَ أَيْضًا زَوْجُ عَبْدِ الأَسَدِ ... أُمُّ أَبِي سَلَمَةٍ الْمُهْتَدِي

وبرة بنت عبد المطلب هذه اختلف أيضا في إسلامها؛ تزوجها أبو رُهم بن عبد العزى[2] فولدت له أبا سبرة بن أبي رُهم؛ أسلم قديما وهاجرَ

(1) بين كنانة وهوازن:

سائل بنا في قومنا ... وليكف من شر سماعُه
قيسا وما جمعوا لنا ... في مجمع باقٍ شناعُه
فيه السنوَّر والقنا ... والكبش ملتمع قِناعه
بعكاظ يعشي.. إلخ
فيه قتلنا مالكًا ... قسرًا وأسلمه رَعَاعُه
ومُجَدَّلا غادرنه ... بالقاع تنهشه ضباعُه

(2) ابن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي العامري.

الهجْرتين وشهد بدرًا وما بعدها وتوفي في خلافة عثمان، ولم يزل بمكة؛ قالوا: ولا يعلم أحد من أهل بدر رجع إلى مكة غيرهُ.

وتزَوَّجَ **برة** بنت عبد المطلب أيضا **عبد الأسد** بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فولدت له سيدَنا عبدَ الله **أبا سلمة**[1].

تَحْتَ عُمَيْرٍ ابْنِ وَهْبٍ أَرْوَى   إِسْلَامُهَا فِيهِ خِلَافٌ يُرْوَى

والصحيح إسلامُها[2]. **وعمير** هو ابن وهب بن كبير بن عبد بن قصي،

---

(1) ابن عبد الأسد، الصحابي الجليل زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ووصفه **بالمهتدي** لهدايته بالإسلام وصحبته لسيد الأنام صلى الله عليه وسلم، أو لقول النبي صلى الله عليه وسلم عند موته: «اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين..» ـ الحديث ـ [رواه مسلم وغيره]. وهو والد سلمة الذي كني به أبواه.

(2) وأروى هذه هي التي ترثي أباها عبد المطلب فتقول:

بكت عيني وحق لها البكاءُ   على سمح سجيته الحياءُ
على سهل الخليقة أبطحي   كريم الخِيم نيته العلاءُ
على الفياض شيبة ذي المعالي   أبيكِ الخير ليس له كفاء
طويل الباع أروع شيظمي   أغر كأن غرته ضياء
أقب الكشح أبيض ذي فضول   له المجد المقدم والسناء
أبيُّ الضَّيْمِ أبلج هبرزي   قديم المجد ليس له خفاء
ومعقل مالك وربيع فهر   وفاصِلُها إذا التمس القضاء
وكان هو الفتى كرما وجودًا   وبأسا حين تنسكب الدِّماءُ
إذا هاب الكماة الموت حتى   كأنَّ قلوب أكثرهم هواء
مضى قُدُمًا بذِي رُبَدٍ خشيبٍ   عليه حين تبصره البهاءُ

(كفاء: أي مثل. الأروع: من يعجبك لحسنه ومنظره وشجاعته. الشَّيْظَمِي: المقْوَل الفصيح. أبلج: مشرق الوجه واسعه. الهِبْرِزي: الجميل الوسيم، أو الجلد النافذ. الربد (كصرد): الفرند. الخشيب: الصقيل. البهاء: الحسن).

وهي أم طليب بن عمير الذي هاجر الهجرتين وشهد بدرا وما بعدها واستشهد باليرموك أو بأجنادين[1] ولا عقب له. وهؤلاء الخمس من بنات عبد المطلب، شقيقات عبد الله والزبير وأبي طالب؛ أمهم: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن مخزوم المخزومية. وأما صفية وحدها فشقيقة حمزة والمقوم والمغيرة، الذي يقال له حَجلُ؛ أمُّهم هالةُ بنت أهيب بن عبد مناف بن زُهرة، ولذلك أخرها عنهن مع علوِّها بصحة الإسلام والصحبة؛ فهي صحابية بلا خلاف:

صَفِيَّةُ حَلِيلَةُ الْعَوَّامِ أُمُّ الْحَوَارِيِّ الزُّبَيْرِ السَّامِي

وأُمُّ السائب؛ صحب واستشهد يوم اليمامة، وبجيرٍ[2]؛ قتلتْه دَوْس بأبي

---

(1) وله تقول أمه:

إن طليبا نصر ابن خاله آساهُ في ذي دمه وماله

ثم خلف على أروى بنت عبد المطلب كلدة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فولدت له فاطمة - [الزبيري].

(2) يعني أن صفية بنت عبد المطلب كانت عند العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي فولدت له الزبير، الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم «الحواري»، والسائب الذي استشهد يوم اليمامة، وبجيرا، وولدت له أيضا أم حبيب؛ تزوجها خالد بن حزام فولدت له أم الحسن بنت خالد وليس لها عقب - [الزبيري وغيره].

وكانت صفية بنت عبد المطلب في الجاهلية تحت الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس، ثم هلك عنها فتزوجها العوام بن خويلد، وأسلمت وهاجرت، ولم تزل بالمدينة إلى أن توفيت سنة عشرين عن ثلاث وسبعين سنة، ودفنت بالبقيع. وكانت شاعرة؛ ومن شعرها:

ألا من مبلغ عني قريشا ففيمَ الأمر فينا والامار؟

لنا السلف المقدَّم قد علمتم ولم توقد لنا بالغدر نار

وكل مناقب الخيرات فينا وبعض الأمر منقصة وعارُ

أزهر الذي قتَلَهُ هشامُ بن الوليد. عاشت إلى خلافة عمر أو بعدها، وهي التي قال لها النبي ﷺ: «أحملك على ولد الناقة»[1]، وقال لها أيضا: «الجنة لا تدخلها عَجوز»[2].

وَلِلزُّبَيْـرِ الْقَرْمِ عَمِّ الْمُصْطَفَى أَسْلَمَ عَبْـدُ اللَّهِ قُطْـبُ الْحُنَفَا

شرع يذكر إسلام مَن أسلم من بني هاشم، فبدأ **بعبد الله** بن الزبير، وكان سيدا في الإسلام وابن سيد في الجاهلية[3]، أسلم وهاجر؛ أُمُّه عاتكةُ

---

(1) أخرجه البخاري في *الأدب المفرد* والترمذي في كتاب البر والصِّلة، وأبو داود في كتاب الآداب، وأحمد، وغيرهم. وكانت قالت للنبي صلى الله عليه وسلم احملني أي اعطني حمولة أركبها فقال لها: «أحملك..» إلخ، وقد كان المتبادر عند العامة في بادي الرأي استعمال ولد الناقة فيما كان صغيرا لا يصلح للركوب، والحقيقة أنَّ ولد الناقة يصدق بالكبير والصغير - [البيجور شرح الشمائل].

(2) رواه الترمذي في *الشمائل*. وقد قالت له: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال لها: «يا أمَّ فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز»، فولت تبكي، فقال: «اخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز بل تدخلها وهي شابة، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ (الواقعة: 35-37) أي مستويات في السن أبناء ثلاثين أو ثلاثة وثلاثين إذ هذا أكمل أسنان نساء الدنيا - [اهـ].

(3) كان الزبير بن عبد المطلب من أشراف قريش وله ذكر في بناء الكعبة وكان شقيق عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كفل النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي طالب في أول أمره، وكان يرقصه ويقول له:

محمـــد بن عبـدَمْ عشـــت بعيـش أنعَمْ
ودولـــة ومغنَـــمْ دام سجيـــس الأزلَمْ

ومات قبل نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يكنى أبا الطاهر - بابنه الطاهر - وباسمه سمي ابن أخته الزبير بن العوام وكني بكنيته أولا.

بنت أبي وهب بن عمران بن مخزوم، وتوفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاثين سنة، وكان يقول له: «ابن عَمِّي وحِبِّي»[1]، وقتل باجنادين ووجد حوله عصبةٌ قد قتلهم، ولهذا سماه قطب الحنفا، و لم يترك ولدًا.

لِلْحَارِثِ الأَكْبَرِ أَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ، عَبْدُ اللهِ وَالْمُنتَخَبُ
رَبِيعَةُ الَّذِي النَّبِيُّ وَضَعَا دَمَ ابْنِهِ وَنَوْفَلُ وانقطَعَا
نَسْلُ سِوَى الْحَارِثِ والْعَبَّاسِ وشَرِّهِمْ وَوَالِدِ الأَكْيَاسِ
عَلِيٌّ، جَعْفَرُ، عَقِيلُ، طَالِبُ أَكْبَرُهُمْ وَهْوَ الْفَقِيدُ الذَّاهِبُ

الأكبر: يعني من أولاد عبد المطلب، وبه كان يكنى، وأمه من بني سُواءة بن عامر بن صعصعة، وليس له شقيق من بني عبد المطلب إلا قثمُ ومات صغيرا. وأسلم **للحارث** من الأولاد أربعة:

[الأول:] **أبو سفيان** الشاعر المشهور الذي يقول:

لعمرك إني يوم أحمل رايتي لتغلب خيلُ اللاتَ خيلَ محمدِ
لكالمدلج الحيران أظلم ليلُه فهذا أَوَانِي حين أُهْدَى فأهتدي

---

(1) رواه أحمد. وقد دخل عبد الله هذا يوما على النبي صلى الله عليه وسلم فكساه حلة وأقعده إلى جنبه وقال: «إنه ابن أبي وأمي وكان أبوه بَرًّا بي»، وكان شجاعا بطلا؛ وشقيقته ضباعة بنت الزبير صحابية، زوَّجها النبي صلى الله عليه وسلم من المقداد بن عمرو؛ وشقيقتهما أم حكيم بنت الزبير، أم بني ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، و لم يكن للزبير عقب إلا من بنتيه هاتين أو من هذه الأخيره فقط.

هَداني هاد غيرَ نفسي ودَلَّـــني　　على الله من طَارَدتُه كل مطرد[1]

وكان أخًا للنبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ـ أرضعتهما حليمة ـ وكان صديقا له حتى بُعث النبي ﷺ فكان أبعدَ الناس منه وأشدهم عداوة، وكان ممن يهجوه من شعراء قريش؛ فلما أسلم انقلب ذلك أيضا فصار أقربَ الناس منه وأحبهم إليه، ولم ينظر قط في وجه رسول الله ﷺ حياءً منه، وكان رسول الله ﷺ يقول له: «خليفة حمزة»[2] ورثى النبيَّ صلى الله عليه وسلم بمراثي حسنة[3]، وتوفي في خلافة عمر بعد ما أحل

---

(1) **أصد وأنأى جاهدًا عن محمد　　وادعى وإن لم أنتسب من محمد**

ولما أنشد رضي الله عنه قوله: **من طاردته كل مطرد** ضرب صلى الله عليه وسلم صدره وقال: «أنت طردتني كل مطرد». وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم حنينا وأبلى فيها بلاء حسنا؛ وكان ممن ثبت معه يومئذ ولم تفارق يَدُه لجامَ بغلته حتى انصرف الناس إليه، وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وقال له: «أرجو أن تكون خلفا من حمزة» وقال فيه: «أبو سفيان من شباب أهل الجنة ـ أو ـ سيد فتيان أهل الجنة».

(2) نحوه في ابن سعد (37/3).

(3) منها قوله:

أرقت وبات ليلي لا يزول　　وليل أخي المصيبة فيه طول

وأسعدني البكاء، وذاك فيما　　أصيب المسلمون به قليل

لقد عظمت مصيبتنا وجلت　　عشية قيل: قد قُبِضَ الرسول

وأضحت أرضنا مما عراها　　تكاد بنا جوانبها تميل

فقدنا الوحي والتنزيل فينا　　يروح به ويغدو جبرئيل

وذاك أحق ما سالت عليه　　نفوس الناس أو كادت تسيل

نبي كان يجلو الشك عنا　　بما يوحى إليه وما يقول

<<=

من الحج؛ فحلق الحلاق رأسه فقَطع ثُؤلولاً كان به فنزفه الدم، فلما حضرته الوفاةُ قال لِنسائه: لا تبْكين علي فإني لم أنطق بخطيئة منذ أسلمت.

الثاني: **عبدُ ا لله** بن الحارث، كان اسْمُه عبد شمس فسماه النبي ﷺ عبد ا لله، ومات في حياته و لم يعقب[1].

الثالث: **ربيعة** الذي **وضع النبي ﷺ دم ابنه يوم فتح مكة** فقال: «ألا إن كلَّ دم في الجاهلية فهو تحت قدمي وأولُ دم أضعه دمُ ابنِ ربيعة بن الحارث»[2]، واسمُ ابنِ ربيعة هذا آدمُ؛ كان مسترضعا في هذيل فقتلته بنو ليث بن بكر في حرب كانت بينهم وبين هُذيل؛ كان الصبي يحْبُو أمام البيوت فأصابه حجرٌ فرضخ رأسهُ.

أسلم ربيعة يوم الفتح، وكان أسنَّ من عمه العباس، ويكنى أبا أروى؛ سأل النبي ﷺ أن يزوجه من الصدقة فقال له: «إنما الصدقة أوساخُ الناس

>> --

ويهدينا فما نخشى ضلالا	**علينا والرسول لنا دليل**
أفاطم إن جزعت فذاك عذر	**وإن لم تجزعي ذاك السبيل**
فقبر أبيك سيد كل قبر	**وفيه سيد الناس الرسول**

(1) أسلم عبد ا لله هذا قبل الفتح وهاجر، فلما قدم المدينة مسلما سماه النبي صلى ا لله عليه وسلم عبد ا لله، وخرج معه في غزاة فمات بالصفراء وكفنه صلى ا لله عليه وسلم في قميصه ودفنه وقال فيه: «سعيد أدركته السعادة».

(2) أخرجه أحمد في المسند؛ وهو جزء من حديث طويل.

لا تحل لنا»[1]، فزوجه من بيت المال. وأم بنيه أمُّ الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب، وتوفي سنة ثلاث عشرة[2].

الرابع: **نوفل** بن الحارث، يكنى أبا الحارث؛ أسر يوم بدر وفداه العباس هو وابن عمه عَقيل بن أبي طالب، وقيل هو الذي فدى نفسه برماح أخبره بها النبي ﷺ؛ قال له: «افد نفسك يا نوفل» قال: ليس عندي مال أفدي به نفسي، قال: «رماحك التي بِجُدة» [3] فقال: أشهد أنك رسول الله، والله ما علم أحد أن لي رماحا بجدة إلا الله غيرك، فكان ذلك سببَ إسلامه. وأعان رسول الله ﷺ يوم حنين بثلاثة آلافِ رمح[4]، وقيل إنه ثبت معه ذلك اليوم؛ وتوفي بالمدينة سنة خمس عشرة وصلى عليه عمر ودفن بالبقيع[5]. وكان أسن من عميه حمزة والعباس.

---

(1) رواه مسلم وابن حِبَّان.

(2) ووصفه الناظم بالمنتخب، أي المختار، لإسلامه وصحبته وشرف نسبه وأصله؛ وأمه عزة بنت قيس الفهرية.

(3) ذكره ابن سعد: (33/3).

(4) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كأني أنظر رماحك يا أبا الحارث تقصف أصلاب المشركين»، وكانت رماحه التي أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بها بجدة ألف رمح؛ وكان هو وعمه العباس في الجاهلية شريكين متفاوضين في المال متحابَّين.

(5) ومن ولده المغيرة، له صحبة وكان قاضيا بالمدينة في خلافة عثمان ثم كان مع علي في حروبه، وهو الذي قبض على ابن ملجم حين ضرب عليا؛ رمى عليه قطيفة فأمسكه بها وضرب به الأرض وقعد على صدره وانتزع السيف من يده وحبسه حتى مات علي. ولما توفي علي كرم الله وجهه خطب معاوية أمامة بنت أبي العاص بن الربيع، زوج علي، فجعلت أمرها إلى المغيرة هذا فتوثق منها وزوجها من نفسه، فماتت عنده ولم تلد له ولا لعلي رضي الله عنه.

ونبَّه الناظم رحمه الله على من أعقب من بني عبد المطلب بقوله: **وانقطعا نسل سوى الحارث:** يعني من الرجال؛ وأما من النساء فأعقب غيرُ هؤلاء كهندَ بنت المقوم؛ تزوجها أبو عمرة الأنصاري الصحابي فولدت له عبد الرحمن الصحابي أيضا، وكبنات الزبير بن عبد المطلب: أم الحكم ـ أم بني ربيعة بن الحارث ـ وضباعة زوج المقداد وغيرها، وكبنات حمزة. وأما يعلى ابنه فولد أربعة رجال ماتوا و لم يترك واحدٌ منهم نسلا.

وقوله: **وشرهم** يعني أبا لهب؛ هو شَرُّ بني عبد المطلب، لتكذيب النبي ﷺ وعداوته له. وقد أعقب أبو لهب من ولده عتيبة وابنه مُعتب (كمحدث). ومن عقبه الفضل اللهبي الذي يقال له الأخضر لشدة أدمته، لأن أباه أمه آمنة بنت العباس وهي لأم ولد سوداءَ، ومن شعره:

وأنا الأخضر من يعرفني	**أخضر الجلدة من بيت العرب**
مَن يُسَاجِلْني يُساجِلْ ماجدا	**يملأ الدلو إلى عقد الكَرَبْ**
نحن قوم قد بنى الله لنا	**شرفا فوق بيوتات العرب**
بنبي الله وابني عمه	**وبعباس بن عبد المطلب**
إنما عبدُ مناف جوهرٌ	**زيَّن الجوهرَ عبد المطلب**

وروي أن الفرزدق صادفه وهو يستقي من بئر زمزم وهو ينشد: **من يساجلني..** ـ البيت فنزل ـ عن دابته وشمر ثيابه يريدُ مساجلته، فسأل عنه فقيل له الأخضر ابن العباس، فأرخى عليه ثيابه وقال: ما أنا إذا بمساجله! وهو الذي هاجى عقربا التميمي؛ وقيل فيهما: أمطل من اللهبي وأشد اقتضاءً من عقرب، لأن عقربا ربَط حماره بباب دار اللهبي حينَ تمادى على مطله حتى تهاجيا، وله يقول الفضل:

قد تجــرَتْ في أرضنا عقربٌ	لا مرحبا بالعقــرب التاجــرَةْ
إن عــدوًّا كيـــده في استِـه	لغــيرُ ذي كيد ولا ضائــرةْ
كل عـــدوٍّ يتّقى مقبــــلا	وعقــرب تُخشى من الدابــرةْ
إن عادت العقـــرب عدنا لها	وكانـــت النعل لها حاضــرةْ

وله يقول:

إذا ما كنـــت متخـــذا خليلا	فلا تجعـــل خليلك مـــن تميم
بلوتُ صمِيمَهـــم والعبد منهم	فلـم أدْرِ العبيـــد من الصميم

ويعني **بوالد الأكياس**: أبا طالب، **والأكياس**: جمع كَيِّس وهـو العـاقل، ورتـب عدهـم على مراتبهـم إلى أن أخـر أكـبرَهُم لعـدم إسـلامه؛ وكـان خرج[1] مع قريش يريدون بدرا، فلما كانوا في أثناء الطريق تكلم مع رجل من قريش ـ أو من بني عبد شمس ـ فقـال الرجـل: وا لله يـا بـني هاشـم مـا خرجتم ناصحين للخروج.. فأغضبه الرجلُ فرجع ثم لم يوجد لـه أثـرٌ و لم يسمع له خبر. وجمعنا الأبيات الأربعة للتضمين بينها[2].

عُتَيْبَةُ وعُتْبَــةُ مُعَتِّــبُ وَدُرَّةُ إِلَى التَّبِيــبِ تُنْسَــبُ

عتيبة: هو أكيلُ الأسد على المشهور؛ وسببه دعاء النبي ﷺ عليه قـال: «اللهم سلطْ عليه كلبًا من كلابـك»[3]، فخـرج مـع أبيـه في تجـارة فـنزلوا

(1) يعني طالبا.

(2) ثم ذكر الناظم أولاد أبي لهب فقال رحمه ا لله وعفا عنه:

(3) أخرجه الحاكم وأبو نعيم.

واديا فقال أبو لهب للرفقة: إن ابني دعا عليه محمد فاحضُنُوه الليلة من سباع هذا الوادِي، فضمُّوا أمتعتهم بعضها إلى بعض حتى علت فأضجعوه عليها وأحدقوا بها. فلما ناموا جاء الأسد فجعل يَشَمُّ كُلَّ أحد، ثم رقى إليه وأخذه وذهب به. وأما عتبة - على أنه غير أكيل الأسد - فأسلم هو ومعتب عامَ الفتح ثم لم يزالا بمكة وحسن إسلامهما ودعا لهما النبي ﷺ.

كمل بحمد الله تعالى وتوفيقه ما شرحه الشيخ حماد بن الأمين المجلسي من نظم أنساب العرب لعمِّه العلامة: أحمد البدوي بن محمدا، رحمهم الله. وقد أتمه بفضل الله الشيخ/ اباه بن محمد عالي بن نعم العبد المجلسي - حفظه الله - بتكملة بديعة سماها: "رياض السيرة والأدب في إكمال شرح عمود النسب" مطبوعة في مجلدين.

ويليه الجزء الأول من التكملة بادئا بشرح قول الناظم:

عُتَيْبَةُ وعُتْبَةُ مُعَتِّبُ وَدُرَّةُ إِلَى التَّبِيبِ تُنسَبُ

والحمد لله رب العالمين

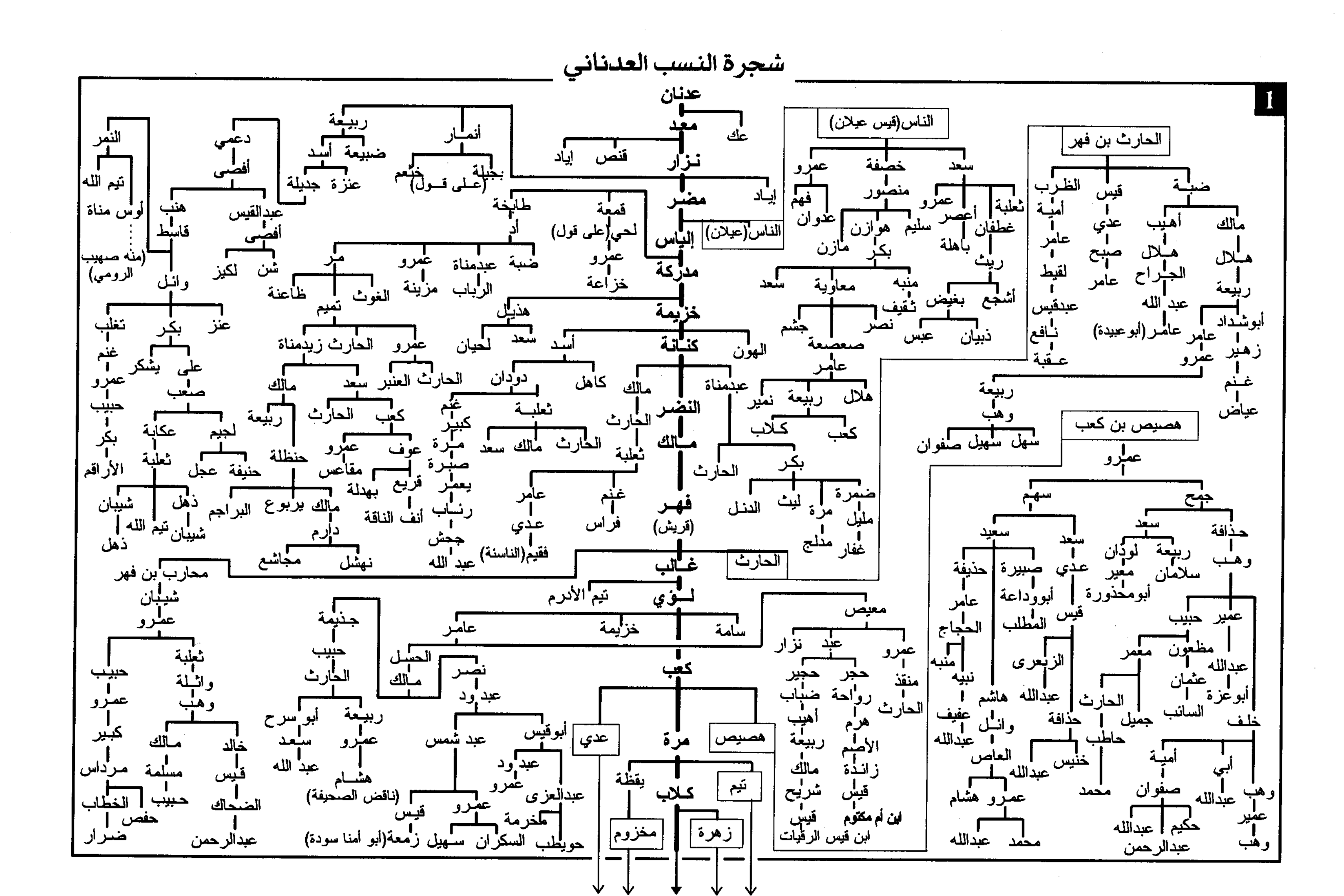
***

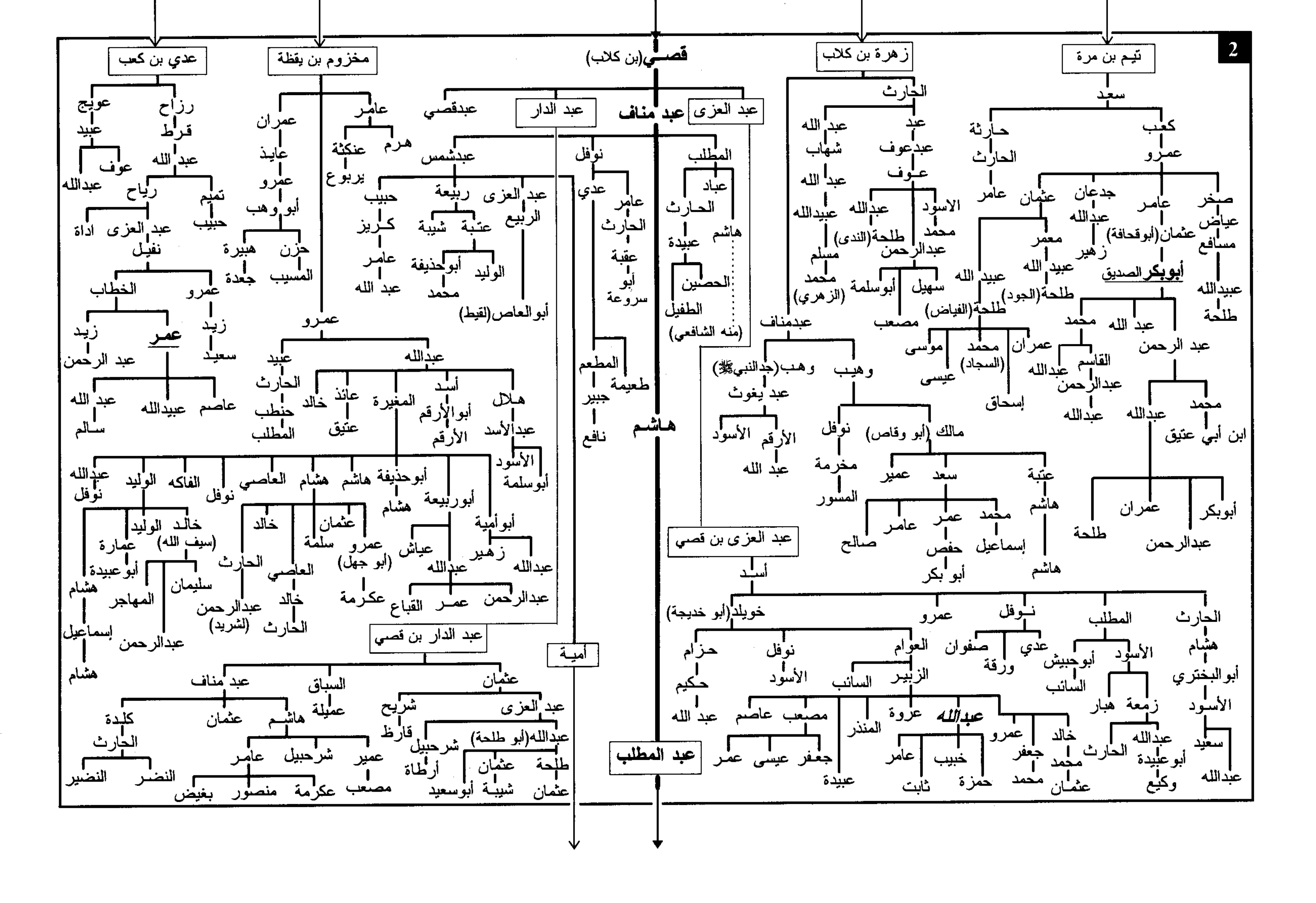
فهرس محتويات الجزء الثاني

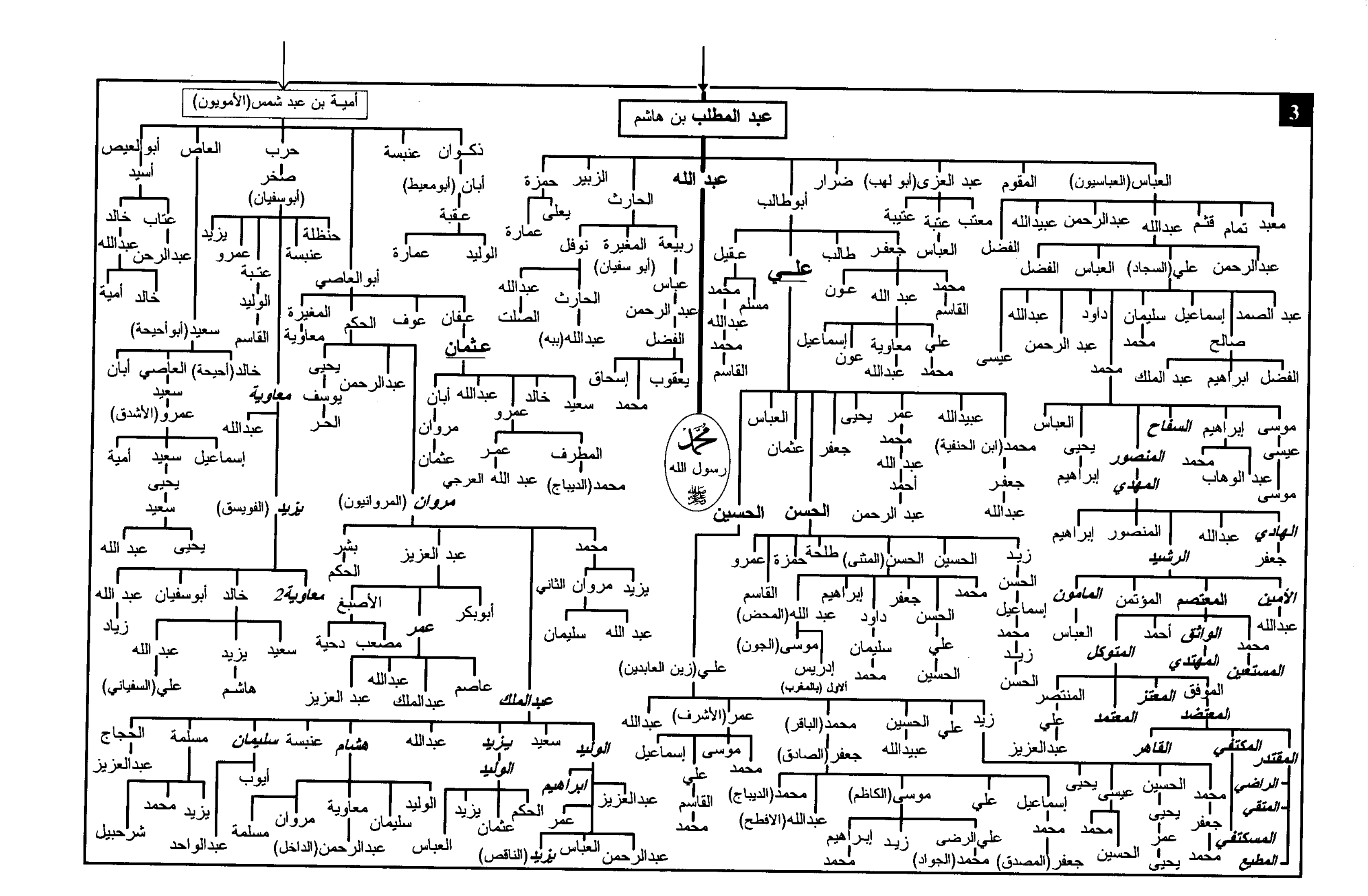
❁

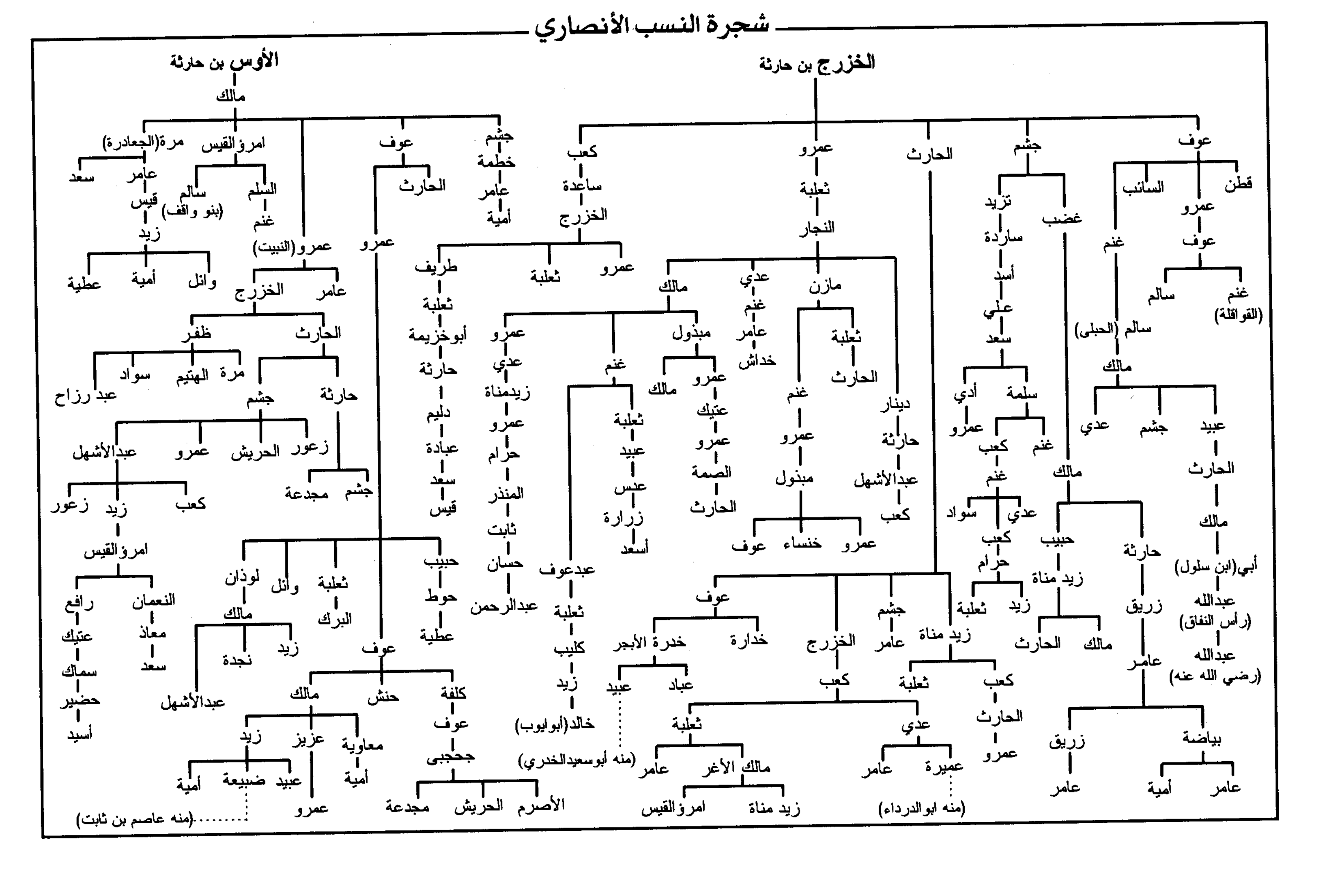
فهرس الأعلام المترجمين والمعرفين في الشرح والتعليق

في الجزء الثاني


شجرة النسب العدناني
1
عدنان
معد
نزار
مضر
إلياس
مدركة
خزيمة
كنانة
النضر
مالك
فهر
(قريش)
غالب
لؤي
كعب
مرة
كلاب
الناس(قيس عيلان)
الحارث بن فهر
هصيص بن كعب
الناس(عيلان)
الحارث
عدي
هصيص
تيم
مخزوم
زهرة

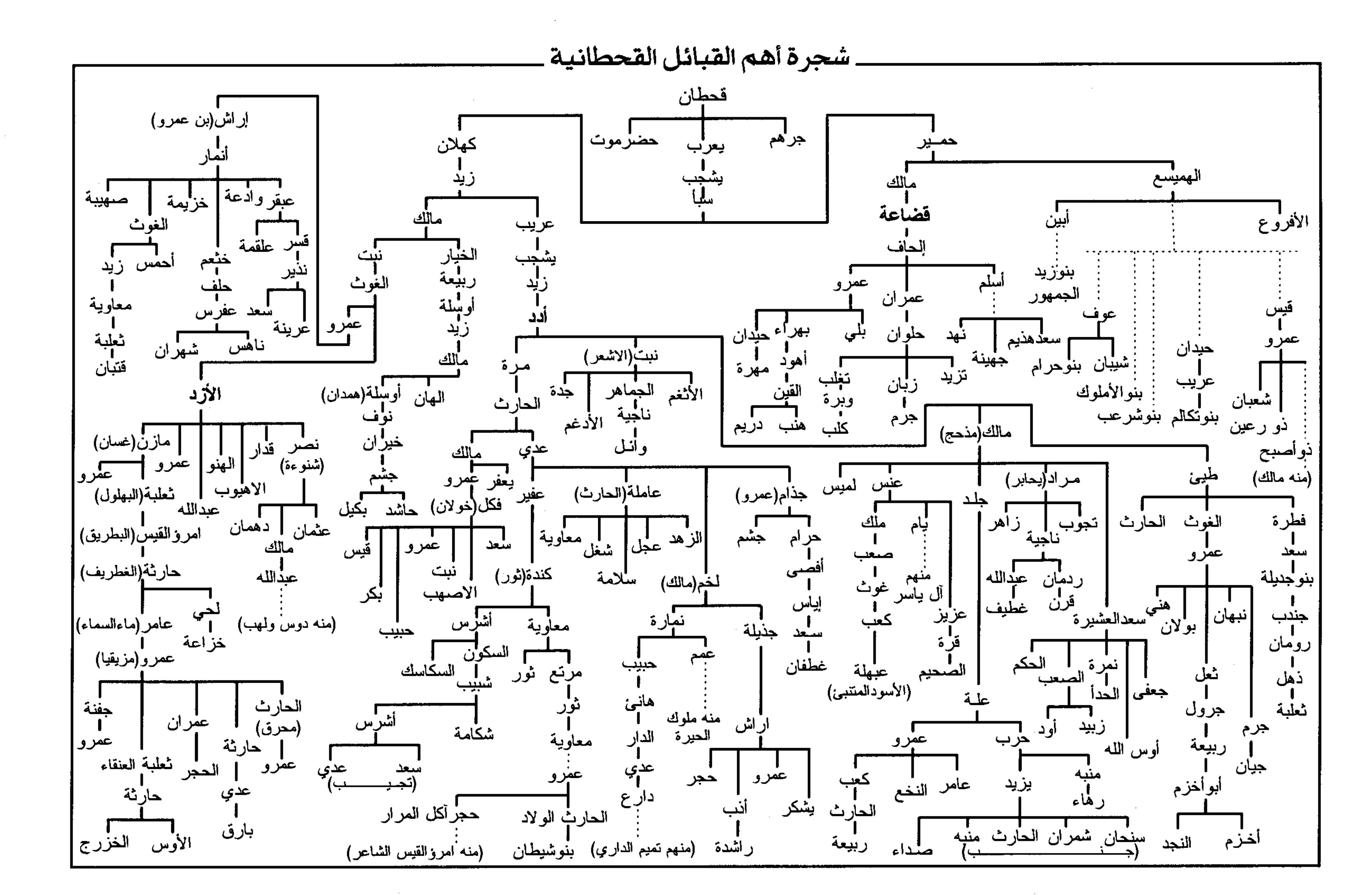

قصي (بن كلاب)
عدي بن كعب
مخزوم بن يقظة
زهرة بن كلاب
تيم بن مرة
عبد مناف
عبد الدار
عبد العزى
عبدقصي
هاشم
عبد المطلب
أمية
عبد الدار بن قصي
عبد العزى بن قصي
عويج
رزاح
عبيد
قرط
عوف
عبد الله
عبدالله
رياح
تميم
اداة
عبد العزى
حبيب
نفيل
الخطاب
عمرو
زيد
عمر
سعيد
عبد الرحمن
عاصم
عبيدالله
سالم
عمران
عامر
عايذ
عنكثة
هرم
يربوع
أبو وهب
هبيرة
حزن
جعدة
المسيب
عبدشمس
حبيب
ربيعة
كريز
عتبة
شيبة
الوليد
أبوحذيفة
محمد
الربيع
أبو العاص (لقيط)
عبيد
الحارث
حنطب
المطلب
خالد
عائذ
عتيق
المغيرة
أسد
أبوالأرقم
الأرقم
هلال
عبدالأسد
الأسود
أبوسلمة
نوفل
الفاكه
العاصي
هشام
هاشم
أبوحذيفة
أبوربيعة
أبوأمية
خالد (سيف الله)
عمارة
أبوعبيدة
المهاجر
سليمان
إسماعيل
عثمان
سلمة
عمرو (أبو جهل)
عكرمة
عبدالرحمن (لشريد)
عياش
زهير
القباع
عدي
عقبة
أبو سروعة
المطعم
طعيمة
جبير
نافع
المطلب
عباد
هاشم
عبيدة
الحصين
الطفيل
(منه الشافعي)
السباق
عميلة
شريح
قارظ
شرحبيل
أرطاة
عبدالله (أبو طلحة)
طلحة
أبوسعيد
كلدة
النضر
النضير
شرحبيل
عمير
مصعب
منصور
بغيض
الحارث
عبدعوف
شهاب
الأسود
طلحة (الندى)
مسلم
محمد (الزهري)
أبوسلمة
سهيل
مصعب
عبدمناف
وهب (جد النبي ﷺ)
وهيب
عبد يغوث
الأرقم
مالك (أبو وقاص)
مخرمة
المسور
سعد
عمير
صالح
حفص
أبو بكر
إسماعيل
سعد
كعب
حارثة
جدعان
صخر
عياض
مسافع
عثمان (أبوقحافة)
أبوبكر الصديق
معمر
عبيد الله
طلحة (الجود)
طلحة (الفياض)
موسى
محمد (السجاد)
عيسى
إسحاق
عمران
القاسم
عبدالرحمن
ابن أبي عتيق
أبوبكر
طلحة
أسد
خويلد (أبو خديجة)
العوام
حزام
حكيم
الزبير
السائب
عروة
المنذر
مصعب
جعفر
عيسى
عبيدة
خبيب
ثابت
حمزة
أبوحبيش
ورقة
صفوان
زمعة
هبار
أبو البختري
أبوعبيدة
وكيع


3
عبد المطلب بن هاشم
أمية بن عبد شمس(الأمويون)
العباس(العباسيون) المقوم عبد العزى(أبو لهب) ضرار أبوطالب عبد الله الحارث الزبير حمزة
ذكوان عنبسة حرب العاص أبو العيص
معبد تمام قثم عبدالله عبدالرحمن عبيدالله الفضل
معتب عتبة عتيبة العباس جعفر طالب عقيل علي
ربيعة المغيرة نوفل (أبو سفيان) الحارث يعلى عمارة
أبان (أبومعيط) عقبة الوليد عمارة
صخر (أبوسفيان) حنظلة عنبسة عتبة عمرو يزيد الوليد القاسم
أسيد عتاب خالد عبدالرحمن عبدالله خالد أمية
أبوالعاصي عفان عوف الحكم المغيرة معاوية
عثمان
عبدالرحمن علي(السجاد) العباس الفضل
عبد الصمد إسماعيل سليمان داود عبدالله عيسى محمد عبد الرحمن
صالح الفضل ابراهيم عبد الملك محمد
محمد عون عبد الله القاسم محمد علي معاوية إسماعيل عون عبدالله محمد
عباس عبد الرحمن الفضل يعقوب إسحاق محمد
عبدالله الصلت الحارث عبدالله(ببه)
محمد مسلم عبدالله محمد القاسم
محمد
رسول الله ﷺ
عبيدالله عمر يحيى جعفر العباس عثمان محمد(ابن الحنفية) محمد عبد الله أحمد عبد الرحمن جعفر عبدالله
الحسن الحسين
زيد الحسين الحسن(المثنى) طلحة حمزة عمرو
الحسن إسماعيل محمد زيد الحسن
محمد جعفر إبراهيم القاسم الحسن داود عبد الله(المحض) علي الحسين سليمان محمد موسى(الجون) إدريس الاول (بالمغرب)
علي(زين العابدين)
زيد علي الحسين محمد(الباقر) عمر(الأشرف) عبدالله
عبيدالله جعفر(الصادق) موسى إسماعيل محمد علي القاسم محمد
إسماعيل علي موسى(الكاظم) محمد(الديباج) عبدالله(الافطح)
علي الرضى زيد إبراهيم محمد محمد(الجواد) جعفر(المصدق)
محمد عبدالعزيز علي يحيى عيسى الحسين محمد جعفر عمر يحيى الحسين محمد
موسى إبراهيم السفاح يحيى العباس المنصور محمد عيسى عبد الوهاب موسى إبراهيم
المهدي
الهادي عبدالله المنصور إبراهيم جعفر الرشيد
الأمين المعتصم المؤتمن المأمون عبدالله العباس
محمد الواثق أحمد المتوكل المستعين المهتدي
المعتضد المعتز الموفق المعتمد المنتصر علي
المكتفي القاهر المقتدر الراضي المتقي المستكفي المطيع
سعيد(أبو أحيحة) خالد(أحيحة) العاصي أبان سعيد عمرو(الأشدق) إسماعيل سعيد أمية يحيى سعيد يحيى عبد الله
معاوية عبدالله يزيد (الفويسق)
يحيى يوسف الحر عبدالرحمن
عبدالله أبان مروان عثمان خالد سعيد عمرو عمر المطرف عبد الله العرجي محمد(الديباج)
مروان (المروانيون)
محمد عبد العزيز بشر الحكم
يزيد مروان الثاني عبد الله سليمان
أبوبكر الأصبغ عمر مصعب دحية عاصم عبدالله عبدالملك عبد العزيز
معاوية2 خالد أبوسفيان عبد الله زياد سعيد يزيد عبد الله هاشم علي(السفياني)
عبدالملك
الوليد سعيد يزيد عبدالله هشام سليمان عنبسة مسلمة الحجاج عبدالعزيز
عبدالعزيز إبراهيم عمر العباس يزيد(الناقص) عبدالرحمن
الوليد الحكم عثمان يزيد العباس
الوليد سليمان معاوية مروان مسلمة عبدالرحمن(الداخل)
أيوب عبدالواحد يزيد محمد شرحبيل



شجرة النسب الأنصاري
الخزرج بن حارثة
الأوس بن حارثة
مالك
مرة (الجعادرة)
امرؤ القيس
عمرو (النبيت)
عوف
جشم
سعد
عامر
قيس
زيد
عطية
أمية
وائل
سالم (بنو واقف)
السلم
غنم
الخزرج
عامر
ظفر
الحارث
عبد رزاح
سواد
الهيتم
مرة
جشم
حارثة
عبدالأشهل
عمرو
الحريش
زعور
مجدعة
جشم
زعور
زيد
كعب
امرؤ القيس
رافع
عتيك
سماك
حضير
أسيد
النعمان
معاذ
سعد
الحارث
عمرو
خطمة
عامر
أمية
لوذان
وائل
ثعلبة
حبيب
مالك
البرك
حوط
عطية
زيد
نجدة
عبدالأشهل
عوف
مالك
حنش
كلفة
زيد
عزيز
معاوية
عبيد
ضبيعة
أمية
عمرو
أمية
عوف
جحجبى
مجدعة
الحريش
الأصرم
(منه عاصم بن ثابت)
كعب
ساعدة
الخزرج
طريف
ثعلبة
عمرو
ثعلبة
أبوخزيمة
حارثة
دليم
عبادة
سعد
قيس
عمرو
النجار
مالك
عدي
مازن
دينار
عمرو
عدي
زيدمناة
عمرو
حرام
المنذر
ثابت
حسان
عبدالرحمن
غنم
عبدعوف
ثعلبة
كليب
زيد
خالد (أبوايوب)
ثعلبة
عبيد
عدس
زرارة
أسعد
مبذول
عمرو
مالك
عتيك
عمرو
الصمة
الحارث
غنم
عامر
خداش
ثعلبة
الحارث
غنم
عمرو
مبذول
عوف
خنساء
عمرو
حارثة
عبدالأشهل
كعب
الحارث
عوف
الخزرج
جشم
زيد مناة
خدرة الأبجر
خدارة
عبيد
عباد
(منه أبوسعيدالخدري)
كعب
ثعلبة
عدي
عامر
مالك الأغر
امرؤ القيس
زيد مناة
عامر
عميرة
(منه ابوالدرداء)
عامر
ثعلبة
كعب
الحارث
عمرو
جشم
تزيد
ساردة
أسد
علي
سعد
أدي
سلمة
عمرو
كعب
غنم
غنم
سواد
عدي
كعب
حرام
ثعلبة
زيد
غضب
مالك
حبيب
حارثة
زيد مناة
الحارث
مالك
زريق
عامر
زريق
بياضة
عامر
أمية
عامر
عوف
قطن
السائب
عمرو
عوف
غنم
سالم
غنم (القواقلة)
سالم (الحبلى)
مالك
عبيد
جشم
عدي
الحارث
مالك
أبي (ابن سلول)
عبدالله (رأس النفاق)
عبدالله (رضي الله عنه)

شجرة أهم القبائل القحطانية



طبع بمطابع
دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع
ص ب: 23424 الشارقة ـ إ. ع. م.

تصريح وزارة الإعلام والثقافة رقم: أ ع ش/428 بتاريخ 2002/2/26